

وقائع مؤتمر
الأمم المتحدة
عن دورية السيد
الشيخ محمد باقر
المرتضى

٢٢٩ / ٣٠٧٠٦٣

م ٤٩٨ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٤ : ٢٠٢٣ : كربلاء).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع: القرآن الكريم وقضايا
المجتمع المعاصرة/ المؤتمر . - ط ١ . -

كربلاء: دار الوارث، ٢٠٢٣.

٨٢١ص: ٢٤سم

١. القرآن والمجتمع - مؤتمرات. / . العنوان.

م . و .

٢٠٢٣ / ٣٦١٥

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٥) لسنة ٢٠٢٣

الناشر: دار القرآن الكريم - العتبة الحسينية المقدسة

التصميم والخراج الفني: قحطان عامر الطائي

الطبعة/ الأولى

سنة الطبع/ ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣

المطبعة/ دار الوارث للطباعة والنشر

تمت ترجمة الملخصات في العتبة الحسينية المقدسة، مركز الاعلام الدولي،

ترجمة: أبا الحسن عباس



وقائع مؤتمرات
الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب
عليه السلام

المنعقد بعنوان

القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة

بالتعاون مع جامعة الزهراء عليها السلام للبنات في كربلاء المقدسة

للمدة من ١٥-١٧-٢٠٢٢م

الموافق ٨-١٠-شوال-١٤٤٣هـ

اللجنة المشرفة

أ.د. زينب عبد الحسن الملا السلطاني / رئيس جامعة الزهراء عليها السلام للبنات

أ.د. نجاح فاهم العبيدي / جامعة كربلاء

د. الشيخ خير الدين الهادي / رئيس قسم دار القرآن الكريم

د. السيد مرتضى جمال الدين / معاون العلمي لرئيس قسم دار القرآن

اللجنة العميَّة

أ.د. ضرغام كرم كاظم الموسوي / عميد كلية العلوم الإسلامية جامعة كربلاء

أ.د. خليل شكري هيّاس / رئيس قسم اللغة العربية جامعة الموصل

أ.م.د. طلال فائق مجبل الكمالي / عميد كلية العلوم الإسلامية جامعة الوارث

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي / الكلية التربوية المفتوحة مركز النجف الأشرف

أ.م.د. خالد محمود حمي / جامعة الموصل

م.د. عماد طالب موسى / وزارة التربية مديرية تربية كربلاء

م.د. عمّار حسن عبد الزهرة / وزارة التربية مديرية تربية كربلاء

د. باسم دخيل مراد العابدي / كلية المعارف الإسلامية

م.م. علي فليح علي الفتلاوي / جامعة كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ
نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١١٤)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله الذي لا تُدرّكه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه على وجوده، وبحدوث خلقه على وجوده، وباشتباههم على أن لا شبه له، الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه، مستشهداً بحدوث الأشياء على أزليته.. اللهم اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيشات الأباطيل، والدافع صولات الأضاليل.

وصل اللهم على أهل بيته، شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم.

وبعد ...

فقد عمل قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع إقامة المؤتمرات السنوية الدولية؛ بغية تصدير المعرفة القرآنية إلى المؤسسات العلمية والحوزوية والأكاديمية، ومن جملة المؤتمرات التي يراها قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي، وقد عُقد في نسخته الرابعة بعنوان: (القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة) الموافق ١١ / ٥ / ٢٠٢٢ م.

وذلك لما لهذا الموضوع من أهمية قصوى في الحياة المعاصرة نتيجة ظهور آفاتٍ مجتمعيّةٍ كثيرة، فكان لزاماً أن تتصدّى المؤسّسات العلميّة لوضع بعض المعالجات، وأهمُّ الأسس في هذا الجانب القرآن الكريم بوصفه العماد الأساس في تربية الإنسان وضمان الحياة الكريمة له، بعيداً عن الشذوذ والآفات المجتمعيّة، فكان القرآن الكريم خير معتمدٍ في مواجهة ما تعمل عليه الجهات العالميّة المنحرفة في إشاعة السلبات بين فئات المجتمع؛ إرضاءً لانحراف سلوكهم، أو بغية تحقيق مآرب مشبوهة، أو منافع شخصيّة، أو تحقيق هدفٍ شيطاني تسعى إليه القوى المهيمنة الظالمة في حربها لله تعالى وأوليائه، ومن هنا فإنّهم بدأوا باستهداف القرآن الكريم حرقاً فيه وتمزيقاً له وبثاً للشبهات في مضامينه؛ لمعرفة بقوّة تأثيره في مواجهة انحرافهم ومآربهم، ولهذا فإنّ علينا أن نبذل كلّ ما بالوسع من أجل إيصال رسالة القرآن الكريم إلى كلّ أرجاء المعمورة؛ حتّى يعمّ نوره كلّ موطنٍ فيها وتكون الحجّة البالغة لله تعالى، وعلى هذا الأساس كان انطلاق دار القرآن الكريم في عملها المعرفي من جعل القرآن الكريم والعترة الطاهرة أساساً في تبني المشاريع الإصلاحيّة، إيماناً بحديث الثقلين الذي جعل الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وأهل بيته العاصمين من الضلال، ومن هنا عوّل قسم دار القرآن الكريم في هذا المؤتمر على مراقبة بعض الأطر الإصلاحيّة في القرآن الكريم على وفق ستّة محاور هي:

١. أنماط العلاقات الاجتماعيّة على وفق المنظور القرآني.
٢. المجتمع المثالي في ضوء النصّ القرآني.
٣. تحديات الحياة اليوميّة وصورة معالجتها قرآنيّاً.
٤. القرآن والتغيرات الثقافيّة.
٥. تقييم المشكلات الاجتماعيّة المعاصرة من المنظور القرآني.
٦. الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام من المنظور القرآني.

وقد ورد لقسم دار القرآن الكريم بإزاء هذه المحاور مجموعة من البحوث تربو على الخمسين بحثاً من دول مختلفة، ناقشت مجموعة من القضايا المجتمعية المعاصرة مع وضع بعض الحلول التي تلائم تلك القضايا من القرآن الكريم، وبعد عرضها على اللجان العلمية ترشح عدد منها وعمد قسم دار القرآن الكريم أن يطبعها في هذه الوقائع؛ تلبيةً للحاجة المعرفية، وإسهاماً منه في رفق المكتبة الإسلامية بالدراسات والبحوث الرصينة المعتمدة على المنهج العلمي في متابعة الأفكار ورصدها.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين



المحور الأول

أنماط العلاقات الاجتماعية على وفق المنظور القرآني



مكانة المرأة في ضوء الآيات القرآنيّة
والتحدّيات المعاصرة

الباحث

د. مالك يوسف سلطان العظماوي

الملّخص:

تؤدّي المرأة دورًا كبيرًا ومهمًا في تكوين الأسرة وبناء الشعوب، والمحافظة على كيانها من أهم الأهداف التي يوليها علماء الاجتماع والتربية إهتمامًا بالغًا، فكتبت الدراسات والبحوث وتنفق الأموال الطائلة لأجل إنشاء المعاهد المتخصصة ودور النشر والبرامج المعدة لذلك من أجل الوصول إلى أقصر الطرق التي تؤدّي بنا إلى الاهتمام بشخصية المرأة ومن ثم المحافظة على كيان الأسرة من الإنهيار.

وقد واجهت المرأة كثيرًا من المصاعب والتحديات التي من شأنها أن تقف حائلا دون تحقيق المحافظة على شخصيتها بكرامة وإحترام، ومن أجل التغلب على هذه التحديات وحل تلك المشكلات حلًا حقيقيًا، لا بدّ من الإقتناع بما رسمه لنا الإسلام الحنيف، وبما أوضحته لنا النصوص الشرعية بخصوص المرأة التي تعدّ جوهره ابتدعها الباري (عز وجلّ) إلى جنب الرجل، وليس هناك تفضيل للرجل إلاّ في بعض الأمور التي ذكرها القرآن الكريم من القوامة والميراث وغيرها. وهذه الأمور التي ذكرت ليس فيها إمتهان للمرأة أبداً، بل العكس فيها إكرام لها، وكل من يعتقد بأنّ الآيات والأحاديث التي يتحجج بها أعداء الإسلام بخصوص حقوق المرأة وحربتها على أنّها انتقاص لكرامة المرأة أو تقليل من شأنها فهو إمّا جاهل أو معاند.

فالقوامة والميراث والشهادة وغيرها مما ذكرها القرآن الكريم التي شرّعها مبتدع الكون وخالقه جلّ شأنه، إنّما تدل على سمو منزلتها، ولا يريد المشرّع أن يحمّلها ما لا تطيق كما يحمّلها دعاة الحرية الزائفة، فهي تسمو بجمال روحها وعظمة عاطفتها وعلو مكانتها في الأسرة المسلمة ورفع منزلتها، فليس عليها مسؤوليّة الإنفاق على الأسرة مثلاً، وفي الوقت ذاته لم تحرم من الميراث كلياً كما فعلته بعض الحضارات على مرّ العصور، وهذه أهمية تميّز بها الإسلام عن غيره.

الكلمات المفتاحية: المرأة، القوامة، الميراث، الأسرة.

Summary:

Women play a significant-important role in the family's formation and building of nations. Therefore; preserving their entity is considered a high priority to the sociologists. so the studies and research are prepared. and money is spent on establishing specialized institutes. publishing houses. and programs designed to reach the shortest ways. in which we can take care of women. and preserving the family's entity from collapse.

Women had faced numerous difficulties & challenges; that would prevent their entity preservation; with dignity and respect. In order to overcome these challenges and solve these problems in real terms. we must be convinced of what Islam has stated for us and of what religious texts (Shar'iah texts) have shown us about women. who are a precious jewel created By (Allah) alongside men & men have nothing to be distinguished for comparing with women. except in some matters mentioned by the Holy Quran. like guardianship. inheritance. and others. These things aren't meant to disrespect the women but rather to raise their values. Anyone who believes that the verses and Hadith (S). invoked by Islam's enemies regarding women's rights and liberty are either ignorant-blind or bigoted.

So the guardianship. inheritance. testimony. and other of what the Holy Quran mentioned. which was written by Allah (the creator of all matters). demonstrates their Noble character. and the creator of rules (Allah) doesn't want them to carry things they can't incur. as what fake-freedom advocates do. it raises their souls' beauty. their affection's greatness. their high level in the Muslim families. She has no responsibility of spending on the family however at the same time. it hasn't been deprived of inheritance. as some civilizations have done over the ages; the most remarkable advantage that distinguishes Islam from others.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فالمجتمعات تتطور بتطور أفرادها وتبنى الحضارات بما تمتلك الشعوب من مقومات عامة تضعها في مصاف البلدان المتطورة ليتمكّن أفرادها من العيش الرغيد والحياة الحرة الكريمة.

إنّ المرأة هي العنصر الأساسي في تكوين الشعوب وتطورها ووصولها إلى قمة النضج الفكري والاجتماعي والنفسي والأخلاقي، لذا علينا أن نهتم بهذا الكائن ذي الشأن العظيم الذي ذُكر في رسالات السماء، التي جاء بها أنبياء الله تعالى، وما خاطب الله تعالى به البشر بواجب أو تكليف أو ثواب وعقاب إلاّ خاطبهما - أي الرجل والمرأة - معا؛ لغرض التأكيد على عدم أفضلية أحد على أحد، لكن جاهلينا القديمة وعاداتنا البدوية تفرض علينا التمييز بين الذكر والأنثى، فواقع الحال هما مخلوقان متساويان في الحقوق والواجبات ماعدا الفروق التكوينية الخاصة بالطبيعة الفسيولوجية لكلّ منهما.

إنّ النظرة السلبية للمجتمع تجاه المرأة تولدت نتيجة البيئة الاجتماعية والحياة البدويّة البدائيّة لدى الشعوب ولاسيّما الشعوب العربيّة؛ إذ تجذّرت حالة الافتخار بالذكور من دون الإناث، وعلى الرغم من مجيء الإسلام الذي غير تلك النظرة الخاطئة للمرأة، وما مرّت به من مآسٍ ومحنٍ في حقب زمنية عدة، إلاّ أنّ النظرة الثانويّة بقيت راسخة في كثير من المجتمعات تجاه المرأة، فما زال كثيرون يفرّقون بين أبناء البشر على أساس الجنس بما في ذلك الدول المتحضرة، أو التي لم تأخذ من تحضرها شيئاً سوى الخلاعة والميوعة والانحلال، ونتيجة لكلّ الظروف والعادات التي تعيشها المجتمعات تولدت أمور من شأنها أن تستغل المرأة من قبل المجتمع، فتارة من

طريق الدعوة للتحرر والمساواة مع الرجل، وتارة أخرى من طريق التفسير الخاطيء لتعاليم الدين الحنيف، وثالثة من طريق القيود والعادات الاجتماعية المتمثلة بالسلوك العشائري المقيت.

المبحث الأول:

أ. المطلب الأول: حقوق المرأة ورعايتها:

١. المرأة هي اللبنة الأساس للأسرة:

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ لكلّ إنسان حقوقاً فرضها الله تعالى سواء أكان رجلاً أم امرأة أم طفلاً، فالرجل له حقوق وعليه واجبات وكذلك المرأة لها حقوق وواجبات أيضاً، وهذا ما نؤمن به نحن بصفتنا مسلمين إيماناً راسخاً لا يتزعزع نابعا من عقيدتنا وإيماننا بالله تعالى الذي أوجب هذه الحقوق علينا نحن البشر.

قد يكون هناك انتهاكا لحقوق المرأة، وقد تكون لحقوق الرجل او الطفل، وبحسب الحالة التي يعيشها الفرد، لكن هناك من يستغل الأمور ويحاول التركيز على المرأة ليس من أجل المرأة حقاً، بل من أجل أن يحاول إيصال فكرة ما للآخرين بأنّه متحضر ويطالب بحقوق المرأة تناغمًا مع الثقافة الغربية! وقد بيّنا سلفاً بأننا نؤمن إيماناً راسخاً بأنّ لكلّ عنصر بشري مهما كان نوعه له حقوق وواجبات وهذا لا مناص منه ولا مبالغة ولا مجاملة أبداً، بصريح قول الله تعالى الذي نؤمن به ونعمل جاهدين لتطبيقه:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة / الآية: ٢٢٨

والآن نحاول الإجابة عن سؤال يتبادر إلى الذهن: لماذا المطالبة بحقوق المرأة من دون غيرها؟ والإجابة على هكذا تساؤل، لا بدّ أن ننظر إلى أصل القضية ونتطرق إلى جذورها وكيف حصلت، ولكن قبل ذلك لنرى ماذا يطرح بعض الناس من حقوق المرأة ويصرخون بأعلى الأصوات؟ منها مثلاً قضية الحجاب ومسألة الاختلاط.. وهاتان النقطتان هما محور ما يطالب به هؤلاء (دعاة التحضر)، فضلاً عن أنّ حق التعليم وحرية اختيار الشريك والعمل والعنف وغيرها من الأمور التي نتفق معهم عليها، ولكننا أفردنا هاتين النقطتين لكونهما محل الاختلاف فيما بيننا وبين غيرنا.

أما أصل قضية المطالبة بحقوق المرأة فقد جاءت نتيجة لبعض الأمور التي تنتج بسبب جهل المجتمع بماهية المرأة واتصافه - اي المجتمع - بصفات جاهلية لا تمت للإسلام بصلة.

٢. المعايير المزدوجة في التعامل:

تتميز المرأة عن الرجل بأمر لا شك في أنّها إن دلت على شيء إنّما تدل على عظمتها وعلو شأنها وسمو مكانتها، هذا المخلوق الذي أرادته الله تعالى أن يكون سبباً في جمال الوجود وسعادته! فكم رائعة وعظيمة هذه المخلوقة التي سمّاها الله تعالى بـ (المرأة) وكرّمها، فهي منذ صغرها تدلك على لطفها وجمال روحها، وأنّ تصرفاتها تدلّ على سرّ الخالق وحكمته جلّ شأنه^(١). ومع هذا فإننا نجد بعض المعايير المزدوجة من قبل المجتمع في التعامل مع الشاب يختلف عن التعامل مع البنت. وهذه المعايير المزدوجة نراها في مجتمعنا اليوم، ونحن إذ نطرح هذه الصور الواقعية لا نريد أن نعطي البنت الحقّ في الوقوع ممّا يقع به بعض الشباب من المحرمات والأفعال المشينة، كلا، بل نناقش التعامل المزدوج والنظرة المختلفة لكلّ من الشاب والفتاة من قبل الأهل والمجتمع بشكل عام. فحري بأولياء الأمور وعقلاء القوم أن لا يتهاونوا مع الشاب

(١) ينظر: التحديات التي تواجه المرأة في العصر الحديث، للباحث، ص ١٠٥.

كتعاملهم مع البنت، وحينما تُقتل البنت غسلاً للعار ويُنظر إلى فعل البنت بأنه عار فيجب النظر إلى فعل الشاب بأنه عار أيضاً، ولا فرق بين فعل وفعل طبقاً لفاعله، بل لا بدّ من أن يُشخّص الفعل القبيح ولا فرق بين جنس فاعله^(١).

٣. الإختلاط سمة العصر:

إنّ المطالبين بحريّة المرأة واختلاطها بالرجل هم فريقان، فريق يعلم أنّ الإختلاط العايب سيؤدي إلى انحلال أخلاق المجتمع وتفككه كما حدث في أوروبا، وهؤلاء من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ليكونوا مثلهم في الانحلال الأخلاقي، وفريق مخدوع مستغفل؛ لأنّه مستعبد للغرب لا يرى إلا ما يراه الغرب، وكلا الفريقين مسخّران لخدمة أعداء الإسلام^(٢) وينادون بحرية (الإختلاط) بحجّة تحرر المرأة! والاختلاط غير الخلوة، فالخلوة كما معروف هو اجتماع الرجل بالمرأة الأجنبية في مكان لا يطلع عليهما فيه أحد، ولا يصل لهما فيه أحد إلا بإذنها، والخلوة فضلاً عن أنها منزلت خطيرة قد يكون الشيطان ثالثهما، فهي موضع تهمة وريبة، فإن علم بها الناس أساءوا الظن بصاحبها ولو كان من الصالحين، ثم يتحول الظن إلى حقيقة يتناقلها الناس، فيجب أن لا يكون مجالاً للخلوة برجلٍ أجنبيٍّ قط إكراماً لأهلك وحفظاً لنفسك وحمايةً لبيتك^(٣).

ومن أهمّ الأمور التي يجب على المرأة الإلتزام بها هي مسألة الحجاب، والحجاب ليس لأجل تكبير المرأة وتقييدها، بل العكس تماماً، إنّما لأجل الحفاظ عليها وإكرامها كما قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...﴾ النور/ الآية ٣١. إنّ

(١) ينظر: التحديات التي تواجه المرأة في العصر الحديث، للباحث، ص ١١٠.

(٢) ينظر: المرأة بين جاهليتين، د. شبر فقيه، ص ٩١.

(٣) ينظر: المرأة ماذا بعد السقوط، بدرية العزاز، ص ٢٠١.

شرف المرأة وعفتها يقتضيان أن تكون على وقار واحتشام عند خروجها من بيتها، وأن لا يكون في ملبسها ومظهرها ما يبعث على التهيج والإثارة، كأنها بذلك تدعو الرجل إليها^(١). وهنا لا بدّ من تكاتف الجميع وتعاونهم من أجل أن تأخذ المرأة مكانتها التي أرادها الله تعالى، وتقع هذه المسؤولية على الجميع، بدءاً من الأسرة والمدرسة وحتى الوسائل الإعلامية التي لا بدّ أن تقوم بتوعية العوائل والنساء بشكل خاص عن أهمية التربية الصحيحة للفتاة من أجل أن تكون أمّاً صالحة في المستقبل^(٢).

المطلب الثاني: من الأسباب الرئيسة التي تجعل المرأة غير قادرة بالتمتع بكامل حقوقها في مجتمعاتنا الإسلامية الشرقية تتلخّص على النحو الآتي:

١. استغلال الرجل لقواه البدنية:

يرى الرجل أنّه قادر على أن يتغلّب على المرأة بقوة عضلاته وتفوقه الجسدي، إذ إنّ تكوين المرأة الجسدي يكون أضعف من التكوين الجسدي للرجل، فنرى بعض الرجال يستخدمون العنف الجسدي ضد المرأة بقوة العضلات ويتصورون أنّ ذلك من أنواع الرجولة، ولكنها في حقيقة الأمر ليست من الرجولة بشيء، فقد جاء بالحديث الشريف: «اتقوا الله اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة»^(٣).

على أيّة حال فالرجل - في مجتمعنا - يرى نفسه أقوى من هذه المخلوقة الضعيفة - في تكوينها الجسدي - فنجدّه يتجاوز عليها ويخس حقوقها، تارة يقوم بإجبارها على الزواج بمن لا ترغب أو أن يمنعها دخول المدرسة وإكمال تعليمها، وتارة أخرى يستغلها في خدمته من إعداد الطعام وتقديمه وتبيئة ملبسه وغيرها، وهذا كله مرفوض من قبل الشارع المقدس ولا يجوز إجبارها على فعل ما لا تطيق أو ما لا ترغب، وكلنا

(١) ينظر: مسألة الحجاب، مرتضى مطهري، ص ٨٧.

(٢) ينظر: بحث بعنوان: دور الإعلام في تماسك نسيج المجتمع، بحث للمؤلف، ص ١٣.

(٣) مستدرك سفينة البحار للشاهرودي، ج ١٠، ص ٤٤.

نعلم بأنَّ هناك من الفقهاء مَنْ يوجب على الرجل أن يدفع أجرًا لإرضاعها ابنه فضلًا عن إعداد الطعام وغيرها.

٢. سوء فهم الرجل لمكانة المرأة:

على الرغم من أنَّ الآيات القرآنية الصريحة والواضحة التي تدل على كرامة الإنسان - رجلًا كان أم امرأة - التي منها الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات / الآية: ١٣، وغيرها من الآيات الواضحات إلا أنَّ هناك كثيرًا من الرجال لا يفهمون مكانة المرأة الحقيقية ولا يريدون أن يفهموا؛ لأنَّها تتعارض مع أنانيتهم ورغباتهم، فهو يريد لها زوجة وخادمة ومربية أطفال في آنٍ معاً! إلا أنَّ للمرأة مكانة سامية في الإسلام، وقد أكد الرسول ﷺ ذلك؛ إذ قال: «أمك، أمك، أمك، أمك، ثم أبك»^(١) لكنَّ النزعة الجاهليَّة لدى بعض أفراد المجتمع (الذكوري) - إن صحَّ التعبير - تطغى على ما رسمه الإسلام للمرأة من مكانة سامية فأدت إلى الإجحاف بحق المرأة والإعتداء على حقوقها، التي أقرها الشارع المقدَّس، من قبل بعض الرجال. إنَّ بعض الرجال لينظرون إلى المرأة نظرة إزدواجية، فمن جانبه يرغب أن يراها كما يشتهي، بأن يراها حبيبة وجارية، ومن جانبٍ آخر لا يحق لها أن تحب أو تختار من تريد الزواج به^(٢).

إنَّ هذه النظرة المزدوجة ناتجة من الجذور الجاهلية البدوية لدى بعض الرجال ليحلل لنفسه ما يشتهي ويحرم على المرأة ما ترغب أو ما أقره الله تعالى لها!

وتكون بذلك المرأة هي الضحية نتيجة لعدم فهم الرجل وإدراكه لدور المرأة ومكانتها في تكوين الأسرة الناجحة والسعيدة ومن ثمَّ المجتمع، وقد يكون هو نفسه

(١) أخرجه بهذا المعنى البخاري في صحيحه ح ٥٩٧١.

(٢) علي الوردي، وعاظ السلاطين، منشورات سعيد بن جبير، ط ١ قم - إيران ٢٠٠٥، ص: ١٩.

لم يفهم دوره في الحياة، فيتجاوز على حقوق المرأة نتيجة لجهله والتصاقه بالعادات الجاهلية التي ما زالت تشغل حيزا كبيرا في حياتنا.

وعلى الرغم من كثرت المشاكل الأسرية في وقتنا الراهن، التي كان سببها الطرفين (الرجل والمرأة)، لكننا بصدد نظرة المجتمع المتخلفة للمرأة، ونتيجة لتخلف الرجل واتصافه بصفات البداوة وتشدقه بـ (الرجولة) المزيّفة يحول دون أن تأخذ المرأة مكانتها الطبيعية والحقيقية في بناء المجتمع السليم.

٣. المرأة ضحية أخطاء الآخرين:

من الأمور الغريبة التي لم نجد لها تفسيراً، هي أن يتحمل بريء تبعات تصرف الآخرين، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام / ١٦٤ وفي آيات أخر بالمعنى نفسه، قد يتفق العقلاء والباحثون والعلماء على ضرورة تحمل الفرد نتائج ما يقترف من أخطاء سواء أكان مع أفراد أم جماعات، لكن المستغرب في الأمر أن نجد شخصاً يخطأ ويدفع ثمن خطئه غيره!^(١) وهذا ما نجده في مجتمعنا، إذ يخطأ الرجال وتدفع النساء ثمن هذه الأخطاء نيابة عنهم، سواء أكانت التضحية نفسية أم جسدية أو تضحية بالحياة المستقبلية للمرأة، فلو أراد شاب الزواج بفتاة وطلب منه ذوو الفتاة زوجة لابنهم، فيقوم الشاب بإجبار إخته على الزواج بأخ تلك الفتاة لكي تحصل الموافقة، وهو قائم إلى يومنا هذا. وإذا حصلت جريمة قتل فيطلب ذوو المجني عليه امرأة (فصلية)^(٢) لغرض إنهاء المشكلة! نعم، قضية الفصلية في وقتنا الحالي قد إندرست نتيجة للتطور والوعي الذي حصل في المجتمع في الآونة الأخيرة، إلا أننا نتحدث بصدد كيفية استغلال المرأة. وإذا حصل خلاف بين شخص وأبناء أخيه فسوف يمنعون بناته من

(١) ينظر: التحديات التي تواجه المرأة في العصر الحديث للمؤلف، ص ١٤٤.

(٢) تعني كلمة (فصلية) أن تُساق المرأة من ضمن دية المجني عليه وتدفع لذويه من قبل الجاني، وهذه عادة دأبت عليها العشائر العراقية وهي بطريقها للزوال والإندثار.

الزواج بحجة أنهم أولى بها، فلا يتزوجوها ولا يتركوها بحال سبيلها^(١).

المبحث الثاني: نظرة المجتمع للمرأة:

المطلب الأول: اختلاف نظرة المجتمعات للمرأة:

المرأة في الواقع هي مدرسة تتكون فيها شخصية الفرد، والمجتمع الذي يترك أولاده في أحضان امرأة جاهلة لا يمكنه أن ينتظر منهم خدمة صحيحة ورأيًا سديدًا^(٢) لكن في بعض شرائح مجتمعنا ينظر إلى المرأة على أنها مخلوق من الدرجة الثانية، بل أدنى من ذلك، وهي نظرة جاهلية بالتأكيد توارثها المجتمع عن الآباء والأجداد. فالرجل في مجتمعنا يرى أن الولد الذكر هو امتداد طبيعي له في هذه الدنيا عكس البنت فأتمها تتزوج وتذهب إلى رجل غريب، وقد أشار القران الكريم إلى هذه النظرة للمرأة في أيام الجاهلية التي لا يزال كثير من الرجال يؤمنون بها إلى يومنا هذا فقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ النحل: الآية / ٥٨.

وهناك كثير من الرجال عندما تلد زوجته إناثا فقط فإنه إمّا يطلقها أو يتزوج بامرأة أخرى وكأَنَّها هي السبب في عدم رزقه بمولود ذكر، وقد غفل عن مسبب الأزواق، الباري عز وجل الذي يرزق من يشاء بغير حساب. ولو افترضنا جدلاً بأنّها - أي المرأة - هي السبب في أنه رزق إناثا، فلم هذا التشاؤم؟ فلو كان المجتمع واعيا ومؤمنا بتعاليم السماء لما نظر إلى الأنثى بهذا نظرة وجعلها أقل شأنًا وأهون مخلوقًا! وقد أشار الله تعالى بقوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ الزخرف: الآية / ٤٩.

إنّ نظرة المجتمعات إلى المرأة بهذه الطريقة نتيجة إلى ترسبات قديمة في ذهنية الفرد ذلك لوجود النظرة نفسها في مجتمعات الشعوب وحضاراتها مختلفة، وكيفية التعامل مع

(١) ينظر: التحديات التي تواجه المرأة في العصر الحديث للمؤلف، ص ١٣٨.

(٢) علي الوردي، مهزلة العقل البشري، دار الحوراء، بغداد، ٢٠٠٥ ص: ١١-١٢.

المرأة، ولكثرة إحتكاك الحضارات فيما بينها - ومنها عالمنا الإسلامي - فقد تأثر مجتمعنا ببعض تلك الثقافات حول المرأة، ولذا فنحن حتى بعد ظهور الإسلام وبيان ما للمرأة من كرامة ومكانة سامية، وإلى يومنا هذا نجد أنفسنا بين تعاليم ديننا الحنيف وما ترسب بداخلنا من إعتبرات للمرأة من قبل الآخرين.

لقد تعاملت بعض الشعوب مع المرأة معاملة سيئة إلى درجة أنها عدت كأبي سلعة تباع وتُشترى، وأحيانا يورثها الأبناء عن الآباء! ففي عصر ما قبل الإسلام وعبر التاريخ كانت تباع وتُشترى كالحوانات والأمتعة وتُكره على الزواج كما تُكره على البغاء، وكانت تورث ولا ترث، وكانت تُملك ولا تملك، وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها ولا يحق لها التصرف بما تملك إلا بأذن، فيما يحق للزوج التصرف بمالها من دون إذنها، وفي بعض البلاد اختلفوا كونها إنسانا له روح كالرجل أم لا^(١).

وقد امتهنت بعض الحضارات المرأة كثيرا، وإن تمتعت في حضارة وادي النيل بمكانة رفيعة بين حضارات العالم القديم، لكنها بشكل عام قد عانت كثيرا، ففي الحضارة الصينية كانت المرأة أدنى منزلة من الرجل وفي عهد كونفوشيوس كاد يكون سلطان الأب استبداديا. وفي الحضارة الهندية نجد المرأة في الشرائع القديمة مهانة، وقضت تلك الشرائع بأن الوباء والجحيم والسم والأفاعي منها^(٢) ولم يكن لها حقا في الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو أولادها، فإذا مات هؤلاء جميعا وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها، وهي قاصرة طيلة حياتها^(٣).

ويصل الأمر إلى حدٍّ من الغرابة، إذ إنّها تُخدم زوجها كما لو كان إلها! ولا تأتي شيئا يؤلمه حتى وإن كان زوجها خالٍ من الفضائل، وإنها تخاطبه في خضوع تام، فتارة تقول

(١) حنان قرقوشي، من قضايا المرأة المسلمة، دار المعرفة، بيروت - لبنان ص: ١٢.

(٢) ديب علي حسن، المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات، دمشق - سوريا، ص: ٢٠.

(٣) عبد الودود شليبي، قضايا اسلامية معاصرة، ط٢، القاهرة - مصر، ص: ٥٣.

له: يا مولاي وأخرى يا إلهي! وتمشي خلفه ولا تأكل معه، بل تأكل مما يتبقى منه^(١).
أما في الحضارة اليونانية فينظر لوجودها فقط لولادة الأطفال، على الرغم من ذبوع شهرة هذه الحضارة ومفكرها خاصة في مجال الفلسفة، إلا أن أرسطو الذي يعد من أعظم فلاسفتها، ذكر أن المرأة لم تُزوّد بأيّ إستعداد عقلي يعتد به يمكنها الإسهام بالحضارة اليونانية، لذلك لم يتردد من وصفها مع عامة المحجورين من العبيد والأطفال الذين إتفقت كل القوانين على عدم عدّهم أهلاً للتصرف.

وكان القانون الروماني لا يسمح للبت أن تتزوج إلا بأذن أبيها أو الوصي عليها وإن سمح لها بالزواج فتتزوج زواجا Cum maun أي أسلمها بنفسه إلى يد زوجها أو وضعها تحت سلطانه، وكان ينظر لها في حياتها الزوجية على أن وجودها فقط من أجل ولادة الأطفال.

وفي إنجلترا حرم هنري الثامن عشر على المرأة الإنجليزية قراءة الكتاب المقدس، وظلت النساء حتى سنة ١٨٥٠م غير معدودات من المواطنين، وحتى عام ١٨٨٢م ليس لهن حقوق شخصية وإنما كانت شخصية المرأة ذائبة في أبيها وزوجها.

المطلب الثاني:

بعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م التي نادى بحق الحرية والمساواة، وبقيت المرأة على حالها فلم تشملها الثورة برعايتها، فظلت ناقصة الأهلية وجعلتها بموجب المادة ٢١٧ من القانون الفرنسي من جملة القاصرين وهم؛ الصبي والمجنون، والمرأة، واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٨م إذ عدّلت نصوص القانون لمصلحة المرأة، ومن القوانين التي لا تزال محففة بحق المرأة في أوروبا تبعيتها لزوجها في إسم عائلته عند الزواج^(٢).

أمّا في المجتمع العربي الجاهلي فقد عانت المرأة في العصر الجاهلي ما عانته أخواتها

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة (حضارة اليونان)، دار الجبل، بيروت - لبنان، ج٣، ص: ٧٨.

(٢) البهي الخولي، الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، دار القران الكرم، (١٩٨٠) ص: ١٣.

في الحضارات الأخرى في العالم القديم، فقد كانت مهضومة الحقوق، فهي محرومة من الإرث واختيار الزوج إلا أن تكون ابنة لرئيس قبيلة فكانت تدعو الخطّاب فتسألهم عن مسائل وتختار أحدهم طبقاً لجوابه. وكان تعدد الزوجات لا حدّ له إذ كان للرجل أن يتزوج ما تسمح له به وسائله المعيشية من دون تحديد عدد الزوجات^(٣). كذلك تفتت في المجتمع الجاهلي ظاهرة وأد البنات عند بعض القبائل خوفاً من السبي والعار والاعتصاب، وذكر أن قيس بن عاصم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله بعدما أسلم فقال له: يا رسول الله، إنّي وأدت ثمان بنات كنّ في الجاهلية، قال صلى الله عليه وآله: «فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة». قال: يا رسول الله، إنّي صاحب إبل، قال صلى الله عليه وآله: (فاهد عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت)^(٤).

المبحث الثالث: إشكاليات حقوق المرأة:

المطلب الأول: مجموعة من الإشكاليات التي يرددها الآخرون:

١. إشكالية الميراث:

من الأمور التي يشكل عليها بعض أعداء الإسلام هي قضية الميراث في الإسلام، ويجعلونها ذريعة للإيحاء للمؤمنين وخصوصاً المرأة لغرض زعزعة الإيمان وإظهار أن الإسلام يغمط حق المرأة في الميراث، إذ يقول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ...﴾ النساء/ الآية ١١ وقوله تبارك وتعالى: ﴿...وَأِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ...﴾ النساء/ الآية ١٧٦.

ولإيضاح هذا المطلب، فقد جاء في تفسير الميزان: «وأما قوله: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ

(٣) فنتت مسيكة بر، حقوق المرأة بين الشرع الإسلامي والشرعة العالمية لحقوق الإنسان، ط١، بيروت - لبنان، ص: ١٩.

(٤) محمد كريم راجح، مختصر تفسير الطبري، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت - لبنان (١٩٨٦)، ج٥، ص: ٣٣٢.

الأُنثيين ﴿ ففي انتخاب هذا التعبير إشعار بإبطال ما كانت عليه الجاهلية من منع توريث النساء فكأنه جعل إرث الأنثى مقرراً معروفاً وأخبر بأن للذكر مثله مرتين أو جعله هو الأصل في التشريع وجعل إرث الذكر محمولاً عليه يعرف بالإضافة إليه، ولو لا ذلك لقال: للأنثى نصف حظ الذكر وإذن لا يفيد هذا المعنى ولا يلتئم السياق معه» (١) من ناحية التركيب اللفظي «جعل الأنثى هي الملاك والأصل في تعيين سهم الرجل، أي أن سهمها من الإرث هو الأصل، وإرث الذكر هو الفرع الذي يعرف بالقياس على نصيب الأنثى من الإرث إذ يقول سبحانه: ﴿لِلذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ وهذا نوع التأكيد على توريث النساء ومكافحة للعادة الجاهلية المعتدية القاضية بحرمانهن من الإرث والميراث» (٢).

٢. إشكالية القوامة:

يشكل قوم على قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ...﴾ النساء / الآية ٣٤ ويعتقدون أنها أسراً للمرأة وعبودية لها! وهذا القول مخالف للمنطق وللواقع القرآني، فقد نظر الخالق الحكيم سبحانه إلى طبيعة التكوين الفسيولوجي لكل من الرجل والمرأة، وطبيعة المرأة عاطفية ولطيفة ورقيقة، إذ يقول صاحب الميزان في تفسير هذه الآية المباركة: «القيّم هو الذي يقوم بأمر غيره، والقوام والقيام مبالغة منه. والمراد بما فضل الله بعضهم على بعض هو ما يفضل ويزيد فيه الرجال بحسب الطبع على النساء، وهو زيادة قوة التعقل فيهم، وما يتفرع عليه من شدة البأس والقوة والطاقة على الشدائد من الأعمال ونحوها فإن حياة النساء حياة إحساسية عاطفية مبنية على الرقة واللطافة، والمراد بما أنفقوا من أموالهم ما أنفقوه في مهورهن ونفقاتهن» (٣) ويقال: رجل قيم، وقوام، وقيام. ومعناه: إنهم يقومون بأمر المرأة

(١) تفسير الميزان، للعلامة محمد حسين الطباطبائي، ج ٤، ص ٤٢.

(٢) تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ٣، ص ١٢٤.

(٣) تفسير الميزان، للعلامة الطباطبائي، ج ٤، ص ٣٤٩.

بالطاعة لله ولهم^(١). وقيل: معناه بالتأديب والتدبير^(٢) أي بمعنى أن الرجل مسؤول عن تدبير عيش المرأة وسكنها وتقديم المهر لها، وحمايتها والحفاظ عليها.

٣. إشكالية الضرب:

وردت في القرآن الكريم مفردة (واضربوهن) في سياق الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿...وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ...﴾ النساء/ الآية ٣٤، وتعالى صراخ المتريبين من أعداء الإسلام بشعارات حقوق الإنسان وحقوق المرأة! والمتأمل في سياق الآية سيجد فيها الموعظة والهجر ف(الضرب) هنا ليس المراد به المدلول الفعلي للضرب باليد أو العصا؛ إذ ذهب بعض المفسرين إلى أنه المباعدة أو الابتعاد خارج بيت الزوجية، كما في قوله تعالى: ﴿...فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا...﴾ الحديد/ الآية ١٣ بمعنى يفرق السور بينهم وكذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿...وَأَخْرُوجَنَّ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾ المزمل/ الآية ٢٠ أي بمعنى البعد، وعلق الطبري في تفسير هذه الآية المباركة بقوله: «أي في سفر، في تجارة قد سافروا لطلب المعاش»^(٣)، ولما كانت معاني ألفاظ القرآن تُستخلص من القرآن نفسه، فقد تتبعنا معاني كلمة (ضرب) في المصحف وفي صحيح لغة العرب، نجد أنها تعني في غالبها المفارقة والمباعدة والإنفصال والتجاهل وليس بالضرورة الضرب باليد أو العصا ونحوها. المطلوب الثاني: عدم إحترام المرأة لذاتها:

من الأسباب المهمة لتجاهل حقوق المرأة هو تجاهلها لذاتها وعدم احترامها لمكانتها؛ إذ إنَّ هناك نوعاً من النساء لا يرغبن بإحترام أنفسهن ويجرين وراء شهواتهن، ومن ثم يُساء لهن وإلى كرامتهن، فقد تتصرف المرأة بعض تصرفات الجاهلية من

(١) التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ج ٣، ص ١٨٨.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) تفسير محمد بن جرير الطبري، ج ٢٣، ص ٦٩٧.

انحلال خلقي وعدم العفة والارتداء في الشهوات وعدم الإلتزام بالتعاليم الإسلامية، كل ذلك يجعلها مبتذلة بنظر الرجل لا تستحق الاحترام بل يصل الأمر إلى أنه يراها لا تستحق الحياة، كرد فعل لهذه التصرفات، لذلك يقوم بالتضييق عليها ومصادرة حقوقها تجاه تصرفاتها غير اللائقة بها بصفتها مخلوقة خلقها الله تعالى وكرمها كما كرمه؛ بل أكثر من الرجل في بعض الأحيان. فلو أن المرأة التزمت بالحدود الشرعية وشعرت بإنسانيتها وحفظت عفتها وشرفها، فإنها بذلك لم تعط الرجل الحجّة لغضبها على ما تكره، فمن غير المنطقي أن نطالب الرجل باحترام المرأة وهي غير محترمة لذاتها، وليس من الإنصاف أن نضع اللوم على الرجل وهي غارقة بملذاتها، سارحة في دنيا الأوهام ليس لديها هدف تروم الوصول إليه، شغلها الشاغل التبرج والانحلال، والجري لاهثة وراء التقليد الأعمى لنساء المجتمعات الأخر بحجة التطور والحرية والمساواة!^(١)

٤ . الاستنتاجات:

لقد هدف البحث إلى إثبات أن النظرة الإسلامية السليمة للمرأة قد تجاوزت كل نظرة أخرى عبر التاريخ القديم والحديث، وقد اختلفت نظرة الإسلام للمرأة عن كثيرين ممن تعاملوا مع المرأة بأساليب غير إنسانية وفيها سلب كثير من الحقوق التي فرضها الله تعالى لها. وعلى المرأة التي تتخذ الإسلام منهجا لها، وعليها أن تحصن نفسها وتحترم كيانها، وتحافظ على منزلتها التي وضعها الله تعالى لها؛ لسمو مكانتها في الإسلام، وأراد لها أن تكون محترمة لا مبتذلة بحجة التطور والتحضّر الكاذب الذي يذهب بحيائها ويمتهن كرامتها، ويعزز من حضورها ويؤكد على دورها المهم في بناء الأسرة والمجتمع الصالح. ونستطيع القول: إن المرأة تعاني كثيراً من المشاكل نتيجة جهل المجتمع وعدم تطبيقه التعاليم الإسلامية تارة، وجهل المرأة منزلتها الحقيقية ومكانتها الرفيعة فتسيء لنفسها عبر التصرفات الخاطئة تارة أخرى.

(١) ينظر: التحديات التي تواجه المرأة في العصر الحديث، للمؤلف، ص ٦١.

وعلى المجتمع أن يتحمل مسؤوليته لما يحصل للمرأة من ظلم لها وجور عليها، مرة من طريق استغلال المرأة استغلالاً بشعاً في تحقيق متطلبات مآرب بعض الأفراد، وأخرى بلحاظ التساهل في التعاليم الشرعية وإتباع الهوى من دون رادع أو وازع ديني أو أخلاقي، وأخرى بواسطة القيود الجاهلية التي تقيد المرأة وتحد من طاقاتها في بناء الأسرة السليمة وتكوين المجتمع المتطور الواعي، فمن دون إمراة واعية وناضجة لا تبنى الشعوب ولا تتطور وسيكون مصيرها الإنهيار والإفول، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والحمد لله رب العالمين.

٥. التوصيات:

- * الاهتمام بالمرأة؛ لأنها عماد الأسرة ومربية الأجيال عبر قوانين تضمن لها حق التعليم والخدمات الصحية والعيش الكريم.
- * الوقوف بحزم ضد تعنيف المرأة سواء أكان فعلياً أم رمزياً (لغويًا) من طريق الإساءة لها بالكلام.
- * تحسين الحالة المعيشية للأسر ورفع مستوى دخل الفرد لتعيش المرأة مع أفراد عائلتها بكرامة من دون عوز أو حاجة أو فاقة.
- * أن تأخذ المؤسسات الدينية والتعليمية والمجتمعية والإعلامية دورها في توعية المجتمع في التعامل السليم والصحيح مع المرأة لتأخذ دورها في بناء المجتمع.
- * الاهتمام بالدور الرقابي للأسرة عبر توعية الآباء والأمهات في كيفية التعامل مع البنت من أجل خلق جيل واعٍ ومبدع يمكنه الإسهام في مواكبة التطورات الهائلة في الحياة.

المراجع:

- القرآن الكريم

[١] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، كربلاء - العراق.

[٢] الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة / البهي الخولي، الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، دار القرآن الكريم، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

[٣] بحث دور الإعلام في تماسك المجتمع / مالك العظماوي، منظمة عمار الدولية - ذي قار.

[٤] وعاظ السلاطين / علي الوردي، ط ١، منشورات سعيد بن جبير، قم - إيران

[٥] حقوق المرأة بين الشرع الإسلامي والشرعة العالمية لحقوق الانسان / د. فتنت مسيكة بر، ط ١، مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان.

[٦] مهزلة العقل البشري / د. علي الوردي، ط ١، دار الحوار للطباعة والنشر، بغداد - العراق، ٢٠٠٤م.

[٧] من قضايا المرأة المسلمة / د. حنان قرقوتي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

[٨] المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات / ديب علي حسن، ط الاوائل للنشر، دمشق - سوريا.

[٩] المرأة بين جاهليتين / د. شبر فقيه، ط ١، دار المتقين، بيروت - لبنان،

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

[١٠] المرأة ماذا بعد السقوط / بدرية العزاز، مكتبة المنار الإسلامية، ط ٢،

[١١] مسألة الحجاب / مرتضى مطهري، مكتبة أبي تراب، ط ١، بغداد - العراق، ١٤٢٦ هـ.

[١٢] مستدرك سفينة النجاة/ الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ١٤١٩ هـ.

[١٣] مختصر تفسير الطبري / محمد كريم راجح، ط ٢، ج ٥، دار الكتاب العربي، ١٩٨٦، بيروت - لبنان.

[١٤] صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير - لبنان - ٢٠١٨ م.

[١٥] قصة الحضارة (حياة اليونان) / ول ديوارنت، ترجمة محمد بدران، ج ٢، م ٢، دار الجيل، بيروت - لبنان.

[١٦] قضايا إسلامية معاصرة / د. عبد الودود شلبي، ط ٢، مركز الراية، القاهرة - مصر، ٢٠٠٠ م.

[١٧] التبيان في تفسير القرآن / الشيخ محمد بن حسن الطوسي، دار العلوم، بيروت - لبنان.

[١٨] التحديات التي تواجه المرأة في العصر الحديث / مالك العظماوي، الرافد للمطبوعات - بغداد ٢٠١٦.

[١٩] تفسير الطبري / أبو جعفر الطبري، مؤسسة الرسالة، ٢٠١٢، بيروت - لبنان.

المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني
وتطبيقاتها التربوية

م. د مروان كاظم وجر الساعدي
تخصص أصول التربية

الملخص:

تعد المسؤولية الاجتماعية إحدى المقومات الأساسية في بناء المجتمع، فهي وسيلة للتقدم الفردي والجماعي، ذلك من طريق تمكين الأفراد والجماعات من التفاعل مع محيطهم الاجتماعي بطريقة فعالة وإيجابية، والإسهام في التنمية التي تحدم المجتمع والبيئة. ومن هذا المنطلق فقد هدف البحث إلى التعرف على المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني وتطبيقاتها التربوية. واعتمد البحث المنهج الوصفي، بوصفه أكثر ملاءمة لموضوع البحث، وقد توصل البحث إلى جملة من الدلائل القرآنية التي تؤكد على أهمية المسؤولية الاجتماعية، كذلك التوصل إلى مجموعة من التطبيقات التربوية للمسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني، التي تتعلق في محاور العملية التعليمية التربوية، ومنها: (الإدارة المدرسية - المتعلم - المعلم - المناهج الدراسية - والأنشطة المدرسية) وقدم البحث مجموعة من التوصيات.

الكلمات المفتاحية: المسؤولية الاجتماعية، المنظور القرآني، التطبيقات التربوية

Summary in Arabic:

Social responsibility is considered an essential component in building society. It enhances the progress of both singular and plural Human beings by enabling people to interact with their social environment effectively and positively and contributing to the development aspect that serves society and the environment. This research aims to identify social responsibility from the Quranic perspective and its educational applications.

The research adopted the descriptive method because it's more appropriate to the research topic. The study found several Quranic evidence stressing the importance of social responsibility, as well as a set of educational applications of social responsibility according to the Quranic perspective, which relates to the areas of the educational process, including (School Administration- Learner- Teacher- Curriculum-School Activities) and the Research has provided a set of recommendations.

المبحث الأول - التعريف بالمبحث:

مقدمة:

يشكل الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية الأساس الاجتماعي المتين لعمليات التطور والتنمية الاجتماعية في المجتمعات الإنسانية بسبب ارتباطه بما يقدمه الأفراد لمجتمعهم من أعمال ومبادرات شخصية ولا يتقاضون عليها أي تعويض مادي بالضرورة، وهو أمر لا يتحقق في الواقع الاجتماعي من دون أن يكون هناك ارتفاع في مستوى الشعور بالمسؤولية الاجتماعية الملقاة على عاتق الأفراد، بوصفهم أفراداً تارة، وبوصفهم جماعات في وقت واحد.

وعند النظر إلى الدلائل والآيات القرآنية نجد أن التشريع الإسلامي أعطى أولوية للمسؤولية الاجتماعية وتطبيقها، فمن الآيات القرآنية قولي تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال الله تعالى ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفافات: ٢٤]، وقال تعالى ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقال أيضاً ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقال الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله تعالى ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، وقال الله تعالى ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالجَّارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، وقال تعالى ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، وقال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وهناك نصوص ودلائل قرآنية كثيرة

تدل على أهمية التربية على المسؤولية الاجتماعية.

والمدرسة من أهم تلك المؤسسات التي تقوم بدور أساسي في عملية التربية، وغرس القيم في نفوس الطلاب على اختلاف مستوياتهم التعليمية، ولعل من أهم القيم التي يلزم غرسها في نفوس الطلبة قيم المسؤولية الاجتماعية لما لها من أثر وأهمية كبيرة في تكوين الشخصية الإنسانية وتشكيلها، ولكي تقوم المدرسة بمهامها لا بد لها من أن تجعل من المبادئ والقيم أسلوبًا لها، وذلك من طريق تعويد الطلاب على تحمل المسؤوليات والعمل بروح الفريق، وتهيئة المناخ الاجتماعي الذي تسوده روح المحبة والإخاء والتعاون والمساواة بين الطلاب (المطيري، ٢٠١٨، ٢٩).

مشكلة البحث:

يُعدُّ ضعف المسؤولية الاجتماعية مشكلة مزعجة للمجتمع؛ إذ يمثل هذا الضعف في أشكال عدّة منها العصيان والمخالفة، وممارسة بعض السلوكيات التي لا يرتضيها المجتمع، كذلك من دون قيام الفرد بمسؤولياته الاجتماعية تصبح حياته بلا قيمة أو هدف؛ إذ ينعدم التعاون، وتغلب الأنانية والفردية، فالإحساس بالمسؤولية الاجتماعية يصقله الشعور بالواجب، ويؤدي إلى الالتزام بالمعايير والقواعد الإنسانية التي تقود إلى وحدة المجتمع وتآلف أفرادها (عبد الرسول، ٢٠١٩، ١٦).

وفي المقابل أن للتعليم أثرًا في تنمية المسؤولية الاجتماعية لكل فرد من أفراد المجتمع وإدخالها في ثقافته وتحويلها إلى واقع، له مردود كبير في تعزيز فهم حقوقه واحترامها والحفاظ عليها بالتفاعل والمشاركة في تنمية وطنه وبناءه وهذا ما أيده التجربة، وأنّ تعليم المسؤولية المجتمعية هو مشروع لتمكين الناس من الإلمام بالمعارف الأساسية اللازمة لتحررهم من جميع صور مظاهر التخلف الاجتماعي. وكذا هي تشمل مجموعة القيم الذهنية والسلوكية، والتراث الثقافي والتقاليد والأعراف التي

تنسجم مع مبادئ المجتمع ووسائل التنشئة التي تنقل هذه الثقافة في البيت والمدرسة والجامعة والهيئات، ووسائل الإعلام، ونشر تلك الثقافة هي عملية متواصلة وشاملة تعمُّ جميع صور الحياة، ويجب أن تنفذ إلى جميع أوجه الممارسات الشخصية والمهنية والثقافية والاجتماعية والسياسية (العلي، ٢٠١٨، ٤٧).

ومما لا جدال فيه أنَّ تعزيز المسؤولية الاجتماعية في العراق لا يمكن أن يقوم به جهد حكومي لوحده، بل يستلزم جهداً من الأفراد والجماعات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، ولاسيما في ظل التحديات المجتمعية التي تعصف في البلاد، ويحتاج إلى تظافر جهود جميع المؤسسات التربوية والتعليمية ومؤسسات المجتمع المدني والعشائر ورجال الدين ووسائل الإعلام، وجميع مؤسسات الضبط الاجتماعي التي تلعب دوراً كبيراً في تشكيل الوعي والرأي العام. ومن ثم يهدف البحث إلى طرح هذه الإشكالية في التساؤل الرئيس الآتي: ما المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني وتطبيقاتها التربوية؟

ويتفرع من هذا التساؤل تساؤلات بحثية فرعية عدّة، تتمثل بالآتي:

١. ما الإطار الفكري للمسؤولية الاجتماعية؟
٢. ما المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني؟
٣. ما التطبيقات التربوية للمسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث مما يأتي:

أهمية الموضوع الذي يدرسه البحث، وهو موضوع المسؤولية الاجتماعية إذ تعدُّ المسؤولية الاجتماعية من الموضوعات المهمة في أيِّ مجتمع إنساني لارتباطها بمهمة

تحديد سلوك الأفراد داخل المجتمع وضبطه.

١. عرض البحث المسؤولية الاجتماعية من منظور قرآني، بوصفها جانباً مهماً في الشريعة الإسلامية وحياة المجتمع.

٢. تنبع أهمية البحث من تقديم إطار مفاهيمي عن المسؤولية الاجتماعية، يمكن أن يُفيد منها المهتمون والباحثون، من توظيف في بحوث ودراسات أخرى مماثلة.

٣. تعظيم الجهد التعليمي التربوي من طريق ما قد يتوصل إليه البحث من نتائج يمكن أن تفيدي في تطوع وظائف المدرسة وأنشطتها وبرامجها في خدمة المدرسة والبيئة المجتمعية.

٤. أنّ هذا البحث بما يتضمنه من أفكار ونتائج يمكن أن يفتح مجالاً لكثير من الموضوعات المتعلقة بذات الموضوع أو غيره.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق ما يأتي:

١. التعرف على الإطار الفكري للمسؤولية الاجتماعية.
٢. التعرف على المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني.
٣. التعرف على التطبيقات التربوية للمسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني؟

منهج البحث:

وظّف البحث المنهج الوصفي بوصفه أكثر ملاءمة لموضوع البحث والمفاهيم النظرية التي تضمنها البحث، وقد ظهر ذلك في التنظير لمفهوم المسؤولية الاجتماعية، وأهميتها، وأهدافها، مستوياتها، عناصرها، معوقاتهما، مع التعرف على المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني، كذلك التعرف إلى التطبيقات التربوية للمسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني.

حدود البحث:

يقتصر البحث على بعض الآيات القرآنية، بحسب ما جاءت في كتاب الله العزيز في مجال المسؤولية الاجتماعية.

تحديد المصطلحات:

أولاً: المسؤولية الاجتماعية:

يعرف (عبد الرسول، ٢٠١٩) المسؤولية الاجتماعية بأنها: «حمل الأعضاء داخل الجماعة المهام الموكلة إليهم من أعمال وخدمات وأنشطة مهنية تسهم في تحقيق الهدف وتنمي المهارة في تحمل الأعباء وتؤكد قيام الفرد بواجبه تجاه الجماعة من طريق إشراف وتوجيه ومتابعة الأخصائي الاجتماعي» (عبد الرسول، ٢٠١٩، ١٨).

ويعرف (المطيري، ٢٠١٨) المسؤولية الاجتماعية بأنها: «مسؤولية الفرد عن نفسه ومسؤوليته اتجاه أسرته وأصدقائه وتجاه دينه ووطنه من طريق فهمه لدوره في تحقيق أهدافه واهتمامه بالآخرين من طريق علاقاته الإيجابية ومشاركته في حل مشكلات المجتمع وتحقيق الأهداف العامة» (المطيري، ٢٠١٨، ٣٢).

التعريف الاجرائي للمسؤولية الاجتماعية بأنها: درجة من الوعي والأحاساس والنضج الاجتماعي من لدن أفراد المجتمع المدرسي بصورة عمل وتفاعل اتجاه بعضهم، مما ينعكس ذلك على شعور كل واحد بمكانته الاجتماعية والثقة بالنفس والعمل على زيادة تقبل المسؤولية الاجتماعية، واثاحة الفرصة لممارستها من طريق القيام بالمبادرات والأنشطة التي تسهم في تعزيز ونشر ثقافة المسؤولية الاجتماعية في المجتمع المحلي والوطني.

ثانياً: التطبيقات التربوية:

يعرف (القيسي، ٢٠٢١) التطبيقات التربوية: «هي الممارسة العملية في الميدان التربوي، بالإفادة من ذات النص، أو الموقف، أو الاستنباط منه، بهدف إنماء شخصية الفرد بصورة متوازنة ومتكاملة جسدياً واجتماعياً وجمالياً وروحياً وأخلاقياً وعقلياً ووجدانياً» (القيسي، ٢٠٢١، ٤٤٤).

ويعرف (جابر، ٢٠١٧) التطبيقات التربوية: «هي التي تشمل على أنشطة تربوية متنوعة، تقوم بها محاور العملية التربوية، التي تلبى حاجات المتعلمين، وتنمي هواياتهم وتوجهها التوجيه الصحيح الذي يرتقي بهم نحو الصلاح» (جابر، ٢٠١٧، ١٥٨).

التعريف الاجرائي للتطبيقات التربوية: «أنها الدلالات التربوية المستتجة من كتاب الله العزيز، وتطبيقها في العملية التربوية ومحاورها، بشأن تنمية الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية لدى أفراد المجتمع المدرسي».

المبحث الثاني: الإطار الفكري للمسؤولية الاجتماعية:

أولاً: مفهوم المسؤولية الاجتماعية:

يشكل مفهوم المسؤولية الاجتماعية، أحد الموضوعات التي تفاعلت بشأنها مختلف الاتجاهات النظرية، فقد رأى بعض المنظرين أن المسؤولية ذات طبيعة فردية بالأساس، وأنه انطلاقاً من المسؤولية الفردية تتشكل المسؤولية الاجتماعية، في حين أدرك آخرون المسؤولية الاجتماعية بوصفها ذات جذور مجتمعية بالأساس، فالمجتمع هو المسؤول عن تشكيل المسؤوليات الفردية والاجتماعية التي يمكن أن تؤدي أدواراً أو وظائف تؤكد استمراره وتعينها على الأدوار، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، اتساع المفهوم بين كثير من الحقول والمجالات المعرفية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية

والأخلاقية والإعلامية، ومن ناحية ثالثة إمكانية أن تلتقي على ساحة المفهوم مختلف التكوينات الاجتماعية، فقد تكون المسؤولية فردية، أو تكون اجتماعية تقوم بها مختلف جماعات المجتمع ومؤسساته، كالمسؤولية الاجتماعية لرجال الأعمال أو الشركات، والمسؤولية الاجتماعية، والمسؤولية العالمية عن بعض الأحداث أو الظروف التي تتطلب تكاتف جهود العالم (عبد الشافي، ٢٠١٠، ٣٤). من هنا تعددت مفاهيم المسؤولية الاجتماعية؛ إذ درس الباحثون المفهوم من زوايا عدة بحسب الآتي:

تعرف المسؤولية الاجتماعية بأنها: مسؤولية تشاركية بالأساس تتكامل فيها جهود أفراد المجتمع ومؤسساته المختلفة، الأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام ومنظمات المجتمع المدني والقطاع الخاص، مع الجهود الدولية في مختلف المجالات، ويطلق على تلك المؤسسات في بعض الأحيان مفهوم القوى الفاعلة في المجتمع، وذلك لطبيعة الدور الإيجابي الذي تقوم به في المجتمع (العلي، ٢٠٢٠، ٨).

أيضاً تعرف المسؤولية الاجتماعية بأنها تتضمن شعوراً عميقاً بالالتزامات تجاه الجميع؛ إذ تشمل هذه الالتزامات: الالتزام باتباع السياسات والسعي نحو تحقيق الأهداف بما يتفق مع أهداف المجتمع وعاداته وتقاليده ونظمه وقيمه وقوانينه، والالتزام بتهيئة المعلومات لاتخاذ القرارات من أجل تحقيق تلك الأهداف (الشوربجي، ٢٠٢٠، ١٥).

وتعرّف المسؤولية الاجتماعية: بأنها الالتزام الدائم من جانب المؤسسات التعليمية بالقيام بكافة المهام والوظائف التعليمية بطرية أخلاقية تُسهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحسين نوعية حياة القوى العاملة وأسرههم بالإضافة للمجتمع المحلي والمجتمع كافة (عبيدات، ٢٠٢١، ٦٠١).

ثانيًا: أهمية المسؤولية الاجتماعية:

إنَّ تنمية المسؤولية الاجتماعية ضرورة إنسانية ومطلب أساسي لإعداد المواطن الصالح، وهو اللبنة الأولى لبناء مجتمع قادر على مسايرة التقدم والتغيير في كل جوانب الحياة، فهي حاجة اجتماعية؛ لأنَّ المجتمع بمؤسساته وأجهزته في حاجة إلى الفرد المسؤول اجتماعيا، وكذا هي حاجة فردية، فكثير من الأفراد لا تفتح شخصياتهم، ولا تتسامى إلا بارتباطهم بالمجتمع ارتباط عاطفة، وحرص ووعي وفهم ومشاركة، ولن تتوافر للفرد صحته النفسية، وتكامله إلا بصحة انتمائه، وتوحده مع مجتمعه (القحطاني والعايد، ٢٠٢٠، ٥٢٣).

من هنا تلعب المسؤولية الاجتماعية دورًا مهمًا في استقرار الحياة للأفراد والجماعات؛ إذ تعمل على صياغة نظم المجتمع وتحفظ قوانينه وحدوده من الاعتداء، ويقوم كل فرد بواجبه ومسؤوليته نحو نفسه ومجتمعه، ويعمل على ما هو عليه في سبيل النهوض بأماناته الملقاة على عاتقه؛ إذ إنَّ الفرد بالنسبة للمجتمع كالخلية بالنسبة للبدن لا يكون سليمًا إلا إذا اجتمعت خلاياه، وقامت بأداء وظائفها المنوطة بها، فكذلك المجتمع لا يكون سليمًا إلا إذا سلم جميع أفراده وقاموا بأداء مسؤولياتهم وواجباتهم (عبد الرسول، ٢٠١٩، ٢٤).

وتتضح أهمية المسؤولية الاجتماعية في مشاركة الأفراد في العمل الفعلي، لإخراج فكرة تتفق عليها الجماعة إلى عالم الواقع، وتُسهم في تقبل الفرد للأدوار الاجتماعية التي يقوم بها، وما يرتبط بها من تبعات وتوقعات؛ إذ إنَّ المسؤولية المجتمعية ليست عملاً عشوائيًا، ولكن عمل له أهداف تشتمل على الاهتمام المتبادل بين الفرد والجماعة، والمشاركة والحب بين كل من الفرد والمجتمع (القحطاني والعايد، ٢٠٢٠، ٥٢٣).

وتتضح أهمية المسؤولية الاجتماعية بالنقاط الآتية، التي أشار إليها (عبد الرسول، ٢٠١٩):

١. تفيد في دراسة التوازن بين المتحولات والتغيرات السريعة التي تجري في المجتمعات، وتغيّر شخصية الفرد في المجتمع، بحيث يحسُّ الفرد أنّ هذه التغيرات منه، وأنه مسؤول عنها.

٢. تجعل الفرد متقبلاً وواعياً للتغيرات التي تحدث من أجل التنمية والتقدم في النظم والمؤسسات، والجهل بالمسؤولية والنقص فيها لأشدّ خطراً على هذه النظم والمؤسسات من الجهل بإدارتها أو تشغيلها، لأنّ الجهل الأول يدمر قبل أن يُعطل، أمّا الثاني يعطلّ بالقدر الذي يمكن إصلاحه أو تعويضه.

٣. تفيد القائمين على شؤون التربية وأجهزتها ومؤسساتها والمشتغلين بها بطريقة مباشرة وغير مباشرة في تنمية الإحساس بالمسؤولية.

٤. تُعدُّ ضرورة لصلاح المجتمع كافة، فالمجتمع بحاجة ماسة إلى الفرد المسؤول اجتماعياً ومهنياً وقانونياً، والمسؤولية الاجتماعية تجعل الفرد عنصراً فعالاً في المجتمع بعيداً عن كلّ الجوانب السلبية واللامبالة، ومهتماً بمشكلات غيره من الناس اهتماماً يحفّزه للمشاركة الفعلية في حلّها (عبد الرسول، ٢٠١٩، ٢٥).

ثالثاً - أهداف المسؤولية الاجتماعية:

تهدف المسؤولية الاجتماعية إلى صلاح الشؤون الاجتماعية لأفراد المجتمع، فكلُّ عضو من أعضاء المجتمع مسؤول عن إصلاح ذلك المجتمع، انطلاقاً من «كلُّكم راع وكلُّكم مسؤول عن رعيته» ضمان كيان المجتمع وضمنان بقاءه واستمراريته ومحاربة كل ما يؤدي إلى إبادته أو هلاكه، وتأمين عيش أفرادها وإشباع حاجاتهم والحماية لهم (كوناتي، ٢٠١٠، ٩٣٠).

وتهدف المسؤولية الاجتماعية إلى تحقيق أهداف عدّة، ومنها الآتي، (المطيري، ٢٠١٨).

١. العمل على تعزيز الأفراد في مجتمعهم وانتمائهم ومشاركتهم، فالأفراد الذين يشاركون في برامج المسؤولية الاجتماعية يدركون أنّهم يتمتعون لهذا المجتمع، ويتحملون قدرًا من المسؤولية تجاه مجتمعهم.

٢. تعمل على تنمية المهارات الشخصية العملية والعلمية لدى الأفراد، فالمشاركة في الأعمال الاجتماعية والتطوعية يؤدي إلى إكساب الأفراد العديد من الخبرات التي تنمي مهاراتهم الشخصية والسلوكية و جعلهم أكثر قدرة على إفادة مجتمعهم.

٣. تهيئة فرص للشباب بأداء الخدمات بأنفسهم وحل المشكلات بجهدهم الشخصي، وهذا يعد استثمارًا هامًا لطاقت الشباب للنهوض بالمجتمع.

٤. تهيئة فرص للأفراد للمشاركة في تحديد الأولويات التي يحتاج إليها المجتمع والمشاركة في اتخاذ القرارات.

٥. تعليم الأفراد على أهمية دورهم الاجتماعي في مجتمعهم.

٦. تهيئة الفرص لدى الأفراد لاكتشاف القدرات الخاصة والمهارات الكامنة بحيث يمكن الإفادة منها وتوجيهها وتوظيفها في مجالها.

٧. بناء المجتمع على وفق مسؤولية الجميع.

٨. تسهم المسؤولية الاجتماعية على تكيف الأفراد في الحياة الاجتماعية.

٩. ارتقاء أفراد الأسرة وتقدّمهم وما يصب في تقدّم المجتمع.

١٠. تحقيق التعاون والتكافل والتسامح بين الأسر وأفراد المجتمع (المطيري، ٢٠١٨، ٣٣).

رابعاً: مستويات المسؤولية الاجتماعية:

تنقسم مستويات المسؤولية الاجتماعية إلى مستويات عدة وهي بحسب الآتي:
مسؤولية الفرد تجاه نفسه (الذات): ويأتي هذا النوع من المسؤولية في مقدمة الأنواع، وينصب هذا النمط من المسؤولية في الأساس على تنمية المهارات المعرفية التي تأخذ بعد المسؤولية المجتمعي في:

١. الاهتمام بالأحداث التي تجري داخل المجتمع.
 ٢. الاستفسار عن الأمور التي لا يفهمها في وسائل الإعلام.
 ٣. القراءة بمناقشة مجريات الأحداث في الدول المجاورة.
- مسؤولية الفرد تجاه الأسرة: وتتلخص هذه المسؤولية أو هذا المستوى بحسب الآتي:

١. الاتفاق أو المشاركة في الإنفاق في متطلبات الأسرة.
٢. المحافظة على الالتزامات العائلية.
٣. رعاية الوالدين والبر بهما وتقديم العون لهما.
٤. المشاركة في الالتزامات والزيارات العائلية.
٥. مناقشة المشكلات العائلية مع أفراد الأسرة سعياً لحلها.
٦. العمل على ما اتفق عليه أعضاء الأسرة.
٧. الحرص على تخصيص وقت معين للجلوس مع الأسرة.
٨. التعرف على أخبار الإخوة والأخوات وسائر أفراد العائلة الكبيرة (العيد، ٢٠١٦، ٤٩٨).

المسؤولية تجاه زملاء: وتبلور بالآتي:

١. الحرص على التواصل مع الزملاء والأصدقاء.
٢. مساعدة الزملاء إذا طلبوا منه ذلك.

٣. محاولة الدخول مع الزملاء في بعض الأعمال الجماعية.

٤. تقبل الاختلافات في الرأي مع الزملاء.

المسؤولية تجاه الحي: ويمكن حصر مسؤولية الفرد تجاه الحي بالآتي:

١. الاعتقاد في أن الاهتمام بالحي واجب اجتماعي.

٢. مساعدة الجيران في أي عمل يتطلب المساعدة.

٣. الإسهام في حل مشكلات الحي الاجتماعية.

٤. مشاركة الجيران في أفراحهم وأحزانهم (أمين، ٢٠١٠، ٣١١).

المسؤولية تجاه الوطن: ويمكن توضيح مسؤولية الفرد تجاه الوطن بالآتي:

١. المحافظة على الأماكن العامة والممتلكات في الوطن.

٢. الاهتمام بمشروعات التنمية في الوطن.

٣. نشر الوعي والتربية الوطنية في المجتمع الذي يعيش فيه.

٤. حضور الندوات والفعاليات ذات الفائدة للوطن والمجتمع.

٥. الإسهام في حل المشكلات التي تنشأ في مؤسسة العمل أو الدراسة.

٦. التعرف على طريقة سير العمل السياسي في الوطن.

٧. الإسهام بالرأي في القضايا العامة التي تهم الوطن.

المسؤولية تجاه العالم: إن مسؤولية الفرد تجاه العالم تنطلق من الآتي:

١. الاهتمام بالقضايا التي تتصل بالضمير العالمي كالمجاعات والكوارث.

٢. الاعتقاد في أهمية المحافظة على البيئة التي نعيش فيها بوصفها جزءاً مهماً من

العالم.

٣. متابعة الأخبار والأحداث التي تجري في العالم (المطيري، ٢٠١٥، ١٧).

وما يتبنى (طيفور، ٢٠٢٠) تقسيمًا آخر لمستويات المسؤولية المجتمعية وهي بحسب الآتي:

١. مسؤولية الفرد تجاه أسرته: وتعني التزامات الفرد تجاه أسرته وأقاربه وجيرانه ومنزله وما يحويه من أفراد.
٢. مسؤولية الفرد تجاه المؤسسة التعليمية التي ينتمي إليها: وتعني التزامات الفرد تجاه مؤسسته التعليمية والتقييد بأنظمتها وقوانينها، وحل مشكلاتها والعمل على تحسين بيئتها التعليمية وتطويرها.
٣. مسؤولية الفرد تجاه مجتمعه الذي يعيش فيه: وتعني التزامات الفرد تجاه مجتمعه، وحل مشكلاته المختلفة، وتجاه الممتلكات والمرافق العامة والخاصة، وقضايا مجتمعه.
٤. مسؤولية الفرد تجاه وطنه: والمتمثل في الحفاظ على وطنه وبقائه، وتماسك بنيانه، وتنمية الشعور بالولاء والانتماء إليه (طيفور، ٢٠٢٠، ٤١).

خامسًا: عناصر المسؤولية الاجتماعية:

تتكون المسؤولية الاجتماعية من ثلاثة عناصر وهي: الاهتمام، والفهم، والمشاركة، وفيما يأتي إيضاح لتلك العناصر:

١. الاهتمام: يقصد به الارتباط العاطفي بالجماعة التي ينتمي إليها الفرد، سواء كانت صغيرة أم كبيرة مع الحرص على استمرار الجماعة وتماسكها وبلوغ أهدافها، والخوف من أن تصاب بأي عوامل أو ظروف تؤدي إلى ضعفها وتفكيكها، ويندرج تحت عنصر الاهتمام أربعة مستويات وهي (الهزيمي، ٢٠١٩):

٢. المستوى الأول: الانفعال مع الجماعة: وهو أبسط صور الاهتمام بالجماعة وأقلها تقدمًا ويقصد به مسaire الفرد انفعاليًا بما يحيد في الجماعة من دون قصد أو اختيار

أو إدراك ذاتي من جانب هؤلاء الأفراد، فالفرد في هذا المستوى يساير الجماعة انفعاليًا وبصورة لا إرادية.

٣. المستوى الثاني: الانفعال بالجماعة: يُعد هذا المستوى أفضل من المستوى السابق، ويقصد به التعاطف مع الجماعة ويختلف هذا المستوى عن المستوى السابق في أنّ الفرد يدرك ذاته في أثناء انفعاله بالجماعة، فهي ليست مسايرة تتم بطريقة آلية ومن دون إدراك ذاتي كما في المستوى السابق.

٤. المستوى الثالث: التوحد مع الجماعة: ويقصد به أن يشعر الفرد أنّه والجماعة شيء واحد، وأنّ خيرها وشرها شره، أي وحدة الوجود ووحدة المصير مع الجماعة التي ينتمي إليها.

٥. المستوى الرابع: تعقل الجماعة: ويقصد به معنيين، الأول: استبطان الجماعة ويقصد به أنّ الجماعة تصبح في فكرة الفرد وعقله، أي تنطبع الجماعة في فكرة الفرد وتصوره العقلي سواء كانت ضعيفة أم قوية متماسكة أو متفككة. فالفرد في هذا المستوى يستطيع أن يدرك الجماعة ويجعلها موضع نظر وتفكر وتأمل. أما المعنى الثاني: فهو الاهتمام المتفكر بالجماعة أي الاهتمام المتزن بمشكلات الجماعة ومصيرها ودرجة التناسب بين أنشطتها وأهدافها ونظمها، وهذا المستوى أعلى مستويات بالجماعة (الهزيمي، ٢٠١٩، ٩).

٦. الفهم: وينقسم الفهم على قسمين يتمثل الأوّل: في فهم الفرد للجماعة ويقصد به فهم الفرد للجماعة في حالتها الحاضرة من ناحية مؤسساتها ونظمها وعاداتها وتاريخها وقيمها، وكذلك فهم العوامل والظروف التي تؤثر في حاضر هذه الجماعة، وأيضًا فهم تاريخها الذي من دونه لا نستطيع فهم حاضر الجماعة ولا تصور مستقبلها، وليس المقصود بفهم الجماعة هو أن يكون كل فرد من أفراد الجماعة على فهم دقيق وشامل لهذه الجوانب وإنما المقصود هو أن يكون على درجة مناسبة من العلم بهذه الجوانب،

ويمثل القسم الثاني في فهم الفرد للمغزى الاجتماعي لأفعاله أي إدراك الفرد لآثار أفعاله وتصرفاته وقراراته على الجماعة؛ إذ يفهم الفرد القيمة الاجتماعية لأفعاله الصادرة منه (الشوربجي، ٢٠١٩، ٥٧).

٧. المشاركة: وتعني اشتراك الفرد مع الآخرين في الأعمال التي تساعد الجماعة على إشباع حاجاتها وحل مشكلاتها والوصول إلى أهدافها والمحافظة على استمرارها، ويندرج تحت هذا العنصر ثلاثة جوانب هي:

أ. التقبل: أي تقبل الفرد لدوره أو ادواره الاجتماعية وما يرتبط بها من توقعات وسلوكيات، ويعد هذا التقبل ضرورياً حتى لا يشعر الفرد بأنه واقع تحت تأثير الصراع نتيجة عدم تقبله لدور معين أو شعوره بعدم ملاءمة الدور له.

ب. المشاركة المنفذة: أي العمل الفعلي المشترك مع الجماعة لتنفيذ وإنجاز ما تنفق عليه الجماعة.

ج. المشاركة المقومة: وهي مشاركة موجهة تهدف إلى تقويم أعمال وإنجازات الجماعة، والفرد هنا يقوم بدورين: فهو قد يكون منفذاً ومقوماً في وقت واحد، وأن سلامة الجماعة محتاجة إلى كلا النوعين من المشاركة فهي محتاجة للمشاركة المنفذة وكذلك المشاركة المقومة، بل إن نمو المسؤولية المجتمعية لا تتم بين أفراد الجماعة إلا إذا توافر لأفرادها هذان النوعان من المشاركة (الهزيمي، ٢٠١٩، ١٠-١١).

سادساً: معوقات المسؤولية الاجتماعية:

تعدد معوقات المسؤولية الاجتماعية بين المعوقات التعليمية والثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها وسوف نعرضها بحسب الآتي:

١. معوقات تعليمية: ويُعنى بها الأساليب والوسائل والإجراءات والممارسات ذات الصيغة التعليمية أو التربوية التي تحول من دون التفعيل الأمثل للمسؤولية المجتمعية؛

ومن أهم هذه العوائق التركيز على الأساليب التعليمية التقليدية؛ مما أضعف الهدف التربوي الاجتماعي وعدم وضوح أهداف السياسات التعليمية وندرة القدوات الحيّة من آباء وأمّهات ومعلّمين ومعلّمات في المشاركة ببرامج المسؤولية الاجتماعية، وتركيز المناهج التعليمية على التعليم والإقلال من التربية وعدم إشراك الشباب في صنع القرار على كثير من المستويات التعليمية وانتشار الأميّة والجهل، وإهمال بعض الأسر للجانب التربوي وإضعاف بعض الأسر من قدر المشاركة الاجتماعية وأهميتها (العبيد، ٢٠١٦، ٥٠٣).

٢. معوقات ثقافية: ونقصد بها ما له صلة بتعويق تثقيف المجتمع، وتوعيته ببرامج المسؤولية المجتمعية وأنشطتها، وترسخ الاهتمام بها، ويحددها (المطيري، ٢٠١٥) بالمعوقات الآتية:

أ. ضعف الوعي بمفهوم وفوائد المشاركة في برامج المسؤولية المجتمعية والعمل التطوعي.

ب. قلة التعريف بالبرامج والنشاطات التطوعية التي تنفذها المؤسسات الحكومية والأهلية التي تدور في إطار المسؤولية المجتمعية.

ج. بعض الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع كالتقليل من شأن الشباب.

د. الحد من دور المرأة في المشاركة في الأعمال التطوعية وبرامج المسؤولية الاجتماعية في بعض المجتمعات.

هـ. قلة تشجيع الثقافة التعاون والعمل الاجتماعي الجماعي (المطيري، ٢٠١٥، ٢٢).

٣. معوقات اقتصادية: ويقصد بها المعوقات ذات الجانب الاقتصادي التي تحول دون تمكين الدول والأفراد من أداء الأدوار المأمولة منها نحو المسؤولية الاجتماعية، وهي الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها الدول الفقيرة، وانتشار الفساد والترهل الإداري

في بعض مؤسسات العمل الأهلي الراعية لبرامج المسؤولية المجتمعية، وضعف القوة الشرائية للأفراد بسبب الفقر، وسطوة رأس المال وانتشار الأفكار الاقتصادية الرأسمالية، الهادفة إلى الربح السريع، وتركيز الثروة في يد قلة (العييد، ٢٠١٦، ٥٠٤).

٤. معوقات سياسية: نعني بها العقبات المرتبطة بالقرار والإرادة السياسية وتوجهات الدول نحو أنشطة وبرامج المسؤولية المجتمعية وهي بحسب الآتي:

أ. عدم السماح للشباب في المشاركة في اتخاذ القرارات في المنظمات العاملة في مجال المسؤولية المجتمعية.

ب. تشكيك بعض الأطراف السياسية في نوايا بعض منظمات العمل الاجتماعي.

ج. قلة البرامج التدريبية الخاصة بتكوين جيل جديد من المتطوعين الشباب أو صقل مواهبهم في مجال العمل الأهلي الاجتماعي (المطيري، ٢٠١٥، ٢٣).

من طريق ما سبق عرضه، نرى أنّ المسؤولية الاجتماعية ضرورة ومطلب من أجل بناء جيل متطلع وإعداده لتحمل المسؤولية والقيام بدوره في المستقبل خير قيام، والاهتمام المتفكر بلحاظ الانتساب والتكامل مع الآخرين، والمشاركة والتطوع التي تنطلق من شعور صادق بالاستجابة لمتطلبات الواجب الاجتماعي والوطني، والتي تحقق من طريقها أهداف وغايات المجتمع المتعاون.

المبحث الثالث: المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني:

في إطار أهمية المسؤولية الاجتماعية للمجتمع وجد أنّها تمثل مطلبًا اجتماعيًا يعمل على تحقيق الأهداف والمنافع الاجتماعية والإنسانية، والمجتمع بمؤسساته وأجهزته كافة في حاجة إلى الفرد المسؤول اجتماعيًا، بقدر حاجته إلى أفراد مسؤولين مهنيًا وقانونيًا. وعندما تحقق المسؤولية الاجتماعية ذلك، فهذا يؤدي إلى حفظ الأمن والاستقرار والسلام الاجتماعي، ولأنّ أي مجتمع وتنميته وقدرته على تحقيق أهدافه يقوم

بشكل أساس على القيم التي يتبناها، فيمكن بيان أهمية المسؤولية الاجتماعية للمجتمع من طريق أهميتها في تحقيق التطور المستمر في القيم الثقافية والاجتماعية، وتحقيق التنمية الاجتماعية (الشوربجي، ٢٠٢٠، ٣٣).

وقد اهتم الإسلام بمفهوم المسؤولية الاجتماعية، بجانبها سواء المسؤولية عن منع الإضرار كإيذاء النفس أو الآخرين، أو المسؤولية عن نفع المجتمع كإمالة الأذى عن الطريق، ويتضح ذلك جلياً في الكتاب والسنة، إذ تستهدف المسؤولية الاجتماعية في غرس مبادئ الطاعة لله ورسوله والقيام بشرائع الإسلام، وتكوين الضمير الإيماني الذي يوجه سلوك الإنسان في الحياة، مستخدمة في ذلك الموعظة والقدوة والتوجيه والإرشاد، وتحقيق مبدأ النصح والتعاون (المطيري، ٢٠١٨، ٢٨).

ولا شك أن المسؤولية تعني الالتزام، وهذا يندرج على جميع مناحي الحياة، فحين تطلق لفظة «المسؤولية» فإن ذلك يشير إلى تحمل التبعات، وهذا ليس بمستغرب في عقيدتنا الدينية السمحة، التي وضعت أطراً دقيقة للتعامل من هذا المنطلق، قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]. وقد أرشدتنا العقيدة السمحة إلى ضرورة الالتزام بالمسؤولية؛ إذ حثنا الشرع الحنيف على ضرورة التماسك الاجتماعي، والتعاون، والترابط في موضوعات كثيرة؛ منها، قول الحق (تبارك وتعالى): ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. (الشميلان، ٢٠١٨، ١٠٧).

أولاً: اتجاهات المسؤولية الاجتماعية وفق المنظور قرآني:

تقوم المسؤولية الاجتماعية على اتجاهات عدّة، ومنها (عبد الشافي، ٢٠١٠):

١. مسؤولية الفرد تجاه ربّه: وما عليه من واجبات تكليفية «عبادة، وأخلاقاً، وتشريعاً، وجهاداً، وإخلاصاً وصدقاً، وطاعة، وشكراً،... الخ.

٢. مسؤولية الفرد تجاه نفسه: بتزكيتها وتهذيبها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧- ١٠].
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

٣. مسؤولية الفرد تجاه أهله: فالأقربون أولى بالإصلاح والمعروف من عامة الناس، وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

٤. مسؤولية الفرد تجاه مجتمعه وأمّته: متمثلة بدعوتهم وتوعيتهم واهتمامه بشؤونهم من طريق بذل النصح لهم والمشية في حوائجهم، ترسيخاً لقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

٥. مسؤولية الفرد تجاه السنن الإلهية: بأن يأخذ المسلم مكانه وموقعه، وينهض بدوره ومسؤوليته عبر السنن الإلهية ومنها: مسؤوليته حيال سنة التغيير، من طريق الانخراط في منهج ومشروع التغيير الإسلامي استجابة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. ومسؤوليته تجاه سنة التدافع من طريق مشاركته ومقارعة الباطل، والتزامه بجهة الحق، وحمايته ثغور الإسلام، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

[البقرة: ٢٥١]. ومسؤوليته تجاه سنة التمكين وإعداد نفسه لذلك، ليكون ممن عناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] (عبد الشافي، ٢٠١٠، ٤٩ - ٥١).

ومن ذلك يشكل الأفراد اللبنة التي يتكون منها المجتمع، والخلايا التي ينتج عن تماسكها قوة المجتمع وصلابته، ويمكن تلخيص بعض مسؤوليات الأفراد تجاه مجتمعهم من منظور قرآني فيما يأتي (القرشي، ٢٠١٣):

١. مسؤولية الفرد عن حراسته نفسه من الإضرار بمجتمعه: إن الأمة مجموعة متماسكة من الأفراد، وكلما كان الفرد سلمياً كان بناء الأمة سليماً، وكلما كانت أخلاق الأمة قوية نقية كانت اتجاهاتها سليمة وهدفها مستقيماً. فصلاح الفرد وحراسته نفسه من الانحراف والضرر أضحت ليست مصلحة فردية محضة، وإنما يستفيد منها المجتمع في بنائه وتحقيق أمنه واستقراره، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]. ويتضح من الآية أن تغيير المبادئ والعقائد في نفوس الأفراد هو الذي يترتب عليه تغيير المجتمعات، وتقلب أحوالها من النعيم إلى الهلاك كما حصل لآل فرعون.

٢. مسؤولية الفرد عن عمله وإتقانه والأمانة فيه: قال تعالى ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]. أي قفؤهم حتى تسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا.

٣. مسؤولية الفرد عن محاربة الجرائم الظاهرة والباطنة في مجتمعه: الجريمة داء سرطاني ينخر في جسم المجتمع، ومن أجل ذلك كان لزاماً على الفرد بذل ما بوسعه من محاربتها والقضاء عليها، فقد جاء الحث والحض على ضرورة وجود فئة تنهى عن الفساد في

الأرض، وهي كلمة عامة تشمل الفساد الظاهر والباطن: قال تعالى ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦]. إن السكوت على اليد الآثمة هو في نظر الإسلام إثم أكبر من إثمها، وإجرام أشع من إجرامها. والفرد مسؤول بقدر طاقته في حماية المجتمع من الجرائم ومحاربة الفساد.

٤. نشر العلم الذي يسهم إيجابياً في بناء المجتمع وتطوره: طلب العلم أساس من أسس المجتمع المسلم، وقد أشهد الله تعالى ملائكته عليهم السلام وأولي العلم على وحدانيته سبحانه، وهم العلماء بالله، العلماء بدينه، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. فإن الطالب ينبغي أن يشمل كل علم نافع للمجتمع المسلم، كما إن اهتمام الفرد بنشر العلم النافع داخل مجتمعه لهو خلق كريم وأجر عظيم، وإنه لحافز اجتماعي ما بعده حافز في نظر المؤمن (القرشي، ٢٠١٣، ٣٣-٣٨).

ثانياً: أساسيات المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني:

تقوم المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني على أسس تربوية عدّة وهي (الشميلان، ٢٠١٨):

١. الإيمان: إن الإيمان بالله تعالى ورسوخ ذلك الإيمان في قلب المسلم يدفعه إلى العمل بمقتضى هذا الإيمان، ويأتي في طليعة ذلك يقظة الضمير التي تكون أساساً في حثّ المؤمن للعمل ابتغاء مرضاة الله، فيكون إحساسه بالمسؤولية الاجتماعية، بوصفها إحدى ثمار التربية الإسلامية، ثم يؤكد ذلك ويربّي في نفس المؤمن التشريع الديني القويم، بما يفرض له من حوافز إيمانية ومثييات ربّانية، ولا سيما أن الله تعالى يترك الباب مفتوحاً لمن أراد الزيادة في عطاء الله وفضله، ويجعل المقابل من قبل الوهاب مضاعفاً أضعافاً كثيرة: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وعندئذ يستشعر الإنسان بحلاوة الإيمان وجزيل عطاء الله له، فيزيد من تطوعه لتحمل التبعات والمسؤوليات طمعاً فيما عند الله.

٢. القسط والاعتدال: دعا الإسلام كثيرًا إلى الاعتدال، فجعل الدين وسطًا حنيفًا، ولذلك يرغب الإسلام في التعامل بالقسط، ونهى عن الظلم والطغيان والزور، فيأمر المسلم بالاعتدال في كل الأمور، أما في أمور الخير، فيدعو إلى الازدياد منه، فالقاعدة الأصلية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. ويقول للمتطوعين للمعالي: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وهو أيضًا راعى الجوانب المادية والروحية، وأخذ بميزان القسط فيها، فلم يجعل المادة تظفى على الجانب الروحي، ولم يغلب الروحانيات على الماديات، بل وازن بينهما، لترقى النفس البشرية جسدًا وروحًا معًا.

٣. الطاعة: حين أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، أمر بطاعة ولي الأمر، وهذا مرجعه «مسؤولية اجتماعية» من شأنها صلاح المجتمع وفلاح أمره: قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

٤. حقوق الآخرين: لم يحرص الدين الحنيف أكثر ما حرص على المحافظة على حقوق الآخرين، وعدم أكل أموال الناس بالباطل، ونبه في غير موضع على ذلك، وأكد الله سبحانه وتعالى عليه، فقال ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

٥. احترام الحريات: لم يستعبد الإسلام عقول الناس ولا أفكارهم، كما لم يحل استبعاد أجسادهم وأبدانهم، بل نادى باحترام حرياتهم وعقولهم في إطار مبدأ الشورى، والذي أشار الله (عز وجل) إليه في قوله (تعالى) ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [القصص: ٢٧].

٦. الرحمة: الأصل في المسؤولية الاجتماعية في الإسلام أن تقوم على الرحمة والسعة والتيسير، لذا يجب أن يشمل اليسر والرحمة علاقات الناس ومعاملاتهم الخاصة والعامة، مصدقًا لقوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ

حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٧. التعاون: تعني ذلك الترابط والتكافل الاجتماعي، الذي يجعل المجتمع قويا، يشد بعضه بعضاً، ولهذا ما أبرزته الآية الكريمة السالف ذكرها ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. وهذا المبدأ الكريم من شأنه أن يعين في توجيه المسؤولية الاجتماعية الوجهة في مجتمعاتنا ومؤسساتنا، فيتحقق لنا ما نصبو إليه (الشميلان، ٢٠١٨، ٢٠٩).

ثالثاً: أركان المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني:

حين ننظر إلى المسؤولية الاجتماعية في الإسلام نظرة أكثر تخصصاً يمكننا أن نحدد لها أركاناً ثلاثة تقوم عليها هي: الرعاية، والهداية، والإلتقان، فإذا كان الاهتمام والفهم والمشاركة، هي العناصر المكونة للمسؤولية الاجتماعية، بمنزلة الدم الذي يمدّها بالطاقة والقوة والتجديد، فإن الرعاية والاهتمام والإلتقان تمثل البنية المتحركة الفاعلة المؤثرة (الصنيع، ٢٠١٠):

١. مسؤولية الرعاية: يضع القرآن الكريم الإنسان أمام مسؤوليته الكبرى حين يجعله خليفة في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. ومسؤولية الخلافة في الأرض هي مسؤولية الرعاية لكل ما استخلف الإنسان فيه.

٢. مسؤولية الهداية: يتردد في القرآن الكريم هذا النداء الرفيق الرقيق المنذر المحذّر، ومن هذا الحرص والهداية، تنبع دعوة الأنبياء والرسل والصالحين أقوامهم إلى ما هدوا إليه، وما وجدوا فيه سبيل الرشاد: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]. ولكن الدعوة وحدها لا تكفي للهداية فلا بدّ من النصيح،

وقد كان خطاب نوح عليه السلام لقومه يفيض حرصاً وإشفاقاً وخوفاً وتذكيراً لهم بأنه ناصح أمين: قال الله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]. ثم قال لهم في قول الله تعالى: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]. ولا بد من الإصرار والنصح والصبر على الدعوة والنصح عليهما؛ لأن الجماعة لا تقبل تغيير ما استقرت عليه من عقائد، وقيم، ومعايير سلوك، عند أول إشارة أو نداء أو نصيحة من الداعي، ولا ينبغي أن يقف ضعف الأمل في الاستماع أو اليأس من الاتباع حائلاً من دون الإصرار والثبات في الدعوة إلى الهداية حتى تبلغ مداها قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]. وليست مسؤولية الهداية قاصرة على الأنبياء والرسول والصالحين، بل إن كل من في الجماعة مسؤول عن هدايتها، بحرصهم على أن يتناهوا عن المنكر: قال الله تعالى ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خير بما تعملون ﴿ [المائدة: ٧-٨].

٣. مسؤولية الإتقان: الإتقان مطلوب في عمل الإنسان في الإسلام سواء كان عمل عبادة أو عمل معاش، ولا يفصل الإسلام فصلاً حاسماً بين نوعي العمل لأتقوا - بل كل سعي الإنسان على هذه الأرض - لله: قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. فأينما توجه المسلم يعمل من أعمال الدنيا والآخرة، فهو مكلف أن يبذل فيه قصارى طاقته ليتقنه ويحسنه، حتى يكون عمل المسلمين، كما هو شأن المسلمين أنفسهم بين الأمم، شاملة بين الأعمال، ولهذا يمكن أن نلخص وصف الشخصية المسلمة بأنها «الشخصية المتقنة» (الصنيع، ٢٠١٠، ١٣٨٤).

رابعاً: الأبعاد الأخلاقية والتربوية للمسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني:

لقد ظهر الإسلام في مدّة كانت البشرية تغرق فيها في ظلمات من الإسفاف الخلقي والفساد الاجتماعي، فجاء منقداً للبشرية من ذلك المستنقع الذي غرقت فيه، فرسالة الإسلام العظيم أساسها وهدفها الأبرز الذي جاءت لتحقيقه بعد عبادة الله تعالى إنّما يقوم على ترسيخ البناء الأخلاقي في المجتمع المسلم، شأنها في ذلك شأن الرسالات السماوية كافة «فقد كانت دعوة الرسل عليهم السلام إلى مكارم الأخلاق تواكب تماماً دعوتهم إلى توحيد الله. وفيما يلي بعض الأبعاد الأخلاقية والتربوية للمسؤولية الاجتماعية داخل المجتمع» (القرشي ٢٠١٣):

١. التآخي بين المسلمين: إنّ من أولى اهتمامات القرآن الكريم أن يغرس في نفوس المسلمين مفاهيم التآخي والإخوة فيما بينهم، في مواطن كثيرة وبأساليب عدة، فمرة يطلق التآخي في القرآن الكريم بوصفه عنواناً أساسياً لعلاقات المؤمنين مع بعضهم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]. وأخرى يؤكد عليه محذراً من عوامل الفرقة، ومذكراً بنعمة التآلف والتآخي الإسلامي، بعد طول التناكر والتناحر الجاهليين، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢. التكافل والترابط الاجتماعي: إنّ التكافل الاجتماعي في الإسلام هو تكافل حضاري ذو مفهوم واسع ويسع لجلب كل ما يفيد الجماعة والمجتمع من عمل ديني أو ديني، وهو من البر الذي يحبه الله لعباده ويرغب لهم أن يتعاونوا عليه، فالعمل النافع للمجتمع محبوب من الله تعالى، وهو البر الذي أمرنا الله تعالى أن نتعاون ونتضامن في تحقيقه، قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

٣. رعاية الفئات ذات الحاجة: يتميز المسلم بروابطه الإنسانية الوطيدة وعلاقاته الاجتماعية الراسخة على الإيمان بالله تعالى وحده والإحسان إلى عبادة، وقد نظمت الشريعة الإسلامية هذه العلاقات في المجتمع المسلم لكي يكون المجتمع أسرة واحدة وكياناً مترابطاً، فلا يقتصر الإحسان إلى الوالدين وذي القربى، بل يصل إلى فئات أخرى في المجتمع قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

٤. إقامة العدل: العدل مبدأ اجتماعي أخلاقي، وهو على رأس المبادئ التي نادى بها الدين الإسلامي، ودعا إلى تحقيقها بين أفراد المجتمع، لأن تحقيق العدل مبعث لاطمئنان الناس على حقوقهم وشعورهم بالأمن والاستقرار، وليس ثمة شيء يجلب الفوضى والفتن والظلم، ويذهب الطمأنينة والسكن بين أفراد المجتمع مثل سلب الحقوق واستيلاء الأقوياء على حقوق الضعفاء لذلك دعا الله تعالى عباده إلى إقامة العدل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١١٥].

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل صفات المجتمع المسلم، ويقصد به حراسة المبادئ الأخلاقية وحماية المجتمع من الفوضى والفساد والانحلال، وحماية المصالح وهداية الناس، حتى تتحقق الخيرة للأمة الإسلامية مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٦. إصلاح ذات البين: فمن مقتضيات الأخوة إصلاح ذات البين، وإزالة الخصومات القائمة بين الأشخاص والعائلات، لأن مثل هذه الخصومات، تفرق وحدة الصف

وتمزق الروابط الاجتماعية، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

٧. أداء الأمانة: إنَّ موضوع الأمانة من الموضوعات القرآنية الهامة، لكونها خلقاً من أخلاق المسلم التي تنبع من عقيدته، وتدل على صدقه في الانتماء لهذا الدين وشرف غايته في التعامل مع الآخرين، والأمانة صفة جامعة للفضائل والقيم والمثل العليا النبيلة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، سواء كانت تتعلق بحقوق الله تعالى على عباده أو حقوق العباد على بعضهم البعض، كالودائع وحفظ الأسرار والأعراض وأمانة المجالس، وأمانة الأموال والأولاد وغيرها من الأعمال التي يؤتمنون عليها، لهذا كانت الأمانة من لوازم الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

٨. الوفاء بالعهد: إن من الأخلاق الجميلة والصفات الحميدة التي حثَّ عليها القرآن الكريم ورغب فيها الوفاء بالعهد وإتمامه وعدم نقضه، والوفاء بالعهد أو الوعد من جملة الأخلاق الإسلامية التي ترسخها المسؤولية الأخلاقية للمسلم؛ إذ أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالعهد وعدم نقضها، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

٩. العمل التطوعي: العمل التطوعي مسؤولية اجتماعية أخوية يشترك فيه جميع أفراد المجتمع، في ميادين الحياة كافة، كلُّ بحسبه وبقدر استطاعته، إذ يعد ظاهرة اجتماعية إيجابية تمثل سلوكاً حضارياً لراقي المجتمعات والأمم وهو مدرسة إنسانية وتضحية إيمانية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكلِّ معاني الخير والعمل الصالح، ذلك أن الشريعة الإسلامية حثت عليه وجعلته من القربات العظيمة التي يقرب بها الإنسان إلى خالقه عز وجل وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤] (القرشي، ٢٠١٣، ٥٠، ٩٧).

المبحث الرابع: التطبيقات التربوية للمسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني:

إنَّ أهمية وقيمة المسؤولية الاجتماعية في العمل وتحويلها إلى واقع وسلوك ملموس بين الأفراد والجماعات، وحتى داخل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، هذا ما أكد به الكتاب المنزل القرآن الكريم في كثير من الآيات المباركة، وفيما يلي نستعرض التطبيقات التربوية للمسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني:

بالنسبة للإدارة المدرسية:

١. إبراز دور المدرسة بوصفها مركز إشعاع للمجتمع المحلي، من طريق تنمية قيم المسؤولية الاجتماعية وأهدافها.
٢. تعميق القيم الاجتماعية التي تنسجم مع تعاليم الدين الإسلامي، وذلك بالتأكيد على المسؤولية الاجتماعية.
٣. إعداد الطلبة فكرياً وعلمياً، من طريق غرس قيم المسؤولية الاجتماعية لديهم.
٤. توعية أفراد المجتمع المدرسي بالمسؤولية الاجتماعية، من طريق تعزيز القيم والمثل العليا السائدة في المجتمع.
٥. تأصيل المبادئ الإسلامية، كمبدأ التكافل الاجتماعي والتعاون بين الأفراد والجماعات داخل المدرسة وخارجها.
٦. توعية الطلبة بالواجب نحو دينهم وعقيدتهم ومجتمعهم، مثل تعريفهم بحقيقة الإسلام والتحلي بآدابه وأخلاقه وإصلاح الأخطاء، على وفق المنهج السليم ونشره، واحترام العادات والتقاليد والقيم والأعراف السائدة في المجتمع.
٧. التوجيه إلى المصلحة العامة، من طريق إعداد الطلبة بغرض تحمل أعباء الحياة، ونشر الثقافة والوعي بأهميتهم بوصفهم أفراداً في المجتمع.

٨. التعاون مع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، لتنفيذ برامج مشتركة تساعد على ترسيخ مفهوم المسؤولية الاجتماعية داخل المدرسة وخارجها.
٩. تعميم مبدأ الشراكة والتعاون بين الإدارات المدرسية لنشر ثقافة المسؤولية الاجتماعية عبر إحياء البرامج والمبادرات والأنشطة المجتمعية.
١٠. تهيئة التدريب والتأهيل الكافي للمعلمين لتعريفهم بمسؤولياتهم الاجتماعية سواء داخل المدرسة أم خارجها.
١١. تنمية قدرات الطلبة على التعامل مع المجتمع على مختلف أطيافه واتجاهاته وسلوكياته ومعايشة التغيرات الاجتماعية والثقافية.
١٢. إيجاد محفزات معنوية ومادية لدى الطلبة وأعضاء هيئة التدريس، وتشجيعهم على الإكثار من الممارسات الاجتماعية التي تنمي لديهم المسؤولية الاجتماعية والاهتمام بها.
١٣. تهيئة عناصر البيئة المدرسية بكاملها لمسايرة متطلبات تفعيل المسؤولية الاجتماعية.
١٤. توثيق العلاقة ما بين المدرسة والمجتمع، من طريق دراسة احتياجات ومشاكل المجتمع المحلي المحيط بالمدرسة، والإسهام في حلها، على وفق أهداف المسؤولية الاجتماعية.
١٥. بالنسبة للمتعلم:
١٦. تحصيل الطلبة من المؤثرات الثقافية والحضارية الضارة بالقيم والمعتقدات وبالثقافة المحلية.
١٧. تشجيع الطلبة على المسؤولية الاجتماعية من طريق تنمية الوعي بالتعاون والعمل الجماعي.
١٨. التحلي بالأخلاق الحسنة والقيم والإسلامية، كالتسامح والصفح، ونشر التآلف والمحبة بين الآخرين.

١٩. توجيه الطلبة للعمل على تأصيل العقيدة في نفوسهم وإرشادهم إلى طريق النجاة والإصلاح، وتحذيرهم من الانزلاق في براثن الجريمة والانحراف الفكري.
٢٠. المشاركة الفعالة في خدمة المدرسة والمجتمع المحلي من طريق الأنشطة والبرامج الاجتماعية.
٢١. الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية الاجتماعية.
٢٢. تمتين العلاقة مع الأسرة والآخرين على حب التفاهم والتعاون.
٢٣. تكوين علاقات اجتماعية ناجحة مع الزملاء داخل وخارج المدرسة.
٢٤. تنمية روح الفريق الواحد والإحساس بالمسؤولية لدى الطالب بلحاظ أن الفرد هو العنصر الأساس في المجموعة.
٢٥. المشاركة الفعالة في المناسبات الوطنية والاجتماعية التي تقيمها المدرسة.
٢٦. المشاركة في حملات تطوعية وتوعوية في المجتمع، تسهم في نشر الوعي بخدمة المجتمع.

بالنسبة للمعلم:

١. أن يدرك المعلم أن احترام قواعد السلوك الوظيفي والالتزام بالأنظمة والتعليمات وتنفيذها والمشاركة الإيجابية في نشاطات المدرسة وفعاليتها المختلفة هي مسؤولية تقع ضمن مصلحة وأهداف المدرسة والمجتمع.
٢. التوعية بمبادئ المسؤولية الاجتماعية وأهدافها وقيمها.
٣. تعزيز الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية لدى المتعلمين تجاه تطوير المجتمع والمحافظة على المرافق العامة من طريق الخدمة العامة.
٤. تنمية القدرة لدى الطلبة على انتقاء الأفكار التي تناسب قيمهم الإسلامية المجتمعية الحسنة.
٥. حث الطلبة على التفاعل الايجابي مع قضايا المجتمع، من طريق إحياء البرامج

- والمشاركات التي تسهم في تحقيق المسؤولية الاجتماعية.
٦. منح الطلبة الثقة والاعتزاز بالنفس، وتعليمهم أن الانخراط في الأعمال التطوعية والاجتماعية يكسب الأجر من الله والخبرة والطاعة والبذل والرفق بالفرد والمجتمع.
٧. تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى الطلبة من طريق تنمية الولاء والانتماء للوطن، والمحافظة على مكانته ومقدراته.
٨. تنمية العلاقات الإنسانية وتعزيز روح الولاء للجماعة والوطن بين أبناء المجتمع المدرسي.
٩. تنشيط الفعاليات الاجتماعية لدى المتعلمين، بما يتيح لهم معرفة الذات ومعرفة الآخرين.
١٠. تشجيع المتعلمين على التعاون بإكسابهم الإيمان بالنتائج المبنية على الجهد المشترك.
١١. تفعيل مقترحات الطلبة المناسبة حول أشكال المساهمة بأدوار إيجابية في البيئة الاجتماعية.
١٢. تنمية الفكر الاجتماعي لدى الطلبة واحترام الرأي الآخر، وتبني ثقافة الحوار الإيجابي.
١٣. تنمية القيم والمبادئ التي يحتاجها المجتمع المحلي، التي تساعد على تعزيز ونشر المسؤولية الاجتماعية.
١٤. تعزيز احترام النظام لدى الطلبة واهميته في حياة الفرد والمجتمع.
١٥. التوعية بالمحافظة على الممتلكات العامة داخل المدرسة وخارجها، والالتزام بالأنظمة والقوانين.
١٦. دعوة لحفظ النظام العام بالمدرسة، والحفاظ على أثاث البيئة المدرسية.
١٧. نبذ العصبية بجميع أشكالها، ونشر ثقافة الحب والسلام بين أفراد المجتمع

- المدرسي من جهة والمجتمع المحلي من جهة أخرى.
- ١٨ . إتاحة الفرصة للطلبة للاتصال بالبيئة من طريق النقاش والحوار وتفعيل الأنشطة التي تسهم في ترسيخ ثقافة الاهتمام والمحافظة على البيئة.
- ١٩ . العمل على حلّ المشكلات القائمة، وأهم الأحداث الجارية، ونشر الوعي الوطني والاجتماعي.
- ٢٠ . تشجيع الطلبة على تقديم مساعدات للمحتاجين والأسر الفقيرة، مثل المشاركة في ترميم منازلهم وإيصال طبيعة ظروفهم للجهات المختصة.
- ٢١ . زيادة فرص ومساحة اللقاءات الجماعية والمناقشة والحوار بين المعلم والطلبة، خاصة في الموضوعات التي تهمهم وتتناول مشاكلهم الخاصة.
- ٢٢ . الثقة المتبادلة والعمل بروح الفريق الواحد هي أساس العلاقة بين المعلم وزملائه من جهة، وبين المعلم والإدارة المدرسية من جهة أخرى.
- ٢٣ . بالنسبة للمناهج المدرسية:
- ٢٤ . تضمين المقررات الدراسية لمختلف المراحل التعليمية ما يؤصل جانب المسؤولية الاجتماعية.
- ٢٥ . التركيز على مبادئ المسؤولية الاجتماعية في المناهج، بما يعزز من القيم والمبادئ الأخلاقية والوطنية.
- ٢٦ . تعزيز الجوانب التربوية والتعليمية للمسؤولية الاجتماعية التي يدرسها الطالب نظرياً وسلوكياً.
- ٢٧ . أثر المناهج الدراسية في تنمية ثقافة العمل التطوعي والخدمي، والانخراط في قضايا المجتمع.
- ٢٨ . تضمين المناهج الدراسية بما يعزز من الاتجاهات الإيجابية تجاه حل مشكلات المجتمع، من طريق ترسيخ مفهوم المسؤولية الاجتماعية.

بالنسبة للأنشطة المدرسية:

١. تنفيذ الأنشطة التعليمية والتربوية داخل الصف وخارجه، بما يعزز من المسؤولية الاجتماعية لدى الطلبة.
٢. تفعيل مجالات الأنشطة والمشروعات الاجتماعية، التي تسهم في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى أفراد المجتمع المدرسي.
٣. تنمية قدرات الطلبة على التفاعل مع البيئة المدرسية والمجتمع المحلي على وفق مفهوم المسؤولية الاجتماعية.
٤. إشراك الطلبة فيما تقدمه المدرسة من برامج وأنشطة بما يحقق المسؤولية الاجتماعية والتفاعل المستمر بين الطالب والمدرسة والبيئة المحلية.
٥. تشجيع الطلبة على تنفيذ مبادرات لبرامج مسؤولية اجتماعية تخدم المجتمع الذي يعيشون فيه، وتخصيص جوائز للمشاركين منهم.
٦. تهيئة أنشطة مدرسية يمكن من طريقها ممارسة المعلمين لمسؤولياتهم الاجتماعية بدرجة أكبر.
٧. تفعيل الأنشطة الطلابية المدرسية المتعلقة بالمستجدات المحلية والعالمية والتي تساهم في تفعيل المسؤولية الاجتماعية لدى الطلبة.

توصيات البحث:

١. إجراء دراسات مماثلة عن مفهوم المسؤولية الاجتماعية وعلاقتها مع متغيرات وعينات أخرى.
٢. الكشف عن أثر مناهج التربية الإسلامية في ترسيخ مفهوم المسؤولية الاجتماعية.
٣. تعميق أثر الأنشطة التعليمية في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى طلبة التعليم ما قبل الجامعي.
٤. التركيز على دور القيادة المدرسية بتنمية مفهوم المسؤولية الاجتماعية لدى طلابها.

٥. التنظيمات المدرسية في التعليم ما قبل الجامعي ودورها في تنمية المسؤولية الاجتماعية.

٦. اتجاهات طلبة التعليم الجامعي نحو المسؤولية الاجتماعية.

٧. تحليل محتوى مناهج التعليم ما قبل الجامعي ومدى تأكيدها على مفهوم المسؤولية الاجتماعية.

المصادر:

القران الكريم.

١. أمين، رضا عبد الواحد. (٢٠١٠). معوقات مشاركة الشباب في برامج المسؤولية الاجتماعية في العالم الإسلامي، ورقة مقدمة إلى مؤتمر الشباب والمسؤولية الاجتماعية، جاكرتا، اندونيسيا.
٢. جابر، لمياء مهدي. (٢٠١٧). الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيقاتها التربوية - القرآن والسنة أنموذجًا، مجلة دراسات تربوية، العدد (٤٠).
٣. الشميلان، عبد الوهاب بن شباب. (٢٠١٨). المسؤولية الاجتماعية من منظور إسلامي وتأثيرها الإيجابي على المنظمات، المجلة العربية للإدارة، المجلد (٣٨)، العدد (٤).
٤. الشوربجي، هند. (٢٠٢٠). التعليم والمسؤولية الاجتماعية - الواقع والمأمول، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥. الصنيع، صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف. (٢٠١٠). تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى الشباب، المؤتمر العالمي الحادي عشر للندوة العالمية للشباب الإسلامي: الشباب والمسؤولية الاجتماعية، جاكرتا.
٦. طيفور، هيفاء علي محمود. (٢٠٢٠). دور كلية التربية بجامعة حائل في تعزيز المسؤولية الاجتماعية عند الطالبات في ضوء رؤية ٢٠٣٠ للمملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الآداب والعلوم الانسانية، المجلد (٢٨)، العدد (٧).
٧. عبد الرسول، هيفاء. (٢٠١٩). المسؤولية الاجتماعية لدى معلمي المرحلة الثانوية بمدارس التعليم الخاص في دولة الكويت، مجلة دراسات تربوية وإجتماعية، المجلد (٢٥)، العدد (١).
٨. عبد الشافي، عصام محمد. (٢٠١٠). المسؤولية الاجتماعية: قراءة في الأبعاد

والدلالات التأصيلية، المؤتمر العالمي الحادي عشر للندوة العالمية للشباب الإسلامي: الشباب والمسؤولية الاجتماعية، جاكرتا.

٩. عبد الشافي، عصام محمد. (٢٠١٠). المسؤولية الاجتماعية: قراءة في الأبعاد والدلالات التأصيلية، ورقة مقدمة إلى مؤتمر الشباب والمسؤولية الاجتماعية، جاكرتا، اندونيسيا.

١٠. العبيد، إبراهيم بن عبدالله. (٢٠١٦). تصور مقترح لتفعيل دور الجامعات السعودية في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى طلابها، مجلة كلية التربية - جامعة اسيوط، المجلد (٣٢)، العدد (٤).

١١. عبيدات، علا محمد حامد. (٢٠٢١). درجة مساهمة الادارة المدرسية في تعزيز المسؤولية المجتمعية لدى معلمي التربية الاجتماعية في لواء بني كنانة، المجلة العلمية لكلية التربية - جامعة اسيوط، المجلد (٣٧)، العدد (٩).

١٢. العلي، محمد عبدالله محمد سالم. (٢٠٢٠). المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية في مكافحة التطرف والإرهاب والتصدي لجرائم تقنية المعلومات: الإمارات العربية المتحدة أنموذجًا، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة - كلية الدراسات العليا، الأردن.

١٣. العلي، مروان سالم. (٢٠١٨). رؤية استراتيجية في إشكاليات وآليات بناء السلام في العراق: الموصل أنموذجًا، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، المجلد (١٥)، العدد (٦٤).

١٤. القحطاني، خلود بنت بكر بن ملوح، والعايد، عبدالله بن حمد. (٢٠٢٠). دور الأنشطة غير الصفية في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى طالبات المرحلة الثانوية بالمدارس الحكومية، مجلة كلية التربية - جامعة اسيوط، المجلد (٣٦)، العدد (١).

١٥. القرشي، عبدالله بن محمد بن عديان. (٢٠١٣). الأبعاد التربوية للمسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، المملكة العربية السعودية.

١٦. القيسي، ماجد أيوب. (٢٠٢١). المستويات في العلم والقرآن والسنة النبوية وتطبيقاتها التربوية والاجتماعية، مجلة ديالى، العدد (٨٩).
١٧. كوناتي، أبو بكر محمد. (٢٠١٠). المسؤولية الاجتماعية الإطار النظري، ورقة مقدمة إلى مؤتمر الشباب والمسؤولية الاجتماعية، جاكارتا، اندونيسيا.
١٨. المطيري، إبراهيم بن داخل. (٢٠١٥). تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تنمية المسؤولية الاجتماعية لدى طلابها لمواجهة تحديات العولمة الثقافية، رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة القصيم، السعودية.
١٩. المطيري، عبد الرحمن بطيان مبرك. (٢٠١٨). دور قادة مدارس التعليم العام في تعزيز المسؤولية الاجتماعية لدى الطلاب تجاه أسرهم، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، العدد (٥).
٢٠. الهزيمي، علي ملوح سلامة. (٢٠١٩). الدافعية الاخلاقية وعلاقتها بالمسؤولية الاجتماعية لدى طلبة كلية التربية في جامعة الكويت، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن.

أنماط العلاقات الاجتماعية على وفق المنظور القرآني

م. د صالح مهدي جابر الظالمي

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانيّة

الملخص:

القرآن الكريم مصدر الحياة المتكاملة لبني البشر بكل نواحيه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمعرفية وغيرها، وما يشغلنا هنا هو العلاقات الاجتماعية، فالقرآن الكريم لا ينفصل فيه جزء عن جزء من دون وضع الحلول الناجعة لغرض بناء منهج اجتماعي صالح لكل زمانٍ ومكان، ولذا نجد أنه قد وضح لنا في نصوصه عددًا كبيرًا من العلاقات الاجتماعية واضعًا لها قوانين ضابطة تعالج فيها حالات واتجاهات بعينها، فالمتتبع للمسار التاريخي والقصصي للقرآن الكريم يجد تعقيبات كثيرة أولى لها أهمية قصوى تخص المجتمع والعلاقات داخله؛ ابتداءً من الفرد والأسرة حتى المجتمع الكبير في الخارج، فهو يؤكد على أن صلاح الفرد هو صلاح للمجتمع بأسره، فالقرآن الكريم يحث على التحلي بالتربية القرآنية المحمدية وبالأخلاق الحميدة وبالعلوم والمعارف الدينية؛ لأنها عماد بناء المجتمع المتعلم والمثقف دينيًا، الذي يفهم ما يحيط به من دون تعصب وجهل ومغالطة، فالنظام الاجتماعي القرآني يقر بوجود قواعد واضحة لمحاربة كل أنواع الظلم والجور والفواحش داخل المجتمع، فالحاكم الظالم يؤثر سلبًا على الحياة الاجتماعية والأسرية للأفراد، والفرد الطالح يؤثر سلبًا على البناء التكويني للأسرة لكونه نواة المجتمع، فإن صلح الفرد صلحت الأسرة وإن عصى وعمل الفواحش فقد هدم البناء الأسري الصحيح، فالقرآن الكريم يرسم الحياة الكريمة للأفراد، حياة الفضيلة النقية الخالصة بعيدًا عن كل ما ينغص الحياة الإنسانية من مغريات وشهوات دنيوية مؤقتة وجعل المعيار الحقيقي للتفاضل والتكامل هو التقوى، ولذا نجده تعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ سورة الحجرات: ١٣، فكرامة الفرد ومكانته عند الله تعالى ترتبط بمدى التقوى التي يحملها الفرد ويطبقها على أرض الواقع، وهذا ما ينعكس إيجابًا على جميع العلاقات الاجتماعية، كعلاقة الزوج بزوجته وأبنائه وما يحيط به من مجتمع.

الكلمات المفتاحية: أنماط العلاقات الاجتماعية، المنظور القرآني

Summary:

The Holy Quran is the source of Human beings' integral life in all aspects (social, political, economic, cultural, and others), and what we are concerned about here is social relations, in which the Holy Qur'an is inseparable in all of its parts without using effective solutions of building a social approach fit for all lifetimes (Adverbs of times and places), so we find that Quranic texts have shown us a lot of social relations, putting rules that address specific situations. The historical and storytelling trackers of the Holy Quran find many comments that have the utmost importance to society and its relations within; Starting with a single human being and a family, to the whole of society, it affirms that society's status depends on the people within. The Holy Qur'an urges for the prophet Mohammed Quranic-education, good morals, science, and religious knowledge; Because it is the mainstay of building a religiously well-educated and cultured society, which understands things without any fanaticism, ignorance, and fallacy, The Social Qur'anic admits that there are clear rules for facing all kinds of injustice, and abominations within society Because the unjust ruler adversely affects the social and family life of the people in the Society and the wrong person who adversely effects on the society's formative structure as he the society's nucleus.

So if the person in any society becomes good, the whole family shall be good either, and if they did the opposite that will break the right structure for the family. The Holy Quran draws people's decent life, the life of truly Pure-virtue, abandoning all kinds of what makes life bad-black of temporal abominations and Lusts, and makes piety the true criterion of perfectionism, as Allah says:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

"Indeed, the noblest of you in the sight of Allah is the most righteous of you (Al-Hujjurat 13)". The dignity and importance of any Human being in Allah's sight are linked with their piety in real life, which is positively reflected in all social relations in society.

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وخلق الأشياء ناطقة بحمده وشكره،
والصلاة والسلام على نبيه محمد المشتق اسمه من اسمه المحمود، وعلى آله الطاهرين
أولي المكارم والجود، وعلى أصحابه الكرام (المنتجبين).

أمّا بعد:

فالمعروف عن الإنسان أنه يرغب التجمع بفطرته، ورغبته هذه جعلته يبحث عن
العلاقات مع محيطه، فالله تعالى ميّزه عن خلقه فوهبه العقل والإدراك؛ ليتواصل مع
غيره على وفق القواعد والتشريعات الإلهية المتمثلة بالديانات السماوية التي كرمته
ورفعت درجاته، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ سورة الإسراء ٧٠، لقد جعل تعالى كل
شيء مسخر لبني البشر، ولعل التفكير بخلق الله تعالى من أرض وسماء وبحار وأشجار
وغيرها شواهد حيّة على انطباقها مع تطلعات ورغبات وحاجات الإنسان، وبما أنه لا
يقوى على العيش لوحده، نزع إلى تكوين أسرة لحفظ النسل والقيم والأخلاق والعمل
على الاهتمام بها، فالأسرة هذه هي أول المجتمع، ومن هذا التجمع تتفاعل العلاقات
الأسرية والاجتماعية لتخلق بيئة اجتماعية متنوعة، وهذا التنوع الاجتماعي يأتي نتيجة
اتساع نطاق المجتمع وتعدده، وبهذا يحق القول بأن العلاقات العامة أو الخاصة داخل
المجتمع وجدت مع وجود كيان الإنسان، وقد نوّه القرآن الكريم على جملة من العلاقات
التي تربط المجتمع الصالح: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، خطاب يحث فيه تعالى على ضرورة الإيمان به أولاً

وتشريعاته التي شرعها من طريق الأنبياء والرسل، وطبيعة العلاقة ما بين الفرد والآخر التي تبنى على أساس المساعدة والمودة وغيرها.

إنَّ الكمال والشمولية والعظة والإرشاد التي عليها الدين الإسلامي تجعله الدستور والمشرع لطبيعة العلاقات ما بين الإنسان ونفسه، والإنسان وغيره داخل الأسرة وخارجها، فالفرد هو نواة المجتمع وقوته تُحدد على وفق إيمانه القاطع بالتشريعات الإسلامية الصحيحة، وبما أنه هو نواة المجتمع فالواجب عليه تقوية شخصيته ليقوى المجتمع من طريقه؛ لأنَّ ضعف الفرد يعني ضعف المجتمع وتفككه وانحلاله، فالإسلام يدفع باتجاه تخلص المجتمع من الآفات والأمراض المجتمعية المقيتة وإحلالها بحسن العشرة بين الأفراد والاستقامة وسمو الأخلاق والمساعدة وحب الآخر كما تحب لنفسك وغيرها، وهي أدوات لبناء المجتمع وتزيد من ترابطه، وتعد من الواجبات على الفرد إذ ما أراد أن يهنئ بعيشته وصلاحها في دار الدنيا، لأنَّ غرس المبادئ والتشريعات الإلهية والفضائل الحميدة في الفرد وهو النواة، سينعكس إيجاباً على الأسرة والمجتمع، وهي بلا شك سبل قويمه موصلةً إلى رضا الله سبحانه وتعالى.

المبحث الأول- العلاقات الأسرية: الزوج والزوجة - الأبناء - الإخوة

توطئة:

للعلاقات الأسرية والاجتماعية في القرآن الكريم أهمية كبيرة؛ لأنَّ الأسرة هي المسؤولة مسؤولة مباشرة على بناء المجتمع، ولذا اشتمل في نصوصه على عدد كبير من التشريعات والقوانين الإلهية الحاكمة والضابطة لشؤون الإنسان بوصفه فردًا وجماعات، فقد نظم القرآن الكريم الحياة الزوجية بشكل يتناسب مع قيمة الزوج والزوجة ومكانتهما داخل التجمع البشري، وكذلك طبيعة العلاقة ما بين الأزواج وأبنائهم، والعلاقة ما بين الإنسان والآخر من بني جنسه على مبدأ الأخوة الذي أقره القرآن، وهذه الأنماط الاجتماعية وضوابطها كان الهدف منها هو البناء الصحيح للمجتمع على وفق شمولية الدين الإسلامي وعالميته لجميع نواحي الحياة الصغيرة منها والكبيرة، وهذا ما سنتوقف عنده على وفق ما طرح من أنماط اجتماعية داخل البحث، كالعلاقات داخل الأسرة والمتمثلة بعلاقة الزوج والزوجة والأبناء وعلاقات خارج إطار الأسرة والمتمثلة بعلاقة الإخوة، وبحسب ما موضح في أدناه:

أولاً- العلاقات الزوجية:

الزواج من الآيات الإلهية العظيمة الدالة على عظمته وبديع خلقه، وهي من الضرورات الكفيلة بحفظ النسل البشري واستمراره، لذلك نجده تعالى يعدها من الروابط الحصينة المنيعة للاستمرار ولحماية الفرد والمجتمع من الانزلاق نحو هاوية الشهوات والنزوات المحرمة، التي تفسد الأخلاق، فمن عجائب خلقه بعد اقتران الزوج بزوجه يصور الجنين في رحم أمه، فيقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^(١)، هذه من آياته العجيبة التي دلنا عليها تعالى بخلقه وصورها بالكيفية التي أرادها، فعلاقة الزواج التي تحدث بتلاقي الزوجين لتكوين الأسرة هي الامتداد الطبيعي

(١) سورة آل عمران: آية ٦.

لوجود واستمرار الحياة التي أعقبها بقوانين طبيعية وتشريعات إلهية حاكمة لاستمرار النسل البشري، ولبناء مجتمع صالح يسوده العدل والاستقرار.

وللحفاظ على العلاقة الزوجية يتطلب خطوات عملية فعلية يتبادلها الطرفان لأجل استمرار الحياة الزوجية المتماسكة، خطوات تتسم بالحب والاهتمام والرعاية، والتخلي عن الخلافات قدر الإمكان ومنح الفرصة لكل منهما للتعبير عما بداخلهما بكل حب واحترام، فرابطة المودة والمحبة والتفاهم هي الكفيلة لاستمرار هذه السنة الإلهية لأمد أطول، ولقد جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾^(١)، أي أن الله تعالى خلق معشر بني آدم (الذكر والأنثى) من نفس واحدة ومن نوع واحد ليسكن الزوج إلى زوجته التي ترزق منه حملاً خفياً^(٢)، وجاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٣) فالعلاقة القائمة على الأسس الصحيحة التي رسمها القرآن الكريم هي الكفيلة باستمرارها بشكلها الأمثل حتى يأذن الله تعالى.

فالزوج الصالح الرحيم بأهله الخلق مع زوجته والعطوف عليها، لا فظا غليظا معها لا يغتمم ضعفها أمامه وحاجتها إليه يغفر لها هفوتها، سيكون اللبنة الأولى لبناء أسرة ومجتمع متماسك^(٤)، ففي القرآن الكريم يحث الله تعالى على المعاشرة الطيبة المبنية على المعروف، يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَبِئْسَ جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٥)، فهذا جزء من إكرام المرأة وتعظيم دورها، وكذلك الزوجة الصالحة عليها واجبات مماثلة تبادلها إياه من دون كلل أو ملل، وهذا ما أشار إليه تعالى

(١) سورة الأعراف: آية ١٨٩.

(٢) الطباطبائي، الميزان، ج ٨، ص ٣٧٤.

(٣) سورة الروم: آية ٢١.

(٤) ينظر: الصدر، محمد، الأسرة في الإسلام، دار البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان،

١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص ٢٩-٣٠.

(٥) سورة النساء: آية ١٩.

بقوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰ هُنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١) فمثلما على الرجال واجبات تجاه أزواجهم، على الزوجات أيضًا واجب تجاه أزواجهن، والمعيار الذي يجب أن يتصف به الفرد ذكرًا كان أم أنثى هو الالتزام بالعمل الصالح؛ لأنَّ هذا العمل يؤدِّي بالذكر والأنثى إلى الحياة الكريمة والطيبة والجزاء الحسن في الدار الدنيا والآخرة، فيقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، فالحياة الطيبة والجزاء الحسن الذي وعد به الله تعالى ينعكس إيجابًا على حياة الفرد والأسرة والمجتمع، كيف إذا كان هذا الأمر يتحقق داخل الأسرة الواحدة؟ كيف إذا تحقق بين الزوج والزوجة؟ لاشكَّ أنه ينتج أسرةً صالحةً ومجتمعًا صالحًا مؤمنًا بالله وتعاليمه وتشريعاته.

إنَّ القرآن الكريم يدعو إلى الاهتمام بالفرد والأسرة لإنتاج وضع مجتمعي أفضل، ولذا نجده قد وضع خطأً بيانياً يوضح فيه آليات التعامل بين الزوج وزوجته، وهذه الآليات هي الكفيلة بشكل قاطع بتنشئة أسرة تتمتع بنظام محكم لا يشوبه أي شائبة، فالمجتمع الذي أراده القرآن الكريم هو المجتمع المتماسك المتراص وهذا لا يتحقق من دون التركيز على اللبنة الأولى وهي لبنة الأسرة المتمثلة بالزوج والزوجة، إنَّ ما نجده في يومنا المعاصر وفي بعض الحالات الشاذة، أسر مفككة ومنهارة فما هي إلا دلائل واقعية لابتعاد الأسرة عن ضرورة من ضرورات التعامل ما بين الزوج وزوجته، إنَّ القرآن الكريم يُشير في نصوصه المقدسة إلى ضرورة الاختيار النوعي لشريكة الحياة أو لشريك الحياة، المبني على الإيمان بشرع الله تعالى، ومعيار ذلك هو التقوى والصلاح، كذلك الاحترام المتبادل بين الطرفين، وهذا ما ن فقدُهُ اليوم عند الإقبال على الزواج، وهو السبب الرئيس لتفكك الأسرة وانهارها.

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٨.

(٢) سورة النحل: آية ٩٧.

ثانياً - علاقة الآباء بالأبناء:

أشار القرآن الكريم إلى بداية التكوين الأسري في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١) ففي الآية مضامين التكوين الأولي للأسرة، القائمة على أساس التقوى والإيمان بالله تعالى، وهو خطاب موجه للنفوس المتحدة في الحقيقة الإنسانية من دون أي اختلاف فيما بين الرجال منهم والنساء والصغار والكبار، فالله شرع الطرق الواضحة لهداية الناس وتمام سعادتهم على وفق الأحكام والقوانين الإلهية التي ألهمها إياهم تعالى للناس، لتسهيل طريق حياتهم وحفظ وجودهم وبقائهم^(٢)، وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم نجده سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين الذين التزموا بشرع الله، وتبعهم أبناؤهم بتأثير وحث من الآباء، فيقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٣)، فالأبناء أمانة في أعناق آبائهم ينبغي أن يصونوها وألا يفرطوا في أدائها رعاية وإرشاداً وتوجيهاً^(٤)، فتعد هذه العلاقة أقوى رابطة بعد حقه سبحانه مباشرة، وهي كما تقوم على العاطفة تقوم أيضاً على الواجب الكبير، فبر الوالدين من أوجب الواجبات على المسلم، فلا يقدم بعد حق الله تعالى أحداً على والديه أبداً، وإذا لم يرع هذه الصلة الوثيقة فقد يخلق الله له أولاداً يعقونه^(٥)، إن تعزيز المودة والمحبة تجاه

(١) سورة النساء: آية ١

(٢) ينظر: الطباطبائي، الميزان، ج ٤، ص ١٣٤-١٣٥.

(٣) سورة الطور: آية ٢١.

(٤) ينظر: عكاشة، رائد جميل، وآخرون، الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، دار الفتح للدراسات والنشر، ط ١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥ م، ص ٥٧ - ص ٥٩.

(٥) ينظر: الجلال، عبد الله الحمد، العلاقات الاجتماعية في القرآن، دار السلام للنشر والتوزيع، ط ١، الرياض، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م، ص ٢٩.

الأبناء والشعور بالمسؤولية التي أكدّها الإسلام ضمن دوائر عدة، أهمها دائرة مسؤولية الأهل عن أبنائهم، ومن ناحية أخرى تزداد أهمية هذا الحكم تربوياً في حال افتراق الأم والأب عن حياتهم الزوجية، إذ يتأثر الطفل في حالة الانفصال هذه فيؤثر في تكوينه النفسي والاجتماعي، فراعى الإسلام ذلك وأوجب ضرورة حضائته مراعاة للفطرة البشرية والتكوين الجيلي للإنسان السوي، إذ إنّ الطفل الصغير والمجنون والمعتهو يحتاجون إلى صبر ورعاية واسعة وشفقة محيطية في جميع شؤون حياته^(١).

الأسرة مُلزّمة بتوفير الجو المناسب لأبنائها من طريق زرع الالتزام الديني والتقوى والأخلاق الحسنة؛ لأنّ وجود الإنسان في الحياة يُبتنى على هذه الأسس الرصينة بحثهم على ترك الموبقات والمحرمات، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٢) والمقصود بقوله تعالى: هو أنّ الإنسان المسلم ملزم بحماية نفسه وأهله والأقرب فالأقرب من الخوض بما حرّم الله، وأن يكون مسلكهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والامثال لطاعة الله تعالى^(٣)، وهذا ما أكّد عليه أهل البيت عليهم السلام، إذ قال أمير المؤمنين علي لابنه الحسن عليه السلام في وصيته له: «أوصيك بتقوى الله أي بنيّ ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره... أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزّهادة وقوة باليقين ونوره بالحكمة»^(٤) وهذا هو ديدن الأئمة عليهم السلام، وهي شواهد شاخصه فيها الدروس والعبر نتعلم منها بناء أسرة متكاملة مؤمنة إيمان حقيقي بالله تعالى وبتشريعاته، فضلاً عن ذلك على الآباء إشباع حاجات الأبناء النفسية من طريق جعلهم يشعرون بأنهم محبوبون ولهم مكانه كبيرة داخل الوسط العائلي، وزرع الثقة

(١) ينظر: نصيرات، رائدة خالد، وآخرون، المضامين التربوية لأحكام الحضائنة في الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية الأردني، دراسات: علوم الشريعة والقانون، مج ٤٦، ١٤، ٢٠١٩، ص ٥٤٣.

(٢) سورة التحريم: آية ٦.

(٣) الطوسي، التبيان، ج ١٠، ص ٥٠.

(٤) الصالح، صبحي نهج البلاغة، ٣١.

بالنفس؛ لأنّها تؤثر على نفسية الأبناء، بمعنى عندما تكون علاقة الأم والأب متماسكة ويسودها الحب والاحترام هذا يعني أنّ المحيط الأسري بأجمعه سيشعر بالأمن والأمان، وهذا ينعكس إيجاباً أيضاً على الأشخاص المحيطين به من خارج الأسرة، ولذا سيتم بناء القاعدة الأساسية وهي الأسرة على أسس متينة تسهم ببناء الحلقة الأقرب والأوسع وهو المجتمع وهكذا.

إنّ التركيز الكثير على الأسرة في القرآن الكريم جاء بناءً على أنّها تمثل البيئة التي يكتسب فيها الأبناء قيماً دينية وأخلاقية وتتشكل معها المعايير الأولى للعادات والسلوكيات الأسرية، كذلك تركز على مهمة الأسرة بصورة رئيسة في القيام بالتنشئة الاجتماعية التي تعد الأبناء نواة المجتمع المتكامل ديناً وأخلاقاً وقيماً وسلوكاً.

بعد أن وضع القرآن الكريم القوانين الحاكمة فيما بين الأزواج انتقل إلى الآليات الأخرى التي يتوجب أن تكون حاكمة داخل الأسرة، فدعوة القرآن الكريم للفرد إلى ضرورة أن يقي نفسه من الشبهات والمفاسد، ومن ثمّ تطبيق ذلك على أهله وزوجته وأبنائه وهي دعوة صريحة لتطبيق شرع الله تعالى، لغرض الحفاظ على النظام الطبيعي والفطري داخل الأسرة؛ لتكون نواة صالحة متدينة.

ثالثاً- علاقة الإخوة في الإسلام:

يحثُّ القرآن الكريم في آياته على ضرورة التحلّي بالمحبة والاحترام فيما بين بني البشر، وهو شعور فطري يولد في نفس الإنسان لغرض الابتعاد عن كلّ المظاهر المسببة للتناحر والفرقة، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، وهذا هو القانون الكلي لكلّ زمانٍ ومكانٍ الذي تحدث عنه القرآن، فهو يدفع بجميع المؤمنين والمسلمين بضرورة أن

(١) سورة الحجرات: آية ١٠.

يتصالحوا فيما بينهم إن وقع النزاع للإلغاء الخصومة والتناحر^(١)، إن تجاوز الخصومات والدفع نحو الأخوة التي رسمها القرآن الكريم يعني خلق أسرة متماسكة وبيئة صالحة وخصبة، وهذا هو مطلب الحياة الاجتماعية الصحيحة والسليمة، يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٢)، لقد جمع الإسلام القلوب بعد أن كانت مختلفة ومتناحرة قبله، فأنعم عليهم بالأمن والصفاء وطهارة القلوب والأعمال^(٣)، وهذه هي نعمة الإسلام التي سعى من أجلها لبثها بين بني البشر، ففيها المجالسة الحسنة والكلام الطيب والسريرة النقية والطمأنينة والمعاشرة الرحبة، وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا إخوة بررة كما أمركم الله عز وجل»^(٤)، فالإخوة مرآة يرى فيها الإنسان عيوبه ومآثره فلو فات الأمر ولم يكثر له لعمّ الفساد وازداد الشر وتقلص الخير ونمت الشبهات واستحكمت الشهوات والنزوات، فالتواصل والتراحم والنصيحة مبدأ من مبادئ حفظ الإنسان لنفسه وغيره.

فتعد علاقة الإخوة من أقدس العلاقات الاجتماعية؛ لأنها تسهم ببناء أسرة ومجتمع متماسك شريطة أن لا يكون لعامل المنفعة والمصلحة الشخصية أي دور يذكر، فمراحل الحياة ومحطاتها المتعددة عندما يكون الهدف منها سامياً أي تطبيقاً لشرع الله والتقرب منه سبحانه وتعالى، واحترام إنسانية الإنسان وكرامته، والتي أشار لها تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٥) لا شك أن هذه القواعد والتشريعات الإلهية لو طبقت بشكلها الصحيح ستكون من العوامل القوية والمؤثرة في بناء مجتمع متماسك، فالروابط

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٦، ص ٥٣٦.

(٢) سورة ال عمران: آية ١٠٣.

(٣) الطباطبائي، الميزان، ج ٥، ص ٢٣١.

(٤) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٧٥.

(٥) سورة الإسراء: آية ٧٠.

المتينة بين الأفراد والجماعات هي من يبحث عنها المجتمع الحقيقي.

إن الألفة التي أشار إليها القرآن الكريم ويدعوا لها هي دلائل ايمانية ودلائل سلوكية يوجب على الانسان اتباعها وجعلها ضمن منهاج علاقته مع الاخرين، تسهم ببناء العادات الصالحة والأخلاق الفاضلة وتهذيب النفس وتشذيب العلاقات، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(١). إن اتباع أمر الله والأخذ بدينه يمنح الإنسان قوة باتجاه فعل الخير واجتناب فعل الشر، وهذا يخلق داخل الإنسان روح المودة والتعاون بين أفراد المجتمع مما يشكل مجتمعاً متصارعاً متفاهماً يسوده الحب والاحترام.

إن القرآن الكريم جعل الفرد والأسرة والتعامل فيما بينهم من العناصر الأساسية للتكوين الاجتماعي، ولذا حثَّ كثيرًا على إدراك هذه الأهمية لهذا التكوين، فالله تعالى يضيفي السكينة على القلوب، وهي دافعة نحو الإيمان وزيادته، فيقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾^(٢)، فهي دعوة صريحة من القرآن الكريم لكل بني البشر بضرورة أن تسود علاقة المحبة والوئام والتسامح فيما بين الأفراد؛ لتجاوز كل المخاطر التي تحصل وقد تؤدي إلى هدم المجتمع وتفككه، فالإيمان بالله وبأحكامه ووصاياه لا شك ولا ريب أمّها قواعد متينة لبناء المجتمع المتماسك، فتطبيق السنن الإلهية ومن ضمنها الالتزام بمبدأ الإخوة الذي أكد عليه تعالى، ستخلق مجتمعات غايتها الحفاظ على النسيج الاجتماعي، فالالتزام بالإسلام روحاً وعقيدة ومنهجاً وأخلاقاً وسلوكاً وتعاملاً وغيره سيخلق أفضل التجمعات البشرية، فالمسلمون بعين الإسلام كلهم أسرة واحدة.

يتضح ممّا تقدم أنّ اللبنة الأساس لبناء المجتمع يبدأ مساره من الاختيار الأول

(١) سورة الرعد: آية ٢١.

(٢) سورة الفتح: آية ٤.

لشريك، وهذا ما صرح به القرآن الكريم في آياته التي وضعت شاهداً على طول المبحث، فضلاً عن الرابطة التي تربط الآباء بأبنائهم وبالعكس، ومفاهيم أخرى وردت، ما يُلاحظ في وقتنا المعاصر أن بعض هذه الصلات والروابط قد تغيرت وخرقت على وفق مفاهيم جديدة لم تألفها الأسر سلفاً بهذا الانتشار المروع، فلم يعد الاختيار ولا العلاقة داخل الأسرة تنسجم مع مسؤولية البناء الأسري الصحيح، فمشاغل الناس وإهمالهم وتقاعسهم لأسرهم والثورة التكنولوجية المتسارعة التطور والحروب والسياسات الاقتصادية الفاشلة والجهل؛ أصبحت عبئاً ثقيلاً على كثير من العوائل، هذه الأسباب برزت العديد من المشاكل إلى السطح وبشكل لافت، فالطلاق والمخدرات والقتل والسرقات والعدائية وعدم تقبل الآخر نتيجة حتمية للتفكك الأسري الحاصل، وحلّ هذه المشاكل قطعاً لن يكون بتلك السهولة التي نتصورها، لكن يمكن تجاوز العديد منها من طريق الرجوع لأسس التي وضعها القرآن الكريم التي وردت ضمن ثنايا المبحث الأول وهي الكفيلة بتجاوز جُلّها.

المبحث الثاني: مقومات العلاقات الاجتماعية: الدين - التربية - العمل

توطئة:

لا شكّ في أنّ القرآن الكريم عرض كثيراً من أنماط العلاقات الاجتماعية في نصوصه المقدسة، وهذه الأنماط فيها ما هو حسن وما هو قبيح، فالأنماط القبيحة حذر منها، لأنّها أداة لهدم الأسرة والمجتمع والفرد، وهي أنماط منبوذة، أما مقومات الأنماط الحسنة فهي السبيل المثلى لبناء مجتمع ملتزم يسوده التدين والاستقرار والتعامل الحسن، وهنا نود أن نركز على ما يُنمي ويبني المجتمعات، فالمجتمع المتدين لا شكّ في أنّه الغاية التي أرادها الله تعالى من خلق الإنسان؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿١﴾، فالإنسان العابد الملتزم بدينه قطعاً سيخلق منه المجتمع الأكثر تطبيقاً لشرع الله وقوانينه، فإنسان ملتزم ومجتمع ملتزم سينتج الكمال الذي ينشده بني البشر، فالمجتمع المتعلم والمجتمع العامل على وفق المبادئ التطبيقية الصحيحة التي حددها تعالى، ستنعكس إيجاباً على التجمعات الأكثر عددًا من الناس، فلو ابتدأنا مع الفرد ومن ثم الأسرة ومن ثم القرية والمدينة والدولة وهكذا صعودًا سيتحقق العدل والمساواة والصدق، وتخلصنا من الظلم والاضطهاد والكذب والنفاق في المجتمعات التي لا تؤمن بالله وشرعه، وهذا ما سنتطرق له تباعاً في هذا المبحث.

أولاً: المجتمع والدين:

الدين من العناصر المهمة في حياة الفرد لامتلاكه القواعد الأساسية والمؤثرة في بناء الفرد والمجتمع، فالأخلاق والمعتقدات والقيم فضلاً عن التشريعات الإلهية المقدسة هي التي تسهم مساهمة فعالة في تنظيم حياة المجتمع بالشكل الذي يوائم ما بين رغبة الإنسان وغاية خلقه، فالله تعالى خلق الإنسان وحباه بالعقل إضافة إلى الرغبات والشهوات التي تحتلججه، وحتى يسيطر الفرد على نفسه ويتحكم بأفعاله وتحركاته ألزمه تعالى بالالتزام بتشريعاته، فالدين هو الذي يهدي العقول ويطمئن القلوب، فيعمل على تماسك العلاقة بين أفراد المجتمع، وله الدور الكبير في نشر السلام والعدل والمساواة ونبذ الخلافات والتعصب.

إنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُنَنًا أَخْلَاقِيَّةً سَامِيَّةً تَعْمَلُ عَلَى تَثْبِيتِ الْأَمْنِ وَنَشْرِهِ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَالْحِفَافِ عَلَى السَّلْمِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ الْمَتْنُوعِ، يَقُولُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِهِ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (٢)، لهذا الدين أصلاً في الكون والخلقة والواقع الحق،

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦.

(٢) سورة الروم: آية ٢٥.

فالإسلام سنة الحياة البشرية والخضوع له هو خضوع وتسليم لإرادة الله التشريعية^(١)، ومن أسلم وخضع لدين الله الواجب، عمل على بناء ذاته على وفق العقيدة الحقة، وبناء الذات على وفق ما ذكر يعني بناء مجتمع كما أراده تعالى أن يكون، فالعلاقة القائمة بين الإنسان وأخيه ومجتمعه ستكون مبنية على أسس وضعها القرآن الكريم، وهذه الأسس تكون قطعاً هي عناصر لبناء المجتمع المترابط.

إنَّ الله تعالى في موضع آخر يأمر بضرورة تحلّي المسلم بالحوار الحسن والحكمة، وقطعاً هذه وسيلة للإقناع بدين الله أولاً ولحفظ ولم الشمل، وهذه هي مبادئ تكوين المجتمع المتفاهم والمتعلم، فقد قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢)، هذه هي الأصول ومنهج المواجهة في الإسلام ضد من لا يعترف به، فالحكمة بمعنى العلم والمنطق والاستدلال، وهذا ما يمنع الإنسان من الوقوع بالفساد والانحراف، فضلاً عن الموعظة التي تمثل تحريك العاطفة والأحاسيس الإنسانية لتوجيه الناس نحو الحق، ومن ثم الجدل بالأحسن وهو السبيل لقلع الشبهات والأفكار المغلوطة العالقة في الأذهان، هذه الخطوات تحفظ الأبعاد الإنسانية السليمة عند المناظرة^(٣)، نجد هنا الإشارة الصريحة التي أشار إليها القرآن الكريم، إذ يتوجب أن يتحلّى المجتمع بقيم دينية وإنسانية تحفظ له وجوده وإنسانيته من دون الإساءة له حتى وإن كان مختلفاً في الدين والعقيدة، فالتصور الذي يحمله الإنسان في نفسه وفطرته أراد القرآن الكريم تغييره واستبداله بما يمليه عليه النص القرآني الذي يدعو إلى الألفة والمحبة والتفاهم على وفق المنطق العلمي السليم وطرق الاستدلال المقنعة، فعلى الرغم من الأهمية العظيمة للدين داخل النفوس إلا أن الدعوة لقبول هذا الدين أو المعتقد لا تنسجم مع الطرق

(١) ينظر: الطباطبائي، الميزان، ج٩، ص ٢٤١.

(٢) سورة النحل: آية ١٢٥.

(٣) ينظر: الأمثل، الشيرازي، ج٨، ص ٣٦٩.

الملتوية التي تؤمن بقوة السيف أو الاجبار.

الواضح عبر ما تقدم أن الدين والالتزام به من أولويات الوجود والغاية الإنسانية، فهو من يقبى الإنسان من الوقوع بالأخطاء والمعاصي، فأساس نجاح الإنسان يكمن في مدى التزامه وتطبيقه لما أمر الله تعالى، ولا بدّ من القول إن الالتزام بالتشريعات الدينية يسهم ببناء المجتمع وتطور أفراده، لما يمتلكه من عناصر إيجابية قوية ومؤثرة، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، التحلي بالإيمان الحقيقي من قبل المجتمعات الإنسانية يزيد الخير والبركة والنماء، وهو السلوك الأمثل والمساعد لاستمرار عطاء الله وبركاته عليهم.

إنّ فهمنا الحقيقي للدين وغايته هو السبيل الأمثل للعيش معاً حياة سعيدة وهانئة يسودها السلم والسلام والأمان، فبالإضافة إلى التطبيقات التشريعية العبادية هنالك تطبيقات أخرى، تتمثل بطبيعة التعامل مع الذات والآخر على وفق القواعد الأخلاقية التي جاء من أجلها الإسلام ورسوله الأكرم الذي جاء ليتمم مكارم الأخلاق، إذ يقول رسول الله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٢)، وصور الأخلاق كثيرة، منها الصدق والعفو والتواضع والأمانة والرحمة وغيرها الكثير، فالالتزام بالتشريعات العبادية والمسالك الاخلاقية قطعاً ستسهم ببناء مجتمع إنساني متحاب واع ومنظم.

ثانياً: المجتمع والتربية:

للتربية مكانة مهمة في حياة الفرد والمجتمع؛ لما لها من تأثير مباشر في صلاح المجتمع، فالتربية الصالحة المنبثقة من تعاليم الإسلام يقيناً هي التي تقي من الانحراف والضلال والضياع، فالقرآن الكريم حوى في طياته مبادئ التربية الإنسانية التي تسهم

(١) سورة الأعراف: آية ٩٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٨٢.

بناء مجتمع وتنظيم حياته بما ينسجم مع الأحكام والتشريعات التي أقرها الله تعالى في محكم كتابه، فنجده تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (*) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْآخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١﴾^(١) القرآن هنا يشير إلى آثار التقوى على النفس الإنسانية، وهذا يمثل الجانب العلمي لتربية النفس، فمن يؤمن بالغيب يعني به إيمانه بالعالم الكبير اللامتناه، وهذا يمثل اختلافه عن الحيوانات وعن من يفكر بالماديات فقط، وهو يمثل الخروج عن العالم المحسوس والضيق، فالرؤية الأولى تنشذ الحق والعدل والخير ومساعدة الآخرين، والثانية تنحصر بالاستغلال والاستعمار والمحدودية^(٢)، فالإنسان المتخلق بروح التعاون والمساعدة لاشك سينتج أسرةً ومجتمعاً متحاباً ومتعاوناً، وهذا ما يريده القرآن الكريم ودل عليه في أغلب آياته التي تحث على التدين والأخلاق والتربية، وهي معايير حقيقية للإنسان المتقي، ثم يحث القرآن الكريم في آيات أخرى على ضرورة الاعتصام بحبل الله، إذ يقول تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾^(٣)، وهذه إشارة واضحة للمسلم يتوجب عليه بلزوم الإيمان بتربية ربّه؛ لأنه تعالى يملك كل النعم من خير ونفع وغنى وحياة وموت وغيرها، فالواجب عليه أن يعمل الصالح من الأعمال للوصول إلى السعادة الإنسانية، فإن وجد مجتمعاً متماسكاً وتمسك بحبل الله المتين، فهي دلالة واضحة لبناء المجتمع المتدين، والمجتمع المتدين سوف لن نجد فيه خلافات أو اختلافات تؤدي إلى ضياع الإنسان والإنسانية فيه.

إن الدعوة إلى الله والتمسك بشرائعه يمثل احترام كبير للمواثيق الإلهية السمحاء، وهي عوامل مهمة لرعاية حق الإنسان والمجتمع وهي تربية دينية وأخلاقية بناءه، وهذا

(١) سورة البقرة: آية ٣-٤.

(٢) الشيرازي، الأمثل، ج ١، ص ٧٦-٧٧.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٠٣.

ما ورد أيضاً عند أهل البيت عليهم السلام وهم عدل القرآن الكريم، فنجد الإمام علي عليه السلام يقول: (فاعتصموا بتقوى الله، فإن لها حبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وبادروا الموت وغمرته وامهدوا له قبل حلوله)^(١) وهذا كلام واضح يتضمن تصريح ملزم بالاعتصام بالتقوى الإلهية؛ لأنها المنجية من عذاب الله الذي وعد به من خالف أو امره ونواهيته، ومن ثم إشارة في النص تذكر بأن حياة الإنسان مرهونة بعمله بدار الدنيا، فعلى الإنسان قبل المبادرة بأي عملاً عليه أن يستذكر الموت الذي سيحل به عاجلاً أم آجلاً، فالمبادئ التربوية والأخلاقية عند الإمام لا شك أنها منسجمة تماماً مع ما ورد في النص القرآني، وهي الصالحة فعلاً للمجتمع المسلم المتدين.

إن طلب العلم والتفاضل فيه نوع من أنواع التربية، فالمتعلم بعلم القرآن وعلوم رسوله وآل بيته عليهم السلام أو العلوم الطبيعية الأخرى المفيدة للإنسان لا شك أنها الأساس المتين لبناء المجتمع، ومعيار التفاضل في هذا الأمر أشار إليه القرآن الكريم، إذ يقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)، لا شك ولا ريب في أن لازم رفعه تعالى درجة عبد من عباده على أساس قربته من الله تعالى، فهناك المؤمن وهناك المؤمن العالم، فالأخير هو الأعلى درجة من الأول^(٣)، إن الإشارة القرآنية دالة على ضرورة طلب العلم، وهو جانب مهم بحياة الإنسان بوصفه فرداً أو مجموعات، وهو جزء لا يتجزأ من الدين، فالإنسان المؤمن والمتعلم بتعاليمه تعالى سيكون الأكثر عطاءً والأكثر فائدةً من غيره للمجتمع شريطة أن يستثمر علمه بالشكل الأمثل.

الملاحظ مما تقدم أن التربية وسيلة مهمة من وسائل البناء المجتمعي الحقيقي، وبالذات التربية الصحيحة التي تستند على القرآن الكريم وما ورد عن الرسول الأكرم

(١) نهج البلاغة، ص ٢٨١.

(٢) سورة المجادلة: آية ١١.

(٣) ينظر: الطباطبائي، ج ١٩، ص ١٨٨.

وأهل بيته عليهم السلام، فالفائدة ستعم قطعاً من الإنسان المتعلم أكثر بكثير من الإنسان الجاهل، فالمجتمع الجاهل سيعمد على خرق حدود الله التي وثقها في محكم كتابه، وهذا ما نراه اليوم ببعض المجتمعات الإسلامية التي ابتعدت عن النهج القرآني القويم، فصلاح المجتمع مرهون بصلاح أفراده، وصلاح الأفراد وتربيتهم مرهون بالعلم.

ثالثاً: المجتمع والعمل:

يمثل العمل في الإسلام المحور الأهم الذي يوصل الإنسان إلى غايته وهدفه، ولذا يحث القرآن الكريم عليه ويجعله السلم الذي يرتقي به الإنسان ويميزه عن غيره، فهنالك عمل في الدار الدنيا الخاص باستمرار الحياة ومتطلباتها، وهنالك عمل يسعى الإنسان من ورائه للوصول إلى الكمال وإرضاء خالقه تعالى، فالعبادات مثلاً كلها قائمة على العمل للوصول إلى ترويض النفس والإيمان بالله تعالى أن طبقت على وفق القواعد الإلهية الصحيحة، ولا شك أن أعمالنا كلها تُعرض على الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١)، فالحاجة ماسة لإتقان العمل الموكل به الإنسان، وإتقانه يجب أن يتواءم مع شرع الله وهذا لا مناص منه؛ لأن الأعمال تعرض عليه تعالى وعلى صفوته التي اختارهم حجج على أرضه، وفي قول آخر يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٢)، فالله تعالى هو الذي جعل الأرض مطاوعة منقادة لكم يمكنكم أن تستقروا على ظهورها وتمشوا فيها تأكلون من رزقه الذي قدره لكم بأنواع الطلب والتصرف فيها^(٣)، نجد أنه تعالى هيأ أسباب الحياة على الأرض، ليعمل عليها بنو البشر وتنتج لهم ما يرغبون، وهي عمارة الأرض وإنباتها، فما يعمله بنو البشر من عمل

(١) سورة التوبة: آية ١٠٥.

(٢) سورة الملك: آية ١٥.

(٣) الطباطبائي الميزان، ج ١٩، ص ٣٥٧.

سيكون محط محاسبة يوم الحساب، فالإنسان يحاسب على ما عمل به في حياته الدنيا، وأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أشار إلى العمل والعاملين القادرين عليه، فقد قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١) ففي الآية تقسيم واضح فمن الناس من هم في حالة المرض وهم ليس عليهم حرج، وآخرون يعملون في الأرض يزرعون ليحصدوا من خير الله وفضله، وآخرون يقاتلون.

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى للعمل والعامل مكانة مميّزة، فالإنسان خلق لأجل العمل في الأرض وعمارتها؛ لغرض كسب لقمة العيش له وسبباً لغيره، والعمل الآخر وهو الأهم التقرب لله سبحانه وتعالى بعباداته من طريق إقامة الفرائض العبادية وهي جزء من وجوده على الأرض، وأيضاً تقديم المشورة والإرشاد والمساعدات المادية والمعنوية للآخرين، وهذا ما أكد عليه رسول الله محمد ﷺ من أن الإنسان العامل عليه أن يُحسن عمله؛ إذ قال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَجِبُ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ)^(٢)، فالعمل سواء كان عبادياً لذات الشخص أو يهيم طرفاً آخر، الله ورسوله يوصي بوجوب اتقان هذا العمل وصلاحه، إذ قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٣)، فالعمل الصالح يحبه الله ورسوله؛ لكونه موافقاً للشرع الإسلامي وهو اللبنة الأساس لبناء حياة سعيدة، وبناء مجتمع صالح متكاتف، وهذا ما نص عليه القران الكريم، إذ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^(٤).

يُعد العمل الصالح ركيزة أساسية في تنمية الشعوب الإنسانية، لما له من دور في بناء المجتمع ونشر التماسك والترابط الاجتماعي، وهو ممارسة إنسانية ترتبط بمعاني

(١) سورة المزمل: آية ٢٠.

(٢) الهندي، حسام الدين، كنز العمال، ح ٩١٢٨.

(٣) سورة الإنسان: آية ١-٣.

(٤) سورة النحل: آية ٧٩.

الخير والنماء عند المجموعات البشرية منذ القدم إلى نهاية العالم، ولذا يبقى الأكثر مقبولية؛ لكونه يصنع مجتمعًا متكاتفًا متفاهمًا مطيعًا للتشريع الإلهي، فالعمل الصالح يدخل في كل الأعمال والممارسات التي يقوم بها الفرد للتقرب من الله تعالى وكل أعمال الخير التي فيها صلاح للإنسانية جمعاء، فهو مصدر لتنمية الطاقات البشرية التي تؤدي إلى تطوير العمل بشكل خاص والمجتمع بشكل عام، وتقوية وتعزيز للعلاقات الاجتماعية فيما بين الأفراد والجماعات بكل أنواعها، فالمجتمع يتطور ويسمو بالعمل الصالح الذي أكد عليه تعالى، فالروابط الاجتماعية تزداد قوة ومنعة كلما كان العمل يقع ضمن دائرة الحكم والتشريع الإلهي.

الخاتمة

أولاً: لا شك أن الله تعالى عندما أوجد الخلق ومن ضمن هذا الخلق الإنسان، أراد منه أن يطيعه فيؤتمر بالأوامر وينتهي عن النواهي على وفق التشريع الإسلامي الذي أراده تعالى، لذا وضع جملة من القوانين المنظمة للحياة الإنسانية، فابتدأها بالزواج والأطفال والعلاقة فيما بينهم وشدد على ذلك كثيراً؛ لكون هذه العلاقات هي النواة الأولى لتكوين المجتمع، فإن صلحت العلاقة الأولية الصغيرة ستصلح العلاقة الأكبر؛ لأن البناء الصحيح والمتين يستند على الأساس القوي والمتين، فالاستمرار بعلاقة طيبة وصالحة ومتكافئة لا يكتب لها الوجود من دون التطبيق الفعلي لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، فالزوج الملتزم دينياً والزوجة الصالحة الملتزمة بواجباتها تجاه زوجها وبيتها سينعكس دورهما الإيجابي هذا على ابنائهم، من طريق زرع الالتزام الديني والأخلاقي في نفوسهم مما ينشأ أسرة متكاملة، هذه الأسرة الصالحة المتبعة للشروط الواجب توافرها فيها، ستقيم علاقة طيبة مع المحيط الخارجي، فعلاقة الأخوة من العلاقات المقدسة، فلو اقيمت على أساس المودة والمحبة في الله تعالى على وفق المعايير والأفكار والعادات والقيم الصالحة قطعاً ستنتج مجتمعاً متعاوناً متفاهماً قوياً.

ثانياً: يمتلك الدين القواعد الأكثر تأثيراً على بني البشر؛ لأنه المسهم الفعال في حياة الإنسان، فالأخلاق الرصينة والمعتقدات الحقيقية والقيم الصالحة المستندة على الدين، تعمل بشكل قوي على تثبيت دعائم الأسرة والمجتمع، والمحافظة على السلم المجتمعي من التفكك والضياع والانحلال، ثم يأتي دور التربية الصالحة المبنية على أسس الدين التي تسهم بعدم وقوع الانحراف والضلال الذي أصاب ويصيب المجتمعات التي ابتعدت كثيراً عن التربية الدينية الصالحة، واكتفت فقط على القوانين الوضعية الخاضعة للاجتهاد والتبدل السريع، أمّا العمل المستند على رضا الله تعالى والسير على النهج الذي اختطه بكتبه المقدسة سيزيد الروابط والعلاقات الاجتماعية والذاتية قوة ومنعة، فالأعمال سواء كانت عبادية أو من أجل كسب العيش إذا كانت ضمن القبول والأحكام الإلهية ستسهم ببناء المجتمع الصالح الذي أراده القرآن الكريم في نصوصه المقدسة.

ثالثاً: إنّ مظاهر التفكك الأسري المعاصر اليوم، نتيجة حتمية لأسباب كثيرة منها؛ تغيير النمط المعتاد للأسرة في السابق عن الحالي؛ وأسأبه ذكرناها ومن جملتها الاختيار الخاطيء للشريك، وسوء تعامل الآباء مع الأبناء، والتربية التي تفتقر لمقومات بناء الأسرة الصالحة، التأثير بالنمط الغربي المتمسم بسوء الأخلاق والتعري، فضلاً عن الحروب والسياسات الاقتصادية الضعيفة وعصر التكنولوجيا ومغرياتها، وهذا الحال لا يصلح مالم يتمسك الفرد والمجتمع بثوابت الدين الإسلامي وتشريعاته التي تحفظ الإنسان وكيانه، والافتداء بالقدوة الصالحة الحسنة، هذه القدوة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً، وهم أهل بيت النبوة ﷺ.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على شفيعنا وسيدنا ونبينا المصطفى الأمين، وعلى الأئمة الطيبين الطاهرين.

المصادر:

القران الكريم

١. الجلالي، عبد الله الحمد، العلاقات الاجتماعية في القرآن، دار السلام للنشر والتوزيع، ط١، الرياض، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥.
٢. الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ترجمة: محمد علي آذر شب، مدرسة الامام علي بن أبي طالب - إيران، ١٤٢٦هـ.
٣. الصدر، محمد باقر، الأسرة في الإسلام، دار البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
٤. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٧.
٥. الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، مؤسسة البيت لأحياء التراث، قم - إيران، ط١، ١٤٣١هـ.
٦. عكاشة، رائد جميل، وآخرون، الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، دار الفتح للدراسات والنشر، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥.
٧. الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، تحقيق: محمد جواد مغنية، دار الأضواء بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢.
٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ١٩٨٣.
٩. نصيرات، رائدة خالد، وآخرون، المضامين التربوية لأحكام الحضارة في الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية الأردني، دراسات: علوم الشريعة والقانون، ٢٠١٩.

١٠. نهج البلاغة، مختار من كلام علي بن أبي طالب عليه السلام جمعه الشريف الرضي: مراجعة: صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت و ط ٤، ٢٠٠٤.
١١. الهندي، علاء الدين علي المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: صفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٨٩.



مبادئ التنشئة الاجتماعية للطفل في ضوء القرآن الكريم
وأثرها في مواجهة التحديات المعاصرة

م.د مصطفى علي عدنان الزبيدي

الملخص:

انتشرت في الألفية الجديدة تحديات وأزمات مجتمعية عدّة من صراعات وحروب، ونتابع يومياً الأحداث الكبيرة التي تحدث في دول العالم على الصعيد الدولي بشكل عام وفي العراق بشكل خاص، وما رافق ذلك من أزمات سياسية واقتصادية وصحية واجتماعية، كان لها الأثر بشكل فاعل على تماسك النسيج الاجتماعي للمجتمع، الذي أثر على تربية الأطفال وتنشئتهم الاجتماعية، ومن هذا المنطلق فقد هدف البحث إلى التعرف على «أبرز مبادئ التنشئة الاجتماعية للطفل في ضوء القرآن الكريم وأثرها في مواجهة التحديات المعاصرة»، ولتحقيق هذا الهدف استعان الباحث بالمنهج الوصفي، وقد توصل الباحث إلى جملة من المبادئ المستنبطة من القرآن الكريم التي تعد من أبرز مبادئ التنشئة الاجتماعية للطفل فضلاً عن مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم - التنشئة الاجتماعية - مبادئ التنشئة

الاجتماعية - الطفل - التحديات المعاصرة.

Summary:

Many societal challenges and crises spread because of conflicts and wars in the new millennium as we follow up daily on the major events taking place in the world's nations at the international level in general and in Iraq in particular, and the accompanying political, economic, health and social crises, on social bonds that had an efficient impact on the cohesion of the society's social strength, which in turn, has affected children's upbringing and socialization, and as such, this research aimed to identify "Children's Most distinguished social upbringing principles in the light of the Holy Quran and its impact on modern challenges" So To achieve this goal, the researcher used the descriptive approach and came up with many principles derived from the Holy Quran, which are considered Children's Most distinguished social upbringing principles, in addition to several conclusions and recommendations.

المبحث الأول: التعريف بالبحث

أولاً: مشكلة البحث:

تعد مسألة تربية الطفل وتنشئته اجتماعياً إحدى أبرز الاتجاهات التي تحظى بأهتمام الأنظمة التربوية أجمع ولا سيّما الإسلامية منها؛ إذ إنَّ ما يعصف بواقعنا المعاصر من تحديات وتغييرات على المستوى القيمي الاجتماعي كان لها الأثر في أن يتخلى بعض النشئ عن التمسك بقيمهم الإسلامية.

ففي زمن بدأت فيه الآلة تحل مكان الإنسان وبدأت تهيمن على كل شؤون حياته، وبدأ الإنسان يلهث وراءها من دون تقدير وبُعد نظر لما قد تجلبه هذه الآلة من تأثير على حياة الإنسان وقيمة ومعتقداته وحتى على طمأنينته في حياته العامة والخاصة، لقد أدى ذلك وكما يقال عصر التكنولوجيا إلى ظهور أمور كثيرة ومختلفة في حياة الإنسان، فأصبح البعيد قريب وأصبح الصعب سهل وأصبح المستحيل ممكن؛ واعتز الناس بذلك وأصبحوا يرون المدينة والحضارة في الانترنت والاتصال والستلايت والكمبيوتر، وقد أدَّى كلُّ ذلك إلى اختفاء القيم والعادات والتقاليد الأصيلة من حياة الناس، وبدأت الهموم والأمراض النفسية تغزو المجتمعات، وبدأت الجريمة تزداد بشكل منقطع النظير، وبدلاً من أن يرتاح الإنسان اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ونفسياً أصبح الإنسان يعيش في دوامة وفي «قلق اجتماعي نفسي» وأصبحت الطبقة تتجسد في كلِّ مكان، وباتت الثقافة نادرة وصعبة المنال، ولكلِّ ذلك ومن أجل حياة سعيدة كان لا بد من أن يكون هناك تربية صحيحة وسليمة تغرس وتعزز القيم الإيجابية تسليح الإنسان بالعلم والمعرفة والسلوك القويم ليكون قادراً على مواجهة كل تلك الضغوط والعقبات، وحتى يكون ذلك كله لا بد أن نبدأ التربية منذ الصغر، التي تُعدُّ مرحلة أساسية حاسمة تتشكل فيها شخصية الفرد في مختلف المجالات (جرادات، ٢٠١١: ١٠).

ومن هنا صار -لزاما- على المشتغلين في الجانب التربوي الإشارة والتأكيد على ضرورة وضع مبادئ وأهداف خاصة تتعلق بتربية الطفل اجتماعياً على وفق المنظور القرآني؛ لما له من أثر في صقل الشخصية الإنسانية السليمة في المستقبل، ومن هنا نرى أنّ اقتراح تلك المبادئ الاجتماعية وتحقيقها في الواقع المادي هي ليس الغاية منها التصدي أو رفض تطورات العولمة في قرننا الحالي بقدر ما هو السعي إلى العمل على وفق مبدأ الإصالة والمعاصرة، أي العمل على التمسك بالقيم الإسلامية الحقة والإفادة من وقتنا المعاصر بما لا يتضارب مع قيمنا الإسلامية وعاداتنا وتقاليدينا العربية.

ومن هذا المنطلق فإنّ مشكلة البحث الحالي تكمن في الإجابة عن التساؤل الآتي:
ما أبرز مبادئ التنشئة الاجتماعية للطفل على وفق القرآن الكريم لمواجهة التحديات المعاصرة؟

ثانياً: أهمية البحث:

إنّ الإسلام دين محبّة وترايط وتعاون وتماسك اجتماعي والمتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يجد أنّ أعظم مقاصد الدين هو الدعوه إلى الألفة والترابط مع بعض، ومن ناحية أخرى نجد في القرآن والسنة النبوية اهتماما كبيرا بالتنشئة الاجتماعية فقد بيّنا أسسها ومبادئها، وحثّا على التربية عليها، إذ قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (ال عمران: ١٠٣)، ولذا فالتنشئة الاجتماعية هي الأرضية التي تنمو وتتفتح فيها شخصية المرء فلا تعدوا شخصية المرء إلا انعكاساً لصورة البيئة الاجتماعية حوله، والبيئة الاجتماعية هي نتاج التنشئة الاجتماعية.

ولذا يكتسب البحث أهميته بأنّه يسعى إلى:

١. إبراز أهمية التنشئة الاجتماعية في تنشئة الطفل وتهيئته اجتماعياً للحياة المستقبلية.

٢. ما يمكن أن يخرج به البحث من أسس ومبادئ من شأنها أن تساعد في تنشئة الطفل خاصة، وأن هذا البحث يتوافق مع مرحلة التطور التربوي والاجتماعي الذي يعيشه العراق في الوقت الحاضر.

٣. ما يمكن أن يخرج به البحث من نتائج تثري المكتبات التربوية الرسمية وغير الرسمية بوصفها المسؤولة بشكل مباشر أو غير مباشر عن تنشئة الطفل اجتماعياً بالمجتمع العراقي.

ثالثاً: هدف البحث

يسعى البحث إلى التعرف على «مبادئ التنشئة الاجتماعية للطفل على وفق القرآن الكريم وأثرها في مواجهة التحديات المعاصرة»، وذلك من طريق:

- إبراز الإطار الفكري للتنشئة الاجتماعية.
- إبراز التحديات المعاصرة والمؤثرة في تنشئة الطفل بالمجتمع العراقي.
- تحديد مبادئ التنشئة الاجتماعية للطفل على وفق القرآن الكريم.

رابعاً: حدود البحث:

الحدود الموضوعية: يتحدد البحث بمبادئ التنشئة الاجتماعية على وفق القرآن الكريم، وذلك من طريق استنباط تلك المبادئ من السور القرآنية الآتية: (البقرة- آل عمران - النساء- المائدة - الأعراف - الإسراء- طه - الإنسان- الشورى- الحجرات - الذاريات - الحشر - النور - لقمان - العصر).

حدود بشرية: الأطفال من عمر ٤-١٢ سنة.

خامسا: منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي.

سادسا: تحديد المصطلحات:

١. التنشئة الاجتماعية:

المعنى اللغوي: التنشئة لغة: من نشأ نشوءاً يقال: نشأ الطفل شب وقرب من الإدراك، يقال نشأت في بني فلان أي ربيت فيهم وشبيت بينهم (علي، ١٩٩٩: ١٨٢)

اصطلاحاً: هي عملية تفاعل اجتماعي تتم بين الطفل والقائمين على رعايته من طريق مجموعة من الأساليب يشر بها الطفل ويتأثر بها، وتهدف تلك العملية إلى تربية هذا الطفل ومساعدته على أن ينمو نمواً طبيعياً في حدود أقصى ما تؤهله له قدراته من الناحية العقلية والجسمية والعاطفية والاجتماعية والروحية (شريف، ٢٠٠٢: ٩).

والتنشئة الاجتماعية هي عملية بناء ونمو اجتماعي، وتنمية عادات الطفل ومهاراته فعلاً وسلوكاً قولاً وعملاً، وغرس قيم ومعايير ومثل واتجاهات جديدة يشر بها الطفل ويتمثلها ويستدمجها، لتساعده على امتصاص السلوك السائد والمرغوب في المجتمع الذي يعيش فيه (كباره، ٢٠٠٣: ٦٩).

٢. الطفل:

المعنى اللغوي: هو المولود ما دام ناعماً رخصاً، والطفل أيضاً هو الولد حتى البلوغ وهو للمفرد والمذكر ومؤنثه طفلة (المعجم الوسيط، ١٩٩٣: ٥٨٠).

اصطلاحاً: هم شريحة اجتماعية تتراوح أعمارها بين (٤ - ١٢) عام وتكون تحت المتابعة والرقابة والأشراف من قبل كثير من الأفراد والجماعات، كالأبوين والمعلمين

والمرشدين الدينيين والمصلحين الاجتماعيين، وتتميز هذه الشريحة بخواص بايولوجية ونفسية معينة، منها ضعف الوعي والإدراك وعدم النضوج، ويكون تصرفها على وفق الدوافع والغرائز وليس بالعقل (الخشالي، ٢٠١٢: ٣٨)

المبحث الثاني

المطلب الأوّل: ماهية التنشئة الاجتماعية:

أوّلاً: مفهوم التنشئة الاجتماعيّة:

تُعدّ التنشئة الاجتماعية من أولى العمليات الاجتماعية ومن أخطرّها شأنًا في حياة الفرد، بوصفها الدعامة الأولى التي تركز عليها مقومات شخصيته، وتبدأ هذه العملية منذ ولادة الطفل، فهو في مراحل حياته الأولى لا يعدو أن يكون كتلة من الغرائز والاستعدادات، تتولاه الأسرة بالترويض ليكون كائنًا اجتماعيًا ومواطنًا فاضلًا، فتعلمه لغة الجماعة وعاداتها وتقاليدها، وتكمل الجماعات الأخرى مثل: دور الحضانة، والروضة، والمدرسة، والجمعيات والهيئات، والجامعات، فضلا عن وظيفة الأسرة في تنشئة الافراد (الخشاب، ٢٠٠٠: ٢٠٢).

والتنشئة الاجتماعية هي عملة تشكيل السلوك الإنساني للفرد، وهي عملية تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي، وهي العملية التي تتعلق بتعليم أفراد المجتمع من الجيل الجديد كيف يسلكون في المواقف الاجتماعية المختلفة على أساس ما يتوقعه منهم المجتمع الذي ينشأون فيه، «فهى بالتالي عملية إكساب الفرد ثقافة المجتمع»، فضلا عن ذلك فالتنشئة الاجتماعية هي عملية التفاعل الاجتماعية التي يكتسب فيها الفرد شخصيته الاجتماعية التي تعكس ثقافة مجتمعه، علماً بأنّ المجتمع يقوم بهذه العملية بجماعته ومؤسساته المختلفة، كالمؤسسات التربوية والتعليمية

بما فيها المرحلة الابتدائية والمتوسطة لجعل الصغار أعضاء مسؤولين يُعتمد عليهم وذلك بإكسابهم المعاني والرموز والقيم التي تحكم سلوكهم وبإكسابهم توقعات سلوك الآخرين وفهمها والتنبؤ بها والتفاعل معها بحيوية (حسن، ١٩٩٩: ١٩٨).

ثانيا: خصائص التنشئة الاجتماعية:

من طريق ما سبق عرضه من مفهوم للتنشئة الاجتماعية يمكن استخلاص الخصائص تتسم بها التنشئة الاجتماعية، وهي على النحو الآتي:

١. التنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد من طريق التفاعل الاجتماعي أدواره الاجتماعية والمعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار، ويكتسب الاتجاهات والأنماط السلوكية التي ترتضيها الجماعة ويوافق عليها المجتمع.

٢. يتحول الفرد من طريقها من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته إلى فرد ناجح يقدر معنى المسؤولية الاجتماعية.

٣. هي عملية مستمرة تبدأ بالحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها.

٤. تختلف من مجتمع إلى آخر بالدرجة، ولكنها لا تختلف بالنوع.

٥. هي عملية لا يقتصر القيام بها على الأسرة فقط؛ بل لها وكلاء كثيرون مثل الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق والمؤسسات الدينية ووسائل الإعلام المختلفة.

٦. التنشئة الاجتماعية ليست ذات قالب أو نمط واحد جامد، وإنما يختلف نمطها من بيئة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر، ويعود ذلك إلى أنها عملية تتأثر بكثير من العوامل المجتمعة كثقافة المجتمع ونوعيته والعوامل الأسرية، كالوضع الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي للأسرة، وعدد الأبناء في الأسرة، وترتيب الطفل فيها، واتجاهات الوالدين نحو تنشئة أبنائها، وغير ذلك من العوامل الأخر.

٧. التنشئة الاجتماعية لا تعني صبَّ أفراد المجتمع في بوتقة واحدة، بل تعني اكتساب كل فرد شخصية اجتماعية متميزة قادرة على التحرك والنمو الاجتماعي في إطار ثقافي معين.

٨. التنشئة الاجتماعية ممتدة عبر التاريخ.
٩. التنشئة الاجتماعية عملية إنسانية تهتم بالإنسان من دون الحيوان.
١٠. هي عملية تلقائية، أي ليست من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد؛ بل هي من صنع المجتمع.
١١. هي عملية عامة منتشرة في جميع المجتمعات البدائية منها والمتقدمة.
١٢. هي عملية نفسية واجتماعية في آن واحد، لا تقتصر على الجانب الاجتماعي فقط، وإنما هي عملية لها جوانب نفسية (العمر، ٢٠٠٤: ١٣).

ثالثاً: أهمية التنشئة الاجتماعية:

تبدو أهمية التنشئة الاجتماعية في أنّها المحدد الأساس لمستقبل المجتمع فيها تبنى إطارات الأمة، وتكون لديهم المهارات الحضارية التي تُعطي فيما بعد البعد الحضاري للمجتمع، وتجعل منه أمة متحضرة، أما إذا كان أبناء المجتمع فاقدين للحس الحضاري وللتعامل الإنساني فإن مستقبل المجتمع مظلم، كما أن هناك تغيرات سريعة في المجتمع تحتاج من الإنسان السرعة في التكيف معها، والاستجابة لها، ولا يتم هذا إلا من طريق عملية التنشئة الاجتماعية الهادفة والفعالة خاصة وأنا نعيش عصر سرعة تدفق المعلومات، ولذا تبرز أهمية التنشئة الاجتماعية من طريق الآتي: (أسماء، ٢٠١٥)

١. أنّ التنشئة الاجتماعية هي العملية التي بواسطتها نكشف قدرات الفرد وطاقاته وتؤهله لاستثمارها وترشده إلى كيفية تسخيرها في خدمة المجتمع وأهدافه.
٢. أنّ التنشئة الاجتماعية هي وسيلة لبقاء المجتمع والمحافظة على ثوابته الحضارية، من طريق عملية نقل القيم الحضارية والثقافية والاجتماعية من جيل إلى جيل وتحقيق التواصل بين الأجيال، وهي عملية مهمة لأنها تؤدي إلى بناء الاتجاهات السلوكية السليمة في الأفراد وتحقيق النمو الشامل وتكسب الخبرات والمهارات الاجتماعية واللغة التي هي أداة اتصال بين أفراد المجتمع.

٣. هي عملية لتطوير المهارات والأساليب التي يحتاجها الفرد لتحقيق أهدافه وطموحاته في الحياة، إنها العملية التي توجد الفرد القوي والفعال الذي يستثمر قدراته الذاتية وقدرات مجتمعه فيحولها إلى طاقة وإنتاج يفيد المجتمع، وباختصار التنشئة الاجتماعية تؤدي إلى التنمية الشاملة للمجتمع، ولا يمكن الوصول إلى اكتفاء ذاتي في حاجات المجتمع إلا بوجود العقل المفكر واليد العاملة المجتهدة وهذه الأشياء تنبثق من التنشئة الاجتماعية الفعالة، فيمكن تعبئة القوى العاملة في المصنع والإطارات الخلاقة في الورشات والمكاتب من طريق تربية دافعية الإنتاج في نفوسهم ولا يتم هذا إلا من طريق التنشئة الاجتماعية.

٤. التنشئة الاجتماعية وسيلة للمحافظة على المجتمع وتماسكه وتعاون أفرادها بواسطة نشر قيم الحب والتآخي والتعاطف بين أفراد المجتمع، وكذلك نشر قيم التسامح والتعاون بينهم، فالمجتمعات اليوم مهددة بالتمزق الاجتماعي مما يشكل خطراً على الوحدة الوطنية للبلد الواحد والذي يلم الشمل ويرد الناس بعضهم لبعض. ٥. تمثل قيم الترابط والأخوة المساواة والتي يتم ترسيخها في نفسية المجتمع عبر عملية التنشئة الاجتماعية (اسماء، ٢٠١٥: ٢٢)

رابعاً: أهداف التنشئة الاجتماعية:

تُعد التنشئة الاجتماعية بشكل عام من أبرز المقدرات التي تُعبر عن هوية المجتمعات ومستقبلها وحركتها وفعاليتها؛ بل هي الموجه الأكثر تعبيراً عن آفاقها، فعملية التنشئة الاجتماعية ليست ملئ فراغ؛ بل تُعد من أبرز العمليات المسؤولة عن الاستفادة من إمكانيات المجتمع وتلبية احتياجاته (علواني ١٩٩٧: ٢٨) ولذا تهدف عملية التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق الآتي:

١. إنتاج شخص ذي كفاية اجتماعية، بمعنى إعداد فرد لديه القدرة على التفاعل الاجتماعي الحقيقي مع كل من البيئة الطبيعية والاجتماعية .

٢. إدماج القيم الاجتماعية والخلقية في شخصية الفرد، وتكوين ضوابط مانعة لممارسة السلوك اللامقبول اجتماعياً.

٣. تسعى عملية التنشئة الاجتماعية إلى خَلق ما يسمى بالشخصية المنوالية للمجتمع التي تشير للدلالة إلى أكثر أنماط الشخصية شيوعاً في مجتمع معين.

٤. إكساب الفرد أنماط السلوك السائدة في مجتمعه، ليمثّل القيم والمعايير التي يتبناها المجتمع، وتصبح قيماً ومعاييرًا خاصة به، ويسلك بأساليب تتسق معها بما يحقق له المزيد من التوافق النفسي والتكيف الاجتماعي.

٥. إكساب المرء نسقاً من المعايير الأخلاقية التي تنظم العلاقات بين الفرد وأعضاء الجماعة.

٦. تلقين الأطفال نظم المجتمع الذي يعيشون فيه، منتقلين من التدريب على العادات الخاصة بهذا المجتمع إلى الامتثال لثقافة هذا المجتمع.

٧. تعليم الأطفال الواجبات والقيم الاجتماعية.

٨. تهدف عملية التنشئة الاجتماعية إلى تغيير الحاجات الفطرية إلى حاجات اجتماعية، وتغيير السلوك الفطري؛ ليصبح الفرد إنساناً اجتماعياً يتعلم أخلاقيات المجتمع الذي يعيش فيه ويتقبل المكانة الاجتماعية التي يحددها له المجتمع .

٩. تهدف التنشئة الاجتماعية إلى تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي قادر على التفاعل من طريق احتكاكه بالآخرين.

١٠. في المجتمعات التقليدية يكون أحد أهداف التنشئة الاجتماعية (تأديب) الأطفال، كضمان لازم لبقاء البناء الاجتماعي بنزعتة التي تميل إلى الخط الأبوي وعلاقات الاحترام وخصوصاً طاعة الأبناء للوالدين التي تندرج فيها معايير السلوك الواجب اتباعه والرغبة الشديدة من جانب الكبار في خلق اتجاه طبع يتسم بدمائة الخلق في أطفالهم ومن ثم يجعلونهم يكتسبون الشعور بالطاعة والاحترام تجاههم .

١١. تهدف التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق عملية الضبط الاجتماعي بالنسبة للمجتمع بشكل عام والامتثال لقواعده وقيمه بشكل خاص، وهذا لا يتم إلا بتبني الفرد لقيم الجماعة وثقافتها من طريق عملية التنشئة الاجتماعية، التي تتمثل في نقل ثقافة المجتمع إلى الأفراد.

١٢. إيجاد وإعداد مواطن صالح يستطيع مواجهة الحياة ومشاكلها، حتى يكون نافعا في المجتمع ويعمل على تطويره وازدهاره (شريف، ٢٠٠٤: ١٣).

خامسا: مراحل التنشئة الاجتماعية للطفل:

تعدّد المدارس والنظريات التي عرضت مبادئ التنشئة الاجتماعية ومجالات، ومن ثمّ فإنّ هذا التعدد سينعكس بطبيعة الحال على وجهات النظر التي تناولت مراحل بدء التنشئة الاجتماعية، لذا ومن هذا المنطلق نورد بعض المراحل التي اتفق عليها المتخصّصون في أنّها تمثل بداية التنشئة الاجتماعية للطفل، وهي على النحو الآتي (حسن، ١٩٧٩):

١. مرحلة المهد أو الرضاعة: وتمتد هذه المرحلة من الميلاد حتى نهاية السنة الثانية، وتعد هذه المدة بداية السلوك الاجتماعي؛ إذ يتعلم فيها الطفل التمييز بين الأشخاص والأشياء، فضلا عن ما يديه من اهتمام خاص بوجود الأشخاص الذين يعيشون معه ويقوم بتقليدهم ويحاول استعمال الكلمات ويستجيب إلى الأشخاص من عمره نفسه، كما يعبر الطفل عن بعض مظاهر المنافسة في أثناء اللعب مع غيره من الأطفال.

٢. مرحلة ما قبل المدرسة: تمتد من نهاية السنة الثانية حتى سن السادسة، وفي أثناء هذه السنوات يرتقي الطفل من مرحلة غير اجتماعية نسبياً إلى مرحلة اجتماعية واضحة، ومن بين التغيرات التي تحدث فيها زيادة حجم التعاون بين الأطفال وإدراك العلاقات الاجتماعية وتحديد المركز الاجتماعي، والقدرة على التعبير عن السمات والخصائص التي يجب وجودها او يكره توافرها بالآخرين.

٣. مرحلة التجمع: تبدأ هذه المرحلة تقريباً من السنة السادسة وتستمر إلى السنة الثانية عشرة تقريباً، وفي أثناء هذه المرحلة يتحوّل اهتمام الطفل من البيئة الاجتماعية الأسرية إلى حياة الجماعة ونشاطها التي يكوّنها أصدقاؤه، ويصبح ولاؤه للجماعة من التصرفات الأساسية، ثم حساسية كبيرة للتقبل أو عدم التقبل الاجتماعي، ويبدأ التمايز الاجتماعي في القيام بدوره بين الأطفال، مع مقاومة متزايدة نحو سيطرة الكبار وتدخلهم، وفي هذه المرحلة يبدأ ظهور اختلافات بارزة بين الصبيان والبنات بوصفها نتيجة للعوامل الثقافية بصفة أساسية.

٤. مرحلة ما قبل البلوغ: تبدأ هذه المرحلة قبل أن يجل البلوغ من السنة الحادية عشرة إلى الثالثة عشرة بالنسبة للإناث، ومن سن الثالثة عشرة إلى الخامسة عشرة بالنسبة للذكور، وتتميز هذه المرحلة بخصائص عدّة يبدو فيها السلوك الموجه ضد المجتمع إلى جانب تحلف واضح في عملية التكيف الاجتماعي، فهناك اتجاهات خطيرة نحو الأسرة والآباء والمجتمع، فضلاً عن رغبة شديدة في الانسحاب وتجنب الأصدقاء القدامى والعلاقات السابقة.

٥. مرحلة النضج فيها تبدأ المراهقة وتمتد هذه المرحلة من الثانية عشرة حتى سن العشرين، فهي مرحلة التحوّل من الطفولة إلى النضج، وهي تستدعي إعادة تكوين أنماط سلوكية جديدة تتفق مع مطالب كلّ من حياة الأصدقاء الواسعة والمتنوعة ومجتمع الراشدين الذي يوشك على الاتصال به (حسن، ١٩٧٩: ٣٣٨-٣٤١).

المطلب الثاني: التحديات المعاصرة:

لم تشهد الطفولة العراقية منذ ما يقارب العقود الثلاثة أو أكثر حالة الرفاهية التي يتمتّع بها أطفال العالم؛ بل إنّ حياة الطفل العراقي تشوبها التشنجات والعوز والخوف والقسوة ومستقبل مفعم بالمشؤمات السلبيّة وسط مجتمع فرض عليه أن يكون عسكرياً قتالياً، وجائعاً معوزاً، ولعل هذا يعود إلى أسباب عدة (سياسية، واقتصادية، واجتماعية)

لتلقي بالطفولة العراقية في مستنقعات الفقر والبؤس والعمل الإجباري على حساب التعليم والتثقيف والحياة الهانئة، فالواقع اليومي يدلُّ بوضوح على أنَّ أطفال العراق يعانون أشرس ما يمكن أن يمرَّ به طفلاً في عالم اليوم، فتداعيات الغزو الأمريكي للعراق، ومشاهد القتل اليومي التي طالت الأطفال، والانفجارات والجثث المتناثرة ودوي القنابل والرصاص؛ كلها عوامل تضاعف من مآزق أطفال هذا البلد، وقد تبدو ظاهرة ضياع الطفل العراقي واضحة للعيان منذ عقد الثمانينيات من القرن المنصرم، وزاد ذلك في عقد التسعينيات حيث الحرب والحصار اللذان عصفا بحياة حوالي نصف مليون طفل عراقي، وقد سلكت الطفولة العراقية مسالك خطيرة جدا بعد احتلال العراق وما صاحب المجتمع من انفلات أمني أخذ شكل الظاهرة من طريق العنف وما أفرزه من صور دامية ستحتفظ بها ذاكرة الأجيال لمدد لاحقة (البياتي، ٢٠١٣: ١١٥).

ومما سبق ذكره يتضح أنَّ الأحداث التي مرَّت على العراق خلال العقود المنصرمة كان لها الأثر في تدهور البلد بمختلف مجالاته، ولاسيما الاجتماعية منها، من طريق تحديات عدة، يعمل الباحث على التطرق إليها وهي:

أولاً: التحديات الاجتماعية:

انتشرت في الألفية الجديدة أزمات مجتمعية عدة من صراعات وحروب، وتتابع يومياً الأحداث الكبيرة التي تحدث في دول العالم على الصعيد الدولي بشكل عام وفي العراق بشكل خاص، وما رافق ذلك من أزمات سياسية واقتصادية وصحية واجتماعية، كان لها الأثر بشكل فاعل على تماسك النسيج الاجتماعي للمجتمع الذي أثر بدوره على تربية الأطفال وتنشئتهم اجتماعياً؛ إذ توضَّح البيانات الإحصائية أنَّ عدد الأحداث المودعين في وحدات إصلاح الأحداث قد ازدادت من (٦٧١) عام ١٩٩٠م إلى (٢٧٨٦٩) عام ٢٠٠٠م نتيجة للحصار الاقتصادي والآثار الاجتماعية المترتبة عليه

والناجمة عن التفكك الأسري، وحالات الطلاق والوفاة، والمشاكل الأسرية بين الأم والأب، أمّا الآثار النفسية فقد تمّ استقصاء هذه الظواهر والحالات الانفعالية الأخر لدى الأطفال من طريق استبانة لهذا الغرض وطبقت على عينه مؤلّفة من (٢٠٠٠) طفل في العراق والمتعلمين والمرشدين وبرزت الظواهر النفسية ذات الصلة بها الناجمة عن الحصار الاقتصادي المفروض على العراق والحروب التي تلتها بالنقاط الآتية:

١. الشعور بالخوف والقلق.
٢. السرقة.
٣. العزلة الاجتماعية والانطواء.
٤. الإحساس بالتهديد والخطر.
٥. حدة الطبع وسرعة الغضب.
٦. عدم تحمل المسؤولية (الجلبي، ٤: ٢٠٠٤).

ومن أبرز مظاهر الانتهاكات النفسية والاجتماعية التي تعرض لها الطفل العراقي في الحروب المتتالية التي شهدتها العراق:

١. سوء التغذية: إذ تضاعفت نسبة الأطفال العراقيين الذين يعانون من سوء التغذية، وهذا ما حدّث منه صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة اليونسيف في مايو لسنة ٢٠٠٣ من أنّ أكثر من (٣٠٠) ألف طفل عراقي يواجهون الموت بسبب سوء التغذية.
٢. واقع التعليم والظرف الأمني: فالظرف الأمني المتدهور رسم صورة وخيمة لواقع التعليم في العراق، بسبب التفجيرات والعمليات العسكرية المستمرة.
٣. أطفال الشوارع والأيتام: تضخم جيش «الأيتام» في العراق، مما زاد من وضعهم سوءاً؛ إذ إنّ هناك من الذين فقدوا آباءهم وأسرههم في أثناء الحرب أو بسبب أعمال العنف المنتشرة، فضلاً عن أطفال الشوارع الذين فقدوا أسرهم أيضاً أو هربوا نتيجة الإنفلات الأمني، أو دفعتهم بعض الأسر للبحث عن الرزق في الشوارع بدلاً من التوجه إلى المدارس.

٤. الحروب التي مرت على العراق: يقع أطفال العراق ضحايا لهذه الحروب، فإن لم يستشهدوا فيها ويموتوا من دون ذنب فإنهم يتجرعون كأس مراراتها من الحصار والفقدان وخوف الحرب الذي يحفر في ذاكرتهم، ولن يستطيعوا نسيانها مدى أعمارهم، ولا سيّما أنّهم يشاهدونها صوراً حية تمثل بشاعة القتل بأقسى صورته، خاصة لو طال الموت عزيزاً أو قريباً للطفل، وإذا كان الكبار يتحملون الصدمات الحربية مع ألمها ومعاناتها فإنّ الأطفال على العكس من ذلك، فالمشهد المرعب والمفزع الذي رآه قبل سنوات في بلدة من صافرات الإنذار والاسعافات والقذائف والدبابات والرصاص في كل مكان سيبقى متشبّثاً في ذاكرته، وهذا من الأمور الخطيرة جداً؛ إذ إنّ غالبية المتخصصين في علم النفس يؤكّدون على أنّ أخطر آثار الحروب هو ما يظهر بشكل ملموس لاحقاً في جيل كامل من الأطفال سيكبر من ينجو منهم، وهو يعاني من مشاكل نفسية قد تتراوح خطورتها بقدر استيعاب الأهل ووعيهم لكيفيّة مساعدة الطفل على تجاوز المشاهد التي مرّت به (التركماني: ٢٠٠٥: ٤).

إنّ تلك الأحداث التي مرّ بها العراق قبل وبعد سنة ٢٠٠٣م وما رافقها من أحداث أمنية دامية، وانتشار ظاهرة الأطفال المشردين التي أدت إلى ارتفاع نسبة الأميّة تركت آثاراً اجتماعية سلبية كان الأبرز فيها ارتفاع معدلات البطالة بين الشباب، التي تراوحت بحسب الأحصائيات الرسمية بين (٢٩-٣٥٪) وهذه النسبة في تزايد مستمر، وهذا يعني أنّ ثلث أو نصف الشباب لا يحصلون على فرص عمل، وقد ثبت أن استمرار حالة البطالة وما يرافقها من حرمان ومعاناة يدفع الفرد إلى الانحراف ويصيبه الإكتئاب، فضلاً عن ممارسة العنف والجريمة والتطرف والإرهاب (الزبيدي والموسوي، ٢٠٠٩: ١٠٩).

إنّ الاتجاه السالب نحو الطفل بعدم الرغبة فيه وكرهه قبل مجيئه، والاتجاه السالب نحو (جنس الطفل والرفض) أو الإهمال ونقص الرعاية والحماية الزائدة، وشدة التعلق بالوالدين واضطراب العلاقة بين الوالدين والطفل، وعدم الثبات في معاملة الطفل

ومشكلات التظلم والتضارب في الطرق التربوية، والمغالاة في المستويات الخلقية المطلوبة وفرض النظم الجامدة، يعوق عملية التنشئة الاجتماعية السليمة للطفل التي تخلق بدورها الإحباط والتوتر لدى الطفل (زهران، ٢٠٠٣: ٣٢٠).

وفضلاً عن ما سبق ذكره نرى أيضاً أن هناك عوامل آخر كان لها الأثر في عملية تربية الطفل، اجتماعياً، وهي:

١. خروج المرأة للعمل: ففي الآونة الأخيرة تقلصت بعض «القيم والثقافات البالية» التي ورثت عن الأنظمة السابقة وخاصة (التقاليد الاجتماعية المرتبطة بخروج المرأة للعمل والتعلم) واتجاه الناس عموماً نحو التعليم، كما تقلصت بعض الموروثات التي للأسف ما زالت رواسيها تلعب دوراً سلبياً في الحياة الاجتماعية (العمر، ١١٥: ٢٠٠٥)، فعلى سبيل المثال كان شيوخ العشائر في الماضي لا يعيرون التعليم أي اهتمام، لكنهم في الوقت الحاضر يتعاملون مع التعليم بوصفه ضرورة لمسايرة الواقع والمتغيرات الجديدة، والدفاع من طريقه عن مصالحهم التقليدية وتطويرها (رشيد، ٩٣: ٢٠٠٦).

٢. التحولات الاجتماعية: منها «التعليم»؛ إذ تغيرت النظرة التقليدية للمرأة العراقية، فقد أصبحت شريكة للرجل في الحياة العامة، وكفل لها الدستور حق الترشيح والتصويت في الانتخابات أيّاً كان نوعها، وقد فرضت المرأة نفسها في منظمات المجتمع المدني، وتواجدت في كثير من المنظمات والمؤسسات الأهلية، واحتلت مناصب قيادية عليا على الرغم من محدوديتها (القيسي، ٩٨: ٢٠١١).

٣. شدة وطأة الأعمال المنزلية: إنَّ انفعال الأم المرهق بإدارة منزلها كثيراً ما يكون من العوامل المعوقة لها عن إشباع بعض حاجات الطفل ورعايته الرعاية الكاملة.

٤. سوء الأحوال السكنية: إنَّ هناك أسراً تعيش في مساكن (مزدحمة شديدة الضوضاء رديئة التهوية) وغير (متصلة بالمرافق الصحية) ولا يخفى ما تسببه هذه الأحوال من أضرار للأطفال في سنوات نموهم الدقيقة.

٥. الفقر وسوء التغذية: من الأمور التي تعيق الأسرة فقرها الذي لا يمكنها من توفير «الغذاء الصحي الكافي» في مقداره المتزن في نوعه المتكامل من ناحية توفر العناصر الأساسية، والفقر هو سبب أساسي يؤدي إلى انتشار أمراض سوء التغذية.

٦. جهل الأمهات بالتربية السليمة: إنَّ جهل كثير من الأمهات والآباء وعدم معرفتهم بالأساليب السليمة في تربية الطفل، يوقعهم من غير قصد في كثير من الأخطاء التي تؤثر على أطفالهم (شريف، ١٧٧: ٢٠٠٥-١٩٨).

وفي ضوء هذه العوامل، شكلت قضية الطفولة إحد المتغيرات المهمة في التحولات المجتمعية، بعد سلسلة من الأزمات تركت آثار مباشرة وغير مباشرة على المؤسسة الأسرية وعلى الطفولة بشكل خاص، فالأزمات إلى جانب العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية فضلا عن القصور في تعليم الأسرة، وتدني مستواها العلمي والمعرفي وضآلة المهارات المكتسبة كلها عوامل تقلص نطاق الأعمال المتاحة أمام الآباء والأمهات وتضعف قدرة الأسر في الحصول على وظائف تلي احتياجات الأسرة وتحقق لها المكانة الاجتماعية اللائقة، مما تنعكس سلبا على أوضاع الأطفال فتزيد من معاناتهم وتعقد ظروفهم وتسهم في تهميشهم واستبعادهم عن دائرة الاهتمام والرعاية (همشري، ٣٣٥: ٢٠٠٣).

فالأسرة تتحمل المسؤولية الأساسية على رعاية الطفل وحمایته من مرحلة الطفولة المبكرة إلى مرحلة المراهقة، ويبدأ تعريف الطفل بثقافة المجتمع ومهمته وعاداته داخل الأسرة وينبغي، إذا ما أريد تنمية شخصية الطفل تنمية متكاملة ومتناسقة أن ينشأ في بيئة أسرية وفي جو من السعادة والمحبة والتفاهم، وبناء على ذلك يجب على جميع مؤسسات المجتمع أن تحترم وتدعم الجهود التي يبذلها الآباء وغيرهم من القائمين على تقديم الرعاية من أجل تنشئة الأطفال والعناية بهم في بيئة أسرية، إن المشاكل الأسرية القائمة بين الوالدين غالبًا ما تؤدي إلى جنوح الطفل أو شعوره بالحرمان النفسي والقلق وعدم

القدرة على الاستقرار وبروز السلوك العدواني لديه مما يؤثر في صحته النفسية وعلى «أدائه المدرسي» (الديواني: ١٩٩٥: ٧).

ومن هذا المنطلق نقول إنه هنالك ثلاثة شروط ضرورية للتوصل إلى تنشئة اجتماعية سليمة للطفل، أولها ينطوي على أن (الطفل حديث الولادة يدخل مجتمعًا موجودًا بالفعل بقواعده ومعايره وقيمه واتجاهاته وبه بناءات اجتماعية عدة منتظمة)، أما الشرط الثاني فهو (الميدان البيولوجي الذي يسمح لعمليات التنشئة بالحدوث ذلك مثل العقل والقلب)، أما الشرط الثالث يسمى (بالطبيعة الإنسانية وهي تميز البشر عن غيرهم) (عبد الحميد واخرون، ٢٤١: ٢٠١٠).

لذا فإنَّ الدور التربوي للأسرة في انتهاج أسلوب التربية السليمة للطفل لا بدَّ أن يكون على نحو الآتي:

١. إشباع الحاجات النفسية للطفولة خاصة الحاجة إلى الحب والعطف والأمان.
٢. إشباع الحاجة إلى الانتماء وهي من الحاجات المهمة التي تشعر الفرد بأنَّه جزء من جماعة معينة.
٣. تنمية قدرات الطفل ومهاراته وتعليمه التمييز بين السلوكيات المختلفة.
٤. تعليم الطفل المبادئ الأولى لكيفية العيش مع الآخرين والتكيف معهم.
٥. ترسم الأسرة لأفرادها حدود الحركة داخل الإطار الاجتماعي العريض من طريق وعيها بموضعها في السلم الاجتماعي.
٦. تكسب الطفل أهم أداة تساعد على الحياة داخل أي مجتمع وهي اللغة التي يستعملها في تلبية احتياجاته.
٧. تعليم الطفل معظم المظاهر الثقافية للعادات والتقاليد وأنماط السلوك المختلفة.
٨. تقوم الأسرة بتصفية ما يتلقاه الأبناء من خبرات وأفكار جديدة من خارجها (جوهر والباسل، ١٤١: ٢٠١٠).

ثانيًا: التحديات السياسية:

إنَّ العوامل السياسية في المجتمع تؤثر على نطاق التعليم فيه، ويمكن النظر إلى البيئة السياسية فيه من منظور وضع السلطة السياسية في المجتمع، والتي يمكن أن تكون في يد حاكم «مطلق» أو في يد «أقلية» أو في يد «غالبية أفراد الشعب» ممثلة في الحزب السياسي، ولكل حالة من الحالات الثلاثة أثرها الواضح على النظام التعليمي، أو أن يكون نظامًا «ديموقراطيًا» يتميز بالتعدد الحزبي، ومن أمثله النظم السياسية الموجودة في الغرب، وإمَّا أن يكون نظامًا «جماعيًا» يقوم النظام السياسي فيه على فكرة الحزب الواحد، وتمثل هذه السياسات المجتمعات الاشتراكية، ولكل من هذه النظم السياسية آثارها الكبيرة في النظام التعليمي، لذا يعد العامل السياسي من العوامل التي تُؤثر في شتى أنظمة الدولة، وتندرج تحت هذا العامل الأفكار والمبادئ التي تقوم عليها السلطة السياسية للدولة كافة؛ إذ يجب أن يتم تعليم الطلاب وتعريفهم بسياسة بلدهم حتى يكونوا قادرين على الانخراط في المجال السياسي لبلدهم، كما أنَّ الحروب والمشاكل السياسية لها دورٌ في التأثير على النظام التعليمي إذ يتم تأجيل الدراسة لمدة حتى تنتهي الحرب.

وهذا ما نلاحظه في المجتمع العراقي، إذا سلطنا الضوء على الأوضاع في بلدنا منذ عام (٢٠٠٣) إلى وقتنا الحالي؛ نجد أنَّ هناك تغيرات كثيرة حدثت في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية انعكست آثارها على طبيعة الفرد والمجتمع، إذ شهد العراق حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمن المجتمعي واشتداد الاستقطاب الطائفي دون توفر فرص يتبلور من طريقها نموذج شخصية إيجابية للشباب، وفي مثل هذه الحالة يتراجع الشعور بوحدة الانتماء إلى ثقافة المجتمع وتاريخه، ويُصِف الشباب العراقيون بأنَّهم جيل فقدوا الإحساس بالهوية العراقية، ومعها فقدوا الإحساس بالثقة ببلدهم ومستقبلهم (وزارة التخطيط: ٢٠١٤، ص ٩٣).

لم نشهد عبر التاريخ القديم والحديث أمة ما تشرك أطفالها في الحروب والأزمات

والكوارث السياسية، ولم يدون لنا التاريخ أن الأطفال كانوا أدوات في معسكرات مخصصة لصقل شخصياتهم وتحويلهم إلى جيش احتياطي مساند للميليشيات المسلحة، وعبر التاريخ لم يتساهل المربون والمعلمون وعلماء نفس الطفل في إخضاع هذا المخلوق «الطفل» لتجربة والديه ونقلها صورة طبق الأصل في العادات والسلوك حتى قيم الثأر واعتناق السياسة، ولم يسجل لنا المؤرخون أن ديناً بعينه أو مذهبا إصلاحيا كان يستخدم أبناءه وقودا للحروب إلا فيما ندر من تجارب، أو حتى لزرع الأحقاد وتنشئتهم على مبادئ معلمهم ومقلديهم حتى إن كانت متخلفة، فكان الأطفال بمنأى عن كل ذلك، وحرّم على الأبوين استخدام القسوة في التربية والخشونة في التوجيه واللجوء إلى العنف في التلقين لكي لا ينشأوا غير أصحاء مرضى في العقول والنفوس، ولكن ماذا تقول الحضارة اليوم لما يجري على أرض العراق تجاه الأطفال، لقد ترك كثير من أطفال العراق مدارسهم بحثا عن لقمة العيش لمساعدة ذويهم لمواجهة شبح الفقر؛ فحلّ التشرّد بهم وضاع الأمل والمستقبل (البياتي، ٢٠١٣: ١٢٠).

فبعد أن كان العراق في مدة ما قبل حرب الخليج يمتلك نظاما تعليميا يعد من أفضل الأنظمة في المنطقة، فقد كاد النظام التربوي آنذاك أن يقضي على الأمية قضاء تاماً من طريق إشراك جميع العراقيين المتعلمين في حملات منظمة لمحو الأمية، وهذا ما جعل المدة الممتدة بين ١٩٧٠ إلى ١٩٨٤ أن تسمى بالمدة الذهبية؛ لانخفاض نسبة الأمية إلى أقل من ١٠٪، إلا أن الحرب التي خاضها العراق مع إيران التي استمرت لأكثر من ثمان سنوات، فضلا عن حرب الخليج جعلت العراق تحت الوصاية الدولية من خلال برنامج النفط مقابل الغذاء، مما أدّى ذلك إلى فرض الحصار الاقتصادي الذي بدوره أدّى إلى ضعف البنى التحتية وإعاقة تقديم الخدمات الاجتماعية؛ مما أثر على قطاع التعليم، إذ شهد انخفاضاً ملحوظاً في الدخل الجمالي للدولة، وأثر على المخصصات المالية للتعليم ونقصت نسب الالتحاق، وبرزت ظاهرة تسرب الأطفال من المدرسة،

وتجدر الإشارة إلى أنه من عام ١٩٨٦ إلى عام ٢٠٠٣ لم تبَنَ أي مدرسة في العراق (اليونيسيف، ٢٠١٤: ١٠).

تلك الأحداث التي مر بها العراق لعقود عدّة من الزمن، من حروب، وحصار وسياسات عسكرية، واحتلال، وإرهاب بمختلف أشكاله، وفقدان الأمن والأستقرار، واحتلال المدن من قبل الجماعات الإرهابية، وعصابات داعش، والأوضاع الاقتصادية المتردية؛ أدت هذه كلها إلى تدهور كبير في شكل التنشئة الاجتماعية للطفل، مما انعكس ذلك في تراجع اكتسابها لدى العراقيين (حتتوش، ٢٠١٩: ٩٨).

ثالثا: التحديات الثقافية:

أي توحيد الأفكار والقيم وأنماط السلوك وأساليب التفكير بين مختلف شعوب العالم بوصفها وسيلة لتوفير مساحة واسعة من الفهم المتبادل والقريب بين البشر وإقرار السلام العالمي، إلا أن هذه العولمة وبحسب المفهوم الغربي تعني السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات من طريق استخدام الوسائط التقنية الحديثة في ميدان الاتصال والانتقال من المجال الوطني او القومي إلى المجال الكوني، وأن هذا المفهوم للعولمة فرض على المدرسة تحديات جديدة أبرزها القدرة على تقبل التنوع والاضطلاع بوظيفة إعداد المواطن للعيش في عالم يسير نحو التجانس، ونحو ترسيخ المواطنة الكونية، وتحقيق التوافق الايجابي لمتطلبات العولمة الفكرية وترتيب الأولويات الثقافية فكريًا وتطبيقًا، وترسيخ الإيمان بالأصالة الثقافية للمجتمع والأمة، والمحافظة على هويتها، والحرص على تنشئة جيل متفتح على الحضارات الانسانية انفتاحًا عقلائيًا، قادر على تحقيق التوازن للتصدي لتعدد وتنوع الأوساط الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، للوصول إلى تحقيق التفاعل الايجابي مع المجتمع العالمي، وترسيخ القيم الإنسانية الرفيعة ومواجهة كل ما يهدد استقرار المجتمع وأمنه (شريف، ٢٠١٤: ٨٨-٨٩).

ومما سبق يرى الباحث ان تلك التحديات باتجاهاتها المتعددة سيكون لها الأثر الكبير في صقل شكل الشخصية الاجتماعية في العراق، لما لتلك التحديات من دور في إكساب الفرد بعض التوجهات الاجتماعية سواء كانت توجهات دخيلة مستوردة من الثقافات الغربية، أو مكتسبة من ممارسة بعض السلوك السائر في المجتمع، إذ إنَّ بعض في المجتمع يجد العذر للسرقة أو التجاوز على الممتلكات العامة بعذر الفقر والعوز، أو يمارس بعض من أفراد المجتمع سلوك غربي بعذر أن هذا يعود للتطور ومتطلبات العصر الحالي، والأخطر من ذلك فإن بعضاً من أفراد المجتمع صار لا يعمل على وفق القيم الوطنية تجاه بلده مبرراً ذلك للأزمات السياسية التي مر بها البلد، ولذا ومن هذا المنطلق نرى أنَّه صار لزاماً علينا الوقوف بشكل جاد تجاه إعادة النظر في عملية تنشئة الأفراد اجتماعياً في مجتمعنا هذا، وأن تكون تلك التربية والتنشئة الاجتماعية مستنبطة من القرآن الكريم بوصفه المنهاج الشامل المتكامل في بناء الإنسان؛ لتحقيق التعايش المجتمعي بشكلٍ سليم.

المبحث الثالث: مبادئ التنشئة الاجتماعية للطفل في ضوء القرآن الكريم:

بالاطلاع على بعض السور القرآنية فضلاً عن الإطار الفكري للتنشئة الاجتماعية وبعض التحديات المعاصرة التي لها الأثر في تشكيل شخصية الطفل الاجتماعية في المستقبل، فقد استخلص الباحث مجموعة من مبادئ التنشئة الاجتماعية مستعينا بذلك بالمنهج الوصفي، إذ اختار الباحث بطريقة عشوائية مجموعة من السور القرآنية وقام بتحليلها والغرض من ذلك هو استنباط بعض المبادئ التي يحتاجها مجتمعنا الحالي، التي تمثل أيضاً الانطلاقة السليمة للأطفال؛ لتحقيق التعايش السليم مع مجتمعاتهم مستقبلاً، وقد توصل الباحث إلى المبادئ الآتية:

١. الإيثار: ينص هذا المبدأ على تقديم مصلحة الآخرين على النفس، والغاية هنا لكسب الحظوظ الدينية لا الدنيوية، لذا إن كان خلف هذا الإيثار منفعة أو مصلحة

دنيوية فلا يعد بذلك إثارة، وقد عرض القرآن الكريم هذا المبدأ في مواطن عدة، منها قال الله تعالى في محكم كتابة الكريم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩).

٢. التسامح: يعد هذا المبدأ من المبادئ الأساسية التي تنادي بها دول ومجتمعات مختلفة، وهو مفهوم يعني العفو عند المقدرة وعدم رد الإساءة بالإساءة والترفع عن الصغائر، والسمو بالنفس إلى مرتبة أخلاقية عالية، لذا هو مفهوم أخلاقي اجتماعي، كما يُعد من أبرز المبادئ التي دعا إليه الرسل والأنبياء والمصلحون كافة، لما له من دور بارز في تحقيق وحدة وتماسك المجتمعات والقضاء على الخلافات بين الأفراد والجماعات، إذ قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠).

٣. الحياء: يُعد من أبرز الأخلاق التي ينبغي أن تتمتع به مجتمعاتنا الإسلامية؛ إذ يفتح جميع أبواب الخير للإنسان، وتكمن أهميته في كثير من الأمور أبرزها أنه يمنح الفرصة للمسلم في الوصول إلى شعب الإيمان الآخر، وكذلك يساعده على التحلي بأفضل الأخلاق، فضلا عن التعمق في الطاعات؛ إذ قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِن آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٦).

٤. التضحية: التضحية التي نقصدها ونريدها هنا فهي ما يستطيع المسلم تقديمه وبذله من النفس والمال والوقت والحياة والجهد وكل شيء ابتغاء مرضاة الله وفي سبيله؛ إذ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياء عند ربهم يُرزقون﴾ (آل عمران: ١٦٩).

٥. التعاون: يعد التعاون من المبادئ النبيلة التي تساعد في تحقيق التكاتف الاجتماعي فهو يشير إلى مساعدة وإعانة الناس لبعضهم بعضًا، سواء أكانت تلك المساعدة على البر

والتقوى أي بفعل الخير واتقاء الشر بالحدز منه، أم من طريق تبادل الخبرات والمهارات والأفكار، قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

٦. التكافل الاجتماعي: هو إلتزام أفراد المجتمع وتضامنهم لإعانة المحتاجين ومساعدة المضطرين، وهو من الأسس والأركان التي يقوم عليها ببيان المجتمع الإسلامي، فالإسلام ينظر إلى المجتمع على أنه كيان إنساني متواصل متراحم، وأن الإنسان فيه يجب أن يحيا حياة كريمة تليق بآدميته، وتتسق مع كرامته الإنسانية، فلا يجوز في نظر الإسلام أن يبقى الإنسان فردا في المجتمع يعاني الجوع ويقاسي الألم، يقهره الحرمان وتذله الحاجة، بينما يعيش الآخرون في رغد وهناء؛ إذ قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الانسان: ٨).

٧. الصدق: يعد الصدق من ضروريات الحياة المجتمعية السليمة، ومن أشرف الفضائل النفسية الإنسانية، فهو بذرة صالحة تغرس في نفس الإنسان وحياته، فتقتلع الصفات السيئة لتثمر ثقة الناس، ويعد -أيضا- من الأخلاق الحميدة الحسنة بوصفه الجوهرة الثمينة في حياتنا العامة، فضلا عن ما يعكسه من طمأنينة وراحة، لما له من آثار جميلة وكبيرة في حياة الفرد والمجتمع أيضا، قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة: ١١٩).

٨. الكرم: يعد الكرم من مكارم الأخلاق ومن أبرز وأسمى الصفات، وقد حثنا عليه ربنا جل جلاله في كتابه الكريم وجعله من دلائل الإيمان، وهو عطاء عن رضا في سبيل البر والمعروف ومن أفضل القيم السامية ويدل على سلامة الطبع وصفاء القلوب، ونزاهة النفس ويحقق التكافل بين أبناء الأمة وينشيء النفوس على فعل الخير وإسداء المعروف، إذ قال الله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ

فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿الذاريات: ٢٤-٢٩﴾.

٩. القناعة: إِنَّ الإنسان الذي يقنَع فيما آتاه الله ورزقه سيكون حال لسانه دوام اللهج بشكر الله تعالى وحمده على تلك النعم التي وهبه إياها، أما من لم يرَضَ ويقتنع بما أعطاه الله فسيكون دوام حاله التّدمر وتعداد ما ينقصه ويتمناه، وفي هذه الحالة سيصبح كمن يشكو الله ورحمته للخلق الذين لا يملكون له رحمةً ولا نفعاً. قال الله تعالى ﴿وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ١٣١).

١٠. كظم الغيظ: يُعد من أشد الغضب وهو الحرارة التي تحصل في نفس الإنسان حينما يفور دمه عند اقصى درجات الغضب، والكظم هنا هو ضبط النفس، وكظم الغيظ كلمة أخلاقية تعني السيطرة على الغضب، وإمساك النفس عن إظهاره بقول أو فعل، ويطلق الكاظم على من يعاود نفسه على كظم غيظه، وقد عرض القرآن الكريم هذا المبدأ؛ إذ قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (ال عمران: ١٣٤).

١١. البر: يشمل مفهوم البر كل تلك المعاني والأعمال الجميلة و الصالحة كالتحري في فعل الخيرات والعمل على اجتناب المنكرات والذنوب والمعاصي والصدق مع الناس والعطف على المحتاج منهم والوقوف إلى جانب المريض، أي الإحسان إلى الناس بكل صوره وأشكاله، وليس بالمال فقط بل حتى التبسم في وجه الناس وحسن الحديث معهم وتحمل الأذى عنهم وتقديم النصيح والإرشاد لهم والوفاء بالعهود والمواثيق أي أنّ مفهوم البر في الإسلام هو ذلك المفهوم الذي يشتمل على كلِّ مكارم ومحاسن الأخلاق وكل تلك المعاني الإنسانية النبيلة، قال الله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾.

١٢. صلة الرحم: صلة الرحم تعني الإحسان إلى الأقربين وإيصال ما أمكن من الخير إليهم ودفع ما أمكن من الشر عنهم، وقطيعة الرحم تعني عدم الإحسان إلى الأقارب، وقيل بل هي أيضا الإساءة إليهم، ويُعد هذا المبدأ واحداً من أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله - جل جلاله -، ويعد من الأمور الواجبة على كل مسلم، كما أنه يُحق له وذلك بأن يصل رحمه ويصلوه، اذ قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦).

١٣. الأمانة: يعد هذا المبدأ من الأخلاق الكريمة الحسنة، ومن أبرز العوامل التي تؤدي بالأمة إلى الحضارة والرفي، لما له من دور بارز في نشر المودة والمحبة بين الأفراد على اختلاف مستوياتهم وقد أشار القرآن الكريم إلى ضرورة أداء الأمانة لأهلها، وقد تكون تلك الأمانة مادية أو معنوية، فالشهادة في أمر ما أمانة، ونقل الكلام أمانة، فضلا عن غيرها من الأمور المرتبطة بهذا المبدأ، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).

١٤. إصلاح ذات البين: ينص هذا المبدأ على الإصلاح بين المتخاصمين، وللأسف فإن هذه المهمة الجليلة قد فرط فيها كثير من الناس مع قدرتهم عليها بداعي عدم التدخل في ما لا يعني الفرد أو بعدر أن هذا شأن داخلي، مع العلم أن كثير من الخصومات تكون أسبابها تافهة وإزالتها يسيرة، وقد توجد رغبة الصلح عند كلا الخصمين، ولكن تمنعهما الأنفة والعزة من التنازل مباشرة أو المبادرة إلى الصلح بلا وسيط، فإذا ما جاء الوسيط سهل الإصلاح بينهما لرغبة كل واحد منهما في ذلك، ومن هنا يتضح ان من يعمل على

وفق هذا المبدأ ينال أجراً عظيماً؛ إذ إنه يؤلف بين قلبين متنافرين، قال الله تعالى ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤).

١٥. إفشاء السلام: يُعد إفشاء السلام هو سبيل للتواضع وإظهار خفض الجناح للمسلمين، والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح المودة، وفي إفشائه تُمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، فضلاً عن ما يحويه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمان المسلمين، كما أن السلام يُعد سبباً من أسباب حصول البركة والعلو ورفعة الدرجات ومن موجبات المغفرة وللبدء في السلام فضلٌ عظيم، وبذل السلام من حق المسلم على أخيه، قال الله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء: ٨٦)، وقد ورد مبدأ إفشاء السلام من ناحية الاستئذان، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ (النور: ٢٧).

١٦. الإخوة: هو قوة إيمانية وعلاقة نفيسة، تورث الشعور العميق بالمحبة والود والاحترام والبر والصلة والثقة المتبادلة والرحمة والوفاء، قائمة على أساس إرادة ومحبة الخير وصدق النصيحة وبذل المعروف وحسن العشرة والتعاون على البر والتقوى بين الطرفين، فالإخوة في الله عقدٌ وثيق باطنياً وظاهراً، وعلاقة حقيقية نبيلة تزيد على علاقة الدم والنسب، ينتج عنها ابتداء حرص وإيثار ونصرة وإحساس كبير وشعور عميق، وانتهاء ببذل المال والوقت، بعيداً عن أي مصلحة شخصية أو منفعة مادية أو مكسب دنيوي، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠)، وقد جاء هذا المبدأ بمعنى الإخوة في الدين والإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (ال عمران: ١٠٣).

١٧. النصيحة: يستند هذا المبدأ إلى محبة الخير للآخرين كما يجب المرء لنفسه،

وكراهية الشر لهم كما يكره لنفسه، كما يشمل ايضا الدعوة إلى الله والتوجيه إلى فعل الخير وترك المنكر والأمر بالمعروف بكل صورته، وقد بين القرآن الكريم هذا المبدأ من طريق نصيحة لقمان الحكيم لابنه في إطاعة الله ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧).

١٨. الصبر: إن للصبر آثارا كبيرة في الحياتين الدنيا والآخرة، فليس هو من الفضائل الثانوية، بل من الضرورات اللازمة التي لا انفكاك للإنسان عنها، فلا نجاح في الدنيا ولا نصر ولا تمكين إلا بالصبر، ولا فلاح في الآخرة ولا فوز ولا نجاة إلا بالصبر، فلولا صبر الزارع والدارس والمقاتل وغيرهم ماظفروا بمقاصدهم، قال الله تعالى ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ١-٣).

١٩. بر الوالدين: وهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع المتماسك اذ يُعد بر الوالدين من أجل الأعمال الصالحة وأفضلها، وقد جعل الإسلام لهذا العمل فضلا كبيرا، وثمرات عدة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤).

خاتمة:

من طريق ما سبق يرى الباحث أن بناء المجتمع السليم يكمن في بناء النشء بصورة سليمة؛ إذ تشير النظريات التربوية والاجتماعية إلى أن شخصية الإنسان تتشكل في مرحلة ما قبل المدرسة، وقد حدد سن الرابعة من العمر بوصفها مرحلة بداية الاحتكاك الاجتماعي للإنسان، سواء كان تشكيل تلك الشخصية يتم من طريق التقليد أم المحاكاة؛ إذ إنَّ الطفل في هذه المرحلة يكسب بعض التصرفات من طريق ما يشاهده، ومن هنا نص الإسلام على ضرورة أن يكون الوالدين قدوة أمام أطفالهم، أي أن تكون

تصرفاتهم وأفعالهم سليمة، فإذا ما اكتسبها الطفل سيكون ذلك بشكل إيجابي سليم، لذا ومن هذا المنطلق نرى أنّ تدعيم الطفل وإكسابه مبادئ التنشئة الاجتماعية ولا سيّما تلك المبادئ المستنبطة من القرآن الكريم، سيكون لها الأثر الكبير في الوصول إلى درجة المجتمع الفاضل، الذي يتمتع بكل المعايير الاجتماعية التي تدعو إلى الألفة والترابط، فضلا عن الشعور بالمسؤولية الاجتماعية تجاه بلدانهم.

الاستنتاجات:

١. يعد القرآن الكريم الأساس الفلسفي الذي نستمد منه كل القيم والمبادئ الاجتماعية الحقة، بوصفه المنهاج الذي يوضح أسس التعايش السليم في المجتمع.
٢. أنّ التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يتم بواسطتها انتقال الفرد من مجرد فرد بايلوجي إلى إنسان يشعر بالولاء والانتماء للمجتمع الذي يعيش فيه.
٣. أنّ مسألة تربية الطفل وتنشئته اجتماعياً في مراحل المبكرة نالت اهتماما كبيرا من قبل المتخصصين، لما لهذه المدة من دور بارز في إرساء شخصيته بمجموعة من المبادئ والقيم الاجتماعية.
٤. هنالك جملة من التحديات ولاسيّما الاجتماعية منها تمثل تحديات حادة وجادة يستلزم مواجهتها.

التوصيات:

١. العمل والتركيز على تضمين محتوى المناهج الدراسية بمجموعة كافية ووافية لأبرز القيم والمبادئ الاجتماعية المستنبطة من تراثنا الإسلامي، ولا سيّما مبادئ البحث الحالي.
٢. ترسيخ قيم التعايش المجتمعي وحقوقه وثقافته عبر الأنشطة الصفية المنهجية والأنشطة غير الصفية من طريق الحوار والنقاش عوضا عن أساليب التلقين.

٣. توعية الأسرة والمجتمع بمبادئ التنشئة الاجتماعية المستنبطة من القرآن الكريم من طريق وسائل الإعلام المختلفة.

٤. على المسؤولين في الجانب التربوي والتعليمي إرشاد الأسرة إلى أفضل الأساليب التربوية في كيفية توجيه الطفل وتنشئته اجتماعياً وفقاً للظروف التي يعيش فيها.

مصادر ومراجع

القرآن الكريم

١. أسماء، مطوري (٢٠١٥): مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في تنمية قيم التربية البيئية، اطروحة دكتوراه - منشورة، جامعة بسكرة، الجزائر.
٢. البياتي، فراس فاضل عباس (٢٠١٣): اطفال العراق وعقود الموت الثلاث، مجلة الطفولة والتنمية، العدد ٢٠، المجلد ٥، القاهرة.
٣. البياتي، فراس فاضل عباس (٢٠١٣): اطفال العراق وعقود الموت الثلاث، مجلة الطفولة والتنمية، العدد ٢٠، المجلد ٥، القاهرة.
٤. التركماني، عبد الله (٢٠٠٥): انتهاكات حقوق الطفل في ظل الاحتلال، مؤتمر العالمي حول انتهاكات حقوق الانسان تحت الغزو والاحتلال للعراق الذي انعقد في طرابلس بتاريخ ٢٨-٢٩/٩.
٥. جرادات، محمد سليمان (٢٠١١): رياض الاطفال ودورها في تنشئة الطفل - الواقع والمسؤولية، ط ١، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان-الاردن.
٦. الجلبي، سوسن شاكر (٢٠٠٣): اثر الحصار الاقتصادي على الجوانب الصحية للاطفال في العراق، شبكة العلوم النفسية العربية، وزارة الثقافة والاعلام في العراق.
٧. جوهر، علي صالح، والباسل، ميادة محمد (٢٠١٠): تنشئة الطفل العربي، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، مصر.
٨. حسن، عبد الباسط محمد: (١٩٩٩): مدخل إلى علم الاجتماع، ط ٤، مكتبة غريب، القاهرة.
٩. حسن، محمود (١٩٧٩): الاسرة ومشكلاتها، دار النهضة العربية، بيروت.
١٠. حتتوش، خالد (٢٠١٩): التعليم والمسؤولية الاجتماعية في العراق (دراسة

- مسحية)، مجلة دراسات البيان، ع٤، بغداد.
١١. الخشاب، مصطفى (٢٠٠٠): علم الاجتماع ومدارسه، مكتبة النجلو المصرية، القاهرة.
١٢. الخشالي، شاهر حسين (٢٠١٢): التنشئة الاجتماعية للأطفال في واقع المجتمع العراقي بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، اطروحة دكتوراه - منشورة، كلية الاداب والتربية - الاكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك.
١٣. الديواني، مصطفى (١٩٩٥): حياة الطفل، ط٩، مكتبة النهضة المصرية.
١٤. رشيد، عبد الوهاب حميد (٢٠٠٦): التحول الديمقراطي في العراق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
١٥. الزبيدي، حسن لطيف، والموسوي، عبد الوهاب (٢٠٠٩): البطالة في العراق (المظاهر والآثار وسبل المعالجة)، مجلة دراسات اقتصادية، العدد ٢١، بغداد.
١٦. زهران، حامد عبد السلام (٢٠٠٣): علم النفس الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
١٧. شريف، السيد عبد القادر (٢٠٠٤): التنشئة الاجتماعية للطفل العربي، القاهرة: دار الفكر العربي.
١٨. شريف، السيد عبد القادر (٢٠٠٢): التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٩. شريف، السيد عبد القادر (٢٠٠٥): الأصول الفلسفية والاجتماعية للتربية، حورس للطباعة والنشر، القاهرة.
٢٠. شريف (٢٠١٤): المدخل الى رياض الاطفال، ط١، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٢١. عبد الحميد أمال، وآخرون (٢٠١٠): علم الاجتماع القانوني، دار الميسرة،

- ١ ط، عمان - الأردن.
٢٢. علواني، عبد الواحد (١٩٩٧): تنشئة الاطفال وثقافة التنشئة، دمشق: دار الفكر العربي
٢٣. علي، صالح محمد (١٩٩٩): سيكولوجية التنشئة الإجتماعية. دار الميسرة، عمان، الأردن.
٢٤. العمر، معن خليل (٢٠٠٥): التفكك الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، - الاردن.
٢٥. العمر (٢٠٠٤): التنشئة الاجتماعية، القاهرة، دار الشروق.
٢٦. القيسي، عامر ياسر (٢٠١١): الواقع التربوي والتعليمي في العراق، مكتبة كلية التربية الاساسية، بغداد.
٢٧. كبارة، أسامة ظافر (٢٠٠٣): برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية، تقديم محمد منير سعد الدين، دار النهضة العربية، بيروت.
٢٨. همشري، عمر احمد (٢٠٠٣): التنشئة الاجتماعية للطفل، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان -الأردن.
٢٩. وزارة التخطيط (٢٠١٤): شباب العراق تحديات وفرص - التقرير الوطني للتنمية البشرية، ط ١، بيت الحكمة، بغداد، جمهورية العراق.
٣٠. اليونيسيف (٢٠١٤): تقرير عن البلد الذي يبحث مشكلة الاطفال خارج المدرسة، بغداد.



النظام الاجتماعي في القرآن الكريم
سورة الإسراء مثالا

م.م. دعاء شاكر كاظم

الباحثة: نهلة شاكر كاظم

الملخص:

القرآن هو دستور الأمة العربية ويحتوي على كل ما يحتاجه الفرد من قضايا اجتماعية وتربوية وسياسية واقتصادية... إلخ. وقد جاء ذلك مصرحاً في كثير من آياته، وسورة الإسراء هي أنموذج هذا الفيض العظيم الذي كرمنا الله تعالى به ومنّ علينا بإنزاله على النبي صلى الله عليه وآله، وكان البحث بعنوان: «النظام الاجتماعي في القرآن الكريم سورة الإسراء مثالا» والنظم الاجتماعية من السنن الإلهية التي وضعها الله في كتابه الحكيم وسنّها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، في دعوته للإصلاح الديني والتربوي والسياسي والاقتصادي، وهذه السنن جاءت لتخلص البشرية من هفوات الدنيا واللهو فيها؛ لكي لا يظلم إنساناً إنساناً آخر، ولا يعمل المنكرات ولا يعق والديه ولا يعمل بالعدل.

الكلمات المفتاحية: النظام الاجتماعي، القرآن الكريم، سورة الإسراء

Summary:

The Holy Quran is the Arab nation's constitution and contains all the social, educational, political, economic, etc.

- what is needed and beneficial to all people-

This was stated in many of its verses, especially in "al-Israa Sur'ah." which has the best example of its greatness which Allah honored us with and blessed us to recite (its verses), following prophet Mohammed's religion. The research was titled " Holy Quran's social order, Surah Al-Israa as an example." The social orders of Allah's Sunnah(s) were put by Allah in his Holy book and ordered after by his Prophet Mohammed in his call for religious, educational, political, and economic reform. These Sunnah(s) came to help Human beings from the bad aspects of life So that no human being can do injustice to another, denying vices and parents' disobedience.

مقدمة:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أما بعدُ:

فبعدُ القرآن الكريم دستوراً في نظم الحياة وانتظامها، فهو يحتوي على كل ما يحتاجه الفرد من قضايا اجتماعية وتربوية وسياسية واقتصادية... إلخ. قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨]، وسورة الإسراء هي جزء من هذا الفيض العظيم الذي كرّمنا به ومنه علينا بإنزاله على النبي صلّى الله عليه وآله، والنظم الاجتماعية من سنن الإلهية التي وضعها الله في كتابه الحكيم وسنها النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله، في دعوته للإصلاح الديني والتربوي والسياسي والاقتصادي، وهذه السنن جاءت لتخلص البشرية من هفوات الدنيا واللهو فيها؛ لكي لا يظلم إنسان إنساناً آخر، ولا يعمل المنكرات ولا يعق والديه ولا يعمل بالعدل.

وقد جاء البحث مكوناً من أربعة مطالب، الأول كان بعنوان: النظم في اللغة والاصطلاح، والثاني بعنوان: خصائص النظام الاجتماعي، فيما جاء الثالث بعنوان: التعريف بسورة الإسراء، وما اشتملت عليه هذه السورة من الأوامر والنواهي وقضايا تربوية واجتماعية، والرابع جاء بعنوان: النظام الاجتماعي في سورة الإسراء، فتحدثت فيه عن بر الوالدين، والنهي عن قتل الأولاد، والتوسط في الإنفاق، والنهي عن الزنا، والنهي عن التصرف بمال اليتيم، والحث عن العدل في الميزان.

ثم أردفتُ هذه المطالب بخاتمة تضمنت أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة. وأتقدّم بالشكر والثناء إلى كلّ من مدّ لي يد العون لإتمام هذا البحث، أسأل الله تعالى أن يتقبله منّا، وأن يجعله ممّا يتنفع به.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربَّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمدٍ المصطفى
وآله الطاهرين.

المطلب الأول: النظم في اللغة والاصطلاح:

النظم الاجتماعية في القرآن الكريم من الموضوعات المهمة التي ذكرت في القرآن الكريم، لكي يقوم الإنسان بالالتزام بها والقيام بها، ليتم له النجاة في الدارين ويكسب رضا الرحمن، وفي بادئ الأمر ينبغي التعرف على النظم لغة: «النَّظْمُ نَظْمَكَ خَرَزًا بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فِي نِظَامٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى قِيلَ: لَيْسَ لِأَمْرِهِ نِظَامٌ، أَيْ لَا تَسْتَقِيمُ طَرِيقَتُهُ. وَالنِّظَامُ: كُلُّ حَيْطٍ يُنْظَمُ بِهِ لَوْلَا أَوْ غَيْرِهِ فَهُوَ نِظَامٌ، وَالْجَمِيعُ نُظْمٌ، وَفِعْلُكَ النَّظْمُ وَالتَّنْظِيمُ... وَالانْتِظَامُ: الْاِتِّسَاقُ»^(١) و«قَالَ اللَّيْثُ: النَّظْمُ، نَظْمَكَ الْخَرَزَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فِي نِظَامٍ وَاحِدٍ، كَذَلِكَ هُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى يُقَالَ: لَيْسَ لِأَمْرٍ نِظَامٌ، أَيْ لَا تَسْتَقِيمُ طَرِيقَتُهُ حَتَّى يُقَالَ: طَعَنَهُ بِالرُّمْحِ فَانْتَضَمَ سَاقِيَهُ أَوْ جَنْبِيَهُ. وَقَالَ الْحَسَنُ فِي بَعْضِ مَوَاعِظِهِ: يَا ابْنَ آدَمَ عَلَيْكَ بِنَصِيكِ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَى نَصِيكِ مِنَ الدُّنْيَا فَيَنْتَظِمُهُ لَكَ ائْتِظَامًا، ثُمَّ يَزُولُ مَعَكَ حَيْثُمَا زُلْتَ. وَكُلُّ حَيْطٍ يُنْظَمُ فِيهِ لَوْلَا أَوْ غَيْرِهِ فَهُوَ نِظَامٌ وَجَمْعُهُ نُظْمٌ»^(٢) وقال أحمد ابن فارس: «النُّونُ وَالطَّاءُ وَالْمِيمُ: أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى تَأْلِيفِ شَيْءٍ وَتَأْلِيفِهِ، وَنَظَّمْتُ الْخَرَزَ نَظْمًا، وَنَظَّمْتُ الشَّعْرَ وَغَيْرَهُ. وَالنِّظَامُ: الْحَيْطُ يَجْمَعُ الْخَرَزَ. وَالنِّظَامَانُ مِنَ الصَّبِّ: كُشَيْتَانِ مِنْ جَنْبِيهِ، مَنْظُومَانِ مِنْ أَصْلِ الدَّنْبِ إِلَى الْأُذُنِ»^(٣).

أما في الاصطلاح فهو: «مجموعة المبادئ، والتشريعات، والأعراف، وغير ذلك من الأمور التي تقوم عليها حياة الفرد، وحياة المجتمع، وحياة الدولة، وبها تنظم أمورها، ولعل هذا التعريف على إجماله يلم بدلالات النظام وبجوانبه المتعددة. وقد يطلق النظام»^(٤) و«يراد

(١) العين، الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: ١٦٦/٨.

(٢) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب: ٢٨٠/١٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ٤٤٣/٥.

(٤) منهل الثقافة التربوية، د. سعید علي الغامدي: ١.

به معنى عامًا فيكون: أحد مفاهيم العقل الأساسية، ويشمل الترتيب الزماني، والترتيب المكاني، والترتيب العددي، والسلاسل، والعلل، والقوانين، والغايات، والأجناس، والأنواع، والأحوال الاجتماعية، والقيم الأخلاقية والجماعية. وتحت هذا المعنى العام يكون النظام في المنطق الرياضي، والنظام الطبيعي، والنظام الاجتماعي، والنظام الأخلاقي^(١).

والنظام الاجتماعي عبارة عن الأفعال التي يقوم بها الإنسان، والعلائق المختلفة في حياته الاجتماعية كعلائق الآباء بالأبناء والزواج بالزوجة، وأفراد المجتمع مع بعضهم البعض، وتملك الأشياء والحب والكرهية والسلام والوئام... الخ^(٢).

والنظم الاجتماعية من سنن الإلهية التي وضعها الله في كتابه الحكيم وسنها النبي الأعظم في دعوته للإصلاح الديني والتربوي والسياسي والاقتصادي، وهذه السنن جاءت للتخلص البشرية من هفوات الدنيا واللهو فيها؛ لكي لا يظلم إنسان إنساناً آخر، ولا يعمل المنكرات ولا يبر والديه ولا يعمل بالعدل... الخ.

المطلب الثاني: خصائص النظام الاجتماعي:

للنظام الاجتماعي خصائص عدة، منها:

أولاً: أَنَّهُ نِظَامٌ رَبَّانِيٌّ:

نظام ربّانيٌّ بكلياته وجزئياته، قد شرع الله سبحانه فيه للإنسان كلّ جوانب الخير، وهو أعلم وأحكم، فالذي أحكم الخلق وأتمّه، أنزل التشريع وأتمّه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وفي النظام الاجتماعي في الإسلام جاءت التوجيهات الإلهية، والرعاية الربّانيّة لكل جوانب حياة الفرد والأسرة، والجماعة والأمة؛ قد سمع الله سبحانه مناجاة امرأة مؤمنة، ومجادلتها

(١) منهل الثقافة التربوية: ١.

(٢) ينظر: النظام الاجتماعي في الإسلام، السيد هاشم الموسوي: ٣٣.

في حاجة من حوائجها، فكيف إذا كانت حاجات المجتمع بكامله، ففي هذا النظام الاجتماعي تتجلى رحمة الله، ويظهر لطفه بخلقه، وفي الآيات القرآنية التي تُبيِّن القواعد والآداب الاجتماعية وغيرها، تكتمل النعمة والمِنَّة الإلهية على البشرية بالهداية لها في سبيل حياتها، بعد نعمة الخلق والإكرام^(١).

ثانياً: أنه نظام متوازن:

فالنظام الاجتماعي في الإسلام تَتَوَازَنُ فيه حقوقُ المرأة وحقوق الرجل، حقوق الفرد وحقوق الجماعة، وحقوق المجتمعات فيما بينها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٣] تتوازن فيه متطلبات الإنسان العاطفية والعقلية، وميوله ورغباته الجسدية والروحية، فلا يطغى جانبٌ على حساب جانبٍ آخر، فتبارك الله ربُّ العالمين، الذي أنعم علينا بهذا التشريع الميسر، والنظام الاجتماعي^(٢).

ثالثاً: أنه نظام متكامل:

النظام الاجتماعي في الإسلام يقوم على التَّكامل بين الأفراد، الذَّكَرُ والأنثى كلُّ له رسالة محدَّدة يُكْمَلُ بعضهم بعضاً، والناس بمجموعهم تقوم حياتهم على التكامل لا على الصراع، تقوم على أن يُحِبَّ الفرد المسلم لأخيه ما يجب لنفسه، فهم كالبنيان، وكالجسد الواحد يُكْمَلُ بعضهم البعض، الغنيُّ مع الفقير تقوم حياتهم على التكامل والتكافل؛ لا على الحسد والتباغض والصراع الطبقيِّ المقيت الذي يظهر في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة، وأيضاً التكامل في المهمات المتعدِّدة، والأنشطة والمواهب الإنسانية التي يُكْمَلُ بعضها بعضاً، فلا يستطيع الفرد أن يصنع لنفسه كلَّ حاجاته؛ ولكن الجماعة هي

(١) ينظر: خصائص وأهداف النظام الاجتماعي في الإسلام: د. عبدالمحسن بن عبدالعزيز الصويغ: ٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥.

التي تتحقق في رحابها جميع معاني التكامل في الحياة، والتكافل الذي يحقق مصالح الدنيا والآخرة^(١).

المطلب الثالث: التعريف بسورة الإسراء:

سورة الإسراء هي إحدى سور القرآن العظيمة التي أنزلت على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وتسمى سورة بني إسرائيل، وسورة سبحان، والأقصى^(٢). واختلفوا فيها فمنهم من قال: مكية^(٣)، ومنهم من قال: مكية إلا ثلاث آيات^(٤)، ومنهم من قال: مكية إلا ثمان آيات^(٥)، وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية^(٦).

وفي سورة الإسراء إشارة إلى حادث الإسراء النبوي، ومجموعة من الوصايا والأوامر والنواهي والحكم الدينية والأخلاقية والاجتماعية، وفيها استطرادات إلى أحداث بني إسرائيل التاريخية وإلى قصة آدم وإبليس وقصة موسى وفرعون في معرض التمثيل والموعظة، وفيها حكاية لمواقف الكفار وعقائدهم وأقوالهم وتعجيزاتهم عما أنزل عليهم ومناقشتهم فيها وتسفيهمهم، وإشارة إلى محاولات الكفار لزحزحة النبي صلى الله عليه وآله

(١) ينظر: خصائص وأهداف النظام الاجتماعي في الإسلام: ٧-٨.

(٢) ينظر: مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ، البقاعي: ٢/٢٢٨، وموسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين: ٣/٢١٣.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي: ٣/١٠٤.

(٤) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير الثعالبي تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود: ٣/٤٤٩، وفتح القدير، محمد بن علي الشوكاني: ٣/٢٤٥.

(٥) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم: ٣/١٠٩، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي: ١/٦١٤، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس الحسيني تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان: ٣/١٧٩، والتفسير المظهر، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي: ٥/٣٩٨.

(٦) ينظر: غرائب القرآن وورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ٤/٣٢١، والتفسير المظهر: ٥/٣٩٨، والموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان: ٥/٦١.

عن بعض ما يدعو إليه ومساومته، وإلى بعض أزماته، وفيها أيضا حكاية لموقف بعض علماء الكتّابيين وإيمانهم بالقرآن، وإشادة بالقرآن في مواضع عديدة، وتنويه بما فيه من حق وهدى وروحانية وشفاء وإعجاز، وفصولها مترابطة وآياتها متوازنة ومتساوقة مما يمكن أن يلهم أن فصولها نزلت متلاحقة إلى أن تَمَّت^(١).

المطلب الرابع: النظام الاجتماعي في سورة الإسراء:

عرضت سورة الإسراء عددا من النظم الاجتماعية التي تنظم حياة الإنسان، ومن هذه النظم:

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تجعل يا محمد مع الله شريكا في ألوهته وعبادته، ولكن أخلص له العبادة، وأفرد له الألوهة، فإنه لا إله غيره، فإنك إن تجعل معه إلها غيره، وتعبد معه سواه، تقعد مذموما: يقول: تصير ملوما على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه، وتصيرك الشكر لغير من أولاك المعروف، وفي إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره، مخذولا قد أسلمك ربك لمن بغاك سوء، وإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه لم يكن لك من دونه وليّ ينصرك ويدفع عنك»^(٢) أمّا الزمخشري فقد قال في بيان هذه الآية: «تَفَعَّدَ من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت، كأنها حربة بمعنى صارت، يعنى: فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك، والخذلان والعجز عن النصر ممن جعلته شريكا له»^(٣). والخطاب في هذه الآية الكريمة للرسول ﷺ والمراد به أمته ولكل أحد^(٤).

(١) ينظر: التفسير الحديث، دروزة محمد عزت: ٣/ ٣٥١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر: ١٧/ ٤١٢.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/ ٦٥٧.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم: ١٠/ ٢٣٦، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي: ٣/ ٢٥١.

ثانياً: النهي عن قتل الأولاد:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً﴾ [سورة الإسراء: ٣١].

قال البيضاوي في بيان الآية المباركة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ مخافة الفاقة، وقتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً﴾ فقتلهم ذنب كبير لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع، و(خِطْأً) الإثم يقال خطئ خطأ كإثم إثمًا^(١)، أما ابن كثير فقال: «هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدِ بَوْلَدِهِ؛ لِأَنَّهُ يَنْهَى عَنِ قَتْلِ الْأَوْلَادِ، كَمَا أَوْصَى بِالْأَوْلَادِ فِي الْمِيرَاثِ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُورَثُونَ الْبَنَاتِ، بَلْ كَانَ أَحَدُهُمْ رَبَّمَا قَتَلَ ابْنَتَهُ لِيَلَّا تَكْثُرَ عَيْلَتُهُ، فَنَهَى اللَّهُ [تَعَالَى] عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ أَي: خَوْفَ أَنْ تَقْتَفِرُوا فِي ثَانِي الْحَالِ؛ وَلِهَذَا قَدَّمَ الْإِهْتِمَامَ بِرِزْقِهِمْ فَقَالَ: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾»^(٢). بينت هذه الآية الكريمة النهي عن قتل الأولاد خوفاً من الفقر المتوقع، بمعنى الفقر لم يقع بعد، وقدم ضمير الأبناء على ضمير الآباء؛ لأن الإملاق مترقب من الإنفاق عليهم غير حاصل في حال القتل^(٣).

ثالثاً: احترام الوالدين:

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣-٢٤].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ٢٥٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٧١-٧٢.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: ١١/ ٤٠٨، و تفسير الجلالين، جلال الدين محمد

بن أحمد المحلي، و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ٣٦٩.

إنَّ بر الوالدين من الأسس المهمة لبناء الحياة الاجتماعية والإنسانية، فبرُّ الوالدين يبيث الرحمة والمودة بين أفراد الأسرة الصغيرة، كما أنَّ المحبة والعطف المتبادل بين الوالدين وأبنائهم يربي الأطفال عاطفياً ونفسياً حتى يتكون لديهم الاستقرار النفسي والعاطفي وبعطف الوالدين ورحمتهم لأبنائهم، وبر الأولاد بوالديهم تُبنى الأسرة السليمة الصالحة التي تقوى فيها روابط الحب والعطف والشفقة المتبادل بين الأبناء ووالديهم مما يهيئ البيئة الصحيحة لتكوين الفرد الصالح السليم الذي يسهم بشكل فاعل في بناء مجتمعه والنهوض بأمرته والذي يكون رحيماً بإخوانه المسلمين^(١).

قال الطبري: «يعني بذلك تعالى ذكره حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره، وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحد امر ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^(٢). وبعد ذلك تحدث عن قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يقول: وأمركم بالوالدين إحساناً أن تحسنوا إليهما وتبرّوهما... ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾. وقوله ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ﴾ يقول: فلا تؤفف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس، ولكن اصبر على ذلك منهما، واحتسب في الأجر صبرك عليه منهما، كما صبرا عليك في صغرك^(٣)، وقال أحد العلماء: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وقضى ربك معناه أمر ربك وأمر بالوالدين إحساناً وقيل معناه وأوصى بالوالدين إحساناً والمعنى واحد لأن الوصية أمر وقد أوصى الله تعالى ببرِّ الوالدين... قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ قيل فيه إن بلغت حال الكبر وهو حال التكليف وقد بقي معك أبواك أو أحدهما فلا تقل لهما أفٌ وذكر ليث عن مجاهد قال لا تقل لهما إذا

(١) ينظر: بر الوالدين قيمة إسلامية عظيمة، دراسة علمية جادة تقدم انموذجاً مقترحاً للبر بالوالدين، عبدالله

بن عبد اللطيف العقيل، تحقيق: عبدالله بن عبد العزيز العقلا: ١٨.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ١٧/ ٤١٣، وينظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج: ٣/ ٢٣٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: ١٧/ ٤١٤-٤١٥.

بلغا من الكبر ما كان يليها منك في الصغر فلا تقل لهما أف... قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾^(١) معناه لا تزجرهما على وجه الاستخفاف وقال هشام ابن عروة عن أبيه: ﴿وَإِخْفُضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قَالَ لَا تَمْنَعُهُمَا شَيْئًا يُرِيدَانِهِ»^(٢) و«قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ فِيهِ الْأَمْرُ بِالذُّعَاءِ لَهُمَا بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ إِذَا كَانَا مُسْلِمِينَ لِأَنَّهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى فَعَلِمْنَا أَنَّ مَرَادَهُ بِالذُّعَاءِ لِلْوَالِدَيْنِ خَاصًّا فِي الْمُؤْمِنِينَ وَبَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْآيَةِ تَأْكِيدَ حَقِّ الْأَبْوَيْنِ فَقَرَنَ الْأَمْرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا إِلَى الْأَمْرِ بِالتَّوْحِيدِ فَقَالَ ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ثُمَّ بَيَّنَّ صِفَةَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْمُخَاطَبَةِ الْجَمِيلَةِ عَلَى وَجْهِ التَّدْلِيلِ وَالخُضُوعِ وَمَهَى عَنِ التَّبَرُّمِ وَالتَّضَجُّرِ»^(٣) أما النيسابوري فقال في بيان هذه الآيات المباركة: ﴿وقضى﴾ وأمر ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ وأمر إحساناً بالوالدين ﴿إِذَا يُلْعَنَنَّ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ يقول: إن عاش أحد والديك حتى يشيب ويكبر أو هما جميعاً ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ﴾ (لا تقل لهما رديئاً) من الكلام ولا تستثقلن شيئاً من أمرهما ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ لا تواجههما بكلام تزجرهما به ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ لِينًا لَطِيفًا ﴿وَإِخْفُضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ أَلْنْ لَهُمَا جَانِبَكَ وَاخْضَعْ لَهُمَا ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أَيُّ: مِنْ رَقَّتْ عَلَيْهِمَا وَشَفَقْتَكَ ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي﴾ مثل رحمتها إياي في صغري حتى ربباني ﴿صَغِيرًا﴾^(٣).

(١) أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، ١٩/٥-٢٠، وينظر: ٣٢ الفواتح

الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني: ١/٤٤٩.

(٢) أحكام القرآن: ٢٠/٥.

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي: ٦٣١-٦٣٢.

رابعاً: التوسط في الإنفاق:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٩].

وضح الماوردي^(١) في بيان هذه الآية المباركة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾، أما الرازي فقال: «فَهُنَا أَمْرٌ رَسُولُهُ بِمَثَلِ ذَلِكَ الْوَصْفِ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أَي لَا تُمْسِكْ عَنِ الْإِنْفَاقِ بِحَيْثُ تُضَيِّقُ عَلَىٰ نَفْسِكَ وَأَهْلِكَ فِي وُجُوهِ صَلَهِ الرَّحْمِ وَسَبِيلِ الْخَيْرَاتِ، وَالْمَعْنَى: لَا تَجْعَلْ يَدَكَ فِي انْتِبَازِهَا كَالْمَغْلُولَةِ الْمَمْنُوعَةِ مِنَ الْإِنْبِسَاطِ: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ أَي وَلَا تَتَوَسَّعْ فِي الْإِنْفَاقِ تَوَسُّعًا مُفْرَطًا بِحَيْثُ لَا يَبْقَىٰ فِي يَدِكَ شَيْءٌ. وَحَاصِلُ الْكَلَامِ: أَنَّ الْحُكَمَاءَ ذَكَرُوا فِي كُتُبِ «الْأَخْلَاقِ» أَنَّ لِكُلِّ خُلُقٍ طَرَفَيْنِ إِفْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ وَهُمَا مَذْمُومَانِ، فَالْبُخْلُ إِفْرَاطٌ فِي الْإِمْسَاكِ، وَالتَّبَذِيرُ إِفْرَاطٌ فِي الْإِنْفَاقِ وَهُمَا مَذْمُومَانِ، وَالْخُلُقُ الْفَاضِلُ هُوَ الْعَدْلُ وَالْوَسْطُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]»^(٢).

وقال ابن كثير: «يَقُولُ تَعَالَىٰ آمِرًا بِالْإِقْتِسَادِ فِي الْعَيْشِ ذَامًا لِلْبُخْلِ نَاهِيًا عَنِ السَّرْفِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أَي: لَا تَكُنْ بِخَيْلًا مَنُوعًا، لَا تُعْطِي أَحَدًا شَيْئًا، كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [سورة المائدة: ٦٤] أَي نَسَبُوهُ إِلَىٰ الْبُخْلِ، تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ الْكَرِيمُ الْوَهَّابُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ أَي: وَلَا تُسْرِفْ فِي الْإِنْفَاقِ فَتُعْطِيَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، وَتُخْرِجَ أَكْثَرَ مِنْ دَخْلِكَ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا. وَهَذَا مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَالتَّنْشِيرِ أَي: فَتَقْعُدَ إِنْ بَخَلْتَ مَلُومًا، يَلُومُكَ النَّاسُ وَيَذْمُونَكَ وَيَسْتَعْنُونَ عَنْكَ... وَمَتَى بَسَطْتَ يَدَكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، قَعَدْتَ بِلَا شَيْءٍ تُنْفِقُهُ، فَتَكُونُ كَالْحَسِيرِ، وَهُوَ: الدَّابَّةُ الَّتِي قَدْ عَجَزَتْ عَنِ السَّرِيرِ»^(٣).

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم: ٣/ ٢٣٩.

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: ٢٠/ ٣٢٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٧٠.

خامساً: النهي عن الزنا:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٢].

قال الطبري في بيان الآية المباركة: ﴿لا تَقْرُبُوا﴾ أيها الناس ﴿الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ يقول: إن الزَّانَا كان فاحشة ﴿وساء سبيلاً﴾ يقول: وساء طريق الزنا طريقاً، لأن طريق أهل معصية الله، والمخالفين أمره، فأسوأ به طريقاً يورد صاحبه نار جهنم^(١)، وقال الجصاص في توضيح الآية المباركة: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، فيه الإخبار بتحريم الزنا وأنه قبيح؛ لأن الفاحشة هي التي قد تفاحش قبحها وعظم وفيه دليل على أن الزنا قبيح في العقل قبل ورود السمع؛ لأن الله سماه فاحشة ولم يخصص به حالة قبل ورود السمع أو بعده، ومن الدليل على أن الزنا قبيح في العقل أن الزانية لا نسب لولدها من قبل الأب؛ إذ ليس بعض الزناة أولى به لحاقه به من بعضٍ ففيه قطع الأنساب ومنع ما يتعلّق بها من الحرمات في الموارث والمناكحات وصلة الأرحام وإبطال حقّ الوالد على الولد، وما جرى مجرى ذلك من الحقوق التي تبطل مع الزنا وذلك قبيح في العقول مستنكر في العادات^(٢)، أما أبو السعود فقال في بيانها: ﴿ولا تقربوا الزنى﴾ بمباشرة مبادئه القريبة أو البعيدة فضلاً عن مباشرته وإنما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه، ولأن قربانه داع إلى مباشرته وتوسيط النهي... ﴿إنه كان فاحشة﴾، فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد، ﴿وساء سبيلاً﴾ أي بس طريقاً طريقه فإنه غضب الإبزاع المؤدّي إلى اختلال أمر الأنساب وهيجان الفتن^(٣).

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٧/٤٣٨.

(٢) ينظر: أحكام القرآن: ٥/٢٤.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١٦٩-١٧٠.

سادساً: النهي عن التصرف بمال اليتيم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٤].

بين القرطبي هذه الآية بقوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ بأكل، إسرافاً وبداراً أن يكبروا، ولكن اقربوه بالفعل التي هي أحسن، والخلة التي هي أجهل، وذلك أن تتصرفوا فيه له بالثمير والإصلاح والحيطة^(١).

وجاز التصرف بماله للمسؤول عليه «لِأَنَّ الْيَتِيمَ إِلَىٰ ذَلِكَ أَحْوَجُ وَالطَّمَعُ فِي مِثْلِهِ أَكْثَرُ، وَقَدْ انْتَضَمَ قَوْلُهُ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ جَوَازُ التَّصَرُّفِ فِي مَالِ الْيَتِيمِ لِلْوَالِي عَلَيْهِ مِنْ جَدِّ أَوْ وَصِيِّ أَبِي لِسَائِرِ مَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْأَحْسَنَ مَا كَانَ فِيهِ حِفْظُ مَالِهِ وَتَثْمِيرُهُ فَجَائِزٌ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنْ يَبِيعَ وَيَشْتَرَىٰ لِلْيَتِيمِ بِمَا لَا ضَرَرَ عَلَىٰ الْيَتِيمِ فِيهِ، وَبِمِثْلِ الْقِيَمَةِ وَأَقْلَمْنَاهَا بِمَا يَتَعَابَنُ النَّاسُ فِيهِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ قَدْ يَرَوْنَ ذَلِكَ حَطًّا لِمَا يَرْجُونَ فِيهِ مِنَ الرَّبْحِ وَالزِّيَادَةِ؛ وَلِأَنَّ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ النُّقْصَانِ مِمَّا يَخْتَلَفُ الْمُقَوْمُونَ فِيهِ فَلَمْ يَثْبُتْ هُنَاكَ حَطِيظَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَشْتَرَىٰ بِأَكْثَرِ مِنَ الْقِيَمَةِ بِمَا لَا يَتَعَابَنُ النَّاسُ فِيهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ ضَرَرًا عَلَىٰ الْيَتِيمِ»^(٢).

قال الماوردي في توضيح المعنى المراد: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوتُوا بِالْفِئْسَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وإنما خص اليتيم بالذكر لأنه إلى ذلك أحوج، والطمع في ماله أكثر. وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قولان: أحدهما: حفظ أصوله وتثمير فروعه، وهو محتمل. الثاني: أن التي هي أحسن التجارة له بماله. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ وفي الأشد وجهان: أحدهما:

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٧/ ٤٤٤.

(٢) أحكام القرآن: ٥/ ٢٦.

أنه القوة. الثاني: المنتهى. وفي زمانه ها هنا قولان: أحدهما: ثماني عشرة سنة. والثاني: الاحتمال مع سلامة العقل وإيناس الرشد^(١).

سابعاً: الحث على العدل في الميزان:

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٥].

حثَّ الله عز وجل على العدل في الميزان وعدم اللعب فيه وبين العلماء ذلك في تراثهم: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ إِتْمَامُ الْكَيْلِ وَذَكَرَ وَالْوَعِيدَ الشَّدِيدَ فِي نُقْصَانِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَبُئِيَ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [سورة الْمُطَفِّفِينَ: ١ - ٣]... ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ فَالآيَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ فِي إِتْمَامِ الْكَيْلِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ فِي إِتْمَامِ الْوِزْنِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾. [سورة الرَّحْمَنِ: ٩] وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة هُودٍ: ٨٥] وَاعْلَمْ أَنَّ التَّفَاوُتَ الْحَاصِلَ بِسَبَبِ نُقْصَانِ الْكَيْلِ، وَالْوِزْنَ قَلِيلٌ وَالْوَعِيدَ الْحَاصِلَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ عَظِيمٌ^(٢) ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ أَي أتموه إذا كلتم لغيركم ولا تبخسوه وزنوا بالقسطاس المستقيم أي بالميزان السوي بلا اعوجاج ولا خديعة ذلك خيرٌ أي لكم في معاشكم لانتظام أموركم بالعدل، وإيفاء الحقوق أربابها وأحسن تأويلاً أي عاقبة ومآلاً إذ ليس معه مظلمة يطالب بها يوم القيامة^(٣).

قال المراغي في بيان معنى الآية: «﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ أي وأتموا الكيل للناس ولا تخسروهم إذا كلتم لهم حقوقهم قبلكم، فإن كلتم لأنفسكم فلا جناح عليكم إن نقصتم عن حقكم ولم تفوا بالكيل ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي وزنوا بالميزان

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون: ٣/ ٢٤١.

(٢) مفاتيح الغيب: ٢٠/ ٢٣٨.

(٣) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود: ٦/ ٤٦٠.

العدل دون شيء من الجور أو الحيف، لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاولات والبيع والشراء»^(١).

وقال سيد قطب في توضيح هذه الآية: «إيفاء الكيل والاستقامة في الوزن، أمانة في التعامل، ونظافة في القلب، يستقيم بهما التعامل في الجماعة، وتتوافر بهما الثقة في النفوس، وتتم بهما البركة في الحياة. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.. خير في الدنيا وأحسن مآلا في الآخرة... والطمع في الكيل والوزن قذارة وصغار في النفس، وغش وخيانة في التعامل تنزع بهما الثقة، ويتبعها الكساد، وتقل بهما البركة في محيط الجماعة، فيرتد هذا على الأفراد وهم يحسبون أنهم كاسبون بالتطفيف. وهو كسب ظاهري ووقتي، لأن الكساد في الجماعة يعود على الأفراد بعد حين»^(٢) «وهذه حقيقة أدركها بعيد النظر في عالم التجارة فاتبعوها، ولم يكن الدافع الأخلاقي، أو الحافز الديني هو الباعث عليها بل مجرد إدراكها في واقع السوق بالتجربة العملية. والفارق بين من يلتزم إيفاء الكيل والميزان تجارة، ومن يلتزمه اعتقادا.. أن هذا يحقق أهداف ذلك ويزيد عليه نظافة القلب والتطلع في نشاطه العملي إلى آفاق أعلى من الأرض، وأوسع في تصور الحياة وتذوقها»^(٣).

(١) تفسير المراغي: ٤٥.

(٢) في ظلال القرآن: ٤/٢٢٢٦-٢٢٢٧.

(٣) المصدر نفسه: ٤/٢٢٢٧.

الخاتمة:

بعد الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه أنهيت هذه الدراسة المتواضعة التي كانت بعنوان: (النظام الاجتماعي في القرآن الكريم سورة الإسراء مثالا) وقد توصلت الدراسة إلى نتائج عدة من أهمها:

١. النظم الاجتماعية من سنن الإلهية التي وضعها الله في كتابه الحكيم وسنّها النبي الأعظم في دعوته للإصلاح الديني والتربوي والسياسي والاقتصادي، وهذه السنن جاءت لتخلص البشرية من هفوات الدنيا واللغو فيها؛ لكي لا يظلم إنساناً آخر، ولا يعمل المنكرات ولا يبر والديه ولا يعمل بالعدل.

٢. احتوت سورة الإسراء على أوامر ونواهي عدّة يجب على المسلم الالتزام بها.

٣. بر الأولاد بالديهم تُبنى الأسرة السليمة الصالحة التي تقوى فيها روابط الحب والعطف والشفقة المتبادل بين الأبناء ووالديهم مما يهيئ البيئة الصحيحة لتكوين الفرد الصالح السليم الذي يسهم بشكل فاعل في بناء المجتمع.

٤. تحريم الله عز وجل للزنا، ذلك لما فيه من أضرار اجتماعية ودينية تؤثر على المجتمع الإسلامي.

٥. نهى الرحمن سبحانه وتعالى عن التصرف بمال اليتيم، المؤدي إلى هلاكه؛ لأنّ اليتيم يحتاج إلى من ينفق عليه ويتكلف بمعيشته.

٦. حثّ الله عز وجل على الاعتدال في الصرف على العائلة، فلا يكون الشخص بخيلاً كل البخل، ولا يكون مبدراً خارجاً عن الحدود.

المصادر والمراجع:-

القرآن الكريم:

أولاً: الكتب:

٧. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص تحقيق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ.
٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٩. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ١٤١٩ هـ هذه الطبعة تنتهي بآخر سورة القمر، من أول سورة الرحمن إلى آخر التفسير، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
١٠. بر الوالدين قيمة إسلامية عظيمة، دراسة علمية جادة تقدم نموذجاً مقترحاً للبر بالوالدين، عبد الله بن عبد اللطيف العقيل، تحقيق: عبد الله بن عبد العزيز العقلا، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ، الطبعة الثانية: ١٤٢٧هـ، الطبعة الثالثة: ١٤٢٩ - ١٤٣١ هـ.
١١. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٢. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.

١٣. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

١٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٥. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

١٦. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

١٧. التفسير المظهري، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية - باكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ.

١٨. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.

١٩. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٢١. الجواهر الحسان في تفسير القرآن أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف

الثعالبي تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٢٢. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٢٣. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.

٢٤. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، الناشر: دار ركايب للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٥. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

٢٦. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠ هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٢٨. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

٢٩. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٣٠. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي، تحقيق: محمد أمين الصناوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٧ هـ.
٣١. مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ وَيُسَمَّى: «المَقْصِدُ الأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلْمُسَمَّى»، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
٣٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٣٣. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٣٤. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٣٥. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٣٦. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٣٧. الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ.

٣٨. النظام الاجتماعي في الإسلام، السيد هاشم الموسوي، دار الصفوة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٣٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٠. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

ثانياً: المواقع الإلكترونية:-

٤١. شبكة الألوكة، خصائص وأهداف النظام الاجتماعي في الإسلام د. عبدالمحسن بن عبدالعزيز الصويغ.

٤٢. منهل الثقافة التربوية، د. سعيد علي الغامدي.



المحور الثاني

المجتمع المثالي في ضوء النصّ القرآني



جوانب من المنظومة التربوية المتكاملة في سورة يس

البروفيسور الدكتور

هاشم حسين ناصر المحنك

مدير مؤسسة أنباء للدراسات والنشر

عمل سابقاً في جامعة بابل وجامعة الكوفة

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، حبيب الله أبي القاسم محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين .. وبعده..

فترتقي الأمم بالتربية ومضامينها الأخلاقية ومجرياتهما في التنظيم والنظام الاجتماعي، لتبنى منظومة متكاملة لها عمقها الإنساني - الاجتماعي الذي يبدأ من البيئة الأسرية وسبل تماسكها والانطلاق بها نحو الإسهام في بناء المجتمع ومستقبله.

ولا يقف عند هذا المستوى؛ بل يمتد إلى الخطط التنموية الاجتماعية واستدامتها المستمرة التي تتجه نحو تعزيز أسس وبنات المنظومة المتكاملة وجانب منها ما يخص المجال التربوي والأخلاقي، وما يولده من الاستقرار الاجتماعي وسبل حماية المجتمع وأمنه.

كل ذلك وغيره، تكفل بمسؤوليته والنهوض به باعث الرسالة السماوية الخالق (عز وجل)، الذي هو أدرى بالإنسان وجعله التكويني وما يقابله من الجعل التشريعي، وهو ما يحتاج إلى القنوات الأمينة الموصلة لهذا التشريع وسياقات تطبيقه، والمتمثلة القنوات بالأنبياء والرسل عليهم السلام.

وهو ما يترجمه القرآن الكريم ومحتوياته من السور، ومعالجاته التي تحمل الحاضر والمستقبل؛ بل وحتى تمتد منها إلى عمق الماضي والتجربة البشرية - الحضارية؛ بل وتجاوز الدنيا إلى ما بعدها، لتكون الاستراتيجيات ومنظوماتها بخصوصية استدامتها وتميزها.

ومنها المنظومة التربوية، وما لها من عمقها المتمثل بالماضي، والحاضر، وما تكون عليه الحياة الاجتماعية - التربوية، وما يتوجب أن يكون عليه المستقبل الذي ينظم عبر التشريعات العبادية وتشريعات المعاملات.

فالدين المعاملة وهو روح المجال التربوي والأخلاقي الذي لا تتقدم فيه الحقوق كما تتقدم في التشريعات والقوانين الوضعية؛ حتى تمتد الحقوق وتبعاتها إلى ما بعد الدنيا، وهذا المفتاح التربوي للحقوق، وما يتمثل فيه حقوق الإنسان - الناس، وسبل الارتقاء الحضاري به.

من هذا وغيره، كان متبنيات البحث وأهميته ومهامه وفرضياته وحقائقه ضمن سورة يس المباركة، وسبل الارتقاء بالإنسان وحضارته الإنسانية عبر التربية وتقييمها الوظيفي وتقييمها الأدائي.

متمنياً من الله عز وجل السداد والتوفيق لما يرضيه.. والحمد لله رب العالمين..

الكلمات المفتاحية: المنظومة التربوية، سورة يس

Summary:

Praise be to Allah, who had created all creatures, prayers, and peace for his noblest prophets and messengers, Habibullah Abu al-Qassim Mohammad bin Abdullah and his noble family. Nations prosper through good education, moral contents, processes of the organization, and social order, to adopt an integrated system that has a human-social depth, that starts in the family's atmosphere and its ways of cohesion, to achieve its goal of enhancing the society, It does not stand at this level; but extends to social development plans and their continuous sustainability, which leads to strengthening the integrated system foundations and structures, including the educational and moral field, and what is generated after from social stability, and ways of protecting society. (Almighty Allah) took responsibility for all of that, who is more familiar with his creatures in the light of jurisprudence (Shari'ah laws), which needs official channels to distribute and translate his rules, among people and ways of performing these laws in life, these channels were represented by Prophets and messengers, and this is what Holy Quran has stated in its content -Surah(s)-, its point of views that carry the present and the future; but even extending to the depth of the past, and Human experience; it went beyond the universe so that strategies and their systems are specific to their sustainability and distinctiveness. These include the educational system and its past and present depth in socio-educational life and how life appears in the future that is regulated through both worship & life-communicating laws. Because religion is based on a good communication lifestyle, it's the spirit of the educational-moral field, in

which rights aren't applied like legislations & Man-made laws; even rights and their consequences extend beyond the whole universe, this educational key and what represents in human rights, and ways of cultural enhancement.

Among these, the purposes that this research stood for, its importance, tasks, thesis, and facts were within the blessed "Yassen Surah" ways of enhancing human beings, and their Humanitarian culture, through education and its functional & performance assessment.

Asking Allah to put his merciful blessings in our paths, and last but not least, Al-Hamdullah for everything.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، حبيب الله أبي القاسم محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين .. وبعد..

فترتقي الأمم بالتربية ومضامينها الأخلاقية ومجرياتهما في التنظيم والنظام الاجتماعي، لتبني منظومة متكاملة لها عمقها الإنساني - الاجتماعي الذي يبدأ من البيئة الأسرية وسبل تماسكها والانطلاق بها نحو الإسهام في بناء المجتمع ومستقبله ..

ولا يقف عند هذا المستوى، بل يمتد إلى الخطط التنموية الاجتماعية واستدامتها المستمرة التي تتجه نحو تعزيز أسس وبنات المنظومة المتكاملة وجانب منها ما يخص المجال التربوي والأخلاقي، وما يولده من الاستقرار الاجتماعي وسبل حماية المجتمع وأمنه.

كل ذلك وغيره، تكفل بمسؤوليته والنهوض به، باعث الرسالة السماوية الخالق عز وجل الذي هو أدرى بالإنسان وجعله التكويني وما يقابله من الجعل التشريعي، وهو ما يحتاج إلى القنوات الآمنة الموصلة هذا التشريع وسياقات تطبيقه، والمتمثلة القنوات بالأنبياء والرسل عليهم السلام.

وهو ما يترجمه القرآن الكريم ومحتوياته من السور، ومعالجاته التي تحمل الحاضر والمستقبل، حتى تمتد منها إلى عمق الماضي والتجربة البشرية - الحضارية، بل تجاوز الدنيا إلى ما بعدها، لتكون الإستراتيجيات ومنظوماتها بخصوصية استدامتها وتميزها.

ومنها المنظومة التربوية، وما لها من عمقها المتمثل بالماضي، والحاضر، وما تكون عليه الحياة الاجتماعية - التربوية، وما يتوجب أن يكون عليه المستقبل الذي ينظم من طريق التشريعات العبادية وتشريعات المعاملات.

فالدين المعاملة وهو روح المجال التربوي والأخلاقي الذي لا تتقدم فيه الحقوق كما تتقدم في التشريعات والقوانين الوضعية، حتى تمتد الحقوق وتبعاتها إلى ما بعد الدنيا، وهذا المفتاح التربوي للحقوق، وما يتمثل فيه حقوق الإنسان - الناس، وسبل الارتقاء الحضاري به.

من هذا وغيره، كان البحث بمتبنياته وأهميته ومهامه وفرضياته وحقائقه ضمن سورة يس المباركة، وسبل الارتقاء بالإنسان وحضارته الإنسانية من طريق التربية وتقييمها الوظيفي وتقويمها الأدائي.

متمنياً من الله عز وجل السداد والتوفيق لما يرضيه.. والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: المدخل وجوانب من المفاهيم التربوية:

لا بدّ لكلِّ بحث ودراسة، أن يتم وضع مدخل تعريفي ومفاهيم تغني بعض الشيء عن أمور مشتركة في محاور البحث، لذا ستكون محاور المبحث هذا الآتي:

أولاً: المدخل والمفاهيم:

ثانياً: المنظومة التربوية المتكاملة وإدارتها.

ثالثاً: المنظومة التربوية المتكاملة لتنمية وتطوير الأخلاقيات التربوية وتربوية الأخلاقيات.

رابعاً: المجال التربوي الدنيوي - الأخرى.

خامساً: القمع التربوي والمنظومة التربوية المتكاملة.

أولاً: المدخل والمفاهيم:

قبل الخوص في غمار البحث، لا بدّ من أن يكون هناك خطوط عامة بحسب ما يتلائم مع مقتضيات المحتوى، من أجل الوصول إلى مرحلة التركيز على محاور البحث وانتظامه، وهنا يتطلب بعض المصطلحات والمفاهيم الخاصة بمحاور البحث، ويمكن أن تكون محددة بالآتي:

١. الأسرة Family: هي الجماعة التي تربط أفرادها رابطة القرابة والدم الواحد.. وتختلف أوضاع الأسرة باختلاف المجتمعات، حتى أنّ مدرسة علم الاجتماع الفرنسية ترى الأسرة ظاهرة اجتماعية لا بيولوجية، تكونت عن حقوق وواجبات.. نظام الأسرة Family Institution: هو مجموع القواعد والأسس الاجتماعية التي لها الأهمية الجوهرية في تكوين المجتمع وتحقيق متطلباته ووجوده الاجتماعي على وفق خصائصه المتميزة، ويشكل نسقاً من الأدوار الاجتماعية المترابطة،

والمعايير التي تتعلق بتنظيم العلاقات الجنسية وتربية الأبناء وبناء علاقات القربى.. تنظيم الأسرة Birth Control: هو الجزء المكمل لنظام الأسرة، والمُحدّد بموجبه حجم الأسرة والتخطيط لها على وفق الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والبيولوجية.. ويشمل علاج العقم أو ارتفاع أو انخفاض عدد المواليد، وبمختلف الأساليب المبتعدة عن الشرائع والقوانين.. التربية Education مصطلح يدل على تنشئة الجيل على أساس قويم بناء الفكر والتوجه النفسي والأخلاقي والعقائدي والسلوكي، وما يتطلبه من الاهتمام بتنمية القدرات العقلية من خلال التعلم والتعليم، وما يتطلبه من التدريب والتثقيف.. النظام التربوي Educational System مجموعة من العناصر والعلاقات والتفاعل ضمن محتوى؛ المدخلات بما تحتاجه التربية ومجالاتها المتنوعة من جوانب مادية وغير مادية، والعمليات التربوية للموارد البشرية ومجريات التنفيذ والأداء، وما يتحقق من المخرجات وجودتها الشاملة حسب ما يحمله الداخل في العملية التربوية، ومنه المعلومات المرتردة لاستدامة مستقبل واستمرارية النظام على أسس أخلاقية..

٢. علم النفس التربوي Educational Psychology ويدرس التعليم والاستعداد له، والصحة النفسية - العقلية، والتوافق الاجتماعي ومعيّار وتقييم النمو التربوي عند المتعلمين، وتشخيص مشاكل التعلم..

٣. علم الاجتماع التربوي Educational Sociology: فرع من فروع علم الاجتماع، ويتطلب ضرورة تحليل ما يلعبه دور النظام التربوي وعلاقته بأجزاء البناء الاجتماعي وما يتعلق به..

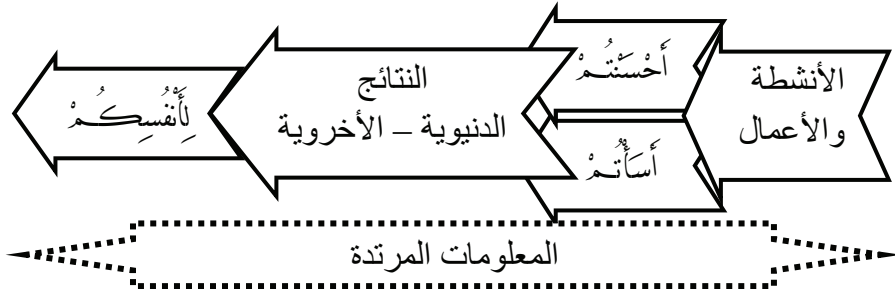
٤. المنظومة التربوية: هي مجموعة أو كل من البرامج والأجزاء والمركبات المتفاعلة مع بعضها البعض بشكل رسمي وغير رسمي، ومخطط له وغير مخطط له، بما فيها ما يتعلق بتفاعل الجوانب المادية وغير المادية، والنفسية في المجالات التربوية ضمن

البيئة التربوية - الاجتماعية..

الرعاية الاجتماعية Social Welfare: منهج يمكن من طريقه تقديم المعونة بما يمكن من الجوانب المادية وغير المادية والنفسية للطبقات المحرومة، ومنها ما يتحقق وينصب، بشكل مباشر وغير مباشر، ضمن العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي التنشئة الاجتماعية Socialization: تبدأ من الأسرة النواة، وما يدخل ضمنها من تنشئة الطفل، واحتواء كل ما تتطلبه من حاجات وإشباع، والاتجاه في دراسة وفهم ومعالجة ما يتطلبه من البناء النفسي - الاجتماعي، وما يتعلق من جوانب تربوية متكاملة البناء.. وفي هذا المنحى التربوي، نرى من بين روائع التوجه الإسلامي أن جعل الوعي والمنظومة التربوية أسسها وبنائها ترتفع عندما يحسن الشخص معرفة وتطبيق:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ من الآية ٧ / سورة الإسراء

وبين؛ ﴿أَحْسَنْتُمْ﴾ و ﴿أَسَأْتُمْ﴾، يكمن مستقبل؛ ﴿الْأَنْفُسِكُمْ﴾، الديني - الأخرى، وما يمتد لمستويات الارتقاء الإنساني والحضاري على أسس صون الحقوق وما يتطلب من أداء التكاليف بكل ما يكون عليه من جودة تحددها المعايير وحماية الإنسان من ذاته ومن الآخرين، ويمكن وضع ذلك ضمن مجمل مختصر ومبسط لذلك في المخطط الانسيابي الآتي:



مخطط (١) يبين الوعي والمنظومة التربوية للسلوك البشري

وفي عالمنا المعاصر، تدخل المنظومة التربوية ضمن مجالاتها وتطبيقاتها التقليدية وغير التقليدية والرقمية، وسبل الارتقاء بها من طريق الخطط والآليات والوسائل وما يرتبط بذلك من البنى التحتية للمنظومة التربوية وحتى البنى الفوقية لها، من أجل الوصول إلى مرحلة مواكبة ما يجري من تغير جزئي وتغيير شامل في البيئة التربوية، بما فيها البيئة التربوية الإلكترونية والرقمية، وما يرتبط بها من سبل التعلم والتعليم المستمر، وسبل الارتقاء بالبيئة - الإنسان ومجالاته المستقبلية، بما فيه ما يتعلق بالتنظيم الرسمي والتنظيم غير الرسمي.

وهنا مما يبرز بوصفه داعما مباشرا وغير مباشر، أهمية ما يتطلبه من الاعتناء بالصحة النفسية والصحة العقلية، وسبل الارتقاء بالبيئة الصحية الشاملة، وأبسط دليل على أهمية البيئة الصحية المقترنة بالبيئة الاجتماعية - التربوية، هو ما مر على العالم من جائحة كورونا (كوفيد ١٩) ومجريات التحديات والتهديدات والمخاطر الذي مرّ على الناس ومسيرة حياتهم، وما زال آثارها وتداعياتها إلى يومنا هذا.

ثانياً: المنظومة التربوية المتكاملة وإدارتها:

هناك الإدارة والقيادة، كلاهما يلتقي عند تنفيذ الأعمال بوساطة الآخرين لتحقيق الأهداف المرسومة بحسب ما مخطط لها، وإذا كانت الإدارة تمثل «التنفيذ»، فإن القيادة تمثل إنجازها من طريق «أسلوب التنفيذ».

وهذا فإن المنظومة التربوية وتكاملها ونجاحها في تلبية الأهداف في المجال التربوي، له علاقة بإدارتها أو قيادتها الناجحة التي يتفاعل معها كل الأطراف المعنية بها من الناس، سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو مجتمعات، مع الأخذ بنظر الاعتبار المستويات الحضارية والإنسانية وما يرتبط بذلك من التطورات التقنية والتكنولوجية، ولكل عصر له أدواته ووسائله واستيعاباته المحققة للأهداف بالتنفيذ وجودة الأداء

والمعايير المعتمدة للتقييم الوظيفي والتقويم الأدائي:

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ سورة الإنسان (٣).

ومما يؤشر على تلك الهداية وضرورة رفع مستويات مفصلية الثقافة - التربية العامة والخاصة والتخصصية، ومجريات النفس وسياقاتها بين التقوى والفجور:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ سورة الشمس (٧ - ١٠).

وهنا يبرز أهمية المجالات التربوية ومنظوماتها لبناء الثقافة التربوية وتربوية الثقافة وإدارتها، لتكون المميزة والواعية بالتمييز بين؛ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، ليكون الاختيار وإرادة الاختيار الواعي المميز بين؛ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

وما يقابله من نتائج مرتته بالاختيار الواعي، ويمتد بالحقوق المتعددة طالبيها التي تبدأ من ذات الإنسان إلى ما يحيط بها، وما تطلب من استيفاء حقوقها في الدنيا وما بعدها.

بمعنى آخر، لا بدَّ من أن يكون السياق التربوي ومتطلباته الإدارية والسياق القيادي، تتعدّد حلقاته من البيئة الداخلية ومجرياتها إلى البيئة الخارجية وحلقاتها القريبة والبعيدة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة يس (٣٦).

وما تتطلب من السياق الإداري التربوي وسبل التنظيم ضمن المنظومة التربوية، وما يتحدد من طريق ذلك من الأدوار والمهام، والأدوات والآليات، وتوزيع العمل، بما يتعلق بمستوياتها التخصصية، وما يترتب عليها من مسؤولياتها وتوزيعها.

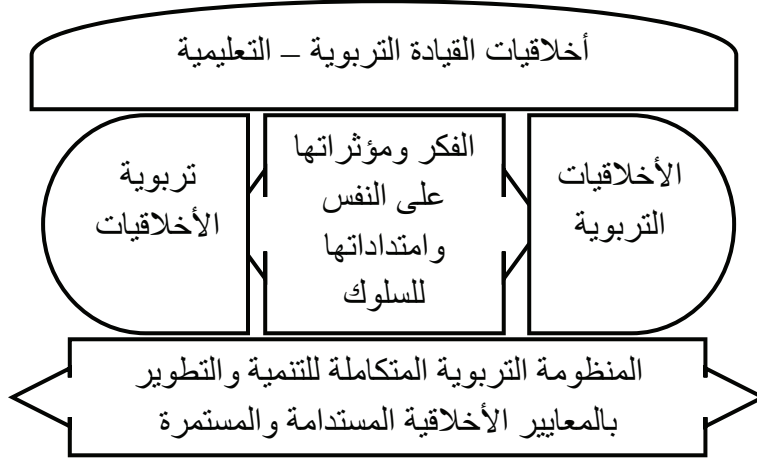
ثالثاً: المنظومة التربوية المتكاملة لتنمية الأخلاقيات التربوية وتربوية الأخلاقيات وتطويرها:

تعد الأخلاق جزءاً أو قسمًا من الفلسفة بما فيها من معنى ومضامين حبّ الحكمة، لتكون جاذبة لكلّ ما هو تربوي قويم، وطارده لكلّ ما هو غير قويم وغير أخلاقي، وتكون المنظومة الواسعة المتكونة من الفكر - النفس - السلوك، داعمة وحيوية للأخلاقيات التربوية وتربوية الأخلاقيات المبنية على أسس الشعور الإنساني.

لذا يتطلّب أن تتجه المنظومة التربوية بمنحى الاستدامة المتكاملة والمستمرة، وتتخذ السبل الكفيلة للتنمية والتطوير التربوي المواكب بهندسته وإعادة هندسته لما يجري من تغيرات وتغييرات على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي للارتقاء بالإنسان وبيئته.

ومنه ما يتعلق بالأخلاقيات التربوية وتربوية الأخلاق وتنميتها وتطويرها داخل المنظومة الحياتية، وبالخصوص المنظومة التربوية والعمل على تكاملتها، بكل ما يحقق ويضمن الحقوق المشتركة وبناءها الإنسانية.

ولا يمكن الارتقاء بالحياة الإنسانية وإسعاد الحياة، إلا بوضع معايير الجودة الأخلاقية الشاملة التي تضمن حقوق الناس أو كل الأطراف المعنية، ولا يتكامل ذلك ليكون حجر الأساس الحضاري إلا بأن يكون للمنظومة تكاملية؛ الأخلاقيات التربوية مع تربوية الأخلاق، التي تبدأ من أخلاقيات القيادة التربوية - التعليمية، والمخطط الآتي يوضح جوانب منه:



مخطط (٢) يبين المنظومة التربوية المتكاملة للتنمية والتطوير بالمعايير الأخلاقية المستدامة والمستمرة

وتتكامل المنظومة التربوية - الأخلاقيات وبنائها في الحقوق والواجبات والتكاليف عند منطلق الدعوة:

﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ سورة يس (٢-٤)

وتربوية الأخلاقيات وأخلاقيات التربية مكون رئيسي من مكونات ومضمون من مضامين؛ ﴿الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾، المحكم بأحكامه وبياناته بحججه، والواضح في نظمه ومعانيه، والذي لا يأتيه الباطل من كل الجهات والأزمات، ومنه ما يتزود ويحمل وينشر الدعوة المباركة، بما فيه ما يحمله ويحمله من مجالاته التربوية والأخلاقيات الشاملة والواسعة المعالم والأطراف.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، ويتمثل فيه القطب والقناة الواصلة بين الخالق عز وجل والمخلوق العاقل، بما فيه ما يحمله من التوجه والهدف الذي يمر بتربويته وأخلاقياته وقيمه وكل ما يحمله من خير الدنيا وما بعدها؛ ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، بالحق والاستقامة،

ومنه ما له صلة بعظيم الإرسال والتوجه الراسخ على طريق لا اعوجاج فيه والمستمر بهداه واستدامته القويمة..

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ يس (٦٩)

ولم يجعل الفنون الأدبية الشعرية ومبارياتها، سبيل للمنهج التربوي وما تتطلبه من نشر الرسالة الإلهية؛ ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾، بل هو منحى لتوجه الدستور الإلهي بكل ما ينبغي منه أن يبني منظومة حياة متكاملة لإنقاذ البشرية من الاستغلال والظلم والتعسف والجور، ومنفذ من منافذ منظوماته، المنظومة التربوية؛ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.

ليرتبط بكل ما يحمله من التشريعات والتنظيمات التي تصون الحياة بشكل عام والمنظومة التربوية بشكل خاص:

﴿لِيُنذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يس (٧٠)

وذلك لما يحمله لمن كان حيًّا، كل الاعتبارات، منها ما يخص تماسك مكونات ذات الفرد وامتداداته الأسرية - الاجتماعية من طريق المنظومة التربوية ومجرياتها المتكاملة، والموجهة لعجلة التنمية المستدامة الشاملة والتطوير المستمر، للإنسان والبيئة والمخلوقات التي تعيش فيها والفضاء الذي حوله.

رابعًا: المجال التربوي الدينيوي - الأخروي:

يتميز مجال المنظومة التربوية في الإسلام بداعم دستورها القرآن الكريم، وما يتضمنه من تشريعات وامتداداتها أو استمداداتها الفقهية من التكاليف، بالمقارنة مع مجريات المنظومة التربوية في التشريعات الوضعية، بأنَّ الأولى أي التشريعات الإلهية الإسلامية لها محتواها ومنظورها العام والخاص والتخصصي المفصلي الدينيوي - الأخروي، وهذا لها فلسفتها العميقة وإستراتيجياتها الممتدة بالمجال الدينيوي إلى

المجال اللامحدود الأخرى، ليكون المجال الديني بين:

١. الماضي كتجارب ودروس مستفيضة بالعبر ومكوناتها.
٢. الحاضر وتطبيقاته بحسب ما مخطط له وأوضاعه الثابتة نسبياً والمتغيرة جزئياً و كلياً.
٣. المستقبل وتوقعاته وما يتطلب من الإحاطة بما تمليه الخطط.

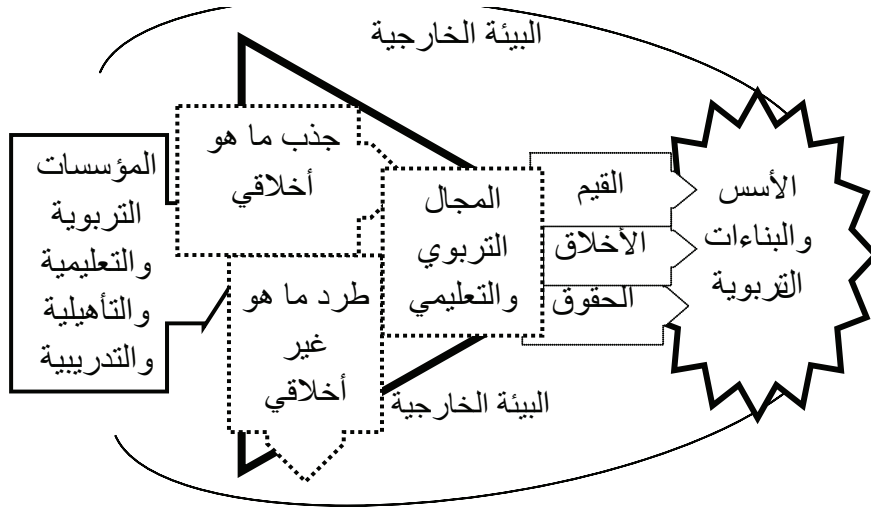
ولا يقف عند هذا الحد، بل يمتد بمفصليته الدنيوية المتمثلة بالماضي - الحاضر - المستقبل إلى المجال الأخرى ما بعد الدنيا وما يتطلب من الاستعداد بالأعمال العبادية، وما يخص المعاملات من الحلال والحرام ونظم البيع والشراء، وبشكل عام الحراك والأنشطة ونظمها وتنظيمها في الحياة الدنيا، وما يترتب من الحقوق التي لا تتقادم حتى يتم استفاءها، فضلاً على ما يترتب على الظاهر والباطن عند الحساب والجزاء الأخرى.

لذا يكون له منحى خاص ومنظومة وتنظيم ونظام وانتظام في مجالات الحياة المتعددة، ومنها المجال التربوي وأساسه وبناءاته المنظورة وغير المنظورة.

أمّا التشريعات الوضعية التي يرسمها الإنسان لحياته في بناءاته الفكرية وبفلسفته القاصرة وإستراتيجيته المحدودة على القطب والمحور والمجال الديني التي بمنظورها التوقيتي يتقادم، فلا يكون الجزاء والإدانة إلا على الإثبات وما يجري على ظاهر الأعمال والسلوك.

ومن هذا يكون التشريع الإلهي الإسلامي له عمقه الإنساني في الشكل والجوهر، وفي المجالات الذاتية والموضوعية، سواء كان الإنسان ضمن مفهوم الشخصية الحقيقية ومبانيها، أم الشخصية المعنوية وما تنطوي ضمن مشروع أو مؤسسة يكون هو جزء منها.

وهذا يمكن وضع مخطط مختصر ومبسط يبين المنظومة الأساسية الإستراتيجية التربوية بلحاظ جوانب مما تقدم تبيانه، وبحسب الآتي:



مخطط (٣) يبين المنظومة الأساسية الإستراتيجية التربوية

والصياغة والتطبيقات بمعايير المجال التربوي ونتائجه الذي يضم المجال الديني - الأخرى بتوقيتاتها ومواقعها ومواقفها عند؛ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ يس (١١).

وما ﴿تُنذِرُ﴾ إلا التوقيت المقترن بالمكان والموقف وسبل تحديد المعايير؛ ﴿مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾ والكيفية التي تمثل الاطمئنان النفسي، أو النفس المطمئنة، عندما تكون استيعابها وتحسسها؛ ﴿بِالْغَيْبِ﴾ ليؤدي بعمقه الإستراتيجي وتحقيق الهدف بنتائج ثوابه؛ ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ فالبشرى بالأجر، والمغفرة الكريمة.

والامتداد الإستراتيجي، بالماضي والحاضر من جهة، والمستقبل الديني - الأخرى من جهة أخرى عند؛ ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ يس (٢٦-٢٧).

خامساً: القمع التربوي والمنظومة التربوية المتكاملة:

للقمع معنى الكبت والتضييق، وقد جاء هذا التحديد من شكل القمع الذي يبدأ من قمة واسعة ونهاية ضيقة وهو (المحكان) الذي يصب من طريقه السوائل إلى وعاء آخر.

أمّا القمع التربوي، فربّما يأخذ معنى الكبت التربوي، ولكن ليس هذا القصد هنا، وإنّما المجال الذي يأخذ سعته بمرور معلومات وأفكار تخرج قسم منها إلى خارج القمع أو تقف عند المنفذ الواسع له، فلا يدخل إلا المعلومات والأفكار المحدد للمرور إلى الجهة الأخرى من دون غيره ليكون رسالة هادفة من نوع خاص.

وهو ما يصل إلى المنظومة التربوية المتكاملة ليكون جزءاً منها بعد التحليل والدراسة والمعينة والتوافق مع الصياغة التربوية المطلوبة للمنظومة، وسبل تطبيقها أو تنفيذها بأداء عالٍ يحقق الغايات والأهداف المرسومة، أو جانب من الأهداف الإستراتيجية التي تتكون من أجزاء تكتيكية تجتمع لتحقيق مع مرور الزمن ومن طريق التخطيط الإستراتيجي المقسم على السنوات المطلوبة لتحقيق الأهداف المتكاملة.

ولو كانت المقاربة بذلك والمقارنة مع القمع التربوي والمنظومة التربوية المتكاملة بأقلمة وصياغة وتطبيق وأداء بمنظور إسلامي، سيكون منظوره:

١. جذب ما هو أخلاقي وكل ما يحمي الحقوق وبمعايير إنسانية حددها التشريع الإلهي، والحد من الاتجاه نحو الحرام، وما يتطلب التوجه بالسلوك القويم، فهنا يسمح هذا الشكل كمقاربة للفكرة، بكل ما هو ملائم لهذه المعايير لتحسين ورفع مستوى جودة التعلم والتربية والتعليم باتساع مساحة نقاط القوة والمنافع الإنسانية.

٢. طرد أو إبعاد كل ما هو لا أخلاقي ويهدد بمخاطره وتحدياته إنسانية الإنسان وسلوكه المنحرف، التي تتحدد بمعايير حددها التشريع الإلهي، وهنا لا يسمح هذا الشكل كمقاربة للفكرة، بكل ما هو غير ملائم لهذه المعايير، والحد والسيطرة على

مستوى جودة التعلم والتربية والتعليم، وذلك بالحد من مساحة نقاط الضعف وكل ما يقف بعرقلة المنافع الإنسانية.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ فكرة القمع ومفهومه يدخل في مجال التسويق والمبيعات، وهذا فكرة قمع التسويق Marketing Funnel أو قمع المبيعات Sales Funnel تبنى وتتجه على أساس النظام الإلكتروني، ويتم من طريقه الإعلان والاستقطاب والانتقال بالمستهلكين إلى مراحل متكونة من:

- مرحلة الوعي Awareness.

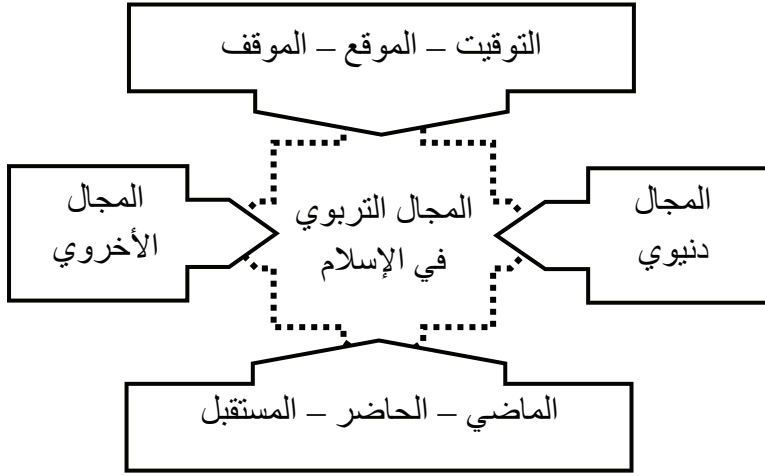
- مرحلة الاعتبار Consideration.

- مرحلة التحول Conversion.

- مرحلة الولاء Loyalty.

- مرحلة التبني Advocacy.

ومن هذا وغيره، يمكن تقريب فكرة القمع التربوي بشكل مختصر ومبسط، وسبل الارتقاء به بالتواصل مع المنظومة التربوية المتكاملة، بحسب الآتي:



مخطط (٤) يبين منظومة القمع التربوي

ولو تتبعنا ذلك في المضمون الفكري الإسلامي لرأيناه يبدأ من العالم الواسع للحلال والحرام، مروراً بالجزاء المجسد بالثواب والعقاب، وما يترتب عليه في المجال الدنيوي وسبل الارتقاء بنعيم الحياة وإسعادها من طريق استثمار النعم الإلهية وسبل الارتقاء التربوي بالإنسان من طريق المنظومة الحياتية المتكاملة، وجانب أو جزء فرعي منها، المنظومة التربوية المتكاملة التي تتكامل مع المنظومة التعليمية المتكاملة، ومع كل مرحلة للمنظومة التعليمية المتكاملة، مع كل خطة معتمدة وتنفيذ بأداءه العالي.

وصورة من القمع التربوي لتنقية المناخ والبيئة الفكرية التربوية، وسياقه للتنقية، يدخل من طريق التجربة التاريخية - الآثارية، وسبل الارتقاء بالاستقراء والاستدلال على البيئة الفكرية والنفسية والمناخ المحقق لقويم السلوك، وذلك بالتجارب الحضارية الماضية: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يس (٣١)

والتوجه الآخر بلحاظ الصورة العالية الدقة بالتحليل الوظيفي - الأدائي من طريق التوصيف والوصف والمواصفات، لوضع الأمور المناسبة في نظامها ومجالها المناسب،

ويمكن أن تظهر عند مضمون: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿يس (٣٣-٣٤)﴾.

هذه الصورة تهذب وترتقي من طريق تهذيب القمع التربوي؛ للوسيلة والغاية، والسبب والمسبب، وسبل السلوك القويم بين إحياء الأرض الميتة، وعلامات التنمية المستدامة والتطوير المستمر، وما يتحقق من إسعاد الحياة؛ بالتعلم والتربية والتعليم، ومجالاتها ضمن المنظومات المتخصصة بكل واحدة منها.

المبحث الثاني: البيئة وحراكتها التنموي:

استكمالاً لما ورد في المبحث السابق ومحاوره، يمكن توصله بما يتعلق بالبيئة وجوانب بيئية لها تأثيراتها على المنظومة التربوية المتكاملة، ويمكن إدراج منها ما تتمثل مجالاته بالمحاور الآتية:

أولاً: الموقع التربوي - النفسي الآمن.

ثانياً: البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية.

ثالثاً: البيئة التربوية الصديقة والبيئة التربوية المعادية.

رابعاً: البيئة التربوية الجاذبة والبيئة التربوية الطاردة.

خامساً: البيئة التربوية ومنظومتها المتكاملة.

أولاً: الموقع التربوي - النفسي الآمن:

للموقع بشكل عام، والموقع التربوي بشكل خاص، وما يمليه الجانب الرسمي وغير الرسمي ومسؤولياته ومعطياته، وما يحدد بشكله المخطط وغير المخطط له، الأهمية البالغة في نسبية التحكم والمستويات ضمن الهيكل التنظيمي الرسمي، كما هو مرسوم للمشاريع ومنها المشاريع أو المؤسسات التربوية، ليكون لها إدارة أو قيادة

رسمية، أو ضمنها يتشكل هيكل تنظيمي غير رسمي وغير منظور، ليكون لها قيادة غير رسمية لكنها لها العمق المؤثر على المواقع الداخلية والخارجية للمؤسسات التربوية. وكل له خصوصياته بالاتصالات والعلاقات الرسمية وغير الرسمية، ومؤثراته في مسيرة المنظومة الحياتية - التربوية واتجاهاتها وتفاعلاتها وتحقيقها الأهداف المرسومة. وهنا لا بدّ من أن يكون للموقع وأقطابه المؤثرة في الجانب التربوي ارتباطه بالمجال النفسي والأمن النفسي - السلوكي، وحينما تكون التشريعات الإلهية هي القطب والمحور له، سيكون هناك استعدادات واستيعابات ومجالات آمنة وحريصة على الحراك الحياتي، والمنفذ له هو الإنسان بما يدعمه الوعي والبناء التربوي - الأخلاقي، وما يحقق بإيجابياته الاستقرار والأمن، وبخلافه سيؤدي بمخاطره إلى العواقب الوخيمة الذي يفقد الإنسان توازنه ليكون مؤداه:

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ * وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس (٣٠-٣٢) والحسرة؛ ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾، يقابلها طبيعة مكونات الفكر - النفس - السلوك، والسبب المتمحور حوله؛ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾، ومؤثراته؛ ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، ومنه انحدار المستوى التربوي والنفسي..

وعند ضبابية الرؤيا وفقدان الوعي والاتزان يبرز الاستفهام؛ ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾، كأسباب ونتائج لها وقعها الحاسم؛ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾، وما يستقرؤون ويستدلون؛ ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾..

ولها تداعياتها في عدم الاتعاض التربوي والعبرة الكفيلة مما جرى في المنظومة التاريخية، وما تركت من آثار البصمة المادية مما خلفه من سبقهم من الأمم، ولم يكن الموقع التربوي ومؤثراته على النفس، ولم يكن له الأثر على التوجه السلوكي في انقاذ

الذات الفردية والجماعية والمجتمعية من عواصف التهديدات؛ ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾، وذلك للحساب وإحقاق الحق المنشود.

ثانياً: البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية:

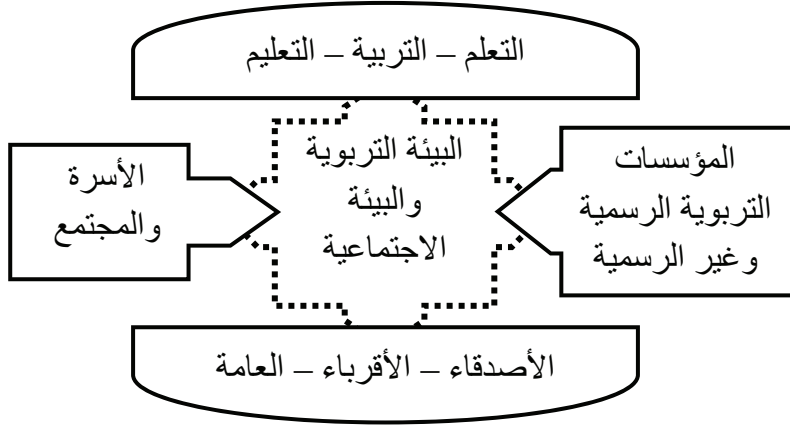
تأخذ البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية مجالتهما في التأثير على اتجاه الفكر - النفس وما يمتد لتوجيه السلوك، وما الفلسفة التربوية إلا مجال ومحتوى لاستيعاب متطلبات البيئة وتفصيلها التربوية - الاجتماعية، والسيطرة على المؤثرات والمشاكل والصراعات والتهديدات وذلك بإحياء ما تحمله من مستوى القيم والأخلاق.

وبهذا يمكن توظيف القيم والأخلاق في مجال البيئة التربوية - الاجتماعية للحد من التوجه السلبي المعوق للسلوك الإنساني: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يس (١١)

والقوم لا ينفصلوا عن البيئة الداخلية ولا ينفصلوا عن مؤثرات البيئة الخارجية، وما يجمعهم من المجال التربوي، وما يتطلب استقامة ذلك من طريق المنظومة التربوية وسلامتها بالاستدامة المستمرة الدائرية والدورية، التي بدورها تستديم البيئة التربوية - الاجتماعية وسبل الارتقاء بها إلى المستوى الإنساني الواعي واستدامة الطاقة الإيجابية.. ومنه ما يتعلق بسلامة المفصلية المركبة وانسيابيتها المتمثلة في المجال التربوي - الاجتماعي - الفكري - النفسي - السلوكي، وسبل انسيابيته وفاعليته ومدى الاختيار والملاءمة بمرورته بين البدائل وعقلانية الاختيار، لتكون نتائجها إيجابية وصحية على البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية.

ويمكن إجمال مختصر ومبسط البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية وعلاقتها بجوانب من العوامل المتفاعلة معها كالأسرة والمجتمع، والمؤسسات التربوية والتعليمية، وما تؤثر الأصدقاء والأقرباء والعامّة، ومجريات تنمية وتطوير القدرات، بالتعلم والتربية

والتعليم، ووضع منظومتها ضمن المخطط الآتي:



مخطط (٥) يبين البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية وعلاقتها

وبهذا اهتم الإسلام ودستوره القرآن الكريم بمنظومة الحياة ومجمل ما له علاقة معها، ومنه ما يتعلق بالمنظومة الفرعية للبيئة التربوية والبيئة الاجتماعية، لما لهما من أهمية بالغة في بناء شخصية الإنسان وتفاعله مع ما يحيط به من البيئة الأسرية والبيئة الخارجية، وما يدخل بأنشطته وتفاعله معها، ليتأثر ويؤثر بها، بشكل مباشر وغير مباشر:

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يس (٦)

وما القوم إلا جزء مهم وحيوي في تشكيل الحياة ومهامها وحضاراتها، وبين حراك نظام الاتصال، يشغل مساحة حيوية بين؛ (لِتُنذِرَ) (قَوْمًا)، ليكون مجال وامتسع لإيصال محتوى المعلومات - الفكر لهم، لتحقيق التغيير الإيجابي في البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية، ومتبنيات مسيرتهم الأخلاقية بالطاقات الإيجابية، فلا يضع حقوقهم المتبادلة.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ يس (١١)

وهو ما يشكل بمحدداتها التشريعية أرقى منظومة للبيئة التربوية وارتباطها بالبيئة الاجتماعية، ومنها ما يحقق النظام والتنظيم والانتظام، وسبل الارتقاء بالفرد - المجتمع، وذلك حينما يكون بثقافته وبالوعي، يميز ويختار، وله استجابة وتفاعل من أجل حماية حقوقه وحقوق الآخرين والأجيال القادمة، والابتعاد عن كل تبعات وتداعيات تؤثر من قريب أو بعيد على البيئة ومنها البيئة التربوية - الاجتماعية، والسيطرة على المستجدات التي تعكر صفو البيئة والمناخ التنظيمي التربوي والاجتماعي، لتؤخذ بنظر الاعتبار كإستراتيجية وتكتيك وتنفيذ ضمن الخطط المرسومة ومجرياتها، من أجل أن لا يصلوا إلى مرحلة الانغلاق الفكري وتشتته ومؤثراته: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يس (٤٧) وما يتطلب امتدادات ذلك إلى تحسين منظومة العلاقات التربوية - الإنفاقية الداعمة للبيئة الاجتماعية وما يرتبط بها، وما يدعمها من تشريعات إلهية لتحقيق التكاملية والانسيابية بين البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية.

ثالثاً: البيئة التربوية الصديقة والبيئة التربوية المعادية:

بتوجهات البيئة التربوية تظهر شكل من أشكالها المتعدد الأبعاد الحميمة والعاطفية، فمنها ما تكون؛ البيئة التربوية الصديقة، وأخرى تكون البيئة التربوية المعادية، وربما تكون هناك بيئة تربوية نسبية في مفصليتها بجاذبيتها النسبية بين البيئة التربوية الصديقة والبيئة التربوية المعادية، على المستوى الشخصي للإنسان وعلى مستوى ما يحيط بالإنسان من البشر وغير البشر.

ولكليهما التأثير التربوي في بناء فكر ونفسية وسلوك الإنسان، لتفرزه بوصفه صديقاً بتربيته أو عدواً بتربيته، ويتدرج ذلك من الصعيد الذاتي إلى الآخر، ليؤثر على

توجهه في البناء أو التدمير أو الحيادية الإيجابية أو الحيادية السلبية.

وبهذا يكون في مجال المنظومة التربوية صديق أو عدو لجيله ومن يعيش معهم، وربما للأجيال القادمة، وذلك بحسب وجوده وأدواره ومهامه الفردية والجمعيّة والمجتمعية.

ومن جمالية البيئة التربوية الصديقة في توجهاتها ومضامينها الإنسانية، المنظورة وغير المنظورة، المتمنية كل الخير ولكل الإنسانية:

﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ يس (٢٥-٢٧).

وبهذه الرؤيا الواضحة بمدياتها المرتبطة بما بعد الدنيا، يكون الإنسان حقق البيئة الصديقة الخاصة به، لتكون داعم للرسالة الإنسانية ومكوناتها وحيثياتها.

وحينما تكون المحاوره بين البشرية في البيئة التربوية الصديقة للإنسانية، والبشرية في البيئة التربوية المعادية للإنسانية تكون مخرجاتها:

١. ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ (١٥)،
والتشكيك حتى بالخير الدنيوي المتمثل بسلامة وأمن الفكر والاستقرار والطمأنينة والبناء الاجتماعي، وما يحقق للبيئة الاجتماعية مجالها الحضاري - الإنساني.

٢. ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (١٦)، وعنده يمثل المجال التربوي للخير والتبشير به بكل ثقة ومقدرة.

٣. ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (١٧)، وهنا مجال إيصال المعلومة، وكيفية استتباب الأمن البيئي بكل مضامينه العلائقية وسلامة منطقته ومنطقه واتجاهاته.

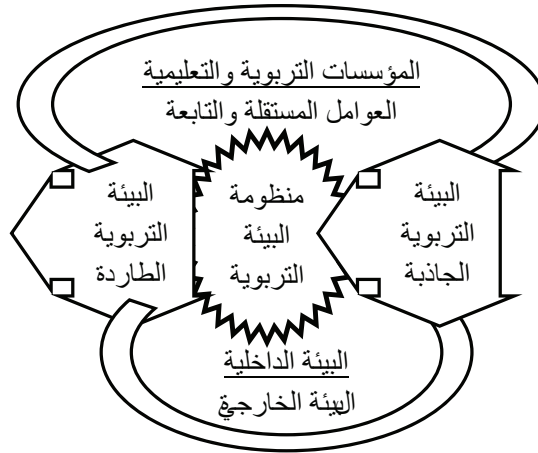
٤. ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨)
ولا يمكن لسكان البيئة المعادية ومؤمن بما هي فيها من فوضى وتعدي على الحقوق

والأخلاق، ومستسلم لها، أن تكسبه لتحويل بيئته المعادية إلى صديقة ومسالمة، لكون البيئة التربوية تفرز ما بها من مجالاتها المختلفة.

وهنا لا بد من أن تكون دراسة وتحليل وقرارات تحقق داعم للبيئة التربوية الصديقة بشكل فاعل، منها ما يتمثل من طريق البرامج التربوية - التعليمية وتحمل المسؤولة اتجاهها بالمحتوى الإنساني بطاقتها الإيجابية ونقاط قوتها، وسبل تحسين البيئة التربوية بشكل تطبيقي، للحد من تهديدات البيئة التربوية المعادية.

رابعاً: البيئة التربوية الجاذبة والبيئة التربوية الطاردة:

تظهر البيئة التربوية بوجه آخر وسمة أخرى، فيمكن أن تكون بسماتها ووصفها الوظيفي ومواصفاتها الوظيفية ضمن محاور وحدود البيئة التربوية الجاذبة والبيئة التربوية الطاردة، وما يكون عليه التوجه البيئي التربوي حينما يتحكم فيه التوقيت والموقع والموقف، والحراك البيئي وحركة الناس، وحركة الفرد ضمن هؤلاء الناس. ويمكن إجمال الفكرة المختصرة والمبسطة للبيئة التربوية الجاذبة والبيئة التربوية الطاردة، ومستوى حراكها واتصاحها بالمخطط الآتي:



مخطط (٦) يبين منظومة البيئة التربوية وحراك البيئة التربوية الجاذبة أو الطاردة

وربما تتخذ نتائج تلك البيئة التربوية الجاذبة والبيئة التربوية الطاردة، مجالاً بنائياً أو تدميراً، وعنده يكون المجال التربوي الجاذب في محورية المنظومة التربوية بقويم صلاحها الحاضر، ومنه ما يبرز الموقف واتخاذ القرار والنصيحة: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يس (٢٠-٢١).

وتتجه الإشارة الواضحة بالنصيحة، بما تجمع بين حقيقة واقعة ومواصفاتها الوظيفة الكائنة في؛ ﴿اتَّبِعُوا﴾ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾، وتحديدًا لذلك المجرد من الماديات؛ ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾، والداعم لمفصليّة القناة - الفكر وأمنها؛ ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، بما يتضمنه من السبق في المؤهلات والاستعدادات، وما يتسموا بالعقلانية واتجاههم الرسالي من ربّ عظيم.

وباتجاه معاكس آخر، تبرز البيئة التربوية الطاردة بمجالات عدة، منها ما يتعلق بالمعلومات - الفكر، ومنها ما يتعلق؛ بذات تركيبة الإنسان ومستوياته العقلية - الأخلاقية، والحرص على المصالح والمركز المالي - الاجتماعي، وما ماثل ذلك، لذا تشكل البيئة من مجموعة عوامل، ويتخذ الناس فيها مواقف معادية لكل تغير جزئي أو تغيير شامل:

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يس (١٨)

وهذا الموقف واتخاذ القرار الصارم، يدل على مدى تراجع البيئة التربوية وسماها الطارة، وانخفاض مرونتها في تلقي المعلومات وما يشكل منها الفكر، ومجرباته في التمييز والاختيار.

خامساً: البيئة التربوية ومنظومتها المتكاملة:

استكمالاً لما تقدم، فإنّ البيئة بشكل عام، والبيئة التربوية بشكل خاص، لها تأثيراتها

المباشرة وغير المباشرة في بناء شخصية الإنسان الفردية والجمعية والمجتمعية، سواء كان الإنسان في موقع القيادة أم في موقع المقود، بمعنى آخر سواء كان الإنسان بمركزه الراعي، أم كان الإنسان واحدا من أفراد الرعية العامة والخاصة.

وتأخذ البيئة والبيئة التربوية منظورها ومتبنياتها الداخلية التي لها نقاط قوتها ونقاط ضعفها، ومنظورها وما يتبنى من المعطيات الخارجية التي لها فرصها الحياتية والتحديات والتحديات والمخاطر الكائنة فيها على وفق الأشخاص ومواقعهم ومراكزهم ومهامهم وأدوارهم.

وضمن المفاهيم البيئية التربوية ومنظومتها المتكاملة، تأخذ بعين الاعتبار؛ الاستدامة والاستمرارية والدائرية والدورية، التي تشمل كل مجالاتها وحيثياتها الدنيوية، وما تشمله من فلسفة بيئية وإستراتيجية بيئية، مع الأخذ بعنايتها بمرتبات ما بعد الدنيا وتحمل المسؤولية وتبعاتها الحقوقية ومتلازماتها، والحد التربوي الفيصل عند:

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يس (٥٣-٥٤).

والمتلازم التربوي الأوّل بتبعاته الإيجابية، وما يترتب عليه من البيئة التربوية الدنيوية من تبعات الأعمال ومتراكماتها وما يترتب على الحقوق، إلى الرؤيا والمتلازم التربوي المكمل بإيجابياته الآخر لما بعد الدنيا وثقافته التربوية وما يتعلق بها عند:

﴿إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ يس (٥٥-٥٨)

والمتلازم التربوي الثاني بتبعاته السلبية، وما يترتب عليه من البيئة التربوية الدنيوية من تبعات الأعمال ومتراكماتها وما يترتب على الحقوق، إلى ما بعد الدنيا وما يتعلق بذلك عند:

﴿وَأَمَّا زُورَ الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ * أَلَمْ أَعْهَدْ لَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * اضْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ يس (٥٩-٦٤).

وهكذا تكون المتلازمتان التربويتان بين الإيجابية والسلبية، بما تمليه الأعمال وما يؤشر عليه من الحقوق والجزاء من الثواب والعقاب، وهو جانب تشكيلي مهم للبيئة التربوية ومنظومتها المتكاملة.

المبحث الثالث: الدستور التربوي والمنظومة التربوية المتكاملة:

تواصلًا مع ما تقدم من محاور المبحثين السابقين، يبرز مجال آخر ضمن الدستور بشكل عام، والدستور التربوي الفطري الذي يبدأ بمستويات معينة من الانسيابية والفاعلية والمرونة من مفصلية الفرد - الأسرة، ليكون اتجاهاته وامتداداته المجتمعية، بل يمتد ويتفاعل مع العالم والبيئة الخارجية - الفضائية بأسرها، حينما يكون العمق التربوي بعمقه الإنساني، ليرجمها بصرخته من فطرة وعمق الثقافة التربوية؛ ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس (٢٢).

ومن هذا التوجه وما يرتبط به ويكامله بوعي واستدلال عقلائي، تكون محاور هذا المبحث بحسب الآتي:

أولاً: المنظومة التربوية الإسلامية والارتقاء بالإنسان.

ثانياً: التنوع والتنوير التربوي لاستراتيجية المنظومة.

ثالثاً: منظومة الذكاء التربوي والذكاء الاجتماعي - العاطفي.

رابعاً: استمرارية التعلم والتربية والتعليم ودعمها للمنظومة التربوية.

خامساً: الخلافات التعصبية واضطرابات المنظومة التربوية.

سادسًا: المنظومة التربوية والانعطافات الفكرية - السلوكية.

أولًا: المنظومة التربوية الإسلامية والارتقاء بالإنسان:

المنظومة والإنسان كلاهما بالأساس ينطوي في ظل نظام داخلي متعدد الأشكال، الذي يبدأ من النظام البيولوجي - النفسي ومؤثراته المستحكمة بالتوجهات السوية وغير السوية، وحتى النظام التربوي الذي يشكله الإنسان لشخصيته، وما يرتبط ذلك بالمنظومة التربوية بقيمها وأخلاقياتها ومسلماتها الداخلية.

والنظام الخارجي بكلّ ما يشمل البيئة الخارجية والفضاء الخارجي ومجالاته المستحكمة التي تبدأ مما يمس الإنسان كفرد وجماعة ومجتمع، حتى الكون المحسوس والمؤثر من حوله، وما يرتبط ذلك ويتدرج إلى المنظومة التربوية والمؤسسات التربوية ومجالاتها في بناء الإنسان على مبادئ وأخلاق وقيم تكون داعمة لبناء وحماية بلد أو وطن بأرضه وسمائه.

ومما تتجه به البرامج التربوية إلى رفع المستوى الثقافي وتحفيز القدرات على أسس مستقيمة وقويمه لكي لا يتعد عن المنهج القويم، ومجريات اتخاذ القرار ونتائجه، عند منظومته التربوية والارتقاء بالإنسان بموازين معاييرها:

﴿إِنِّي أَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ يس (٢٥-٢٧).

والسبب الإيمان، والنتيجة؛ ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، ومنتهى الروح الإنسانية وأخلاقياتها ورقة الذكاء العاطفي عند؛ ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾، وهو من أبواب التطلعات المستقبلية وحمية الارتقاء بها، وصورها وسعادتها بالنتائج؛ ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾، والمغفرة المرتبطة بالمجالات التربوية، ونتائجه ما يرتبط التكريم بالجعل؛ ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

هكذا يتبين جانب حيوي بعمقه المنبثق من المضامين التربوية، ومنحاه الإستراتيجي الذي ليس له حدود إلا بالتكريم التربوي ضمن المنظومة التربوية للارتقاء بالإنسان بمستوى المغفرة وسمو الجعل التقويمي للأداء..

ثانياً: التنوع والتنوير التربوي لإستراتيجية المنظومة:

استكمالاً، حينما يكون التنوع له عمقه واتجاهاته الإستراتيجية - التكتيكية المتوافقة مع القيم والأخلاقيات، يكون توجهها سبل التنوير التربوي الداعم لإستراتيجية المنظومة التربوية، سواء كان متعلقاً بالإنسان ومواقفه بين القادة والرعية، أم كان متعلق بالجوانب المادية وغير المادية والنفسية، وما يشترك ذلك في بناء الفكر المتبني للمعلومة الدقيقة والصادقة، وتأكيد مصداقية ذلك، التشريعي - التربوي بعمق منظومته التربوية - الاجتماعية لإسعاد الحياة:

﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١-٣)

وبين التشريعات العبادية وتشريعات المعاملات يتجلى أهمية الجانب التربوي وسبل وضوحه ضمن المنظومة وعملياتها النظامية والتنظيمية والانتظام بها، ووحدة الموجه من طريق:

تشريع ومشرّع ومشرّع ؛ (الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) + حامل التشريع ومصداقيتهم ؛ (الْمُرْسَلِينَ) وما يتضمن من التنوع والتنوير التربوي المبني على أسس المعادلة المستوعبة للكليات المخلوقاتية العاقلة وغير العاقلة، والواعية وغير الواعية، والواعدة بتحمل المسؤولية وأعباء التكاليف بكل أشكالها، بما فيها القائمين على البناء التربوي وتوجهاته بالمنظومة الإستراتيجية التربوية وسبل الارتقاء بها بمجريات التحسين الذكي المستمر المواكب للتغير الحياتي الجزئي والتغيرات الشاملة، المادية منها وغير المادية.

ثالثاً: منظومة الذكاء التربوي والذكاء الاجتماعي - العاطفي:

إن الذكاء حالة ذهنية توافق الشخصية ومجريات مواكبتها التربوية المستدامة والمستمرة والدائرية والدورية التي تحقق عدم الهدر في الطاقات الأخلاقية وقويم الأخلاق، وعدم الهدر بقدرات الشخصية وضياعها في ظل الجهل والمنعكس النفسي - السلوكي ومساحاته التربوية التطبيقية دون فجوات يصعب ردمها وتحسين نقاط القوة ومجال مكاسبها عند الفرص ضمن العطاء الإنساني بأدائه العالي.

ومنه ما يدخل ضمن مكونات الذكاء التربوي المتكافئ مع القدرات والمواهب، وبالتنسيق مع ما يحيط بالشخص واستثماره بأخلاقية ودون ضياع حق لكل الأطراف، وسبل استمراره في مجالات مفصلية الذكاء الاجتماعي - العاطفي ومكاسبه..

وتحقق الثروة التربوية الحقيقية، عند تطبيق أخلاقية الذكاء التربوي وسبل الارتقاء به ومنه بوصفه منطلقاً لإسعاد الحياة، بمعنى إثبات سلامة المنظومة التربوية وما تستمد طاقتها من مستمد الأخلاق والقيم المتفاعلة بالتوقيت مع الموقع والموقف..

وبهذا المفهوم وما يمكن اختصاره بشكل مبسط، يمكن وضع مخطط لفاعلية الذكاء التربوي وارتباطه بالذكاءات الأخلاقية المتعددة، ومنها ما يرتبط بالذكاء الاجتماعي والذكاء العاطفي، وبحسب الآتي:



مخطط (٧) يبين جوانب من منظومة الذكاء التربوي والذكاء الاجتماعي - العاطفي

ومحورية الذكاء الأخلاقي تتبين كقطب يدور حوله كل الذكاءات، وتستمد الذكاءات منه الطاقات الإيجابية وعقلانيتها التي لا يضيع عندها مختلف الحقوق - الأطراف المعنية والمستهدفة باستثمار الذكاءات وطاقاتها الإيجابية.

ونقاط قوة الذكاءات - الأخلاقيات وسبل الارتقاء بها وبالآداء التربوي والذكاء التربوي واقرانه بالذكاء العاطفي الداخل ضمن المنظومة الإنسانية وما يدخل ضمنها من محتوى الذكاء الاجتماعي:

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدَّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ يس (٢٠- ٢٥).

واستقراء وتحليل مضامين هذه الآيات المباركات، يبرز من بين المضامين؛ الذكاء الأخلاقي وسبل توجيهه التربوي والمعرفي بالذكاء التربوي، وسبل الوصول بالمشاعر التفاعلية إلى الذكاء العاطفي ومواقفه ضمن مكونات الذكاء الاجتماعي، ليشكل صياغة عالية الدقة للمنظومة التربوية وسبل التفاعل عندها بشكل يخاطب العقول الفردية والجمعية والمجتمعية، واتجاهه للطاقات الإيجابية الكامنة في الذكاء الاجتماعي - العاطفي.

والتحسس الإنساني - التربوي بكل نقطة من هذه الرؤيا، تكشف عن مدى حراك ودينامية ومواقع فاعلية ومرونة وانسيابية؛ ﴿رَجُلٌ﴾ ﴿يَسْعَى﴾ ﴿قَالَ﴾ ﴿يَا قَوْمِ﴾ ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، بتوقيتاتها ومواقفها وتوجهاتها؛ ﴿اتَّبِعُوا﴾ ﴿مَنْ﴾ ﴿لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

والمقاربة والمقارنة التربوية بذكاءاتها الاجتماعية العاطفية الإيجابية تبرز بفلسفة

السؤال وعلم السؤال الصادم، عند؛ ﴿أَلْتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ﴾ ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ ﴿وَلَا يُنْقِذُونِ﴾.

وهكذا تكون إنسيابية الاستدلال بمكونات الاستقراء والاستنباط، ومنه بين المقاربة والمقارنة التربوية تكمن أمور عدة، منها ما تتمثل بموقعها بين الشفاعة والإنقاذ وعمقهما ضمن المنظومة التربوية ن وبتوجهات الذكاء التربوي العميق، الذي يجمع بذكائه مفصلية الوعي لأخلاقية الذكاء الاجتماعي - العاطفي، وأهميته الإنسانية الإنقاذية العالية الدقة في التحديد والتعميم؛ ﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

والتحول المفاجئ الذكي بطروحاته التربوية عند الإعلان الصريح والواضح الأهداف والنتائج والغايات؛ ﴿إِنِّي أَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾.

وهو من بين ما يمثل، أدق وأعظم قطع رادم لكل الفجوات التي ولدها الضلال، إلى المساحة الواسعة التي ولدها الإيمان بصوته العالي وأدائه الدقيق المتميز بذكاء التمييز والاختيار بكل معايير الأخلاقية.

رابعاً: استمرارية التعلم والتربية والتعليم ودعمها للمنظومة التربوية:

وبمؤشرات ما تقدم، وما يمكن متابعته بالداعم المتواصل لمنظومات الحياة بشكل عام، والمنظومة التربوية بشكل خاص، وما له من مضامين ومتطلبات البيئية ومجالاته المتنوعة في البيئية الداخلية والبيئية الخارجية.

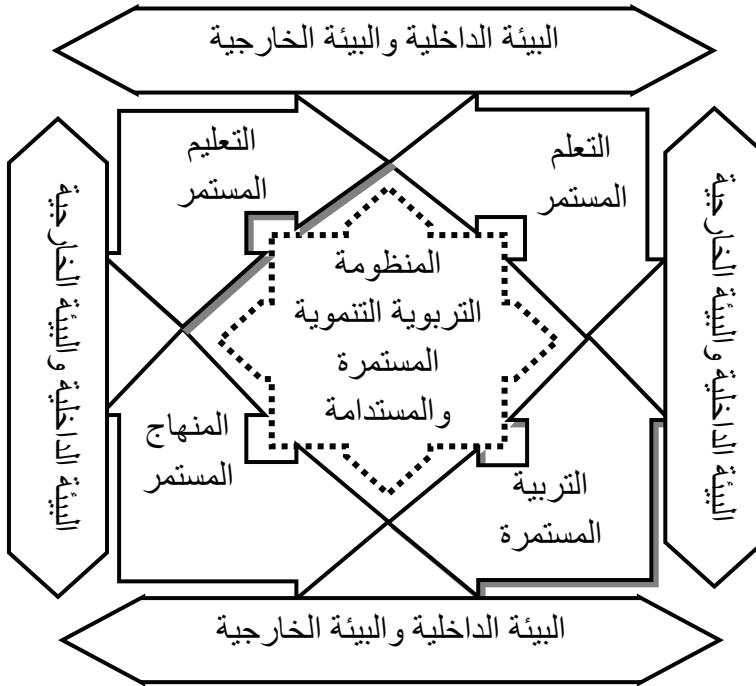
وتتكامل ضمن المنظومة التربوية، المجالات التنموية المستدامة والتطويرية المستمر، وما ينشط ضمن هذه المنظومة، الإنسان بما يمتلكه من طاقات وقدرات ومواهب وذكاءات، وما يهتم به مع المؤسسات والمجتمع، ومنه سبل تكاملية واستدامة؛ التعلم المستمر الملتقي بالتربية المستمرة والتعليم المستمر، الذي لا يقف عند حدود معينة، مادام الإنسان على قيد الحياة، وما دام الاجيال المتلاحقة تواصل

الفكر بعلمه ومعارفه.

فالحضارة الإنسانية لا تتوقف عند حدود كل جيل، بل تمتد لتتواصل بالعطاء من جيل إلى الجيل الآخر، إلى آخر نبض إنساني - حضاري في العالم، بمادياته واللامادياته، أو بمنظور وغير المنظور الداخل ضمن منظومة الحياة الكلية المتكاملة، التقليدية وغير التقليدية.

وفي عالمنا الحديث والمعاصر، يشمل ما يتعلق بالجانب الرقمي والإلكتروني، وهو ما يشمل ذلك، منظومة الحياة التربوية الفرعية لمنظومة الحياة الشاملة والكلية.

ويمكن تبيان جوانب الصورة المختصرة والمصغرة والبسيطة، لما تحقق استمرارية التعلم والتربية والتعليم وما تكون الداعمة للمنظومة التربوية، وبحسب الآتي:



مخطط (٨) يبين المنظومة التربوية المتكاملة باستدامة واستمرارية التعلم والتربية والتعليم

وعظيم المنظومة التربوية المستدامة والمستمرة حتى بالنظرة الأقصى من بعيدة الأمد، وذلك مجاله التربوي باستشراف المستقبل الممتد لما بعد الدنيا:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ يس (٦٠-٦٢).

وبين؛ ﴿بَنِي آدَمَ﴾ و ﴿الشَّيْطَانَ﴾، العقل والتمييز؛ ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾، ومباني ما يكون عليه من مستوى نقاط القوة ونقاط الضعف، ليميز ويختار بين توجه العبادة والأنشطة وهدفها ونتائجها الدنيوية - الأخروية.

ولا بدّ من أن يكون هنا، الاعتناء بالمناهج التربوية والتعليمية وتخطيطها بشكل يضمني التعاون بين؛ الأسرة، والمجتمع، والمؤسسات التربوية الرسمية منها وغير الرسمية، لتكون الداعم في تكاملية واستدامة المنظومة التربوية وبما يتعلق بها من استمرارية التعلم والتربية والتعليم، وما يتطلب من دعمها للمنظومة التربوية.

خامساً: الخلافات التعصبية واضطرابات المنظومة التربوية:

وبعد كل ما تقدم تبيانه، فإن التنوع في المنظومة التربوية، يشكل بشكل عام، من مميزاته، يحدد ظهور البدائل، والمرونة في الاختيار، ومنه إمكانية اختيار البديل الأفضل، لكن الخلاف ربما يؤدي إلى الصراعات، مما يربك الرؤيا والرسالة التربوية ووضوحها، ويؤدي إلى الاضطرابات التربوية في الصياغة والتطبيق والعمق الإستراتيجي للتربية وإرباك منظومتها.

لذا لا بدّ من أن يكون هناك استقرار وإدارة تربوية حازمة وعازمة وحاسمة من أجل الدراسة والتحليل الدقيق لتشكيل الخطط الإستراتيجية ومجرياتها التكتيكية - التنفيذية على وفق ما تقتضيه المنظومة التربوية المستدامة والمستمرة المواكبة للتغيرات الجزئية والتغيرات الشاملة.

وفي المنظومة والنظام والتنظيم والانتظام الإسلامي، لا يقف عند هذا الحد، بل ينظر أساساً بمبدأ التكافؤ والعدالة والمساواة لكل الأطراف الداخلة في المنظومة والعملية التربوية، وذلك منه بشكل رئيسي مبني على أساس المعادلة الدقيقة التي لا يُظلم فيها أحد، وهي متمثلة في:

الجعل التكويني للمخلوق = الجعل التشريعي الإلهي

فلا يمكن أن يتحقق التوازن التربوي وتطبيقاته، من دون طلب المستطاع لكي يُطاع ما تحدده الشريعة ومعاييرها، وما تبني عليه الجزاء من الثواب والعقاب، من أجل أن لا يكون هناك ما يظهر من الاختلافات والخلافات العميقة غير الممكن وضع لها حلول ومعالجاتها، والذي تؤدي الاختلافات غير الصحية والخلافات إلى الاضطرابات التربوية للمنظومة، والصحية يكون الجيل الحاضر وأجيال المستقبل من طريق التخبط التربوي غير المدروس وغير المستوعب، ولاسيما ما يتعلق بالمؤسسات التربوية والتعليمية والتدريبية.

وهناك مبدأ إنساني لاستيعاب مجريات الأنشطة الحياتية ومجريات الاتصالات والعلاقات الإنسانية وما يتحقق من طريقه ضمن المنظومة التربوية من التعاون المثمر لمستقبل تنموي مستدام، كما يحصل من متطلبات التوازن بين التطورات التقنية والتكنولوجية الحديثة والمعاصرة، وما يتحدد موقع وموقف الإنسان بمختلف مواقعه التربوية القيادية والتابعة لها، والمستهدف في العمليات التربوية والتعاون المشترك بين المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، ومن لهم علاقة والمطبق عليهم ولأجلهم البرامج التربوية، ويظهر مضمونه ضمن: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يس (٦) وهنا محور المجال والمنظومة التربوية واستهدافاتها؛ ﴿لَتُنذِرَ﴾، والمستهدف؛ ﴿قَوْمًا﴾ والبرامج المخطط لها على وفق العودة بهم والانطلاق من هذه المراجعة؛ ﴿مَّا

أَنْذِرَ آبَاؤَهُمْ ﴿٦﴾، بالخلافات، وما اختلفوا فيه، وما تعصبوا فيه وعليه، وما جهلوه؛ ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾.

والرسالة والتصديق بها من عدمه، يتحدد مع كل هذه الاضطرابات وضبابية الرؤيا والنتيجة القائمة على العدل وتشريعاته بخصوص من لا يستجيب لازدهار مستقبله بتوجهات العدالة والمساواة والتكافؤ؛ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يس (٧).

وحينما يكون مطبق عليهم العمى التربوي من جراء الخلافات والاختلافات السلبية العمياء، يؤدي بنتائجه إلى حتمية؛ ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يس (١٠).

مما يستدعي ذلك من المنظومة التربوية القائم عليها قيادات حكيمة، الفرز والجمع لقطبي نتائج ما أفرزته الدعوة الواعية، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، بمعنى منهم الذي يدعم مسيرة الحياة المستدامة والمستمرة والمستقرة على أسس واعية وواعدة لأسس وبناءات إستراتيجية لا تنقطع عن الخبرة فيما جرى في الماضي وما يجري في الحاضر وما يتطلب اتخاذ القرارات المناسبة لما مطلوب تحقيقه على أساس العدل والمساواة والتكافؤ، بكل عقلانية ورشد.

ولكي لا يمرّوا بما مرّ به من قبلهم الأجيال، تطبيقات معايير؛ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ يس (٨).

وما توجب لقرار الحد بالوقاية من الاضطرابات والخلافات، وإرباك واضطرابات الحياة القويمة، وسبل الارتقاء بها على أساس جودة إسعاد الحياة واستدامتها؛ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ يس (٩).

وهذا ما يحقق الوقاية والعلاج لكل ما يؤدي إلى الخلافات والاختلافات السلبية

المؤدية للاضطرابات التربوية ومنظومتها.

سادساً: المنظومة التربوية والانعطافات الفكرية - السلوكية:

ومن طريق معطيات كل ما تقدم، يظهر مجال التعلم والتعليم كجناحي دعم للمجال التربوي ومتمم له بكل حيثياته وأسس وبنائه، وبالأخلاقيات الداعمة المشتركة ضمن المفصلية المركبة التعليمية - التربوية - التعليمية، وما يرتبط بذلك عند المعايير المعتمدة التي تبدأ من المعلومة، مروراً ببناء الأفكار عند وتحت وطئة النفس الجامعة؛ للنفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء.

وبين العلم بالشيء وعدم الوصول إلى مستوى العلم بأشياء أخرى، من الدلائل والاستدلالات التي تتطلب الاستقراء الواعي والاستنباط الدقيق للوصول إلى البيئة التربوية التي تؤمن بعظمة الخالق عز وجل.

مما يستدعي لقيام منظومة تربوية لها امتداداتها فيما تعلم، ولها تطلعاتها فيما مطلوب أن تعرف وتتعلم، وتفكر كيف تتعلم، وتفكر كيف يجب أن تفكر بعقلانية ورشد، لتملي الفراغ الفكري والفراغ التربوي والفراغ الاجتماعي، وتملي مفصلية الفجوة الفكرية - التربوية لتولد منظومة استقرائية - استنباطية عالية القدرة لاستيعاب جوانب من مدلولات واضحة أو متجلية أمام الأنظار والعقول:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يس (٣٦)

وبين الخلق والأزواج وما لا يعلمون، تبرز المنظومة الرائعة لاستقرار المجتمعات في ظل متطلبات الثقافة الرصينة والعقلانية ورشدها، منها المتمثلة بالمنظومة التربوية - الأخلاقية بكل ما تتجه به من متطلبات ثقافة الحقوق والواجبات والتكاليف، ومنه ما ترفعها القيم، وما تتسابق بالمبادرة الطوعية لحماية التربية والثقافة التربوية وبيئة الثقافة التربوية وتربوية الثقافة.

ومن بين الصور وانعكاسات البيئة الفكرية، وما يحيط من حراك وسلوكيات تُتم عن قدرة الخالق عز وجل، والمجال التربوي للامثال إلى الإصغاء لهذه الحقائق المرئية الإبداعية المذهلة أمام المخلوقات العاقلة، التي تستدعي العقول بمنظوماتها ونظامها وتنظيمها وانتظامها، لا بد من أن تكون انعكاساتها وانعطافاتها على الجوانب الفكرية والنفسية والسلوكية، والإيمان بالقدرة الإلهية العظيمة والمتناهية بإبداعاتها المذهلة: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس (٣٨-٤٠).

ونتيجة لذلك الاستيعاب والوصول لمرحلة النضج الفكري واستدامته المستمرة المواكبة لكل تغير وتغيير، لتكون المنظومة التربوية مستدامة بمستوى الانعطافات المعلوماتية - الفكرية - النفسية - السلوكية، وما يدعمها الوعي بين التقدير والمنازل عند؛ ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

وهكذا بحسب ما يتسع محدودية البحث المسموح به، تم ما يمكن بيانه لجوانب من مضامين سورة يس، المتعلقة بالمنظومة التربوية وتوجهاتها نحو التكامل النسبي، المواكب لما يتواصل من مجريات التغير الجزئي والتغيير الشامل، والله الموفق لاستكمال ذلك بدراسات متواصلة.

الخاتمة والاستنتاجات والمقترحات

بعد كل ما تقدم من المباحث ومحاورها المتنوعة التي تصب في جوانب من التربية ومنظومتها المتكاملة، وما له علاقة بها من البيئة والمجالات الاجتماعية والتعليمية والتعليمية ومواقع أخلاقياتها وقيمها، وما يتوجب الاعتناء بتحليلها ودراستها ووضع الخطط الإستراتيجية والتكتيكية والتنفيذية، بمختلف مدياتها ومواقفها وما يمر بها من ظروف طارئة، وما يتطلب من منظومة التقييم الوظيفي والتقويم الأدائي ومعاييرها المستحكمة للاعتناء بالجودة التربوية الشاملة وسبل تكاملها مع تكامل المنظومة التربوية، والارتقاء بها من طريق التعاون والتضامن والتكافل المشترك بين المؤسسات الحكومية وغير الحكومية من جهة، وما تدعم ذلك الأسرة والمجتمع من جهة أخرى تكاملية.

من هذا المجال الدراسي والتحليلي المختصر المتوافق مع محدودية البحث، يمكن وضع الاستنتاجات والمقترحات والتوصيات ومتبنياتها وتكون بحسب الآتي:

أولاً: الاستنتاجات.

ثانياً: المقترحات والتوصيات.

أولاً: الاستنتاجات:

من طريق ما تقدم يمكن وضع من بين أهم الاستنتاجات المستمدة من مباحث الدراسة التربوية ومنظومتها وعمومية ما احتوته المحاور، فضلاً عن الخصوصية المتعلقة بمضامين المنظومة التربوية في؛ سورة يس، وما اختصر محتواها لمحدودية البحث، لذا تبرز من بين أهم الاستنتاجات الآتي:

١. يتميز مجال المنظومة التربوية في الإسلام بداعم دستورها القرآن الكريم، وما يتضمنه من تشريعات وامتداداتها الفقهية مما يتوجب من التكاليف المتمثلة بالعبادات

- والمعاملات، بالمقارنة مع مجريات المنظومة التربوية في التشريعات الوضعية.
٢. يمتد لمستويات الارتقاء الإنساني والحضاري على أسس صون الحقوق وما يتطلب من أداء التكاليف بكل ما يكون عليه من جودة تحددها المعايير وحماية الإنسان من ذاته ومن الآخرين.
٣. في عالمنا المعاصر، تدخل المنظومة التربوية ضمن مجالاتها وتطبيقاتها التقليدية وغير التقليدية والرقمية، وسبل الارتقاء بها من طريق الخطط والآليات والوسائل وما يرتبط بذلك من البنى التحتية للمنظومة التربوية وحتى البنى الفوقية لها، من أجل الوصول إلى مرحلة مواكبة ما يجري من تغير جزئي وتغيير شامل في البيئة التربوية، بما فيها البيئة التربوية الإلكترونية والرقمية، وما يرتبط بها من سبل التعلم والتعليم المستمر، وسبل الارتقاء بالبيئة - الإنسان ومجالاته المستقبلية، بما فيه ما يتعلق بالتنظيم الرسمي والتنظيم غير الرسمي.
٤. أنّ المنظومة التربوية وتكاملها ونجاحها في تلبية الأهداف في المجال التربوي، له علاقة بإدارتها وقيادتها الناجحة التي يتفاعل معها كل الأطراف المعنية بها من الناس، سواء كانوا أفراداً أم جماعات أو مجتمعات.
٥. تعد الأخلاق جزءاً أو قسماً من الفلسفة بما فيها من معنى ومضامين حب الحكمة، لتكون جاذبة لكل ما هو تربوي قويم، وطاردة لكل ما هو غير قويم وغير أخلاقي، وتكون المنظومة الواسعة المتكونة من الفكر - النفس - السلوك، داعمة وحيوية للأخلاقيات التربوية وتربوية الأخلاقيات المبنية على أسس موضوعية الشعور الإنساني.
٦. يتطلب أن تتجه المنظومة التربوية بمنحى الاستدامة المتكاملة والمستمرة، وتتخذ السبل الكفيلة للتنمية والتطوير التربوي المواكب بهندسته وإعادة هندسته لما يجري من تغيرات وتغييرات على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي للارتقاء بالإنسان وبيئته.
٧. لا يمكن الارتقاء بالحياة الإنسانية وإسعاد الحياة، إلاّ بوضع معايير الجودة

الأخلاقية الشاملة التي تضمن حقوق الناس أو كل الأطراف المعنية، ولا يتكامل ذلك ليكون حجر الأساس الحضاري إلا بأن يكون للمنظومة تكاملية؛ الأخلاقيات التربوية مع تربوية الأخلاق، التي تبدأ من أخلاقيات القيادة التربوية - التعليمية.

٨. التشريعات الإلهية الإسلامية لها محتواها ومنظورها العام والخاص والتخصصي المفصلي الديني - الأخرى، وهذا لها فلسفتها العميقة وإستراتيجياتها الممتدة بالمجال الديني إلى المجال اللامحدود الأخرى، ويكون له عمقه الإنساني في الشكل والجوهر أو المضمون.

٩. تأخذ البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية مجالتهما في التأثير على اتجاه الفكر - النفس وما يمتد لتوجيه السلوك، وما الفلسفة التربوية إلا مجال ومحتوى لاستيعاب متطلبات البيئة وتفصيلها التربوية - الاجتماعية، والسيطرة على المؤثرات والمشاكل والصراعات والتهديدات وذلك بإحياء ما تحمله من مستوى القيم والأخلاق.

١٠. اهتم الإسلام ودستوره القرآن الكريم بمنظومة الحياة ومجمل ما له علاقة معها، ومنه ما يتعلق بالمنظومة الفرعية للبيئة التربوية والبيئة الاجتماعية، لما لهما من أهمية بالغة في بناء شخصية الإنسان وتفاعله مع ما يحيط به من البيئة الأسمية والبيئة الخارجية، وما يدخل بأنشطته وتفاعله معها، ليتأثر ويؤثر بها، بشكل مباشر وغير مباشر.

١١. تظهر البيئة التربوية شكل من أشكالها المتعدد الأبعاد الحميمية والعاطفية، فمنها ما تكون؛ البيئة التربوية الصديقة، وأخرى تكون البيئة التربوية المعادية، وربما تكون هناك بيئة تربوية نسبية في مفصليتها بجاذبيتها النسبية بين البيئة التربوية الصديقة والبيئة التربوية المعادية، على المستوى الشخصي للإنسان وعلى مستوى ما يحيط بالإنسان من البشر وغير البشر.

١٢. البيئة التربوية بسماتها ووصفها الوظيفي ومواصفاتها الوظيفية ضمن محاور وحدود البيئة التربوية الجاذبة والبيئة التربوية الطاردة، وما يكون عليه التوجه البيئي

التربوي حينما يتحكم فيه التوقيت والموقع والموقف، والحراك البيئي وحركة الناس، وحركة الفرد ضمن هؤلاء الناس.

ثانيًا: المقترحات والتوصيات:

بعد كل ما تقدم من المباحث ومحاورها ضمن المنظومة التربوية المختصر وجوانب من عمومياتها وخصوصيات مضامينها في سورة يس، وما ورد ضمن الاستنتاجات، يمكن وضع جوانب من بين أهم المقترحات والتوصيات، تتمثل بالآتي:

١. يجب أن يكون بخطط المنظومة التربوية التي تتبناها الدولة والمؤسسات غير الحكومية التربوية والتعليمية، أن تهتم بشريحة الشباب غير المنقطع عن مرحلة الطفولة وسبل استدامتها التربوية بدراسات إسلامية لها اهتماماتها بالحاضر مع مراعاة الماضي بتجاربه كمفصلية تاريخية - آثارية، مع التطلعات المستقبلية التي لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة، فضلاً عن البناء التربوي الأخلاقي ببناء تربوية بمنظور دنيوي - أخروي.

٢. لا بد من التوجه بمنظومة مواكبة للارتقاء الإنساني والحضاري على أسس صون الحقوق وما يتطلب من أداء التكاليف بكل ما يكون عليه من جودة تحدد المعايير وحماية الإنسان من ذاته ومن الآخرين.

٣. الاتجاه المعاصر بالمنظومة التربوية باتجاه مجالات وتطبيقات تتجاوز المنحى التقليدي برؤى غير التقليدية ورقمية، وسبل الارتقاء بها من طريق الخطط والآليات والوسائل وما يرتبط بذلك من البنى التحتية للمنظومة التربوية وحتى البنى الفوقية لها، من أجل الوصول إلى مرحلة مواكبة ما يجري من تغير جزئي وتغيير شامل في البيئة التربوية، بما فيها البيئة التربوية الإلكترونية والرقمية.

٤. لا بد من أن يكون بناء المنظومة التربوية وتكاملها ونجاحها في تلبية الأهداف في المجال التربوي، له علاقة بإدارتها وقيادتها الناجحة التي يتفاعل معها كل الأطراف المعنية بها من الناس، سواء كانوا أفراداً أم جماعات أو مجتمعات.

٥. لا بد من أن يكون المبادرة في الحضور الأخلاقي الإسلامي بمفهوم حياتي يستقبله ويتفاعل معه الجيل المعاصر بوضوح الرؤيا الإنسانية ليتحقق ما هو تربوي قويم، وطارد لكل ما هو غير قويم وغير أخلاقي، وذلك باستحداث الطرق التي لا يشعر فيها الإنسان بالإجبار والفرص عليه، كما هو أسلوب المقاربة والتحفيز.

٦. وضع معايير الجودة الأخلاقية الشاملة التي تضمن حقوق الناس أو كل الأطراف المعنية به، للارتقاء بالحياة الإنسانية وإسعاد الحياة، ولا يتكامل ذلك ليكون حجر الأساس الحضاري إلا بأن يكون للمنظومة تكاملية؛ بالأخلاقيات التربوية مع تربوية الأخلاق، التي تبدأ من أخلاقيات القيادة التربوية - التعليمية.

٧. من أجل أن تكون المنظومة التربوية في الإسلام لها داعم دستورها القرآن الكريم، لذا يتطلب القيام بإعادة النظر بتوجه معاصر لوضع مفاهيم ومناهج جديدة تبتعد عن التعصب والعنف وكل ما هو يجعل الإنسان في بيئة مغلقة.

٨. لا بدّ من الوعي بأن الإستراتيجية في التشريع الإسلامي، تنظر للماضي بالعمق التاريخي ووجهه المادي المتمثل بالآثار، لكي لا تتكرر أخطاء الماضي والإزدواجية، مع النظر لما يكون عليه الحاضر، وما يتوجب وضع المستقبل بمنظور دينوي - أخروي، لدعم الأداء العالي للأعمال والأنشطة ضمن متطلبات صون الحقوق وأداء التكاليف بشقيها العبادي وما يتعلق بالمعاملات.

٩. لا بدّ من أن يكون توجه الذكاء العاطفي - الاجتماعي بتوجه إنساني وضمن البيئة التربوية ليكون هناك تجاوب وتفاعل ضمن؛ البيئة التربوية الصديقة، والحيلولة دون أن تتحول إلى البيئة التربوية المعادية، على المستوى الشخصي للإنسان وعلى مستوى ما يحيط بالإنسان من البشر وغير البشر.

١٠. لا بدّ من مراعاة أن هناك تأثير البيئة التربوية بسماتها ووصفها الوظيفي ومواصفاتها الوظيفية ضمن محاور وحدود البيئة التربوية الجاذبة، والحد من البيئة التربوية الطاردة،

من أجل أن يتحقق التفاعل الأدائي برؤيته المستقبلية وتحمل المسؤولية بشكل طوعي وتضامني وإنساني.

١١. لا يمكن الإغفال في بناء المنظومة التربوية، من دون النظر إلى ما يحدث في العالم من تغيرات أخلاقية باسم الحقوق والحرية والديمقراطية، والاستغلال باسم الدين، ومنه استغلال الذكاء العاطفي في الوصول إلى المبتغى بالأساليب الملتوية في تلويث الفكر وانحراف النفس - السلوك عن مجراه الإنساني الحقيقي.

١٢. النظر إلى ما يمر به العالم من ظروف قاسية، كما يحصل عند جائحة كورونا كوفيد ١٩، وما تجري من الحروب، وما يجري من الهجمة الفكرية وتوجه العنف من بناء المعلومة الفكر وحتى حراك النفس - السلوك المدمر للذات الفردية وتعاضمها عندما تكون توجهاتها مجتمعية - عالمية، وما يحتاج إلى الخصوصية في الحلول التربوية، وسياقها وإدارتها ضمن المنظومة التربوية وتكاملها، والنظر إلى أن لكل جيل لغته التربوية، ولكل بيئة لغتها التربوية. ومن الله التوفيق.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- ١- د. أحمد كمال أحمد / قراءات في علم الاجتماع / مطابع الدجوي / القاهرة - مصر / ١٩٧٧.
- ٢- د. عبد المنعم الحفني / موسوعة علم النفس والتحليل النفسي / ج ٢ / دار العودة / بيروت / ط ١ / ١٩٧٨.
- ٣- عماد الدين عيد / الصحة العامة وبرامجها / المطبعة العصرية / الإسكندرية / ١٩٨٣.
- ٤- د. محمد عاطف غيث / قاموس علم الاجتماع / مطبعة الانتصار / الإسكندرية / ١٩٨٩.
- ٥ - نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين / معجم العلوم الاجتماعية / مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب / مصر / ١٩٧٥.
- ٦- د. هاشم حسين ناصر المحنك / إدارة التسويق: الأسس الفلسفية والإستراتيجية / دار أنباء للطباعة والنشر / النجف الأشرف - العراق / ٢٠٢٠.
- ٧- د. هاشم حسين ناصر المحنك / علم الاجتماع في نهج البلاغة / دار أنباء للطباعة والنشر / النجف الأشرف - العراق.
- ٨- د. هاشم حسين ناصر المحنك / تكامل البناء التربوي والإنساني في أقوال

الإمام علي الهادي عليه السلام والإمام الحسن العسكري عليه السلام / شارك في المؤتمر السنوي الرابع الدولي الذي أقامته الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، بتاريخ ١٧ - ١٨ / ٥ / ٢٠١٣ م.

٩ - د. هاشم حسين ناصر المحنك / النظام الأسري بين التراث والمعاصرة (مع دراسة ميدانية لمحافظة النجف الأشرف / بحث شارك في مؤتمر الأمومة المأمونة / أقامته جمعية تنظيم الأسرة العراقية بالتعاون مع الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونيسيف والمكتب الإقليمي لتنظيم الأسرة للوطن العربي - وجهات آخر / بغداد / ٦ - ٨ / كانون الأول / ١٩٩٤ .

١٠ - د. هاشم حسين ناصر المحنك / موسوعة المصطلحات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والتجارية / مكتبة لبنان ناشرون / بيروت - لبنان / ٢٠٠٧ .

١١ - د. هاشم حسين ناصر المحنك / النظام الرشيق الدائري لاختيار وتعيين الموارد البشرية بين نهج البلاغة والفكر المعاصر / دار أنباء للطباعة والنشر / النجف الأشرف - العراق / ٢٠٢٠ .

١٢ - د. هاشم حسين ناصر المحنك / هندسة وإعادة هندسة الفكر والأمن الفكري بين نهج البلاغة والآراء المعاصرة / دار أنباء للطباعة والنشر / النجف الأشرف - العراق / ٢٠٢٢ .

ثانيًا: المصادر والمراجع الأجنبية:

1 - Dressler, David & Carns, Donald " sociology ; The Study Of Human Interation " 2ed Alfred A. Knopf, Inc., New York, 1973.

2 - Perry Joh and Ernt " the Social Web: An Introduction to Sociology "، 2ed, adepartment of Harrper and Row publisher's, Inc., new York, 1989.

3 – Pulizzi, Joe. “Epic Content Marketing How To Tell A Different Story, Break Through The Clutter, The Win More Customers By Marketing Less “, McGraw–Hill Education, New York, USA, 2014.

محتويات البحث من المخططات

- مخطط (١) يبين الوعي والمنظومة التربوية للسلوك البشري
- مخطط (٢) يبين المنظومة التربوية المتكاملة للتنمية والتطوير بالمعايير الأخلاقية المستدامة والمستمرة
- مخطط (٣) يبين المنظومة الأساسية الإستراتيجية التربوية
- مخطط (٤) يبين منظومة القمع التربوي
- مخطط (٥) يبين البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية وعلاقتها
- مخطط (٦) يبين منظومة البيئة التربوية وحراك البيئة التربوية الجاذبة أو الطاردة
- مخطط (٧) يبين جوانب من منظومة الذكاء التربوي والذكاء الاجتماعي - العاطفي
- مخطط (٨) يبين المنظومة التربوية المتكاملة باستدامة واستمرارية التعلم والتربية والتعليم.

محتويات البحث

المبحث الأول: المدخل وجوانب من المفاهيم التربوية.

أولاً: المدخل والمفاهيم.

ثانياً: المنظومة التربوية المتكاملة وإدارتها.

ثالثاً: المنظومة التربوية المتكاملة لتنمية وتطوير الأخلاقيات التربوية وتربوية

الأخلاقيات.

رابعاً: المجال التربوي الدنيوي - الأخروي.

خامساً: القمع التربوي والمنظومة التربوية المتكاملة.

المبحث الثاني: البيئة وحراكها التنموي.

أولاً: الموقع التربوي - النفسي الآمن.

ثانياً: البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية.

ثالثاً: البيئة التربوية الصديقة والبيئة التربوية المعادية.

رابعاً: البيئة التربوية الجاذبة والبيئة التربوية الطاردة.

خامساً: البيئة التربوية ومنظومتها المتكاملة.

المبحث الثالث: الدستور التربوي والمنظومة التربوية المتكاملة.

أولاً: المنظومة التربوية الإسلامية والارتقاء بالإنسان.

ثانياً: التنوع والتنوير التربوي لاستراتيجية المنظومة.

ثالثاً: منظومة الذكاء التربوي والذكاء الاجتماعي - العاطفي.

رابعاً: استمرارية التعلم والتربية والتعليم ودعمها للمنظومة التربوية.

خامساً: الخلافات التعصبيه واضطرابات المنظومة التربوية.

سادساً: المنظومة التربوية والانعطافات الفكرية - السلوكية.

الخاتمة والاستنتاجات والمقترحات.

أولاً: الاستنتاجات.

ثانياً: المقترحات والتوصيات.

تعارض الإرجاف والسديد في النص القرآني
دراسة في ضوء الوظيفة الاجتماعية

الباحث

م. د. حاكم فضيل عطوي الكلابي

الملخص:

عنوان هذا البحث هو (تعارض الإرجاف والسديد في النص القرآني - دراسة في ضوء الوظيفة الاجتماعية)؛ إذ يدرس بنية الصراع الاجتماعي التي تمثل في ما تبنته جماعة القول السديد من قول يدعو للحق، وإشاعة الصدق، والثقة والإيمان بين طبقات المجتمع المسلم في عصر الدعوة الإسلامية، وما قبله من إرجاف يدعو لبث الأخبار الكاذبة، والشبهات، والإرهاب والإعلام المزيف بين طبقات المجتمع المسلم في عصر الدعوة الإسلامية، فكان بين الجماعتين أو المجتمعين تعارض في الأنساق والوظائف شكّل بنية كلية لها ضوابطها الذاتية، وحركتها المتحوّلة في كلّ منهما بحيث سارا متخاصمين ومتنافسين حتى شكّلا مفهوم تعارضٍ، ومصداق صراعٍ، ضارع ما دارت حوله بعض مفاهيم النظرية الوظيفية في فهمها البنيوي الاجتماعي، ونسقتها الثنائي المتصارع، فتوصل البحث إلى أهمية التحليل الوظيفي الاجتماعي لكلّ الظواهر في المدونة التراثية العربية والإسلامية، وأهمية تأسيس النقد الاجتماعي وتفعيله في المنابر الالكترونية.

الكلمات المفتاحية: تعارض الإرجاف والسديد، النص القرآني، الوظيفة

الاجتماعية

Summary:

The title of this research is " A comparison between the two opposing sides... hesitated and real believers in the Quranic Text - A Study in Light of Social Functionality". It studies the social conflict's structure, which represented the ideology of believers that supports justice, and shares honesty, trust, and faith among Muslims in the era of Islamic call (Da'wa), and what faced on the other side of hesitation (rumors), to share fake news, suspicions, terrorism, and fake media, among Muslim society classes, during the Islamic call era. So both groups and the two society sides had their arguments & conflicts, in the patterns and functions made a whole two different sides in the society, and their way of spreading, so that they lived arguing and competing with each other until they formed a contradictory and conflicting concept, that matched what social structure was based on, in the functional theory and its duo conflicted patterns, so the research has found the importance of analyzing the social functionality of all phenomena in the Arab and Islamic Heritage blog, and the importance of establishing and activating social criticism in online platforms.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

ففي هذا الموضوع جملة من الظواهر الاجتماعية الممزوجة والمندمجة التي بقيت مصدرًا للتحدي يواجهه المجتمع في شتى الأماكن والبيئات، وبمختلف توجهاته وانتماءاته؛ وقد واجه الأنبياء والرسل ﷺ هذا التحدي بكل قوة وشجاعة، وكان لهم في هذا التحدي مواقف جليلة أكدت الدور الفاعل والقيادي لحركة الأنبياء والرسل ﷺ في صنع الحضارية بمقوماتها الأخلاقية والاجتماعية السليمة والتماسكة، والإيجابية.

وفي المجتمع القرآني هناك دلائل لهذا التحدي في زمن الرسول ﷺ، تمثلت بتعارض الإرجاف والسديد في الخطاب القرآني؛ ألا وهي مصاديق الصراع بين الحق والباطل.

وقد مثلت ظاهرة الإرجاف - وهي إشاعة الأخبار الكاذبة والتهويل والتزييف - من قبل المجتمع المنافق والمشارك تحديًا للدعوة الإسلامية التي قادها الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرون ﷺ؛ إذ واجهوا هذا التحدي بمعارضتهم للإرجاف ومجتمعه بتكوين مجتمع «القول السديد».

فالقول السديد - نحو ما سيتضح في البحث - هو الخبر الصادق الذي يرد لتفنيد الكذب المشاع وتصويب القصد في سبيل الصدق، فهو يعارض الإرجاف الذي يعني الأخبار الكاذبة المشاعة عمدًا من قبل مجتمع النفاق والشرك والكفر؛ لنشر الفتن والبهتان والإيذاء.

وفي ضوء النظرية الوظيفية الاجتماعية الحديثة يمكن للباحث أن يقرأ البنية الاجتماعية المنظمة تعارضاً في المجتمع العربي في عصر الدعوة عن طريق تحليل النص القرآني الواصف لتعارض مجتمع الإرجاف ومجتمع القول السديد، على وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول - مفهوم الإرجاف والسديد والنظرية الوظيفية الاجتماعية:

ويتضمن:

أولاً: مفهوم الإرجاف.

ثانياً: مفهوم السديد.

ثالثاً: النظرية الوظيفية الاجتماعية.

رابعاً: التعارض والصراع في النظرية الوظيفية الاجتماعية.

المبحث الثاني: بنية التعارض القرآني بين الإرجاف والسديد:

ويتضمن:

أولاً: كلية التعارض.

ثانياً: تحوّل التعارض.

ثالثاً: الضبط الداخلي للتعارض.

ثمّ النتائج

وأخيراً: المصادر والمراجع.

وهنا لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الوافر إلى كلّ من سعى في إنجازي لهذا البحث، داعياً الله تعالى لهم جميعاً بالتوفيق إلى القول السديد، والحمد لله ربّ العالمين.

الباحث

٣٠ / رمضان / ١٤٤٣ هـ

المبحث الأول: مفهوم الإرجاف والسديد والنظرية الوظيفية الاجتماعية:

أولاً: مفهوم الإرجاف:

١- لغةً: قال تعالى في سورة الأحزاب: قال تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لتغرينك بهم ثم لا يجاورنك فيها إلا قليلاً﴾^(١)، ومعنى المرجفون: هو «المُشعون للأخبار الكاذبة»^(٢)، ويذهب أحد الباحثين إلى أن المرجفين «اسم فاعل من الرباعي «أرجف» مُفْعِل. وذلك في آية الأحزاب، بلفظ: «المرجفون» بالجمع ليوضح حجم تأمرهم على الدولة الإسلامية الناشئة، وأنه ليس خطأً فردياً بلا تخطيط مسبق، بل منهج يقوم عليه جماعة لها أهداف سياسية اعتقادية، ولا شك أن مجيء اللفظ عامّاً من دون تخصيصه بالمنافقين أو اليهود أو غيرهم، له دلالاته التي تناسب حجم الاضطراب والخوف الذي حصل جرّاء غزوة الأحزاب، والذي شارك فيه كلّ من المشركين واليهود والمنافقين وضعاف الإيمان»^(٣).

ففي الآية تسلسل مترابط السببية متمثل في النفاق المؤدي إلى المرض / الشك المؤدي إلى الإرجاف الذي يعني نشر الأخبار الكاذبة والسيئة والإشاعات، ففي لسان العرب «أزجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن. قال تعالى: ﴿والمرجفون في المدينة﴾ وهم الذين يولّدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب الناس. الجوهري: والإرجاف واحدٌ أراجيف الأخبار، وقد أرجفوا في الشيء أي خاضوا فيه»^(٤)؛ وهذا المعنى القرآني اللغوي اقترب الإرجاف من بعض معاني الألفاظ، وعدّ

(١) سورة الأحزاب: ٦٠.

(٢) كلمات القرآن تفسير وبيان، الشيخ حسين محمد مخلوف/ ٢٥٩.

(٣) الإرجاف دراسة قرآنية، رسالة ماجستير في أصول الدين، للباحث حمزة عبد الفتاح أحمد قاسم، بإشراف:

د. محسن سميح الخالدي، جامعة النجاح الوطنية / كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، نوقشت في

٢٥/٣/١٥م: ٢٥

(٤) لسان العرب، ط: دار المعارف: ج/١٩/١٥٩٦.

بعض الباحثين مجموعة من المعاني القرآنية بأن «لها صلة بالإرجاف وأهمها: الإشاعة، والأفك، والتشيط، والتخذيل، واللمز والهمز والنبز»^(١).

وعليه أصبح لمفهوم الإرجاف في اللغة العربية مفهوم كلي يرقى به إلى أن يكون ظاهرة اجتماعية لها ميزاتها، وعناصرها، ودرجاتها، ومراحلها وتاريخها وآلياتها العملية؛ فالمرجفون - بهذا المفهوم اللغوي القرآني وصلاته المعنوية- أصبحوا مجموعة من عناصر اجتماعية مترابطة، ومتعاونة بهذا الشكل من أشكال المعارضين للدعوة الإسلامية.

٢- اصطلاحًا: توقف المفهوم الاصطلاحي للإرجاف على الاتفاق بخصوص تحديد الإجابة عن الاستفهام القائل: من هم المرجفون؟ وقد بذل علماء القرآن الكريم والمفسرون جهداً واضحاً في تحديد الإجابة عن هذا الاستفهام. وهنا بالإمكان ذكر بعض الإجابات التي حاولت تحديد من هم المرجفون؟

يقول الطبري في تفسيره: «وأهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل. وكان إرجافهم فيما ذكر كالذي حدثني بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله ﴿...لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ...﴾ الآية، الإرجاف: الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق، وكانوا يقولون: أتاكم عدد وعدة. وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهر ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله بهذه الآية قوله: ﴿...لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...﴾ الآية، فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسروه. حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿...وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ...﴾ هم أهل النفاق أيضاً الذين يرجفون برسول الله ﷺ وبالمؤمنين»^(٢) فالمرجفون: هم أهل الكذب والنفاق الذين يكذبون وينافقون حقاً

(١) الإرجاف دراسة قرآنية: الصفحات، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٤٠، ٤٥، ٤٦.

(٢) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، موقع quran.ksu.edu.sa: ٢٠-٣٢٨-٣٢٩.

على رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة، ومحاربة لدعوته، فينشرون أكاذيبهم بين المسلمين. أمّا الراغب الأصفهاني، فيقول: «والمرجفون: هم الذين يولّدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس»^(١)، ويقول أيضًا: «والإرجاف: إيقاع الرجفة، إما بالفعل، وإمّا بالقول، قال تعالى: ﴿وَالْمَرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾»، ويقال: الأراجيف ملاقيح الفتن»^(٢). فالمرجفون في الآية الكريمة من سورة الأحزاب عنده: هم الذين يولّدون الأخبار الكاذبة بهدف إشاعة الفتن، واضطراب المجتمع بمضمونها الكاذب.

ومن المحدثين أحمد بن ناصر الخطّاف في كتابه «المرجفون» إذ يقول: «فتبين أنّ المرجفين: قوم ينقلون الأحداث بصورة مزيفة ملؤها الإثارة والتخويف حتى يتصوّر للسامع أنّ هذه الحادثة هي القاضية من طريق نقل الحديث بصورة مرجفة تخيف سامعها وتثبط من عزيمته وتُضعف إيمانه»^(٣).

وهم بهذا الوصف مجموعة اجتماعية متعاونة على نقل الأحاديث مهمتها افتعال التهويل والتخويف في المجتمع، وهدفها إضعاف إيمانه وتثبيط عزيمته الجهادية، ويؤكد هذا المعنى ما عُرف به «المرجفون في زمن الرسول صلى الله عليه وآله»: هم قوم كانوا يخبرون المؤمنين بما يسوؤهم من عدوهم: فيقولون إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وآله: إنهم قد قتلوا، أو هُزموا، وإنّ العدو قد أتاكم. وقيل: هم قوم من المسلمين ينطقون الأخبار الكاذبة حباً للفتنة»^(٤).

ومن طريق هذه الإجابات يتبيّن: أنّ المرجفين جماعة اجتماعية تخريبية تجتمع وتتوافق على استخدام الخبر الكاذب في مواجهة الدعوة الإسلامية ومعارضة أخبارها.

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، موقع مكتبة مدرسة الفقاهة، ar.lib.eshia.ir:ج/١ / ٣٤٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ج: ١ / ٣٤٤.

(٣) المرجفون، تأليف: أحمد بن ناصر الخطّاف، الكتيبات الإسلامية، دار طيبة: ٦.

(٤) م. ن: ٧.

ثانياً: مفهوم السديد:

وردت صفة «السديد» وصفاً لأحد أنواع القول المذكورة في القرآن الكريم، وقبل الوقوف على معنى «السديد»، من الضروري الوقوف على معنى «القول» بشكل عام، وبعض مفاهيمه المستعملة في اللغة، فالقول: «الكلام على الترتيب، وهو عند المحقق كل لفظ قال به اللسان، تاماً كان أو ناقصاً، تقول: قال يقول قولاً، والفاعل قائل، والمفعول مقول، قال سيبويه: وأعلم أنّ «قلت» في كلام العرب: إنّما وقعت على أن تحكى بها ما كان كلاماً لا قولاً؛ يعني بالكلام الجمّل، كقولك: زيدٌ منطلقٌ، وقامٌ زيدٌ؛ ويعني بالقول الألفاظ المفردة التي يبنى الكلام منها، كزيدٍ من قولك زيدٌ منطلقٌ وعمروٍ من قولك قامَ عمرو؛ وأمّا تجوزهم في تسمية الاعتقادات والآراء قولاً فلا لأنّ الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلاّ بالقول، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال، فلمّا كانت لا تظهر إلاّ بالقول سُميت قولاً؛ إذ كانت سبباً له، وكان القول دليلاً عليها»^(١)؛ إذ تبرز أهمية المعنى اللغوي للقول بما يحيط به من نشاط دلالي، واجتماعي واسع الاستعمال، فيتفاعل بوساطته المجتمع الإنساني، ويتخذ بمعناه معاملاتٍ شتى، ويقف مواقف جمّة، تمتلئ بها كثيراً من أزمان حياته.

وللقول في القرآن الكريم معانٍ مهمّة؛ أهمّها: الإخبار، والإعلان، والتعبير عن الموقف، واختصار الكلام^(٢)؛ فاكسب «القول» معنى شمولياً جعله يتصف بكثير من الأوصاف للتعبير عن مفاهيم تتعلق بصفات الكلام، واللفظ الذي يراد الإخبار عنه، أو التعبير عنه إنشائياً، ومن هذه الأوصاف التي كان لها موصوفاً ما ذكر في القرآن الكريم، «والكلمات الموصوفة إلى «القول» في القرآن ثمانية أنواع وهي: القول السديد، والقول

(١) لسان العرب، طبعة دار المعارف، ج/٤٢ / ٣٧٧٧.

(٢) ظ: معنى القول في القرآن الكريم، محمد أكرم الندوي، موقع رابطة العلماء السوريين، المجلس الإسلامي السوري، تاريخ النشر: ٢١ رمضان ١٤٤٣ هـ - ٢٣ ابريل ٢٠٢٢ م. وقد استنتج محمد أكرم الندوي هذه المعاني للقول في القرآن الكريم بالترتيب من سورة الحاقة: ٤٠، سورة الكافرون: ١، سورة البقرة: ١٢١، سورة نوح: ١٣.

المعروف، والقول الميسور، والقول الكريم، والقول اللين، والقول العظيم، والقول الثقيل»^(١). فالسديد هو أحد الأوصاف التي استعملها القرآن الكريم، وقد ورد في موضعين، الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٢) والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٣).

وقد تحدثت المعاجم عن معنى السديد، ومنها لسان العرب ففيه: «يقال: قل قولاً سَدَدًا وسَدَادًا وسَدِيدًا، أي: صوابًا، قال الأعشى: ماذا عليها؟ وماذا كان ينقصها يوم الترحل لو قالت لنا سددًا؟ وقد قال سددًا من القول. والتسديد: التوفيق للسداد، وهو الصواب والقصد من القول والعمل. ورجلٌ سديد وأسد: من السداد وقصد الطريق»^(٤)، و(قولاً سديدًا) معناه «صوابًا، أو صدقًا أو قاصدًا إلى الحق»^(٥) فالسديد في اللغة يشتمل على معنى الصواب والصدق، والقصد والتوفيق، وهي معاني إيجابية متضافرة مع إحقاق الحق، وإبطال الباطل.

وعليه يكون القول السديد في القرآن الكريم قد تكفل بمهمة «نشر الإصلاح والخير والمعروف والسلام والإحسان بين الناس»^(٦) ومن طريق تعارض^(٧) القول

(١) القول الموصوف في القرآن - دراسة مقارنة بين المعروف والسديد، بقلم محي الدين، رسالة قدمت لاستيفاء بعض الشروط للحصول على شهادة رجانا تيولوجية الإسلامية بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين والفلسفة بالجامعة الإسلامية الحكومية علاء الدين، مكاسر، بإشراف: أ.م. د. الحاج مستمين أرشد، وأ.م. د. الحاج محمد صادق صبري، ١٤٣٢ هـ، ٢٠١١ م: ٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٣) سورة النساء: ٩.

(٤) لسان العرب، طبعة دار المعارف: ج/ ٢٣ / ١٩٧٠.

(٥) كلمات القرآن تفسير وبيان، مخلوف: ٢٥٩.

(٦) القول الموصوف في القرآن الكريم: ٥٧.

(٧) والتعارض من «عارض الشيء بالشيء معارضة: قابله، وعارضتُ كتابي بكتابه أي قابلته لسان العرب، ط: المعارف: ج/ ٣٣ / ٢٨٨٥.

السديد ومعنى الإرجاف، يبرز الوجه الاصطلاحي للسديد - في هذا البحث - بأنه: خبر صادق يرد لتفنيد الكذب المشاع وتصويب القصد في سبيل الصدق، فهو يعارض الإرجاف الذي يعني الأخبار الكاذبة المشاعة عمداً من قبل مجتمع النفاق والشرك والكفر الذي يعمل على نشر الفتن والبهتان والإيذاء.

وبالنتيجة يكون بين مفهومي الإرجاف والسديد تعارضاً اصطلاحياً، يتجلى عملياً بالصراع الاجتماعي بين مجتمعي الإرجاف والسديد؛ ففي سورة الأحزاب نجد التقوى تؤدي إلى القول السديد المؤدي إلى إصلاح العمل المؤدي إلى غفران الذنوب؛ قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم من أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾^(١) وفي مقابلة هذه الآية الكريمة، الآية الكريمة من نفس السورة مقابلة معارضة، وهي؛ قوله تعالى: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورنك فيها إلا قليلاً﴾^(٢)؛ يتجلى نسق اجتماعي منظم؛ يقوم بتشكيل ظاهرة من ظواهر الصراع الاجتماعي؛ إذ يؤدي مجتمع القول السديد وظيفية اجتماعية جماعية إصلاحية؛ تستجيب استجابة رادعة لما يؤديه مجتمع الإرجاف من وظيفية جماعية معاكسة، وعليه يشكل نسق الصراع المتجلي في التعارض بينهما بنية اجتماعية متبارية لجبهتين من جبهات الصراع الأكبر بين الحق والباطل الذي صوره القرآن الكريم، وعبر عنه في أكثر من سيرة وفكرة وفعل وموقف وخلق.

ويمكن - هنا - وضع مخطط بياني يوضح تعارض الآيتين ٦٠ و ٧٠ من سورة الأحزاب:

الآية/ ٦٠	النفاق	المرض	-----	الإرجاف	-----	الإيذاء
الآية/ ٧٠	التقوى	القول السديد	---	إصلاح العمل	---	غفران الذنوب

(١) سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٠.

ثالثاً: النظرية الوظيفية الاجتماعية:

من بين النظريات الإنسانية الحديثة التي انتهجت الطرق العلمية في رصد الظواهر، ودراسة الأفكار والتطورات هي النظرية الوظيفية الاجتماعية: إذ «حاولت النظرية البنائية الوظيفية تفسير الظواهر الاجتماعية من طريق ما يمكن أن تقدمه من أفكار حول كيفية عمل المجتمعات، ولماذا توجد المؤسسات والأعراف؟ والنظر إلى المجتمع باعتباره نسق في حالة توازن، وهذا النسق هو بناء منظم وثابت مكون من عدد من الأجزاء المترابطة، ولكل جزء (أو نظام) من هذه الأجزاء وظيفة يؤديها للحفاظ على بقاء النسق وتوازنه»^(١). وتدين هذه النظرية في أفكارها إلى جهود «بارسونز» الذي زود الدراسات الوظيفية بأدوات التحليل المساعدة، وأهمها فكرة التوازن الواقعي؛ إلا أن المطورين لنظريته في الوظيفية الجديدة جعلوا من فكرة التوازن الواقعي فكرة لا يفرضها الواقع على المجتمع نحو ما هي عند بارسونز بل، هي حصيلة ناتجة للفعل الاجتماعي الذي هو «حركة لأشخاص حقيقيون وفعالون... (فهو) فعل يتضمن بعداً من أبعاد الإرادة الحرة»^(٢) ومن أهم المطورين للنظرية الوظيفية الجديدة «جفري ألكسندر» Jeffrey g.alexander في كتابه الموسوم «الوظيفية الجديدة وما بعدها»؛ فقد عمل على نقل الوظيفية من النسق المغلق إلى النسق المفتوح؛ لتتضمن مستويات التحليل بعيدة المدى إلى جوانب أخرى قصيرة المدى، وجعلها حركة ديمقراطية منفتحة على الإبداعية التفاعلية، وإدماج منظور الصراع وتركيزه على التوازن بعيد المدى^(٣). وهذه نقلة نوعية مهمة؛ فقد منحت الوظيفية مساحة أكبر، وحرية أكثر في ملاحقة التطور والتفاعلات

(١) التغير الاجتماعي، (مجلة)، النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي، (بحث)، د. فتحية طويل، تصدر عن مختبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الأول، بي دي اف: ٢١٨.

(٢) التغير الاجتماعي، (مجلة)، النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي، (بحث): ٢٢٠.

(٣) م.ن: ٢١٩-٢٢٠.

الجديدة للمجتمع وتغيراته.

ومن أهم الأسماء التي طوّرت عمل النظرية الوظيفية التي بدأها بارسونز، وأسهمت في بناء الوظيفية الجديدة هو «لومان» الذي يذهب إلى وجود ثلاثة أنماط من الأنساق الاجتماعية، هي^(١):

١- أنساق التفاعل (تفاعلات الوجه للوجه للبشر).

٢- أنساق التنظيم (يتم ربط العضوية بظروف محددة).

٣- الأنساق الاجتماعية (كل ما يطوق النسق الاجتماعي، والمجتمعات الكلية).

وعليه خرجت النظرية الوظيفية الاجتماعية بثلاثة أنماط من الأنساق التي تحتل مكانة مركزية بالنسبة للفعل؛ هي النسق الثقافي الذي يعمل من طريق رموز إدراكية وتعبيرية وتقويمية، والنسق الاجتماعي الذي يعمل من طريق تنظيم بناء العلاقات التفاعلية في ظروف معينة، ونسق الشخصية الذي يعمل بلحاظ منطلقات الحاجة التي تمثل تنظيمًا للميول الحافزية^(٢).

وما يهم البحث هنا - بشكل أكبر- هو مفهوم نسق الشخصية الذي يشير إلى: «مجموعة من الاستعدادات والميول نحو سلوك يلائم مصالح النسق والايديولوجيات، وهذه الدافعية لا تتولد داخل النسق الاجتماعي ذاته كما عرّفه بارسونز، ولكنها تأتي من مجموع أنساق شخصية الفاعلين المشاركين في النسق الاجتماعي»^(٣).

فانتقلت النظرية الوظيفية من شكلها عند بارسونز إلى الكسندر من افتراضات التكامل والتوازن إلى احتمالات التناقض والصراع^(٤).

(١) التغير الاجتماعي، (مجلة)، النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي، (بحث): ٢٢٢.

(٢) ظ: م. ن: ٢٢٢-٢٢٥.

(٣) م. ن: ٢٢٥.

(٤) ظ: م. ن: ٢٢٩.

وعلى الرغم من عدم صحة اعتقاد المنظرين الجدد بتسلط المعايير والقيم، واتهامها بالتسبب للتناقض والصراع؛ إلا أن هذه التعديلات الداخلة في إجراءات الوظيفية الاجتماعية جعلتها تدرك أهمية التفاعل، والحركية الفكرية والثقافية، والتعارض الذي يمكن أن يظهر من خلال وظيفة السلطة والقوة فهي تولد تعارضاً في المصالح وتوقعات الأدوار؛ فبني الأدوار تولد مصالح متناقضة وأخرى متكاملة^(١).

فمع واقعية هذه التفاعلات المتداخلة، والمتعارضة، والمتغيرة للوظائف، ومخلفاتها السلبية إلا أنها تبقى منحصرة في ما تدركه نظريات البشر من مصالح مادية حسية، وقيم ثقافية نفعية ومعايير وضعية نسبية جعلتها بعيدة في أغلبها عما نادى به الرسالات السماوية من مبادئ وقيم وحدود تحصن من يسير عليها في الوقوع بشراك المنافع والمصالح وشرور الوظائف وجوانبها اللاأخلاقية المظلمة.

رابعاً: الصراع والتعارض في النظرية الوظيفية الاجتماعية:

ينطلق هذا المبدأ من حيث انتهت النظرية الوظيفية عند بارسونز القائلة بالتوازن المتواجد بالضرورة بين عناصر النسق الكلي للطبقات الاجتماعية؛ فقد وضع «رالف دارندورف» في كتابه «الطبقة والصراع الطبقي في المجتمع الصناعي» «نموذجاً يعارض النموذج الوظيفي لبارسونز، وملخص ما يدعو له «رالف دارندورف» هو أن الصراع يؤدي إلى صيانة الأنساق الاجتماعية^(٢)، فقد أهملت نظرية بارسونز دور الصراع والاختلافات في تفاعل الأنساق واشتباكاتهما الاجتماعية، مدعية تكامل عناصر النسق الاجتماعي وظيفياً بانسجام وتوازن وتألف، وهذا ما عارضه دعاة الصراع والتعارض، إذ يبرز عدد من نقاط الاختلاف بين بارسونز و دارندورف، نحو ما استنتجها أحد

(١) ظ: التغيير الاجتماعي، (مجلة)، النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي، (بحث): ٢٢٩.

(٢) ظ: نظرية الصراع الاجتماعي وتطبيقاتها التربوية، اعداد: جابر أبو عمرة، إشراف: أ.د. أحمد عبد العزيز، جامعة المينا، كلية التربية، قسم أصول التربية. لات، لان: ٧.

الباحثين، بحسب الآتي^(١):

نظرية دارندورف	نظرية بارسونز
١- كلّ مجتمع عرضه لعمليات التغيير.	١- المجتمع بناء ثابت نسبياً من العناصر
٢- كلّ مجتمع يتضمن الصراع والاتفاق وهي عملية شمولية.	٢- هذه العناصر متكاملة مع بعضها البعض
٣- كلّ عنصر يسهم في عدم التكامل داخل النسق ويؤدي إلى التغيير.	٣- كلّ عنصر يؤدي وظيفة تدعم بناء النسق.
٤- كلّ مجتمع يرتكز على قهر بعض بين أعضائه. أعضائه للبعض الآخر.	٤- كلّ بناء اجتماعي يرتكز على اجتماع قيمي

ومع عدم تكامل النظريتين إلا أنّ التفات المطوّرين للنظرية الوظيفية الاجتماعية إلى أثر الصراع ونشوء التعارض بين الأنساق والطبقات؛ أمرٌ لا يخلو من المنطقية على الرغم من الانتقادات التي وجهها بعض الباحثين العرب لإسقاط هذه النظريات على المجتمع العربي^(٢) على ما هي عليه من مبادئ ومنطلقات، فالتوازن المفروض واقعياً أو الصراع المفروض ضرورة في تاريخ التجارب المجتمعية لا يصيرهما من ضروريات استمرار التوازن النسقي لكلّ مجتمع؛ وذلك لسبب واضح هو أنّ بناء مجتمع معين يختلف عن بناء مجتمع آخر بلحاظ الحيثيات؛ فقد يبرز للعوامل الواقعية أو الصراع دور في مجتمع، ولا يبرز في مجتمع آخر، وقد يختفي تأثيرهما في حقبة، وقد يظهر تأثيرهما أو تأثير أحدهما في حقبة أخرى، وهكذا.

وعليه يكون «مصطلح الصراع - عادة - ما يشير إلى حالة أو وضع تقوم فيه جماعة

(١) ظ: نظرية الصراع الاجتماعي وتطبيقاتها التربوية: ٦.

(٢) ظ: الدراسات والبحوث الاجتماعية (مجلة)، نقد نظرية الصراع واسقاطها على الواقع العربي، بحث منشور، د. الأزهر ضيف وأ. جميلة زيدان، جامعة الوادي، الجزائر، العدد: ٢٠، النشر: ١ / ١٢ / ٢٠١٦:

من البشر بالاشتباك في نوع من المعارضة الواعية مع جماعة أخرى أو أكثر من جماعة، على أساس أن الجماعات المناوئة تبدو أئمة تسعى إلى أهداف لا تقبلها الجماعة الأخرى»^(١) فالصراع هو المصداق الأكثر تمثيلاً للتعارض القائم بين الأنساق المصوّرة لهذا النوع من المعارضة الواعية، «فالصراع هو نوع من التعامل حول قيم ودعاوى بشأن موارد وسلطة، أي أنّ الصراع conflict ينطبق على التفاعل الذي يحدث بين البشر وبعضهم البعض، فهو أكثر من التنافس، الذي هو أبسط أنواع الصراع، ومن صور الصراع المعقدة: الأزمة والتوتر والنزاع»^(٢) وهذا المفهوم للتعارض الذي مصداقه الصراع الاجتماعي ومصطلحه هو المقصود في عنوان البحث، فالتعارض بين الإرجاف والسديد في النص القرآني هو مفهوم قرآني اجتماعي يضارع مفهوم الصراع الاجتماعي في النظرية الوظيفية الجديدة التي تقدّم الكلام فيها، إلاّ أنّه يأخذ مساره البحثي نحو ما هو متمثل في تعارض الإرجاف والسديد في النص القرآني؛ فالآيات القرآنية الكريمة رسمت خريطة واضحة متقابلة لمجتمع القول السديد وما يقابله من مجتمع الإرجاف، وكيف نشأة الجماعتين «المجموعتين»، ثمّ تحوّلت من مستوى إلى آخر، وكيف تمّ لها ضبط علاقاتها البينية بين عناصرها، ووظيفة كلّ عنصر على وفق ما تتطلبه كلّ مرحلة في مسيرة الدعوة الإسلامية، ومحيطها البيئي، وما تتطلبه المستجدات من مستحدثات نظرية ووظيفية، ومن ذلك ما قيل في العامل الديني بأنّه «عامل توحيد أبناء المجتمع الواحد فهو يخلق بينهم نوعاً من الهوية الدينية إلاّ أنّ جهل بعض التفسيرات الدينية بالثقافات السائدة يدفعهم إلى التنافس، إذ يحاول كلّ فريق فرض معتقداته الدينية على

(١) الدراسات والبحوث الاجتماعية (مجلة)، نقد نظرية الصراع واسقاطها على الواقع العربي، بحث منشور، تأليف: د. الأزهر ضيف و أ. جميلة زيدان، جامعة الوادي، الجزائر، العدد: ٢٠، النشر: ١٢ / ١٦ : ٢٠١٩.

(٢) م. ن: ١٨٩.

الآخرين، هذا التعصب يدفع بالأفراد إلى الدخول في حروب مع الآخرين^(١) وبعيداً عن تأييد كل ما جاء من أفكار ورؤى في هذه النظرية الوظيفية الاجتماعية الجديدة؛ إلا أنّ ما انتهت إليه هذه الدراسات الحديثة، وما أكدت عليه الدراسات القرآنية - كذلك - يؤيد بالنتيجة التأثير الكبير لمجرى الصراع الاجتماعي في رسم خريطة النسق الجماعي للوظيفة الاجتماعية لكلا الفريقين، والفائدة تكمن - هنا - في معرفة الأدوار والوظائف التي يمكن أن يؤديها تشكيل جماعة القول السديد بداية بتشكيل المجموعة الكلية لهذه الجماعة، ثم ما تحوّل إليه من أشكال وصيغ، وأخيراً ما تتبناه من ضبط ذاتي لعناصرها الوظيفية الذي يتناسب تناسباً حركياً عن طريق الاجتهاد، والنشاط الإبداعي؛ ما يواجهه من مستحدثات وتحديات مستجدة حتى يستطيع الفرد المسلم الوقوف موقفاً قوياً، ونافعاً، ومتفاعلاً، ومتواصلاً مع مجتمعه، ويؤدي وظيفته من دون تقاطعات، أو تغييب لتجارب المجتمع؛ مما هو مفيد في تطوير تجربته، وجعلها أكثر تأثيراً وفاعلية، واجتماعية.

المبحث الثاني

أولاً: كلية التعارض:

تستلزم البنية الوظيفية للتعارض بين الإرجاف والسديد في النص القرآني استعمال تعبيرات الشمول والجمع، وهذا الأمر يتجلى في مجتمع السديد، ومجتمع الإرجاف؛ فالخبر والإنشاء في مضمونيهما؛ لا بدّ من بنائه على عبارات وألفاظ الشمول والكلية في الوقت نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(٢) نتصوّر شمولية الموقف والخبر والشعور والخطاب الذي يصدر بخصوص السديد أو الإرجاف؛ مما يدل على بنية منظّمة للتعارض القائم بين الجماعتين أو المجتمعين أو الحزبين أو

(١) الدراسات والبحوث الاجتماعية (مجلة)، نقد نظرية الصراع واسقاطها على الواقع العربي: ١٩١ - ١٩٢.

(٢) سورة المؤمنون: ٧٠.

الفريقين المذكورين أعلاه على وفق ما استعمله النص القرآني، فالصراع الثقافي والمباراة الفكرية بين القائلين بالسديد والمخبرين بالإرجاف صراع منظّم ببنية كئيّة لها مجموعتان متعارضتان بالمواقف والمنطلقات والوسائل والأهداف والنهايات.

ففي المعاجم الإنكليزية يأتي مفهوم النسق مرادفًا لاثنين من المعاني المعجمية؛ الأوّل هو معنى (البنية - Structure)، والثاني: هو معنى (النظام - System) بحسب مفهوم دي سوسير، واجتهد بعض الباحثين في صياغة مفهوم مهم الخاص للنسق^(١).

وبعد التوكل على الله تعالى سيشرع البحث من طريق الاستضاءة بالمنهجية الوظيفية الاجتماعية في تأطير الكئيّة التي تأسست على وفق الإطار الاجتماعي الإسلامي في زمن الدعوة وبيئتها، والتدليل على تشكيل الجماعات والفرق بأطر كئيّة، وكئيّة الميول الشمولية التي وظّفت كثيرًا من الوسائل المتاحة استجابةً للمواجهة الوظيفية الكئيّة وصراعها الكلي بين الأدوار.

ومن الجدير بالذكر - هنا - التركيز على الفرق الواضح بين مصدر الكئيّة للمتعارضين؛ فشتان بين كئيّة جماعةٍ جمعها الإيمان والرعاية الإلهية، وكئيّة جماعةٍ جمعها النفاق والمصلحة المادية.

إذن، يتوجّه الكلام - هنا - بدءًا عن مؤسس جماعة القول السديد بالنسبة للمجتمع العربي، وهو الرسول محمد صلى الله عليه وآله وكيف التفّ حوله أوائل المؤمنين، ولاسيما عمّه أبو طالب عليه السلام، وابن عمّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام بادئ الأمر، ثمّ ازدادت جماعة القول السديد، في شعب أبي طالب والدعوة السرية، ثمّ في جماعة الهجرة، ثمّ اتسعت الجماعة بدخول الأنصار والمؤاخاة بينهم، ثمّ بناء المدارس، وتأسيس المذاهب، وتشكيل المؤسسات.

(١) ظ: النسق الشعري وبنياته - منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي، خالد عفيف، ٢٠٢٠، بحث الكتروني منشور.

وفي الجبهة المقابلة يتجسد الحديث عن مؤسس جماعة الإرجاف أو النبا الكاذب والإشاعات، بالنسبة للمجتمع العربي من طريق المنافقين الذين أخفوا شركهم وكفرهم بعد انتشار الإسلام، وتطورت حركاتهم ونشاطاتهم ابتداءً من عمليات الاغتيال، وتشويه سمعة الرسول ﷺ، والتحزب، ثم الارتداد، وبعدها الخروج والعصيان، ثم الانقلاب، وتشكيل الإمارات والجيوش الاستعمارية، ثم تشكيل المافيات، والشبكات الجاسوسية التي حاولت على مدى نشاطها المستمر تفتيت بنية المجتمع المسلم، وتهوين ثقته بنفسه، وجعله مرجعية للإرهاب العالمي إذن، ما يستهدفه البحث ليس إثبات كلية التعارض فقط من طريق وقائع الكلية لتشكيل الجماعتين، أو المجتمعين، كمجموعتين لهما عناصرهما الفاعلة، والمتفاعلة اجتماعياً، فهذا الأمر يبدو مفروغاً منه، وقد أثبت بالدلالة الظاهرة في كثير من الآيات القرآنية المحكمة عبر أنساق الصيغ الجمعية، واستعمال ألفاظ الجنس الجمعي، وتوظيف ألفاظ الشمولية والكلية والتعميم نحو قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١) ففي هذه الآية الكريمة تجلت أنساق الكلية الوظيفية في تعارض وظيفي كلي بين مجتمع القول السديد ومجتمع الإرجاف؛ فخير أمة هي كلية ذات وظيفة كلية تمثلت بتبني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وقد عارضت بهذه الوظيفة الاجتماعية الدينية كلياً وظيفة أكثرية أهل الكتاب، وهم الفاسقون بما تبنوه من فساد وإفساد.

ويتجلى ذلك التعارض الكلي ذو الوظيفة المتقابلة كلياً بين المجتمعين في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٢) وغيرها من الآيات المحكمة الدالة على تشكيل كلية الجماعتين؛ جماعة السديد وجماعة الإرجاف، وقد برز

(١) سورة آل عمران/ ١١٠.

(٢) سورة المائدة/ ٢.

الصراع الاجتماعي الديني بين الجماعتين في نداء الرسول صلى الله عليه وآله علناً، والتحدي المباشر الذي صورته الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثُمَّ نَبْتَلِهِمْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

ففي الآية القرآنية الكريمة تصريح بتشكيل نواة مجتمع القول السديد، وعناصره الأساسية التي تبنت مواجهة مجتمع الإرجاف؛ ومع بيان ما جاء من كلية في هذا التعارض المنسق من المجموعتين إلا أن البحث يستهدف الإجابة عن تساؤلٍ ملحق هو: هل هناك كلية وظيفية متعارضة بين الجماعتين؟ أو بين المجتمعين؟ وهل هناك تعارض كلي بينهما؟ هذا التساؤل هو محور البحث والتطبيق والتحليل في هذا المبحث الأول، ومحاولة الإجابة عنه هي عنوان ما سيبدل من تدليل قرآني، واستنتاج تفسيري لما يتضح من وظيفة كلية متعارضة شكّلت نواة الصراع الاجتماعي بين طبقات المجتمع المسلم، ويمكن هنا استعمال الوصف التحليلي المقارن في عرض ودراسة الآيات الكريمة الدالة على كلية التعارض الوظيفي الاجتماعي بين مجتمع القول السديد ومجتمع الإرجاف، بحسب الآتي:

الوظائف الكلية لمجتمع الإرجاف	الوظائف الكلية لمجتمع القول السديد
١- الكذب ونكث العهد.	١- الصدق والوفاء بالعهد.
قال تعالى: ﴿يُحَادِثُونَ اللَّهَ الَّذِينَ وَمَا يُحَادِثُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾
٢- إطفاء نور الله وتضليل المسلمين وغيرهم.	٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
--	--

وبعد التدقيق في هذه الوظائف الكلية أو الكلية الوظيفية الاجتماعية وتعارض نسقيهما المتمثل في صراع مجتمعي السديد والإرجاف يتبين وقوع التأثير الواضح لظاهرة التعارض بين القول السديد والإرجاف، وإن هذه الوظائف من الأنساق الاجتماعية الكلية الفاعلة في تشييد البناء الواقعي لتاريخ تشكّل المجتمعات الإسلامية.

ثانياً: تحوّل التعارض:

إنّ مبدأ التحوّل في بنية التعارض لشرط مهم في تصوّر الوظيفية والنسقية التي تبلورت ثمّ تطورت وتحوّلت من فئة إلى أخرى ومن شكل إلى آخر، على وفق ما تتطلبه المرحلة من الدعوة الإسلامية والتنزيل القرآني وتنجيّمه الإلهي، فالعبرة التي وردت في «فلم الرسالة» التي نصّها: «والرجل الذي بدأ وحيداً صار أمة» تشير إلى أنّ ملاحظة التحوّلية بالنسبة لمجتمع السديد تشير إلى حركية التحوّل المعارض في مجتمع الإرجاف بالمقابل ففي النص القرآني يشكّل التعارض والصراع بنية تحولية حركية تشيّد البنية التعااقبية التاريخية، والوظيفية السردية المنظّمة لتحوّل التعارض من شكل إلى آخر والصراع الاجتماعي من مستوى إلى آخر من بداية الدعوة الإسلامية أو عصر الرسالة حتى نهايته ومجيء عصر الخلافة، ثمّ عصر الإمامة.

هنا يتمثّل الكلام بالتنوّع الذي اتسع وتعدّد نتيجة تطورات الصراع الاجتماعي ما بين الجماعتين أو المجتمعين المتعارضين، إذ تنوّعت الاجتهادات الإسلامية، والأساليب التبليغية والفنون القولية، واتسعت ميادينها في الفكر، والسياسة، والدفاع، والأمن، والصناعة؛ وهذا التحوّل والتمدد أمرٌ طبيعي جاء نتيجة الحركة المعارضة لجماعات الإرجاف، التي طوّرت وسائلها الشيطانية، عبر صناعة الموت، والمخدرات، وتصدير

الإرهاب، وبث الإعلام الفاسد والمضلل.

وعليه يمكن ملاحظة مراحل التحوّل النسقي، وتطورات البنية الوظيفية السياسية والاجتماعية المهيمنة على صيرورة الدعوة الإسلامية وما يقابلها من تحدي سياسي متعدد، ومنظّم، ومتطوّر لمجتمع الإشراف؛ فالتحوّل شرط أساسي في تصوّر الطبيعة الحركية التعااقبية لبنية التعارض بين الإرجاف والسديد الذي صوّره النص القرآني.

فالمنظّمات السياسية ومعارضاتها تتمتع ببنية تحويلية متسلسلة، ومتتابعة، ومتناسبة اجتماعياً واقتصادياً وبيئياً. وتقوم توسعاتها التبشيرية والثقافية والعسكرية على وفق هذا التحوّل وما يستحدث من تطورات، وأحداث، فالجماعة تختلف عن المنظمة والمنظمة تختلف عن الحزب، والحزب يختلف عن الأمة، والأمة تختلف عن الطائفة، والطائفة تختلف عن الديانة، والديانة تختلف عن القومية، بكلّ ما تمتلكه هذه الكليات من وسائل وعناصر وتقنيات وأماكن وأموال وسلطات، وهكذا.

وإنّ طبيعة التحوّل الحركي تختلف بين جماعة السديد أو مجتمعه عن جماعة الإرجاف أو مجتمعه من حيث استخدام الوسائل -أيضاً- أخلاقياً واجتماعياً؛ وعليه ستختلف العلاقات بين أواصر التحوّل في النص القرآني الواصف لتحوّل البنية بين الطرفين؛ مما يؤكد تعارض طبيعة التحوّل بينهما، ولاشكّ أنّ في ذلك إعجازاً قرآنياً بيّناً يظهر في دراسة هذا التعارض في النص القرآني.

وفي هذا الموضوع يبرز التساؤل المهم في هذا المبحث الثاني، ألا وهو، هل هناك تحول وظيفي اجتماعي متعارض بين المجتمعين «الإرجاف والسديد»؟ فهناك آيات قرآنية غير قليلة دلّت على هذا التحوّل المتعارض، ومنه قوله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرُّسُلُ أَفَئِنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ

اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾ .

وهذا الانقلاب ومواجهته من أبرز ما منيت به الأمة الإسلامية؛ إذ شهدت الصراع الدائر حوله، وكان هذا التحوّل الوظيفي المتعارض من عوالم الحياة الاجتماعية الذي ميّز بين فريقين من المجتمع المسلم بُعيد وفاة الرسول ﷺ، فالمنقلبون هم جماعة الإرجاف، والشاكرون هم جماعة السديد؛ أي وظيفتهما التي تحوّلوا إليها بعد أن فقدت الدعوة الإسلامية شخص الرسول محمد ﷺ؛ إلا أنّ سيرته ورسالته وسنته بقيت للشاكرين قولاً سديداً لا ينقلبون ضده أبداً، بل يتمسكون بعروته الوثقى وهي «الثقلين»، فكان شكرهم تحوّلًا وظيفيًا إيجابيًا، أمّا المنقلبون فكان في انقلابهم على سنة الرسول ﷺ، وعدم الالتزام بوصيته التي خلفها فيهم؛ ألا وهي التمسك بالقرآن الكريم، وأهل بيته ﷺ، فقد كان خروج المنقلبين إلى سنن أخرى إرجاف واضح، وتحوّل وظيفي سلبي صريح يعارض أنساق الشاكرين معارضة وظيفية صارخة.

وبعد هذا التحوّل الوظيفي الاجتماعي يمكن المرور -هنا- بنسق تحوّلي بالوظيفة المتعارضة بين مجتمع القول السديد ومجتمع الإرجاف يتمثّل في مضمون قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٢) فدلالة الفعل الماضي «استضعفوا» وتحوّلها إلى فعل مضارع «نَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ» دليل واضح على أنّ التحوّل من السنن الإلهية، وإنه من أنساق التحوّل الوظيفي لمجتمع الدعوة الإسلامية، وما فيه من صراع اجتماعي تتحوّل فيه الأدوار؛ ولا يعني هذا الاستنتاج التفسيري أنّه نوع من التسليم بالجبر، بل هو تسليم بموقف العدالة الإلهية من جهة، ومن جهة أخرى تسليم بوجوب التحوّل الوظيفي مع الزمن بشرط التعارض مع ما يستحدث من وظائف المرجفين الشيطانية، ومجابتها مجابهة بالقول السديد، وفي هذا يكون التوفيق الإلهي،

(١) سورة آل عمران / ٦١ .

(٢) سورة آل عمران / ٦١ .

والإرادة الإلهية حاضرة بشكلها المنسّق إيمانياً من قبل الجماعة السديدة.

ومن الجدير بالذكر هنا هو ما أشارت إليه قصّة نبي الله إبراهيم عليه السلام من تحوّل وظيفي مشروط بالنسبة لوراثة العهد الإلهي؛ إذ يقول تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمة فاتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدى الظلمين﴾^(١).

وعليه يكون هنا التحوّل الوظيفي تحوّلاً مشروطاً وخاصّاً؛ إلاّ أنّه في مشايعته ومتابعته وعدم الانفكاك عن مولاته تحوّلاً وظيفياً عامّاً بشرطه وشروطه، فالتعارض لا يصح في نسقه السديد ما لم يكن قد وضع هذا العهد وشرطه وثاقاً ومستمسكاً بيده؛ وإلاّ لا سامح الله تعالى سيحسب في جبهة أخرى قد لا يعلم نسقها، ونولها والله العالم.

ثالثاً: الضبط الذاتي للتعارض:

يُعدّ الضبط الذاتي للبنية الوظيفية مهماً جدّاً بلحاظ أنّه يميّز بين المجتمعين المتعارضين؛ إذ يتبنى مجتمع الإرجاف - بالضرورة - ضبطاً ذاتياً قائماً - في الغالب - على الخداع والتزييف والإغراء، والكراهية والعنجهية والعصبية والتخدير... الخ، بينما يتبنى مجتمع السديد - بالضرورة - ضبطاً ذاتياً قائماً على تعاليم الدعوة الإسلامية، وثوابتها الشرعية والأخلاقية والاجتماعية - قدر المستطاع - والتأسي بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله، وسيرة المعصوم بشكلٍ أعم، وما فيها من قول وفعل وتقرير صادر عنه «عليه الصلاة والسلام».

إنّ هذا التمايز في الضبط الذاتي بين طرفي التعارض يتأثر تأثراً كبيراً، بشكل الكليّة ومرحلة التحوّل؛ فمثلاً يختلف التمايز في الضبط الذاتي بين طائفة وأخرى، عنه بين ديانة وأخرى، أو بين جماعة وأخرى... الخ.

وعليه يظهر الضبط الذاتي لبنية الصراع بين الجماعتين أو المجتمعين «السديد

والإرجاف» ظهوراً أخلاقياً متناقضاً من حيث مبادئهما المتعارضة؛ إلا أن هذا التعارض - في أغلب الأحيان - يكون ذا تجلٍ ملتبس ومتشابك، يصعب على الإنسان الساذج، والمسلم غير المستضيء بالعلم التمييز بين هذه الأنساق المتعارضة؛ لأنها قد تتشابه ظاهرياً في بعض الشعارات، والاستخدامات، ومع اختلافها الكبير في كيفية التطبيقات، وأخلاقياتها إلا أنها تتعسر تمايزاً في أغلب الأحيان بالنسبة لعوام المسلمين أو السذج أو البسطاء - إن جاز التعبير - مما يسبب مشكلة اجتماعية كبيرة، وتشويهاً عقائدياً ودينيماً، وفهماً خاطئاً شائعاً؛ يدعو إلى استظهار الوجه الناصع لطبيعة العلاقات الاجتماعية الأصيلة، والضبط الشرعي والإسلامي للمجتمع بعيداً عن التشوهات التي أشيعت عنه كذباً وبهتاناً، وحقداً وتخريباً، وغلواً، وتطرفاً، واستغلالاً.

وعليه، سيخضع الضبط الذاتي المتعارض بين مجتمع الإرجاف ومجتمع السديد إلى قرارات واستجابات متباينة تناسباً ومبادئ كل من الطرفين على حدة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تناسباً متناسباً ضرورياً وحجم الكلية ومرحلة التحول؛ فتعاقبية البنية وتزامنتها لهما دور فعال في تحديد نقاط الضبط الذاتي لكل نسقٍ من أنساق بنية التعارض بين الإرجاف والسديد في النص القرآني الواصف للوظيفة الاجتماعية لبنية المجتمعين المتعارضين. والتساؤل المهم -ها هنا- هو هل هناك ضبط ذاتي وظيفي متعارض بين مجتمع السديد ومجتمع الإرجاف؟ وهل هناك نسق منضبط للعلاقات الاجتماعية قد رسخها الإسلام، وأكد عليها القرآن الكريم، واهتم بأدوارها ووظائفها في قبالة ما كان متبنى من قبل مجتمع المرجفون الذين جندوا أنفسهم لمحاربة الدين، وإيذاء شخصياته، بأكاذيبهم، وإشاعاتهم، وإرهابهم المنبث في صفوف طبقات المجتمع المسلم الذي شان سمعته، وأنزف جراحه، وأفجعه بأفعاله وأقواله.

نعم، هناك ضبط ذاتي بين جماعة القول السديد؛ فالمسددون هم جماعة بينهم صلوات وأخلاق تختلف وتتعارض مع تلك الصفات والأخلاق المتبناة من قبل المرجفين،

ونستدل على هذا الاستنتاج عن طريق التأمل العميق، والتدبر الواعي في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

فالأخبار التي وصفت الذين مع الرسول صلى الله عليه وآله من عوامل الضبط الذاتي الوظيفي لجماعته الذين معه؛ إذ كونهم أشداء على الكفار رحماء بينهم يؤكد نسق التعارض الوظيفي بين مجتمع السديد «الذين مع الرسول صلى الله عليه وآله»، ومجتمع الإرجاف «الكفار»؛ وقد صوّرت الآية الكريمة مدى التحوّل الإيجابي، والتطور الإيماني لشخصياتهم، وصفتهم بقدر ما يقابلهم من تطور متعارض، وإنّ المقابلة المنسقة في الآية الكريمة من جمل الطباق قد أدّت وظائف ضبط ذاتي لا ينفك عن وظيفته التي دعت مجتمع السديد إلى الرحمة بين أفرادهِ وعناصرهِ بقدر الشدّة على مجتمع الكفار الذين يعارضون رحمتهم، ويعملون على رفعها.

ومن هذا الضبط الذاتي المتشكّل تعارضياً بين المجتمعين المتصارعين «السديد والإرجاف»؛ يتجلّى شرطٌ أساسي؛ فالرحماء بينهم لا بدّ لهم من المودة لمن هو في معيتهم، وهو من يدلّهم على من يستحقها، ليستحقّوا الأجر عليها، وما هذا الشرط الأساسي إلا ما نصّ عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ مَشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقترفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أم يقولون افتري على الله كذباً فإن يشأ الله يُختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحقّ الحقّ بكلماته إنّه عليمٌ بذات

الصدور* وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون* ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصلح ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد* ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير* وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ﴿١﴾ .

ففي هذه الآيات القرآنية الكريمة نسق تعارضي يبرز من طريق التقابل الدلالي بين مجتمع القول السديد ومجتمع الإرجاف، ومحور هذا الضبط الذاتي هو الذي أسند شرطاً لصفات معية الرسول ﷺ؛ ألا وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فهذا هو القول السديد، وشرطه السديد الذي تعارض معه الكفار الذين قالوا بالباطل «وافتروا على الله كذباً» هذا الشرط هو ضبط ذاتي مستمر بين مجتمع القول السديد «فالمودة في القربى» هي الضابطة الذاتية بين الذين يودون أن يكونوا في مجتمع الرسول ومن معه؛ ويعملون بالالتزام على جادتهم، والثبات على ولايتهم، وأن يكونوا دوماً أشداء على الكفار؛ من طريق الكلمة والموقف الحازم فيعارضون مجتمع الإرجاف معارضة إيمانية تكون الرحمة بينهم والشدة على أعدائهم، وليس بالشكل المعكوس، الذي تبناه مجتمع المرجفين من ركوب الظلم، ونصب العدا للقربي؛ وما ذلك الضبط الذاتي للمرجفين إلا نصبهم العدا لأهل القربى، وركوب الظلم والتعصب والتطرف؛ فأنساق الإرجاف التي صورتها الآيات القرآنية -أعلاه- منضبطة ذاتياً في تعارضها في مختلف تحولاته، وأنساقه الظاهرة والمضمرة على معاداة الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ أعادنا الله تعالى.

النتائج

وفي صفحة النتائج من الضروري أن أدوّن أهم التوصيات والاستنتاجات التي خرج بها البحث في صالح المجتمع المسلم إن شاء الله، ومنفعته، بحسب الآتي:

١- ضرورة تشكيل لجان متخصصة في البحوث الاجتماعية، والنقد الاجتماعي؛ تعيد قراءة الموروث الإسلامي في ضوء التحولات الثقافية، والفكرية الاجتماعية، ورصد مظاهر التغيرات في العادات والتقاليد، والوقوف عند صورتها الأصلية ومدى انحرافها، وطبيعته، والتحقق من سلامتها النصية والنقلية قدر المستطاع، واستجلاء المنفعة العملية منها.

٢- الإفادة من تفعيل التوظيف الاجتماعي في المدارس والجامعات، واستحداث وظائف ذات مهمات اجتماعية في البيئات الرسمية وغير الرسمية، والاهتمام بالاختصاصات ذات الصلة اهتماماً سديداً نحو الارشاد التربوي، والخير الاجتماعي، والأمن الاجتماعي، والشرع الاجتماعي.

٣- تأسيس منابر إلكترونية عالية الجودة، وواسعة النطاق لتحليل الشائعات، والفتن الطائفية، والسلبيات الاجتماعية تحليلاً علمياً، بطرق أخلاقية لائقة، ولياقة فكرية ولغوية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ): دار المعارف، مصر: تح. عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، د. ط، د. ت.

ثانياً: المراجع:

١- كلمات القرآن تفسير وبيان، الشيخ حسنين محمد مخلوف. منشورات دار الهلال، ١٩٥٦ م.

٢- المرجفون، تأليف: أحمد بن ناصر الخطّاف، الكتيبات الإسلامية، دار طيبة.

٣- معنى القول في القرآن الكريم، محمد أكرم الندوي، موقع رابطة العلماء السوريين، المجلس الإسلامي السوري، تاريخ النشر: ٢١ رمضان ١٤٤٣ هـ - ٢٣ ابريل ٢٠٢٢ م.

٤- نظرية الصراع الاجتماعي وتطبيقاتها التربوية، اعداد: جابر أبو عمرة، إشراف: أ.د. أحمد عبد العزيز، جامعة المينا، كلية التربية، قسم أصول التربية.

ثالثاً: الأطاريح والرسائل:

١- الإرجاف دراسة قرآنية، رسالة ماجستير في أصول الدين، للباحث حمزة عبد الفتاح أحمد قاسم، بإشراف: د. محسن سميح الخالدي، جامعة النجاح الوطنية / كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، نوقشت في ٩/٣/٢٠١٥ م.

٢- القول الموصوف في القرآن- دراسة مقارنة بين المعروف والسديد، بقلم محي

الدين، رسالة قدمت لاستيفاء بعض الشروط للحصول على شهادة رجانا تيولوجية الإسلامية بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين والفلسفة بالجامعة الإسلامية الحكومية علاء الدين، مكاسر، بإشراف: أ.م. د. الحاج مستمين أرشد، وأ.م. د. الحاج محمد صادق صبري، ١٤٣٢ هـ، ٢٠١١ م.

ثالثا: المجالات

١- التغيير الاجتماعي، (مجلة)، النظرية الوظيفية الجديدة وتحليل البناء الاجتماعي، (بحث)، د. فتحية طويل، تصدر عن مختبر التغيير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الأول، بي دي اف.

٢- الدراسات والبحوث الاجتماعية (مجلة)، نقد نظرية الصراع واسقاطها على الواقع العربي، بحث منشور، تأليف: د. الأزهر ضيف وأ. جميلة زيدان، جامعة الوادي، الجزائر، العدد: ٢٠، النشر: ١ / ١٢ / ٢٠١٦.

الكتب الالكترونية:

- ١- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، موقع quran.ksu.edu.sa.
- ٢- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، موقع مكتبة مدرسة الفقاهة، ar.lib.eshia.ir.
- ٣- النسق الشعري وبنياته - منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي، خالد عفيف، ٢٠٢٠، بحث الكتروني منشور.

صورة المجتمع المثالي في الخطاب القرآني المجتمع المدني أنموذجا

د. حسن جاسم راشد

أستاذ المجتمع المدني، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل.

الملخص:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالَتَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]

صدق الله العلي العظيم

واحدة من الآيات القرآنية التي عبرت عن التنظيم المدني للسلطة السياسية. إن المجتمع المدني لم يكن في أدبيات الفلاسفة القدماء فقط، وإنما جاء في الخطاب القرآني بشكل واضح وجلي؛ إذ إن الآيات والسور كثيرة في ذكر ما هو أمثل في المجتمع من تنظيم لتصل إلى حد المثالية في الطرح، والواقعية في التطبيق المؤسسي انطلاقاً من أصغر مؤسسة، وأصغر جزئية اجتماعية وصولاً إلى أعلاها ألا وهي المؤسسة السياسية. إن القرآن الكريم منظومة اجتماعية متكاملة؛ إذ الترابط والتكامل في الخطاب والتعبير وبساطة في التطبيق في جميع مجالات الحياة ولم يترك أي شيء إلا وقد ذكره. إن الظروف والحديث في العلوم الاجتماعية ومنها علم الاجتماع وفي تخصص جديد أسماه المجتمع المدني، التي شغلت مجالات واسعة في أدبياتها الساحة العلمية والساحة التطبيقية الواقعية، إنما سُبقت هذا الأفعال والانفعال بخطاب قرآني مقدس مكتمل في الصورة والترابط، بل عبّر في تعبيراته الحيز الذي تطرقت إليه هذه العلوم الاجتماعية لتسبر غور المجتمع من الداخل منطلقاً من الفرد إلى الجماعة بمفهومها الاجتماعي الرسمي وغير الرسمي في تنظيم المجتمع كلياً. إن الخطاب القرآني المقدس فيه كثير من التعابير المنظمة للحياة مدنياً إلى درجة المثالية في التعبير والإعجاز مقابل بساطة في التطبيق المدني ومن الأمثلة المختارة للسلطة السياسية والسلطة الاجتماعية وبحسب ما في الآية القرآنية السابقة.

الكلمات المفتاحية: المجتمع المثالي، الخطاب القرآني، المجتمع المدني.

Summary:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾

In the name of merciful Allah:

She said: "Ye chiefs! advise me in (this) my affair: I won't decide anything, but in your presence." (Al-Naml Surah 32)

One of the Quranic verses expressed the civilian organization of political power.

Civil society was not limited to ancient philosophers' quotes only but came clearly and obviously in the Quranic speech, the verses and Surah(s) that mentioned what is the best way for perfectly organizing Society through hypothesis, and realism of its institutional applying, starting from the lowest institution, and smallest social part, up to the highest one, which is the political institution.

The Holy Quran is an integrated social system; The interdependence and complementarity of speech and expression and the simplicity of application in life matter and have left nothing to be mentioned.

Modern theses in social sciences, including sociology, and in a new major called civil society, that took part in large fields, in its content of Scientific aspect and applying & realism aspects, these contents were preceded by a Holy Quranic speech, completed in poetic images and connections, but expressed in its expressions, the space that this social science has touched, to go deep inside the society, starting from individual citizen to the community as it is known, of its official social concept and non-official, in organizing the whole society.

Holy Quranic speech has many expressions that are ideally organized for civilian life in terms of perfectionism in miracles and rhetorics, as opposed to simplicity in civic application in the light of the Quranic verse mentioned above, for political and social aspects.

مقدمة:

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾
(الكهف: ٤٩)

إنَّ القرآن الكريم دستور دنيوي وقانون حياتي فيه الكل الشامل لبنية المجتمع الإنساني وتنظيم لحياة الفرد والمجتمع بلحاظ التنظيم والعلاقات الاجتماعية المدنية، ومن هذه التنظيمات الاجتماعية: المجتمع المدني، هذا التنظيم المؤشر حديثا وجوده في أدبيات علم الاجتماع إنما سبقه الخطاب القرآني بقرون عدة من الذي يكمن في ثناياه كثير من المؤشرات ولاسيما تلك التي تخص جانبه الثقافي والسلوكي، أن المجتمع المدني إن كان في أدبيات العلوم الإنسانية ومنها علم الاجتماع قد حددت بخطوط ومنطلقات ربما تكون ضيقة قياسا لما جاء بها في الخطاب القرآني، فالإشارات كثيرة في ثنايا الآيات الكريمة وسوره المقدسة، وعليه فإنَّ الإشكالية العلمية للمجتمع المدني تكمن في عدم إظهار هذا التنظيم في كتابات علماء الاجتماع بلحاظ استقائها من القرآن الكريم. وعليه من الأهمية ما كان: لزاما إظهار الخطوط التكاملية للبنية الاجتماعية من طريق ما جاء في الخطاب القرآني ومنها المجتمع المدني وثقافته المنشئة والمربية لإفراد المجتمع بطريقة سلمية بنائه منطلقة من تنشئة الفرد وصولا إلى التنشئة الكلية للمجتمع وضبطها مدنيا وعليه: تكمن أهمية الموضوع أيضا في:

في القول إنَّ المجتمع المدني في الخطاب القرآني أسبق في الإشارة والظهور في القرآن الكريم منه من كتابات علم الاجتماع منطلقين من التساؤل: أين يكمن المجتمع المدني بوصفه ثقافة وسلوكا في بنية الخطاب القرآني ومضمونه للاستدلال والفائدة العلمية منها؟

ومن طريق هذه الورقة البحثية لدينا محاولة متواضعة سييسولوجيا لتحقيق الأهداف الآتية:

١. محاولة الإشارة إلى المجتمع الإسلامي وبنيته الثقافية الإسلامية المدنية من طريق تطبيق إحدى نظريات علم الاجتماع الأكثر تعقيدا وشمولية ألا وهي نظرية الأنساق الاجتماعية ل(تالكوت بارسونز) بشكله المباشر وبالاستشهاد لجانبنا من الخطاب القرآني.
٢. منطلقات الثقافة الاجتماعية بالجمع ما بين الثقافة العربية الأصيلة وتعاليم الدين الإسلامي بوصفها ثقافة مدنية جديدة في بنية المجتمع الإسلامي الموجه من طريق الخطاب القرآني.
٣. محاولة رسم الصورة المثالية للمجتمع المدني من طريق مضامين بعض من السور والآيات القرآنية.

المفاهيم ذات العلاقة:

المفاهيم:

إنَّ المجتمع هم مجموعة من أفراد ومجاميع تربطهم علاقات متبادلة، وهي حصيلة تجربة، وإنَّ المجتمع يتكون من الأفراد الأحياء، وإنَّ المجتمع مكون من حصيلة تجربة، ومن مجموعة معارف، ومن محتوى هذه المجموعات من المعارف الفكرية والروحية الموضوعية لتجميع وتربط هذه الفكرة الاجيال الواحد بالآخر (جاستون برتول: تاريخ علم الاجتماع: ص ٧٢)

وهنا المجتمع إجرائيا: مجموعة الأفراد في بيئة إيكولوجية معينة، الذين تجمعهم روح الانتماء القرابي وعمق الولاء النسبي، مشكّلين وحدة اجتماعية ذي طابع أولي في العلاقات الاجتماعية الأهلية القابلة للتغيير ثقافيا / دينيا.

والمدني: اسم خاص ومقترن بالمواطن ومجتمع المواطنين، منسوب إلى المدينة، والمدني نمط من السلوك يكتسبه من بيئته الاجتماعية والإيكولوجية ومن طريق التنشئة والتربية المدنية المعتمدة على الثقافة والروح المدنية وقيم المواطنة السليمة المعتمدة على الاعتراف بمبادئ الفكر والعقيدة كطريقه والتعبير عن الراي. (دون اي ايبرلي: بناء مجتمع من المواطنين: ص ٧٨)

وهنا المدني في بحثنا إجرائيا هو:

تلك السمات الثقافية الأهلية المدنية النابعة من عمق ثقافة المجتمع وعمقه الحضاري، هذه السمات في التجمع الاجتماعي والشخصي تقبل التغيرات الثقافية وسلوكها الفردي.

أمّا المدنيّة بوصفها مفهوماً تتجلى في واقعه بين ما هو سلوك ثقافي وسلوك تنظيمي، متمثلة في تنظيمات المجتمع المدني بكلّ تنوعاتها وتشكلاتها الوظيفية المجتمعية العاملة من أجلها فالمجتمع المدني: هو فضاء الحرية التي يلتقي فيه الناس ويتفاعلون تفاعلاً حرّاً، ويبادرون بمبادرات جماعية بإرادتهم الحرة من أجل قضايا مشتركة وللتعبير عن مشاعر مشتركة. (سعد الدين ابراهيم: جريدة البيان).

إنّ المدنية كذلك هي المؤسسات الدينية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادين مختلفة، في استقلال عن سلطة الدولة ولتحقيق اغراض متعددة منها اغراض سياسية كالمشاركة في صنع القرار على المستوى الوطني والقومي. (متروك الفالح، المجتمع والديمقراطية، ص ٢٦).

أمّا إجرائيا: هي الثقافة الموروثة اجتماعيا وحضاريا والمكتسبة حديثا نتيجة ظروف وتفاعلات مجتمعية آنية انتجت سلوكيات جديدة جامعة ما بين الموروثة والمكتسبة معبرة في تفاعلات جديدة بين التكوينات الاجتماعية وقبولهم لها وللآخر

متكيفا مع الوضع من جديد غاية للوصول إلى المجتمع المثالي.

أمَّا الخطاب القرآني مفردة خطب: أي وعظ وقرأ خطبة على الآخرين (ناصر احمد وآخرون، المعجم الوسيط: ص ١٥٦) وهو مراجعة الكلام (الفراهيدي: العين: ص ٢٥٢)

ويقال: قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا (ابن منظور: لسان العرب: ص ٣٣٦) وهو محاورة وجدال ومحاجة كلام (حسني محمد مخلوف: كلمات القرآن: ص ٢٧١)

وعليه: فإنَّ الخطاب القرآني اصطلاحا: هو الكلام الموجه إلى الحاضرين وأصله أن يكون لمعين واحد أو أكثر وهو كلام الله موجه لسائر الخلق من الناس وله مصدر ومنتهى، بمعنى أن: المصدر هو الله تعالى أو جبريل عليه السلام أو الرسول عليه السلام أو الناس.

المنتهى هو الله تعالى أو جبريل عليه السلام أو الرسول عليه السلام أو الناس أمَّا المؤمنون أو المنافقون (خالق داد ملك، الخطاب القرآني: مجلة القسم العربي)

المجتمع المثالي: وهو المجتمع الذي فيه المواطنون ملتزمون بتعاليم السماء وإرشاداتها التي جاء بها الإسلام على المستويات الأخلاقية والاجتماعية والسياسية وإنزال تلك القيم والمعارف إلى حيز التطبيق في الوسط الاجتماعي. (إسلام كوست: ٦ / ٤ / ٢٠٢٢ م)

إنَّ هذا التعريف يقودنا إلى مسارين اثنين في سياق بحوثنا السيسولوجية:

الأوَّل: الجانب النظري التفسيري السيسولوجي لمثالية ما ورد في الخطاب القرآني.

والآخر: الجانب التطبيقي للمجتمع لما جاء في الخطاب القرآني.

ولأنَّ البحث هو بحث نظري تحليلي فإنَّ المنهج المعتمد للبحث يقودنا إلى المنهج التاريخي وهو من المناهج المعتمدة في العلوم الإنسانيَّة والاجتماعية وهي استرداد

الماضي ولما تركه من آثار أياً كان نوع هذه الآثار، ويعتمد أيضاً على الوقائع والأنشطة الماضية ودراستها وتحليل أحداثها وتفسيراتها المنطقية على أسس علمية دقيقة (أحمد درويش: مناهج البحث: ص ٧٠) كذلك السير نحو المنهج الوصفي أساساً في تحليل الوظائف ودراسة التطور والبحث المكتبي، كذلك يعتمد على دراسة الظواهر ووصفها كما تحدث تماماً ووصفها كما حدثت وبشكل دقيق والتعبير عنها بشكل علمي وهي من المناهج المهمة المستخدمة في البحوث الإنسانية والاجتماعية.

(أحمد درويش: مناهج البحث: ص ٧١)

إنَّ المحاور التي يمكن السير على أساسها وبالشكل الذي تحقق أهداف الدراسة هي محاولة التحليل سيسولوجيا:

المجتمع الإسلامي في إطار سيسيو نظري: البنائية الوظيفية اعتماداً:

من أهم المدارس العلمية الاجتماعية التي درست البناء الاجتماعي هي المدرسة البنائية الوظيفية؛ إذ ترى هذه المدرسة أنَّ المجتمع نظام معقد تعمل شتى أجزائه سوية لتحقيق الاستقرار والتضامن الاجتماعي بين مكوناته، وعلى سبيل المثال، المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية لها صلتها بغيرها من المؤسسات الاجتماعية؛ لأنَّ أجزاء المجتمع تنمو بصورة متقاربة بعضها عن بعض، ويرى رواد هذه المدرسة أنَّ النظام والتوازن يمثلان الحالة الاعتيادية للمجتمع، ويرتكز هذا التوازن الاجتماعي على وجود إجماع أخلاقي بين أعضاء المجتمع، وكان منطلق الدين أساس تمسك الناس بالقيم الاجتماعية الجوهرية من ثم يسهم هذا التمسك بالدين إلى صيانة التماسك الاجتماعي.

إنَّ التفكير الوظيفي الذي احتل الصدارة بين التقاليد النظرية في علم الاجتماع كان من العلماء الذين نهلوا أفكارهم من أفكار هذه المدرسة العالم تالكوت بارسنز. (انتوني

عدنر: علم الاجتماع: ص ٧٤) ونظرية عن الأنساق الاجتماعية هي واحدة من أهم النظريات الاجتماعية الحديثة الشاملة والمعقدة في التعبير عن البناء الاجتماعي وترباط مؤسساته بعضها مع بعض من طريق الأنساق الاجتماعية وارتباط جميعها بالنسق الأكبر ألا وهو المجتمع، هذه السمات تنطبق أو توجد في المجتمعات المكونة حديثا.

المجتمع العربي الإسلامي بوصفه حديث الظهور(*) ومع ظهوره عُدَّ من المجتمعات الحديثة وصميم عمل بيروقراطيتها محكوم بنسقي الثقافة العربية والإسلامية، إلى جانب كون النسق الاجتماعي العربي الإسلامي ومذ ظهور الإسلام وليومنا له اشكالاته في التنظيم والبناء الاجتماعي والثقافي فأن هذه الاشكالات يمكن مقاربتها إلى نظريتنا البحثية هنا الا وهي: نظرية تالكوت بارسنز حيث المجتمع وأنساقه يمر بمراحل إشكالية أربعة وعلى النحو الآتي:

١. مرحلة التكيف: وهي المراحل الأولى للمجتمع والتكيف مع الظروف والبيئة الاجتماعية الجديدة وتحقيق الحاجات والمتطلبات وتصحيح المسار الاجتماعي لأعضاء النسق الاجتماعي. وهي: (فترة ظهور الإسلام = الجمع بين الثقافة العربية الأصيلة مع الثقافة الدينية الجديدة وهي تعاليم الدين الإسلامي = إنَّما جئت لأتمم مكارم الأخلاق وما تلاها من أحداث نتيجة الجهاد الإسلامي من أجل نشر تعاليم الدين الإسلامي وما واجهه قاده من تحديات حد الاستشهاد وآخرها واقعة استشهاد الامام الحسين عليه السلام)

٢. مرحلة تحقيق الهدف: وهي مرحلة التكامل مع الوحدات الاجتماعية الفرعية الأخرى داخل النسق الواحد؛ إذ: العمل من أجل تحقيق الأهداف المعلنة من أجل التغيير في البنية والنسق الاجتماعي وهي مرحلة الفتوحات الإسلامية خارج حدود الجزيرة العربية التي هي جزء منها ذات ثقافة عربية وأخرى ذي ثقافة غير عربية.

٣. مرحلة التكامل: وهي مرحلة محاولة ربط الوحدات الاجتماعية وأنساقها الفرعية

مع المجتمع الكلي:

إنَّ المرحلة الإسلامية هنا جاءت من طريق خلق نسق واحد من أجل التكامل الاجتماعي وحتى تحقق هذا التكامل الاجتماعي الإسلامي جاء الاجتهاد الديني الإسلامي كمكملٍ للتثبيت والإجابة إلى كثير من التساؤلات التي تخص الجانب الديني الإسلامي ذلك من طريق ظهور كثير من المدارس والتي نسميها المذاهب، لتشكل منطلقاً أساسياً لتثبيت مبادئ الإسلام ولتحقق بالوقت نفسه التكاملية الثقافية في الجزئيات الاجتماعية والثقافية والموجهة لسلوك الأفراد وضبط المجتمع دينياً ومدنياً.

٤. مرحلة الكمون: وهي مرحلة المحافظة على أنماط القيمة على طول الوقت:

وهي المرحلة التي يعيشها المجتمع الإسلامي ليومنا هذا وما أثبت فيه من أنماط القيم الثقافية الاجتماعية العربية والإسلامية؛ إذ إنَّ أنماط القيمة الثقافية هذه الأساس وهي القيمة التنظيمية المسؤولة عن تحقيق التوازن والتماسك الاجتماعي والمؤسساتي داخل النسق الاجتماعي الإسلامي وبعد فأنَّ: هذه القيم الاجتماعية التنظيمية في المؤسسة الواحدة اتفقت وتداخلت مع قيم المؤسسات والأنساق الاجتماعية الأخرى، ولتكون متفقة مع قيم المجتمع الأكبر ألا وهو قيم الإسلام، ومن ثمَّ طابقت النظرية السيسولوجية لتالكوت بارسنز على أن: هذه المؤسسات وأنساقها الثقافية الإسلامية تتفاعل اليوم فيما بينها بالشكل الذي يؤدي إلى تحقيق التكامل البنائي والوظيفي من ثم يحفظ توازنها استناداً إلى مبدأ التوازن الديناميكي للأنساق بالشكل الذي يضمن التوازن الوظيفي ديناميكياً بين مؤسسات المجتمع وتشكل نوعاً من الوجود الحقيقي والمؤثر ثقافياً / إسلامياً وعلى المستوى العالمي ثقافياً من طريق وجود دستورهِ الدائم ألا وهو الخطاب القرآني وما فيه من تكاملية عظيمة موجهة للفرد والمؤسسات الاجتماعية ومنه الخطاب المدني الظاهر والضمني في ثنايا معاني آياته وسوره، وبمنظرة إلى التنظيمات الاجتماعية بوصفها أنساقاً ذات نواحي متخصصة وظيفياً بلحاظ سماتها؛ إذ لها أهدافها

المحددة التي تسعى لبلوغها، وهي سمة مميزة للتنظيم الاجتماعي.

إنَّ هذه التنظيمات هي مجتمعات صغيرة ترتبط بالمجتمع الأكبر وما بين الاثنين (المجتمع الصغير / المجتمع الأكبر) ارتبطت بعلاقات داخلية واعتبرت هو النسق الأكبر، وهذا الأخير يضم أنساقاً فرعية مختلفة بداخله ومن ثم شكلت المجتمع الأكبر (مرسي: بارسنز: ١٥٠) وعليه: فإنَّ المجتمع الإسلامي من جهة ثقافته العربية الإسلامية ضمت تكوينات اجتماعية جزئية، وإنَّ الإسلام بوصفه ديناً وثقافة مذ انطلاقتها الأولى أكد على ثقافة التوحيد الإلهي في ظل تشرذم ثقافي مشتت التوجهات الفكرية (جهالة دين / كفر والحاد)، وبحسب توجهات نظرية بارسنز حول تحقيق أهداف التنظيم لا بد أن تشرع من طريق القيم التنظيمية للمجتمع، ولا بد أن تكون هذه الأهداف متفقة ومتكاملة مع أهداف المجتمع وبالشكل الذي يسهم في تحقيق المتطلبات الوظيفية للنسق الموجود فيه وهو المجتمع وهذا ما يمنح أهداف التنظيم ويكسبها شرعيتها وأولويتها عن باقي أهداف الأنساق الفرعية الأخرى المكونة له، غاية في اشباع المتطلبات الوظيفية الخاصة بالنسق الاجتماعي الأكبر وهو المجتمع، إلى جانب ذلك وحول تحقيق أهداف التنظيم جانباً آخر وهي سمة إدراك الأهداف والسعي نحو تحقيقها وبلوغها لزاماً أن يكون في التنظيم التسلسل الرئاسي للعلاقات ونسق السلطة بداخله. (مرسي: بارسنز: ١٥٣)

تنقسم المشكلات الأربعة المذكورة سابقاً بحسب فكر بارسنز على قسمين:

القسم الأول: وفيه مشكلتا التكيف وإحراز الهدف، وترتبطان بكفاءة أداء التنظيم وهي أساساً متعلقة بارتباط النسق مع بيئته الخارجية وظروفها.

إنَّ البيئة التي ظهر فيها الإسلام بوصفه تنظيمًا دينيًا وثقافة قيمية جديدة كانت من أفسى البيئات وفي ناحيتها الطبيعية والاجتماعية، بلحاظ:

البيئة الطبيعية: بيئة قاسية وفيها الهواء الحار، وشح الماء، والرمل المتذري والمنتج لشح في الموارد الاقتصادية ونزر الموارد المالية واقتصارها على أمور بسيطة في الحاجات اليومية من الغذاء على التمر واللبن وكسرة من الخبز وتجارة محددة بين شماله الشامي وجنوبه اليمني بين فصلين محددتين برحلة الشتاء وبرحلة الصيف. وهذه البيئة الطبيعية كانت لها انعكاساتها المباشرة على البيئة الاجتماعية توطئة نظرية ونبذة ايكولوجية عن واقع المجتمع العربي قبل الإسلام:

بيئة جزيرة العرب الطبيعية:

بنظرة وصفية تصورية وبرؤية سيسيولوجية على واقع البيئة الايكولوجية في الجزيرة العربية بشكل عام وبيكة وأطرافها بشكل خاص فإن أهم عناصر مهمة فاعلة في بيئتها وعلى النحو الآتي: جغرافية فكرية، ثقافات وديانات: انسحاب واستجابة.

جزيرة العرب تكوينه جغرافية لها خواصها البيئية / الحضارية أهمها طاردة وليست جاذبة، ذلك لفقر ترتيبها البيئي الاقتصادي بالت ترتب اجتماعي ثقافي ذات سمات متأثرة بهذه البيئة القاسية.

إن المكونات الرئيسية للوسط البيئي الطبيعي إنما تجمع بين:

الرمل: **sand** / الهواء: **wind** / الماء: **water**

إن البيئة العربية في هذا المكان هي بيئة صحراوية ويمكن وصف عناصرها وتأثيراتها الاجتماعية على النحو الآتي:

الأرض: صحراوية طابع تراهها رملية متذرية كثبانها متحولة يحسب السراب فيه ماء.

نتاجه شحيح زراعي اقتصاديا يعتمد في موارده على المتاح زراعيًا على التمر، تربية

الأغنام والإبل على اللبن ونتاجهما من اللحم والوبر.

تذري الرمل على العيون لتنتج شخصية ذي طابع عنيد البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية ومزاج عصبي وحركة سريعة لدى الأفراد.

الهواء: حار جاف بفعل عامودية الشمس وشديد التيار في حركته.

نتاجه بيئة اجتماعية قاسية وحدة في الحركة وقدرة على التحمل والصبر ومطابوالة البيئة وفروسية وخفة في الأثقال والأحمال والهنّام.

الماء: شحيح وملح أجاج بفعل بيئة الصحراء.

نتاجه التجمع الاجتماعي حول تواجد الماء ولتحكم وجود المجتمع عن عدمه من ثم لتشكّل عنصر منافسة وصراع من أجل البقاء.

إنّ العناصر البيئية الثلاثة السابقة شكّلت بيئة قاسية على الأفراد والمجتمع بلحاظ تكويناتها الاجتماعية وسمات حياتها ونمط شخصيتها.

في الوقت الذي يقل فيه نصيب المطر وماءه يتزايد فيه الرمل المتذري مع ريجه الحار الجاف، مما يزيد في فقر الوسط بالعديد من إمكاناته المادية ولتؤكد صحراوية مكانه.

البيئة الاجتماعية في جزيرة العرب قبل الإسلام:

إنّ هذه العناصر البيئية المكونة الثلاث إنّما تدخل في التركيبة الاجتماعية، وسلوكية إنسان الجزيرة، وتنعكس في تنظيمه الاجتماعي وفي تصرفاته وموجهة لعلاقاته نحو التحدّد التي تتسم بنوع من الفردية غير المستجيبة لمعاونيه أو لمتكامله اجتماعيا إلا من طريق الضغط والقهر والتسلط.

إنّ هذه العناصر التكوينية التي لا تتعاون وتتكامل إلا بأسلوب الضغط الذي يتحرك على حافته طرفي فعل القبول من عدمه هو التهيب والترغيب إنّما يأخذ شكلا

يكاد يكون نمطياً داخل هذه البيئة الصحراوية الجزيرية ومن ثمّ تكريس للانفرادية الانعزالية في اجتماعيتها لتكون مجموعات اجتماعية ذي سمات دموية عصبوية قبلية، وعليه: فالقبيلة هنا هي تكوين رملي / رياحي / جاف متحرك النسب فيها للقبيلة.

إنّ هذه الثلاثية البيئية الصحراوية التي يعيش فيها المجتمع العربي بلحاظ قلة الماء (المطر) مقابل زيادة في الرمل وتذرية من الرياح الحارة هذه تزيد من فقر الوسط البيئي مما يؤدي أو يؤثر في التركيبة الاجتماعية ومنها أيضا السلوكيات الاجتماعية المعروفة بسلوكيات انسان الجزيرة وبشكله السلبي والايجابي وعليه فإنّ:

أولاً: سماتها متأرجحة في النمط الاجتماعي ما بين القروية المكية (بكية) والمدينية الثرية وأخرى بدوية قبلية في الأطراف.

ثانياً: تكوينات اجتماعية قرابية دموية مقابل قسوة البيئة، تكتلات عصبية قبلية مقابل بعد المكان.

ثالثاً: القبيلة المكون الاجتماعي الأساس وفيه القرابة دموية انتمائية للقبيلة.

رابعاً: الاعتزاز بالنسب القرابي وفيه اساس الولاء الى حد الفناء.

خامساً: يكون الدفاع عن القبيلة والنسب وليس عن المكان، بالتالي فإنّ مفهوم الأمن القومي العربي مختفي في هذه المدة، لذا فإنّ طبيعة الحال تؤشر انعدام أمن المكان والهم الوحيد للقبيلة هي السيطرة على ما يؤمن حياتهم على ما هو متاح من موارد طبيعية في وطأة هذه الظروف الصعبة.

سادساً: السمات الشخصية للأفراد وسلوكهم تمثلت بالقوة وإجادة الحرب كصناعة والذكاء والدهاء وإجادة اللغة العربية بشكل منقطع النظير ولا منازع.

ولعل أقرب مثال لذلك سورة البقرة وهي من أوائل ما نزل في العهد المدني كانت توجه الدعوة للناس أجمعين أن يدخلوا في دين الله وان يتوجهوا له بالعبادة دون التقيّد

بالمرتبة والمكانة والسلطة الاجتماعية للفرد: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١ - ٢٢﴾.

القسم الثاني: وفيه مشكلتا التكامل والكمون؛ ففيهما الاهتمام والتركيز على الوظائف والظروف الداخلية للنسق وما تفرضه من ضبط لأشكال التفاعل الاجتماعي، الوجداني والانفعالي بين الأفراد وكيفية التغلب على المشكلات. (مرسي: بارسنز: ١٥٣)

الحلول: في القسم الأول من المشكلات هي التكيف وإحراز الهدف: يتطلب من التنظيم حشد المصادر الأولية من القوى المحركة والمواد الخام الداخلية، أي المصادر المادية والبشرية من عمليات اجتماعية ومالية، ومن قوى محرقة الناتجة من تجميع الأفراد وإكساب المهارات والخبرات، وعمليات صنع القرار، بمعنى: تحريك المصادر المتاحة وتوجيهها نحو بلوغ الأهداف. (مرسي: بارسنز: ١٥٣)

إنَّ الإسلام بوصفه ديانة في بدايتها جاءت من منطلقات عدة من أهمها:

أولاً: الانطلاق من الجزء إلى الكل، ذلك بالتركيز على التنشئة المدنية السلمية للفرد الإنساني مروراً بالعائلة وصولاً إلى الكل الاجتماعي.

ثانياً: توحيد الصف الاجتماعي والقضاء على النزاعات والحروب بين القبائل من طريق اعتصامهم بحبل الله.

تحويل الوجهة الدين الواحد ونحو الإله الأوحد الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: تحويل القبلة نحو الكعبة الشريفة لتكون مركز الأمة الإسلامية غاية في تركيز فكرة الأمن القومي والدفاع عنه.

إنَّ مرحلة دخول الدعوة الإسلامية بشكله العلن وخط سيره المدني فيه اثنين بلحاظ

المكان والتضاد الثقافي المدني بين من يرفضون الثقافة المدنية / الأهلية الجديدة التي جاء الإسلام بها، وبين من قبلوا الدعوة الإسلامية واندماهم في ثقافته المدنية.

إنَّ أهم حدثٍ مدنيٍّ إسلاميٍّ في هذه الحقبة ومدينتها تمثّل في وثيقة رسول الله، الدستور (الصحيفة - الكتاب) وفيه معاهدة مدنيّة، وأوّل دستور يصوّر أحوال المجتمع المدني في المدينة المنورة، التي قامت على أسس وقوانين جديدة لم يشهد المجتمع العربي في الجزيرة العربية مثيلاً لها من قبل؛ بلحاظ التنظيم للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بشكل أهليٍّ مدنيٍّ. (محمد عمارة، الإسلام وحقوق الانسان: ٢٠٠٥ م: ص ١٧٩ - ١٨٤).

أما في القسم الثاني من المشكلات التي ترتبط بمشكّلي التكامل والكمون:

يتطلب تحقيق التكامل بين الأنساق الفرعية داخل النسق الكلي والحفاظ على مستوى مناسب من التضامن والتماسك بين تلك الأنساق الفرعية الداخلية وتحقيق الانسجام أو التوفيق بين أدوار الأفراد التنظيمية وأدوارهم الأخر الضرورية في مجموعات أحر خارج التنظيم الأساس مثل الأسرة. (مرسي: بارسنز: ١٥٨)

إنَّ من أهم المبادئ الأساسية التي جاء بها الإسلام هي التعددية، وإتّها من المنظور الإسلامي سنّة كونية، وإنَّ الوحدة مقتصرة على الذات الإلهية فقط. (محمد عمارة، التعددية: الرؤية: ١٩٩٧ م: ص ٤)

إنَّ التعددية في حقيقتها موجودة في المجتمع العربي من تكويناتها المجتمعية والطبقية ونوعها الاجتماعي، وإنَّ الإسلام من طريق الخطاب القرآني جاء متجاوزاً لكلّ الحدود الاجتماعية وفوارقها الاجتماعية بلحاظ العرق واللون والمذهب والفرق.

إنَّ الإسلام ومسلمية الأوّلين كانوا قد استوعبوا التعددية في الفهم والممارسة بالشكل الذي انطلق متجاوزاً كل هذه الفروقات؛ لبينوا حضارة إسلامية وأنموذجاً

للإنسانية في التعامل والعدالة والمدنية. انظر: (راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية: ١٩٩٣ م: ص ٢٥٠).

إنَّه بالقدر الذي تجاوز التعددية والتنوع الاجتماعي بالمقابل فإنَّ ممارستها لتجمعاتها سياسيا أو مصلحيا أو بالضد من القيم والمبادئ الإسلامية من طريق التحزيب، فإنَّ الخطاب القرآني لعله جاء تفسيره في معرض الذم دائما، وقد وردت في القرآن الكريم للدلالة على معاني الاختلاف والفرقة والاجتماع على الباطل مثاله في:

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ سورة مريم: ١٩ / ٣٧

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ سورة الأحزاب: ٢٣ / ٢٢،

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ سورة هود: ١١ / ١٧، وغيرها من الآيات

إنَّ المصادر القديمة اتفقت على تفسير الحزب على انه المجموع التي حاربت الرسول ﷺ. (زكي ميلاد، الفكر الإسلامي: ١٩٩٩ م: ص ١٤). ويمكن القول إنَّ الحزب ومعناه في زمن الرسول ﷺ جاءت على أثر أهداف الجماعة التي انضوت تحت مسمى الحزب التي قامت على أساس مصالحهم الدنيوية وخسارتهم لكثير من امتيازاتهم المادية والاعتبارية.

تحويل الانتماء من الانتماء القبلي إلى انتماء ديني، وتحويل الولاء من الولاء إلى القبيلة إلى الولاء إلى الله سبحانه وتعالى غاية لبند العصبية القبلية والتحول نحو الدولة الإسلامية المدنية.

يُضاف إلى ذلك أنَّ الخطاب القرآني وجَّه نحو الحكم العادل من طريق الأمر بالمعروف في ميادين الفعل الاجتماعي مدنيا، ورفع الظلم والرقابة على الحالات الاجتماعية العامة وصولا إلى السلطة الاجتماعية من ثم السلطة السياسية فيما بعد مثاله الشامل إلى كل ما ذكرناه سابقا في الآية الكريمة: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ آل عمران: ١٠٤ .

إن مجموعة التفاعلات المحققة بين مؤسسات المجتمع وأنساقها، وبالآتي يؤدي إلى تحقيق التكامل الوظيفي، بمعنى أن لكل مؤسسة بنيتها يقابلها وظيفتها التخصصية أي:

مجتمع = مجموعة مؤسسات منها:

أولاً: المؤسسة الأسرية = بنية الأسرة: أفراد: الأب، الأم، والأبناء، وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ارتباطا أكبر بلحاظ العلاقات القرابية وخاصة في مجتمعاتنا الشرقية بشكل عام والعربية الإسلامية بشكل خاص، فإن المؤسسة الأسرية تشير أيضا إلى العشيرة والقبيلة، فإن النسق القرابي هو الفاعل الحقيقي في تكوين هذه المؤسسة وربط افراده بعضهم ببعض مقابل فإن البنية الأسرية والقرابية لها وظائفها المتعددة تجاه أفراد داخل مؤسسته وتجاه المؤسسات الاجتماعية الأخر.

المؤسسة الدينية = بنية الدين: أفراد عاملون وفاعلون في التوصيل والتأصيل الديني، إن النسق المعتمد في هذه المؤسسة هي الثقافة الدينية وفيها خطاب الكتب المقدسة مثله القرآن الكريم، وما ترتب على الدين الإسلامي من أحاديث نبوية وسننها وما نتج من اجتهادات دينية حول الإلتزامات المنتجة للمعتقدات والسلوكيات المنظمة لحياة الفرد والمجتمع.

السمات المدنية في التشكلات الإسلامية الأولى:

بلحاظ ما تقدم من توطئة نظرية للظروف البيئية القاسية وانعكاساتها على الواقع البيوي الاجتماعي وانماط شخصيته الاجتماعية، لقد انطلقت الدعوة الإسلامية في بدايته مراعية لكل هذه الظروف ويمكننا ان نسلط الضوء على بعض من جوانبه التي تخص سيولوجيتها المدنية وبحسب الآتي: إن الإيمان بهذا الدين لم يكن إجبارا، إنما قامت على أساس الاقتناع والإقناع.

انطلق الدين هذا من الفرد الى المجموع: بمعنى إنَّ الإصلاح كان للفرد أولاً من ثم إلى إصلاح الجماعة، إنَّ الإسلام يجب ما قبله: وهذا يعني العفو والتسامح وإصلاح لذات البين والانطلاق لحياة جديدة من منطلق (انما جئت لأتمم مكارم الاخلاق) معنى ذلك:

الأخذ بالجانب الايجابي من الثقافة العربية الخاصة بالسمات الحسنة من قيم إنسانية وأخلاقية التي تفضي إلى الأهلية / المدنية ومنع وتحريم الجانب السلبي من السلوكيات ذات الطابع التعصبي القبلي. إحدى أهم المنطلقات التي اخذت بالجانب الإيجابي للسمات المجتمعية العربية والسمات الايجابية للشخصية العربية مثل الكرم والفروسية... الخ لما قبل الإسلام ونبذ وترك الجانب السلبي للمجتمع العربي ولكثير من السمات السلبية للشخصية العربية.

إنَّ التوحيد هو الإيمان بوجود إله واحد للجميع:

معناه أن جميع المعبودات الوثنية المتعددة والمتنوعة الغيت. وإنَّ الإله واحد هو الله وأن ينظر الجميع من دون استثناء إلى السماء وعظمته في خلقه لذا فإنَّ التشرذم الديني هذه أصبحت واحدة متوحدة تحت مسمى عبيد لله وليس عبيد للبشر وتحت حكم مفوض من الله يحكمهم وهم تحت هوية مدنية أهلية واحدة ألا هم الرعية.

إنَّ سيادة حكم الدين وتعاليمه بدلا عن سيادة حكم القبيلة:

نتاجه توحيد مجتمعات القبائل المتعصبة دموياً والمتمشدة تنظيمياً سياسياً مدنياً لتخلق نوعاً من المجتمع الموحد تحت أحكام وقيم دينية موحدة ولتشكل بدايات ثقافة جامعة ما بين السمات الاجتماعية العربية القبلية الإيجابية وسمات دينية قيمة مبدؤها العدل للجميع أساس الحكم تشريع ديني في مضمونها كل المعاني السياسية والمدنية الأهلية.

إنَّ السلطة في هذه الحقبة كانت للمجتمع الاجتماعي:

لم تكن هناك وجود للدولة وسياستها وممارستها، وكان الخطاب الديني ومن طريق الآيات الكريمة خطاباً تنظيمياً مدنياً للمجتمع والفرد على حد سواء.

إنَّ الخطاب القرآني الموجه إلى الجماعة كانت توجيهها لتنظم الحياة الاجتماعية المدنية وتفاعلاتهم اليومية المباشرة الميدانية مثال ذلك الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء: ١٣٥)

ثالثاً: المؤسسة التربوية = الجمع بين المؤسستين الدينية والمؤسسة الأسرية: بلحاظ نسقيهما الثقافي، عقيدة وتعليمات الدين الإسلامي، والأعراف والعادات والتقاليد الاجتماعية التي أيدها الدين الإسلامي وقوى من فاعليتها الاجتماعية والأخلاقية والسلوكية.

ومن الأمثلة البسيطة للتنشئة الفردية وضبط السلوك السور القرآنية وآياته المؤكدة على الفرد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ سورة النور (٣)

إنَّ التفسير الديني للآيات سلبقة الذكر تشير إلى كيفية الاستئذان قبل أن يصل الطفل إلى البلوغ، وجاء في تفسير الطبري: (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا، بأن الله تعالى يخبر عباده أنه إذا بلغ الصغار من أولادهم وأقاربهم الحلم أي الاحتلام، فيجب عليهم أن يستأذنوا في كل وقتٍ وحين، فقد تغير حكمهم ولم يعد الاستئذان واجباً عليهم في الأوقات الثلاثة فقط وهي فترة الظهر وبعد صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر،

ومعنى «منكم» أي من أحراركم وفي هذا تمييز لما ملكت أيماهم بأنهم لم يدخلوا في هذا الحكم، فالمماليك لهم حكم واحد كبارًا وصغارًا وهو وجوب الاستئذان في الأوقات الثلاثة، وقد قال تعالى: ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أي: مثلما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه الأحرار في جميع الأوقات ولم يُسمح لهم بالدخول دون طلب الإذن).

اما الاستنتاج السوسولوجي فيها: تنشئة اجتماعية، ضبط اجتماعي، تربية اجتماعية للفرد مذ صغره حتى كبره من ثم تنظيم اجتماعي محكم مرتبط ببنية المجتمع بلحاظ الثقافة المنقول عبر الأجيال وضبط المؤسسات الاجتماعية من طريق ضبط وتنشئة وتربية الفرد وتوجيهه وضبط سلوكه ولذا تشكل لدى المجتمع قانونا أقرب ما يكون إلى الثبات ومنقولة عبر الأجيال غاية للوصول إلى مجتمع مدني راقى.

ثالثا - المؤسسة السياسية:

إنَّ قيمة الشورى في الإسلام هي من الأسس المهمة التي بنيت عليها ركائز الإسلام الاجتماعية المدنية والسياسية، وتكمن قيمتها أيضا في حكم العلاقات بين الأفراد والمسلمين الأوائل وجاءت الشورى بوصفها قيمة أساسية في الحكم الإسلامي في حقبة بدايات نشر الإسلام في مكة المكرمة قبل حقبة المدينة المنورة بإزاء بدايات الدعوة الإسلامية وحدود الأفراد قليلين جاءت الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣٨) / الشورى

إنَّ الحقبة هذه كانت قائمة على القناعة المدنية الكاملة على اعتناق الإسلام بوصفه دينًا، ولا وجود لمنظومة الدولة السياسية، وكانت المدنية من أهم سمات هذه الحقبة بلحاظ اتخاذ القرار من طريق مشورة المسلمين الأوائل، إنَّ هذه الحقبة التاريخية من حياة الاسلام وسلوكياتها المدنية ما هي إلاَّ حقبة المجتمع اللادولة أو المجتمع الذي يسبق تشكل الدولة، ومن أهم ما امتازت به هذا المجتمع الصغير بأنَّ بواذر المجتمع

المدني وبذوره قد زُرعت في عقيدتها وثقافتها وسلوكها خلافاً لكثير من المجتمعات ما قبل دولها أو تشكل دولها.

تلکم الحال نفسه في آراء كثيرة حول الشورى في تلك الحقبة التي رأت أن: الآية الأولى حول الشورى تبرز السمات الأساسية للمجتمع المدني في مكة قبل أن يكون لهذا المجتمع دولته بأن يتشاوروا في أمورهم ولا ينفرد أحدهم بالقرار في أمر يتعلق بالجماعة، وقد وردت سمة الشورى بالجملة الاسمية التي تفيد الاستقرار والثبوت فكانت الشورى واحدة من أهم خصائص المجتمع المدني المسلم التي يجب أن يتحلى بها في حال وجدت الدولة أو عن عدمها. وشاورهم في الأمر فإذا عزم فتوكل على الله (آل عمران: ١٥٩) (الانصاري: ١٩٩٦ م: ص ٥٢) وعليه يمكن القول:

إنَّ سمة وحدة القبائل العربية قبل محمد صلى الله عليه وآله كان مجرد التفكير به ضرباً من الأوهام أو أشد الأحلام جنونا، ومع الذي جاء به القرآن الكريم من خطابات مدنية أصبحت الوحدة للقبائل العربية تحت مسمى الوحدة الأمة الإسلامية من أكبر النعم الإلهية، وثمره طبيعية لتوجهات الإسلام من طريق الاعتصام بحبل الله سبحانه، ونتاجه تالف القلوب، وأصبح الأعداء إخواناً ونجوا من السقوط وكانوا على شفا حفرة من النار، وإنَّ الوحدة قامت على أساس الإنسانية ودولة إسلامية إنسانية (يعقوب: الخطاب السياسي: (١٤١٥ هـ، ص ١٣): ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال (٦٣) إنَّ قيم المدنية في المجتمع العربي الإسلامي جوانب عدة، وكثيرة الشعب وتمثل بالمبادئ الكثيرة مثل المساواة والعدالة والحرية والتشاور وحق الاختلاف والتعاون والتنافس والتكافل والعفو... الخ.

في الجانب المدني نذهب إلى قيمتين مدنيتين هما: مبدأ الشورى ومبدأ التعددية.

الشورى: (هو استطلاع الراي من ذوي الخبرة في للتوصل إلى أقرب الأمور للحق)

(عبد الخالق، الشورى في نظام الحكم الإسلامي: موقع الكتروني)

رابعاً: تلکم الحال بالنسبة للمؤسسات الاجتماعية الآخر مثل المؤسسة الاقتصادية وما بها من تنظيم اقتصادي مهني مدني واسع، والمؤسسة العسكرية... الخ (حيث لا يسع المجال لذكرها وما جاء من تقديم للمؤسسات اعلاه ما هي الا النزر اليسير من التنظيم ولا نهاية للاستلھام السيسولوجي من العلوم الاجتماعية والعبر الحياتية والتنظيم المدني من القرآن الكريم).

الاستنتاجات:

١. أنّ القرآن الكريم وما جاء به من سور إنّما فيه من التكاملية لا يمكن وصفها وتحديدھا سيسولوجيا.
٢. أنّ الخطاب القرآني جاء شاملا للبنية الاجتماعية بلحاظ البنية والوظيفة الاجتماعية
٣. أنّ واحدا من النظريات الاجتماعية المهمة تطابقت في حدات تكوينها مع ما جاء في الخطاب القرآني في جزئية بسيطة مما جاء في القرآن الكريم من ثمّ فإنّ كل النظريات الاجتماعية الوضعية يمكن أن تنهل تطبيقاتها الاجتماعية من هذا الكتاب العظيم.
٤. أنّ الخطاب القرآني فيه من العظمة بلحاظ التعبير عن المجتمع المثالي إن طبق ما جاء به من سور وآيات.

٥. أنّ الخطاب القرآني عبر بشكل واضح وبكثير من التنظيم على المستويين

الفردى / الإنساني

الجمعي / الاجتماعي

- بلحاظ التنشئة والضبط والتوجيه منطلقا بذلك من الفرد الى المجتمع من ثمّ الجزئية الاجتماعية (الأسرة المكونة من الذرية الى المجتمع المكون من مجموع الأسر)
٦. أنّ التنظيم الاجتماعي كان هو النتاج الطبيعي في مجتمع ذي مواصفات وخواص

مثالية من خلال ترابط المؤسسات الاجتماعية وتناسقها ثقافيا وتكاملها وظيفيا وكما ورد في هذا الخطاب العظيم.

٧. أن المدنية بوصفها ثقافة وتنظيم وسلوك بحسب ما ورد في الخطاب القرآني جاء بشكل لا مثيل له مقارنة بالأدبيات الوضعية بلحاظ الربط للمدنية بالانساق الاجتماعية وثقافة مؤسسات الاجتماعية، إضافة إلى ربط المدنية بالتنشئة الاجتماعية للفرد وتنظيم السلوك داخل هذه المؤسسات... الخ؛ لإيصال هذه المدنية إلى حدود المثالية وبمنطلقات قوية لكن من أسس اجتماعية بسيطة.

٨. أن الإسلام من طريق آيات القران الكريم نبذ الظواهر والحالات السلبية الشاذة، وأخذ بالجانب الايجابي بكل ما موجود من موروث ثقافي عربي في البنية الاجتماعية القبلية ومن طريق مبدأ (إنما جئت لا تتم مكارم الاخلاق) بمعنى لا نفي ولا مسح للذاكرة الثقافية المدنية العربية بل الأخذ بالإيجابي منها وتقويتها ومنع السلبي منها وتحريمه.

المصادر:

١. جاستون برتول، تاريخ علم الاجتماع، ترجمة غنيم عبدول، الدار القومية للطباعة والنشر، مكان وسنة الطبع (بلا).
٢. دون أي، ايرلي، بناء مجتمع من المواطنين، المجتمع المدني في القرن الحادي والعشرين، ترجمة هشام عبد الله، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣.
٣. سعد الدين ابراهيم. المجتمع المدني والمؤسسة الدينية والمطلقات في المجتمع العربي، جريدة البيان في ٢٧ / ٤ / ٢٠٠١ م.
٤. متروك الفالح، المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط ٢٠٠٢، ١ م.
٥. ناصر أحمد وآخرون، المعجم الوسيط، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، بيروت، التاريخ بلا.
٦. الفراهيدي، العين، مصر، القاهرة، دار الهلال، التاريخ بلا.
٧. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م، ط ١.
٨. حسنين محمد مخلوف، كلمات القران، دار احياء التراث، بيروت.
٩. خالق داد ملك، الخطاب القراني وانواعه، مجلة القسم العربي، باكستان، العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥ م) المجلة متاحة على الموقع الالكتروني: (<http://pu.edu/>)
<http://pu.edu/images/journal/arabic/PDF/3-3-2011-Final/Mueen-3/pk>
(pdf.٧٢٢-٢٠١٥-٥)
١٠. <https://www.islamquest.net/ar/archive/question/> . ١٠
fa٢١٦٣٥
١١. أحمد درويش، مناهج البحث في العلوم الانسانية، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، مكان الطبع بلا، ٢٠١٨ م.

١٢. انتوني عدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥ م.

١٣. محمد عبد المعبود مرسي، علم الاجتماع عند تالكوت بارسنز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي

١٤. حمد عمارة، الإسلام وحقوق الانسان ضرورة لا حقوق، دار الاسلام للطباعة والنشر والترجمة، ط ١، دمشق، ٢٠٠٥ م.

١٥. محمد عمارة، التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية، دار النهضة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧ م.

١٦. راشد الغنوشي، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٣ م.

١٧. انظر: زكي ميلاد، الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات، مؤسسة الانتشار العربي، ط ١، ١٩٩٩ م.

١٨. عبد الحميد الانصاري، الشورى واثرها في الديمقراطية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٦

١٩. احمد حسين يعقوب، الخطاب السياسي لتوحيد الامة الإسلامية، دار الفجر، لندن، ط ٢، ١٤١٥ عبد الرحمن عبد الخالق، الشورى في نظام الحكم الإسلامي،

المجموعة الوطنية للتقنية، الموضوع متاح في الموقع الالكتروني: <http://www.al-eman.com/D>

مَنْهَجُ الإِصْلَاحِ القُرْآنِي
قِرَاءَةٌ فِي مَوْقِفِ الأُمَّةِ مَعَ العِترَةِ الطَاهِرَةِ

غفران علي حرب

سوريا - دمشق

الملخص:

إقامة المجتمع الصالح اللائق بمعرفة الله و توحيده على الأرض غاية عظيمة يسعى إليها الإسلام بمنهجه الإلهي القويم في كتابه العزيز، و من أجله سنّت فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و تتابع إرسال الأنبياء و الأوصياء المصطفين للنهوض بأعباء هذه المهمة.

يعالج هذا الموضوع: الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام في ضوء المنهج القرآني في مقدمة أبرز فيها أهمية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في القرآن الكريم، وهو المصدر الذي استمد الإمام من آياته أسباب نهوضه و شعاره الإصلاحية: وإني لم أخرج أشراً و لا بطراً و لا مفسداً و لا ظالماً و إنما خرجتُ أطلبُ الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه أريد أن أمر بالمعروف و أنهي عن المنكر و ست نقاط أخصها بحسب الآتي:

١. مراتب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في القرآن الكريم و ارتباطه بالمعصومين عليهم السلام.

٢. امتحان الأمة بالولاء للعترة الطاهرة و الاستراتيجيات التي اتبعتها الإمام علي و ابنه الإمام الحسن عليهما السلام للقيام بإصلاح المجتمع و الحفاظ على الدين.

٣. مخالفة معاوية لأحكام القرآن و سنة الرسول، و الخطر الذي شكله على المجتمع بإشاعته للظلم و الفساد.

٤. الأسباب التي دعت الإمام الحسين إلى ردّ الدعوات المتعالية من أمصار الدولة الإسلامية للمواجهة العسكرية مع معاوية، و المستندة إلى نصوص القرآن و السنة النبوية.

٥. رفض الإمام الحسين عليه السلام لبيعة يزيد، و اتخاذ قرار المواجهة العسكرية وسيلة لإصلاح الأمة لتوفر شروط المواجهة التي دعا إليها القرآن الكريم.

٦. النتائج الإصلاحية للثورة الحسينية و أثرها على المجتمع الإسلامي، و ديمومتها إلى قيام قائم آل محمد عجل الله فرجه الشريف.

الكلمات المفتاحية: منهجُ الإصلاحِ القرآني، موقفِ الأُمَّةِ معَ العترةِ الطاهرةِ.

Summary:

Establishing a good society goes with Almighty Allah's presence, and making him consolidated on earth (alone with no partner) is a great goal sought by Islam in its divine rules of the Holy Quran, so for that, the Sunnah of promoting virtues and preventing vices had been ordered, and sending chosen prophets and messengers continued, for this mission.

I address this topic: "Social reform at Imam Hussein (peace be upon him) in the light of the Quranic content, within an introduction that highlighted the importance of promoting virtues and forbidding vices in the Holy Quran, which is the resource that Imam Hussain derived from its verses, the reasons of his reformist renaissance, which was clear, in his words, " I didn't come here to seek bad things, I came to represent the justice of Allah, to reform the Society of my grandfather's nation (prophet Mohammad), to promote good, and forbid evil, for that I came, and for that, I'm going to be killed."

Six points are summarized as follows:

- The levels of promoting good and forbidding evil in the Holy Quran and its association with the AhluAlbayet (PBUT)
- Testing the nation's loyalty to AhluAlbayet, and strategies used by Imam Ali & his son Imam Hassan (PBUT) in reforming society and preserving religion.
- (Moaouya's violation) of the Quranic rules, Messenger's Sunnah, and the danger he represented to society by spreading injustice and corruption.

- The reason made that Imam Hussain did his reformist renaissance; was a reply to the Islamic States' calls for a military confrontation with Moaauya, based on the Quranic texts and the prophet's Sunnah.
- (Imam Hussein's refusal) to follow Yazeed's rule, taking the military confrontation as a decision to reform the nation, as the conditions of the contest based on the Holy Quran are available.
- The reformist results of the Imam Hussain revolution, its impact on the Islamic community, and its perpetuation to the moment of Imam Al-Mahdi's appearance (may Allah hastes his appearance).

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد: فكانت الأرض ومازالت موطئ قدم الإنسان في رحلة تكامله إلى عالم الأبدية، و لكن أنى لنفسه التكامل وهو يواجه عدوًا خبيثًا وشيطانًا رجيماً في دار البلية؟ لم يترك الرحمن النسل الآدمي يواجه عدوّه وحيداً، فكان من نعمه أن اجتنبى له معلمين ومربين من جنسه، لا يتصفون بالعيوب، و لا تقع منهم الذنوب، يبلغونه رسالات ربّه، و يقيمون عليه الحجة، آخذين بيد من يصدقهم و يؤمن ببلاغهم، فيحملونه على المنهج القويم، و الصراط المستقيم مجسّداً له بأقوالهم و أفعالهم، أولئك هم الأنبياء و الأوصياء^(١) صلوات الله عليهم.

ولما كان «الدّين عند الله الإسلام»^(٢)، و الإنسان المسلم الصالح لبنة بناء المجتمع الإسلامي الصالح اللائق بمعرفة الله و توحيده على الأرض، سنّت فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وهي باب واسع إلى طاعة الله تنتظم فيها حياة الفرد و الجماعة و يحصّنون من الفساد.

و المعروف في اللغة ضد المنكر، و هو ما يستحسن من الأفعال، و كلُّ ما تعرفه

(١) تُنظر: سورة البينة ١/٩٨-٢. «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين منفكين حتّى تاتيهم البيّنة رسولٌ من الله يتلو صحفًا مطهّرة» ، في هذه السورة المباركة قدّم ذكر الرسول على الصحف المطهّرة، ليؤكد على دور الرسول في بيان ما جاء في تلك الصحف قولاً و فعلاً، بحيث لا يترك لبساً و لا غموضاً في معانيه و أحكامه. و ينظر نهج البلاغة للشريف الرضي. تحقيق و تنسيق علي أنصاريان ج ١/ ٩ وفيه قول الإمام علي عليه السلام: «و اصطفى سبحانه من ولده انبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، و على تبليغ الرسالة أمانتهم لمّا بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقّه، و اتخذوا الأنداد معه، و اجتالتهم الشياطين عن معرفته، و اقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله، و اتر إليهم أنبياءه».

(٢) آل عمران ٣/ ١٩.

النفس من الخير وطمئنٌ إليه، وذكروا أيضًا أنه اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله و التَّقَرُّبِ إليه والإحسان إلى الناس، و كل ما ندب إليه الشرع من المحسِّنات ونهى عنه من المقبَّحات. وقالوا في بعض الموارد: اسم لكلِّ فعلٍ يُعرف حسنه بالعقل أو الشرع، وهو خلاف المنكر^(١).

وفي القرآن الكريم تكررت كلمة المعروف تسعًا و ثلاثين مرة في سياق الدعوة إلى قول ما يستحسن في طاعة الله جلَّ جلاله وعمله على وجه الإجمال مترافقة مع النهي عن المنكر، و على وجه التفضيل في سياق الموضوعات الآتية:

- ١ . تنظيم مسألة القصاص و الدعوة إلى العفو.
- ٢ . تنظيم الوصية و الإرث.
- ٣ . تحديد الحقوق و الواجبات بين الرجل و مطلقته، و التشجيع على الإصلاح بينهما.
- ٤ . تحديد حقوق المطلقة المرضع و واجباتها.
- ٥ . الإحسان إلى الفقير بالقول الحسن بعيدًا عن المن و الأذى.
- ٦ . حفظ مال اليتيم إلى أن يكبر.
- ٧ . الإصلاح بين الناس و إعطاء الصدقات^(٢).

بينما تكررت كلمة المنكر ست عشرة مرة مسبوقه باسم أو فعل النهي، و معطوفة على كلمة المعروف تارة وذلك في سياق ذم بني إسرائيل الذين ابتعدوا عن إنكار المنكر، و النهي عن الإتيان به، و تارة أخرى في ذم المنافقين و المنافقات في عهد رسول الله، و فضح حرصهم على ارتكاب المحرمات و الاستهزاء بالإسلام.

إن تأمل الموارد السابقة للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و بقية الموضوعات الأخرى في القرآن الكريم يجعلنا نعتقد أن القرآن كَلَّه إنما هو دعوةٌ للأمر بالمعروف و

(١) لسان العرب / ابن منظور. و ينظر كذلك المعجم الوسيط، مادة (عرف).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / فؤاد عبد الباقي .

النهي عن المنكر، فكلُّ موضوعاته تدخل تحت هذا الباب من الدعوة إلى الخير و طلب الإصلاح بين الناس و إن لم تُذكر فيهما المفردتان صراحة، ما يبين أهمية هذه الفريضة في بناء الفرد و المجتمع، لما لامسته من مواقع الخلل في معاملات الناس، و كذلك الخلل في البنية الروحية و الاجتماعية و الاقتصادية للمجتمع، فعالجتها و قوتها.

و من آيات الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١) ففي الآيتين السابقتين دعوة إلى إقامة هذه الفريضة مع بيان ما في إقامتها من الفلاح، و التحذير من تركها لما في ذلك من خطورة على المجتمع و العاقبة الوخيمة.

و كذلك جاءت أحاديث الرسول ﷺ و العترة الطاهرة داعية و مبشرة و منذرة، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ خَتَمِ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَا أَفْضَلُ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، قَالَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ صَلَاةَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَبْغَضُ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ الشَّرْكُ بِاللَّهِ، قَالَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: قَطِيعَةَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْأَمْرُ بِالْمُنْكَرِ وَ النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٢)، ونبى الإمام علي عليه السلام عن تركها قبل استشهاده قائلاً للحسين: «لَا تَتْرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُؤَلَّى عَلَيْكُمْ شَرَارِكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»^(٣) و في نصٍّ مروى عن الإمام الحسين عليه السلام يبين فيه أهمية هذه الفريضة مستدلًا بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٤) قال: «فبدأ الله بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

(١) آل عمران ٣/ ١٠٤-١٠٥.

(٢) فروع الكافي ج ٥ ص ٣٥ رقم ٩.

(٣) نهج البلاغة / علي أنصاريان ح ٣ ص ٤٢٩.

(٤) التوبة ٩/ ٧١.

فريضةً منه، لعلمه بأنها إذا أدت و أقيمت استقامت الفرائض كلها هيئتها و صعبها، و ذلك أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم و مخالفة الظالم و قسمة الفيء و الغنائم و أخذ الصدقات من مواضعها و وضعها في حقها»^(١).

مراتب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و شروطه:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله علي عليه السلام: «يا علي مر بالمعروف و انه عن المنكر بيدك، فإن لم تستطع بلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، و إلا فلا تلو من إلا نفسك»^(٢)

و عن الإمام علي عليه السلام «أيها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يعمل به، و منكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم و برئ، و من أنكره بلسانه فقد أجر، و هو أفضل من صاحبه، و من أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا و كلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى و قام على الطريق و نور في قلبه اليقين»^(٣) إلى هذه الأحاديث الشريفة و غيرها، المتصلة بهذه الفريضة استند أهل العلم فقسّموا الأمر بالمعروف إلى مراتب ثلاث أعلاها تغيير المنكر باليد، و أوسطها باللسان، و أدناها مرتبة القلب و إلا نال الإنسان غضبُ الله و شمله عقابه.

و ذهب الفقهاء إلى أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر واجبان كفائيان في بعض مراتبهما^(٤).

و في مراتبهما الآخر واجبان عينان كما في إظهار الكراهة فعلاً أو قولاً من ترك المعروف و فعل المنكر، و ذكروا في ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) تحف العقول عن آل الرسول / الحسن ابن شعبة الحراني ص ١٧١.

(٢) ميزان الحكمة / محمد الريشهري ج ٣ ص ١٩٥١.

(٣) نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٤٦.

(٤) ينظر كتاب المسائل المنتخبة-العبادات و المعاملات / السيد علي الحسيني السيستاني ص ٢٧٢، مسألة ٦٣١

وسلم أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة»^(١)

أما شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للمكلف^(٢):

١. أن يكون المكلف ذا معرفة بما يأمر به من معروف أو ينهى عنه من منكرٍ على وجه التفصيل، أو على وجه الإجمال. ودرجة الوجوب تتناسب مع درجة العلم و الاطلاع، لذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب مؤكّد على الفقيه، يليه في ذلك المتفقه بالدين. سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو واجب هو على الأمة جميعاً؟ فقال: «لا»، فقيل له: «ولم؟» «قال:» إنّما هو على القوي المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أي من أي يقول من الحق إلى الباطل، و الدليل على ذلك كتاب الله عزّ وجل وقوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٣) فهذا خاصّ غير عام. كما قال الله عزّ وجل: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٤) ولم يقل: على أمة موسى و لا على كل قومه، و هم يومئذ أمة مختلفة^(٥).

٢. أن يمتلك الأمر مهارات الإقناع، و توصيل المعاني و الخبرة الكافية للتأثير في المتلقين و حملهم على الانتهاء عن المنكر و القيام بالمعروف.

٣. أن يقطع الأمر أو يحتمل تأثيره على الشخص أو المنهي عن المنكر. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنما يؤمرُ بمعروف و يُنهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم، و أما صاحب سوط أو سيف فلا»^(٦)

(١) فروع الكافي ج ٥ ص ٣٥ رقم ١٠.

(٢) المسائل المنتخبة - العبادات و المعاملات للسيد علي الحسيني السيستاني، ص ٢٧٢، مسألة ٦٣٢، و ينظر كذلك كتاب منتخب الأحكام / السيد علي الخامنئي ص ١٥٨.

(٣) آل عمران ٣ / ١٠٤.

(٤) الأعراف ٧ / ١٥٩.

(٥) فروع الكافي ج ٥ ص ٣٦ رقم الحديث ١٦.

(٦) مستدرک الوسائل / الميرزا النوري ج ١٢ ص ١٨٦.

٤. أن يأمن من الضرر على نفسه و على المأمورين أو المنهيين، و إلا يسقط عنه هذا التكليف.

دستور الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و ارتباطه بالمعصوم:

شكلت الكتب السماوية السابقة مناهج عمل لهذه الفريضة، كذلك جاء القرآن الكريم منهجاً و دستورَ عمل يخرج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿الرَّكِيَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١) ففي لفظة «تخرج» تؤكد الآية المباركة أن الهداية تحتاج إماماً مرشداً، هو رسول الله صلى الله عليه وآله و خاتم الأنبياء و أعلاهم رتبة، و هو وفق ما وصفه القرآن «رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»^(٢) و المجتمع الإسلامي الصالح الذي مهدت لإقامته الرسائل السابقة لا يخصُّ قومية دون سواها، بل يشمل الناس أجمعين، و لما كانت معركة الحق في مواجهة الباطل معركة شرسةً و معقدة، تقتضي أن تقام على الناس الحجة و أن يمحصوا بالبلاء مرة بعد أخرى، و يخوضوا التجارب تلو التجارب، فقد اقتضت الحكمة الإلهية تهيئة نخبة من البشر يتوارثون قيادة المعركة تبعاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، هؤلاء هم أهل بيته، و على تكليفهم دلت الآيات و الأحاديث الشريفة:

١. قال تعالى في سورة البقرة على لسان إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تُبَّ عَلَيْنَا إِنْكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

فقوله تعالى ﴿مَنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ تشير إلى أن دعوتهماء عليهما السلام تخص جزءاً من الذرية؛ لأن الله أعلمهما أنه سيكون في الذرية طغاة ظالمين، وقال أهل العلم و المفسرون: إنَّ

(١) إبراهيم ١٤ / ١

(٢) الأنبياء ٢١ / ١٠٧: «وَ مَا أَرْسَبْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ».

(٣) البقرة ٢ / ١٢٨-١٢٩.

(من) هنا تدل على التبعض^(١)، و تشير إلى من كان موحدًا على دين إبراهيم وإسماعيل، وهم عشيرة الرسول الأقربون، بنو هاشم و الضمير في قوله «فيهم» إنما يعود على هذه العشيرة، ومنهم كان الرسول الخاتم ﷺ، أما قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ﴾ فأمر يختص بالمعصومين من عترته، و بأمر الله أمر الرسول المسلمين باتباعهم بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى قائلاً: «كأني دُعيتُ فأجبتُ، و إنِّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله و عترتي أهل بيتي فانظروا كيف تحلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٢) و في حديث آخر قال: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تحلف عنها غرق»^(٣).

٢. سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ لِيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٤) قال: نحن الأمة الوسطى، و نحن شهداء الله على خلقه و حججه في أرضه، قلت (أي السائل): قول الله عزّو جلّ: «ملةً أبيكم إبراهيم»، قال: إيانا عنى خاصةً «هو سماكم المسلمين من قبل» (في الكتب التي مضت و في هذا القرآن «ليكون الرسول عليكم شهيداً» فرسول الله ﷺ الشهيد علينا لما بلغنا عن الله عزّو جلّ، و نحن الشهداء على الناس، فمن صدّق صدقناه يوم القيامة، و من كذّب كذبناه يوم القيامة»^(٥).

٣. وجاء في سورة آل عمران قوله جلّ و علا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٦).

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن / الفضل بن الحسن الطبرسي ج ١ ص ٣٩٣.
 (٢) كمال الدين و تمام النعمة / الشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٦٦، و ينظر كتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ص ٢٤.
 (٣) ميزان الحكمة / محمد الريشهري، ج ٤ ص ٢٨٢٠ رقم الحديث ٤٣٦٠.
 (٤) البقرة ٢/١٤٣.
 (٥) أصول الكافي ج ١ ص ٢٤٥.
 (٦) آل عمران ٣/١١٠.

قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسيرها: «يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام فهم الأمة التي بعث الله فيها و منها و إليها، و هم الأمة الوسطى و خير أمة أخرجت للناس»^(١). و إلى هذا المعنى لكلمة «أمة» أشار أهل اللغة، فذكروا أنّ من معانيها جماعة من الناس، و من كان منهم جامعاً لصفات الخير يقتدى به^(٢).

امتحان الأمة بالولاء للعترة الطاهرة و الاستراتيجيات التي اتبعها الإمام علي و ابنه الإمام الحسن عليهما السلام للقيام بإصلاح المجتمع و الحفاظ على الدين:

إنّ صلاح أيّ أمةٍ أو عدمه لا يظهرُ إلا عندما توضع تحت مجهر الاختبارات المتلاحقة، و لقد اختبرت الأمة بولائها لآل البيت بعد غياب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، و على الرغم من حرصه الشديد في كلّ مناسبة أو موقف على إيضاح معالم الطريق الذي يتعيّن عليها أن تسلكه بعد رحيله، و الكشف عن أعلامه الهادية فلا تضل و لا تتعثر إلا أن الفتنة أبت إلا أن تطل برأسها من السقيفة منذ اللحظة الأولى لرحيله صلى الله عليه وآله عن هذا العالم، فكم من مرة سمع منه المسلمون: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي»^(٣)، وكم من مرة سمعوه يقول له: «أنت أخي و وزير» و لا أدل على ذلك من يوم غدير خم حين خطب بالمسلمين مطوّلاً يوصيهم بضرورة التمسك بعترته الطاهرة»^(٤).

الاستراتيجية التي اتبعها علي عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله:

سارع أمير المؤمنين (عليه السلام) انطلاقاً من مسؤوليته الشرعية إلى احتواء الفتنة و درء أخطارها عن الأمة، فقام بخطواتٍ عدة كان لها تأثير كبير في مسار الأحداث منها:

(١) البرهان في تفسير القرآن / هاشم الحسيني البحراني ١٨٨٥ / [٤].

(٢) لسان العرب / ابن منظور مادة امم.

(٣) بحار الانوار / العلامة المجلسي ج ٣٧ ص ٢٧٣.

(٤) المراجعات / عبد الحسين شرف الدين ص ٢١.

١. عقب اقتحام المنحرفين عن خط الرسالة المحمدية لداره إثر اجتماع السقيفة و إخراجهم ملببًا بثيابه إلى المسجد من أجل البيعة، و مع ما يعرف عنه من إقدام و شجاعة لا نظير لهما، آثر أن يكون حليمًا صبورًا في مواجهة الموقف، فلم يرفع في وجوههم سيفًا، و لم يلوّح بقوة، و ذلك لقلّة أنصاره، و دفعًا لتصدع المجتمع الإسلامي و انهياره.

٢. على الرغم من إقصائه عن إدارة الدولة الإسلامية استمر بالقيام بتكليفه الشرعي فأرشد الناس إلى أمور دينهم و بيّن لهم أحكامه و قواعده، و عمل على فك نزاعات الناس و القضاء بينهم، حتى أنّه لم ييخّل بالنصيحة على من غصبوا حقه، و قال في ذلك: «و الله لا أدخل المسجد إلا لزيارة الرسول ﷺ أو لقضية أفضيها، فإنّه لا يجوز لحجة أقامه رسول الله ﷺ أن يترك الناس في حيرة»^(١).

٣. كان الإمام (عليه السلام) يدرك عدم نضوج و عي الناس لمسألة الولاية إذ كان بعضهم ينظر إليها- و الناس قريبو عهد بالجاهلية- على أنّها مجرد زعامة سياسية آثر رسول الله ابن عمه و قبيلته بها بعد وفاته، لذلك شككوا في أهداف الإمام، و رأوا في رفضه للبيعة بداية الأمر طموحا بالاستئثار بالسلطة. و تدخل منافقو مكة الطلقاء ليعزروا هذا التفكير في أذهان الناس و هو تفكير بعيدٌ كلّ البعد عن قواعد الإسلام الحنيف، و لكنّ عذر الطلقاء أنّهم لا يفقهون من الدين إلا رسمه و كانوا يتحينون الفرص لتحقيق أطماعهم و مآربهم الشخصية، و لم يكن في مصلحتهم أن يتسلم الإمام علي عليه السلام زمام الأمور في الدولة الإسلامية الناشئة؛ لمعرفتهم باستقامته على الحق، لذلك عالج الإمام هذا الوضع باللجوء إلى المعارضة السلمية للأوضاع الجديدة القائمة، و التعبئة الفكرية للأمة، فعمل على إيضاح الانحراف الحاصل في خط الرسالة عقب وفاة الرسول، لذلك أذن للسيدة الزهراء عليها السلام أن تخطب في الناس حول مسألة فدك و ضرورة استرجاعها، مبينة لهم جانبًا مهمًا من حقوق آل البيت التي تمّ الاعتداء عليها. و لم تكن فدك تعني الإمام إلا

(١) الإمامة و قيادة المجتمع / السيد كاظم الحائري ص ١٨٧ نقلًا عن بحار الانوار.

من باب الحرص على تدعيم جانب الحق، والإفادة من مردوداتها المادية لتقوية جانب المعارضة^(١)، وهو القائل في هذه المسألة: «بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك و غير فدك و النفس مظالمها في غدٍ جدث، تنقطع في ظلمته آثارها، و تغيب أخبارها؟!»^(٢).

و كان الإمام يزور مع عائلته السيدة الزهراء و الحسن والحسين عليهم السلام بيوت الأنصار و المهاجرين يوضح لهم ما جرى، و يذكرهم بمنزلة آل البيت عند رسول الله، و الحق الذي اغتصب منهم، و يطلب منهم نصره دين الله و مناهضة الظلم^(٣).

جاهد الإمام في تلك الأوقات المصيرية من حياة الأمة وبذل قصارى جهده ليخلق لدى المسلمين وعياً جديداً لمسألة الولاية فيجعلها تنضج في أذهانهم، و يرفع من منسوب تحملهم للمسؤولية في الحفاظ على قواعد الدين و ويدفعهم إلى نصره الحق و مجابهة الظالمين على قاعدة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الدعوة إلى الخير.

ومع مرور الوقت بدأ يتجلى لجمهور المسلمين قصور المنحرفين عن قيادة الدولة على وفق التشريعات و السنن الإسلامية، فانتهجوا منهجاً آخر مليئاً بالأخطاء، و واجهتهم معضلات في حلّ قضايا المسلمين فلم يجدوا بُدّاً من اللجوء إليها إلى علي عليه السلام.

٤. قُتِلَ عثمان، فألحَّ جمهور المسلمين على الإمام (سلام الله عليه) بقبول الخلافة، لكنه لم يرضخ لإلحاحهم إلا حين وافقوا على شروطه، وكان قد خاطبهم مبيناً لهم منهجه المبني على تشريعات الإسلام و أحكامه و الذي لن يقبل من أحد المساومة حول تطبيقه، قائلاً: «دعوني و التمسوا غيري.. و اعلموا أي إن أجبتمكم ركبتم بكم

(١) الإمامة و قيادة المجتمع / السيد كاظم الحائري ص ١٨٧ نقلا عن بحار الانوار.

(٢) نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٢٢.

(٣) الإمامة و قيادة المجتمع ص ١٨٢.

ما أعلم، و لم أصغِ إلى قول قائلٍ و عتبٍ عاتبٍ. و إن تركتموني فأنا كأحدكم، و لعلي أسمعكم و أطوعكم لمن و ليتموه أمركم، و أنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً»^(١).

وهكذا أسس عليٌّ عليه السلام لبداية عهد جديد، و تمسك بمبادئه رافضاً المساومات، ليكون قدوة في سلوكه و قيادته، فيترك للمسلمين بل لأمة محمد الحاضرة و المستقبلية خير أنموذج لقيادة الدولة الإسلامية.

واستناداً إلى هذا النهج الذي حمل عليه الناس كان لا بد له من المواجهة العسكرية مع معاوية المنشق عنه و المستأثر لنفسه بولاية الشام، و مع الخوارج الذين سببوا له إحراجاً كبيراً حين ألحوا عليه بقبول التحكيم بعد حيلة رفع المصاحف التي لجأ إليها معاوية بمشورة عمرو بن العاص، ثم طالبوه بنكث العهد و إبراء الذمة من التمسك بنتائج التحكيم، و نكث العهود و المواثيق فعل من لا يدين بالإسلام، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ شَيْئاً وَ لَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

الاستراتيجية التي اتبعها الإمام الحسن عليه السلام:

سار الإمام الحسن عليه السلام على نهج أبيه أمير المؤمنين، فتمسك بالقرآن دستوراً، و أكمل ما بدأه علي عليه السلام في تربية المسلمين و تلقينهم الدروس و العبر، حين مالت قلوب القادة في جيشه إلى الدنيا، و أغراهم المال الحرام الذي كان يبذله معاوية من بيت مال المسلمين ليشتري به الأعوان و الأنصار؛ فيحقق مآربه في الاستيلاء على خلافتهم.

لقد انتهج الإمام الحسن نهج الحرب الباردة مع معاوية [على حد تعبير السيد الحائري]^(٣) لسببين:

(١) نهج البلاغة / علي انصاريان، ج ١ ص ١٣٦.

(٢) التوبة ٤ / ٩.

(٣) الإمامة و قيادة المجتمع ص ١٩٩.

الأول: كشف زيف بني أمية و تعريتهم أمام جمهور المسلمين، فلا يشك بعدئذ بحق الأئمة عليهم السلام في الدفاع عن الرسالة وتولي شؤون الخلافة. ذكر صاحب الاحتجاج في أحد أخباره ما يشي بهذا المعنى فقال: «لما صالح الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته، فقال عليه السلام: ويحكم ما تدرون ما عملت، والله لكذي عملتُ لشيعتي خيرٌ مما طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أنني إمامكم، ومفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله علي؟ قالوا: بلى. قال أما علمتم أن الخضر لما حرق السفينة، وأقام الجدار وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان عند الله ذكره حكمة و صواباً؟»^(١)

و الثاني: عدم توافر القوة و المقدرة التي تكفي لإنجاح مهمته، و الإمام نفسه قد أفصح عن هذا المعنى في موارد عديدة، منها ما جاء عن زيد بن وهب الجهني، قال: «لما طعن الحسن بن علي عليه السلام بالمدائن أتته وهو متوجع، فقلت: ما ترى يا بن رسول الله فإن الناس متحيرون؟ فقال: أرى والله معاوية خيرٌ لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي و انتهبوا ثقلي و أخذوا مالي، و الله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي و آمن به في أهلي، خيرٌ من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي و أهلي، و الله لو قاتلتُ معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلمًا. فو الله لئن أسالته و أنا عزيز خيرٌ من أن يقتلني و أنا أسير، أو يمن علي فيكون سبباً علي بني هاشم إلى آخر الدهر و لمعاوية لا يزال يمن بها و عقبه علي الحبي و الميِّت^(٢) و إن من يقف على أخبار الإمام الحسن عليه السلام و المناقشات و الجدل الذي جرى بينه و بين معاوية و أصحابه، يكتشف أن ما سُميت حرباً باردة كانت أشد على معاوية من المواجهة المسلحة، إضافةً إلى ما كان يرتكبه

(١) الاحتجاج / الشيخ أحمد بن علي الطبرسي ج ٢ ص ٦٨.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٩.

الأخير من أثم بحق المسلمين أخذت تتراكم كلما امتدت فترة حكمه؛ فلا تترك في القلوب إلا المقت و الكره و الشعور العميق المتزايد بالظلم، لم يترك الإمام فرصة للمواجهة معه إلا و استغلها ليفضح - بما امتلكه من بلاغة و علم و جرأة في الدفاع عن الحق - نفاق خصمه و جهله، و سوء تعاطيه مع السلطة، و كيده للإسلام و المسلمين، لا بل و تحويل الخلافة الإسلامية إلى مطية تلبّي رغبتة في الحكم و الانتقام من ولاة الأمر الحقيقيين، ففي احتجاج طويل ردّ فيه الإمام الحسن عليه السلام على جماعة أنكروا فضله و فضل أبيه في حضرة معاوية قال في بعض مقاطعه: «ثمّ أنشدكم بالله هل تعلمون أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا ابن أخي: هل علينا من عين؟ قال: لا، فقال أبو سفيان: تداولوا الخلافة يا فتيان بني أمية، فو الذي نفس أبي سفيان بيده، ما من جنة و ما من نار»^(١)، و في ذات الاحتجاج يقول لمعاوية: «من لعنتك يا معاوية أنّ أباك أبا سفيان كان يهّمُّ بأن يسلم، فبعثت إليه بشعر معروف مروى في قریش و غيرهم، تنهاه عن الإسلام»^(٢) و يعدد الإمام في موضع آخر من هذا الاحتجاج مخازي معاوية فيقول: «و منها أنّ عمر بن الخطاب و لأك الشام فخت به، و و لأك عثمان فتربصت به ريب المنون، ثم أعظم من ذلك جرأتك على الله و رسوله أنّك قاتلت علياً عليه السلام و قد عرفته و عرفت سوابقه و فضله و علمه على أمرٍ هو أولى به منك، و من غيرك عند الله و عند الناس و لا دنية، بل أوطئت الناس عشوة، و أرقت دماء خلق من خلق الله بخدعك و كيدك و تمويهك، فعل من لا يؤمن بالمعاد، و لا يخشى العقاب»^(٣).

لقد تجرّع معاوية مرارة الخزي و العار أمام جمهوره و جمهور المسلمين مرة بعد مرة، فترك ذلك في نفسه رعباً أقصّ مضجعه، و دفعه إلى قتل الإمام و التخلص منه ما يؤكد

(١) الاحتجاج للطبرسي ج ٢ / ٣١.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢.

صواب الخط الذي انتهجه الإمام وفعاليته في التمهيد لثورة أخيه الإمام الحسين عليه السلام.
مخالفة معاوية لأحكام القرآن و سنة الرسول، و الخطر الذي شكله على المجتمع
بإشاعته للظلم و الفساد:

تلطى معاوية خلف عباءة الإسلام ليضفي الشرعية على تحكمه برقاب العباد، و فرغ
الخلافة الإسلامية من كل مضامينها الدينية و الإنسانية التي جاء بها القرآن، فاستحق نعته
بالفاسق، قال تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١)، و نكث العهود
و الموائيق، و سفك دماء الناس بغير ذنب ارتكبوا، و في ذلك قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٢) و الشواهد على فسق معاوية و إجرامه
تملاً كتب التاريخ إلى جوار تلك التي تمدحه، و تجعل له أيادٍ بيضاء على الإسلام!

جاء في الروايات أنّ مروان بن الحكم كتب إلى معاوية و هو عامل الأخير على
المدينة يحذّره من الحسين عليه السلام، لأنّ رجالاً من العراق و وجوه أهل الحجاز يختلفون
إليه، فكتب معاوية إلى الحسين عليه السلام رسالة يقول فيها: «أمّا بعد فقد انتهت إليّ أمورٌ عنك
إن كانت حقاً فإني أرغب بك عنها، و لعمر الله إن من أعطى الله عهده و ميثاقه لجدير
بالوفاء، و إن أحق الناس بالوفاء من كان مثلك في خطرِكَ و شرفِكَ و منزلتك التي أنزلت
الله بها و نفسك فاذكر و بعهد الله أوف، فإنك متى تنكرني أنكرك، و متى تكديني أكدك،
فاتق شق عصا هذه الأمة و أن يردّهم الله على يديك في فتنة فقد عرفت الناس و بلوتهم،
فانظر لنفسك و لدينك و لأمة محمد صلى الله عليه و آله، و لا يستخفّنك السفهاء و الذين لا يعلمون
» (نلاحظ في هذا الكتاب التناقض الكبير بين اعتراف معاوية بمنزلة الإمام الحسين
و تشريفه من الله، و جرأته على اتهامه بشق عصا الأمة، و تهديده بالنيل منه، مذكراً إياه بما
يعدّه معاوية نقطة ضعف عند الإمام و نقطة قوة له، و هو احتمال خذلان الناس له كما

(١) المائة ٥ / ٤٧.

(٢) المائة ٥ / ٣٢.

خذلوا أباه و أخاه إذ باعوا دينهم بدنياهم و استطاع معاوية أن يشتريهم بالأموال التي اغتصبها من بيت مال المسلمين. فما كان من الإمام إلا أن أرسل له كتاباً افترضه فيه، و ردّ كيده في نحره، جاء فيه: «أما بعد فقد بلغتني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمورٌ أنت لي عنها راغب و أنا بغيرها عندك جدير، فإنّ الحسنات لا يهدي لها و لا يسدد إليها إلا الله تعالى، و أمّا ما ذكرت أنه رقي إليك عني، فإنّه إنّما رقاہ إليك الملاقون المشاؤون بالنميم، المُفَرَّقون بين الجمع و كذب الغاؤون، ما أردتُ حرباً و لا عليك خلافاً، و إنّي لأخشى الله في ترك ذلك منك، و من الإِعدار فيه إليك، و إلى أوليائك القاسطين المارقين الملحدين، حزب الظلمة و أولياء الشيطان: أَلست القاتل حجر بن عدي أخوا كندة و أصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم و يستفظعون البدع، و يأمررون بالمعروف و ينهون عن المنكر، و لا يخافون في الله لومة لائم، ثمّ قتلتهم ظلماً و عدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلظة، و المواثيق المؤكدة لا تأخذهم بحدث كان بينك و بينهم جرأة على الله و استخفافاً بعهده؟

أو لست القاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ﷺ العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه و اصفّر لونه، فقتلته بعدما أمّنته و أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال، أو لست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد من ثقيف فزعمت أنّه ابن أبيك و قال رسول الله ﷺ الولد للفراش و للعاهر الحجر، فتركت سنة رسول الله ﷺ وعمداً و تبعت هواك بغير هدى من الله، ثمّ سلطته على أهل الإسلام يقتلهم، و يقطع أيديهم و أرجلهم و يسمل أعينهم و يصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة و ليسوا منك، أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنّهم على دين علي صلوات الله عليه فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين علي؟ فقتلهم و مثل بهم بأمرك؟ ودينُ علي هو دينُ ابن عمّه ﷺ الذي كان يضربُ عليه أباك و يضربك، و به جلست مجلسك الذي أنت فيه، و لولا ذلك لكان شرفك و شرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء و رحلة الصيف، و قلت

فيما قلت انظر لنفسك و لدينك و لأمة محمد و اتق شق عصا هذه الأمة و أن تردّهم إلى فتنه، و إني لا أعلم فتنه أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، و لا أعظم نظراً لنفسي و لديني و لأمة محمد عليه السلام أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنّه قربة إلى الله، و إن تركته، فإني أستغفر الله لديني، و أسأله الرشاد لأمري. و قلت فيما قلت إن أنكرتك تنكرني، و إن أكدك تكديني، فكديني ما بدا لك، فإني أرجو أن لا يضرني كيدك، و أن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، لأنّك قد ركبت جهلك و تحرّصت على نقض عهدك، و لعمرى ما وفيت بشرط و لقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلهم بعد الصلح و الأيمان و العهود و الموائيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا و قتلوا، و لم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا، و تعظيمهم حقنا، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا، فأبشريا معاوية بالقصاص، و استيقن بالحساب و اعلم أنّ الله لا يغادر صغيرةً و لا كبيرةً إلى أحصائها، و ليس الله بناسٍ لأخذك بالظنة، و قتلك أولياءه على التهم و نفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربية، و أخذك لبيعة ابنك غلام حدث يشرب الخمر و يلعب بالكلاب. ما أراك إلا قد خسرت نفسك و بترت دينك و غششت رعيتك، و أخربت أمانتك، و سمعت مقالة السفية الجاهل، و أخفت الورع التقي و السلام»^(١).

لقد تعمدت هاهنا إيراد نصي الكتابين كاملين، ليتأمل القارئ الكريم أسلوب المكر و الخديعة الذي درج عليه معاوية، و بلاغة رد الإمام مفنداً مزاعمه، و مواجهاً إياه بما ارتكب مع أعوانه من جرائم في حق المسلمين، فأسقط عنه رداء الشرعية التي ادعاها، من غير أن يؤخذ بتحويله و تهديده أو يخضع لابتزازه بما يعلمه من خذلان الناس الذين اشتراهم معاوية بثمن بخس من بيت المال، فباعوا دينهم بديناهم.

إنّ المتأمل في ردّ الإمام يجد فيه بحق مصداق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

(١) في رحاب أئمة أهل البيت / السيد محسن الأمين ج ٣-٥ ص ٥٩.

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴿١﴾.

و معاوية لم يكتفِ بكُلِّ ما سبق حتى ارتكب أعظم خطاياہ بحق الإسلام فعمل على أخذ البيعة لابنه يزيد الذي كان يجاهر بالفسق و الفجور.

و المدينة و مكة يومها مليئة بالصحابة و التابعين من أهل العلم و المعرفة بالحقوق و الواجبات و الفروض و الطاعات، و يمتلكون القدرة على تحريك الجماهير ليتخذوا موقفاً بيناً ينصرون فيه داعي الله و يسقطون أئمة الجور و العدوان إلا أننا لا نسمع لهم صوتاً إلا ما ندر، و لا نرى لهم تأثيراً يذكر في مجريات الأحداث، و لعلهم كانوا منكفئين في بيوتهم ينتظرون ما تتمخض عنه من نتائج.

لقد كانوا بموقفهم السلبي هذا و بحياديتهم المقيتة عوناً للظالمين على المظلومين، فأين هم من إقامة حدود الله و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر؟ لماذا هجروا الفريضة و كل الشروط موفورة فيهم، لذلك خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه إلى كربلاء، لائماً مقيماً الحجة عليهم: ثم أنتم، أيتها العصابة، عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وبالله في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلبها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الأكابر «يذكرهم الإمام في هذه الكلمات يتوجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لتوفر شروطه فيهم، فلماذا هذا التقاعس و التهاون؟ و يضيف: «أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون؟! فاستخفتم بحق الأئمة، فأما حق الضعفاء فضيعتم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتم. فلا مالا بذلتموه، ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله، أنتم تتمنون على الله جنته و مجاورة رسله وأمانا من عذابه

ويذكرهم بما يخشاه عليهم من سوء العاقبة وهو ما وقع بعد استشهاده سلام الله عليه حين استبيحت مكة والمدينة وضربت الكعبة بالمنجنيق، وسفكت الدماء وهتكت الأعراس: «لقد خشيت عليكم، أيها المتمنون على الله، أن تحل بكم نقمة من نعماته؛ لأنكم بلغت من كرامة الله منزلة فضلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون، وأنتم بالله في عباده تكرمون! وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون، وذمة رسول الله صلى الله عليه وآله محقورة! والعمي والبكم والزمني في المدائن مهملة لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تعينون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون! كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي، وأنتم عنه غافلون! وأنتم أعظم الناس مصيبة؛ لما غلبتم عليه من منازل العلماء، لو كنتم تشعرعون! ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله»^(١).

لقد كان الحسين سلام الله عليه متألمًا متأسفًا على خذلان الناصرين، و قلة المخلصين الذين أعاروا الله جماجمهم.

وهنا سؤال يطرح نفسه: لماذا لم يستجب الإمام عليه السلام إلى دعوات أهل الأمصار للانقلاب على معاوية؟

ذهب كثيرون إلى أن علة عدم استجابته ذلك الصلح المبرم بين معاوية والإمام الحسن عليه السلام، و لكن الإمام نفسه في رده السابق على اتهامات معاوية يؤكد أن معاوية ناكث للعهد، وناكث للعهد لا أمان له.

لقد أشرت في السطور الماضية إلى ما كان يحاوله من التستر تحت عباءة الإسلام طلبًا للشرعية، و ينقل لنا المسعودي في مروج الذهب ما كان يتظاهر به أمام الناس من أداء لبعض الفروض و الطاعات، يقول المسعودي: «كان إذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من

(١) تحف العقول عن آل الرسول / الحسين بن شعبة الحرّاني ص ٢٣٨.

قصصه، ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزءه، ثم يدخل منزله فيأمر وينهى، ثم يصلي أربع ركعات، ثم يخرج إلى مجلسه..»^(١) فمن كان ينيئ المسعودي وغيره من أصحاب التأريخ لولا وجود آلة إعلامية و أقلام مأجورة تكتب لمعاوية و تذيع بين الناس ما يشاء من أكاذيب و أراجيف باطلة؟^(٢).

فهل يعطي الإمام الفرصة لمعاوية و آله الإعلامية لتزييف الحقائق، و توجيه الاتهامات الباطلة المضللة له بأنه ناكث للعهد و مخالف للنص القرآني و السنة النبوية؟ أضف إلى ذلك أن معاوية كان يعيش أيامه الأخيرة و الإمام بعهد من الله و رسوله يتوقع موته، و ينتظر بعده لحظة خطيرة و مصيرية، ليقدم على تضحيته في سبيل إصلاح الأمة.

و مهما كانت الأجوبة التي يصلح أن تكون جواباً على هذا السؤال، فإن هناك حقيقة تفرض نفسها و هي ضرورة اختبار الأمة؟ كيف ذلك؟
قال تعالى: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْبَشَّرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا تَرَجِعُونَ﴾^(٣).

فالآية الكريمة تشير إلى أن الاختبار سنة من سنن الله محلها الأرض، و المسلمون آمنوا برسالة الإسلام التي حملها رسول الله محمد ﷺ، و خاضوا معه المعارك مجاهدين في سبيل الله لنشر الدين، و تثبيت الدعوة بعد أن صبروا على الجوع الاضطهاد و الأذى، فكان هذا اختبارهم الأول، فلما تم فتح مكة و اقترب رحيل الرسول الأكرم إلى جوار ربه فطلب إليه رب العزة، أن يلقي على المسلمين اختبارهم الثاني، ألا و هو اختبار الولاية لآل البيت بعد أن حدثهم حوله مراراً و تكراراً، و أخذ البيعة منهم يوم الغدير، أي أنهم عاهدوه و واثقوه على ذلك، فلما رحل إلى ربه، نكثوا العهد إلا قليلاً مخلصين، فانبرى أمير المؤمنين لإصلاح الأمة

(١) مروج الذهب و معادن الجواهر/ علي بن الحسين المسعودي ج ٣ ص ٣٩.

(٢) يُنظر كتاب: من وحي الثورة الحسينية / هاشم معروف الحسيني ص ١٨.

(٣) الانبياء ٢١/ ٣٥.

يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعوهم إلى الخير منكرًا ذاته في سبيل الله، مذكرًا المسلمين بفروضهم وواجباتهم، ناشرًا الوعي في صفوفهم، فلا يقعون في براثن الشيطان الذي يتربص بهم، ليضلهم. وحين عهدوا إليه بالولاية عليهم، ووافقوا على شروطه، أسس دولة الإسلام تأسيسًا جديدًا يقتضي خطى رسول الله، على خير منهج، بعد أن عرّفهم مواضع الحلال والحرام، ونشر القسط والعدل بينهم، وأخذ للمظلوم من الظالم، وأبان لعماله على الأمصار قواعد المعاملات مع الرعية. وهكذا تذوق الناس في عهده حلاوة العدل والإنصاف، فأقام الحجة عليهم. حتى إذا استشهد كان في رحيله اختبار للأمة في تطبيق معارفهم الجديدة و المحافظة على قواعد الدولة التي صحح مسارها وأرسى قواعدها. لكن تراخي النفوس في تطبيق ما تعلمته وبريق المال الذي بذله معاوية لقواد جيش الحسن عليه السلام المعين إمامًا للأمة بعد رحيل أمير المؤمنين، و التهويل و التزييف الإعلامي الذي كان يمارسه معاوية بدهاء في الأمصار، كل ذلك شتت الناس من حول الحسن عليه السلام، فلم يعد بإمكانه المواجهة العسكرية، فكيف عالج الإمام هذه الحالة الناشئة؟ لجأ إلى الصلح مع خصم يعرف سلفًا أنه لا يلتزم بعهد، و لا يحترم ميثاق، يقول الباحث الأستاذ يحيى الدوخي في دراسته التحليلية لصلح الإمام الحسن «و لكن ما إن استقر الحكم لمعاوية، حتى رمى وثيقة الصلح تحت قدميه، و لم يف بالعمل بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وآله»^(١) و نقض الميثاق و استشهد بخطابه لأهل الكوفة: «يا أهل الكوفة أتروني قاتلتكم على الصلاة و الزكاة و الحج، و قد علمت أنكم تصلون و تزكون و تحجون؟! و لكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، و إلى رقابكم، و قد أتاني الله ذلك و أنتم كارهون، ألا إن كل مال او دم أصبت في هذه الفتنة مطلول، و كل شرط شرطه فتحت قدمي»^(٢)، و ما ذلك إلا ليكشف خداعه و مكره و زيف ادعائه للإسلام، و حقه الدفين على أهله، و انصرافه لإشباع رغباته و تحقيق أطماعه في السيطرة و التسلط هذا من جهة، و يعالج من جهة أخرى أمراض الأمة بما ستتعرض له من آلام نتيجة بطش السلطة و ظلّمها فيتعمق كرها للظلم و

(١) صلح الإمام الحسن بين الواقع و ظلم التاريخ، يحيى عبد الحسن الدوخي ص ٥٥.

(٢) المرجع السابق، و الصفحة نفسها.

نبذها لأهلها، وتمسكها بالأنموذج المثالي للإسلام الذي تذوقت حلاوة عدله و عاشت في نعيم رحمته و رأفته حتى وجدت فيه ملاذًا و ملجأ من شرو الحياة الدنيا وشهواتها.

وهكذا فإن وجود الإمام الحسن الذي تابع سيرة والده علي مقابل معاوية وزبائنه ترك في وجدان الأمة إنموذجين للحياة الروحية و الاجتماعية، لا لبس في وضوحهما، أحدهما: مشرق ناصع غشي الناس بمحبة و رحمانية و انتشلهم من قاع العبودية والاستغلال و العوذ، و الثاني شرسٌ مستغرق في جحيم شهواته يصلى الناس بنار ظلمه، و يدوس قيمهم الدينية و الإنسانية، بنعال و ثنيته و جهله.

و امتحان الأمة بعد رحيل الإمام الحسن عليه السلام يكمن بانحيازها إلى الأنموذج المشرق، و الدفاع عنه، لكنّها بدت ضعيفة متراخية تخلى علماؤها و عقلاؤها عن الدعوة إلى المعروف و مواجهة الباطل مؤثرين الحياة تحت عباءة الظالمين، على الموت دفاعًا عن قيم الدين و مبادئه، إلا ثلة قليلة، ما أدى إلى تمادي الظالمين في نشر بدعهم و فسادهم في الأرض و هدد بضياح الإسلام العزيز إذ بدأت تتداعى أركانه، و يتهدم بنيانه.

رفض الإمام لبيعة يزيد و اتخاذ قرار المواجهة:

كانت الأمة تحتاج إلى حدث شديد الإيلام ينبهها، و يوحد حمية لا تنطفى حرارتها في قلوب المؤمنين، و لا تحمد نيرانها في مواجهة الظالمين، على مدى السنين فذلك ما يحمي الدين، و يجعله أمواج الفتن المتعاقبة تتكسر عند حصنه المنيع.

وهذه كانت كلفة الإمام الحسين صلوات الله و سلامه عليه، حين أذن له الله بقيادة ثورته و الأمة على شفا حفرة من النار منطلقًا مما بات فرض عين على ولي أمر المسلمين و هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، الم يقل الله في كتابه العزيز: ﴿وَلِتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١)، ألم يحذر رسول الله من

ترك هذه الفريضة؟ بل ^(١) إنَّ هذه الفريضة باتت فرض عين على كل المسلمين عليهم ممارستها و لو بأدنى درجاتها، وهي التبرؤ القلبي من الظالمين. يوم كان يزيد الفاسق يريد انتزاع البيعة لنفسه للتسلط على رقاب الخلق و هو المجاهر بفسقه و عصيانه لله. هنا في هذا اللحظة الحاسمة المؤثرة ارتفع صوت الإمام عاليًا على مسامع المسلمين و العالم: «مثلي لا يباع مثله»، قال تعالى ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ ^(٢).

النتائج الإصلاحية للثورة الحسينية و أثرها على المجتمع الإسلامي:

لم يكن الإسلام الذي بَلَّغ رسالته خاتم الأنبياء، لقومٍ من دون قوم، و لا لبقعة جغرافية من دون أخرى، لقد انطلق من مكة، و من حُضن بني هاشم، و لكنَّه كان يستهدف المعمورة بأسرها، فرسول الإسلام بعث رحمة للعالمين، لذلك لم يعد مفهوم أمة محمد صلى الله عليه وآله مفهومًا ضيق الدلالة بل غدا مفهومًا عالميًا، ينضوي تحته كل فرد يدين بالإسلام و يعمل بتعاليمه.

و لأنَّ الإسلام عالمي، كذلك تحول مفهوم الولاية من مفهوم يرتبط بفئة محدودة من الناس في عهد الرسالات السابقة إلى مفهوم عالمي ممتد على مساحة الكرة الأرضية بأسرها، لأجل ذلك كان للاستراتيجيات التي اتبعتها الأئمة عليهم السلام نتائج مباشرة أحدثت تغييرًا في المجتمع الذي وصله الإسلام آنذاك، و نتائج بعيدة المدى تمتدُّ عبر الزمان و المكان، ملهمة لمن يريد أن يستلهمها من قادة الثورات في العالم، و المصلحين و صوِّلاً إلى زمن الظهور المبارك، فالدولة الإسلامية التي أبان قواعدها و تشريعاتها الإمام

(١) يُنظر في وسائل الشيعة إلى تحرير مسائل الشريعة / الشيخ الحر العاملي ج١٦، الحديث ١٨/٢١١٤٤ وقد جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: « لا تزال امتي بخيرٍ ما امروا بمعروفٍ و نهوا عن منكرٍ و تعاونوا على البر و التقوى، فغن لم يفعلوا ذلك نزع منهم البركات، و سُلِّط بعضهم على بعض، و لم يكن لهم ناصرٌ في الأرض و لا في السماء».

(٢) البقرة ٢/٩٩.

علي عليه السلام في رسائله إلى عماله على الأمصار كعهده إلى مالك بن الأشتر عامله على مصر، و في وصاياه المتنوعة وخطبه زمن خلافته، ستكون القاعدة التي يركز عليها الحكم في دولة المنتظر العالمية القادمة، لأنها تستند إلى ما جاء في القرآن الكريم، و القرآن رغم تطور الحياة لا تتباين مفاهيمه من عصر إلى عصر، فأصولها واحدة، و إن تعددت مظاهرها.

وهكذا ثورة الحسين عليه السلام كان لها نتائجها وتداعيتها القريبة في عصره، و نتائجها البعيدة المدى المستمرة من جيل إلى جيل، و قد ساعد على استمرارها استثمار الأئمة الذين جاؤوا بعد الحسين عليه السلام لنتائجها، و توظيفها التوظيف الصحيح في تصحيح مسارات المسلمين و تعبئة صفوفهم جيلا بعد جيل لمواجهة الطغاة و الظالمين.

فكان من أهم نتائجها المباشرة أنَّها:

١. أسقطت شك فِئَة من أبناء الأمة الإسلامية في أهداف أهل البيت وهم في ميدان صراعهم مع بني أمية، إذ كانوا يعتقدون أنه مجرد صراع على كرسي الحكم، على الرغم مما صرح به الإمام في خطبه حول أهداف الصراع رافعاً شعار الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فقال في إحداها: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان و لا التماساً من فضول الخصام، و لكن لنري المعالم من دينك و نظهر الإصلاح في بلادك، و يأمن المظلومون من عبادك، و يُعْمَل بفرائضك و سننك و أحكامك، فإنكم إن لم تنصرونا و تنصفونا قوي الظلمة عليكم، و عملوا في إطفاء نور نبيكم»^(١) و نقلتهم نقلة نوعية من معسكر الأعداء أو الحاسدين المنافسين على السلطة إلى معسكر الحسين، و من أمثال هؤلاء زهير بن القين الذي تحول من معسكر الزبيريين إلى معسكر الحسين بعد أن لقيه الإمام في الطريق فأصر على لقائه و التحاور معه و إلقاء الحججة عليه، فما كان منه إلا أن طلق زوجته و ألقها بأهلها، ثم انضم إلى ركبته المتجه صوب كربلاء، و نال هناك

(١) تحف العقول عن آل الرسول / الحسن بن شعبة الحراني ص ١٧٢.

شرف الشهادة بعد أن كان قائلًا له يتجنب مواجهته، وكذلك الحر بن يزيد الرياحي الذي جمع على الحسين عليه السلام في الطريق، ومنعه من الوصول إلى الكوفة، وطالبه بالنزول على أمر بن زياد و البيعة ليزيد، ثم ما لبث أن كشفت له الحقيقة وغير اعتقاداته بعدما رأى من إنسانية الحسين ورحمته حين أمر صحبه بإتاحة الماء لجنوده، وترشيف خيولهم، مطبقًا تعاليم الإسلام السمحة يصون حقوق الإنسان و احترام إنسانيته حتى لو كان مناوئًا و عدوًا، في الوقت الذي أصدر فيه ابن زياد تعليماته للحر بمنع الحسين من الماء على الرغم من وجود النساء و الأطفال بصحبته.

و الحر لم يرَ مع الحسين جيشًا جرارًا باطشًا، بل رأى قلة من الأصحاب و البقية الباقية من شباب بني هاشم و النساء و الأطفال، فالحسين لم يأت بجيش جرارٍ ليغضب ملكًا، فلماذا جاء؟ جاء استجابة لدعوات أهل الكوفة المؤيدة لولايته و الراجبة بمبايعته، الشاكية من ظلم بني أمية و بطشهم، هكذا كان جواب الإمام للحر و قد عرض عليه كتبهم.

والحر رأى التزام الحسين عليه السلام بفروضه و طاعاته فلم يمنعه من ذلك وجود الأعداء حوله و ظروف السفر في جوٍ قائف حار، فلم يتمالك الحر من الصلاة مؤتمًا بأبي عبد الله، ليتتهي به المطاف مدافعًا عن الحسين و شهيدًا بين يديه.

٢. أيقظت الضمائر، و حركت العقول، و نبّهت الغافلين إلى خطورة تحاذلهم و تراخيهم عن نصره الحق، فعاش الناس في جو من الندم و تأنيب الضمير، خصوصًا بعد أن عمّ الظلم و الاضطهاد مكة و المدينة، فسفكت الدماء في المسجد الحرام و رميت الكعبة بالمنجنيق، و صالح الناس يزيد على أثم عبيد له، و استبيحت أعراضهم و أموالهم^(١)

و قتل عدد غير قليل منهم في واقعة الحرة الشهيرة. و بذلك تحقق ما حذر منه القرآن

(١) مروج الذهب / علي بن الحسين المسعودي ج٣ / ص ٨١ إلى ص ٨٤

و أهل البيت عليهم السلام.

و لئن نزلت بعض ألوان العقاب بأهل المدينتين المقدستين، إلا من رحم الله، لتقصيرهم بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ما استنكره الإمام الحسين عليهم، لكننا نستطيع القول أنّ الحسين عليه السلام و أهل بيته و أصحابه تحملوا أقصى درجات الابتلاء، من عطش و نصب و ذبح، ثمّ ترويع و اضطهاد و سبي للنساء و الأطفال، ما شكل قمة المأساة الإنسانية على يد طواغيت العصر ليدفعوا كل ذي لب إلى استنكار الظلم و التبرؤ من فاعليه.

٣. كانت مظلومية الحسين عليه السلام سبباً في تفجّر ثورات متلاحقة كثيرة بعد ما حررت النفوس و القلوب من حالتي الضعف و الخوف، كثورة التوابين التي انتقمت من قتلة الحسين و ثورة زيد بن علي، كما بعثت روح النضال و الجهاد في نفوس المظلومين و المستضعفين لمقاومة طغاة الأرض عبر العصور اللاحقة.

و على مستوى النتائج غير المباشرة:

اهتم الأئمة عليهم السلام جميعاً بمسألة التولي و التبري و لاسيما في ما يتعلق بمظلومية الإمام الحسين عليه السلام ليبقى رجم الطغاة بلعنات المؤمنين سنةً جارية عبر الأجيال فكّر سوا ذلك مقاطع من زيارة الحسين عليه السلام لأداء هذا الواجب مستخدمين مفردات اللعن لأعداء أهل البيت و البراءة منهم، بغية شحذ عواطف المؤمنين و إثارة تفاعلهم مع المأساة، جاء في زيارة عاشوراء المشهورة «فلعن الله أمة أسست أساس الظلم و الجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمةً دفعتكم عن مقامكم، و أزلتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله عليها، و لعن الله أمةً قتلتكم، و لعن الله الممهدين لهم بالتمكين من قتالكم، برئت إلى الله و إليكم منهم و من أشياعهم و أتباعهم و أوليائهم، يا أبا عبد الله إني سلمٌ لمن سالمكم و حربٌ لمن حاربكم إلى يوم القيامة»^(١).

وللتأكيد على أهمية هذه البراءة، و موقف المؤمن المنكر للظلم يتكرر اللعن و البراءة في

(١) مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي ص ٤٥٤.

مقاطع من الزيارة. و في زيارة الأربعين يبين نص الزيارة المخصوصة لهذه المناسبة أهداف جهاد الحسين من أمرٍ بالمعروف وإصلاح للأمة، مستحضرًا ما فعله أهل النفاق و الشقاق من جرائم في حقّه فيقول المعصوم في أحد مفاطعها «فأعذر في الدعاء، ومنح النصح، وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة، و حيرة الضلالة، و قد توازر عليه من غرته الدنيا، و باع حظه بالأرذل الأدنى و شرى آخرته بالثمن الأوكس و نغطرس و تردى في هواه، و أسخطك و أسخط نبيك و أطاع من عبادك أهل الشقاق و النفاق، و حملة الأوزار المستوجين النار، فجاهدهم فيك صابراً محتسباً حتى سفك في طاعتك دمه، و استبيح حريمه، اللهم فالعنهم لعناً وبيلاً، و عذبهم عذاباً أليماً»^(١).

ولهذا بقيت ثورة الحسين عليه السلام حاضرة في الوجدان الشعبي للأمة على مرّ العصور، لا بل قوّت من عزيمة المؤمنين و أمدتهم بالطاقة على انتظار العدل و القسط في الدولة الموعودة القادمة لأنّ الحسين بتضحيته مهد السبيل لقيام هذه الدولة، و متنّ قواعدها و زرع أمل الخلاص في النفوس، و بات الثأر للحسين و آبائه و أبنائه لإحقاق الحق أحد أهداف الظهور المبارك.

١. استطاعت الثورة الحسينية بالفعل أن تنقذ الإسلام من براثن الظالمين و تحصنه فتجعله عصياً على التهديم و التدمير. لقد اقترن الإسلام كنظرية دعا إليها القرآن بشخصيات آل البيت الذين جسدوها تطبيقاً حقيقياً قولاً و فعلاً، بعيداً عن التزييف و التحريف.

و في تطبيقه لتعاليم الإسلام الحنيف على طريق الشهادة أبرز الإمام الحسين عليه السلام جمال الحقّ و قوته و منعته أمام الباطل فلامس ما فطرت عليه النفس من عشق لهذه القيم، و كان مصداق ذلك ما قالته السيدة زينب عليها السلام حين سألتها ابن زياد ساخراً مستهزئاً متشفياً: كيف

رأيت صنع الله بأخيك الحسين، فقالت: «ما رأيت إلا جميلاً»^(١).

٢. لقد تعرض الإسلام على مر تاريخه لهجمات إرهابية شرسة حاولت تشويه صورته، والصقت به تهمًا مختلفة كالتطرف والإرهاب، والجهل، والانحراف الأخلاقي، وذلك لأن مدعي الإسلام المزيفين أسقطوا عليه باجتهاداتهم المنحرفة وبدعهم، كل ما يعانون من عيوب ويشعرون به من نقص، و ترجموا آيات الكتاب العزيز بما ينسجم مع أحلامهم المريضة وفكرهم القاصر.

لكن إسلام الحسين عليه السلام صورته ناصعة مشرقة لمن يتأملها، لا يشع منها إلا نور الرحمة الإلهية والرأفة والمحبة والنبيل الديني الإنساني، ولقد كانت كفيلة بمحو كل الملامح المظلمة من عيون إخوة التراب المنصفين.

٣. قال أمير المؤمنين عليه السلام يوماً لعامله على البصرة: «ألا وإن لكل مأموم إمامًا يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه»^(٢) وقال في موضع آخر من رسالته: «أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين، و لا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟»^(٣)

وكذلك الإمام الحسين كان إمام الشهداء على طريق الإصلاح الذي انتهجه، ورفع شعاره في معركة الطف، و استهدف به أمة جده في ظل فساد بني أمية، و أمة جده التي ستقدم بعده قوافل الشهداء تتراعى مذبحة الحرية والكرامة الإنسانية في كل مكان يضطهد فيه المسلمون على هذه البسيطة. لذلك وزن قضيته بميزان أليه أمير المؤمنين عليه السلام ولم يقنع من نفسه بالتوجيه و التحريض على نبذ الظلم البغي بأشكاله، بل أمّ الشهداء في زمانه و في كل زمان مستنهضاً عزيمة أنصاره مستصرخاً إياهم في أصلاب الرجال و أرحام النساء بجملته الشهيرة التي تبعث الحياة في القلوب الميتة: هيهات منا الذلة.

(١) الملهوف على قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس، تحقيق فارس تبريزيان ص ٢٠١

(٢) نهج البلاغة مختارات كلام الإمام علي عليه السلام / للشريف الرضي، تحقيق وتنسيق علي أنصاريان ج ٣ ص ٤٢٢.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٢٤.

الخلاصة:

فلتكن هذه الجملة الأخيرة «هيئات منا الذلة» هي الخلاصة.. إنَّ منهج الإصلاح الديني عند العترة الطاهرة عليهم السلام، وعند الإمام الحسين عليه السلام والقائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن طريق الثورة و التضحية بالنفس، رفع البشرية إلى أرقى حالاتها الإنسانية و ألبسها رداء العزة و الفخار، بعد أن استباح الظلم حرمتها و كشف سوأتها.

المصادر و المراجع:

٤. الاحتجاج / الشيخ أحمد بن علي الطبرسي . تحقيق الشيخ إبراهيم البهادري و الشيخ محمد هادي به، الطبعة الخامسة، طهران ١٤٢٤هـ .
٥. أصول الكافي / الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف - بيروت .
٦. الإمامة و قيادة المجتمع / السيد كاظم الحائري، قم المقدسة، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ .
٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار/ محمد باقر المجلسي، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة .
٨. البرهان في تفسير القرآن / السيد هاشم الحسيني البحراني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، الطبعة الأولى .
٩. تحف العقول عن آل الرسول / الشيخ علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، مؤسسة الأعلمي لبنان، الطبعة الخامسة ١٣٩١هـ - ١٩٧٤م .
١٠. صلح الإمام الحسن بين الواقع و ظلم التاريخ / يحيى عبد الحسن الدوخي
١١. في رحاب أئمة اهل البيت / السيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات - بيروت
١٢. فروع الكافي / محمد بن يعقوب الكليني، منشورات الفجر، بيروت .
١٣. القرآن الكريم .
١٤. كمال الدين و تمام النعمة / الشيخ علي بن محمد بن بابويه القمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
١٥. لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور، دار المعارف ٢٠١٦م .
١٦. مجمع البيان في تفسير القرآن / الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة،

طبعة ١٩٨٦.

١٧. المراجعات / عبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار المرتضى.
١٨. مروج الذهب و معادن الجوهر / الحسين بن علي المسعودي، تحقيق أمير مهنا، بيروت ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٩. مستدرک الوسائل و مستنبط المسائل / حسين تقي النوري، دار الخلافة، طهران.
٢٠. المسائل المُنتخبة - العبادات و المعاملات / السيد علي الحسيني السيستاني، مكتب سماحته، قم المقدسة مقابل بيمارستان فاطمي.
٢١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، تركيا ١٩٨٢.
٢٢. المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية.
٢٣. مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠١٤م.
٢٤. الملهوف على قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس، تحقيق فارس تبريزيان، دار الاسوة، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ.
٢٥. منتخب الأحكام / السيد علي الخامنئي، مؤسسة أهل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت.
٢٦. من وحي الثورة الحسينية / هاشم معروف الحسيني، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأولى ١٩٩٤م-١٤١٤هـ.
٢٧. نهج البلاغة / اختيارات الشريف الرضي من كلام الإمام علي عليه السلام، تحقيق علي أنصاريان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
٢٨. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة / الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث الإسلامي، طبعة ١٤١٤هـ.
٢٩. ميزان الحكمة / الشيخ محمد الريشهري، دار الحديث، الطبعة الأولى.

المحور الثالث

تحديات الحياة اليومية وصور معالجتها قرآنياً



البَيْتُ والدَّارُ والمسكنُ والمنزَلُ في القرآن الكريم
(دراسة في ضوء التماسك الاجتماعي)

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي

الكلية التربوية المفتوحة - النجف الأشرف

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة العلاقة بين المعاني المختلفة لألفاظ (البيت، والدار، والمسكن، والمنزل)، فحين نطالعها لأول وهلة نجد معانيها تقع على مسمى واحد؛ إذ تطلق هذه الألفاظ على المكان الذي ينتمي إليه الإنسان؛ إلا أننا حين نتمعن في سياق الآيات القرآنية الدقيقة نجد أن هنالك شبكة من العلاقات الرمزية في المدلول القرآني لكل لفظ و موضع، فقد جعل القرآن الكريم خصوصية لكل لفظ من الألفاظ ثم التطرق إلى علاقة كل تلك الألفاظ مع بعضها على وفق التماسك الاجتماعي فيما بين أفراد المجتمع، وتبين طاقة تلك الألفاظ المعنوية الكاشفة عن طبيعة العلاقات الاجتماعية على وفق ما ترتبط به من رمزية، ومن ذلك مصطلح (البيت)؛ إذ أُطلق هذا اللفظ في القرآن الكريم ليدل على: (الكعبة المشرفة، وآل البيت عليهم السلام، وزوجات النبي)، وهم ذوو الإصلاح الاجتماعي، وقد يدل على أو هن البيوت وأضعفها كمثل يُضرب به وهو (بيت العنكبوت)، وفي مقابل ذلك نجد ذكر قوة البيوت في القرآن الكريم، وذلك باتخاذ بيوت النحل التي تعدُّ (مهندسة معمارية) في رسم حدود بيتها واختيار شكله الهندسي المعيني؛ لاستثمار أكبر قدر من المساحة، وهو ما أكده علماء الهندسة والرياضيات، وقد يدل على استعمال قرآني خاص يرسم لنا صور أخلاقية تربوية لدخول البيوت وطلب الإذن، ومعاني هذه الألفاظ التي تجسد لنا الترابط والتلاحم فيما بين أفراد الأسرة الواحدة، ومن ثم بناء مجتمع متكامل يتحلى بأخلاق قرآنية رسمتها الشريعة السمحة بما جاء في القرآن الكريم وسنة نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في كل زمان.

الكلمات المفتاحية: البيت والدار والمسكن والمنزل، القرآن الكريم، التماسك

الاجتماعي

Third axis:

1-Summary: This research seeks to study the relationship between the different meanings of the words "home, dwelling, residence, and house" When we look at them at first sight, we find that all of them refer to one place, which is the place human beings belong to, but when we focus on the contexts of the Quranic verses, we find that there is a group of symbolic relations, in the Quranic meaning of each word and position, the Holy Quran has made a special meaning and privacy for each word of them, then mentioning all these words' relationship with each other in accordance with social cohesion, between the society's members, which demonstrates the powerful meaning in analyzing the social relations, according to their symbolism, starting with the word, "Home" (Al-bayet), that is mentioned In the Holy Quran, to express (Holy Ka'abaa, AhluAlbayet, Prophet's wives) which they are the social reformers in the society. It may refer to the weakest homes, as the example of (The spider's Home) on the other side, we have the Strongest homes in the Holy Quran as the (Bees' homes) which are considered (perfect Architects), in their homes demarcation, choosing perfect geometric shapes, to invest much space, which the geometrics and mathematicians had confirmed, it might also refer to Special Quranic use, draws moral & educational images, to take permission before entering houses, and theses word meanings that represent cohesion and deep-roots connections, between the family's members, then forming integrated community, act following Quranic morals, drawn by (pure Shari'ah), as stated in the Holy Quran, and prophet's Sunnah.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه (المنتجبين)، وبعد:

إنّ لعلم الاجتماع أهمية خاصة فهو يدرس الفرد وعلاقته مع الآخرين في المجتمعات؛ إذ يعيش الفرد في مكان أو مساحة من الأرض يسكنها الفرد مع أفراد أسرته فيبيت فيه ليلاً سواء أكان شكل البيت خيمة أم داراً أم كهفاً، فينشأ فيما بينهم تفاعل إنساني يتمثل بمشاعر واتجاهات وأفعال وعلاقات متبادلة، وهو (البيت) النواة الأولى لمنشأ الفرد، ومنه ينطلق إلى المجتمع.

وكان نشوء الإنسان رغبة إلهية في الاستخلاف لتربطه صلوات اجتماعية مع أبناء مجتمعه من بلاده أو موطنه أو غيرها، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١).

وكان للحضارة الإسلامية توجيه كبير في استقامة الحياة والتوجيه القرآني بما فيه من توجيه علمي وإسلامي، ومرتكز هذه الحضارة؛ بل الموجه لها هو القرآن الكريم والسنة النبوية وأهل البيت (سلام الله عليهم أجمعين).

ونجاح الأمم والدول يقوم على التطبيقات والنظريات العلمية التي انتهجتها في مجال الاجتماع، فكانت اهتماماتهم إنسانية - أخلاقية؛ ولذا نجد البيئة الغربية تعاني من أعباء الأمراض الاجتماعية وهو ما كشفته الدراسات والاحصاءات لتفكك الأسرة وضياع الأطفال وضياع التربية الأسرية الصالحة، وانتقلت عدواهم إلى الدول الإسلامية؛ لانبهارهم بالحضارة الغربية ومحاولة تطبيقها بكل ما فيها من إيجابيات وسلبيات، ومستقبله المرهون بضياع التربية الأخلاقية الفاعلة، ولذا جاء عنوان بحثنا هذا (البيت

و الدار و المسكن و المنزل في القرآن الكريم - دراسة في ضوء التماسك الاجتماعي) انطلاقاً من أصغر وحدة ينشأ فيها الإنسان، وهو بيته لينطلق إلى العالم الخارجي من مجتمعه ومن ثم المجتمعات الأخرى.

ويبقى للقرآن الكريم دور كبير في توضيح التقارب وتوثيق العلاقات بين أبناء المجتمع الواحد، فرسم في آياته العظيمة تربية دينية أخلاقية مشرفة، فجعل للبيت الواحد آداب وأخلاق وسلوك يلتزم به أبناؤه فيما بينهم ثم وضعها بوصفها آداباً يجب على الأفراد التحلي بها عند دخولهم لهذه المصطلحات.

المبحث الأول: لفظ (البيت):

تعددت المسميات التي رافقت هذا المصطلح فحملت دلالات ومعاني مختلفة، ومنها: بيتُ الشعر (في القصيدة)، وبيت الطاعة (للزوجة)، وبيت المال (ما يقوم مقام وزارة المالية حالياً)، وبيت المقدس (وهو المسجد الأقصى)، وبيت الطشت (وهو مقام في مسجد الكوفة)، وبيت الحكمة (يطلق على المراكز العلمية في عهد هارون الرشيد، ولا يزال شاخصاً إلى يومنا هذا)، وبيوت العلم (الأسر المعروفة برجالها)، وبيت النار (المكان الذي تشعل فيه النار كالفرن)، وقد يطلق على القبر، و ذكر القرآن الكريم: بيت الله وهو (الكعبة المشرفة)، وبيت النحل، وبيت العنكبوت؛ لدلالاتهما في تنوع التربية وقوة العلاقات الاجتماعية وضعف داخلها، وتكرر هذا اللفظ في (أربع و سبعين) موضعاً من القرآن الكريم^٢، وفي دلالاته اللغوية معاني المآب والمأوى والملجأ ولمّ الشمل.

وقد أشار ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) إلى أن أصوله واحدة فالباء والياء والتاء هو المأوى والمآب ومجمع الشمل، وجمعه بيتٌ وبيوتٌ وأبياتٌ، وبيت الشعر على التشبيه؛ لأنه مجمع للألفاظ والحروف مع الوزن^٣.

قال الشاعر:

و بيتٍ على ظَهْرِ المَطِيِّ بَنِيْتُهُ

بأَسْمَرَ مَشْقُوقِ الخِياشِيمِ يَرْعُفُ؛

و بيت الشَّعر ما زاد على طريقة واحدة يقع على الكبير والصغير، وهو مأوى الإنسان بالليل، وبات أقام بالليل، و قد يقال للمسكن بيتٌ من غير عد الليل فيه، و الأخصُّ جمعه على بيوت °.

يقول الكفوي (ت ١٠٩٤) معرِّفا البيت: «هو اسم لمسقف واحد له دهليز، و الدَّار: اسم لما اشتمل على بيوت و منازل و صحن غير مسقف»^٦
اسم لمسقف واحد و أصله من بيت الشَّعر أو الصَّوف سُمِّي به لأنه يبات فيه ثم أُسْتَعِيرَ لفرشه و هو معروف و جمعه ببيوتات يُختصُّ بالأشراف^٧.

و منه قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله: «سلمان منّا أهل البيت»^٨

و البيت هو المسكن، و فرش البيت: الكعبة و القبر، و بيت الله: المسجد، و بيت الرجل: امرأته و عياله^٩. و يصدق القول على كل ما اتخذ منه من حجر أو مدر أو صوف أو وبر؛ لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَ مِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَ مَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾^{١٠}

و هو مقام تعداد للنعم التي منحها الله للإنسان فجعلها واقية و مرفهة له، و منها: بيوت الحضارة و التمدن. و يقال في تعريفه أيضًا بأنه مكان يجعل له بناء و فسطاط يحيط به يعين مكانه فيجعل مقرًا يأوي إليه من الحر و البرد، قد يكون من حجر و طين، و قد يكون خشب و قصب فيكون له جدار و سقف و هي بيوت المدن و القرى، و قد يكون أديم مدبوغ فله قبة و ثياب تنسج من شعر أو وبر أو صوف و يسمّى خباء

أو خيمة تشبه الهرم، فيقام على عمود وشكله مخروط وهي بيوت الأعراب في البادية فتنتقل مع انتقالهم^{١١}.

و حين نتبع ورود لفظ البيت في القرآن الكريم نجده يقع على المعاني الآتية:

١ . بيتُ الله:

بيتُ الله هو (الكعبة المشرفة، و مكة، و بكة، و قد تكون (المسجد)، جاء بالفاظ عديدة في الاستعمال القرآني، و لكل لفظ معناه الخاص و دلالة المميزة، و يقع على مدلول واحد مهما اختلفت أوصافه فيقال: (البيت العتيق، البيت المعمور، البيت المحرم أو الحرام)، و كما يسمى أهل مكة أهلُ الله، الحجاج زوّار الله، فالكعبة بيتُ الله فجعل مثابة للناس و قبلة لسيدنا آدم و خاتم الأنبياء^{١٢}.

قال زهير:

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ

رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَ جَرَاهِمِ^{١٣}.

فأقسم بالكعبة التي طاف حولها جرهم (قبيلة تزوج بها إسماعيل) غلبوا على مكة و الحرم بعد وفاته، ثم استولى بعدهم جرهم خزاعة إلى أن عادت لقريش^{١٤}.

ونجد أن بناء البيت الحرام كان مرتبطاً بسيدنا إبراهيم عليه السلام في أكثر من موضع فنجد في ذكره عبارات ارتبطت معه و منها: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^{١٥}، و قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَانخَدُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعِهدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^{١٦}، ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^{١٧}، ﴿إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^{١٨}

جاء الإخبار بالفعل المضارع، و فيه استمرار لفعل الرفع (يرفع) للقواعد التي تعني

الأساس والأصل لما فوقه زيادة، ويمكن أن تكون الجدران كالأركان فالقاعدة صفة غالبية، و معناها الثابتة، وقام إبراهيم برفع الأساس بالبناء عليها، فرفعها، و قد تكون القواعد موجودة ولكنها مهدمة، وإبراهيم عليه السلام عمرها وبنائها، أو قد تكون منخفضة فارتفعت، وقد يكون البيت موجوداً قبل سيدنا إبراهيم مع الدعاء.

إنَّ عطف إسماعيل على إبراهيم عليه السلام هو بلحاظ المشاركة في الرفع، ومما قيل: إن إسماعيل كان صغيراً في ذلك الوقت، و في الوقف بكلمة (البيت) معنى آخر، وفيه رواية أنَّ إسماعيل قد عطش فلم يجد ماءً فناده جبريل وفحص الأرض فنبتت زمزم، ثم عطف بـ(إسماعيل) لمشاركته له في الدعاء وليس البناء وهو ما ضعفه الرازي، ويكون في إسناد الرفع لإبراهيم مجاز عقلي فهو سبب الرفع بدعائه^{١٩}.

و حين كُلف سيدنا إبراهيم عليه السلام بالإمامة كانت مهمته الثانية تطهير البيت، والبيت هو البيت الحرام، و اكتفى بذكر لفظ (البيت) مطلقاً لدخول الألف واللام عليه؛ لتعريف الجنس أو المعهود، وقيل: لم يرد به الجنس فانصرف الأمر إلى المعهود عندهم وهو الكعبة، وربما لم يكن المقصود به الكعبة؛ لأنه عطف بـ(أمننا) وهي صفة جميع الحرم لا صفة الكعبة؛ لأنه لا يذبح في الكعبة نفسها وإنما الحرم كله، فأطلق لفظ (البيت) وأراد (الحرم كله) حرمة الحرم كانت معلقة بالبيت جاز أن يعبر باسم البيت، ثم مجيء لفظ (مثابة)، ﴿وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس﴾ ويعني العود مرة أخرى، وقوله ﴿والتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾، وهو موضع الحرم كله للدعاء^{٢٠}.

ويتضح حسن التربية والاشراك في البناء، وظهر ذلك في إشراك إبراهيم لبناء البيت مع ولده في رفع القواعد التي هي (مقام إبراهيم عليه السلام) حالياً، زيادة على ذلك مرافقة الدعاء بالقبول، والجرس الصوتي في لفظ (البيت) الذي يوحى بالاطمئنان؛ لذلك أُطلق على الكعبة.

٢. بكة:

أُطلق لفظ (بكة) على مكة المكرمة، للتقارب الصوتي بينهما، فالباء والميم متقاربان في المخرج. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^{٢١} فضيلة للكعبة وحرمتها، والتأكيد بالحرف (إن)، و بكّة هي مكة بإبدال الميم بء، فالبك هو دفع بعضهم بعضا، وهو الزحام وقد يكون من التباك، وقد يكون من البك؛ لأنها تبك أعناق الجبابرة ممن يريدونها بسوء، أو قد تمك الذنوب: تزيلها، و قيل: مكة وسط الأرض أو كل البلد، و بكة اسم للمسجد خاصة، و هو اسم بمعنى البلدة وضعه إبراهيم عليه السلام علما على المكان، و روي عن إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام سأله رجلا: أهو أول بيت؟ قال: «لا، قد كان قبله بيوت، و لكنه أول بيتٍ وُضع للناس مباركا و هدى»^{٢٢}

في هذه الآية فريدة و هو أنّ (أول بيت وضع للناس جميعا) لا يختص بأحد؛ و إنما يشمل كل الناس، و هذا لا يكون إلا إذا كان البيت موزعا للعبادة و الطاعة و قبلة للصلاة و موزعا للحج، و علينا أن نفسّر المقصود ب(أول): الابتداء و أول بيت للعبادات، في البناء و الوضع، و الكعبة كانت موجودة في زمان سيدنا آدم عليه السلام، و بكّة: هي مكة، و أُختلِفَ فيها: فقيل: من البك دفع بعض ببعض، و تبك القوم تراحموا أو تبك أعناق الجبابرة فلا يريدونها جبار بسوء^{٢٣}.

٣. البيت العتيق:

يقصد ب(العتيق): القديم وخلق الله قبل خلق السماء و الأرض، و أعتقه من الغرق فرفعه إلى السماء، و قيل: سمي عتيقا؛ لأنه أعتق من أن تملكه الجبابرة عن آدم، أو لأنه أول بيت بني، و حدّده إبراهيم عليه السلام فأعتق من الغرق فغرقت الأرض كلّها إلا هو. وقد أمر الله (سبحانه و تعالى) بالطواف حوله^{٢٤}.

٤ . بيتي :

و جاء لفظ البيت متصلًا بـ(ياء المتكلم) التي ترجع إلى الذات الإلهية في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^{٢٥} فقد اختصه الله (سبحانه و تعالى) بـياء المتكلم، فنسبه إليه فهو لي لكن منفعته لكم ليكون قبلة^{٢٦}. فالعهد كان لـ (إبراهيم وإسماعيل) بتطهيره من الأوثان والأدناس وقيل: من الدماء والفرث والأفذار التي ترمى حوله ويلطخ بها البيت أن ذبحوا^{٢٧}.

وأمر في موضع آخر من إبراهيم عليه السلام تطهير البيت لـ (الطائفين والقائمين والركع السُّجُود)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^{٢٨}

بِوَأْنَا: وطأنا له، فكشف حول البيت وعلامته سحابة تطوقت حول الكعبة فبنى ظلها، فجعلنا له منزلا يرجع إليه، فكان البيت مهياً بالبناء للبيتوتة و جعل البيت الحرام على الصورة هذه، فطهر للطائفين حوله و (القائمين): في الصلاة و قال عطاء: الطائفين للذي يطوف، و العكف للقاعد، و الركع السُّجُود للمصلين^{٢٩}، و قد يكون دعاء من قبل سيدنا نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^{٣٠}. فقد يكون بيته أو سفينته أو مسجده^{٣١}.

٥ . بيوت النبي أو آل النبي صلى الله عليه وآله:

جاء ذكر بيت النبي في أكثر من موضع في القرآن الكريم، إذ ورد مضافاً إليه ناهياً عن دخول بيته بغير إذنه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمُ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُم

وَهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذُلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذُلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٣٢﴾

و فيه بيان لأثر التأديب في القرآن الكريم؛ إذ رسم لنا آداب لدخول البيت وأوقاته^{٣٣}

٦. المساجد:

ورد ذكر المساجد بلفظ (بيوت) الجمع و ليس المفرد، فمساجد المسلمين مصاييح، وقيل: بيت المقدس وقيل: صوامع الرهبان و أديرتهم كما في قوله تعالى: ﴿فِي بِيُوتِ أِذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^{٣٤}

و جاء عن ابن عباس والحسن ومجاهد، فيما ذهب غيرهم إلى إنَّها سائر البيوت، و نرجح أنها المساجد بدليلين؛ أولهما: ورود لفظ (أذن الله أن ترفع) فهي موضع للتعظيم و الصلوات، و ثانيهما لفظ (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) يصلي فيها بالغداة والعشي، و كل تسييح في القرآن هو الصلاة^{٣٥}.

٧. بيت النحل:

بيتٌ ذُكر في القرآن الكريم وانماز عن بقية البيوت بأنَّه (رائعة معمارية) انمازت باكتمال مرتكزات البيوت من حيث (البناء، و التربية، و الأهداف)، فأصبح مثالا يضرب به لوجود مقومات البيت الأصلية فالنحل اسم جنس جمعي، وهو الذباب يتميز بامتلاكه أربعة أجنحة و بطنه بلون أسمر إلى أحمر، و خرطومه شوكة دقيقة يلسع بها فتسم سُمًّا غير قوي، و قد ورد ذكر بيوت النحل في موضع واحد من القرآن الكريم، فالنحلة هي مهندسة معمارية، و بيتها محكم وكأنَّ الباني له مهندس محترف في شكله، ولسائل أن يسأل حين النظر لهذا البيت لِمَ بُنِيَ بشكله السداسي؟

و الجواب عنه يكون بأن الملاحظ في خلايا النحل ترتيبها العجيب بشكل سداسي، و الذي يعدّه علماء الهندسة و الرياضيات من الأشكال الهندسية المميزة التي توفر

أقصر محيط بين الأشكال الهندسية؛ ليتيح لها استثمار المساحة فلا فواصل بينها داخل الخلية الواحدة، و لتجمع أكبر مخزون من العسل بعكس الأشكال الهندسية الأخرى كالدائري والمثلث و المربع فتشغل هذه العيون أكبر فراغ من القرص الواحد^{٣٦}.

زيادة على ذلك ففي عسلها الذي تنتجه تنتج عسلا خفيفا و متينا، و بذلك تعدُّ النحلة ذو ذكاء و فطنة و امتازت عن بقية أنواع الحشرات الأخرى، ففي بناء بيتها تكون كالمهندس إذ تبدأ من ثلاثة إلى أربعة جوانب، ثم تصل إلى نقطة تمرکز البيت كله و هو وسط الخلية، ويمثل مركز القرص فأمرها الله (سبحانه و تعالى) بأن تتخذ (من الجبال و الشجر و مما يعرشون) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^{٣٧} فالموحى إليه يتعدى الفعل إليه بحرف الجر (إلى) إذا كان من الأحياء^{٣٨}.

فالوحي هو الإلهام وهو في كلام العرب على وجوه: و منه: وحي النبوة و وحي الإشارة والأسرار، و جاء بلفظ (النحل) مجموعاً و لم يرد مفرداً، و خاطبها بخطاب المؤنث (اتخذي، كلي، اسلكي)؛ لأن الإناث هي من تصنع الغذاء، فتتخذ منازل و اذكار بيوتاً لها في الجبال و في الشجر، و تأكل من الثمرات؛ لتصنع الغذاء^{٣٩}. فيما ذهب الراغب إلى أن الوحي هو الإشارة السريعة إما بالكلام و تكون بالرمز، أو بالصوت أو بالإشارة و الكناية و الكلمة الإلهية التي تُلقى للأنبياء وحي برسول مشاهد أو سماع كلام من غير معاينة، كسماع سيدنا موسى لكلام الله أو بإلقاء في الروع أو إلهام أو تسخير كالإيحاء إلى النحل^{٤٠}.

أمّا البيضاوي فلم يقل بتسمية البيت إلى النحل وإنما ذهب أنها تتعسل فيه و تشبيهه ببناء الإنسان؛ لما فيه من حسن الصنعة و القسمة، فلا يقوى المهندسون عليه إلا بالآلات دقيقة، فرجح أن الله سبحانه و تعالى هو الذي صنع و ليس فعل النحل^{٤١}.

هذا الوحي الرباني لعملها داخل الخلية الواحدة؛ لأنَّ عمل العسل وصناعته مختص بالإناث فقط، وهو بيت في غاية الإتقان محكم في رصانته فلا خلل فيه، وجعل بيتها واحد من ثلاثة أنواع (الجبال، والأشجار، والعريش)، قال ابن العربي: «ومن عجيب ما خلق الله في النحل أن ألهمها لاتخاذ بيوتها مُسَدَّسَة، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة، وذلك أن الأشكال من المُثلث إلى المُعشَّر إذا جُمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل و جاءت بينهما فرجٌ إلا الشكل المُسَدَّس»^{٤٢}.

ومن نتاج هذا البيت المحكم في بنائه، و تماسكه الأُسري المنظم نتاجه العسل، وهو غذاء أهل الجنة الذي ورد ذكره مرة واحدة في القرآن الكريم قال تعالى:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾^{٤٣}

والموضع يساوي عدد مرات ذكر النحلة وهو موضع واحد، وهو مقام تعداد نعم الجنة التي وعدها الله (سبحانه و تعالى) للمتقين فلهم فيها (ماء غير آسن، وأنهار من لبن و خمر، و عسل مصفى) فالمياه و الأنهار مختلفة عن الدنيا.

٨. بيت العنكبوت:

سُمِّي بيت العنكبوت بيتاً و الأصل فيه خيوط تنسجها العنكبوت؛ لشبهه بالخِيمة بكونه منسوجاً من خيوط ومشدوداً من أطرافه^{٤٤}.

و العنكب بلغة أهل اليمن العنكبوه والعنكبا، وعناكب جمعه، دويبة تنسج نسجا بين الهواء وعلى رأس البئر وغيرها، رقيقاً متهلهاً^{٤٥}، ونجد في بيته الوهن على العكس من بيت النحل، و جاء ذكر هذا البيت في موضع واحد من القرآن الكريم مشبهاً به لمن يعبد غير الله من ديانات فهي بعيدة عن الخير لقوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِئْسَ مَثَلُ الْعَنْكَبُوتِ لِمَنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^{٤٦}

و فيه تمثيل لحال لمن اتخذ أولياء من دون الله، و لمن أشرك مثل اتخاذه باتخاذ العنكبوت بيتاً لا يجيره، فالبيت له (حائط و سقف و باب) و أمور ينتفع بها، و عند انعدام الحائط الذي يمنع من البرد، و السقف الذي يدفع عن الحر فهو كالبيداء ليس بيت فحاله حال المعبود الذي لا يؤمن، و نسج العنكبوت لاصطياد الذباب، فإن هبت ريح أو مرت أشعة الشمس فيه، وهو مثل لمن (اتخذ من دون الله أولياء)^{٤٧}.

والتشبيه تمثيلي بديع، ووجه الشبه بينهما في الغرور عدم غناءهم عن اتخاذها وقت الحاجة فتزول بأقل تحريك، و نفعهم ضعيف وهو سكن قليل، سُمِّيَ بآنه من مبتكرات القرآن^{٤٨}.

وورد هذا اللفظ مرة واحدة في نهج البلاغة، منها قول الإمام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة و ليس بأهل لذلك: «وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوَضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ عَادٍ [غَادِرٌ] فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمَّ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ، قَدْ سَمَاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا، وَكَيْسَ بِهِ بَكَرٌ فَاسْتَكْتَرَ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ مَاءِ آجِنٍ وَارْتَنَزَ اكْتَشَرَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشَوًا رَثًا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ فَهُوَ مِنْ لِبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مَثَلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ جَاهِلٌ»^{٤٩}. لفظ (قمش) استعارة مكنية، مكنى بها عن اجتماع الأمور المجهولة في ذهنه، وهو معقول بالمتاع وهو محسوس، ووجه الشبه اشتراكهما في صلاحية الجمع وهو معقول^{٥٠}.

ووجه تمثيله أن الشبهات إذا قصدت حل قضية تكثر فيلبس على ذهنه وجه الحق

منها فلا يهتدي لضعف ذهنه، فتشبه نسج العنكبوت، وذهنه ذهن الذباب الواقع فيه لا يقوى على التخلص من الشبهات^{٥١}.

وهي استعارة مكنية مكنى بها عن اجتماع الأمور المجهولة في ذهنه فشبه الجهل وهو معقول بالمتاع وهو محسوس، ووجه شبههما الاشتراك في صلاحية الجمع وهو معقول، و العنكبوت تشبيه للهيئة المعقولة الحاصلة من وقوع ذهنه في حل الشبهات التي ترد عليه بالهيئة المحسوسة الحاصلة من وقوع الذباب في نسج العنكبوت، ووجه الشبه ذهن الرجل الموصوف لا يقدر على حل الشبهات التي ترد عليه ولا يهتدي إلى وجه الحق؛ لقله علمه وضعفه عن المعرفة باستنباط المشكلات، فالذباب ضعيف لا يتمكن من الخلاص من شبك العنكبوت، وفيه تشبيه للشبهات بنسج العنكبوت ووجه الشبه (اشتراكهما في الوهن الحاصل)^{٥٢}.

والعنكبوت من صنف الحشرات المعروفة، ذكورها أصغر من الإناث جسداً، تتغذى من الحشرات التي تصطادها فتصنع شبكة من مادة تفرزها فيها لزوجها فيصبح خيطاً لملامسته الهواء فتصطاد فريستها و تنفث سمًا يقيد حركتها، ومع صنعها هذا البيت فهو من أوهن البيوت ولا يصدق عليه عنوان البيت، ومن الجدير بالذكر أنّ الأنثى بعد الاخصاب تقتل الذكر وتقضي عليه وأولادها يقتل بعضهم بعضاً ففي بنائه ضعف داخلي في بنيته، وضعيف في بنيته الاجتماعية فهو وهن معنوي لا مادي؛ لخلوه من المودة والتلاحم بين الأفراد.

والآية في سياق ضرب الأمثال من الأمم التي اتخذت الأصنام كالعنكبوت التي تتخذ بيتاً فتحسبه تعتصم به من العدو، وهو بأضعف تحريك يسقط ويتمزق، والمقصود به (مشركو قريش)، وقوله (اتخذت بيتاً) حال في قيد التشبيه فهم أشبهوا العنكبوت في عدم نفعهم من السكنى فتوهموا بأن أصنامهم ينتفع بها، وهو كما يقول ابن عاشور: «تمثيل بديع من مبتكرات القرآن»^{٥٣}.

وسارت الآية مسار الأمثال تضرب لقللة جدوى الشيء ووهن بيت العنكبوت، فلا جهل بها والضعف فيها من معاني المودة والرحمة، وهو حال لمجتمعاتنا الحالية التي تعاني من الضعف في الترابط الأسري بين أفرادها؛ فبيت العنكبوت هو بيت اجتماعي فهو ضعف في ترابطه وتماسكه الأسري فخيوطه قوية متماسكة، وهو إعجاز قرآني تقف أمامه العقول متحيرة. وقد ذكره في أشعار العرب ومنه قول الأحنف العكبري^{٥٤}: من البسيط:

العنكبوت بنى بيتاً على وهن

تأوي إليه و مالي مثله وطن

وفي عصرنا الحاضر استعمل هذا المصطلح كشبكة، وليس بيت فيشار به إلى الشبكة العالمية العنكبوتية، وقيل إنه مصطلح أُطلق على الشبكات المهجورة.

٩. أهل بيت:

يعني به ساكني البيت، فقد يقصد به نساء النبي أو امرأة نبي أو وصي أو أهل بيت النبوة والإمامة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^{٥٥}.

فقد أدبهن الله وأوعدهن بتضعيف العذاب فالرجس يزول عيناً ولا يطهر المحل، فترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله: «ليذهب عنكم الرجس» ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم، واختلف في أهل بيته ورجالهم: فقليل هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم^{٥٦}.

وأهل البيت عليهم السلام هم أساس الإصلاح الاجتماعي، فهم خلفاء الله في الأرض، وبنورهم نستمد الدروس الأخلاقية، ومن جدهم تبع أصول السنة النبوية الطاهرة،

وأهل البيت هم الركب للعشق الإلهي فقد حققوا البناء النفسي والإنساني للمجتمع في كل العصور، ويكفي في فخرهم أن أمهم الزهراء كانت سليلة المجد المحمدي، ولم يكن لوجودهم مصدر للتشريع فحسب؛ بل مسار كامل لمجتمع قائم ومبادئهم منبع أول لمصدر التشريع وهو (القرآن الكريم)؛ ولم يكن دورهم الديني بمنأى عن الدور التربوي والأخلاقي لتنمية الفرد في خلق الإنسان في أحسن تقويم، وفي حكاية الملائكة لامرأة إبراهيم عليه السلام تعجبت من ولادتها بعد الكبر في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ - رَحِمَتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ - إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ ٥٧ فجاء الإخبار بالدعاء لهم وتذكير بنعمة الله، وفي قوله (أهل البيت) زوجة الرجل تكون من أهل بيته ٥٨.

وقد يعني به سيدنا موسى عليه السلام حين رُبي في بيت فرعون وكان يذبح الأبناء، قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ٥٩.

فهم يضمنونه برضاعه، والقيام عليه، فتحريم المراضع له تكويني لا تشريعي فلم يقبل بأي مرضعة غير أمه فقالت أخته (هل أدلكم على أهل بيت) فجاءت بأمه فقبل رضاعته ٦٠

يتبين لنا مما تقدم أن القرآن الكريم رسم لنا خارطة متوجة بأداب وأخلاق تتحلى بها البيوت فأعطى الجانب الاجتماعي أهمية كبيرة عبر دخول البيوت من أبوابها وليس ظهورها، طلب الدخول بالاستئذان والسلام وإلقاء التحية وإن لم يوجد أحد فيه فنهى عن الدخول وإن نهي بالرجوع، وقد طلب الله من نبينا موسى عليه السلام أن يجعل بيوته قبلة، وقد سمى الله ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وآله بأهل البيت، وقد سميت سفينة سيدنا نوح عليه السلام، وطلبت زوجة فرعون أن يبنى لها بيتا في الجنة.

المبحث الثاني: لفظ (الدار)

لفظ أطلق على كل ما يشغل البناء والساحة، وجاء في حياتنا اليومية؛ ليقع على معان عديدة، ومنها (دار الإسلام)، و دار السلام (بغداد)، و دار الإمارة (مكان السلطة الحاكمة لأمير المؤمنين في الكوفة)، و دار الطباعة أو النشر، و دار القضاء، و دار العهد، و دار الحرب، و دار المسنين (لرعاية كبار العمر)، و دار الثقافة، و قد جاء هذا اللفظ وصفاً للحياة الآخرة بأوصاف معينة في أغلبها المدح والتعظيم لسبقها بألفاظ معينة، و منها: (دار خير، و عقبى الدار، و نعم عقبى الدار، و دار المتقين، و دار القرار، و ذكرى الدار، و دار المقامة، و دار الخلد، و الحيوان) و بخلافها الدار الدنيا التي وُصفت بأنها: (دار الفاسقين، و عاقبة الدار، و دار البوار، و سوء الدار، و منه (الدير) مكان عبادة النصارى.

وقد تكرر هذا اللفظ في (واحد وخمسين) موضعاً من القرآن الكريم^{٦١}، وهي كل موضع حلّ به قوم، واسم جامع للعرصة والبناء والمحلة، وجاءت الهمزة؛ لأنّ الألف التي كانت في دار صارت في (أفعل) في موضع تحرك، فألقي عليها الصّرف بعينها وبم تردّ إلى أصلها فانهزمت، وفي أصوله دلالة على إحداق الشيء بالشيء من حواليه ففي الدال والواو والراء أصل واحد إذ تطلق على الدهر؛ لأنّه يدور بالناس، أو على القبيلة^{٦٢}، وهي المنزل؛ لأنّها تدور بحيطانها، والدنيا دار، والدار هي الدنيا أو الآخرة^{٦٣}.

وأصل الألف فيها واو، و تجمع على ديار و دور^{٦٤} فهي دار؛ لأنّها تصرّف وتنتقل و تتقلّب بأهلها من حال إلى حال، فتتبدّل صحّتها بالسقم، وشبابها بالهرم، وغناها بالفقر، وفرحها بالترح، و سرورها بالحزن، و عزّها بالدّل، و أمنها بالخوف^{٦٥}.

إنّ الدار لها أبعاد و انعكاسات في حياة الفرد؛ و على سبيل المثال لا الحصر منها ما يختص بالفرد ومنها ما يختص بحياة الأسرة بأكملها، وما بعد ذلك من مكونات

وجامعات ومجمع فالفرد بمميزاته القومية والمذهبية، فالدار أم لما يمثله مكان الفرد و نجد أنها (دار دنيا و دار آخرة)، ونجد الخطاب القرآني يؤكد على الدار الآخرة فهي دار مقر ومقام وجاء وصفه في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^{٦٦}.

والأسلوب هنا حصر؛ فالسلام هي دار الله كما قيل للكعبة بيت الله، وهي صفة للدار أيضًا فسميت الجنة بهذا الاسم؛ لأن جميع أنواع السلامة حاصلة فيها. وفي هذه الآية تكريم كبير فإضافة الدار إلى الذات الإلهية هو تشریف و تقدير و إعزاز^{٦٧}.

ووصفت بأنها عقبى الدار أيضًا لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾^{٦٨}.

وبفعل المدح (نعم) في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ قَالَُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾^{٦٩}.

وهي (خير) للمتقين في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^{٧٠}.

والاستفهام في قوله - تعالى - أَفَلَا تَعْقِلُونَ للحث على التدبر والتفكر والموازنة بين اللذات العاجلة الفانية التي تكون في الدنيا، وبين النعيم الدائم الباقي الذي يكون في الآخرة. و لدوام الآخرة وخلوص منافعها فهي خير للمتقين^{٧١}. وهي عاقبة المؤمنين الصالحين المتقين لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^{٧٢} إِنَّ العلاقات الإنسانية في المجتمع تنظر إلى فناء الدار الدنيا، فالإنسان بوصفه فردًا ومجتمعًا يجب أن يكون بمنظوره أعمال خير مستدامة ومثمرة؛ ليحظى بمكانته المتميزة في الدار الآخرة.

وهذا ما أكده إمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام في نهجه بأوصافه المتعددة المقاربة للمعنى القرآني ووردت في سياق خطب الإمام عليه السلام بأئها: (دارُ فناءٍ وعناءٍ، دارُ شخوصٍ، دارُ حربٍ و سلبٍ، دارُ بليةٍ، دارُ ممرٍ لا مقرٍ، دارها هانت على ربها، غدارةٌ غرارةٌ خدوعٍ، دارُ دولٍ)، وهذه الصفات السلبية تقابلها صفات إيجابية وهي: (دارُ صدقٍ لمن صدَّقها، و دارُ عافيةٍ لمن اتعظ بها، و مُصَلَّى ملائكة الله، و مَهَبَطٌ وحي الله) ^{٧٣}، ففيها العبر و المواعظ، و السلام، و الغنى في الآخرة، و مكان الأولياء، و العبادة، و التجارة بالأعمال الصالحة، و وصفت بأئها دار فتنة و حساب، و هي (دار مجاز) و دارٌ لا رحمة فيها.

المبحث الثالث: لفظ (المسكن):

أطلق لفظ المسكن في القرآن الكريم؛ ليدل على (البيت، الليل، الزوجة، دعاء) وهو لفظ مشتق من (السكينة) هذا اللفظ في (٤٣) موضعا من القرآن الكريم ^{٧٤}. ودل على معانٍ كثيرة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١. مسكن آدم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ^{٧٥}، وهو أمر تقرير أي ابق في الجنة وإن كان خارجاً منها و نلاحظ التناسب بين الآيتين في البقرة والأعراف (رغداً) مدح للممتن أو دعاء لآدم للتفنن في أساليب الحكاية وتنشيط السامع، وجاء تكريم سيدنا (آدم عليه السلام) بفعل الأمر (اسكن) في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ^{٧٦} كان النداء قبل أمره بالسكن، و فعل الأمر هنا «مستعمل في الامتنان بالتمكين والتحويل و ليس أمراً له بأن يسعى بنفسه لسكنى الجنة إذ لا قدرة له على ذلك السعي» ^{٧٧}، و لم يرد اسم زوج آدم في القرآن؛ لكن العرب اسمتها حواء فقد جاء في الحديث: «الناس لآدم وحواء كطفٌ لصاع لن يملأوه» ^{٧٨}.

و السُّكْنَى اتخذ المكان مقرًا لغالب أحوال الإنسان، وأمر بأن يسكن (الجنة) واختلف في هذه الجنة؛ ولكن الأرجح أنّها الجنة المعدودة جزاء للمتقين والمحسنين^{٧٩}.

٢. الليل:

و قد يذكر لفظ (الشمس والقمر) فجعلهما سكنًا وأمانًا. إذ بدونهما يختل بناء الأرض. إذ بدونهما يختل بناء الأرض.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^{٨٠}.

إنّ مجيء الاستدلال بخلق الليل والنهار هو خلق نظام متكامل ففي النهار نور يتناسب مع حركات الناس و حاجاتهم إليه، والليل ظلمة تغشاه متناسب مع السكون والراحة من التعب، ففي السكون عدم إبصار و في النهار إبصار مجازي؛ للمبالغة في حصوله (أي: إنّ الناس تبصر فيه)، وهو مناسب للامتنان مناسب مع تعليل خلق الليل بعله سكون الناس وخلق النهار بعله إبصار الناس، فنعمة الراحة في سكون الليل ونعمة الإبصار مع النهار^{٨١}.

ويؤيد الآية السابقة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ. وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^{٨٢}.

٣. مسكن النمل:

ورد ذكر هذا المسكن في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَا لَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنِكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^{٨٣}، والنمل: اسم جنس لحشرات صغيرة تسكن شقوق الأرض واحده نملة، وتعني واحدة من جنسه^{٨٤}؛ بينما ذهب الزمخشري إلى أنّ التاء فيها دلالة على التأنيث كالحمامة

والشّاة، وفيه إشارة واضحة بأن بيوت النمل هي مساكن، وليست بيوت يستعملها النمل لحزن الطعام، وفي الآية حذف، إذ التقدير: حتى قالت نملة حين أتوا على واد النمل، وواد النمل يراد به الجنس فله شقوق ومسالك هي إليه كالأودية للساكين، وقد يكون مكان يشتهر به النمل كما هو الحال في وادي السباع بين البصرة و مكة، وهو حكاية بالمعنى ففي قولها: (لا يحطمنكم سليمان) فالتحطيم هو كسر الشيء الصلب واستعير للرفس للإهلاك، (فإن تدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم)، وهنا ضرب للمثل لنبيه سليمان بأن أوحى إليه من دلالة نملة، وهو سر بينه وبين الله جعله شاكر الله ^{٨٥}.

٤ . المساكن الهالكة:

وقد يقصد بها هلاك الأقسام التي بطرت معيشتها للإنكار والتوبيخ كقوله تعالى:

﴿تَلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ ^{٨٦} **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**

والآية في سياق عاقبة أقوام اذ سبقت بإسناد المكر إلى الله و هو مكر مجازي باستئصالهم قبل أن يبيتوا لصالح و أهله، واستعمال اسم الإشارة (تلك) إلى مساكنهم غير المشاهدة؛ لأنها لو كانت مشاهدة لكانت تقوم مقام حضورها؛ فديار ثمود معلومة لقريش في طريق مسارهم إلى الشام، وفي (خاوية) دلالة إضافية إلى أنها خالية فيوتهم في الجبال من دون ساكن ^{٨٧}.

وما منح للآية قوة صيرورتها للمساكن منزلة الحاضر بمرأى المسمع، والسكنى: الحُلُول في البيت في أوقات معروفة بقصد الاستمرار زمنًا طويلاً، ولم تسكن من بعدهم أي: لم يتركوا فيها خلفاً لهم، و كناية عن انقراضهم فأقاموا سكناً قليلاً من دون إطالة.

٥ . الزوجة:

من أسماء الزّوجة (السّكن) فالسكن للزوجة بالطبع حتى لا يحصل اضطراب وتنافر و شقاق و طلاق و تنافر فالدين و الخلق و الأمانة بينهما واضح فيما سيقمّانه

من بناء إصلاحي اجتماعي لقوله تعالى: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^{٨٨}.

وواضح في الآيتين الكريمتين المهام المترتبة على هذا السَّكْن، وهي تقوى الله والأمانة لخلق (الاحترام و الثقة المتبادلة بين الطرفين) فيأوي الإنسان لمن يمنحه ذلك، ولفظ (الزوج) يقصد به الذكر والأنثى، وإن خلت الحياة الزوجية من ذلك السَّكْن سيصبح خطراً يهدد الحياة، فلوراعى أفراد مجتمعاتنا هذه الأمور في بيوتها لغمرت السكينة والهناء المجتمعات والمحاكم والزواج ضرورة لاستمرار المجتمعات، وأبسط مثال يتخذ أنموذجاً بيت سيدتنا الزهراء عليها السلام الذي أساسه المودة والرحمة بينها وبين أمير المؤمنين عليه السلام.

٦. السَّكْن هو الدعاء:

وهو سكون النفس وسلامتها من الخوف في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^{٨٩}.

فصلاتك سَكَنٌ لهم وهو تليل للأمر بالصلاة عليهم فدعاؤه سبب للسكن لهم، واطلاق السَّكْن (مجاز مرسل) ولفظ (صلاتك) بصيغة المفرد؛ لأنَّ المقصود جنس الصلاة^{٩٠}.

المبحث الرابع: لفظ (المنزل):

و المنزل اسم لما يشتمل على بيوت، و صحن مسقف و مطبخ يسكنه الرجل بعياله، وقد تكرر هذا اللفظ في أكثر من موضع في القرآن الكريم^{٩١}.

و جاء هذا اللفظ أيضا في وصف الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة في قوله محذراً من الدنيا قائلاً: ﴿أَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا مَنْزِلٌ قُلْعَةٌ، وَ لَيْسَتْ بِدَارٍ نُجْعَةٌ، فَذُ تَزَيَّنْتُ بَعْرُورِهَا، وَ غَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا﴾^{٩٢}، فتحذير الإمام نابع من أنَّها (منزل قلعة) ليست

بـ(دار نَجعة) والقلع: الإزالة عن المكان فتزيل أهلها عن قرارهم فيها، لا يطلب فيها الكلاً كناية عن عدم نيل المراد، والنُّجعة: طلب الكلاً في موضعه^{٩٣}

فدارها اتصفت بالهوان والذل، وليست بدار نجعة: وهو الانتقال لأمر محمود، فالزوال للأمور المكروهة و صفاتها كلها بعكس صفات الآخرة، ثم شبهها بثلاث تشبيهات (تنتقض نقض البناء وعمر يفني فناء الزاد و مدة تنقطع انقطاع السير)^{٩٤} .

قال الإمام عليه السلام: «و لا منزلکم الذي خلقتم له و لا الذي دعيتم إليه»^{٩٥}.

وهناك فرق بين الدار و المنزل، فالدار: اسم للعرصة عند العرب و العجم، و تشمل ما هو في معنى الأجناس، أو هي اسم لما اشتمل على بيوت و منازل و صحن غير مسقف، و الدار دار و إن زالت حوائطها، و يشترط في الدار أن تكون مبنية و قد لا يكون فيها بيت اطلاقاً كدار القضاء و دار الطباعة، بخلاف البيت و المسكن فيشار به إلى الفضاء الذي يشغله الساكن^{٩٦}.

أما في القرآن الكريم فقد ورد في أكثر من (١٠) مواضع من القرآن الكريم^{٩٧}. ومنها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^{٩٨}.

و فيها إشارة إلى إثبات الإلهية والتوحيد؛ لأن أحوال الشمس و القمر دلالة معجزة على وجود صانع متقن، ففي الشمس ضياء، وفي القمر نور، و تقدير القمر بالمنزل؛ للتمكن من حساب السنين و ترتيب معاش الإنسان من زرع و حرث^{٩٩}.

و ذكر تعالى ما أودعه في العالم العلوي من جوهرين نيرين مشرقين و لما كانت الشمس أعظم الأجرام خُصت بالضياء؛ لسطوعها ولمعانها، والنور أبلغ من الشروق فهو للهداية لأقوام معينين^{١٠٠}.

و القمر مسيره بمنازل أو قدره منازل، أو قدر له منازل فانصب على كونه (ظرف،

أو حال، أو مفعول)، و منازلها: هي البروج، تسمى بالأواء وهي (٢٨) منزلة^{١٠١}.

و منه قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^{١٠٢}

التقدير جعل الأشياء بقدر ونظام محكم، فقد قدر الشمس والقمر؛ ليتسنى للناس حساب الفصول والشهور والأيام، وتقدير القمر: سيره، و منازل منصوبًا على الظرفية فينتقل من منزلة إلى أخرى، فيبدأ بالزيادة ثم يأخذ بالتناقص فيصبح شبيهًا بالعرجون: وهو العود الذي تحرجه النخلة فالثمر في منتهاه و مجتمع أعواد النخل^{١٠٣}.

وخصّ بالقديم؛ لتقوسه واصفراره وتضائله، و هو صورة للقمر في آخر لياليه و هي صورة واقعية حسية لسير القمر؛ لإتقانهم علومه فضرب لهم مثلاً به (سبحانه و تعالى) من حياتهم اليومية.

والعرجون: عود العذق يسمّى الكباسة فان جفّ و قدم صغّر و أشبه الهلال في آخر الشهر^{١٠٤}.

و قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾^{١٠٥}

و هو دعاء سيدنا نوح عليه السلام فسأل بأن ينزل نزول في منزل مبارك بعد نجاته من الترحل فيتضمن سؤاله السلامة من غرق السفينة، و قيل: مُنْزَلًا اسم مفعول من (أنزل) على حذف المجرور والتقدير: مُنْزَلًا فيه، و يجوز فيه: مصدر و التقدير: إنزالًا مباركًا، و كلاهما متلازمان ففيهما اسم مكان للنزول^{١٠٦}.

ويتضح ممّا تقدم أنّ المنزل هو محل الإقامة و كل مكان اتخذ محلاً للفرد في حله و ترحاله، فيحل الضيف نزلاً و يطلق على الدار فكل منزل بيت، و ليس كل بيت منزل، و في أصله اللغوي يطلق على كل ما هبط من مكان مرتفع، فيقال للوحي (مُنْزَل)، و للقمر منازل عديدة عرفها العرب.

الخاتمة:

في نهاية رحلتنا البحثية توصلنا إلى النتائج الآتية و منها:

١. أن الله (سبحانه و تعالى) استعمل ألفاظ متقاربة في دلالاتها؛ لكنها مختلفة في معانيها الدقيقة، و الاستعمال القرآني لكل لفظ حدد ذلك الاختلاف، فنجده استعمل لفظ (البيت).

٢. تنوعت البيوت في القرآن الكريم بالكيفية و النوعية، فقد وجدنا فيه معنى بيت الله الحرام و الذي تقصده الناس من كل فج عميق، ووصف أهل البيت وهم أئمتنا الاثنا عشر الذين هم بيت المعدن و الوحي و بيت العنكبوت الواهن الضعيف المتلاشي من أبسط الأسباب التي تحدث، ومنها العوامل المناخية، فبمجرد هبوب الرياح يندثر و يتلاشى، ووجدنا فيه انعدام العلاقات الاجتماعية و ضعف الرابط بين أفراده، وبعكسه بيت النحل الذي دلّ على رباط و ثيق بين أفراده فكل فرد هو مسؤول عن واجبات و اتجاهات يقدمها مما يدل على التلاحم الأسري و الاجتماعي.

٣. من البيوت التي ضرب المثل فيها بيوت الحشرات و لا سيّما حشرتي (النحل و العنكبوت): ففي بيت النحل الاتقان و النظام المحكم و التوجيه في العمل مما يدل على أنّه مهندس متقن لعمله في التفكير و البناء، والقوة باتخاذ الجبال و الشجر و العرش (الخلية الصناعية) مكاناً له إضافة إلى شكله السداسي المتصل، و بخلافه بيت العنكبوت العشوائي الواهن الذي لا حياة و لا نظام فيه فهو خالٍ من العلاقات الاجتماعية و الأسرية.

٤. هنالك تقارب دلالي بين الألفاظ (البيت و المسكن) إلا أنّ البيت جاء في القرآن الكريم لمدلولات معينة، فكل بيت هو مسكن و ليس كل مسكن هو بيت، و مثاله مسكن النمل فهو مسكن مؤقت يجمع فيه قوته ليخزنه بأوقات معينة و لم يرد في الاستعمال القرآني لفظ بيت للنمل.

٥. كل منزل ومسكن هو بيت و ليس كل بيت منزل و مسكن؛ لأنَّ السَّكَن يسكنه الإنسان في كل مكان و المنزل أيضًا، فقد يحلُّ الضيف في منزل أو مسكن في أثناء سفره، وقد سأل نبي الله نوح ﷺ أن ينزله في منزل مبارك بعد رحلته الطويلة في الفُلْكَ.

هوامش البحث:

١. سورة الحجرات / ٣١
٢. ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ١٤٠ - ١٤١
٣. ظ: مقاييس اللغة: ١ / ٣٢٤
٤. ظ: المصدر نفسه.
٥. ظ: المفردات: ٨٢
٦. الكلبيات: ٢٣٩
٧. ظ: المغرب في ترتيب المعرب: ٥٥
٨. ظ: طبقات ابن سعد: ٤ / ٧٧.
٩. ظ: المعجم الوسيط: ٧٨
١٠. سورة النحل / ٨٠
١١. ظ: التحرير والتنوير: ١٤ / ٢٣٧
١٢. ظ: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ١٦
١٣. ظ: شرح المعلقات: الزوزني: ١٣٩
١٤. شرح المعلقات السبع: حسين بن أحمد بن حسين الزوزني (ت ٤٨٦ هـ)، دار احياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠٢
١٥. سورة البقرة / ١٢٧
١٦. سورة البقرة / ١٢٥
١٧. سورة آل عمران / ٩٧
١٨. الحجج / ٢٦
١٩. ظ: التفسير الكبير: ٤ / ٦٢ - ٦٣، ظ: التحرير والتنوير: ١ / ٧١٨
٢٠. ظ: م. ن: ٥٣ - ٥٤

٢١. سورة آل عمران / ٩٦
٢٢. التحرير و التنوير: ٤ / ١٤
٢٣. ظ: التفسير الكبير: ٨ / ١٦٢
٢٤. ظ: التبيان: ٧ / ٣١١-٣١٢
٢٥. سورة البقرة / ١٢٥
٢٦. ظ: التفسير الكبير: ٨ / ١٦٢
٢٧. ظ: التبيان: ٧ / ٣٠٩
٢٨. سورة الحج / ٢٦
٢٩. ظ: التبيان: ٧ / ٣٠٩
٣٠. سورة نوح / ٢٨
٣١. ظ: تفسير البيضاوي: ٥ / ٢٥٠
٣٢. سورة الأحزاب / ٥٣
٣٣. ظ: التبيان: ٨ / ٣٥٧
٣٤. سورة النور / ٣٦
٣٥. ظ: التبيان: ٧ / ٤٤٠
٣٦. ظ: التحرير و التنوير: ٤٠
٣٧. سورة النحل / ٦٨
٣٨. ظ: التفسير البياني للقرآن: ٩١
٣٩. ظ: التبيان: ٦ / ٤٠٣
٤٠. ظ: المفردات: ٦٦٨.
٤١. ظ: تفسير البيضاوي: ٣ / ٢٣٣
٤٢. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ١٠ / ١٣٤،

- ٤٣ . سورة محمد / ١٥
- ٤٤ . ظ: التحرير والتنوير: ٢٥٣ / ٢٠
- ٤٥ . ظ: العين (مادة عنكب): ٣٠٩ / ٢
- ٤٦ . سورة العنكبوت / ٤١
- ٤٧ . ظ: التفسير الكبير: ٦٩ - ٧٠، و ظ: التبيان: ٨ / ٢١٢
- ٤٨ . ظ: التحرير والتنوير: ٢٥٢ / ٢٠
- ٤٩ . نهج البلاغة: خ ١٧، ٢٥.
- ٥٠ . ظ: منهاج البراعة: ٢٢٤ / ٣
- ٥١ . ظ: بلاغة الامام علي في النهج: ١٤٦.
- ٥٢ . ظ: المصدر نفسه.
- ٥٣ . التحرير والتنوير: ٢٥٢ / ٢٠.
- ٥٤ . ظ: التمثيل والمحاضرة: ١ / ٣٧٩.
- ٥٥ . سورة الأحزاب / ٣٣.
- ٥٦ . ظ: التفسير الكبير: ٢٥ / ٢١٠
- ٥٧ . هود / ٧٣
- ٥٨ . ظ: التبيان: ٦ / ٣٤
- ٥٩ . سورة القصص / ١٢
- ٦٠ . ظ: التبيان: ٨ / ١٣٦
- ٦١ . ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٦٤ - ٢٦٥
- ٦٢ . ظ: العين: ٨ / ٥٨
- ٦٣ . ظ: مقاييس اللغة: ٢ / ٣١١.
- ٦٤ . ظ: المفردات: ٢٣٢

٦٥. ظ: المصباح المنير: ٢٠٣.
٦٦. سورة الأنعام / ١٢٧
٦٧. ظ: التفسير الكبير: ١٣ / ١٩٨ «ومثله قوله تعالى: «وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» يونس / ٢٥،
٦٨. سورة الرعد / ٢٢
٦٩. سورة النحل / ٣٠
٧٠. سورة الأنعام / ٣٢
٧١. ظ: تفسير البيضاوي: ٢ / ١٥٩
٧٢. و مثله قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ الاعراف / ١٤٥، و مثله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الرعد / ٢٤، و قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ القصص / ٣٧
٧٣. ظ: نهج البلاغة: ٤٤
٧٤. ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٣٥٣ - ٣٥٤
٧٥. سورة الأعراف / ١٩
٧٦. سورة البقرة / ٣٥
٧٧. التحرير و التنوير: ١ / ٤٢٨
٧٨. ظ: المصدر نفسه.
٧٩. ظ: المصدر نفسه: ١ / ٤٣١
٨٠. سورة يونس / ٦٧

٨١. ظ: التحرير و التنوير: ١١ / ٢٢٧
٨٢. القصص / ٧٢ و ٧٣
٨٣. سورة النمل / ١٨
٨٤. ظ: التحرير و التنوير: ١٩ / ٢٤٠
٨٥. ظ: المصدر نفسه: ١٩ / ٢٤٣
٨٦. سورة النمل / ٥٣، ومثلها قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ﴾ «طه / ١٢٨، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنُرِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الاعراف / ١٦١، وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ سبأ / ١٥
٨٧. ظ: التحرير و التنوير: ١٩ / ٢٨٥
٨٨. سورة الأعراف / ١٨٩
٨٩. سورة التوبة / ١٠٣
٩٠. ظ: التحرير و التنوير: ١١ / ٢٣.
٩١. ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٦٩٧
٩٢. نهج البلاغة: خ ١١٣، ١١٨.
٩٣. ظ: مختار الصحاح: ٣٦٩
٩٤. ظ: منهاج البراعة: ٨ / ٤٠
٩٥. نهج البلاغة: خ ١٧٣، ١٧٩
٩٦. ظ: الكليات: ٤٥٠.
٩٧. ظ: المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم: ٦٨٩.

٩٨. سورة يونس / ٥

٩٩. ظ: التفسير الكبير: ١٧ / ٣٥

١٠٠. ظ: البحر المحيط: ٦ / ١٤

١٠١. ظ: م. ن: ١٥

١٠٢. سورة يس / ٣٩

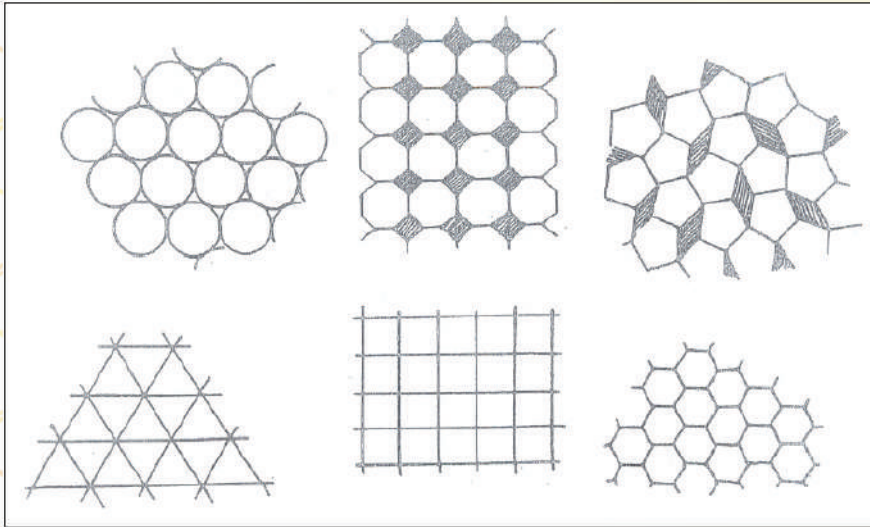
١٠٣. التحرير و التنوير: ٢٣ / ٢٢

١٠٤. ظ: معاني القرآن و اعرابه: الزجاج: ٤ / ٢٨٨

١٠٥. سورة المؤمنون / ٢٩

١٠٦. ظ: التحرير و التنوير: ١٨ / ٤٨

أ- عيون سداسية ضيقة خاصة بتربية حضنة الشغلات أو تخزين خبز النحل، ويصل عددها إلى خمس عيون في البوصة الطولية أو حوالي ٢٥-٢٧ عيناً في البوصة المربعة، وغالباً ما تبني في ثلاثي الإطار من أسفل، ويتراوح قطر العين فيها من ٠,١-٠,٥ مم.



الملحق رقم (١) يبين شكل الحجرات داخل بيت النحل الواحد و تواصلها مع بعضها.

المصادر و المراجع:

١. القرآن الكريم
٢. بلاغة الإمام علي: أحمد محمد الحوفي، ط ٣، دار نهضة - مصر، ٢٠٠٥ .
٣. التبيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، د. ت.
٤. التحرير و التنوير (تحرير المعنى السديد و تنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣ هـ) الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ .
٥. التفسير الكبير (مفتاح الغيب): لفخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤ .
٦. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل و أسرار التأويل): ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ)، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، د. ت.
٧. التمثيل و المحاضرة: عبد الملك بن محمد بن اسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١ .
٨. ثمار القلوب في المضاف و المنسوب: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، د. ت.
٩. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، د. ت.
١٠. سلسلة الدليل العلمي للنحال (ج ٤): إنتاج شمع النحل: محمد عمر محمد عمر

و أحمد بن عبد الله الغامدي، وحاد أبحاث النحل - قسم وقاية النبات في جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠١٣.

١١. طبقات ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، ط ١، مكتبة الخانجي - القاهرة، ٢٠٠١.

١٢. الكليات في المصطلحات و الفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤ هـ)، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت.

١٣. معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط ١، عالم الكتب، ١٩٨٨.

١٤. معجم العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، د. ت.

١٥. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، د، ت.

١٦. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية - القاهرة، دار الدعوة، ٢٠١٠.

١٧. المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة: دار التعارف، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٠.

١٨. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ (الراغب الاصفهاني)، نزار مصطفى الباز، د. ت.

١٩. المغرب في ترتيب المعرب: ناصر بن عبد السيد أبي المكارم بن علي أبو الفتح برهان الدين الخوارزمي المَطْرَزي (ت ٦١٠ هـ)، دار الكتاب العربي.

٢٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، لميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تحقيق:

٣٤٠ وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع

- علي عاشور، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣
٢١. نهج البلاغة: تحقيق: فارس الحسون، ط ١، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، قم المقدسة، ١٤١٩ هـ
٢٢. نهج البلاغة و المعجم المفهرس لألفاظه: كاظم محمدي ومحمد دشتي، ط ١، دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٠.

المعالجات القرآنية
لمشكلة تنامي ظاهرة الطلاق

أ.م.د. سردار رشيد حمة صالح

جامعة السليمانية

كلية العلوم الإسلامية

بحث مقدم إلى

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع

الملخص:

إنَّ الله تعالى خلق الإنسان وكرَّمه، وجعله خليفة في الأرض ليعمرها، وجعل منهم الذكر والأنثى وأباح لهم الزواج - بشروطه - ليتكاثروا ويكونوا أسرة، ووضع لهم دستورًا وحكمًا لهذه العلاقة، وبيّن لكلِّ فردٍ منهم ما له وما عليه.

ومن الأمور الخطيرة التي تهدد مجتمعاتنا في الوقت الراهن تنامي ظاهرة الطلاق، فقد كشفت التقارير الصادرة من الجهات المختصة والمحاكم بارتفاع معدلات الطلاق بشكل غير متوقع، ممَّا يشكل تهديدًا خطيرًا لمجتمعاتنا.

وبما أننا مأمورون بالاحتكام إلى كتاب الله في كلِّ معضلة، وهو كتاب هداية، فلا بدّ لنا من الرجوع إليه في علاج هذه الظاهرة الخطيرة، ولذا جاء عنوان بحثنا هذا (المعالجات القرآنية لمشكلة تنامي ظاهرة الطلاق)، ويشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، المبحث الأوّل: الطلاق وأنواعه وتأصيله، المبحث الثاني: أسباب الطلاق وآثاره، المبحث الثالث: العلاج القرآني للحدّ من الطلاق.

الكلمات المفتاحية: المعالجات القرآنية، مشكلة تنامي الطلاق

2- Summary:

The Almighty Allah had created & honored Human beings, made them Earth's successors to build it, made them two genders which are male and female, legalized them with marriage - on its terms - to create families, laid down a constitution & rules, and indicating their rights and duties to be followed.

One of the dangerous things that threaten our society is the ascending cases of divorce; the reports of competent authorities and courts have revealed unexpectedly high divorce rates, which is considered a dangerous threat to our societies. and since we are limited to following Allah Quranic rules in every problem because it is the guide that leads us to the right path, so we must follow its steps to solve this dangerous threatening, therefore; our research has entitled "The Quranic fixes, for the increasing divorce cases."

The research includes an introduction, three aspects, and a conclusion; the first aspect: is the types of divorce, the 2nd: is the reasons and implications of divorce, and the 3rd: is the Quranic fixes in reducing divorce.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين. والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا وحبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحابته الكرام إلى يوم الدين. وبعد

فإن الله تعالى خلق الإنسان وكرّمه، وجعله خليفة في الأرض ليعمرها، وجعل منهم الذكر والأنثى وأباح لهم التزاوج - بشروطه - ليتكاثروا ويكونوا أسرة، ووضع لهم دستورا وحكما لهذه العلاقة، ويبيّن لكلّ فرد منهم ما له وما عليه.

فالأسرة نواة المجتمع، وأساسه المتين، ومتى حصل خلل في الأسرة، انعكس ذلك على المجتمع، فتصدع بنيانه. والأصل في الأسرة ان تكون مبنية على الألفة والمودة والاحترام والتعاون. ولاسيما بين الزوج والزوجة الذين هما عماد الأسرة، ومتى حصلت المشكلة بينهما يجب تداركها وإيجاد العلاج لها قبل ان تتفاقم وتصل إلى حد الطلاق والفراق.

ومن الأمور الخطيرة التي تهدد مجتمعاتنا في الوقت الراهن تنامي ظاهرة الطلاق، فقد كشفت التقارير الصادرة من الجهات المختصة والمحاكم بارتفاع معدلات الطلاق بشكل غير متوقع مما يشكل تهديدا خطيرا لمجتمعاتنا.

إننا مأمورون بالاحتكام إلى كتاب الله في كلّ معضلة وهو كتاب هداية، فلا بد لنا من الرجوع إليه في علاج هذه الظاهرة الخطيرة. ولذا جاء عنوان بحثنا هذا (المعالجات القرآنية لمشكلة تنامي ظاهرة الطلاق) ويشتمل البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، المبحث الأوّل: الطلاق وأنواعه وتأصيله. المبحث الثاني: أسباب الطلاق وآثاره. المبحث الثالث: العلاج القرآني للحد من الطلاق.

المبحث الأول: الطلاق وتأصيله وحكمة تشريعه.

أولاً: مفهوم الطلاق:

الطلاق لغة: هو إزالة القيد والتخلية^(١)، يُقال: هُوَ طَلَّقَ وَطَلَّقَ وَطَلَّقَ وَإِذَا حُطِّي عَنْهُ. قَالَ: وَالتَّطْلِيْقُ. التَّخْلِيَّةُ وَالْإِرْسَالُ، وَحَلَّ الْعَقْدَ وَيَكُونُ الْإِطْلَاقُ بِمَعْنَى التَّرْكِ وَالْإِرْسَالِ. وَطَلَّقْتُ الْبِلَادَ. فَارَقْتُهَا. وَطَلَّقْتُ الْقَوْمَ. تَرَكْتُهُمْ... وَرَجُلٌ طَلَّقَ الْوَجْهَ، ذُو بَشَرٍ حَسَنٍ وَطَلَّقَ الْيَدَيْنِ، إِذَا كَانَ سَخِيًّا... وَالطَّلِيْقُ: الْأَسِيرُ، يُطَلَّقُ عَنْهُ^(٢).

وَالطَّلَاقُ مَاخُوذٌ مِنْ قَوْلِكَ أَطْلَقْتَ النَّاقَةَ فَطَلَّقْتَ إِذَا أُرْسَلَتْهَا مِنْ عَقَالٍ أَوْ قَيْدٍ، فَكَانَ ذَاتَ الزَّوْجِ مَوْثِقَةً عِنْدَ زَوْجِهَا، فَإِذَا فَارَقَهَا أَطْلَقَهَا مِنْ وَثَاقٍ^(٣).

وَالطَّلَّقُ: طَلَّقَ الْمَخَاضِ وَوَجَعَهَا عِنْدَ الْوِلَادَةِ^(٤).

وَطَلَّقَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ: حَرَّرَهَا مِنْ قَيْدِ الزَّوْاجِ وَأَخْرَجَهَا مِنْ عَصْمَتِهِ، وَطَلَّقَ الْقَوْمَ: هَجَرَهُمْ، تَرَكَهُمْ وَفَارَقَهُمْ^(٥). وَ يُقَالُ: رَجُلٌ طَلَّقَهُ: لَلْكَثِيرِ الطَّلَاقِ^(٦). وَرَجُلٌ مِطْلَاقٌ وَمِطْلِيْقٌ أَي كَثِيرُ التَّطْلِيْقِ لِلنِّسَاءِ^(٧).

والطلاق اصطلاحاً عرفه العلماء بتعاريف، منها: إزالة عصمة الزوجة بصريح لفظ،

(١) ينظر: التعريفات (ص: ١٤١)، و القاموس الفقهي (ص: ٢٣٠)، و معجم لغة الفقهاء (ص: ٢٩١)

والتعريفات الفقهية (ص: ١٣٦).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٩).

(٣) ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢١٢).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٨)، و لسان العرب (١٠/ ٢٢٥)،

(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٤١١)

(٦) ينظر: معجم ديوان الأدب (١/ ٢٥٧)، و معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٤١٢).

(٧) ينظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٨)، و الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية (٤/ ١٥١٩)، و الإبانة في اللغة

العربية (٣/ ٤٤٦).

أو كناية ظاهرة، أو بلفظ ما مع نية^(١). وقيل: رفع قيد الزواج المنعقد بين الزوجين بألفاظ مخصوصة^(٢). وقيل: هو إزالة ملك النكاح^(٣). وقيل: هُوَ الإِطْلَاقُ مِنْ عَقْدِ النِّكَاحِ^(٤). وقيل: حَلُّ عَقْدِ النِّكَاحِ بِلَفْظِ الطَّلَاقِ وَنَحْوِهِ^(٥).

ويمكننا أن نستنتج من هذه التعريفات أن الطلاق شرعا هو: إنهاء للعلاقة الزوجية وحل عقد النكاح بين الزوجين بلفظ الطلاق أو ما ينوب منابه.

ثانيا: مشروعية الطلاق وتأصيله:

الأصل في عقد الزواج والعلاقة الزوجية الديمومة والاستمرار، وأن تكون العشرة بين الزوجين بالمعروف والحسنى، وقد أباح الشرع الطلاق عندما تصبح الحياة بين الزوجين مستحيلة، وعندما يشتد الشقاق بينهما.

وقد وردت نصوص من القرآن الكريم والأحاديث النبوية في مشروعية الطلاق، وفي القرآن الكريم سورة باسم سورة الطلاق.

أكتفي بذكر بعض الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. من الآيات الكريمة التي ذكرت الطلاق قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ... الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ... فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٧ - ٢٣٠].

(١) ينظر: القاموس الفقهي (ص: ٢٣٠).

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٤١٢).

(٣) ينظر: التعريفات الفقهية (ص: ١٣٦).

(٤) ينظر: الحاوي الكبير (١٠/ ١٥٩).

(٥) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب (٣/ ٢٦٣)، و النجم الوهاج في شرح المنهاج (٧/ ٤٧٩)، وبداية المحتاج في شرح المنهاج (٣/ ٢١٧).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا مَخْرَجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرَجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا...﴾ [الطلاق: ١ - ٥].

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ * وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٦، ٢٣٧].

أما الحديث النبوي الشريف، فمنه:

قوله ﷺ في عدم الاستخفاف بالطلاق وأنه يقع حتى لو تلفظ به الإنسان هزلاً، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ جَدُّهِنَّ جَدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جَدٌّ: النِّكَاحُ، وَالطَّلَاقُ، وَالرَّجْعَةُ»^(١).

وحين طلبت امرأة ثابت بن قيس الطلاق وشكا حالها إلى النبي ﷺ، فدعا النبي ثابتاً وأخبره طلب امرأته، -وقد أصدقها حديقتين حين عقد عليها-، فأمرها النبي ﷺ بإرجاع الحديقة لثابت مقابل الطلاق وهو ما يسمى بالخلع، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، مَا أَعْتَبَ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقِيهَا تَطْلِيقَةً»^(٢).

(١) ينظر: سنن ابن ماجه (١/ ٦٥٨)، وسنن أبي داود (٢/ ٢٥٩)، وسنن الترمذي ت بشار (٢/ ٤٨١)، وسنن الدارقطني (٤/ ٣٧٩)، والمستدرک علی الصحیحین للحاکم (٢/ ٢١٦)، شرح السنة للبغوي (٩/ ٢١٩)، والسنة الصغير للبيهقي (٣/ ١١٨)، والسنة الكبرى للبيهقي (٧/ ٥٥٧)
(٢) صحيح البخاري (٧/ ٤٧)، وينظر: سنن النسائي (٦/ ١٦٩).

والشريعة إنما أباح الطلاق للضرورات ووجود الأعذار، وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله المرأة طلب الطلاق من غير عذر مشروع، فعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»^(١).

ثالثا: حكمة تشريع الطلاق:

لقد أرشد الإسلام المتزوجين إلى حسن التعامل بينهم والمعاشرة بالمعروف، ليتنعموا بالسعادة يكون بينهم الرحمة والمودة والمحبة والألفة بينهم. إلا أنه قد تحدث المشاكل والخلافات بينهم في بعض الأحيان، ولذا أرشدهم الإسلام إلى التصالح والتصافح، ولكنه في بعض الأحيان تصل بهم الخلافات إلى حد لا يمكن تحملها ولا يستطيعون حلها فتحول سعادتهم تعاسة وشقاء، فلا يهنؤون بعيش؛ لذلك أباح لهم الإسلام الطلاق والفراق، لذا يكون الطلاق سبيلا لإنهاء الشقاق والخلاف بين الزوجين، ليستأنفا بعده حياتهما منفردين أو مرتبطين بروابط زوجية أخرى، حيث يجد كل منهما من يألفه ويحتمله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠].

لقد شرع الله تعالى لعباده النكاح وأرشدهم إلى اختيار الشريك المناسب، لما يترتب عليه مصالح دينية ودنيوية، كما أن في تشريع الطلاق لهم تكميل لهذه المصالح؛ فقد تكثر الخلافات بين الزوجين بحيث يتعدون حدود الله بينهما في العلاقة الزوجية ولا يراعون الحقوق والواجبات بينهم، فيكون بقاء النكاح - على هذا الحال من سوء العشرة والخصومة الدائمة من غير فائدة - مفسدة محضة وضرراً مجرداً، فكان من حكم تشريع الطلاق إزالة المفسدة. وذلك تقديمًا للضرر الأخف على الضرر الأشد، وفقاً للقاعدة الفقهية الكلية: «يختار أهون الشرين»^(٢). والقاعدة الفقهية: «الضرر الأشد يزال

(١) صحيح البخاري (٤٧/٧)، وينظر: سنن النسائي (٦/١٦٩).

(٢) القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة (١/٢١٩).

بالضّرر الأّخفّ»^(١).

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: إنّ الطلاق علاج حاسم، وحل نهائي أخيرًا لما استعصى حله على الزوجين وأهل الخير والحكمين، بسبب تباين الأخلاق، وتنافر الطباع، وتعدد مسيرة الحياة المشتركة بين الزوجين، أو بسبب الإصابة بمرض لا يَحمَل، أو عُقم لا علاج له، مما يؤدي إلى ذهاب المحبة والمودة، وتوليد الكراهية والبغضاء، فيكون الطلاق منفذًا متعينًا للخلاص من المفاسد والشرور الحادثة^(٢).

المبحث الثاني: أسباب الطلاق وآثاره:

من الطبيعي أن يكون للطلاق أسباب ودواعي عدة ومتنوعة، كما أن له آثارا كثيرة سواء على مستوى الفرد أو الأسرة أو المجتمع.

أولاً: أسباب الطلاق:

للطلاق أسباب عدة تختلف باختلاف الأحوال والأوضاع والطبائع وغيرها، فمن تلك الأسباب^(٣):

١. الخلل في اختيار الشريك المناسب، فلا بدّ لكلّ من الزوجين اختيار من يناسبه إذ الفكر والعمر والثقافة والحسب والمال والجاه، وخلاف ذلك غالباً يؤدي إلى خلافات ونزاعات في المستقبل.
٢. الزواج المبكر، إذ إنّ عدم النضوج العمري وقلة خبرة الزوجين في الحياة هي أمور تساعد على عدم تحمّل المسؤولية الزوجية.

(١) موسوعة القواعد الفقهية (٢/ ٢٦٨).

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (٩/ ٦٨٧٤).

(٣) ينظر: الطلاق وأسبابه في مدينة بغداد دراسة اجتماعية تحليلية (ص ٤٥-٥٢)، وأسباب زيادة الطلاق في المجتمع العراقي (محافظة الديوانية نموذجاً) (ص ٣٥٨-٣٦٢).

٣. سوء الحالة المعاشية مع ارتفاع الأسعار وكثرة متطلبات الحياة، فإن سوء الحالة المادية يؤثر سلباً على استقرار الأسرة، كخلل في توافر السكن والطعام والشراب والملبس وحاجيات البيت والأدوية وغيرها.

٤. الخيانة الزوجية.

٥. الابتزاز الإلكتروني.

٦. الانفتاح على العالم بسبب وسائل التواصل الاجتماعي وكثرة الأصدقاء على الشبكات العنكبوتية.

٧. تعاطي الكحول والمسكرات والمخدرات.

٨. التقصير في أداء الواجبات وعدم قيام كل من الزوجين بمسؤولياته تجاه الآخر.

٩. استمرار النشوز والهجر بين الزوجين.

١٠. الفتور العاطفي وشعور كل من الزوجين بعدم اهتمام الطرف الآخر به وإهماله، أو الشك في مشاعره والخوف من الاستمرار معه.

١١. انتفاء المسامحة بين الزوجين على الأخطاء، وعدم اعطاء الفرص للآخر.

١٢. تغليب المصلحة الفردية من قبل أحد الزوجين، وعدم تقدير مصلحة الطرف الآخر.

١٣. تعدد الزوجات، وعدم رضا الزوجة بهذا التعدد.

١٤. المفاضلة بين الزوجات وعدم العدل بينهم في حال التعدد.

١٥. الزواج خارج المحكمة.

١٦. مشاهدة المسلسلات التي تصور الحياة الزوجية مثالية جداً وتملؤها السعادة، أو المسلسلات التي تشجع الزوجين على عدم احترام الطرف المقابل.

١٧. الفهم الخاطئ للرجولة وتفسير القوامة تفسيراً خاطئاً الذي يدفع الرجل للتسلط على المرأة.

- ١٨ . عدم الانسجام الروحي والنفسي بين الزوجين.
- ١٩ . الفارق الكبير في العمر.
- ٢٠ . تدخل الأطراف الأخرى في الحياة الزوجية، لاسيما أهل كلا الطرفين.
- ٢١ . معضلة الأطفال وعدم الإنجاب.
- ٢٢ . استخدام العنف والقسوة بين الزوجين.
- ٢٣ . قلة الوازع الديني.
- ٢٤ . الشعور بعدم الإشباع الجنسي مع الطرف الآخر لسبب من الأسباب.
- ٢٥ . السكن المشترك مع أهل الزوج، حيث ترى الزوجة أنها مقيدة في هذا السكن، لأنها ترغب أن تكون سيدة بيتها، لا يشاركها فيه أحد.
- ٢٦ . انشغال المرأة بالعمل أو الوظيفة خارج البيت، وإهمال العمل البيتي والتقصير في تربية الأولاد.
- ٢٧ . النفور الطبيعي بين الزوجين التي تعود غالباً إلى عوامل نفسية أو اجتماعية.
- ٢٨ . قوانين وقرارات منع تعدد الزوجات. فأحياناً تكون هذه القوانين سبباً في تزايد الطلاق حين يريد شخص التزوج بزوجة أخرى، ولكنَّ القوانين تمنعه من التزوج بأكثر من زوجة إلا برضا زوجته الحالية وهي لا ترضى ولا تقبل، فيضطر لطلاق هذه الزوجة لكي يتزوج بالأخرى.
- ٢٩ . الدور السلبي لبعض المنظمات النسوية، والتي تنظر للرجل كأنه نذٌّ وعدو للمرأة. وتشجع المتزوجات على المعاكسة مع أزواجهن، تحت مسميات براءة كالحرية والمماثلة ورد القوامة ...

ثانياً: آثار الطلاق

مع أنَّ الشريعة الإسلامية أجازت الطلاق للضرورة واحتمال أخف الشرين وأهون الضررين، بدفع أشدهما. فقد يكون الطلاق في بدايته حلاً للعديد من المشاكل الزوجية، إلا أنَّ اتخاذ قرار الطلاق يعود بآثار سلبية كثيرة ويخلف وراءه مشاكل ومآسياً لا يمكن تجاهلها، منها^(١):

١. الحالة النفسية لكل من الزوجين، بسبب التفكك الأسري؛ إذ هُدم الهرم الذي بنوه. فيقل تركيزهم على الأمور، ويكثر لديهم التوتر والقلق والإحباط، ويفضلون العزلة وعدم المشاركة في المناسبات، والتكاسل في أعمالهم الوظيفية.
٢. التنافر والكراهية بين العائلتين - أهل الزوج وأهل الزوجة - وقد يستمرّ لأعوام.
٣. النظرة الدونية من المجتمع المحيط للزوجين المنفصلين، لاسيما للمرأة المطلقة.
٤. الخسارة المالية والمعنوية.
٥. تتأثر المرأة في الطلاق أكثر من الرجل، ذلك أنها أكثر عاطفة، فهي مرهفة الإحساس، عميقة المشاعر، تحتاج إلى من يمنحها الشعور بالأمن والسلام. و نظرة المجتمع لها أسوأ من نظره إلى الرجل، كما أن فرص الزواج لها أقل من فرص الرجل.
٦. الآثار النفسية التي تلحق الأولاد، وهذا من أشد وأسوأ الآثار، إذ يكونون ضحية، وتكمن هذه الآثار في التوتر النفسي الذي يصيبهم جراء تفكك أسرهم وانفصال والديهم، والانحرافات السلوكية والأخلاقية التي يمكن أن تصيبهم جراء ضعف التربية والتنشئة الأسرية المتمثلة بالوالدين، والفضل في كثير من جوانب الحياة الاجتماعية والعلمية، كما يؤدي إلى تدني التحصيل الأكاديمي لهم، ووجود العدائية والكراهية للآخرين في نفوسهم بسبب ما ورثوها من أسرهم لكثرة المشكلات والنزاعات فيها.

(١) ينظر: الطلاق وأثره على التنشئة الاجتماعية للأبناء في الأسرة (ص ١٤٠-١٥٤)، وظاهرة الطلاق في محافظة رام الله والبيرة أسبابها وآثارها والحلول المقترحة لها من وجهة نظر المطلقين (ص ٤٢-٦٥).

وقد يحصل لهم سلوك انحرافي مثل؛ تعاطي المخدرات أو عدواني مثل؛ ارتكاب جرم السرقة؛ فالأشخاص الذين نشأوا في عائلة منفصلة يكون ميلهم أكثر نحو ارتكاب الجريمة من غيرهم، والأولاد الذين فقدوا حنان الأم يصبحون عنيفين في المستقبل. وقد يضطر بعضهم إلى الاعمال الشاقة لكسب المال. كما يرتفع بينهم معدل الإصابة بالاكتئاب والأمراض النفسية نتيجة للاضطراب العاطفي والقلق والخوف. وتزايد أعداد المشردين.

المبحث الثالث: العلاج القرآني للحد من الطلاق:

من نعم الله على عباده أن أحل لهم النكاح، وجعل بين المتزوجين مودة ورحمة، ليسكن بعضهم إلى بعض، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] فإن الأصل في التعامل بين الزوجين أن يكون على أساس تحقيق المحبة والمودة والرحمة والسكينة، ليتنعموا بهناء العيش ويسعدوا في حياتهم. لكننا ما دمنا في دار الدنيا، دار الابتلاء والمحن، فلا عجب أن تكون هناك منغصات للحياة، وبما أن الحياة الزوجية طويلة الأمد، فمن الطبيعي أن تحصل خلافات ونزاعات بينهم. فالله تعالى خلق الناس على اختلاف في الطبائع، ولا يمكن أن يكون الزوجان متفقين في كل شيء، وحين الاختلاف يحصل الخلاف. ولكن عليهم أن يحسموا الخلاف في أول حصوله كي لا يتمادى إلى نزاع وشقاق وكراهية. بل يجب عليهم أن يأخذوا الأمر بسلاسة وأنه أمر طبيعي.

وقد أرشد الإسلام الناس إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وبما أن بناء الأسرة يجب أن يكون متينا حتى تسودها السعادة، لأن الأسرة نواة المجتمع وبصلاحها صلاح المجتمع. فإذا كان بناء الأسرة هشاً غير متين تنفكك ويحصل الطلاق لأدنى حالة من الخلافات.

إنَّ المتتبع لما يحصل في مجتمعاتنا من تفكك الأسر وتزايد ظاهرة الطلاق بشكل غير مسبوق وغير متوقع سابقا، يجد أن الأمر في غاية الخطورة، ففي هذا العصر الذي يسمى بعصر التكنولوجيا والتقدم العلمي، كان من المفروض أن تكون هذه الوسائل التكنولوجية المختلفة وسيلة للتقدم الثقافي والمعرفي لمن يستخدمها، وتكون وسيلة مساعدة للخير، لكنه مع الأسف - لسوء استعمالها باتت وسيلة هدم وشرّ وتعايسة لمجتمعاتنا، ومن أبرز المظاهر التي تخيف مجتمعاتنا تنامي وتزايد ظاهرة الطلاق.

إنَّنا أمة الإسلام لدينا أعظم كتاب هداية، نحتكم إليه في أمورنا الدنيوية والأخروية، لذا نود أن نذكر هنا بعضا من الإرشادات القرآنية للحد من الطلاق أو التقليل منه:

١. اختيار الكفاء، أرشد الله عباده أن يختاروا الأكفاء لهم في الزواج، حتى يقل الخلاف ولو وقع لم يصل إلى حالة الطلاق، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلِأُمَّةٍ مُّؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]. فالمؤمن عليه أن يبحث عن مؤمنة ليتزوجها، كما أن المؤمنة عليها أن تبحث عن مؤمن لتتزوجه. فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات، على قول من فسر قوله تعالى: ﴿الْحَيْثَاتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦] بقوله: الخيئات من النساء للخيئين من الرجال، والخيئون من الرجال للخيئات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء^(١).

فالزواج من غير الكفاء يخلق المشاكل والخلافات بمرور الزمن، ووجود الخلافات في الأسرة واستمرارها يعكّر صفو الحياة، وتزداد الهفوات يوما بعد يوم مما يخاف تطورها إلى أن يصل إلى الطلاق.

٢. اختيار المرأة الصالحة المتدينة، كما لا بدّ لمن يريد الزواج أن يبحث عن المرأة

(١) ينظر: معالم التنزيل (٦/٢٨)، وتفسير الماتريدي (٧/٥٣٨).

الصالحة المطيعة ذات الخلق والدين، فالمرأة الصالحة المتدينة لا تعرف الشر، ولا يرجى منها إلا الخير والصلاح، كما قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، ولهذا قال الرسول ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»^(١). وفي حديث آخر يقول: «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتَهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبْرَتَهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا»^(٢) ويقول في حديث آخر: ﴿تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَلِحَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَظَفَرِ بِنِّدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ﴾^(٣).

فالمرأة الصالحة الخلوقة المتدينة تراعي حق زوجها ولا تعاكسه في الكلام، ولا تتعدى حدود الله بالخيانة والمعاصي، وتكون راضية بما قسم الله لها، فتكون محبوبة لدى زوجها، لا تعطي للشيطان لزمة بخراب حياتها وحياة أسرتها.

٣. اختيار المرأة الولودة، ومن النعم الله تعالى على عباده أن يرزقهم بالذرية والأولاد. وهو مطلب كل إنسان، ومنهم الأنبياء ﷺ، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، فأحيانا تحصل حالات الطلاق بسبب العقم أو عدم الإنجاب، لذلك أرشدنا الرسول ﷺ بالتزوج من الولود، لما فيه من إكثار الأمة، وكى لا يندم بعد الزواج وتحصل الخلافات وتؤدي إلى الطلاق، فقال ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، إِنِّي مُكَاثِرُ الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤). هذا كأمر وقائي بدائي، أما بعد الزواج وتبين العقم أو عدم الإنجاب، فلا ينبغي أن يكون هذا مدعاة للطلاق، إيماننا بأن هذا مقسوم من رب العالمين، لا مانع من المحاولات الجادة بالطرق الشرعية لحصول الانجاب، لكن إذا سدَّت بوجههم كل الطرق فلا يفكروا

(١) صحيح مسلم (٢/١٠٩٠).

(٢) سنن ابن ماجه (١/٥٩٦) والمعجم الأوسط (٢/٣٢٥)،

(٣) صحيح البخاري (٧/٧)، وصحيح مسلم (٢/١٠٨٦).

(٤) مسند أحمد (٢٠/٦٣)، وسنن أبي داود (٢/٢٢٠)، وصحيح ابن حبان (٩/٣٣٨).

بالطلاق. مؤمنين بقول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ.. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

٤. الاكتفاء بزوجة واحدة عند خوف الفتنة، أرشد الله سبحانه وتعالى من يريد الزواج بأكثر من امرأة، ولا يجد في نفسه القدرة على العدل بينهم من جميع النواحي أن يقتصر على واحدة، لاسيما إذا لم يكن بحاجة إلى التعدد، فغالبا يكون الإقدام على هذا الأمر سببا لإيجاد مشاكل في الأسرة ومن ثم طلب الطلاق من قبل الزوجة الأولى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

٥. المعاشرة بالمعروف، لقد أرشد الله عباده إلى المعاشرة الحسنة مع الآخرين، وحسن الخلق، وطيب الكلام، ولين الجانب، كما أرشد الرجل الذي بيده إدارة الأسرة وقوام البيت أن يعامل زوجته بالمعروف ويلتزموا بمعهن الحكمة والرحمة، وأن يعرضوا عن زلاتهن، فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. فهذا التوجيه القرآني علاج قوي في تدارك الخلافات، والصفح عن الزلات، والعفو عن الأخطاء، مما يقلل من حدة الصراعات والتشنجات بين الأزواج. وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وآله: «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»^(١). فليس من المعقول أن لا يتصور الرجل من امرأته صدور ما يكرهه، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»^(٢).

٦. علاج نشوز الزوجة، فمتى ظهرت أمارات العصيان والتعالي والتمرد من الزوجة

(١) صحيح مسلم (٢/١٠٩١)

(٢) صحيح البخاري (٤/١٣٣)، وينظر: صحيح مسلم (٢/١٠٩١)

على زوجها، وخاف الزوج من حصول النشوز، فيجوز للزوج أن يتبع الأسلوب القرآني في العلاج من خلال قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

فالله سبحانه أرشد الرجل إلى جملة أمور لتدارك حالة ظهور أمارات النشوز والتمرد قبل أن يتفاقم الحال ويصعب علاجه، وقد جاء هذا العلاج القرآني بخطوات ثلاثة:

٧. الموعظة، فعلى الزوج أن يبدأ بالوعظ بأسلوب يراعي فيه الوقت والمكان المناسب، وأن يكون هذا الوعظ بلطف وحكمة، يبين فيه مخاطر النشوز، ولا يمل من تكرار النصيحة والوعظ بحسب الحاجة. ويعطيها الفرصة لكي ترجع إلى صوابها.

٨. الهجر في المضاجع، إذا لم تفد معها الوعظ، فيلجأ الزوج إلى العلاج الثاني وهو الهجر في المضجع، كأن يدير ظهره عنها في إشارة إلى أنه غير راض من تصرفاتها. وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ أي: تباعدوا عن مضاجعتهن، ولا تدخلوهن تحت ما تجعلونه عليكم حال الاضطجاع من الثياب، وقيل: هو أن يوليها ظهره عند الاضطجاع، وقيل: هو كناية عن ترك جماعها^(١).

٩. الضرب غير المبرح، هذا العلاج الثالث بعد أن أيس الزوج من العلاجين السابقين يتحول إليه، وليس الغرض من الضرب إيلاؤها ولا تعذيبها، ولكن لإشعارها بإنزعاج الزوج من أمرها، وأنها هي التي أوصلت الزوج إلى هذا العلاج بعد أن لم تستجب للعلاجين السابقين. وهذا العلاج هو أعنف العلاج مقارنة بسابقيه، وهو أهون مقارنة بالطلاق والفرق.

١٠. بعث الحَكم، فحين يخرج الأمر عن سيطرة الزوج، ويصعب عليه العلاج، ويصل الأمر إلى القاضي أو الحاكم. فيقوم الحاكم ببعث حكيمين أحدهما من أقارب

(١) نظر: يتفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٩٤)، وفتح القدير، (١/ ٥٣٢).

الزوج والآخر من أقارب الزوجة. لينظر في أمرهما - الزوج والزوجة - ومحاولة حل تلك المشاكل، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]. وأمر الله تعالى ببعث الحكمين دليل واضح على نهاية العناية من الله تعالى في إحكام نظام الأسرة، والعمل على حلّ المشاكل والخلافات، والعلاج بحكمة وعدل ولطف وانصاف، قبل أن يصل إلى الطلاق.

١١. علاج نشوز الزوج. وفي هذا يقول تعالى: قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]، وإذا خافت المرأة نشوز زوجها أي: ترفعه عنها وعدم رغبته فيها وإعراضه عنها، فالأحسن في هذه الحالة أن يصلح بينهما صلحا بأن تسمح المرأة عن بعض حقوقها اللازمة لزوجها على وجه تبقى مع زوجها، إما أن ترضى بأقل من الواجب لها من النفقة أو الكسوة أو المسكن، أو القسم بأن تسقط حقها منه، أو تهب يومها وليتها لزوجها أو لضرتها. فإذا اتفقا على هذه الحالة فلا جناح ولا بأس عليهما فيها، لا عليها ولا على الزوج، فيجوز حينئذ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، وهي خير من الفرقة، ولهذا قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

فالقرآن الكريم أرشد الزوجين إلى الصلح علاجا لما أصاب الأسرة من النفرة وعدم الاستقرار بسبب نشوز الزوج، فإن نشوز الرجل غالبا يكون اخطر واشد على حياة الأسرة من نشوز المرأة، فخطورة نشوز الزوج على الأسرة لا تتوقف عند حد معين، ولا تكون الزوجة هي المتضررة لوحدها، بل الضرر يعم كل أفراد الأسرة، ذلك انه يحدث فقدان لنوع القرارات المدروسة، ويفقد قوامته على أسرته، فيفتقر الأبناء القدوة التي يحاكونها.

١٢. تحديد الطلاق بثلاث: وفي تحديد الطلاق بثلاث وتفريقها على ثلاث مرات حكمة إلهية حيث أبقى سبحانه مجالاً للزوجين أن يتراجعا في المرتين إن بدا لهما أنهما أصلحا حالهما، تفادياً للفراق الأبدي، قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

الخاتمة:

- في نهاية البحث أود الإشارة إلى أهم ما توصلت إليها:
١. النكاح عقد شراكة في العيش بين الزوجين، مع التمتع بينهما.
 ٢. الطلاق حل عقد النكاح بين المتزوجين.
 ٣. للطلاق أسباب وأثار عديدة تختلف باختلاف الحالات.
 ٤. آثار الطلاق يتعدى من الزوجين إلى الأسرة والمجتمع.
 ٥. في القرآن الكريم توجيهات لعلاج الخلافات بين الزوجين تفاديا للطلاق.

المصادر والمراجع

١. الإبانة في اللغة العربية، سَلْمَة بن مُسَلِّم العَوْتَبِي الصُّحَارِي، المحقق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صفية، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٢. أسباب زيادة الطلاق في المجتمع العراقي (محافظة الديوانية نموذجاً)، أنيس شهيد محمد، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد التاسع عشر، العدد ١/ ٢٠١٦ م.
٣. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦ هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي.
٤. بداية المحتاج في شرح المنهاج، بدر الدين أبو الفضل محمد بن أبي بكر الأسدي الشافعي ابن قاضي شعبة (٧٩٨ - ٨٧٤ هـ)، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
٥. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٦. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦ هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٧. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٨. تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٠. الحاوي الكبير، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١١. سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٢. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

١٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

١٤. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق

عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٥. السنن الصغير للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

١٦. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٧. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

١٨. شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٠. صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣.

٢١. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق:

محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٢٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

٢٣. الطلاق وأثره على التنشئة الاجتماعية للأبناء في الأسرة دراسة ميدانية في مدينة باتنة، حسرومي الويزة، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠٢٠م.

٢٤. الطلاق وأسبابه في مدينة بغداد دراسة اجتماعية تحليلية، عذراء صليوا رفو، مجلة الإناسة وعلوم المجتمع، مخبر الدراسات الأثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، العدد ٦، ديسمبر ٢٠١٩م.

٢٥. ظاهرة الطلاق في محافظة رام الله والبيرة أسبابها وآثارها والحلول المقترحة لها من وجهة نظر المطلقين، منتصر علي محمد حمدان، رسالة ماجستير، جامعة القدس المفتوحة - فلسطين، ٢٠١٨م.

٢٦. غريب الحديث لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني - بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧.

٢٧. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ

٢٨. الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها)، أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة، الناشر: دار الفكر - سورية - دمشق، الطبعة: الرابعة المنقحة المعدلة بالنسبة لما سبقها (وهي

الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة)

٢٩. الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي، أ. د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة، الناشر: دار الفكر - سورية - دمشق، الطبعة: الرابعة

٣٠. القاموس الفقهي، الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق - سورية، الطبعة: الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

٣١. القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، د. محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

٣٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٣٣. المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

٣٤. مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، - ٢٠٠١ م

٣٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع،

الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٣٦. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة

٣٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

٣٨. معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٣٩. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٤٠. مُوسُوعَةُ القَوَاعِدِ الفِقهِيَّةِ، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٤١. النجم الوهاج في شرح المنهاج، كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدِّميري أبو البقاء الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، الناشر: دار المنهاج (جدة)، المحقق: لجنة علمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

المخالفات المروية من منظور القرآن والسنة النبوية

أ.م. د. زهور كاظم زعيميان

الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

الملخص:

درس البحث ذنباً يستخف به بعض الناس، فلا يعدّه جريمة قتل تعمدًا، والهدف الرئيس من البحث الحد من هذه الظاهرة السائدة التي تسبب هدر أرواح الناس أو إصابتهم بالعوق أو بأذى كبير، مع بيان دور الشريعة الإسلامية في تنظيم الحياة البشرية، فوقع البحث على اختيار الآيات الكريمة التي تنهى عن الفساد في الأرض وتحليلها وعد الحوادث المرورية من الفساد في الأرض، وندرس كذلك أسباب حدوث المخالفات، وما يتخلف عنها من أضرار على الجاني ومن عقوبات دنيوية كالعقوبات الجنائية ودفع الدية، وغيرها.

وأشار البحث إلى رأي السيد السيستاني حفظه الله بهذه المخالفة وما يترتب على الشخص الذي يتسبب بأذى لغيره بسبب المخالفة المرورية. وختم البحث بالوصايا وقفل بقائمة المصادر التي اعتمدها البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على حبيبه محمد صلّى الله عليه وآله، وأسأل الله القبول فهذا العمل طلباً للأجر.

الكلمات المفتاحية: المخالفات المرورية، منظور القرآن، السنة النبوية

Summary:

The research studied guilt that is underestimated by some people and not considered an intentional homicide; the essential goal of the study is to reduce this prevailing phenomenon, which causes loss of lives, disability, or massive harm, under the Islamic Shari'a indication in organizing human life, the research took place on choosing Holy verses that forbid corruption on earth, analyzing it, and considering traffic accidents corruption, we study the reasons for accidents as well, and their damages on the perpetrator's life, like criminal penalties, and paying blood money...etc.

The research has pointed out Sayyed Ali Al-Sistani's opinion on this guilt and the perpetrator's consequences that cause harm to others in traffic accidents.

Last but not least, we ask Allah to accept these efforts as we ask his mercy, and praise be to Almighty Allah for everything.

مقدمة:

درس البحث ذنباً يستخف به بعض الناس، فلا يعدّه جريمة قتل تعمدًا، والهدف الرئيس من البحث الحد من هذه الظاهرة السائدة التي تسبب هدر أرواح الناس أو إصابتهم بالعوق أو بأذى وبيان أثر الشريعة الإسلامية في تنظيم الحياة البشرية.

فوق البحث على اختيار الآيات الكريمة التي تنهي عن الفساد في الأرض وتحليلها، وعدّ الحوادث المرورية من الفساد في الأرض.

وعرض أسباب حدوث المخالفات، وما يتخلف من أضرار على الجاني من عقوبات دنيوية منها العقوبات الجنائية ودفع الدية، وغيرها، وهو الهدف من البحث فلا ضرر ولا ضرار.

وأشار البحث إلى رأي السيد السيستاني حفظه الله بهذا الذنب وما يترتب على الشخص الذي يتسبب بأذى لغيره بسبب المخالفة المرورية.

وختم البحث بالتوصيات وقفل بقائمة المصادر التي اعتمدها البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على حبيبه محمد صلّى الله عليه وآله

وسلم، وأسأل الله القبول والنفع للقارئ.

الفساد في الأرض:

تتفق الأديان السماوية على رفض الفساد في الأرض لا سيما الفساد الأكبر وهو قتل النفس التي حرم الله، وأضرار الحوادث المرورية أضرار تلتهم الأرواح والأموال بالإضافة إلى تسببها بعاهاات وتشوهات قد تدمر حياة الإنسان وقد حرم الإسلام وبقية الأديان ذلك، فالعين بالعين جاءت بالقرآن الكريم والكتب المقدسة قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة/ ٤٥).

أما إذا تسبب الحادث المروري إلى وفاة فالقتل من الكبائر قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ (النساء/ ٩٢) و«الخطأ خلاف الصواب والفعل منه خطأ وأخطأ في الأمر أي لم يصب الصواب»^(١).

وقد جاء في تفسيرها: «وما أذن الله لمؤمن ولا أباح له أن يقتل مؤمنا، يقول: ما كان ذلك له فيما جعل له ربه وأذن له فيه من الأشياء البتة»^(٢).

وهو نهى عن هذا الفعل وإن كان خطأ وهذا لن يكون إلا بالاحذر «وما كان ليس على النهي وإنما هو على التحريم والنهي كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ (الأحزاب/ ٥٣) ولو كانت على النهي لما وجد مؤمن قتل مؤمنا قط؛ لأن ما نفاه الله فلا يجوز وجوده»^(٣).

والحادث في الغالب يقع بسبب تقصير في تطبيق نظام المرور وهذا التقصير لا بد أن يكون متعمداً، فالسرعة، والسير باتجاه معاكس، واستعمال الموبايل في القيادة كلها أسباب يتوقع من لا يبالي بها أن تؤدي إلى حادث مروري؛ وهذا إن دل على شيء فيدل على التعمد.

(١) مجمع البيان، لطبرسي: ٣/ ١٢٩.

(٢) جامع البيان، الطبري: ٩/ ٣٠.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٥/ ٢٨١.

إنَّ القرآن الكريم طرح أنظمة كاملة للتصورات والمفاهيم والأحكام، وليس ما في القرآن أحكاماً متناثرة ومختلفة، بل إن هذه التصورات والمفاهيم عند ما ينتظم عقدها في سلسلة واحدة تشكل نظاماً مترابطاً، منسجماً، متكاملًا. كل حلقة منه تكمل الحلقة التي تليها، وهي مجتمعة تقدم للإنسان نظاماً كاملاً للتفكير والتصور.

فإنَّ قتل النفس المحترمة حرام، وجزاء القاتل جهنم والمستثنى من ذلك هو عندما يكون القتل خطأً، أي ليس عمدًا، فهل القتل بالحادث المروري عمدًا؟ وهل هو خطأ؟ وما هو جزاء القتل الخطأ؟ فالماشي في الشارع عندما يضع في ذهنه أن الحادث ينتج عنه أضراراً مادية ودفع دية قد تلزمه دفع ما يملك، أو حتى بيع ما يملك من سكن أو وسيلة عيش أخرى وهو ما جاء في باب الديّات في الأحاديث الشريفة: «قضى رسول الله صلى الله عليه وآله في دية الخطأ»^(١).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تبالي مؤمناً كان أو كافراً على عهد قومه فيه الدية كدية المسلم»^(٢) والدية تكون أولاً بتحرير رقبة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فمن لم يجد أي الرقبة ولا اتسع ماله لشرائها فصيام شهرين أي فعله صيام شهرين. متتابعين حتى لو أفطر يوماً استأنف؛ هذا قول الجمهور»^(٣).

وهو أيضاً رأي السيد السيستاني (حفظ الله) فقد سأله شخص: «تسببت في صدم رجل بسيارة وتوفي حيث إنني صدمته بغير قصد فدفعت الدية فهل تجب عليّ كفارة؟

الجواب: نعم وكفارة القتل خطأ يكفي فيها صيام شهرين متتابعين ومع العجز عنه فإطعام ستين مسكيناً»^(٤).

(١) سنن الترمذي، حمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الكتب العلمية: ٥ / ٤.

(٢) لجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٥ / ٢٨١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٥ / ٢٨١.

(٤) <http://www.sistani.org/arabic/qa> / ٤٧٥ / page / ٢ / ١٥٢٨٩٢

وعندما يعلم سائق المركبة أو السيارة بأن عدم الالتزام بالقواعد المرورية هو تعمد بالقتل وخروج عن الدين وأن جزاء القاتل جهنم لا محالة فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء/ ٩٣) فهو رادع إنساني وديني لصالح المجتمع الذي نسعى لتهيئة أفضل سبل العيش فيه.

والصحة، والحواس، والجوارح أمانة، ووسيلة النقل، ونعمة الطريق، وأعضاء الانسان كلها نعم يجب صونها والحفاظ عليها.

والضرر بها يوجب دفع الدية وقد بيئتها السنة المطهرة فيما رواه النسائي أن رسول الله ﷺ قد كتب كتابا إلى أهل اليمن جاء فيه: (أَنَّ مَنْ اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيْتَةٍ فَإِنَّهُ قَوْدٌ إِلَّا أَنْ يَرْضَى أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ، وَأَنَّ فِي النَّفْسِ الدِّيَةَ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ)^(١).

ولا فرق في الدية بين أن يكون القاتل كبيراً أو صغيراً أو رجلاً أو امرأة؛ لأن القتل متحقق في كل الأحوال. وقبول الدية جائز شرعاً؛ لأنها حق لأهل القتل فلهم قبولها أو التنازل عنها أو التصالح على جزء منها؛ يقول الله سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (البقرة/ ١٧٨).

وتكتنز المصادر الإسلامية بالتوجيهات والنصوص التي تؤثر في ضبط سلوك الإنسان وطريقة سيره.

وهذه التوجيهات تساعد في ضبط سلوك الفرد ومن ذلك طريقته في قيادة سيارته وسلوكه في الطريق، ومن هذه النصوص القرآنية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ (البقرة/ ٢٠٥) ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ (الإسراء/ ٣٧) فحوادث المرور التي تحدث عن عدم الالتزام بقواعد

المرور يمكن أن نعدّه من الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل.

ومن الآيات الكريمة أيضا قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الملك / ٢٢).

وما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان / ٦٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لقمان / ١٩).

كلها تدعو إلى السير باعتدال ولا يختلف الحال عن ركب سيارته فإن عليه السير باعتدال واطمئنان من غير تهور أو مزاحمة.

والسرعة المقيدة من أنظمة مديرية المرور يجب على الإنسان أن يتقيد بها لأنها أوامر أولي الأمر وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء / ٥٩).

وعلى سائق السيارة أن يلتزم بغض صوته فلا يرفع صوت المذياع أو مسجل السيارة ليسمع من في الشارع ويؤذي المارة من حوله، كما يلزمه أن يراعي غيره عند استخدام منبه السيارة فلا يستعمله إلا عند الحاجة مراعاة لشعور إخوانه المسلمين؛ فذلك حق لأهل الطريق من المارة والجالسين.

وهذا الحكم لم يختص بالدين الاسلامي، فالفساد في الأرض رُفض في كل الشرائع والكتب السماوية فقد رُفض الفساد في ألواح موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا قُوَّةً وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا أُخُدُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف / ١٤٥).

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة / ٣٢).

وقول القرآن الكريم الموعظة هي الوصايا العشر المذكورة في العهد القديم التي قام موسى ﷺ بنسخها عن الألواح الحجرية.

ونذكر من هذه الوصايا ما يلائم بحثنا وهي الوصية السادسة: «لا تقتل» .

هذه الوصايا كانت أوامر. لم تكن اقتراحات. لم تكن توصيات. ولا كانت قابلة للتفاوض»^(١).

السنة النبوية وتوجيهات السير.

يمكن أن نعرض الأحاديث النبوية التي وصلتنا عن رسول الله التي فيها توجيهات للسير، وهي تأمرنا بالتزام نهج معين في الطرقات، وهي أحاديث عامة لكل الأزمان مع كل وسائل النقل، منها عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن النبي: (سرعة المشي يذهب ببهاء المؤمن)^(٢).

فإذا كانت السرعة بالمشي على الرجلين تذهب بهاء المؤمن فكيف بالسرعة في وسائل السير كالسيارة وغيرها.

وقال أيضاً: (أعطوا الطريق حقه قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله. قال: غض البصر، وكف الأذى)^(٣) وفي هذا الحديث وقفات وآداب إسلامية نبوية سامية:

إذ نجد أن النبي ﷺ بدأ هنا في كلامه محذراً قومه مما يأخذهم إلى شيء من المحاذير والمحرمات وتحذيره بقوله ﷺ: كف الأذى: لأن المسلم لا يؤذى غيره، كل ذلك لا يقع إلا ممن لا يعرف للدين ولا للناس أدباً ولا خلقاً، فالمسلم متعفف عن الوقوع في الحرام والأذى لغيره.

(١) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥: ٣٣

(٢) ميزان الحكمة: ٧/ ٢٩٠٨.

(٣) رواه مسلم (٢١٢١).

وكفّ الأذى من الطريق من أبرز الحقوق. والأذى كلمة جامعة لكل ما يؤذي المسلمين من قول وعمل، يقول صلى الله عليه وآله: (لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس)، وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله: (إن على كل مسلم في كل يوم صدقة. قيل من يطيق ذلك؟ قال صلى الله عليه وآله: إماطتك الأذى عن الطريق صدقة) (١)

وعلى السائق عدم رمي النفايات من شبك السيارة ففي الحديث عن النبي: (بئس العبد القاذورة) (٢).

وإذا كان هذا الثواب العظيم لمن يكف الأذى، فكيف تكون العقوبة لمن يتعمد إيذاء الناس في طرقهم ومجالسهم، ويجلب القاذورات، وينشر المخلفات في متنزهااتهم، وأماكن استظلّالهم.

بل أمرنا أن نصلح الطريق، وإصلاحها جزاؤه رفع العذاب كما جاء في بعض الأحاديث الشريفة.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (مرّ عيسى بن مريم عليها السلام بقبرٍ يعذب صاحبه ثم مر به من قابل فإذا هو ليس يعذب فقال يا رب مررت بهذا القبر عام أول وهو يعذب ومررت به العام وليس يعذب؟ فأوحى الله جل جلاله إليه: يا روح الله قد أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل ابنه) (٣)

إن الطريق في الأساس وضعت للإفادة منها في المرور، وهي حق عام للمارة جميعاً لا تخص شخصاً من دون الآخر، وتضييق الطريق عليهم هو سلب لحقهم هذا، لذلك ينبغي إفساح الطريق أمامهم فلا يقف في الطريق بشكل يضيقها، وعن أمير المؤمنين في

(١) مستدرک الوسائل: ٢/٤٠٢، باب ١٩، الحديث ٦.

(٢) ميزان الحكمة: ٢٠٣١٧.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ٥١٢، المجلس ٧٧، حديث ٨.

وصيته للإمام الحسن عليه السلام: (إياك والجلوس في الطرقات)^(١).

ومع ازدحام السيارات أصبحنا كثيراً ما نبتلى بمسائل الطريق وتضييقها على الناس، خصوصاً في المدن المزدحمة فعليك أن تحذر وتتجنب وضع سيارتك في مكان مزدحم فيضيق الطريق على الناس! ولا تحترم حقهم بالمرور بحرية، واحرص على أن لا تفتح حديثاً عبر نافذة سيارتك مع شخص آخر وقد توقفت في منتصف الشارع، واحرص كذلك أن لا تنزل بضاعة تخصك على الرصيف الذي أعد لسلوك المارة... وغيرها من العوائق الكثيرة التي تضيق الطريق وتزاحم المارة، وكذلك لا تضع ما يعيق حركة المرور، بل من اللازم رفع أي شيء يؤدي إلى أذية المارة وتعثرهم، وقد أعد الله (عز وجل) لمن يتحلّى بهذا الأدب ويسهل عبور المارة أجراً عظيماً كما جاء في الأحاديث الشريفة.

فعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (دخل عبد الجنة بغصن من شوك كان على طريق المسلمين فأماطه عنه)^(٢) والطريق من المرافق العامة، للجميع الانتفاع به، وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحاق الضرر بالآخرين بقوله: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام)^(٣) وهذا الحديث يقرر قاعدة كلية هي من مبادئ الشريعة الإسلامية من رفع الضرر وتحريم الإضرار بالآخرين^(٤).

فسائق المركبة مسؤول عما يحدثه بالآخرين من أضرار نتيجة الحوادث المرورية التي تقع به سواء كان الضرر في البدن أم المال بشرط تحقق عناصر الضمان؛ وجملتها كما قرره الفقهاء: أن الضمان يتحقق بأمر ثلاثة:

التعدي، والضرر، وإفضائه إلى الإضرار بنفسه، أو سببه المباشر^(٥).

(١) الأماطي للشيخ المفيد: ٢٢٢.

(٢) أماطه: أي رفعه. والمصدر الخصال: ١ / ٣٢، ح ١١١.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ: ٢ / ٧٤٥.

(٤) انظر: الضرر في الفقه الإسلامي للدكتور أحمد مواني: ١ / ٣٣٠ - ٣٤٠، ٢ / ٩٨٣ - ١٠٣٠.

(٥) انظر: الفروق للقرافي: ٤ / ٢٨ و ٢٩. ومجلة الأحكام الشرعية للشيخ أحمد القاري تحقيق د. عبد الوهاب

أبو سليمان ود. محمد إبراهيم أحمد علي ص ٤٤٣ - ٤٤٦.

والحوادث المرورية تقوم على وجود ضرر أصاب المجتمع نتيجة مخالفة لمادة منصوص عليها ويجب عقوبة فاعلها ولا يجوز التنازل عنها؛ لأنّ الحقّ عام للمجتمع. إنّ المسؤولية المدنية للسائق متفرعة على التفريط، فيلحق الأذى والضرر بالآخرين بسبب ذلك التفريط، وحينئذٍ تكون المسؤولية المدنيّة مترتبة على الخطأ والإهمال لا عن عمد تفريط.

وعلى كلّ حال، فالضرر الذي أحدثه الخطأ (كسوء السياقة او عدم الالتزام بالإشارة المرورية) يجب أن يعوّض كاملاً وأن يعاقب مرتكبه من دون تفريق بين الحالتين. وهذا بلحاظ أن المخالفات المرورية ستؤدي إلى أضرار في الأرواح أو الطرق بالإضافة إلى الأضرار المادية.

كما ذهب الفقهاء إلى حرمة التصرف في الشارع بما يضر المارة في مرورهم؛ لأنّه حق لعامة المسلمين، فليس لأحد أن يضارهم في حقهم؛ ولهذا لا ينبغي لأصحاب السيارات قطع طريق لأغراض شخصية ولا تضيقه على المارة ولا منع أحد من التصرف فيه؛ بل يحاسب شرعا إن تعمد إيذاء أحد من أصحاب الطريق.

ويعد قطع الطريق، وإخافة السبيل، وترويع الآمنين، من أكبر الكبائر وهي من الحدود باتفاق الفقهاء، وسمى القرآن الذين يسرفون بالبينات التي جاء بها الأنبياء محاربين لله ورسوله وساعين في الأرض بالفساد وغلظ عقوبتها أشد التخليط فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة/ ٣٣-٣٤)

كذلك لا يجوز استعمال السلاح أو حمل ما يزعج الناس في أثناء الأعراس والمناسبات، قال رسول الله ﷺ: (من حمل علينا السلاح فليس منا) (١)

وهو كمن يمشي في طريق الناس أو في أسواقهم وهو يحمل سيفًا خارجًا من غمده، أو خنجرًا مظهرًا حده، أو معه مسدس، أو بندقية محشوة رصاصًا؛ لأنه لا يضمن الإضرار بغيره، قصد ذلك أو لم يقصده قال ﷺ: (إذا مر أحدكم في مجلس أو سوق ويده نبل فليأخذ بنصلها ثم ليأخذ بنصلها ثم ليأخذ بنصلها) (٢)

ومن طرق السير الطويلة طريق زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وهو طريق نحو من استشهد لأجل طلب الإصلاح في أمة جده وهؤلاء المشاة قدوة ومثال يحتذى به في السلوك فعليهم مراقبة أنفسهم، لاسيما وأنهم في أغلب الأحوال يتعرضون للتصوير من القنوات التلفزيونية وأجهزة المارة، لذا عليهم أن الانتباه وقد سئل سماحة السيد عن وضع الحواجز في طريق الزائرين لتخفيض السرعة حفاظًا على الزائرين وأجاب بـ:»

١- ينبغي تنظيم المسير بحيث ينتفع منه الطرفان.

٢- لا مانع من ذلك بالتنسيق مع شرطة المرور» (٣).

وقد ثبت بالتجربة القطعية أن حزام الأمان يخفف من فداحة المصيبة في أثناء الحادث ويحمي السائق من هول الاصطدام وهناك أدعية تقي بإذن الله عز وجل أخطار كثيرة بشرط أن تطبق بصدق عقيدة وقوة يقين، مثل: دعاء الركوب، ودعاء السفر في أثناء قيادة السيارات.

إن الأنظمة المرورية وضعت لتنظيم سير الناس على هذه الطرق، وحفظ أرواحهم من الهلاك، وبناء على المصلحة العظيمة المترتبة عليها فإنه يجب الالتزام بها؛ لذا نناشد

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان : ٩٩.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب الفتن (٦٦٥٩).

(٣) انظر: <https://www.sistani.org/arabic/qa/> /٥٢٩/٢٤٥٤٥.

المرجعية الدينية بتوجيهاتها التي توجب على السائق الالتزام بأنظمة المرور ففي الوقت الذي بذل فيه الشباب أرواحهم تلبية لنداء المرجعية للدفاع عن أرض العراق من دنس داعش، فكذلك نتوقع تلبية التوجيهات بالالتزام بالأنظمة المرورية وبهذا نحافظ على أرواح عدد كبير من الأرواح التي تزهق بالحوادث المرورية ولا سيما حوادث الدراجات النارية، وعلماؤنا الأوائل قد تحدثوا في أحكام كثيرة من حوادث السير مع بساطة وسائلها في عصرهم إلا أن ما دونوه في كتبهم ومصنفاتهم يُعد للفقهاء المعاصر قواعد و منارات تدله على مناط الأحكام ووجه الاستنباط في أمثال نوازل المرور المعاصرة كحكم الالتزام بأنظمة المرور، ومدى مسؤولية السائق عما تحدثه سيارته أو مركبته من ضرر، وبالنظر إلى تفاقم حوادث السير وزيادة أخطارها على أرواح الناس وممتلكاتهم، واقتضاء المصلحة سن الأنظمة المتعلقة بترخيص المركبات بما يحقق شروط الأمن كسلامة الأجهزة وقواعد نقل الملكية ورخص القيادة ومنح رخص القيادة بالشروط الخاصة بالنسبة للسن والقدرة والرؤية والدراية بقواعد المرور والتقيدها وتحديد السرعة المعقولة.

وقد جاء في الحديث «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١) الراعي: هو الحافظ للشيء المراعي لمصالحه. وكل من ذكر في هذا الحديث قد كُلف ضبط ما أُسند إليه من رعيته، واؤتمن عليه، فيجب عليه أن يجتهد في ذلك، وينصح، ولا يفرط في شيء من ذلك^(٢).

ولفظ راعي جاء نكرة ليشمل كل من كان مسؤول في عمل صغير أو كبير، خاص أو عام، فكل إنسان يكون مسؤولاً عما تحت يده من عمل صغر عمله أو كبر، كان العمل خاصاً به، أو كان تابعا للدولة أو لشركة خاصة.

وبهذا تبين لنا أن المخالفات المرورية صورة واضحة للفساد في الأرض، وهو ما

(١) ينظر: صحيح مسلم: ٦/٧- حديث رقم ٤٨٢٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ١٢/٨٢.

يراه العقلاء ليس المسلمون فقط، فكلُّ المجتمعات تميل إلى النظام والترتيب في الحياة يقول الدكتور كاريل: «إن الميل المسؤول عن استعمال الطائرة والسيارة.. في المستقبل القريب بشكل عالمي أمر طبيعي مثل ذلك الميل الذي أدى بأسلافنا إلى شرب الخمر في ظلام العصور البائدة»^(١)

إن استعمال الإنسان لهذه الوسائل كانت لسبب واحد وهو أن هذه الاكتشافات مريحة ومقبولة ولكن لم يحسب أي حساب لتأثيرها المحتمل على البشر^(٢).

توصيات:

١. من التوصيات إدراج مفاهيم التربية المرورية في المناهج الدراسية وتعزيز دور الجمعيات ووسائل الإعلام والأسرة في هذا المجال.
٢. تصميم ملصق إعلامي حول خطر استخدام الهاتف في أثناء السياقة.
٣. وضع محفزات مالية ومعنوية (جوائز) للسائقين الملتزمين بمعايير السلامة المرورية ولم تسجل عليهم مخالفات لسنوات طويلة.
٤. أهمية توجيه رسائل الإقناع والتوجيه والتأثير الإيجابي الموجه إلى لأسرة والمجتمع بمشاركة جميع الجهات الفاعلة في هذا المجال، ومن جملتها الإذاعة.
٥. التأكيد على دور الجمعيات الرياضية الجوارية في التنمية الشاملة للشباب وترشيده نحو الالتزام بقوانين المرور.
٦. ومن الحلول المقترحة النظر إلى النقل بوصفه خدمة اجتماعية.
٧. ولا بدّ من تعزيز الثقافة المرورية للسائق قبل حصوله على رخصة السياقة، مع بيان أهداف التربية المرورية المرتبطة بالمدارك، والمهارات، والمواقف والقيم.
٨. وكذا إدماج السلامة المرورية ضمن برامج عملية تربوية في المؤسسات التعليمية

(١) الإنسان المجهول: ٢٨.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ٢٨.

في المرحلة الابتدائية والمرحلة الثانوية.

٩. مقترح ورشة عمل برنامج مهارات التفكير للوقاية من حوادث المرور.

١٠. التأكيد على أهمية الصرامة في تطبيق القوانين.

١١. تحفيز على المشاركة في فعالية السلامة المرورية بتعاون مع المؤسسات الأمنية

والحماية المدنية.

١٢. مراجعة التشريعات القانونية الوطنية المتعلقة بالسلامة المرورية.

١٣. مشاركة مخابر البحث العلمي في مبادرات ومشاريع.

١٤. التركيز على أثر وسائل التواصل الاجتماعي في تعميم الثقافة المرورية.

١٥. التأكيد على أثر الأخصائيين في علم الاجتماع العائلي والنفسانيين؛ لإقرار برنامج

فعال للحصول على رخص السياقة

١٦. وضع إشارات مرورية ومركبات أكثر أمنا.

وختامًا أسأل الله عز وجل أن يقينا شر الحوادث والأضرار، وأن ينعم علينا بالأمن

والإيمان، وأن يهدي ضالنا ويصلح شبابنا وينصر حشدنا وجيشنا البطل ويحفظهم

ويعيدهم سالمين إلى أهلهم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر

القران الكريم

١. أمالي الصدوق: الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٢٨١هـ)، ط ١، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٩ بيروت - لبنان.
٢. الأمالي: أبو عبدالله الشيخ المفيد، دار التيار الجديد - دار المرتضى.
٣. الإنسان ذلك المجهول: الدكتور زاكليس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب، ترجمة عادل شفيق
٤. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار إحياء الفكر.
٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد محمود شاكر، دار المعارف - مصر.
٦. سنن الترمذي، حمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الكتب العلمية.
٧. سنن النسائي أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بجر النسائي مكتب المطبوعات الإسلامية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
٨. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري الناشر، دار الجيل بيروت.
٩. الضرر في الفقه الإسلامي: للدكتور أحمد موافي.
١٠. الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم: ط ٣، ١٩٩٥ والعهد الجديد ط ٣٠، دار الكتاب المقدس، الشرق الأوسط - ١٩٩٣. لبنان.
١١. مستدرک الوسائل: الميرزا النوري (ت ١٣٢٠هـ) تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام

لإحياء التراث. ط ١٩٨٨ - ١٤٠٨ م.

١٢. ميزان الحكمة: محمد الريشهري: دار الحديث، ١٤٢٢ هـ، قم.

١٣. مسند الموطأ: عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الجوهرى.

١٤. الفروق، أنوار البروق في أنواء الفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس

بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي) ت ٦٨٤ هـ، عالم الكتب .

١٥. مجلة الأحكام الشرعية للشيخ أحمد القاري تحقيق د. عبد الوهاب أبو سليمان ود.

محمد إبراهيم أحمد علي.

١٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني

الشافعي، دار المعرفة - بيروت.

١٧. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم / الشيخ أبو العباس أحمد الأنصاري

القرطبي.

صناعة البصيرة الأسرية في ضوء الآيات القرآنية

وسيرة شخصية العقيلة زينب عليها السلام الثورية

فاطمة آزادي منش

الملخص:

يقف العقل على مسرح التاريخ باحثاً عن أبرز الشخصيات المؤثرة في عالم صناعة الفكر البشري السليم والشخصية الإيمانية الحقة والإستقامة الروحية العبادية؛ فوجدت أقلام الباحثين والباحثات شخصية العقيلة الحوراء زينب عليها السلام محلاً لتحط الأفكار رحالها عندها وتستنبط من شخصيتها وفكرها نظريات تقوم حياة الفرد المسلم وتبني المجتمع الإنساني ليصل مراتب العلى والكمال ويتفوق على نظرائه من المخلوقات. إسوة صالحة خلقها رب العزة والكمال لتكون اليد الإلهية الرحيمة التي تأخذ بيد من يجب التعلم من مدرسة أهل البيت عليهم السلام وتعطي أفضل دروس التضحية والفداء والإباء والإيثار لتكون بحد ذاتها مدرسة أخلاقية عقائدية تهدف لتغيير واقع المجتمع وصناعة بصيرة ووعي يضمنان للمجتمع الإنساني السعادة في الدنيا والآخرة.

شخصية العقيلة تستحق الدراسة والبحث بعمق فيها لفهمها كان لزاماً علينا دراسة الجانب الأسري والاجتماعي من وحي بصيرة العقيلة الحوراء عليها السلام وكيف باستطاعة الأسرة المسلمة اليوم أن تواجه الصعاب وتتحدى المستحيلات على ضوء سيرة العقيلة زينب عليها السلام والتأسي بها. أتطرق في بحثي إلى الآتي:

* التآلق الزينبي في التاريخ الإسلامي (جولة في بيان صفاتها الأخلاقية والعلمية والعبادية) وأهمية صناعة البصيرة الأسرية.

* دور شخصية العقيلة زينب عليها السلام في صناعة البصيرة الأسرية.

* طرق إعداد البصيرة الأسرية على ضوء دراسة شخصية العقيلة زينب عليها السلام.

وتبقى الإلهامات الزينية تؤتي أكلها كل زمان لمن يريد استلهام العطر الفاطمي الحيدري من شخصيتها الواعية.

الكلمات المفتاحية: السيدة زينب عليها السلام، البصيرة الأسرية، الشخصية الثورية

Summary:

The mind stands on the stage of history, searching for the most influential characters in the world of creating straight mindsets, true faithful personalities, and straight spiritual worshiping; so the male & female researchers' pens have found that the character of Lady Zainab Al-Hawraa (PBUH), the perfect place to gather all ideas & thoughts and write about, to derive from her personality & mindset, theories for enhancing the Muslims' lives and to build the Human Society, to reach the highest levels of perfection comparing with other creatures.

She is a good person Almighty Allah (the lord of everything) had created her to be the divine merciful hand that leads each person who wants to learn about AhluAlbayet moral-educational school and gives the best lessons of sacrifice, redemption, bravery, and altruism, to be in herself a moral - jurisprudence school, aims to change the reality of society, and creating a vision and awareness ensure happiness for the Human Society in life and after-life.

Lady Zainab's personality needs to be studied and deeply searched into it to understand the Family & Social aspects, in Al-Hawraa's insight, and how the Muslim family nowadays can face difficulties and impossible in the light of lady Zainab's history.

I refer in my research the following:

* Lady Zainab's shine in Islamic history (a tour of her moral, educational, and worship qualities) and the importance of creating family insight.

* Lady Zainab's (PBUH) ideal role, in creating the family's insight

* Methods of preparing the family's insight in light of lady Zainab's personality study.

So that she will remain the ideal figure of bravery and awareness as a daughter for lady Fatima Al-Zahraa and Imam Ali (PBUT)

مقدمة:

شخصية ساحرة أخذت ألباب المفكرين لعالم الملكوت كي تسرح في فهم التفكير الإلهي الذي استحوذ على كل حركة من حركاتها وعلى كل كلمة ونظرة وموقف من حياتها، هي الحوراء زينب عليها السلام ابنة الطهر فاطم المعروفة ببلاغتها وصلابة موقفها وقوة إيمانها ومتانة عقيدتها وجبروتها الشامخ.

استطاعت نقل المرأة من صورة الإنكسار والذل والهوان إلى صورة الشموخ والعلو والرفعة لتصنع منها صرحا يحتذى به لكل نساء العالم، هي زينب والكون يعرف زينب حين وقفت في عاشوراء مع إمامها وإخيتها لتساعده وتكون نعم العون له في وجه الطغاة والفسادين.

هذه الشخصية التي نقف على أعتاب فهم فكرها نجد لها دورا عميقا في صناعة البصيرة الأسرية التي في أشد الحاجة لها في يومنا الحاضر.

ومع تسارع التكنولوجيا والإنتاجات الفكرية، ومحاولة الغرب توجيه الفكر الشبابي الإسلامي نحوه، ولمحو الهوية الإسلامية ومسح معالم الدين الإسلامي الأصيل من طريق تهديم الأسس الإسلامية في الأسرة المسلمة، ومحاولة الغرب زرع أشواك وصعاب في وجه الأسرة الإسلامية كي لا ترتقي بعلمها وفكرها وتتححرر من قيود الغربيين وأفكارهم.

فكان من الحلول اللازمة علينا بوصفهم مبلغين وإسلاميين وباحثين الرجوع إلى سيرة من لهم الدور الأساس في صناعة المجد العظيم لأمتنا الإسلامية؛ محاولين بذلك استرجاع العقل البصير لحل المشكلات الأسرية الاجتماعية وبناء بنية صحيحة تقوم الفرد ليكون المجتمع سليما بأفراده.

أهم الأفكار التي أتطرق لها في البحث:

١. التألق الزينبي في التاريخ الإسلامي (جولة في بيان صفاتها الأخلاقية والعلمية والعبادية) وأهمية صناعة البصيرة الأسرية.

٢. دور شخصية العقيلة زينب عليها السلام في صناعة البصيرة الأسرية.

٣. طرق إعداد البصيرة الأسرية على ضوء شخصية العقيلة زينب عليها السلام

المبحث الأول: التألق الزينبي في التاريخ الإسلامي (جولة في بيان صفاتها الأخلاقية والعلمية والعبادية) وأهميتها صناعة البصيرة الأسرية.

تألق زينبي على مدى التاريخ:

هي زينب سيدة هاشمية ابنة السيدة العظيمة أم المؤمنين فاطمة الزهراء عليها السلام وابنة أمير المؤمنين وفخر النبي الأكرم والأئمة الميامين علي بن أبي طالب عليه السلام.

«..وكانت امرأة اسمها زينب تتألق وسط الناس...ترتل نداء السماء: يا نار كوني

بردا وسلاما.

تقدمت نحو التي كورت.. كانت تتنفس روح علي...ترتدي حلة أيوب النبي.

تقدمت نحو آخر القرابين السماوية.»^(١)

كانت السيدة زينب عليها السلام ثمرة بيت النبوة التي نشطت بها الحركة الشيعية والتعطش لعلوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام والمحفز المعنوي من خلال دورها الإعلامي للقيام بنهضة إسلامية تقف في وجه أعداء الحق والبصيرة والحكمة.

وحملت رسالة الوعي والفهم والإدراك فلاعجب وهي ابنة سيدة البلاغة وأمير الفصاحة وبيت الخطباء ومنبر الحكماء وجدها سيد الأنبياء (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين).

العلم الزينبي:

لاتخفى على المتتبع للتاريخ الإسلامي مكانة العقيلة الهاشمية زينب عليها السلام العلمية؛ فقد كانت منارا يستضيء به المفكرون وينال قبس النور منها الأولياء والصالحون.

منها عرف قدر المرأة المثقفة المتعلمة ودورها في بناء المجتمع الإسلامي بوصفها فردًا بانيًا لا يمكن الإستغناء عنه، بل حتى هي المجتمع برمته حين تكون هي الأم والأخت والمربية والمعلمة والمدافعة والدافعة المحفزة للأفراد كي يبنوا مجتمعًا سليمًا يدافع عن بناء العقائدية وأصوله الإسلامية وقيمه الأخلاقية.

[لقد أقامت سيدة النساء صروح النهضة الفكرية، ونشرت الوعي السياسي والديني في وقت تلبدت فيه أفكار الجماهير وتحدرت وخفي عليها الواقع، وذلك من جراء ما تنشره وسائل الحكم الأموي من أن الأمويين أعلام الإسلام وحماة الدين وقادة المتقين، فأفشلت مخططاتهم وأبطلت وسائل إعلامهم؛ وأبرزت بصورة إيجابية واقعهم الملوث بالجرائم والموبقات وانتهاك حقوق الإنسان]^(٢).

إن علمها لم يكن مقتصرًا على الناحية الدينية فحسب، بل تعداه ليشمل الناحية الإعلامية المتعارف لدينا اليوم فتقوم المرأة لتتطرق كلمة الحق ويكون لها مكانتها ومركزيتها وفعاليتها.

من علمها نستطيع صناعة البصيرة الأسرية من طريق الإبتداء بنقل المعارف الزينية لفكر المرأة المربية والأب الباني للأسرة وأخذ الدروس التربوية الإيمانية منها لمواجهة ماتلقاها الأسرة اليوم من معاناة ومظالم.

والعتماد على سيرتها الأخلاقية في نيل الصبر والتقوى والذيمان وعدم السماح لأذرع الشيطان بتفكيك أواصر المحبة بين أفراد الأسرة.

فعلاقة السيدة زينب عليها السلام مع أخوتها علاقة دينية إيمانية أسرية قوية متينة تشكل

نموذجاً للترباط والاتحاد الأسري النموذجي الصامد أمام العقبات في وقت الأزمات وهذا ما نحتاجه في وقتنا الحالي.

كيف نقف متكاتفين في وجه الصعوبات وقت الأزمات بقوة وإيمان راسخ.

مما ورد في التاريخ الإسلامي عن التألق العلمي الزيني في خصوص مسألة التوحيد

الخالص:

[سألت زينب عليها السلام والدها أمير المؤمنين علي عليه السلام ذات يوم، وقالت: (أحبنا يا

أبتاه؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي !

فقلت زينب عليها السلام: الحب لله تعالى والشفقة لنا) [٣]

هذا يدل على مدى الفهم الزيني لعلاقة العبد مع البارئ جل وعلا وضرورة

خلوص الحب لله تعالى.

تألق الخلق الزيني في التاريخ الإسلامي:

تربت السيدة العظيمة زينب عليها السلام على أيدي أعظم المربيين في التاريخ والمؤسسين

للأسس التربوية السليمة.

بيت النبوة الطاهر الذي تفرعت منه الأنوار الزينية لتكسو التاريخ الإسلامي

حلل الأخلاق الرفيعة وتسجل في صفحاته أشرف المواقف الأخلاقية المتجلية بصور

التكاتف والتعاون والاتحاد والانصهار في بوتقة العشق الإلهي.

هناك في عاشوراء حيث لاحت إشراقات الحوراء زينب عليها السلام الأخلاقية موسومة

بالعواطف الجياشة الإيجابية ومشحونة بدوافع تحدي الجبت والطاغوت كانت قدوة

أخلاقية قل نظيرها وجبلا صامدا لا يتزحزح في ظل الظروف الصعبة التي واجهتها

والتي حيرت كل من قرأ مصابها.

[.. في الحقيقة إن السيدة زينب عليها السلام هي التي صنعت حادثة كربلاء. ونحن بحاجة لهذا الوعي عند نساءنا، لتعلم أم الشهيد معنى صبرها ومدى تأثيره وأهميته في إعداد الإنسان. ولتعلم زوجة الشهيد أي دور لها وأي أهمية. ولتعلم الفتاة العفيفة الطاهرة أي دور وأهمية لعفتها وطهارتها في بناء المجتمع.].^(٤)

إنَّ الحالات الأخلاقية المتجلية في الصبر على الطاعة والصبر على المصيبة وارتقاء سلالم التقوى من طريق ترويض النفس وتربيتها كي تكون شامخة مفتخرة بمالديها من إيمان مغروس في الوجود وظاهر على الجوارح كل ذلك نستشق عبره من سيرة الحوراء زينب عليها السلام مما يؤدي لصناعة بصيرة أسرية.

التألق العبادي الزينبي في التاريخ الإسلامي:

عابدة من شجرة الحب الإلهية اصطفها ربه لتكون محلا لتطبيق مفاهيم العبادة الخالصة على أرض الواقع وناقلة لأهم رسالة سماوية من طريق تحركها ونهضتها الحسينية الثورية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب: (٣٣).

عبدت الله وعبدته حق عبادته فلم تتوانى عن القيام لصلواتها وتساييحها، بل كانت حتى في وسط المصائب عبادتها نعم العون لروحها المتألّمة من الواقعة ومجرياتها الأساسية.

وعبها لمفهوم العبادة وضرورتها قل نظيره في صفوف المواجهين للطاغوت، فهي العقيلة الهاشمية صاحبة النظرة اللاهوتية والروح الملكوتية والمتوكله على خالقها والمعتمدة عليه لا على سواه، أعطت وجودها حقه من العلم والمعرفة والعبادة وغذت روحها بالتغذية المعنوية فصارت حصنا منيعا لسبايا آل البيت عليهم السلام يوم عاشوراء،

وقامت بوظيفتها الداعمة للأيتام وكفالتهم ومساندة الإمام زين العابدين عليه السلام والوقوف معه جنباً إلى جنب كل ذلك كان من مركبات وجزئيات البصيرة الزينية في التكاتف الأسري الإجتماعي في وجه البيت الأموي الظالم.

[قال السيد في اللهوف والشيخ في الإرشاد: لما سقط الحسين إلى الأرض خرجت زينب من باب الفسطاط وهي تنادي: وا أخاه واسيداه وأهل بيتاه. لبت السماء أطبقت على الأرض ولبت الجبال تدكدكت على السهل، فنادت عمر بن سعد: ويحك يا عمر أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فلم يجبها عمر بن سعد، فنادت: ويحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد] ^(٥)

وهذا كان من أبرز الصور العبادية في الدفاع عن إمام زمانها ومناصرته وحماية أخيها من الأعداء والوقوف في وجههم ومجابهتهم.

المبحث الثاني: طرق إعداد البصيرة الأسرية على ضوء سيرة السيدة زينب عليها السلام
البصيرة الأسرية أو مانسميه بالوعي الأسري الذي يشمل أعضاء الأسرة الواحدة ويكون كل فرد منهم متسلحاً بأدوات المعرفة والوعي فتكون الأسرة موحدة ومتماسكة.
من الضروري في يومنا الحاضر التطرق لمنابع ومصادر البصيرة الأسرية وموارد تقويتها وتعزيزها.

إنَّ البصيرة الأسرية تلعب دوراً هاماً في صياغة الهوية الأسرية وإصباغها بالصبغة الدينية والعلمية، فكلما كانت البصيرة الأسرية أوسع نطاقاً كانت أكثر وعياً وفهماً لما يحيط بها وتتصدى لمن يريد إلحاق الأذى بها سواء كان الأذى فكرياً أو مواجهة حربية [إنَّ السكون في الجو العائلي يترك أثراً على الفرد بدرجات مختلفة، وتنشأ من ذلك الهوية تدعى الأسر الصالحة على ضرورة اطلاعهم على الأحكام، فقال: (وتوخ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة،

فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع، إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً] ^(٦)

فالمعرفة والحكمة من ضروريات الحياة ولاغنى عنهما ومندونهما يحصل العمى لمنيسير في الحياة ويكون التيه والضلال مصيره.

إنَّ الحكمة الإلهية التي اكتسبتها العقيلة زينب عليها السلام من والديها وكذلك الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام شكلت رصانة وحصانة لهم، ولايستطيع الفكر المنحرف أن يؤثر عليهم، بل على العكس تماماً شكلوا بعلمهم ومعرفتهم بالترافق مع العوامل النفسية الاجتماعية وإرادتهم وتصميمهم جبهة مقاومة حرة رفعت الإسلام عالياً.

من طرق إعداد البصيرة الأسرية على ضوء سيرة الحوراء الطهر زينب عليها السلام:

١ . معرفة الهدف والغاية:

كانت السيدة زينب عليها السلام على دراية كاملة بوظيفتها الشرعية وأهمية تحركها ضمن الإرادة الإلهية المطلوبة منها في الدفاع عن ركن الإمامة والولاية ونشر مبادئ الحق، قال تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ ^(٧)

والعقيلة زينب عليها السلام بينت الهدف من وجود الفرد المسلم ووظيفته الشرعية والغاية من خلال كلامها وتطبيقها العملي لما ذكرته في خطبتها الشهيرة.

وقالت للإمام زين العابدين عليه السلام عندما أخذت تسليه وتصبه وهو الذي لاتوازن الجبال صبره وفيما قالت له: [" مالي أراك تجود بنفسك يابقية جدي وأبي وأخوتي، فوالله إن هذا العهد من الله إلى جدك وأبيك ولقد أخذ الله ميثاق أناس لاتعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات إنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرجة، فيوارونها وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أليكسيد

الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحي رسمه على كرور الليالي و الأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه فلايزداد أثره إلا علوا" [٨]

كانت البصيرة الزينية واضحة المعالم في خطبها فهي على دراية شاملة لما يدور حولها ومدركة تماما بأن النصر حليفهم وعلى عكس ماظهر للأعداء الذين ظنوا بأنهم هم المنتصرون في حين أن النصر كان في عالم الغيب مكتوب لآل البيت عليهم السلام وعلى المدى البعيد كذلك، وكأئها قد رأت في تلك الأيام الصعبة يومنا الحالي ومدى محبة الشيعة لهم وأقبالهم على الزيارة لمرقد أخيها الإمام الحسين عليه السلام ومرقدها المبارك، وقالت و قولها كان حقا.

٢. الإيمان بالغاية والهدف:

على من يريد نيل البصيرة والوعي أن يتحلى بالإيمان بهدفه والإرادة القوية والعزم الراسخ ليكون أسوة حسنة يقتدى بها في حال واجهته الصعاب، وزينب الحوراء عليها السلام كانت مؤمنة بهدفها في الخروج لكربلاء لتتحدى بوجودها هناك هياكل الطغاة وتزعزع عروشهم وثبت لهم بأن المرأة باستطاعتها القيام بالجهد والمقاومة.

وعاشوراء في كل زمان تنطق شخصية الحوراء الواعية الفاهمة من طريق الشعائر الحسينية فلحظ بصيرتها تتشعب إلى محبيها الحاضرين في مجالس أخيها الإمام الحسين عليه السلام ويستقون من معين حكمتها التي نسمع عنها على المنابر لتصبح عينا يشرب منها الباحثين عن البصيرة ومن ثمّ تشكل البصيرة الأسرية والوعي المراد.

آمنوا بأحقية الإمام الحسين عليه السلام ومظلومية الحوراء زينب عليها السلام يوم الطف ومن طريق هذا الإيمان انطلقوا محيهم وشيعتهم لحضور مجالس معمورة بذكرهم النوراني وامتزجت العاطفة مع الفكر ليكون مسر حاتقف عليه الدروس الزينية متجلية للحاضر في المجالس العاشورائية وتصبح زينبا ملهمة البصيرة الأسرية لكل فرد من أفراد الأسرة

المسلمة عموماً والشيعية على وجه الخصوص.

نتائج البحث:

- ١- السيدة زينب عليها السلام تألقت تألقاً تاريخياً قل نظيره بفضل صفاتها وكمالاتها.
- ٢- التألق العلمي للحوراء زينب عليها السلام كان بارزاً وواضحاً وله الأثر العظيم في تغيير صورة المرأة وبيان دورها العلمي في صناعة البصيرة الأسرية من طريق اكتساب العلوم والمعارف الإلهية وعلى وجه الخصوص نيل المعارف من مجالس عاشوراء السنوية.
- ٣- التألق الأخلاقي والعبادي للسيدة زينب عليها السلام كان له أثر في بيان أهمية بناء الشخصية الواعية والمدركة على أسس أخلاقية عبادية تعرف وظائفها الشرعية ومكانتها في الحياة.
- ٤- البصيرة الأسرية عامل هام وضروري في صياغة الهوية العائلية.
- ٥- البصيرة الأسرية ركن من أركان رقي الأسرة المسلمة ورفعتها.
- ٦- تعدد البصيرة الأسرية من أدوات مواجهة الفكر الغربي الذي يحاول هدم الأسرة المسلمة باعتبارها اللبنة الأساس لبناء المجتمع الإسلامي.
- ٧- صبر وحكمة السيدة زينب عليها السلام في يوم عاشوراء ووقوفها في صف أخيها الإمام الحسين عليه السلام ودفاعها عن الولاية ومرتكزات الإمامة ورفع كلمة الحق وإلقاء طبعتها المشهورة كل ذلك من معالم البصيرة الأسرية المكتسبة من بيت النبوة وموروث فاطمي حيدري بامتياز لانظير له.
- ٨- التكاتف والتعاون فيما بين السيدة زينب عليها السلام وأخوتها وحالة التعاضد والنصرة من أجل حالات البصيرة الأسرية والتي نتى حصولها في كل الأسر المسلمة لتقف في وجه المشاكل والصعاب والتحديات التي تواجهها الأسر في يومنا الحاضر

وذلك من طريق الإيمان بقدرتهم ووعيهم والإيمان بالهدف والغاية.

الهوامش:

١- السيد، كمال، امرأة اسمها زينب، ص ١١، ص ١٢، الطبعة الثانية ١٣٧٩ هـ.ش، مؤسسة أنصاريان، مطبعة الصدر.

٢- القرشي، باقر شريف، اسيدة زينب رائدة الجهاد في الإسلام، ص ١، الطبعة الأولى، المطبعة شريعت، ٢٠٠٠ م.

٣- الديباجي، أبو القاسم، زينب الكبرى عليها السلام بطلة الحرية، ص ٢٨، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.

٤- مجموعة كلمات وخطابات للإمام الخميني (قدس سره) وآية الله السيد القائد الخامنئي (حفظه الله)، ترجمة: موسى قصير الأسدي، ص ٢٦، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.

٥- الزنجاني، إبراهيم، وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام، ص ٣٢٨، الطبعة الثالثة، ١٩٩٠ م.

٦- الحسين، أبو القاسم، دراسة في علم النفس الإسلامي، ص ٥٠٠، ص ٥٠١، ترجمة: ناصر النجفي، الطبعة الثانية، مجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، ١٣٩٧ هـ.ش.

٧- سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

٨- الشهرستاني، محمد علي، النهضة الحسينية، ص ٤٢، الطبعة الأولى، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٤ م.



المحور الرابع

القرآن والتغيرات الثقافية



أبرز الأحداث التاريخية في القرآن الكريم
وأثرها في إصلاح المجتمع: قراءة في نماذج

أ. د. حمدية صالح الجبوري م. د. أحلام حميد نعمة الجنابي

جامعة القادسية / كلية التربية / قسم التاريخ جامعة القادسية / كلية التربية

الملخص:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الغر الميامين

يعدُّ القرآن الكريم دستوراً للعبر والدروس الفرديّة والأسرية والإنسانية، ومعالجة الأمراض النفسية، ودلالة الخلق على الصلة بالله وإفراد العبادة له، والتضرع بين يديه، وشدة الدعاء والانكسار، والتجارب المتنوعة لبني الإنسان التي تقدم لنا معلومات مهمة من طريق القصص القرآني عن عصور ما قبل الإسلام، وأخبار دولها، أيدتها الكشوف الحديثة.

إنَّ هدف القرآن من قصصه، ليس التأريخ فقط لهذا القصص، وإنَّما نأخذ منها عبراً للإفادة ممَّا حلَّ بالسابقين، وزجرًا لخصوم الإسلام من قريش، ثم تشبيهاً لقلب النبي صلى الله عليه وآله أمام أذى الكافرين؛ إذ شاءت رحمة الله بالمصطفى المختار صلى الله عليه وآله أن تخفف عنه الشدائد والآلام، من طريق قصص الأنبياء والمرسلين؛ إذ يذكره الله (جل وعلا) بما لاقاه الأنبياء من الظلم والتعنت من قبل المعاندين، ولذا جاءت الآيات القرآنية الكريمة لتوصل رسالة سماوية إلى العالم الإسلامي مروراً برسوله الكريم، اختصرتها الآية القرآنية التالية: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة هود: ١٢٠].

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، القصص، الفوائد، الأنبياء

Summary:

Praise be to Allah, and prayers & peace be to the master of messengers, prophet Mohammed, and his noble family.

The Holy Quran is considered a constitution of lessons for all society's members in treating psychological illnesses, a way of connection-bonds between Allah and his creatures, believing in monotheism for Almighty Allah, supplicating between his hands, the intense of asking things(douaa), and the diverse experiences of Human beings, that provide us with important info throughout Quranic stories of pre-Islamic ages, and its nations' news which was supported by modern discoveries.

The Purpose of the Quranic stories is not only the historical part of these stories but to take the lessons of what happened to the previous nations, snubbing Islam's enemies (Quraysh leaders), and strengthening prophet Mohammad's heart against the unbelievers' harm; so Allah mercy willed for prophet Mohammad to reduce his struggles and pains, in mentioning the previous messengers & prophets stories, of what they faced by injustice & pain from the infidels, therefore; the Holy Quranic verses came to transfer a divine message to the Islamic nation, summarized by the following Quranic verse:

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ
وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]

"And each [story] We relate to you from the news of the messengers is that by which We make firm your heart. And there has come to you, in this, the truth and an instruction and a reminder for the believers."

(Surah Hud 120)

مقدمة:

يعدُّ القرآن الكريم حصيلة جمع كثيرا من الحقائق الثابتة، مضيفاً إليها ما أراد الله زيادته من علوم الأولين والآخرين والأمم السالفة الذكر، ومع ذلك فإنَّ ميدان الدراسة في التاريخ القديم، قد حرم من هذا المنهل الغزير، وربما لأنَّ هذا الميدان إنما قد ظلَّ إلى عهدٍ قريب يكاد يكون مقصوراً على المستشرقين، وتلاميذهم من العرب غير المسلمين، وإنَّ هؤلاء وأولئك لم يتطرقوا في دراساتهم إلى الأحداث التاريخية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، وربما لأنَّ هذه الدراسة بعيدة عن أغراضهم، أو لأنَّ مجال البحث فيها قد لا يستهويهم لسبب أو لآخر، أو لأنَّ العرب منهم إنما كانوا يحسون بحرج إن تناولوا أحداث القرآن التاريخية بالبحث والدراسة، ولذا ارتأينا أنه من الضروري عرض هذا الجانب والبحث فيه؛ بغية وضع استخلاص بعض الجوانب التاريخية من القرآن الكريم.

تطلبت طبيعة الدراسة تقسيمها على مبحثين تسبقهما خلاصة ومقدمة وتنتهي بخاتمة، وكان المبحث الأول بعنوان: (المصطلح التاريخي في القرآن الكريم)، وفوائد التاريخ في القرآن الكريم، وتناول المبحث الثاني (نماذج من أخبار الحضارات السالفة في قصص القرآن الكريم)، وخلص البحث إلى مجموعة من النتائج توصلنا إليها في نهاية البحث.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر يقع على قيدومها القرآن الكريم، فضلاً عن العديد من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، منها: (الاثقان في علوم القرآن) للسيوطي، (علم التاريخ عند العرب - فكرته وفلسفته) لنزار الحديثي، فضلاً عن العديد من المصادر الأخرى.

المبحث الأول- (المصطلح التاريخي في القرآن الكريم):

يُعد القرآن الكريم واحداً من المصادر التي لا يمكن للباحث التاريخي أن يستغني عنها، بوصفه سجلاً لأحداث تاريخية مهمة وقعت في أزمنة وأمكنة مختلفة، ولاسيما في المدة التي سبقت ظهور الإسلام، إلا أنه على الرغم من تلك الأهمية التاريخية لم ترد فيه لفظة (تاريخ) بهذا المصطلح أو إحدى اشتقاقاتها؛ لكن استعير عنها باستعمال عدد آخر من المصطلحات اللغوية التي تعبر في مجملها عن أركان الحدث التاريخي (زمان، مكان، حدث، صانع للأحداث).

ولعلّ من أكثر المصطلحات التي استعملت في القرآن الكريم مصطلح (الأولى) الذي ورد في أكثر من مائة موضع، وجاء بمعنى حقبة من التاريخ مضت، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^١، ويقصد بهذه الآية الدين الجديد الذي جاء به موسى بإذن ربّه من بعدما هلكت أقوام نوح وعاد وئمود وغيرهم، لينور به قلوب الناس، وينقذهم من الضلالة ويرشدهم إلى الهدى، آية من الخالق الكريم لعباده، عسى أن يكون في ذلك موعظة لهم وشفاء^٢. وإلى جانب هذا المصطلح وردت كلمة (الأولين) وجاءت في جميع مواردّها للإشارة إلى الأمم السالفة، ومن الجدير بالذكر أنّ هذا المصطلح لطالما جاء مرتباً بكلمة الأساطير^٣، وربما يعود سبب ذلك إلى أنّ تاريخ تلك الأمم القديمة وقبل أن يتمّ تدوين التاريخ ارتبط بالأسطورة المتعلقة بالآلهة والأبطال الخالدين وغيرهم، وأصبحت تتناقل بين الأمم حتى باتت تشكل حقائق ومسلمات تاريخية، لذلك جاء رد القرآن الكريم حاسماً في هذا المجال، حتى أكد أنّ معظم ما ورد عن تلك الأمم من أخبار غير دقيقة، وما هي إلا ضرب من الأساطير.

وإلى جانب المصطلحين السابقين ورد في القرآن الكريم مصطلحات أخرى، جسدت عنصر الزمان في الحدث التاريخي، ومنها كلمة (الآخرة) التي وردت أكثر من

مائة وعشر مرات، وجميعها يشير إلى زمان قادم، يصح أن يطلق عليه (تاريخ مستقبلي)، على اعتبار أنه حتمي الوقوع، فهو بمحلّ الماضي لا محالة.

ووردت في القرآن الكريم كلمة الأهله، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^٦، وهي كلمة استعملت للوقوف على عنصر الزمن، والإفادة منها في حساب الزمن، ولا سيّما وأن ذلك مرتبط بكثير من شعائر الإسلام وأحكامه كالحج والصوم وغيره.

وقد احتوى القرآن الكريم على مصطلحات آخر، ذات علاقة ليست ببعيدة عن كتابة التاريخ، مثل (يسطرون) وجاءت مقرونة بالقلم، و(مسطور) وجاءت مقرونة بالكتاب و(الأساطير) و(صحف الكتاب)^٥، وورد فيه أيضًا مصطلحات تاريخية أخرى، مثل: (قصص، حدث، خبر، نبأ) وجاءت جميعها للتدليل على فكرة التاريخ وعن الأخبار والأنباء والتعريف عبر هذه المصطلحات بالغاية التاريخية والنفسية، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^٦.

ومع كل تلك الإشارات إلى إمكانية عد القرآن الكريم في أحد وجوهه سجالًا تاريخيًا مهمًا إلا أن العديد من الباحثين يتحفظ في تلك الفكرة، انطلاقًا من عدد من التساؤلات والمزاعم والشروط التي يجب أن تتوافر في مصدر ما حتى يصح أن نسميه مصدرًا تاريخيًا، ونحاول أن نتلمس بعض تلك التساؤلات ونقدم بعض الإجابات لها مستندين على ذلك بما ورد في القرآن الكريم نفسه.

(فوائد التاريخ في القرآن الكريم):

كثيرة هي فوائد التاريخ التي وردت في القرآن الكريم، وقد تنوعت بين ترغيب وترهيب وإنذار واعتبار وتسلي وتأسي ونصح وغيرها. وعلى أساس فهمنا لبعض الآي

القرآني سنذكر بعض هذه الفوائد مشخصينها بنقاط أهمها:

١- استعمال المادة التاريخية التي وردت في القرآن الكريم لتحقيق الغاية الأسمى من نزول القرآن الكريم، ومحجىء الإسلام وهي دفع الأفراد إلى التوحيد والاعتراف بوحداية الباري جل جلاله، وذلك من طريق قلب الأدوار واختلاف الليل والنهار وتعاقب الأمم والأجيال، إذ في ذلك تنبيه للغافلين وعظة للمتعطين. قال تعالى: ﴿إِن يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^٧.

٢- استعمال سير الأنبياء والأولياء الصالحين في تهذيب النفس وتحويل تاريخهم إلى منهاج أخلاقي يتبعه المؤمن في مسيرة حياته اليومية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^٨

٣- معرفة كيفية الخلود في الأولى وكسب الآخرة، التي تتأتى من حسن سيرة الفرد وأعماله الحسنة التي تترك تأثيراً في نفوس الآخرين. كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾^٩.

٤- معرفة التوقيت الذي يفيد في أمور الدنيا المختلفة، من أمور دينية متعلقة بالصلاة والصيام والزكاة إلى أمور أخرى متعلقة بالعمل مثلاً. كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾^{١٠}.

٥- معرفة أخبار الأمم الماضية والأقوام السالفة، كقوم نوح وقوم موسى وهارون وفرعون وغيره، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَدْتُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَرَبِّينَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾^{١١}. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾^{١٢}، مما يوفر للإنسان فرصة أخذ العبرة والحكمة من حوادث الماضي؛ لأنّها دلالات للتفكير،

فضلاً عن تقديمها الذكري والتبصرة والإرشاد إلى الصواب وتجنب الخطأ من طريق الإفادة من تجارب الإنسان في الماضي، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^{١٣}.

٦- استخلاص الهدف الأسمى للوجود الإنساني من المادة التاريخية في القرآن الكريم، والمتمثل بالإفادة من سير الأمم ومصائرهما لتحديد مصيره في الجمع بين استحقاق الدنيا والآخرة، وعدم اتباع منهاج بعض الأمم والأشخاص الذين أضاعوا أحرهم لأجل دنياهم، كما حدث لقارون وفرعون وغيرهم.

٧- الوعي بالزمن، قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^{١٤}، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{١٥}.

٨- إدراك عديد الأعوام ومعرفة الليل والنهار، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾^{١٦}.

٩- صنع المجتمعات المتحضرة التي يمكن لها أن تستمر باستمرار أخلاقها ومبادئها الفاضلة، كالتوحيد والتقوى والعدالة والإيثار والمحبة والتعاون والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن بقاءها مرهون بأخلاقها^{١٧}.

١٠- صنع رجال المرحلة الذين يمكن أن يتحملوا أعباء الأمة الإسلامية ويتصدوا لحل مشاكلها، فكان رسول الله ﷺ وهو أشد المسلمين التزاماً بقانون الباري (عز وجل) وكتاب الله وأوامره، على خلق القرآن الكريم، وفيه يقول الباري: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^{١٨}. فيأمرنا الله تعالى الاقتداء بسيرته (صلى الله عليه وآله) المباركة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^{١٩}.

١١- الإفادة من بعض الإشارات التاريخية التي وردت في القرآن الكريم لمعرفة

بعض العبادات والأفكار والعادات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتحديدها، التي كانت سائدة في الأمم السالفة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَدْتُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^{٢٠}، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾^{٢١} وغيرها من الآيات الكريمة.

المبحث الثاني: (نماذج من أخبار الحضارات السالفة في قصص القرآن الكريم):

لقد أثبتت الدراسات النقلية منها والعقلية، أن القرآن الكريم منهاً للعلوم كافة، ومنها التاريخ، إذ يعد مصدرًا مهمًا من مصادر التاريخ، لما سجله لنا كثير من الأحداث المهمة التي عاشتها البشرية عبر مختلف مراحل وجودها، ومع أن أغلب تلك الأحداث جاءت على هيئة إشارات، إلا أنه يكفي مصداقيتها وثبوت صحتها؛ لأن القرآن الكريم يعد مصدرًا حَقًّا ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^{٢٢}، ولا نتظر نحن أكثر من إشارات حول تلك الأحداث؛ لأن القرآن وإن ذكر تلك الأحداث إلا أنه ليس كتابًا تاريخيًا؛ ولذا فالتفصيل في تلك الحوادث يمكن الرجوع إليها وتتبعها بالمصادر ذات الاختصاص^{٢٣}.

وقد عرض لنا القرآن الكريم كثيرًا من الصور والقصص التاريخية للأمم والأقوام السالفة، وذكر مسيرة كثير من الأنبياء والصالحين، وجاء ذكرها؛ لتحقيق كثير من الأغراض النفسية والمعنوية والمادية، سواء أكان للنبي الأكرم^{٢٤} أم للناس عامة، ولو تصفحنا القرآن الكريم لوجدنا مئات الشواهد التي نحت منحى النص التاريخي، ونبدأ بقصة أبي البشرية آدم عليه السلام^{٢٥} وصولًا إلى النبي الأكرم عليه السلام^{٢٦} مراعاةً للتسلسل التاريخي. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^{٢٧}، وهذه الآية تحدثنا عن آدم ﷺ^{٢٨} وبداية العصر التاريخي للبشرية، فقد كان الناس أمة واحدة، وأنَّ الإنسان ما قبل التاريخ، وما قبل النبوات كان يحيى في حياة فطرية قائمة على أساس وحدة المصالح والدم، وعدم وجود ما يهدد حالة السكون والخمود التي تميز هذه الحياة؛ نظرًا لبساطة الحاجات وتوفر ما يلبها ويشبعها من الطبيعة من دون الحاجة إلى فعالية وصراع؛ ولكن حركة الحياة النامية المتصاعدة وتزايد عدد أفراد النوع وتفاوت القدرات العقلية والجسمية، كل ذلك وما يشبه من عوامل الانقسام والتعقيد أدّى إلى نشوء خلافات داخل الجماعة البشرية النامية، وفعالية الصراع بين أفرادها وفتاتها وربما كان أول مظاهر ذلك حيثيات الجريمة الأولى بين ابني آدم ﷺ^{٢٩}، وقد قصَّ الله تعالى نبأهما في القرآن الكريم وترددنا في كون أنَّ هذه الجريمة هي أولى مظاهر ذلك الصراع، وهي ناشئة من وجود احتمال أن آدم القرآني لا يمثل بداية الجنس البشري على الأرض؛ وإنما يمثل بداية النسل البشري الموجود الآن، ويكون على هذا قد وجد نسل سابق على النسل الموجود الآن من بداية يمثلها آدم سابق على آدم القرآن، ويؤيد ذلك قول باقر الأولين والآخرين^{٣٠} «لقد خلق الله تعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم^{٣١}. وعلى هذا فإنَّ الآية من سورة البقرة المذكورة تؤرخ لمدة من عمر البشرية سابقة على المدة التي بدأت بآدم القرآن^{٣٢}، ثم تدرج القرآن الكريم بتسجيل رائع للأحداث التي أعقبت حكم آدم^{٣٣}، فسجل لنا بداية حركة التاريخ الفعلي حينما سعى إبليس عليه اللعنة إلى إخراج أبي البشرية، ومن ثمَّ قد يكون ذلك قد يسهم بشكل مباشر في تغيير خط الوجود البشري والإنسان، قال تعالى في وصف ذلك: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى﴾^{٣٤} فقد نجح إبليس في إغواء آدم وحواء^{٣٥} بإخراجهما من الجنة عبر تحريك الفطرة الإنسانية لديهما في الحصول على الخلد وملك لا يبلى، وهي فطرة جبل الإنسان عليها^{٣٦}، وكانت نتيجة كل ذلك تغير مسار الجنس البشري.

ومن جهة أخرى دون القرآن الكريم كثيرًا من الأحداث التاريخية التي سجلت لنا بدورها بدايات أو نهايات كثير من الأمم والأقوام والأمكنة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^{٣٧}، ومع أن الآية الكريمة لا تشير صراحة إلى وقت بناء الكعبة إلا أنها ذكرت الأشخاص الذين أسهموا في بنائها، وهما نبيان لله تعالى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام^{٣٨}، أما وقت البناء فيمكن تحديده إجمالاً من طريق الرجوع إلى الكتب والمصادر المعاصرة^{٣٩}، ومن طريق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمْتُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لَيْطَمَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^{٤٠}، ومن النظر في الآية المباركة يمكننا أن نحدد مكان وقوع هذا الحدث عبر التركيز على كلمة (جبل) والمعروف تاريخياً أن الخليل^{٤١} كان يسكن بابل؛ ولكن مع ورود كلمة جبل يصبح من الضروري استبعاد أن تكون هذه الحادثة قد وقعت ببابل، ذلك أن بابل تخلو من الجبال فيصبح من الراجح أن تكون الحادثة قد وقعت في بلد آخر، وقد يكون في جبال الأردن كما أشار إلى ذلك العياشي في تفسيره^{٤٢}.

وسجل القرآن الكريم بتواتر قصصي وتاريخي رائع مسيرة عدد كبير من الأنبياء وتاريخها، والتضحيات الكبيرة التي قدموها في سبيل نشر رسالاتهم، وكيفية تقبل الأمم التي بعثوا إليها للواقع الجديد، الذي ربما قبلوه وربما رفضوه رفضاً وصل معه الأمر إلى قتل أنبيائهم كما حدث مع أغلب أنبياء بني إسرائيل، فأيات القرآن الكريم تصرح بالمسيرة التاريخية لعدد كبير من أنبياء الله تعالى، وفي مقدمتهم آدم ونوح وإبراهيم ولوط وموسى وعيسى والخاتم (صلى الله عليهم أجمعين)، فقد تتبعت الآيات البيانات رسم التفاصيل المهمة في مسيرة هؤلاء الأنبياء مع أممهم، ومن ذلك ما ورد في قصة نوح عليه السلام^{٤٣}، وما عاناه من عدم استجابة قومه له ممّا حدا به في نهاية الأمر إلى أن يرسم نهاية وبداية

جديدين للوجود البشري بصناعة السفينة التي حمل فيها زوجين من كل مخلوق على وجه الأرض، بعد أن أمره الله تعالى بفعل ذلك على خلفيّة إقراره تعالى شأنه العذاب على أمة نوح وإغراقهم بطوفان عظيم، ولم ينج غير نوح عليه السلام^{٤٤}؛ ومن معه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^{٤٥}، وهذا من أعظم الأحداث التاريخية التي ذكرها لنا القرآن في آياته.

ولا يختلف الأمر كثيرًا مع باقي الأنبياء، ومنهم موسى عليه السلام^{٤٦} وقصته مع قومه من بني إسرائيل، فقد سجلت قصة موسى عليه السلام^{٤٧} مع قومه كثيرًا من الأمور والأحداث التاريخية المهمة؛ إذ صرحت بأن الظلم والاستبداد ساد في تلك المدة لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^{٤٨}، كما أن مساند الرواية التاريخية لموسى عليه السلام^{٤٩} أوضحت أنهم عبدوا فرعون في صورة الإله أو مقربًا منه، وهي عبادة استشرت في أزمنة مختلفة، وهناك حقيقة أخرى يمكن أن نستوحيها من الآيات البيّنات في قصة موسى عليه السلام^{٥٠}، هي انتشار السحر والأفكار المتعلقة به ووصولها إلى مرتبة عالية من الاعتقاد عند بني إسرائيل في تلك المدة ممّا حدا بالسلطة أن تلجأ إليها بوصفها فيصلاً مهمًّا في نزاعها مع موسى عليه السلام^{٥١} كما تحدثنا الآيات الكريّمات عن الحوار الذي جرى بين موسى عليه السلام^{٥٢} وفرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْ بِشْيءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تَوْكُّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ * فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾^{٥٣}، وهنا

الكلام عن وقوع هجرة جماعية لأتباع موسى عليه السلام^{٥٤} ربما إلى مصر، إلى جانب إقرارها لنا بالنهاية التاريخية لفرعون وجنوده وهو الغرق وانشقاق البحر وموت أتباع فرعون.

أمَّا عن نهايات بعض الأمم والأقوام السالفة فقد ذكرت لنا كثير من الآيات البيّنات النهايات الحتمية لكثير من الأقوام التي اتبعت السلوك الخاطيء؛ لكن الأروع في ذلك كله أن هذه الآيات حاولت أن ترفق الأسباب التاريخية والحتمية التي وقفت بشكلٍ أساسٍ وراء هلاك تلك الأمم، ومن ذلك ما نقله القرآن الكريم عن قوم عاد، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾^{٥٥}؛ إذ أشار القرآن الكريم إلى أن الاستكبار بغير حق في الأرض لا تؤدي إلى نهاية الأفراد فقط؛ بل يؤدي كذلك إلى نهاية أمم بأكملها فقد صدرت الآية الكريمة سبب هلاك عاد أنّها استكبرت وأعجبها نفسها بقوتها، وفي ذلك إشارة إلى عاد كانت ذات قوة وبأس شديدين، وربما قادهم ذلك الاعتقاد إلى الإساءة بغير حق ممّا أدّى إلى غضب الله تعالى عليهم فاستحقوا العذاب بما كانوا يكسبون، والرائع هنا أن آيات القرآن الكريم ثبتت لنا النهاية التاريخية لقوم عاد، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُنذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾^{٥٦} إذ أشارت الآية الكريمة صراحة إلى أن نهايتهم كانت بعذابٍ إلهي من طريق الريح الباردة جدًّا، فأذاقهم الله العذاب في الدنيا ووعدهم بعذابٍ أشد يوم القيامة، وفي السياق ذاته أشار القرآن الكريم يشير إلى أسباب تاريخية أو وجودية أو سلوكية قادت إلى نهاية الأمم فضلًا عن الاستكبار، ومنها الانحراف عن مسار الحق والهداية الإلهية الحقّة واتباع الضلالة والفساد اللذين يجلبان النهاية السريعة لمن يتبعها، ومثال ذلك قوم ثمود؛ إذ نقل القرآن الكريم عنهم ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^{٥٧} وصرحت الآية الكريمة بأن قوم ثمود صدّوا الرسل والأنبياء ولم يؤمنوا

وفضلوا العمى والضلالة التي عاشوا فيها على الهداية الإلهية التي كان من الممكن أن تفتح لهم بركات كل شيء، فكانت نتيجة سلوكهم الخاطيء أن ﴿أَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^{٥٨}، وها هو القرآن الكريم يرسم لنا مرة أخرى نهاية المسيرة التاريخية لواحدة من الأقوام والأمم السالفة، مما يتوجب دراسة تلك السير والإفادة منه بعد تكرار اتباع الأسباب التي قادت إلى هلاك هذه الأمم.

ولعلَّ في نهاية (إِرم) مصداقاً على ما نقول فالقرآن الكريم بين لنا الوجود التاريخي والمسيرة الوجودية لقوم ارم، التي عبر بـ: ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ* الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾^{٥٩} والآية وكما في غيرها من الآيات تشير إلى عظمة هذه الأمة وما وصلت إليه من قوة وعمران، إذ نقل القمي في تفسيره أنَّهم كانوا يسلخون العمد من الجبال فيجعلون طول العمد مثل طول الجبل الذي يسلخون من أسفله إلى أعلاه، ثمَّ ينقلون تلك العمد فينصبونها ثمَّ يبنون القصور فوقها فسميت ذات العماد، وقيل أهل عمد لأنَّهم كانوا بدويين أهل خيام، وعاد لهم رجل من العرب الأولى، وبه سميت قبيلة هود النبي، وعاد الأولى قوم هود وعاد الآخرة ارم، وقيل كانوا في دمشق أو الإسكندرية^{٦٠}. وتدرج القرآن الكريم في تعداد الأسباب التي وقفت وراء هلاك (إِرم)، ومنها إيغالهم بالفساد والباطل وعدم تمعنهم بنهايات أسلافهم من الأمم السابقة، ومحاولة تجنب الأسباب التي قادت إلى هلاك تلك الأمم، فرسمت بذلك مصيرها الحتمي وجاءها العذاب، ولذا نبه القرآن الكريم إلى ضرورة الاتعاظ من مسيرة الأسلاف، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾^{٦١}.

وقد أخبرنا القرآن الكريم عن كثيرٍ من الأحداث التاريخية الهامة، ومن ذلك نقله لحادثة الفيل ومحاولة (أبرهة الحبشي) هدم الكعبة، وما تعرضت له تلك الحملة من إبادة إلهية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ* تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾^{٦٢} فقد

أوضح لنا القرآن الكريم وبشكل قطعي النهاية التاريخية لتلك الحملة التي انتهت بتعرضها لعذابٍ إلهي قاد إلى هلاكها.

لقد أوضح لنا القرآن الكريم بعض الاعتقادات التي تبنتها الأمم السالفة ولا سيما تلك التي سادت لدى بعضهم، كما في إشارة في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾^{٦٣} والأخيرة أسماء لبعض الذين تمت عبادتهم في عهد نوح^{٦٤}، وأخبرنا أيضا عن قوم سبأ وعبادتهم للشمس من دون الله تعالى: ﴿وَجَدْتُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾^{٦٥} فضلا عن إخبار آيات القرآن الكريم عن عبادات أخرى ظهرت في التاريخ البشري، ومنها عبادة آل فرعون والطاغوت وغيرها.

وتتجلى روعة القرآن الكريم في أنه تحدّث عن الأحداث التاريخية على مستويات عدة، منها أحداث تاريخية قد وقعت ومضت وأصبحت تاريخ محض فيما ذكر في المستوى الثاني إشارة إلى بعض الأحداث التاريخية التي ستقع في المستقبل القريب، أو البعيد، ومن أمثلة النوع الأول ما صرّح به القرآن الكريم بأحوال الأمم والأقوام السابقة في غير مورد، أما الأمثلة على النوع الثاني فكما في قوله تعالى: ﴿الْم * غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^{٦٦} فهذا إخبار صريح بأن الروم قد تعرضت إلى خسارة وغلبة في مرحلة ما وأنها ستتجاوز ذلك بتحقيقها نصر مرة أخرى، وهذا ما وقع فعلاً في المستقبل القريب من مدة نزول القرآن الكريم.

أما المستوى الثالث فهو إخبار القرآن الكريم عن نهاية العالم الحتمية وتسلسل وقوع بعض الأحداث التاريخية والكونية التي سوف تقع في مستقبل مجهول قد يكون بعيداً أو قريباً، فقد أشار إلى أن عامل الزمن سوف يكون بداية نهاية العالم، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^{٦٧} ويتضح من نص الآية أن أحداثاً تاريخية وكونية سوف تتحقق لأنها حتمية الوقوع، ومن ذلك موت البشرية جميعاً ثم الانتقال إلى عالم آخر يبدأ معه فصل جديد من تاريخ الوجود الإنساني بأبعاده كافة.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث توصل الباحثان إلى مجموعة من الاستنتاجات يقع في مقدمتها:

١. ألقى القرآن الضوء على كثير من الجوانب العلمية، وعلى وجه الخصوص التاريخية منها.

٢. لفت نظرنا إلى كثير من الموارد والمعاني التي خلت من ذكرها كل الكتب باستثناء القرآن الكريم، والتي هي بالنتيجة مفردات تاريخية، مما أضاف رصيذاً لغويًا تاريخياً جديداً إلى قائمة المفردات التاريخية العربية.

٣. اهتم القرآن بالمواضيع بشكل عام من دون الدخول في تفاصيلها، وهو بهذا دعوة للمؤرخين لإكمال ما ابتدأ القرآن الحديث عنه.

٤. مع كل ما جاء به القرآن إلا أنه تعرض للنقد الشديد؛ بل والتشكيك به من قبل بعض المستشرقين، بينما على العكس نجد الاهتمام المتواصل من قبل المستشرقين الآخرين بحسب جهودهم في فهم آياته.

٥. أكثر المواضيع التاريخية التي عرض ذكرها القرآن الكريم هو ذكر قصة موسى ﷺ وفرعون، التي تعكس الصراع المستمر بين الخير والشر.

قائمة هوامش البحث وتعليقاته: ١ القصص: ٤٣.

٢ محمد حسين هيكل: الصديق أبو بكر، القاهرة ١٩٦٤ ص ٣٢٣.

٣ الحديثي، زار عبد اللطيف الحديثي، علم التاريخ عند العرب - فكرته وفلسفته، المجمع العلمي، ٢٠٠٨، ص ٤٤؛ الدسوقي، خالد: قوم ثمود: بين روايات المؤرخين ومحتويات النقوش - مجلة كلية اللغة العربية - العدد السادس الرياض ١٩٧٦، ص ٨.

٤ البقرة: ١٨٩.

٥ الحديثي، علم التاريخ، ص ٤٥؛ مهران، محمد بيومي: قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والأسطورة (١) - مجلة الأسطول - العدد ٦٦، الاسكندرية ١٩٧١، ص ١٤.

٦ هود: ١٢٠.

٧ آل عمران: ١٤٠.

٨ الأحزاب: ٢١.

٩ الزخرف: ٤٤.

١٠ البقرة: ١٨٩.

١١ النمل: ٢٤.

١٢ القصص: ٤٣.

١٣ يوسف: ١١١.

١٤ البقرة: ٢١٩.

١٥ العنكبوت: ٢٠.

- ١٦ يونس: ٥.
- ١٧ عبده، الإمام محمد: تفسير جزء عم، القاهرة ١٩٥٧، ص ٤؛ شرف الدين، أحمد حسين: اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، القاهرة ١٩٧٥، ص ١٨١.
- ١٨ القلم: ٤.
- ١٩ الأحزاب: ٢١.
- ٢٠ النمل: ٢٧.
- ٢١ الإسراء: ٣١.
- ٢٢ فصلت: ٤٢.
- ٢٣ ينظر: شاهين، عبد الصبور: تاريخ القرآن، القاهرة ١٩٦٦، ص ٢٧.
- ٢٤ السبزواري، هادي، شرح الأسماء الحسنى، منشورات مكتبة بصيرتي - قم - إيران، ١٤٢٢هـ، ص ٢٤٠؛ دراز، محمد عبد الله: المدخل إلى القرآن الكريم، الكويت ١٩٧٤، ص ٦٣.
- ٢٥ جفري، أرثر، مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية)، ترجمة، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة ١٩٥٤، ص ٦١.
- ٢٦ شمس الدين، التاريخ وحركة التقدم البشري، ص ٧١-٧٢.
- ٢٧ البقرة: ٢١٣.
- ٢٨ الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ٤، ١٩٩٠/١١٠ - ص ١١١.
- ٢٩ دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، الكويت

١٩٧٠، ص ٤٢.

٣٠ العياشي، تفسير العياشي، ١/١٤٣.

٣١ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الاتقان في علوم القرآن، القاهرة ١٢٧٨ هـ، ص ٢١.

٣٢ الشرقاوي، محمود: الأنبياء في القرآن، القاهرة ١٩٧٠، ص ٩٢.

٣٣ العنكبوت: ١٥.

٣٤ الأعراف: ١٤١.

٣٥ جرجس، صبري: التراث اليهودي الصهيوني، القاهرة ١٩٧٠، ص ١٩.

٣٦ فنسك، آ. ي. وآخرون: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ليدن ٣٦ - ١٩٣٧، ص ٢٨.

٣٧ البقرة: ١٢٧.

٣٨ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م، ص ١٨.

٣٩ فودة، عبد الرحيم: من معاني القرآن، القاهرة (د. ت)، ص ٤٣.

٤٠ البقرة: ٢٦٠.

٤١ ماير، ف. ب.: حياة إبراهيم - ترجمة القس مرقص داود، القاهرة ١٩٦٠، ص ٧.

٤٢ تفسير العياشي، ١/ ١٤٤.

٤٣ ماير، ف. ب.: حياة إبراهيم - ترجمة: القس مرقص داود، القاهرة ١٩٦٠،

ص ٢٦؛ جاد المولى، محمد أحمد وآخرون: قصص القرآن، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٧.

- ٤٤ الصالح، صبحي: مباحث في علوم القرآن، دمشق ١٩٦٢، ص ٥٢.
- ٤٥ المعارج: ٢٤.
- ٤٦ بن نبي، مالك: الظاهرة القرآنية، ترجمة: الدكتور عبد الصبور شاهين، بيروت ١٩٦١، ص ٩٨.
- ٤٧ الفيض الكاشاني، محمد محسن، الأصفى في تفسير القرآن، التحقيق: محمد حسين الدرايتي، محمد رضا نعمتي، مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، ١٤١٨هـ، ص ١٠.
- ٤٨ الأعراف: ١٤١.
- ٤٩ القمي، علي بن إبراهيم جزائري طيب الموسوي، تفسير القمي، مكتبة الهدى، النجف، ١٩٦٧، ص ١٤.
- ٥٠ الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ١٩٩٠، ص
- ٥١ قاموس الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٦٧، ص ٨.
- ٥٢ نعناعة، رمزي: الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، بيروت ١٩٧٠، ص ٣.
- ٥٣ الشعراء: ٢٣-٣٧.
- ٥٤ محمد مهدي، شمس الدين، التاريخ وحركة التقدم البشري ونظرة الاسلام، بيروت، (د. ت)، ص ٦٣.
- ٥٥ فصلت: ١٥.
- ٥٦ فصلت: ١٦.

٥٧ فصلت: ١٧.

٥٨ فصلت: ١٧.

٥٩ الفجر: ٧-٨.

٦٠ القمي، تفسير القمي، ١٧/٢

٦١. الفجر: ٦

٦٢ الفيل: ١-٥.

٦٣ سورة نوح: ٢٣.

٦٤ ولفنسون، اسرائيل: تاريخ اليهود في بلاد العرب، القاهرة ١٩٢٧، ص ٥٩.

٦٥ النمل: ٢٤.

٦٦ الروم: ١-٥.

٦٧ الأعراف: ١٨٧.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن، الكويت ١٩٧٠.
٢. المدخل إلى القرآن الكريم، الكويت ١٩٧٤.
٣. جاد المولى، محمد احمد وآخرون: قصص القرآن، القاهرة، ١٩٦٩.
٤. جرجس، صبري: التراث اليهودي الصهيوني، القاهرة ١٩٧٠.
٥. جفري، أرثر، مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية)، ترجمة، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي، القاهرة ١٩٥٤.
٦. الحديثي، نزار عبد اللطيف الحديثي، علم التاريخ عند العرب - فكرته وفلسفته، المجمع العلمي، ٢٠٠٨.
٧. السبزواري، هادي، شرح الأسماء الحسنى، منشورات مكتبة بصيرتي - قم - إيران، ١٤٢٢هـ.
٨. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الاتقان في علوم القرآن، القاهرة ١٢٧٨هـ.
٩. شاهين، عبد الصبور: تاريخ القرآن، القاهرة ١٩٦٦.
١٠. شرف الدين، أحمد حسين: اللغة العربية في عصور ما قبل الاسلام، القاهرة، ١٩٧٥.
١١. الشرقاوي، محمود: الأنبياء في القرآن، القاهرة ١٩٧٠.
١٢. الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ١٩٩٠.
١٣. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المرتضى، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

- ١٤ . عبده، الامام محمد: تفسير جزء عم، القاهرة ١٩٥٧ .
- ١٥ . فنسك، آ.ى. وآخرون: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ليدن ٣٦-١٩٣٧ .
- ١٦ . فودة، عبد الرحيم: من معاني القرآن، القاهرة (د.ت).
- ١٧ . الفيض الكاشاني، محمد محسن، الأصفى في تفسير القرآن، التحقيق: محمد حسين الدرايتي، محمد رضا نعمتي، مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، ١٤١٨ هـ.
- ١٨ . القمي، علي بن إبراهيم جزائري طيب الموسوي، تفسير القمي، مكتبة الهدى، النجف، ١٩٦٧ .
- ١٩ . ماير، ف. ب.: حياة إبراهيم - ترجمة القس مرقص داود، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٢٠ . محمد مهدي، شمس الدين، التاريخ وحركة التقدم البشري ونظرة الاسلام، بيروت، (د.ت).
- ٢١ . مهران، محمد بيومي: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، حركات التحرير في مصر القديمة، الاسكندرية ١٩٧٥ .
- ٢٢ . بن نبي، مالك: الظاهرة القرآنية، ترجمة: الدكتور عبد الصبور شاهين، بيروت ١٩٦١ .
- ٢٣ . نعناعة، رمزي: الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، بيروت ١٩٧٠ .
- ٢٤ . ولفنسون، إسرائيل: تاريخ اليهود في بلاد العرب، القاهرة ١٩٢٧ .
- ٢٥ . قاموس الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٦٧ .
- ٢٦ . قائمة الدوريات:
- ٢٧ . الدسوقي، خالد: قوم ثمود: بين روايات المؤرخين ومحتويات النقوش - مجلة كلية اللغة العربية - العدد السادس الرياض ١٩٧٦ .
- ٢٨ . مهران، محمد بيومي: قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة (١) - مجلة الأسطول - العدد ٦٦، الاسكندرية ١٩٧١ .

الْقِرَاءَةُ الْمُعَاَصِرَةُ لِلنُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ وَانْعِكَاسَاتِهَا
عَلَى الْإِنْجِرَافِ الْفِكْرِيِّ
بَيْنَ فَوْضَوِيَّةِ التَّأْوِيلِ وَقَدَاسَةِ التَّنْزِيلِ

أ. د. رعد حميد توفيق البياتي

الجامعة العراقية / كلية العلوم الإسلامية

الملخص:

تتلخص فكرة البحث بخصوص المقاربة العلمية الموضوعية التي تعالج موضوع التطرف الفكري وما يستتبعه من مضخمت الإرهاب، والذي نعتقده هو نتاج القراءة المعاصرة غير المتزنة للنصوص الدينية وتفسيراتها السياسية أو الاجتماعية كمظلة يمارس من طريقها المتطرف القراءة السطحية التي لا صلة لها بالمفهوم القرآني مطلقاً، وهو مما نهدف إلى تأصيله، وبيان الباعث لهذا التكييف للتأويلات، ويتم ذلك بمنهجية استقرائية نقدية، وجميع ذلك على وفق ضبط التأويلية اللازمة واتحادها مع التقديس للنصوص ودلالاتها التي يضعها المخاطبون لها.

واستنتجنا إنَّ منهج فهم النص الديني الإسلامي لدى التيار الحدائثي المعاصر منفلت من الضوابط المنهجية الإسلامية الخاصة بتفسير القرآن الكريم وشرح حديث النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتوصلت إلى أننا لا نعاني من النصوص بقدر ما نعاني من اللصوص، لصوص التسخير لتأويلات النصوص المقدسة.

الكلمات المفتاحية: القِراءةُ المُعاصرةُ، النُّصوصُ الدِّينيةُ، الانحِرافُ الفِكرِيُّ، فَوْضُويَّةُ التَّأويلِ وقداسة التَّنزيلِ

2- Summary:

The idea of this research is about the objective scientific approach that addresses the subject of extremism and the subsequent magnitude of terrorism, which we believe that its the result of the unbalanced contemporary reading of religious texts and their political or social interpretations that the fanatic person uses as a justification for his actions, which is irrelevant and far away from the Quranic concept, which we aim to root it and to indicate the motive for this adaptation of interpretations, This is done with a critical extrapolation methodology, all in accordance with the necessary interpretative adjustment, and its association with the Holiness concept for texts, and their meanings established by the addressees.

We concluded that the methods of understanding the Islamic religious text in the contemporary modernist current are empty of any Islamic Systematic rules on the interpretation of the Holy Quran and explaining the Prophet's speech, so I found that we are suffering from thieves, bigger than texts, the thieves of Modifying Holy texts on their benefit.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه المنتجبين، أمّا بعد:

فإنّه لمن الاتزان الفكري وصوابيته وتسديد النظر علمياً، التوثّب لمطارحة القضايا الشائكة التي تتعدد فيها الآراء وتتشعب حولها الرؤى وتباين حولها التوجهات وهو مما يفضي لا محالة الى توجيه الفكر الأفضل وإنزاله على الداء.

وهنا وددنا المقاربة العلمية الموضوعية التي تعالج موضوع التطرف الفكري وانحرافه، وما يستتبعه من مضخّمات الإرهاب تنزيها عن الشخصنة أو المميلات التي تزيج الباحث عن صوارم العقل وبديهيّات الفكر؛ لتلقي به في متاهات الوجدان والانسياق العاطفي، والأمر لا يغفله أحد بعد أن مسّت شرارته دولاً وشعوباً وأبرياء، وبعد أن حارت عين فكري في خطابات التطرف ومستنداته التعبويّة ألفت العلماء الإثبات الذي عارضوه واتسموا بالاتزان الفكري وهم يقلبون صفحات النصوص الدينية (قرآن وسنة) ممسكين عن التجاسر في وسم المخالف بدعوى الكفر أو الضلال أو الزيغ، ورسّ لهم قدم سبق في إيضاح المشكل وتنقية الغبار عن التأويلات المؤدلجة، وما مرّ هو نتاج يعتقده الباحث للقراءة المعاصرة غير المتزنة للنصوص الدينية وتفسيراتها الهرمنيوطيقا السياسيّة أو الاجتماعية غير المتزنة للفكر العربي المعاصر؛ لأنّ التأويل آلية قرآنية يسهّل لهم الوصول إلى الأهداف التي يسعون لتحقيقها بسهولة ومن دون إحداث ضجّة، ولذلك يتخذ الخطاب هذه الآلية بوصفها مظلة يمارس من طريقها القراءة السطحيّة التي لا صلة لها بالمفهوم القرآني مطلقاً، وهنا يمكن عدّ التأويلية من المفاهيم التي استغلها الفكر العربي ببشاعة لتبني كثيرا من المشاريع النهضوية الناقدة للخطاب الديني وتجديده وتنويره وتحديثه، وجميعه يدور بحسب رغبة المفكر ومقتضى الحال (السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي) لذلك نحن بأمس الحاجة لصعود القراءات

المعاصرة للنصوص الدينية المقدسة الكتاب والسنة على ميزان العقل والعاطفة وهو منهج القران الخطابي ومنهج الرسول ﷺ لبيان وتبيان الأصوب والأصلح.

لذا فنحن بحاجة إلى توازن واتزان في تشخيص المقتضى الخطابي ومدى ملاءمة العرض القرآني للحادثة المعاصرة وجميع ذلك على وفق ضبط التأويلية اللازمة واتحادها مع التقديس للنصوص ودلالاتها التي يضعها المخاطبين لها.

مشكلة البحث: تنحصر مشكلة البحث بتساؤل رئيس مفاده:

١. هل للقراءة القشرية أو المتعمقة للخطاب القرآني - ومدى إجادة المخاطبين فيها - أثر في التطرف الفكري ومن ثم الإرهاب الممقوت؟
 ٢. هل الإتاحة غير المقيدة للتأويل ولهرمنيوطيقا النص المقدس ذات عوائد إيجابية لترصين الفكر الإسلامي أو أداة لتشتيت الفكر والتجائه لطرف غير الوسط المعتدل؟
 ٣. إلى أي مدى يمتلك العلماء حق اللجوء للتأويل وإسقاطه على القران الكريم؟
- أهداف البحث: مما تهدف إليه هذه الدراسة هو الوقوف على الأهداف التي نجملها في:
٤. العمل على بيان الدوافع والبواعث التي تلجئ الفكر المعاصر لتأويل النصوص المقدسة، هل هو تقحم في المهالك واجتراء على المقدس لمكاسب؟.
 ٥. الهرمنيوطيقا التي رفع لوائها الفكر الحدائثي في مشاريعه النهضوية هو في الحقيقة اجترار لما لفظته الثقافة الغربية ومحاولة إسقاط هذه المناهج على النصوص الدينية من أجل تعليب الأفكار الإسلامية بما يتواءم مع خطاب الغرب.
 ٦. الجزم بأن الخطاب الديني الإسلامي السياسي خاضع بما لا يقبل الشك للمناهج الغربية بعد تنامي الحرية للتأويلية التداولية بين الثقافات والحضارات حتى أضحى مفهوم التأويل القشة التي انقذت الغارقين ببحار البعد عن الله سبحانه.

أهمية البحث:

تحدد أهمية البحث بأهمية إشكاليته المطروحة وهي موضوع الإرهاب وما يشكله من أزمة عالمية تم أسقاطها على الفكر بوصفه المحرك الحقيقي للشعوب وما يستتبعه من أزمات مركبة تؤدي بالضرورة الى إيجاد مجتمعات مأزومة من جهة ولاءاتها وحرصاتها أفكارها وهو بسبب ما نراه قراءة مغلوطة لنصوص الدين وبسبب ذلك التدين الانفعالي.

الدراسات السابقة: كُتِبَ عدد قليل من الدراسات حول التأويل الخاطيء، ولكن جميع ما كتب لم يتناول التأويل المعاصر ومخاطره على الغلو والتطرف والانحراف الفكري بوصفه المستند الذي يتكئ عليه دعاة الممانعة والتشدد وتكفير الآخرين، ومن باب الأمانة العلمية سأذكر أهم ما اطلعت عليه من هذه الدراسات:

١. أزمة الخطاب الديني في الفكر العربي المعاصر، د. لبصير نور الدين جامعة حسبية بن بو علي الشلف، الجزائر

٢. إعادة قراءة النص الديني بين أهل التأويل ومناهج المعاصرين، محمد الأمين بله الأمين الحاج معهد اسلام المعرفة، جامعة الجزيرة/ السودان، مجلة فتوحات، العدد الثاني لعام ٢٠١٥

٣. دور الفهم الخاطيء للآيات وفساد التفكير في التطرف والتكفير، مريم بنت راشد بن صالح التميمي، بحث مشارك في مؤتمر كلية الشريعة جامعة قطر غير منشور (وهو بحث حصلت عليه من زميلتي مريم التميمي اثناء مشاركتي في المؤتمر المذكور في جامعة قطر عام ٢٠١٧) ولكنه لم يدرس التأويل الخاطيء للنصوص، بل الفهم لجميع التشريعات الدينية بما فيها الفقهية.

منهجية البحث: إنَّ المنهجية التي سار عليها الباحث هي المنهج الاستقرائي والتحليلي النقدي لما يراه الباحث من تأويلات معاصرة تتسم على الدوام بالفوضوية الموجهة الا النزر القليل منها.

خطة البحث: اشتمل البحث على مقدمة و مباحث عدة وخاتمة، وهي بحسب الآتي:

المبحث الأول: القراءة المعاصرة للنصوص الدينية.

المبحث الثاني: الانحراف الفكري نتاج القراءات المعاصرة بين المقدس والمدنس.

المبحث الثالث: فوضوية التأويل باعث التطرف الفكري.

المبحث الأول: القراءة المعاصرة للنصوص الدينية

المطلب الأول: التعريف بعنوانات البحث

١. النص الديني:

النص: تستعمل كلمة «نص» بمعنيين^(١):

اللفظ الذي لا يحمل إلا معنى واحداً.

اللفظ مطلقاً؛ أي: بما يحمل من معنى واحد أو أكثر من واحد. والمراد به هنا عند الإضافة: آيات القرآن الكريم وروايات السنة الشريفة، ولا يتعدى منها إلى سواهما من أقوال وفتاوى الفقهاء، إلا بشيء من التسامي في التعبير أو الاتساع في الكلام^(٢)، ونخلص إلى أن النص الشرعي: هو الكلام الصادر من المشرع لبيان التشريع^(٣).

المقصود بالنص الديني: مرادنا من هذا الإطلاق النص الإسلامي وهو هنا محصور في نصي الوحي القرآن والسنة المطهرة^(٤).

هذا الكلام الصادر طراً عليه تأويل بهدف الوصول إلى معانٍ وقراءات للنص تلائم متطلبات الواقع، لم تظهر بها قراءات سابقة، فظهرت مناهج نقدية حديثة في النهضة الفكرية الحديثة حاولت ذلك؛ مما جعله نصاً مفتوحاً على جميع التأويلات، وتتعدد تأويلاته بتعدد

(١) ينظر: د. خالد السيف، من ظاهرة التأويل في الفكر العربي المعاصر - دراسة نقدية إسلامية «؛ ص ١٣
(٢) هنالك فرق بين المفهوم والمصطلح من حيث المعنى والتعريف، للاستزادة ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني؛ ص ٤٠٣، أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه؛ ص ١٩، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر؛ محمد عجاج الخطيب، ص ٩.

(٣) ينظر: كمال عمران، المنصف بن عبد الجليل، الباجي القمري، وداد القاضي، في قراءة النص الديني؛ عبد المجيد الشرفي، ص ٤٢، الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم، ص ٣٠٠؛ د. السيد محمد شاهد، فلسفة التوفيق بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية.

(٤) ينظر: مرجي، فوزية عيد، ٢٠٠٦، فلسفة التوفيق بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع اربد الاردن، ص ٣١

قراءته، فما كان مفهوماً من النص الشرعي في القرن الأول على وجهه، فلا مانع من إعادة تأويله بحسب مقتضيات البيئة الثقافية ومتغيرات الحضارة، وعلى ضوء هذا بدأ التشريع لدين جديد في العقائد والأحكام، وإلغاء الفهم السائد للنصوص الدينية، فوقع النص هنا بين تأويلين: أحدهما عند علماء الأصول والتفسير، والآخر لدى الحدائين المعاصرين وما يريدونه منه^(١)، ففي حين يعني لدى الأوائل صرف الكلام عن ظاهره إلى معنىً يحتمله. فإنه لدى الحدائين العرب ينحو منحى عميقاً، يطال النص بالكليّة، ويصرفه عن وجهته السياسية والتشريعية إلى الوجهة الروحية أحياناً، ويجعل العقل المعاصر حكماً عليه أحياناً أخرى^(٢)، في حين كان الفقهاء وعلماء الأصول والتفسير، يؤولون لدواعٍ اجتهادية شرعية ولغوية، يحرصون بها على الاقتراب أكثر من مطلوب النص، فإنّ المحدثين يندفعون في الغالب بدوافع من خارج النص، أفرزتها معطيات الثقافة المعاصرة، وأثرت فيهم عوامل خارجية من قبيل الفجوة الحضارية التي تعاني منها البلاد العربية والهزائم العسكرية التي توجت بوقوع كثير من البلاد العربية تحت الاستعمار المباشر، فالتبعية - ما أفضى إلى الاقتراب من مناهج الغرب، والخضوع لها أحياناً، فتعجّل مثقفون ومفكرون عرب الحكم على التراث بالسلبية، بل تجاوزوه إلى النصوص، وحتى القطعية منها^(٣)، فيتبين لنا هنا الفرق بين النص والخطاب الديني في الفكر المعاصر،

(١) ينظر: محمد الأمين به الأمين الحاج، إعادة قراءة النص الديني بين أهل التأويل ومناهج المعاصرين،

معهد، جامعة الجزيرة/ السودان، مجلة فتوحات، العدد الثاني لعام ٢٠١٥، ص ٧٤

(٢) في حين كان الفقهاء وعلماء الأصول والتفسير، يؤولون لدواعٍ اجتهادية شرعية ولغوية، يحرصون بها على الاقتراب أكثر من مطلوب النص، فإنّ المحدثين يندفعون في الغالب بدوافع من خارج النص، أفرزتها معطيات الثقافة المعاصرة، وأثرت فيهم عوامل خارجية من قبيل الفجوة الحضارية التي تعاني منها البلاد العربية والهزائم العسكرية التي توجت بوقوع كثير من البلاد العربية تحت الاستعمار المباشر، فالتبعية - ما أفضى إلى الاقتراب من مناهج الغرب، والخضوع لها أحياناً، فتعجّل مثقفون ومفكرون عرب الحكم على التراث بالسلبية، بل تجاوزوه إلى النصوص، وحتى القطعية منها؛ ينظر: مقال «الحدائنة العربية وتأويل نص الإسلام الديني»؛ لعلي بار ويس، اليمن، موقع المسلم.

(٣) ينظر: لعلي بار ويس، الحدائنة العربية وتأويل نص الإسلام الديني»، اليمن، ٢٠١٥، موقع المسلم

فالنص هو السلطة الخبرية التي تلزم الناس أن يرجعوا إليها^(١)، وفي كثير من الأحيان يقصر على القرآن، وأما الخطاب الديني، فهو طرق ووسائل تبليغ المنظومة الدينية، وكيفية التعبير عنها^(٢).

٤. القراءة المعاصرة: هي: استعمال رؤية حديثة جديدة في قراءة النص الشرعي، سُميت بذلك؛ لأنها تعتمد على سطحية الفهم الإنساني للنص الشرعي لتلائم الخطاب الديني المتشكل بحسب رغبة الواقع المعاصر والبيئة الفكرية والمكانية والزمانية، تمهيداً لأنَّ يكون في كلِّ عصر قراءة جديدة للنص الشرعي^(٣).

٥. التأويل: التأويل في الفكر الغربي ارتبط في حقبة زمنية بالكتاب المقدس، فلما انفرط عقد الكتاب المقدس، انفرط عقد التأويل، فأصبح لوئاً من التسلية أو التفكير الذي لا يرتبط بالنص، كل فكرة جديدة أصبح من الممكن ربطها بالكتاب المقدس مهما كانت مخالفة لتعاليمه؛ وذلك حتى لا تغضب الكنيسة، وحتى تروج دينياً وتلقى قبولاً ما، وطبعاً لم يكن ذلك موفقاً دائماً، فكان أغلب المؤولين في خلاف مع الكنيسة تحت اسم الهرطقة، فالهرمينوطيقا هي التأويل المنفلت^(٤)، والذي عدته الكنيسة هرطقة وتجديفاً^(٥).

أما في الرؤية الإسلامية فله معنى لغوي وآخر اصطلاحى، فالمعنى اللغوي يعني

(١) ينظر: إسماعيل، فادي، ١٩٨٧، الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ص ٣٧

(٢) ينظر: الجابري، محمد عابد، ١٩٨٦، نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ص ١١.

(٣) ينظر: محمد كالو؛ القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، ص ٥٦-٥٧، نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ص ١١.

(٤) ينظر: مصطفى، عادل، ٢٠١٨، مدخل إلى الهرمينوطيقا، «نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر»، ص ٤٥

(٥) ينظر: نظرية النص؛ ترجمة محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، عدد ٣/ ١٩٨٣، نظرية

التأويل، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، ط ١ / ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م، مدخل إلى الهرمينوطيقا، «نظرية

التأويل من أفلاطون إلى جادامر»؛ د. عادل مصطفى، ص ٤٥، الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم

النهضة والتقدم والحداثة؛ فادي إسماعيل، ص ٣٧.

الرجوع: وآل بمعنى رجوع، فالتأويل بمعناه اللغوي يعني الرجوع والعودة. وهناك معان اصطلاحية للتأويل، فقد استعمله كثير من المتأخرين من المتكلمين في الفقه وأصوله بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وأيضًا بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، قال تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾^(١)، وتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد، هو ما أخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك، كما قال تعالى في قصة يوسف لما سجد له أبواه وأخوته، ﴿قَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾^(٢)، فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا^(٣)، ويعرف الجويني التأويل: (أنه رد الظاهر إلى ما إليه مآله في دعوى المؤول)^(٤)، ومعنى هذا إعطاء معنى يحتمل الظاهر ومعرفة المراد، لكن هذا الخروج عن الظاهر وتركه لا بد من قرائن تدعو إليه وتعضده، وأيضًا لا بد أن لا يخرج التأويل عن معاني اللغة، وأن لا يكون ملغزًا أو مبهمًا، يؤكد الجويني هذا المعنى. فيذكر ضرورة تقييد التأويل بقواعد اللغة ومراعاة أساليب البلاغة، فيقول: (إنما يسوغ في التأويلات ما يسوغه ويرى عدم حمل الألفاظ على النادر الشاذ) والتأويل: صرف اللفظ من معناه الظاهر، إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه، موافقا للكتاب والسنة، ويشترط في التأويل معرفة الأصول ومعرفة الإستنباط من تلك الأصول بالقياس^(٥).

المعنى نفسه للتأويل وشروطه وضرورة تقيده بما تقتضيه اللغة والبلاغة نجده عند ابن رشد؛ إذ يعرف التأويل بأنه إخراج الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك

(١) سورة الأعراف: من الآية ٥٣

(٢) سورة يوسف: من الآية ١٠٠

(٣) ينظر: إعادة قراءة النص الديني ص ٧٦

(٤) ينظر: البرهان في اصول الفقه، الجويني، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧، ص ١٩٣.

(٥) ينظر: بركات محمد مراد: ابن رشد فيلسوفًا معاصرًا، مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة ٢٠٠٢ ص

بعادة لسان العرب في التجوز في تسمية الشيء بشبيهه، أو سببه، أو لاحقه، أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التي عدت في تعريف أصناف الكلام المجازي^(١).

المطلب الثاني: دواعي التأويل للنص الديني:

يكمن إشكال التأويل ودواعيه في أسباب عدّة يمكن تلخيصها بالآتي:

٦. مخرج علمي يناسب العصر. للتخلص من الاتجاهات الحرفية والظاهرية والدوغمائية التي تحاول بعض الجماعات الأصولية اعتناقها والدفاع عنها، محرّضة عن مستجدات العصر وتطوراته العلمية والحضارية من ناحية، وناسية أو متناسية ذلك الأفق المفتوح لسبل المعاني والمفاهيم الإلهية التي يمكن أن يصل إليها فكر المجتهدين والحكماء^(٢).

٧. كثرة الاتجاهات الدينية الجامدة عند ظواهر النصوص.

٨. التأويل منهج نقدي: ولا ننسى أن مفهوم التأويل الذي يصل إليه ابن رشد ويتوج به فلسفته الدينية والعقلية معاً، لم يصل إليه إلا بفضل حسه النقدي وتأسيسه لمنهج تحليلي نقدي يقوم على العقل.

المطلب الثالث: طرائق فهم الناس للنص الديني:

في الشريعة الناس تنقسم على ثلاثة أصناف:

١. صنف ليس من أهل التأويل أصلاً^(٣)، وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب؛ وذلك أنّه لا يوجد أحد سليم العقل يعرف هذا النوع من التصديق^(٤).

(١) ينظر: فصل المقال ص ٧٨.

(٢) ينظر: إعادة قراءة النص الديني ٧٨.

(٣) ينظر: يفوت، سالم، ١٩٩٩، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، ص ١١
(٤) ينظر: تأصيل النص لدى لوسيان غولدمان، ص ٤٣، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط ١، ١٩٩٧م، ندوة الحضارة الإسلامية حضارة النص القرآني، المعهد العالي للحضارة الإسلامية ووحدة بحث مقارنة الأديان، تونس، المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر؛ سالم يفوت، ص ١١.

٢. وصنف هو من أهل التأويل الجدلي، وهؤلاء هم الجدليون بالطبع، أو بالطبع والعادة^(١).

٣. وصنف هم من أهل التأويل اليقيني، وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة، أي صناعة الحكمة، وهذا التأويل ليس ينبغي أن يصرح به لأهل الجدل فضلاً عن الجمهور، ومن هنا تمكن ابن رشد من الدفاع عن الفلاسفة وآرائهم بكتابة (تهافت التهافت) ضد اتهام الغزالي لهم بالكفر لقولهم بقدوم العالم ونفي حشر الأجساد ونفي علم الله سبحانه بالجزئيات^(٢)، ومن هنا يتبين لنا كيف يجعل ابن رشد من التأويل سبيلاً إلى الفهم المنفتح، خاصة حين يكون المجتهد متمكناً من أدواته، باذلاً كل جهده العقلي لاستشراف المعاني الخبيئة، التي يتضمنها النص الديني. هذا التأويل يجعل من النص المقدس نصاً ثرياً وغنياً ومنفتحاً الأفق بما لا يتناهى، بل يجعله مفتوحاً على كل فهم ممكن في المستقبل، ولا سيما أن المعاني الإلهية المتضمنة في النصوص المقدسة غير محدودة بحدود الزمان أو المكان أو مفاهيم البشر، قال تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(٣)، ويجب أن نعي أن مصطلح التأويل بقدر ما يظهر مستباحاً فإنه أيضاً - كجزء من عملية الفهم - داخل صلب القراءة المستفهمة عن كنه النص ومعناه الأول الأساس، خاصة وأن ابن رشد يدعو في مؤلفاته الأساسية إلى العودة إلى النص لفهم معانيه، لكن القراءة التأويلية بحد ذاتها تثير من طريق توصيفها اختلافاً بيناً بين مفهومها الإسلامي كما هي عند ابن رشد الذي يمثل التأويل عنده ركيزة أساسية وسبيلاً إلى الاجتهاد وبين مفهومها الغربي، خاصة تلك القراءة التي تتناول النص المقدس. أمام هذا الزخم الفكري الثري، يظهر لنا صدق ابن رشد الذي ما زال قائماً اليوم، ونحن نعيش تنبؤاته التي كان يخشى حدوثها، خاصة منها ما تعلق

(١) ينظر: النص: السلطة الحقيقية، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ص ٩٨.

(٢) ينظر: إعادة قراءة النص الديني ص ٧٨.

(٣) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

بجدل الدين والعقل وما ينتج عنهما من أحكام مستعجلة، التي بسببها اضطرب الناس كل الاضطراب، وحدثت فرق ضالة، وأصناف مختلفة، كل واحد منهم يرى أنه على الشريعة الأولى، وأن من خالفه إمّا مبتدع وإمّا كافر مستباح الدم والمال^(١)، وبحسب اعتقادنا أن سبب انجرار العقل من وحي الدين يعد سببا رئيسا لنشوء التطرف لاعتماده بصورة كاملة على أهواء العقل ونتاج تفكيره الذي يقصر في كثير من الأحيان عن إدراك الحقيقة من الوجود والأشياء، لقد وعى ابن رشد جيدا مدى خطورة تعارض الدين مع الفلسفة، بل هي أزمة لا يمكن تجاوزها إلا من طريق التحليل العقلي الصارم لها وللعوالم التي تتغذى منها، والمتمثلة في كل من الشريعة ومن الحكمة، وفي تعارضهما المزعوم وذلك وصولاً إلى محاصرتها وإلى اجتثاثها نهائياً. بذلك استقطبت كل من الشريعة والحكمة كل جهود ابن رشد، فتوجه في فصل المقال إلى الفقهاء، وبمناهج الأدلة إلى عامة الناس، وبتهافت التهافت للفلاسفة وأصحاب البرهان.

المبحث الثاني: الانحراف الفكري نتاج القراءات المعاصرة بين المقدس والمدنس

المطلب الأول: التأويل بين الفوضوية والتقديس:

بداية نقرُّ أن الفكر العربي المعاصر في مقارباته التأويلية المعاصرة للخطابات الدينية، وخاصة النصّ القرآني أنّها سلكت مسلكين في المقاربة والمعالجة التأويلية: المسلك الأول؛ فوضوية في التأويل الممارس على النصّ المقدس، والمسلك الآخر؛ التقديس، وهل كان من مهام الفكر العربي المعاصر أن يأخذ على عاتقه كما يحلو لكثير من رموزه أن يسميه (الخروج من السياج الدوغمائي المغلق)، أو الدائرة الأيدولوجية، والذي يزعم بان ترسيخه، وتشغيله، وإعادة إنتاجه إنّما كان من قبل المؤسسات الدينية على مدى قرون طوال^(٢) والواقع ان التأويلية - كمنهج - ارتبط به الفكر المعاصر، إذ

(١) ينظر: النص: السلطة الحقيقية، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، ص ٩٨.

(٢) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد: محمد أركون، دار الساقي، ص: ١٢.

لا يكاد ينفك عنه، لأنَّ الحداثة يؤرخ لها بميلاد الحركة التأويلية. ولذلك نرى أدونيس^(١)، يربط بين الحداثة والتأويل، فالحداثة عنده «بدأت سياسياً بتأسيس الدولة الأمويّة، وبدأت فكرياً بحركة التأويل»^(٢).

ظلت المشاريع التأويلية في صراع بين المقدس والمدنس كل ذلك أفضى إلى فوضى في قراءة النصوص خاصة الدينية منها، وهو ما يعكس الفوضى التأويلية الذي تعرفه الساحة الثقافية والفكرية من كسر للمتعاليات، ولا مكان للمقدسات، في عملية القراءة والتأويل^(٣)، في ظل هذا الصراع ظهرت الدعوات التي تدعو لنزع القداسة عن القرآن الكريم والتعامل معه بلحاظ هو نتاج بشري خاضع لعاملي الزمان والمكان وليس هو وحياً، وخطاباً ربانياً جاء للهداية البشرية.

إنَّ الفكر العربي المعاصر كان ينبغي عليه أن يدرك جيداً في أثناء ممارساته لعملية التأويل أنّ الأمة الإسلامية والعربية تنتمي إلى حضارة المقدس، والإيمان بالمطلق، وإنَّ مشاريع القراءة التأويلية المعاصرة محكوم عليها بالفشل إذا لم تنطلق من طريق الإيمان والمقدس.

إنَّ الخلط المنهجي الذي وقع فيه الفكر العربي المعاصر هو تبنيه لنظريات ومناهج نقدية نشأت في بيئة مغرقة في الإنسية، وتسعى لأنسنة المقدس، وتستبعد كون الوحي مصدرًا للمعرفة.

(١) ينظر: علي أحمد سعيد إسبر المعروف باسمه المستعار أدونيس ١٩٣٠، شاعر سوري، في قرية قصابين التابعة لمدينة جبلة في سوريا، تبنى اسم أدونيس تيمناً بأسطورة أدونيس الفينيقية الذي خرج به على تقاليد التسمية العربية منذ العام ١٩٤٨، تزوج من الأدبية خالدة سعيد ولهما ابنتان: أرواد ونيانار، موقع الويكيبيديا على الرابط: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

(٢) الثابت والمتحول، ج ٣، صدمة الحداثة: أدونيس، دار العودة بيروت، ط ٤، ١٩٨٣، ص: ٩.
(٣) ينظر: أزمة الخطاب الديني في الفكر العربي المعاصر، د. لبصير نور الذين جامعة حسينية بن بو علي الشلف، الجزائر، ص ٩.

التأويل كمنهج يسعى إلى تفكيك الخطاب القرآني وتعريفه من قداسته: ظهر من النقد من ينظر إلى النص القرآني كمنتج ثقافي، أنتجه واقعٌ بشري غير تاريخي في معظم الأحيان، ولذلك تعامل هؤلاء النقاد مع النص القرآني كنص أدبي قابل لفض أسراره اعتماداً على رؤية المؤول الخاصة، وهذا بحسب اعتقادنا هو السبب الرئيس للانحراف الفكري في المجتمعات المسلمة لانقطاع التواصل التوجيهي بين النص المقدس والمتبع له.

إن التأويلية تسعى لإلغاء المقدسات نهائياً، وكسر المتعاليات، وتنظر للوجود من منظار مادي بحث فتنس المقدس وتقدس المدنس، وهذا ما يعبرون عنه بانتهاء المتعاليات، وأنسنة المقدس، وأنسنة الوحي وغير ذلك من التعبيرات.

فإذا كانت الدراسات الغربية استطاعت نزع القداسة عن التوراة والإنجيل، فهل يفلح أنصار التيار التأويلي كمحمد أركون وغيره في تفكيك الخطاب القرآني وتعريفه من قداسته؟، فيأمل هؤلاء أن يتحقق ذلك بلحاظ أن التقديس للقرآن كان سبب براعة القرآن في التغطية التاريخية على أرضيته، ولكنه يرى في مكان آخر، أن: «التقديس للكتب المقدسة خلع عليها، وأسدل بوساطة عدد من الشعائر، والطقوس، والتلاعبات الفكرية الاستدلالية، ومناهج التفسير المتعلقة بكثير من الظروف المحسوسة المعروفة أو تمكن معرفتها، وأقصد بها الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية... وهذا التقديس الذي خلع وأسدل قد توضحت أسبابه وبرهن عليها فيما يخص التوراة، والإنجيل، ولكنها لم تحصل حتى الآن فيما يخص القرآن الكريم.

وحتى يتحقق هذا المقصد صاغوا لنا مجموعة من المصطلحات تطلق على القرآن الكريم من أجل زحزحة المقدس، واستبداله بمفاهيم مدنسة جديدة تقبل النقد، والتحوير، والإسقاط، فأطلقوا على القرآن مجموعة من المصطلحات: رواية، أو مجموعة روايات، أو هو مجرد حكاية من الحكايات، أو ملاحم دراماتيكية الساحر الخارق

الخلاب، أو المدونة القرآنية، أو المدونة النصية القرآنية، أو المدونة الرسمية، أو النصّ الرسمي القانوني،... وغيرها من المصطلحات.

المطلب الثاني: الخلط بين النص الأدبي والنص الديني:

ارتبط التأويل أصلاً بالنص الديني قبل أن يرتبط بالنص الأدبي، لكنّه انتقل إلى النصّ الأدبي، ثمّ أتى الحداثيون العرب ليقبلوا المسألة، ويأخذوه إلى تأويل القرآن، ويبدؤوا في فوضوية التأويل، والعبث بالنصوص فساداً زاعمين أنّه نصّ كباقي النصوص قابل للتأويل والدراسة كما لو كان كتاباً أرضياً .

لو اقتصر الأمر على الدراسات الأدبية فليس هناك إشكال، ولا مشاحة في الاصطلاحات، لكنّهم استخدموا هذه المناهج الأدبية بفلسفات الأوروبية من دنيوية، وفوضوية، وعشبية، ومادية، وغير ذلك؛ استخدموها في الخطابات الدينية.

يسمّون أنفسهم بأصحاب الفكر المستنير أو مفكري الحداثة أو غيرهم من الذين يتبنون اتجاهات فكرية وعلمانية حديثة ويتأولون النصوص، ومن ثمّ فلا حرج عليهم في ذلك؛ لأنّ هذه نزعت عنها القداسة لذلك هم يستخدمونها بأيّ منهج يريدون، لان القول بألوهية هذه النصوص وقدسيتها - في نظرهم - تجعلها نصوصاً مستغلقة الفهم على الإنسان العادي، ومن هنا نشأ الخلط الواضح بين النصّ الديني، والنصّ الأدبي عند نقاد الحداثة. وهذا ما صرح به أركون عندما يقف في وجه القرآن ويتصدى له، فالقرآن يرسخ الأدلجة والأسطرة والتقدّيس^(١)

المبحث الثالث: فوضوية التأويل باعث التطرف الفكري:

هنالك أسباب عدّة انحرفت بالعقول والأفكار عن صراطها المستقيم وجعلت قارئ النصّ الديني عرضة للتشتت والانحراف الفكري واحتمالية اتجاهه نحو الغلو والتطرف، ومنها:

(١) ينظر: نقد النص: على حرب، ص: ١٧.

١. نفي المقصد القرآني من تشريعه: لعلّ من أبرز الثغرات المنهجية التي غفل عنها، أو تغافلها أصحاب القراءات التأويلية للنص القرآني هذا التجريد للنص عن مقصديته العلنية وأهدافه الكبرى، وتغييبه عن غاياته التي تتحدد في الهداية والإرشاد والتزكية وال عمران وحفظ الوجود البشري واستدامته، وإخراج البشرية من الظلمات إلى النور يعد من أبرز الإخفاقات التي سقطت فيها هذه المشاريع التي اختارت إبعاد القرآن الكريم عن رسالته ومقاصده. والنزوع نحو التحديث والتجديد والعصرنة.

٢. تنازع السلطات في عملية التأويل: ترتبط قوة السلطة وهيمتها بمفهوم التأويل، فالقدسية هيمنة وسيطرة وانقياد، إن امتلكها النص تمتع بها ومارسها على القارئ فأعجزه، وإن اختلفت للقارئ تقدس بها ومارسها على النص^(١).

إنّ العملية التأويلية تقوم على مبدأ التفاعل بين (المؤلف، النص، القارئ) ويعدّ القارئ هو الحدّ الوحيد للوصول للنصّ، كما يقول أوبرتو إيكو، إذ يميز بين مقصدية المؤلف، ومقصدية النصّ، ومقصدية القارئ، فالعملية التأويلية لا تتم في مقاصد الكاتب، ولكن في مقصدية النصّ^(٢).

إنّ أهم ما يميّز النصّ القرآني منذ الأزل، إنّما هو مرجعيته الربانية، فالله عز وجل هو المرسل للوحي إلى الرسول محمد صلى الله عليه وآله رسالة من السماء، فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى يحمل كل صفاته الأزليّة، فلماذا يصر أهل الحداثة على إحداث ثورة في الفكر الديني أو في العقل اللاهوتي، ولا سيما في جانبه المقدس؟، إذا كانت الدراسات الغربية نزعت القداسة عن الكتاب، ودخلت في دائرة الهرمنيوطيقا، ودخلت في الدائرة العريضة لأسباب التأويل، فهل يحق للفكر التنويري نزع القداسة عن القرآن الكريم كما نزعت

(١) ينظر: تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص: حمزة فاضل يوسف، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان، ٢٠١، ٢٠٠٨، ص: ٧، ١٤.

(٢) ينظر: U.ECO.lecto.in Fabuia. Tra.bar. Myraim Bouzoher. Grasset et . ١٩٨٥، p.٥٨.

القداسة عن الكتب السماوية الأخر، وكيف يُسَلَّم لهؤلاء بأنَّ فهم الخطاب لا يتم إلا إذا نحينا مقاصد القائل جانبا، وافترضنا أنه غير مقدَّس؟!!

في حين أنَّ المقصد والغاية من بعثة الرسل والأنبياء والوحي عموماً هو الفهم عن الله عز وجل، وإنزال هذا الفهم تطبيقاً وعملاً، وسلوكاً على أرض الواقع!.

وفي ظل تنازع السلطة بين النصّ، والقارئ الذي هو محور العملية التأويلية للخطاب الديني وجوهرها، إن توازنت توازن التأويل، وإن رجحت كفة النصّ أعجز القارئ وانقاد له، وإن رجحت كفة السلطة للقارئ^(١)، يصبح النصّ قابلاً لتعدد القراءات والاختلافات، ومسلكاً لصناعة تجاربهم، وبث أحكامهم، وأهوائهم، ويصبح النصّ لعبة بيد القارئ، فهو كقارئ للنصّ يغدو منتجاً الأوحى، المنتج لا المستهلك ممَّا يغرق النصوص في فوضوية التأويل.

ولذلك أصبحت التأويلية تدعو لعدم الرضوخ لأية سلطة حاكمة للقراءة والتفسير، سوى سلطة القارئ وحرّيته في تأويل النصّ.

وفي ظل الانفجار المعرفي الذي تشهده الدراسات النقدية المعاصرة؛ خاصة مع ظهور المقاربات المنهجية المختلفة؛ إذ استعان أصحاب المشاريع التأويلية في الفكر العربي المعاصر ببعض هذه المنهجيات النقدية المعاصرة في استنطاق النصّ القرآني؛ من دون مراعاة خصوصية الخطاب القرآني؛ فتناقلت المقاربات لدرجة يصعب معها الاهتمام إلى روح النصّ وجوهره؛ ذلك أنها هزّت أركان المعرفة العلمية بدورانها في فلك الدائرة التأويلية؛ إذ لا توجد ذات قصدية وواعية تكون مرتكزاً للعملية التأويلية، ولا توجد موضوعات خارجية مستقاة عن هذه الذات، ولكن كل ما هنالك منظورات متباينة ومتزاحمة.^(٢)

(١) ينظر: تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص: حمزة فاضل يوسف، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العددان، ٢٠١، ٢٠٠٨، ٧، ص: ٧.

(٢) ينظر: مآزق الحداثة: الخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة: رفيق عبد السلام بوشلاكة، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية، العدد السادس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا، ربيع الآخر ١٤١٧هـ/ سبتمبر ١٩٩٦، ص: ١١٨.

وتبقى الممارسة التأويلية المنتجة للمعنى ضرورة معرفية وحضارية، وكل محاولة تسعى لتغيب النصّ، وقطعه عن إطاره الروحي، والثقافي والإنساني؛ سيكون مآلها الفشل؛ وهذا قصور في الفهم وعجز عن إدراك حقيقة العملية التأويلية؛ لانّ النصّ ممارسة ذات معنى وليس فعلاً مجانياً^(١).

٣. ما لا نهاية للمعنى: التأويلات المتناسلة التي لا نهاية لها تفضي إلى ما لا نهاية للمعنى، وذلك لأنّ التقديس اختفى، والبحث عن مقاصده وهم، ولا توجد قراءة بريئة، واللغة نظام من الرموز، والإشارات، فان النهاية لا بد أن تكون «لا نهائية المعنى، كيف يمكن تطبيقها على القرآن؟ ان المعاني التي تلحق به ليست منه، وإنّما معاني ألصقتها عدد من القراء بالنصّ، وهذا ما يبحثون عنه لان رفض المعنى النهائي يعتبر نشاطاً ثورياً، لأنّه في النهاية رفض لللاهوت ولأفانيمه ورفض للعقل والعلم والقانون»^(٢).

فاتجاه ما بعد الحداثة يسعى إلى إعادة تعريف الحقيقة وتجريد صفة المطلقية منها بكونها متغيرة، وزعزعة الثقة بها وبأية ثوابت تمتلك صفة الإطلاق «من أجل ذلك سعت حركة ما بعد الحداثة إلى تأصيل النص وانفتاحه، وقدرته على إنكار الحد والحدود؛ ممّا يجعله يقبل التأويل المستمر والتحول الدائم، وبذلك -بحسب رأيهم- تتحول النصوص إلى نصوص لانهائية في نصيتها، ولا محدودية في معانيها؛ مما يقضي إلى تعدد الحقائق، والعوامل بتعدد القراءات»^(٣).

٤. النص المفتوح: يعد من المصطلحات ما بعد الحداثة، وهذا المصطلح يعني أن النصّ قابل للتأويل المستمر، والتحول الدائم؛ إذ أنّه يتعدد بتعدد القراء، ولا شك في أنّ القراء ليسوا على شاكلة واحدة؛ إذ تختلف طبائعهم، وثقافتهم، ونفسياتهم وأحوالهم،

(١) ينظر: Julia Kristiva, la revolution du langage, p. ١٩٧٤, p. ٣٤٠

(٢) ينظر: عبد العزيز حمودة «المرايا المحدبة» ص ٣٩٦

(٣) النقد والنقاد المعاصرون: محمد مندور، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د، ت، ص: ٣٤.

وهم يحملون سائر هذه الأحوال إلى النصّ الذي غدا النظر إليه نسبياً غير موضوعي؛ وبذلك يحمّل من المعاني والمضامين ما لم يرده قائله حتى ليقول فيه من شاء ما شاء، فالقراءة - عندهم - هي خلق جديد للنصّ واكتشاف أبعاد فيه ربما لم تكن مقصودة في نشأته الأولى، وبهذا يتغير معنى النصّ، ويتمّ تأويله بحسب الأحوال والفروق والبيئات والحضارات والعصور، وقد ألفت كثير من الكتب التي تناولت النصّ الديني من هذه الوجهة، ولو اقتصر الأمر على الدراسات الأدبية لقلنا لا مشاحة في الاصطلاح، لكن عندما ينقل هذا التصور عن النصّ المفتوح من المجال الأدبي، والنقدي إلى المجال الفكري، وإلى المجال الفلسفي، وإلى المجال السياسي، وخاصةً إلى المجال الأيديولوجي هنا يكمن الخطر، لأنّه يتيح التلاعب بقُدسية النصوص الدينية ومدى تطابقها مع احتياجات المعاصرة، كون النصوص القرآنية والحديثية الثابتة صحتها لها مقصد ثابت ومعنى مستقر لا يمكن أن تتحوّر بناء على مقصدية القارئ واحتياجاته الفكرية، وهذا ما تلاعبت به الفرق المتطرفة وجعلته حجة للتعامل وتكفير الآخرين.

الحق أنّ هذه الرؤية الحداثية التي انتقلت إلينا من الفكر الغربي، وإن بدأت بالنصّ الأدبي، ثمّ تحولت إلى النصّ الديني؛ فإنّها في الفكر الغربي لم تكن نتاج النظريات الأدبية في القرن العشرين؛ وإنّما انطلقت - ومنذ تاريخ طويل - من الدين، إذ نشأت في إطار الجدل الذي ثار حول النظر إلى الإنجيل حينما حطم لوثر النظام القائم، ودعا إلى مسألة تعدد المعاني في الكتاب المقدس، وهذا يعني ان كل اختلاف في التأويل إنّما هو موجود أصلاً في النصّ، وبهذا يتحول معنى النصّ لصالح المعنى الذي عند المتلقي؛ فيترسخ لذلك مبدأ الحرية في التأويل، ويحطم المرجع الواحد الذي تحاكم على أساسه التأويلات وتقام مقامه مرجعيات متعددة بتعدد الذوات المؤولة، وهو ما يسميه تودوروف بالعدمية، وهذه العدمية - عنده - تجيء بشكل مباشر من انهيار العقائد المشتركة لكل المجتمع، وبذلك يصبح النصّ مفتوحاً، وقابلاً لكل التأويلات المتقاربة؛ بل المتناقضة أيضاً.

أما النصّ المفتوح وعلاقته بالوحي فيتجلى ذلك في هجوم محمد أركون على نصوص القرآن؛ إذ يرى أنّ النصوص الدينية ليست سوى نصوص لغوية، ويتبنى القول بشريتها، وينادي بتأويلها تأويلاً مفتوحاً متنوع القراءات بحسب نوعية، وعدد القراء؛ لأنّه يرى ان التمسك بحرفية النصّ، ودلالاته اللغوية يجعل النصّ مغلقاً، ومن ثمّ ينحصر فهم النصّ في أقلية مستبدة مسيطرة حسب قوله، ونحوها من هذا الطرح، ومن زاوية تاريخية يدرس أركون نصوص الوحي على وفق مفهوم النصّ المفتوح أيضاً، وضمن منظور الدلالات المفتوحة القابلة للتجدد مع تغير آفاق القراءة، المرتهن بتطور الواقع اللغوي والثقافي - بحسب كلامهم - .

٥. التعارض بين المعقول والمنقول: من تجاذبات العقل والنقل في التأويلية الحديثة أسبقية العقل على النصّ ممّا يؤدي إلى تحويل الفهم، والتفسير إلى عملية آلية تحكمها سلطة المنقول، وهو ما يجعلها تتعالى على التاريخ.

إنّ النصوص في ذاتها لا تمتلك أيّ سلطة اللهم إلا السلطة المعرفية التي يحاول كل نص - بما هو نص - ممارستها في المجال المعرفي الذي ينتمي إليه، وهذه السلطة - أي المعرفية - لا تتحول إلى سلطة ثقافية اجتماعية إلا بفعل الجماعة التي تتبنى النصّ، وتحوله إلى إطار مرجعي، وأما السلطة التي تتمتع بها النصوص فيُضفيها عليها العقل الإنساني، ولا تتبع من النصّ ذاته.

لقد ساد الخلاف طويلاً بين أنصار الاتجاه النقلي، وأنصار الاتجاه العقلي حول مسألة أسبقية الدليل النقلي على العقلي أو العكس، وقد كان لهذه القضية التي احتدمت منذ وقت مبكر أثرها في التفكير الإسلامي عبر القرون، وبقيت تتنازعها الآراء، وتتضارب حولها الأفكار، واتخذها البعض مطية لإطلاق العنان للعقل، وتحكيمة في تفسير كل آيات القرآن الكريم.

٦. الفهم المؤول للنصوص الدينية:

إنَّ الفهم الخاطيء للآيات بناء على القراءة المعاصرة للمعاني المستقاة من النصوص كانت وما زالت الثغرة التي نفذ من طريقها اعداء الاسلام لتنفيذ مخططاتهم وما يرمون اليه من مكر وكيد ويزداد الالم الما عندما نرى ان الجماعات المتطرفة التي تدعي الانتساب للإسلام هي المتمثلة بهذه الرؤية.

وكذا أصبح هذا الفهم المبني على تلك القراءة أصبح واقعا غريبا لاشتماله على الترويج للفكر والفهم الخاطيء بل ان المشكلة والازمة لم تكنف في الوقوف لهذا الحد بل تعدته الى الترويج لهذا الفهم واستجهلت الناس بل وقتلتهم وعزرتهم ان لم يؤمنوا به، وكل ذلك جاء بحجة الاستدلال والتأويل والفهم المعاصر وفقه الواقع، ومما يؤسف اليه ان فينا ومنا ممن اسهم وساند هؤلاء بما يكيدون للامة وما يخططون ساندهم بفهمه وتأويله القاصر للآيات، فكان السبب بتسلط المجرمين وأعداء المسلمين على شعوبنا وأرواحنا وعقائدنا.

ونستطيع أن نبين إشكالية نشوء التطرف من طريق أسباب التأويل ودوافعه المعاصرة^(١):

١. طبيعة اللغة ومرونتها وتنوع اساليبها في الدلالة على المعاني وجميع ذلك فتح المجال للتعاطي مع التأويل كوسيلة لفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة^(٢).

٢. دفع التعارض الظاهري بين الادلة ويقتضي هذا التعارض الظاهري نوعا من الترجيح بينها او التوفيق وهو مما لا يتأتى إلا بنوع من التأويل لبعض النصوص.

٣. قد يكون التأويل ردة فعل لظاهرة المغالاة في التمسك بالظاهر^(٣).

٤. التحرر من النص وحقيقته بغرض التوفيق بينه وبين الراي الذي يحمله المؤول

(١) ينظر: دور الفهم الخاطيء للآيات وفساد التفكير في التطرف والتكفير، مريم بنت راشد بن صالح التميمي، بحث مشارك في مؤتمر كلية الشريعة جامعة قطر غير منشور، ص ١٢.

(٢) ينظر: نهاية الايجار في دراية الايجاز، تحقيق احمد السقا، المكتب الثقافي مصر ١٩٨٩ ص ٨٩-١١٣.

(٣) ينظر: محمد احمد المبيضين، التأويل واثره في الاختلاف العقدي والفقهي ص ٥

وهو يعد أخطر سبب من الأسباب المغطية للخلاف الفكري والمنهجي والعقدي فيؤول النصوص وفقا لما يمليه الهوى كما حصل للفرق الباطنية وبعض المتطرفين^(١)

(١) ينظر: محمد احمد المبيضين، التأويل واثره في الاختلاف العقدي والفقهي ص ٥

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
المنتجبين:

ظلت هذه المناهج مجرد أدوات لتمير الاختيارات، والتوجهات، والرؤى
المذهبية التي يحملها أصحاب هذه المشاريع مما أساء كثيرًا إلى هذه المناهج وغيب
حقيقتها وحجب سوء استعمالها والاستفادة من نتائجها.

إنَّ آليات الفهم استهلكها الفكر الغربي وأجهضها، ولكن الخطاب الحدائثي
العربي ما يزال يجترها على انها المنهجيات الحديثة اللازمة لفهم النص، وتلكم هي
الطامة الكبرى.

إنَّ مشكلة الفكر العربي المعاصر لم يستوعب ان النظريات التأويلية الغربية تعيش
في مأزق؛ وعدم الاستقرار، ولم تكلف نفسها عناء البحث عن النزاعات التي أثرت تجاه
كثير من الأمور المفصلية في النظرية نفسها، وأصبحت تثق ثقة عمياء بهذه النظريات
كأنها حقيقة مطلقة من دون التنبه للخلفيات الإيديولوجية والفلسفية التي ترمي هذه
النظرية لتحقيقها.

لا نريد للفكر العربي المعاصر في تعاطيه مع التأويلية أن يصبح مرهونًا في أصالته
وقدرته على الانفتاح، والتجدد بتعالقه مع المقولات النقدية الغربية الحديثة، حتى
تمنحه البقاء، وتمبه شهادة استمرار الصلاحية.

إنَّ القراءة التأويلية الحديثة مارست عملية الإسقاط في مقاربة الخطاب الديني
بالمناهج الحديثة.

وهنا لا بدّ من التنويه إلى ما توصل إليه الباحث من نتائج عدة:

١. إن منهج فهم النص الديني الإسلامي لدى التيار الحدائى المعاصر منفلت من الضوابط المنهجية الإسلامية الخاصة بتفسير القرآن الكريم وشرح حديث النبي صلّى الله عليه وآله، واستبدلت بمنهج للفهم يدعي: «الهرمنوطيقيا» وهو منهج غربي قديم، اخترع من أجل فهم وتقريب نصوص الكتاب المقدس التي واجهت مشكلات عويصة من أجل فهمها لدى المسيحي «أما التفسير الإسلامي فقد جاء للتعمق والتوضيح في النص القرآني، ولا يزال باستمرار، يكتشف آفاقا من المعرفة.

٢. لقد حاول الحدائىون بمختلف مشاريعهم الفكرية المقترحة من أجل فهم النص الديني أن يضعوا رؤى وتصورات منهجية لفهم الوحي، بيد أن مشاريعهم للفهم لم تساندها أمثلة تطبيقية بالكثرة التي تبعث على القول بأن مشاريعهم النظرية ناجحة. وبناء على هذا فإن المشروعات الفكرية الحديثة في قراءة النص هي استجابة للتحدي الحضاري الذي فرضه الصدام مع الحضارة الغربية بمقولاتها ومنتجاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تحولت إلى مكون رئيس.

٣. كانت قراءات الحدائىين للنص الديني مجافية للضوابط العلمية المجردة، إذ تبني موقفاً نقدياً أو هدمياً من التراث التفسيري ومن مختلف مباحث علوم القرآن، ومن علوم اللسان العربي، لكنها في هذا النقد لا تلتزم بضوابط علمية مقررّة، بل تؤسس هذا النقد على افتراضات مخطئة يتمّ الإلحاح والحرص عليها، وقل الأمر مثله بالنسبة لقراءة التيار الحدائى للسنة النبوية.

٤. إن ابن رشد - الذي - يلجأ إلى هذا المفهوم لتأسيس رؤية عقلية للشريعة من أجل إثراء المعاني والمفاهيم التي لا تتناهى في النص الديني، وإن كان هذا التأويل لا يستطيعه إلا الحكيم أو العالم المجتهد، الذي هو وحده بفضل المنطق والعلم الصحي أعرف بسر التشريع وبمقاصد الشريعة.

٥. مفهوم التأويل يعني اكتشاف حقيقة أخرى، غير تلك الحقيقة التي يتضمنها القول الديني نفسه إما تصريحًا وإما تلميحًا. فهو في جوهره، ربط النتائج بالمقدمات والمقدمات بالنتائج داخل القول الديني نفسه، والبحث عن المعنى المقصود وراء التعابير المجازية والأمثلة الحسية، وذلك بشكل يجعل مدلول ما يقرره البرهان العقلي مع القول الديني على وفاق.

٦. لانعاني من النصوص بقدر ما نعاني من اللصوص.

٧. لما كان الغرض أنسنة المقدس لذلك نرى تحول مصطلح التأويل الذي كان متداولًا في مباحث الخطابات الدينية إلى علم يبحث في آليات الفهم، في جميع النصوص الدينية وغيرها.

٨. التيار التأويلي في نقده للقرآن باعتباره كتابًا مقدسًا يكون قد تأثر بحركة الاستشراق، وأعاد أفكارها، ومقولاتها في دعوتها القائلة ببشرية النصّ القرآني.

٩. لم تفلح المناهج الحداثية في تخلص الخطاب الديني من أزمته ووضعيته الراهنة؟

١٠. وغالبًا ما يتسلل هؤلاء في قراءة النصّ القرآني قراءة حداثية من ثغرة التأويل، لذلك يبقى السجال الفكري اليوم يدور حول «النماذج التفسيرية» و«تقنيات التأويل»، لأن المعركة اليوم معركة «تفسير وتأويل» بالدرجة الأولى، تدور حول السؤالين الاتيين: كيف نفهم النصّ؟ وكيف نفهم حملة النصّ؟

١١. يبقى التأويل الصخرة العاتية التي اعتمد عليها الفكر التنويري لتكسير وحدة الفكر الإسلامي.

قائمة المراجع والمصادر

القران الكريم

١٢. ابن رشد. أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير الحفيد (المتوفى ٥٩٥هـ). فصل المقال. دراسة وتحقيق محمد عمارة. ط ٢. الناشر دار المعارف. بيروت.
١٣. أدونيس. ١٩٨٣. الثابت والمتحول. صدمة الحداثة. ط ٤. دار العودة. بيروت.
١٤. أركون. محمد. ١٩٩٢. الفكر الإسلامي نقد واجتهاد. ط ٢. دار الساقي.
١٥. إسماعيل. فادي. ١٩٨٧. الخطاب العربي المعاصر قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة. دار الوفاء للطباعة والنشر. مصر.
١٦. ابو زيد. نصر حامد. ٢٠١٤. النص السلطة الحقيقية. الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة. المركز الثقافي العربي. المغرب
١٧. البقاعي. محمد خير. ١٩٨٣. نظرية النص. عدد ٣. مجلة العرب والفكر العالمي
١٨. بوشلاكة. رفيق عبد السلام. ١٩٩٦. مآزق الحداثة الخطاب الفلسفي لما بعد الحداثة. مجلة إسلامية المعرفة. السنة الثانية. العدد السادس. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. ماليزيا.
١٩. التميمي. مريم بنت راشد بن صالح. ٢٠١٧. دور الفهم الخاطيء للآيات وفساد التفكير في التطرف والتكفير. كلية الشريعة. جامعة قطر.
٢٠. الجابري. محمد عابد. ١٩٨٦. نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي.
٢١. الجويني. ١٩٩٧. البرهان في اصول الفقه. دار الكتب العلمية.
٢٢. الحاج. محمد الأمين بله الأمين. ٢٠١٥. إعادة قراءة النص الديني بين أهل التأويل ومناهج المعاصرين عدد ٢. معهد جامعة الجزيرة. مجلة فتوحات. السودان.

٢٣. حرب. علي. ٢٠٠٥. نقد النص. المركز الثقافي العربي. المغرب.
٢٤. حمودة. عبد العزيز. ٢٠٠٦. المرايا المحدبة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب. الكويت.
٢٥. السقا. احمد. ١٩٨٩. نهاية الإيجار في دراية الإيجاز. المكتب الثقافي مصر.
٢٦. السيد محمد شاهد. الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم.
٢٧. السيف. خالد. ٢٠١٠م. ظاهرة التأويل في الفكر العربي المعاصر - دراسة نقدية إسلامية.
٢٨. الشرفي. عبد المجيد. ٢٠١٩. قراءة في النص الديني.
٢٩. الشلف. لبصير نور الدين جامعة حسيبة بن بوعلي الجزائر. أزمة الخطاب الديني في الفكر العربي المعاصر.
٣٠. صليبا. جميل. ١٩٩٤. المعجم الفلسفي.
٣١. غولدمان. لوسيان. ١٩٩٧. تأصيل النص. ط ١. مركز الإنماء الحضاري. حلب.
٣٢. كالمو. محمد. ٢٠٠٩. القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير. دار اليمان للطباعة والنشر. اليمن.
٣٣. المبيضين. محمد احمد. ٢٠١١. التأويل واثره في الاختلاف العقدي والفقهي.
٣٤. مراد. بركات محمد. ٢٠٠٢. ابن رشد فيلسوفا معاصرا. مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة.
٣٥. مرجي. فوزية عيد. ٢٠٠٦. فلسفة التوفيق بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية. عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع اربد الاردن.
٣٦. مصطفى. عادل. ٢٠١٨. مدخل إلى الهرمنيوطيقا. «نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر.
٣٧. مندور. محمد. ٢٠٠٨. النقد والنقاد المعاصرون. مطبعة نهضة مصر. القاهرة.

٣٨. ناصف. مصطفى. ٢٠٠٠. نظرية التأويل. ط ١. النادي الأدبي الثقافي بجدة. السعودية.

٣٩. يفوت. سالم. ١٩٩٩. المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر. دار الطليعة. بيروت.

٤٠. يوسف. حمزة فاقل. ٢٠٠٨. تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص. العددان ١، ٢. المجلد ٧. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية. العراق.

٤١. Kristiva, Julia. ١٩٧٤. Editions. la.revolution.du.langage,poins, Editions. du seuil

٤٢. Bouzoher. Myraim. ١٩٨٥. Tra. U_ECO_lecto_in_Fabuia. bar.. Grasset et Fasgueiie, Paris

٤٣. أرواد ونيانار. موقع الويكيبيديا على الرابط / <https://ar.wikipedia.org/wiki>

٤٤. لعلي بار ويس. الحداثة العربية وتأويل نص الإسلام الديني». اليمن. ٢٠١٥. موقع المسلم <http://almoslim.net/node/٩٢٩٣٩>.

المضامين الأخلاقية والتربوية
في المجتمع المكي في عهد الرسول ﷺ على وفق المنظور القرآني

أ.م. د- حيدر زوين، جامعة الكوفة - كلية الآداب

د. عبد الكريم جعفر الكشفي مدير عام تربية ديالى السابق

الملخص:

شغلت المضامين الأخلاقية والتربوية في المنظور القرآني اهتمام المربين قديماً وحديثاً؛ بوصفها تمثل حجر الزاوية في بناء المجتمعات والشعوب، وهي بحاجة إلى دراسات مستفيضة، بخاصة أن واضع أسسها في المجتمع المكي رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله، ويعدُّ تعليم هذه المضامين على وفق المنظور القرآني من أحكام الإسلام المحمدي، وقواعده، وأعرافه، وأنَّ الرُّجوع لها أمرٌ حَصَّتْ عليه المرجعيةُ الدينيَّة قرآناً وسُنَّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٩. وقد ورد في السُّنة النبويَّة المُطَهَّرَة، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» .

المضامين التربوية والأخلاقية على وفق المنظور القرآني تعد فريضة ينبغي الاهتمام بها كثيراً، ومسؤوليتها مسؤولية الجميع من دون استثناء، فهي تُعد أكبر تحدٍّ كان يواجه المجتمع المكيَّ المتحرِّر توّاً من آثام الجاهلية، فمنقذ البشرية كان يسعى إلى بناء أفراد صالحين في ذواتهم ومشاعرهم، وأفكارهم، وإنَّ الدور الذي يمكن أن تؤديه هذه المضامين التي وضعها الرسول على وفق المنظور القرآني، والتي تهدف إلى إنشاء جدول إسلامي متشبع بمبادئ الدين الإسلامي وبالقدم: (الروحية، والأخلاقية، والثقافية، والحضارية) للمجتمع.

الكلمات المفتاحية: المضامين الأخلاقية والتربوية، المجتمع المكي، المنظور القرآني.

3- Summary:

The moral & educational contents of the Quranic perspective have taken the old and modern educators' interest, as it represents the essential pillar in the building of communities & nations and needs to be deeply studied, especially the one who had put & found these rules in Mekkah society is Prophet Mohammad (PBUH). Teaching these contents according to the Quranic perspective is considered one of the provisions of Mohammadi - Islam, its rules, and traditions. Keeping it as a reference is something was highly stated by religious authorities (the Holy Quran & Prophet's Sunnah) as Allah says:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾

"Verily this Qur'an doth guide to that which is most right (or stable), and giveth the Glad Tidings to the Believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward"

(Al-Israa 9). And the (prophet Sunnah) has stated in the Hadith: " "I was sent to uphold and complement ethical values"

The moral & educational contents under the Quranic perspective are considered an obligation (Farida) that must be given great attention, and its responsibility is everyone's responsibility, without any exceptions, as it was considered the Greatest challenge the Mecca society had faced, whose just liberated from pre - Islamic period vices (Al-Jahilleya). Human beings' savior sought to build good society members in themselves, their feelings, and thoughts; in addition, the role could be performed by these contents, set by Prophet Mohammad under the Quranic perspective, which aims to create an Islamic agenda filled with Islamic religious principles, and the terms of (spirituality, morality, culture, civilization) of society.

مقدمة:

لقد كانت الرسالة النبوية في مرحلتها: المكيّة والمدنية ذات قيم روحية وخلقية و نفسية عميقة عظيمة، سار على هديها الصحابة المنتجبون والتابعون الهداة وقادة المسلمين واقتدوا بها، ونشروا رسالة الدين الحنيف بروح المحبة، والتسامح بهدف النهوض بحضارة المجتمع المكيّ وتصديره للإنسانية جمعاء، وكيف رسخ النبي الكريم المنظومة الأخلاقية، والتربوية في المرحلة المكية من الدعوة والتي تعد من أبرز معالم تلك المنظومة المبكرة الإنسانية، وهي مجال بحثنا الذي دار حول المحاور الآتية:

المبحث الأول/ المضامين الأخلاقية على وفق المنظور القرآني (مفهوم عام).

المبحث الثاني/ المضامين التربوية الإسلامية على وفق المنظور القرآني (مفهوم عام)

المبحث الثالث/ المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع المكي في عهد الرسول صلّى الله عليه وآله على وفق المنظور القرآني

المبحث الأول: نظرة عامة على المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع الإسلامي على وفق المنظور القرآني (مفهوم عام)

المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع الإسلامي (لغةً واصطلاحاً):

المضمون الخلقي والتربوي قد يأتي بمعنى القيم، والقيمة لغة -بحسب ما جاء في لسان العرب، ابن منظور- واحدة القِيم، وأصله الواو؛ لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة أيضاً ثمن الشيء بالتقويم، تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته، فقد استقام لوجه^(١)، ولا يكاد هذا المعنى يتعد عن فهم الإنجليز والفرنسيين للقيمة، في الإنجليزية التي تُدلل على الاعتدال والاستواء وبلوغ الغاية^(٢).

ونجد عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع وغيرهم غير تعريف للقيم، فقد عرفها بعضهم على أنها إدراك للمرغوب فيه وهو سلوك تأثري مختار، وعرفها الدكتور ضياء زاهر بوصفها مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة^(٣).

القيم عبر التاريخ:

أخذت القيمة بأنواعها المختلفة مكانةً مرموقةً في تاريخ الحضارات الإنسانية جميعها، واهتمت بها الشعوب والأجيال حتى تقارب الوعي البشري في الاتفاق على مفهومها، المتمثل بالمساواة والعدل والصبر والعفة والشجاعة والتواضع والصدق والحق والمحبة لدى جميع البشر على اختلاف عقائدهم ومشاربهم ولغاتهم وأعرافهم، وفي

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥، ج ٥، مادة «قيم».

(٢) القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية: صلاح الدين بسيني رسلان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٨.

(٣) القيم في العملية التربوية، ضياء زاهر، مؤسسة الخليج، القاهرة، ١٩٨٤م، ص: ١٠.

الحضارة القديمة ثمة رأيٌ يعترف بوجود مبدئين للوجود: أحدهما النور، ويمثل الخير، والآخر الظلمة، ويمثل الشر، وقد قدّم «روسو» في العقد الاجتماعي نظام الجمهورية البرجوازي، الذي أكد فيه أنّ الحياة السياسية يجب أن تقوم على سيادة الشعب المطلقة، ورفض تقسيم السلطة إلى تشريعية وتنفيذية، واقترح بدلاً منها الاستفتاء الشعبي العام في جميع الأمور السياسية المهمة، وقد أسهم «روسو» في الإعداد الفكري للثورة البرجوازية الفرنسية بشكل فعّال، وكان مُتقدِّمًا في أفكاره، فهو يرى أنّ أصل الشرور والتفاوت بين البشر يعود إلى الملكية الخاصة باعتبارها سببَ العداء والأناية بين البشر^(١).

أنواع القيم:

القيم على أنواع، وهي تتعلق بالإنسان على وجه الخصوص، ولها أهمية كبيرة وعظيمة في حياته، ويعد تحقيقها نجاحًا مهماً بحدّ ذاته له، وأهم أنواعها:

١. قيم دينية إسلامية: وهي مجموعة من الصفات الجيدة التي يتصف بها الإنسان المسلم، والتي يكتسبها من الأسرة المسلمة ومن البيت والمدرسة والمسجد، ولها ضوابط إسلامية محدودة يخدم من خلالها دينه ومجتمعه وأسرته.
٢. قيم تربوية اجتماعية: وهي تلك العادات التي اكتسبها الفرد من بيئة ومجتمعه، وأثرت به وتأثرت بها، وأصبحت جزءًا مهمًا من شخصيته، وأصبح يتصرّف بها مع الآخرين، مثل الإخلاص والتواضع وحبّ الوطن... وغيرها.
٣. قيم أخلاقية: هي مجموعة من الصفات الحسنة والأمانة والوفاء والصدق والعدل والإحسان والرحمة والشجاعة وغيرها، وتعدّ هذه القيم من الصفات المكتسبة.
٤. قيم جمالية: وهي قيم مكتسبة يكتسبها الفرد عن طريق تربيته، ويستطيع الإنسان من خلالها إشباع رغباته وحاجاته كالفن والجمال والذوق، ويستطيع من خلالها إثبات نفسه وبناء شخصية متوازنة إنسانيا وسلوكيا واجتماعيا.

(١) ينظر: حكمة الصين: فؤاد محمد شبل، دار المعارف، مصر، د. ت، ص ٤٤.

٥. قيم شخصية: وهي القيم التي يتأثر بها الشخص وبكل ما حوله من سلوكيات جيدة تساعده في بناء شخصيته..... وغيرها من القيم الأخر.

القيم الأخلاقية والتربوية وأهميتها ودورها في المجتمع:

القيم الأخلاقية:

عُرِّفَت القيم الأخلاقية بأنها مجموعةٌ من الأحكام الانفعالية الصادرة من العقل البشري، التي تقود الإنسان نحو رغباته واتجاهاته، وأن هذه القيم تكتسب من المجتمع المحيط بالأفراد فيتشربها، وتُصبح المُحرِّكُ لأسلوبه الخاص والعام، وأن هذه القيم تختصُّ بجوانب شخصية الأفراد التي يصدر من خلالها الأحكام الخلقية، التي تتوافق مع طبيعة العادات والأعراف والتقاليد والقوانين السائدة في المجتمع الذي يعيش الإنسان فيه، ودائما ما تكون هذه الأحكام متوافقةً مع ضمير الإنسان وقناعاته، التي تنظّم سلوك الإنسان، وتحدّد علاقات الأفراد وصولاً إلى الغاية المنشودة.

تستمدُّ القيمُ الأخلاقية التي أقرّها إسلامنا المحمدي قيمتها الإنسانية من مصادرٍ عدّة، هي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال أهل البيت ومنهجهم عليهم السلام، وقال البعض إنَّ القيم الأخلاقية الإسلامية: هي مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، وأمّا صورها الإسلامية فتتكون لدى الفرد والمجتمع، عبر التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، إذ تمكنه من اختيار أهدافٍ وتوجهاتٍ لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسّد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي^(١). وكلّما تعدّدت وسائل الاتصال وتطورت الحياة بين الأمم والشعوب ازدادت الحاجة الملحة إلى المعايير والقيم الأخلاقية في المجتمعات، ليس في الشرقية منها فحسب، بل في مجتمعات العالم أجمع، وقد قال رسول الإنسانية

(١) ينظر: القيم الإسلامية والتربية: علي خليل مصطفى، دار طيبة، ط ١، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣٤.

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١).

أكد إسلامنا المحمدي على أهمية القيم الأخلاقية، التي يمكن بوساطتها ضمان وجود الحياة السعيدة، وبناء علاقات اجتماعية سليمة تمنحنا العيش الرغيد بسلام وأمان، ويدعو هذا الأمر الحكومات والدول الإسلامية والمؤسسات التربوية بكل أنواعها، وكذلك المربين والمهتمين بالتنشئة الأخلاقية الاجتماعية إلى إيجاد برامج ووسائل تساعد في غرس القيم الإنسانية والأخلاقية الإنسانية في المجتمعات والأفراد والنفوس، وذلك لكي تتمكن من المحافظة على الإرث الديني والحضاري والأخلاقي، وبناء عادات وتقاليد وسلوكيات سليمة تحارب الجهل والتخلف جيلا بعد جيل، كما أن هذه القيم الأخلاقية تساعد شعوبنا المسلمة لتجنب الانحراف عن مسار الفهم الصحيح للتقدم والتطور في المجتمعات، وقد أوصت الشرائع والأديان السماوية بالالتزام بهذه القيم، وأن مصدر تلك القيم هو مصدر إلهي عقلائي؛ مرتبط بطبيعة الأشياء وصفات الأفعال، وهذه القيم ثابتة وموضوعية لا تتغير بتغير الأفراد، ولا تخضع لأهوائهم ورغباتهم، فهي قيم مطلقة في جميع الأزمنة والأمكنة، وإذا حدث تنافر بين القيم وما هو مطلوب في الحياة، فإن هذا لا يعني أن القيم غير صادقة، بل أساليب حياتنا خاطئة، وتحتاج إلى تصحيح^(٢).

إن بناء المجتمعات المرجوة بناءً سليماً لا يمكن أن يتم إلا عبر بناء أجيال مثقفة وواعية ومن خلال معلمين واعين مؤمنين بقضيتهم ومهنتهم، وإن آية أمة من الأمم إذا لم تُنشأ مثل هكذا رجال تربية ومؤسسات تربوية هادفة ورسول فضيلة وعلم، فإنها لن تستطيع بناء منظومة تربوية هادفة تفهم وتقدر النظم والمعايير والقيم التربوية، ولا يمكن لها أن تتأصل بمجرد الخطابات والوعظ والإعلانات واللقاءات من حين إلى آخر في قاعات براقية مغلقة، لقد كان

(١) الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)،

تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤١٠ هـ، ج ١، ص ١٩٣.

(٢) ينظر: التربية وقضايا المجتمع المعاصر: حافظ فرج أحمد، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ٢٤٩.

للمفاهيم الأخلاقية دومًا هدفها في إيجاد بيئة آمنة وصالحة تؤمن بحماية العالم من مواريث الحروب ومصادرها، وتؤسس للتقدم العلمي وسلامته وأمنه، ويعدُّ التمسكُ بمعايير الأخلاق اليوم ضرورة اجتماعية للفرد والمجتمع، وكذلك يعدُّ ضرورةً للعلاقات المختلفة التي تسهم في ضبط السلوكيات المنحرفة، من جانب الالتزام بالتعهدات والعهود والعقود وتطبيقها على وفق روابط الدين والتاريخ واللغة والدم.

إنَّ من واجبات المؤسسة التربوية والإعلامية و«الدينية بشكل خاص»، في ظل مجتمعات مثل العراق وسوريا وغيرها من الدول التي أنهكتها الحروب، التي تعيش حالة من غياب المنظومة القيمية والتراجع المؤسف في كل المجالات، أن تؤدِّي هذه المؤسسات دورًا فعّالًا وأساسيًا في تربية الأجيال، وتحصينهم وتقوية عزائمهم ونفوسهم بمنظومة من مكارم الأخلاق، التي ترسم لنا وتحدد صورة سلوك إنسان المستقبل، وترشده إلى إصلاح الذات والنفس، ولا يتمُّ هذا الإصلاح من دون نشر الوعي المجتمعي، وإيمان الأفراد بالأشكال الأخلاقية، كالأمانة والصدق والوفاء والاحترام والشرف وحرية الرأي والآخر، والالتزام بكل ما يرضيه الدين الإسلامي الحقُّ، من أعراف ومحبة الآخرين والتضحية والإيثار وغيرها من القيم الأخلاقية السامية التي أوصى بها ديننا الإسلامي المحمدي، والتي هي أسلوبٌ ونظامٌ حياةٌ في المجتمعات الراقية، وأنَّ هذه القيم السامية لا يمكن أن تنحصرَ في زاوية التنظير فقط، بل يجب أن تكون سلوكيات ظاهرة في تعاملات أفراد المجتمع ومع بعضه البعض، ومع الأسرة والمدرسة والمسجد وجماعة الأقران ووسائل الإعلام ووسائل أخرى ضمن المجتمع، وكل هذه الوسائل تستقي قيمها من ثقافة المجتمع الذي يمثل البيئة التربوية للأفراد^(١).

(١) ينظر: تنمية القيم التربوية والنفسية للأبناء: السيد أحمد المخزنجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٩٢.

تدرك أممتنا الإسلامية ومجتمعاتنا والمربون التربويون اليوم تمام الإدراك حاجتنا إلى جهاد النفس والاجتهاد لإيجاد الحلول السليمة والمناسبة لمواجهة أزمة تدهور المنظومة القيمية، تلك التي يعاني منها مجتمعنا في العراق وسوريا وكثير من مجتمعات الشعوب الإسلامية والعربية، وأنَّ الحاجة الملحة اليوم تكمن في البحث عن وسائل تعيد بناء المنظومة القيمية للأمة الإسلامية، وتعيد عزَّها وكرامتها المفقودة بصورة عامة؛ وأيضاً ضرورة البحث عن وسائل جديدة تعيد إيماننا بديننا وقيمنا الأخلاقية والتربوية والإنسانية، وبذلك نصحو من الغفوة، وربَّما ندرك بعض ما تبقى لنا من عزٍّ وكرامةٍ عربية إسلامية، وأن يكون طريق الحوار والمناقشة من أكثر الأساليب التربوية ملاءمة لتعليم القيم الأخلاقية وبيانها وتعزيزها، وذلك لأن الحوار يفتح الفرصة أمام الطالب للتعبير عن أفكاره وتصوراتهِ المختلفة حول القضايا القيمية المعروضة للنقاش، وبذلك يكتشف صحتها أو خطأها^(١)، ولعله، وبحسب رأينا القاصر أنَّ الحوار هو من أصوب الحلول لتصحيح الأخطاء والوصول إلى الهدف، ومن أهم القيم الأخلاقية التي يجب التأكيد عليها من خلال الحوار: الورع والتقوى والعدل والإحسان والصدق والأمانة والمحبة والتواضع والصبر والحلم وغيرها.

المبحث الثاني: المضامين التربوية الإسلامية على وفق المنظور القرآني:

وتعني تنمية الإنسان جسدياً وخلقياً، وتنشئته فكرياً وثقافياً، ويشمل هذا الأمر أيضاً التغذية، والرعاية الصحية، ويعتمد ذلك كله على منهج رباني مستمد من هدي القرآن والسنة ومنهج أهل البيت عليهم السلام، وغيرها من مصادر التشريع، وقيل هي تنمية الإنسان في أبعاده المختلفة الرئيسة: البعد الروحي، والأحيائي (البيولوجي) والعقلي، والمعرفي، والانفعالي العاطفي، والسلوكي، والأخلاقي، والاجتماعي، للوصول بالإنسان نحو الكمال ضمن مجتمع متضامن قائم على قيم الإسلام الثابتة.

(١) ينظر: تعلم القيم وتعليمها: ماجد زكي الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص ١٣٨.

للقيم التربوية الإسلامية تعريفات عدّة، وقد عرّفها بعض الباحثين بأنّها مفاهيم تدل على معتقدات المسلم حول نماذج السلوك التي وهبها الخالق للإنسان، يكتسبها المسلم من طريق فهمه لدينه، وتعلّم هذه المفاهيم بتفاعله مع مواقف الحياة المختلفة والخبرات الاجتماعية والفردية، وبها يضبط الفرد سلوكه، وعلى هذه القيم يحكم على سلوك الفرد والآخريين، وعلى ضوءها يختار المسلم أهدافه ووسائل توجيهات حياته، ولا بدّ لهذه القيم أن تظهر في السلوك العملي واللفظي للمجتمع الإسلامي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وعرّفها آخرون بأنها مجموعة من المثل العليا، والمعتقدات والغايات والوسائل والتشريعات الضابطة لسلوك الفرد والجماعة، وأنها مبادئ تُحْتَمُّ على الفضيلة ومواجهات للسلوك الإنساني، وهي ضوابط تضبط حياة الناس بكل مفاهيمها الدينية والاجتماعية والعلمية والفكرية والسياسية والأدبية^(١).

تمثّل القيم التربوية في المجتمع الإسلامي الجانب المعنوي أو الروحي في الحضارة، (في كلّ الحضارات وبخاصة الإسلامية)، وهي: الجوهر والأساس الذي تقوم عليه أيّة حضارة، وفي الوقت نفسه تضمن سرّ بقائها وصمودها عبر الأجيال التاريخ، وإذا اختفت هذه القيم في يوم من الأيام فإن ذلك يؤدّن بالزوال المعنوي للحضارات الإنسانية، التي هي روح الحياة والوجود، مما يؤدّي إلى مغادرة الرحمة قلوب الفرد، وإلى ضعف وجدانه وضميره عن أداء دوره الذي يجب أن يقوم به ومعرفة حقيقة نفسه. وأنّ الانحطاط هو خطأ الإنسان في فهم حقيقة مكانته في الكون، وفي إنكاره عالم القيم، الذي يشمل قيم الخير والحقّ والجمال والحقيقة أيضًا، وأنّ هذا الجانب أيّ جانب الأخلاق والقيم لم يوفّ حقّه في حضارة المسلمين، التي قامت على أساس القيم والأخلاق، وبعث الله رسوله خاصة ليتمّم مكارم الأخلاق ويكملها، وأنّ تلك القيم التي لم تكن يومًا نتاج تطوّر فكريّ على مرّ العصور، وإنّما أوحاها الله عزّ وجلّ، وشرّعها رسول الله محمد ﷺ^(٢).

(١) ينظر: التربية الإسلامية: دار إشبيلية، الرياض، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٧.

(٢) ينظر: الإنسان ذلك المجهول: ألكسي سكارليل، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٣٥١.

تعدُّ القيم التربوية الإسلامية في المجتمع الإسلامي قيماً متطورة وحيّة يمكنها الحركة، وتصلح لمختلف العصور والبيئات؛ وذلك لأنها أخذت مقوماتها الأصيلة الأساسية، واستمدتها من مصدرين أساسيين، هما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فضلاً عن منهج أهل البيت عليهم السلام، وأن هذه القيم ليست خيالية أو مثالية، وإنما هي قيم تطبيقية عملية يمكن تحقيقها بالمجهود البشري في ظل المفاهيم الإسلامية الصحيحة، ونرى إمكانية غرسها في كل بيئة بغض النظر عن نوع الحياة السائدة فيها، فهي تشجع بالمنطق العقائدي ذاته، وبالتطور والتقدم في المجالات جميعها، وتفتح الطريق لاستقبال نتائج الفكر الإنساني والحضارة البشرية، ونتيجة لامتلاك الإنسان العقل فقد تميّز عن سائر المخلوقات بالقدرة على اختيار البدائل اختياراً حراً واعياً، وهذه الحرية الواعية في اختيار العقل هي التي تحدّد القيمة الأخلاقية المميزة لأفعاله تأكيداً لدور العقل في البناء القيمي للإنسان^(١).

يعدُّ تعليم القيم التربوية فريضةً واجبة ينبغي الاهتمام بها، ومسؤولية تعليمها يجب أن يتحمّلها الجميع من دون استثناء، وتعدُّ هذه القيم أكبر تحدٍّ لمدى قدرتنا على تربية الأفراد والأجيال، ليكونوا صالحين في ذواتهم ومشاعرهم وأفكارهم للحفاظ على المجتمعات من الذوبان في ما يُسمّى بالعولمة التي تكرر الانسلاخ عن الانتماء إلى كيان الفرد ومجتمعه. ومن دون القيم التربوية والأخلاقية لا يمكن أن يُثمر التعليم ولا التربية، وهنا تكمن الحاجة إلى التفاعل التام بين الأفراد والمجتمع والقيم التربوية.

وتأسيساً على ما تقدم، لا بدّ من إعادة النظر في البرامج التربوية، وإعطاء نصيب وافر في وقت زمني أكبر، ووسائل أكثر حداثة، واهتمام أكبر ومؤثّر وغرس قيم التربية الإسلامية السمحاء والشريعة الإسلامية المحمدية، والتاريخ المشرق، والتربية المدنية القائمة على المرجعية الدينية المتنورة، والأعراف المجتمعية الصحيحة، وللموروث الثقافي للأمم الأثر

(١) ينظر: النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي «أصولها وبنائها في القرآن والسنة»: زينب رضوان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٨٤.

في كلِّ مراحل التعليم المتنوعة، حتى نصل إلى الهدف المنشود؛ إنَّ مشروع تأصيل القيم التربوية هو تجسيد للقيم والمبادئ التي جبل عليها مجتمعنا كالتسامح والتكافل والاعتدال...، والتي تنبع من تعاليم الدين الإسلامي وعادات المجتمع وتقاليده، وإعداد المواطن الصالح على وفق هذه القيم، ويحضرُ كلام الله سبحانه وتعالى هاديًا ومرشدًا للناس جميعًا في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١)، وقال رسول الإنسانية محمد ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا مَبْشِرًا بِرَحْمَةِ مُهْدَاةٍ»^(٢).

ومن أهم القيم التربوية التي نسعى لتأصيلها في المجتمع الإسلامي: «بِرُّ الوالدين والتسامح ونبد العنف، والإيمان بالآخر، واحترام الآخرين، والنظافة، والعمل التطوعي، والمحافظة على الممتلكات العامة، والتعاون، وإدارة الوقت، وحبِّ الوطن والولاء له، والثقة بالنفس، وحسن المجاورة، والقدوة، والوسطية، والحياء... وغيرها»، وقال ابن سينا: إنَّ أصول الفضائل: العفة، والشجاعة، والحكمة والعدالة^(٣).

ولا بدَّ أن نبيِّن أن الدين الإسلامي الحنيف يهدف إلى تربية الذات الإنسانية تربية أخلاقية وتربوية، وأنَّ هذه الذات هي محور نشاط التربية الإسلامية السمحاء التي بها تتكوَّن ذات الإنسان المسلم وشخصيته المسلمة كما أرادها الإسلام المحمدي، وللقيم الإسلامية السمحة في المجتمع الإسلامي خصائص عديدة تميِّزها عن كل القيم الأخرى الموجودة في الفلسفات والمجتمعات الأخرى، وذلك لأنها نابعةٌ من صميم المجتمع الإسلامي، إذ إنَّ المنظومة القيمية في المجتمع الإسلامي تمتاز بخصائص منفردة عدَّة تميِّزها عن الديانات والشرائع الأخرى السماوية وغير السماوية، فهي كلُّ متكاملٍ يجمع في إطار منسَّق جميع مشتملاته، من

(١) القرآن الكريم: سورة الإسراء/ الآية ٩.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، تحقيق د. بشار عواد وسليم محمد عامر ومحمد بشار عواد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، بيروت، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ج ٥، ص ١١٨.

(٣) ينظر: تسع رسائل في الحكمة والطبيعات: ابن سينا الحسين بن عبد الله، دار الجوائب، بيروت،

عقيدة وعبادات ومعاملات وتشريعات وتوجيهات وأوامر ونواهي وتوجيهات، للأخلاق وللآداب العامة وهذه تجتمع في كل متكامل متناسق مترابط فكرياً ومنطقياً^(١).

أوجز بعض خبراء التربية أهمّ العوامل المؤثرة في غرس المفاهيم التربوية عند الناشئة، وقناعة الناشئة بمكاسب تطبيق القيمة وخسارة فقدانها، على وفق الآتي:

١. القيم والإقناع العقلي الحر: إذ إنَّ بناء القيم يجب أن يتمَّ على قاعدة الاختيار، وليس الحفظ والتلقين.

٢. القيم والتفكير: إنَّ طريقة تفكير الأفراد تصنع مظاهر حياتية، وتحدّد أنماط القيم والسلوك، وهناك ارتباط كبير بين ما يملكه الفرد من القدرة على التفكير والتقييم، وبين ما يقوم به في اختيار الاتجاهات والقيم.

٣. القيم والاعتقاد: تعدُّ المعتقدات من أهمّ القوى المحرّكة التي تعمل على بناء القيم لدى الأفراد؛ لأنها تمثل اعتماد الفرد لحقائق: (الوجود، الإله، الكون، الحياة).

٤. القيم وموقف الصراع القيمي: إنَّ تعليم القيم التربوية الإسلامية يجب أن يتمَّ عبر المواقف الحياتية، التي يعيشها المتعلمون، والتي توفر فرصاً تعليمية للتعبير عن الآراء والتوجهات، وأنَّ استعمال الحوار والمناقشة وحلّ المشكلات والتفكير الناقد هي أفضل الطرق لتعلّم هذه القيم.

٥. القيم والقدوة: يعدُّ توفير القدوة الصالحة أمراً مهماً في تعليم القيم، فهي تقدّم أنموذجاً يتشرب الفرد القيم منها، ومن خلاله يستطيع أن يقدم أنموذجاً للسلوك الإنساني الحضاري الراقى.

٦. المنحى التكاملي في تدريس القيم: إنَّ تعليم هذه القيم يجب أن يتمَّ من خلال إطار شمولي تكاملي، ويتحقق ذلك من خلال تطبيق المعلومة وتعليمها وتنوع الأساليب والاستراتيجيات التي تعزز سلوك المتعلم، ومن ثم العمل على قياس مدى اكتسابها

(١) ينظر: مفاهيم تربوية وإسلامية: سلطان محمود السيد، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٢م، ص ٢٤.

عبر التقويم الشامل لتحصيل الطالب .

المبحث الثالث: المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع المكي في عهد الرسول (ﷺ) على وفق المنظور القرآني:

نهضت الرسالة المحمدية في مرحلتها المكيّة والمدنيّة على أسس ومضامين أخلاقية وتربوية عظيمة، سار على هديها المجتمع المكي، والصحابة والمنتجين، والتابعين الطيبين وقادة المسلمين في طريقهم واقتدوا بها في علاقتهم الواسعة في المجتمع المسلم ونقلوها لاحقاً إلى أصقاع المعمورة، ونشروا رسالة الإسلام المحمدي الحنيف بروح من التسامح والأخوة والإيمان بالآخر، وفي إطار حفظ المصالح الإسلامية ودرء المفسدات العامة والخاصة، وكانت هذه القيم نواميس وسننا علّمت الإنسانية بناء الأمم والحضارات، وبنّت حضارة إسلامية متكاملة، وقد رسخ النبي محمد ﷺ هذه المنظومة في المرحلة المكيّة من الدعوة، ومن يدقق النظر في مؤسس المنهج التربوي والأخلاقي الإسلامي ألا وهو الرسول القدوة، وهو الذي يقول: «إنما بعثت معلماً»^(١).

إنّ بناء والمنظومة الأخلاقية والتربوية، والنّهوض بها يخضع للقوانين الإلهية، وسنن ونواميس إنسانية تتحكّم في بناء مسيرة الأفراد والشُعوب، والدول والأمم، وعند التأمل في سيرة رسول الإنسانية محمد ﷺ نراه قد تعامل مع هذه المنظومة بحكمة وروية، وقدرة فائقة؛ إذ رسّخ الجيّد من المضامين الأخلاقية والتربوية على وفق المنظور القرآني، وأقرها، تلك التي كانت سائدة في مجتمع ما قبل الإسلام، وأقرّ مضامين جديدة عالية القيمة لتكوين نواة المجتمع المكيّ المسلم المستقيم على أمر الله خلال ثلاثة عشر عاماً في مكّة، إذ كانت مهمّته الأساسيّة فيها تنحصر في تربية أجيال مؤمنة متسلّحة بهذه

(١) المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ت ٤٣٠هـ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، رقم الحديث ٣٤٩١، ج ٤، ص ١٤٦.

المضامين الإسلامية على وفق المنظور القرآني، تحمل عبء الدعوة وتكاليف الجهاد من أجل ترسيخها وحمايتها، ونشرها في آفاق المجتمع المكي، وأصقاع المعمورة لاحقاً، وإنَّ هذه القيم التي جسَّدها الرسول من شأنها أن تلبي حاجة اجتماعية حيوية، وترضي اتجاهات نفسية عامة في عدد كبير من الأفراد والشعوب^(١).

لقد كان هدف الرسول صلى الله عليه وآله هو صناعة الإنسان النموذجي، الحضاري الرباني الخاضع لسنن وقوانين ربانية، تجبر الأمة الإسلامية على مراعاتها والعمل بها، للنهوض والتمكن لدين العزة وسيادة منطق القرآن والسنة، في عصر سيطرت فيه الجاهلية وقيمها، فبدأت منظومة القيم الأخلاقية والتربوية متدرّجة، تسير بالناس سيراً حثيثاً دقيقاً، فبدأت بمرحلة الاصطفاء والفهم والتأسيس، وبعدها مرحلة المقاومة والمواجهة، ثمَّ مرحلة النصر والترسيخ، والتغيير من حياة الجاهلية إلى الحياة الإسلامية ونشرها في الآفاق، ولم تكن المرحلة المكيّة مرحلة تشريع؛ بل مرحلة بناء منظومة أخلاقية تربوية ذات مضامين خلّاقة وتكوين جيّد، فقد كان الرسول محمد صلى الله عليه وآله يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها وأوقعها في نفس المخاطب، وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدّها تثبيتاً للعلم^(٢).

إنَّ المسافة الهائلة بين المضامين التي جاء بها الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، على وفق المنظور القرآني، والمجتمع الجاهلي كانت بعيدة. ففي المجتمع الجاهلي الذي مرَّ عبر أحقاب من التّاريخ المشوه، سيطرت عليه أشتات من المصالح الخاصة الضيقة، وألوان من القوى القبليّة، فجاءت مضامينه كلّها لتقف سدّاً منيعاً في وجه مضامين الدّين الجديد، الذي كان لا يكتفي بتغيير العقائد، والقيم والموازين والتّصورات، والتقاليد،

(١) ينظر: القوى الاجتماعية مدخل لدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية: محمد محمد الزلباني، ١٩٧١م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ص ٢١١.

(٢) ينظر: المنهج التربوي القرآني وأثره في إصلاح الفرد: د. مروان صباح ياسين، مجلة مداد الأدب، الجامعة العراقية، عدد خاص بالمؤتمرات، بغداد، ٢٠١٨م، ص ٣٩٥.

والعادات، والمشاعر، والأخلاق فقط، إنّما يريد كذلك أن يغيّر القيم والمضامين والأنظمة والأوضاع والقوانين والشرائع البالية المخالفة لنظم الإسلام وقيمه، كما كان يريد انتزاع قيادة البشرية، والإنسانية من أيادي الطواغيت، والجاهليّة ليردّها إلى دين الله، وإلى الإسلام المحمدي الأصيل، وإنّ المنظومة الأخلاقية، والتربوية التي أرادها النبي محمد ﷺ تسير على وفق منهج القرآن الكريم، والرغبة في صنع الرجال العظماء، ثمّ انطلق بها ليؤسس أعظم تغيير في شكل المجتمع المكي، ونقل المجتمع العربي من الظلمات إلى النور، من جهل الجاهلية إلى نور الإيمان والعلم، فتغيرت مكّة أولاً، ثمّ الجزيرة العربية، ثمّ بلاد فارس، ثمّ الروم وفي حركة عالمية تؤمن وتسبح بذكر خالقها بالغدو والآصال، كما أن وجود النماذج الحسنة من الشخصيات الإنسانية ذو أهمية كبرى في صياغة السلوك وأنماطه، فالقدوة تقدم أسلوب العمل الأفضل^(١)، وقد تجسدت هذه القدوة بشخصية رسول الإنسانية محمد ﷺ.

ولابدّ أن نمرّ على أهمّ المضامين التربوية الأخلاقية في المجتمع المكي في عهد الرسول على وفق المنظور القرآني، التي يعود الدور الأول في إرسائها إلى رسول الإنسانية محمد ﷺ، وهي:

أهمّ المضامين التربوية على وفق المنظور القرآني:

١. الإيمان بالله والتوحيد به، وتطبيق السنّة النبويّة: لقد دعا الرسول محمد ﷺ، المسلمين جميعاً إلى التوحيد والإيمان بالرسول والرسالات السماوية على وفق المنظور القرآني، لأنّ هذه المضامين تمثل حجر الزاوية، في عملية التربية وهي السبيل الواضح السوي لبناء المجتمعات الإسلامية الصالحة، وأنا مدينون إلى ما جاء به منقذ البشرية محمد المعلم ﷺ، وإنّ أجيال المسلمين وأجيال البشرية بحاجة ماسّة إلى دراسة مجتمع

(١) ينظر: الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة: د. سعيد بن علي القحطاني، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٣٩هـ، ص ٢٥٥.

الرسول، وأقواله وأفعاله لتفهم الإنسانية الحقّة مجسدة في تلك السيرة بعيداً عن تصورات الآلهة والمحرفين والمتقولين على الإسلام^(١).

٢. الدعوة إلى نصره المظلوم، والدفاع عن حقوق الإنسان: وهذه من المضامين التربوية المهمة التي رسمها الرسول صلى الله عليه وآله على وفق المنظور القرآني والتي تدعو إلى نصره الحق والدفاع عن المظلومين كانت سمة الرسول وسمة مجتمع مكة، وإنّ السلم وحقوق الإنسان في الإسلام ليست منّة من أحد، وإنّما هي حقوق حقيقية ملزمة بحكم مصدرها الإلهي، لا تقبل المساومة ولا التعطيل، ففي مكة لا اعتداء ولا حرابة ولا إرهاب، فيها كلُّ الاحترام للإنسان، وهي ثمرة طيبة لجهد مخلص لمنقذ البشرية، وواضع أسس المحبّة ونصير المظلومين وباني السلم والسلام، فقد ورد بالأثر أنّ رسول الله اشترك في حلف الفضول لحبّه السلام، وقد جاوز العشرين وقال بعد ما بعثه الله: «حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما يسرني به؟ النعم ولو دعيت إليه اليوم لأجبت»^(٢).

٣. احترام حقوق المرأة في مجتمع مكة: كرم الإسلام ومنقذ البشرية المرأة، إذ لا يوجد دين من الأديان السماوية، أو مذهب من المذاهب كرم المرأة أكثر مما كرمها الإسلام المحمدي، وقد بلغ من تكريم الإسلام للمرأة أنّ جعل احترامها بعد أن كانت مهانة، وأعطى لها حقوقها في الميراث وحرّم وأدها، وشاركها بالجهاد وخصّ لها جزءاً من غنائم الحروب، وروى ابن الأثير أنّ الرسول صلى الله عليه وآله، اشتركت معه النساء في غزوة خيبر فأعطاهن حصّة من فيئها^(٣). وكان بيت النبوة أسوة حسنة للناس جميعاً، فنجد «مقام خديجة عليها السلام وموقعها هو تهيئة أرضية لموقع فاطمة الزهراء عليها السلام الذي هو حلقة

(١) ينظر: من هدي النبوة: مؤسسة البلاغ، طهران، ٢٠٠٤، ص ٤.

(٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب، ت ٢٨٤هـ، مطبعة الغري، ١٩٤٠م، ج ٢، ص ١٧.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، ت ٦٣٠هـ، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت،

١٩٩٧م، ج ٢، ص ٢٢٣.

الوصل الوسط بين النبوة والإمامة، فالسيدة خديجة عليها السلام - في المستوى الرمزي - هي حاضنة النور المتمثل بفاطمة عليها السلام... بوصفها المرأة المؤمنة القدوة في العلم والعمل والتفاني لبناء البيت الإسلامي انسجاماً مع قيم النبوة وتوجيهاتها على المستوى الأرضي والسمائي^(١).

٤. الدعوة إلى لعلم والعمل ومقابلة الإساءة بالإحسان: لقد حصَّ القرآن الكريم المسلمين على تحصيل العلم المفيد النافع لأنَّه من الواجبات، وأنَّ العلم النافع يهدي إلى صالح العمل، فالعلم والعمل وعدم الإساءة للآخرين والعفو والصفح دليل على الإيمان، كما أرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢)، فمقابلة الإساءة بالإحسان كان شعاراً لأهل مكة، وإن طلب العلم والمعرفة والعمل الصحيح يترتب عليه الإيمان، والإيمان يترتب عليه الفوز العظيم.

٥. الحرية ومبدأ الشورى والمساواة واحترام المسلمين ودفع الضرر: أكَّد الرسول محمد صلى الله عليه وآله على إخراج الصدقات والزكاة، ففيها تطهير للنفس وتزكية للروح، هذه كلها قيم تربوية علَّمتنا عليها الرسول صلى الله عليه وآله، وجسَّدها في مجتمع مكة بوصفه مكاناً لتطهير النفوس، وإنَّ استشارة الآخرين أمر حسن ومثله الشورى، كما أوجد الرسول قاعدة لا ضرر ولا ضرار، حفاظاً على ديمومة المجتمع المكي، وليعطي لنا دروساً في القيم التربوية والأخلاقية، وكانت الحرية والمشورة والرحمة هي صفة الرسول، الذي كان للمجتمع المكي قدوة، وإنَّ وجود النماذج الحسنة من الشخصيات الإنسانية مثل الرسول محمد صلى الله عليه وآله ذات أهمية كبرى في صياغة السلوك وأنماطه، فالقدوة تقدِّم الأسلوب

(١) ينظر: دور المرأة في بناء الشخصية المؤمنة خديجة عليها السلام أنموذجاً «بين الوعد السماوي والترتيب الأرضي»: د. اكسم فياض، بحث علمي موجود لدى العتبة الحسينية المقدسة للمشاركة في مهرجان مولد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ٢٠٢١.

(٢) سورة الحج، الآية ٥٤.

العملي الواقعي للحياة، وليس بمجرد أقوال وعظات.

كان للقدوة الحسنة الأثر العميق في تعليم المسلمين وتثقيفهم وتغيير اتجاهاتهم وتعديل سلوكهم؛ والأخذ بيدهم نحو بناء الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي^(١). هذا فيض من غيظ وثمة مضامين تربوية أخرى يطول الحديث عنها.

المضامين الأخلاقية على وفق المنظور القرآني:

المضامين الأخلاقية على وفق المنظور القرآني كثيرة جدا، وقد وقّع اختيار البحث على خمسة منها، لعلها تكون الأهم - بحسب رأينا القاصر - وهي:

١. الكرم وبسط اليد:

لقد كان رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله مثالا للكرم؛ إذ كان يحض الصحابة على الكرم والعتاء والبذل، فكان صلى الله عليه وآله يساعد الفقراء المحتاجين، ويحث أصحابه على ذلك، ومجتمع مكة كلة قد تعلم الجود والكرم منه، فقد ورد في الأثر: «إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دخل على بلالٍ وعنده صبرٌ من تمرٍ فقال: ما هذا؟ قال: أدخره، فقال: أما تحشى أن يرى له بخارٌ في نار جهنم، أنفق يا بلالٌ ولا تحش من ذي العرش إقلالا»^(٢).

٢. الأخلاق والصدق والتواضع: تعدد الأخلاق والصدق والتواضع من أهم المضامين الأخلاقية على وفق المنظور الأخلاقي التي تبني أجيالا ورجال مستقبل، وهي سر العلاقات السوية الطبيعية في المجتمع، وتعد من الأمور التي يجب تنشئة الكبار والصغار عليها، لأنها تبني سلوكيات عامة في الحديث والعمل والمواقف الحياتية الإنسانية البسيطة منها والصعبة، وقد وجه الرسول بأخلاقه الرفيعة مجتمع مكة إلى عدم

(١) ينظر: الرسول العربي المربي: د. عبد الحميد الهاشمي، دار الثقافة للجميع، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٤٤٢.

(٢) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ت ٩٠٢هـ، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٥م،

كسر القوانين والنواميس والقواعد والسيطرة على غريزة التمرد والخروج عن المألوف المنافي للأخلاق الحميدة.

٣. الشجاعة والإقدام:

الشجاعة والإقدام من القيم الأخلاقية الإنسانية التي لا بُدَّ لكلِّ مسلم أن يتحلَّى بها، وقد نادى بها منقذ البشرية محمد ﷺ، ودعا الصحابة لها؛ لأنها أساس حماية المجتمع المسلم من الأعداء، وتعني أيضًا إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم، لقد أكد الرسول على أهمية الشجاعة والشهامة؛ لأنها مدعاة للفخر والرجولة، وبالشجاعة والأقدام صار المسلمون أسياد الأقوام، وصارت لهم هبة كبيرة لا يستطيع أحد تجاهلها، وهي تُعد من صفات السادة الأقوياء الذين لا يخشون في الله لومة لائم، ويسعون دائمًا لأن يكونوا في الطليعة المسلمة الحسنة؛ لأنهم مجبولون على حب التضحية والإيثار التي تعلموها من الرسول ﷺ، بالشجاعة والإقدام، وسعة الصدر، وكبر القلب، وهدوء النفس، كلُّ ذلك عوامل عاطفية عقلية، وهي أساسية في نجاح تلك العلاقات الإنسانية^(١).

٤. الصبر والاحتساب ومواجهة الصّعب:

لقد أمرنا الرسول محمد ﷺ بالصبر، ومواجهة الابتلاءات بثبات وتحويلها إلى نجاحات ودرجات في الدنيا والآخرة، ويعدُّ الصبر الصفة الأساسية لمواجهة مغريات الدنيا وزينة الحياة الدنيا، والوقوف ضد هوى النفس ومكائد الشيطان ووسوساته، ومواجهة ظلمة العصر، لقد علّمنا الرسول أن الصبر يعطيك قوة إضافية، ويمنحك القدرة على الفوز، والصمود، وقد شجع الرسول الصحابة على الصبر الجلد والتحمل وتقبل نوائب الدهر، وصعب الحياة، فهو مما يستعين به الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٢)، عن أمير المؤمنين عليّ ؑ قال: «والصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسَدَّ

(١) ينظر: أساليب الرسول ﷺ في الدعوة والتربية: يوسف خاطر حسن الصوري، الدار الإسلامية، بيروت،

٢٠٠٨م، ص ٦٧.

(٢) القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٤٥.

الجسد، وإذا فارق الصبرُ الأمورَ فسَدَتِ الأمورُ ^(١)، فالصبر أبو الفضائل، وأصل مكارم الأخلاق، ومنه تتفرع المحامد.

٥. التواضع:

من أهم الأخلاقيات التي جسدها الرسول محمد صلى الله عليه وآله، هو التعامل مع الأقران بتواضع وعدم الشعور بالتباهي والفخر، فالتواضع يكرس حبَّ الآخرين، إذ بنى الرسول صلى الله عليه وآله مجتمعاً مكيّاً صالحاً يشار له بالبنان، فالتواضع من المضامين الأخلاقية المهمة على وفق المنظور القرآني التي حثَّ عليها جميع الشرائع والأديان، فهذه الخصلة الطيبة من شأنها تربية أجيال ذوي خلق رفيع وطيب.

تحتل القيم التربوية والأخلاقية على وفق المنظور القرآني بأهمية كبيرة في حياة الأمم والشعوب والمجتمعات، وهي محكومة بمعايير محددة بالطبيعة، وإنَّ العلاقات القائمة بين أفراد هذه المجتمعات أنماط مختلفة، والتفاعل فيما بينهم في مختلف نواحي الحياة يحافظ على القيم المجتمعية، والتربوية، والأخلاقية، ويساعد في استمراريتها وبقاء المجتمعات، وقد أكَّد القرآن الكريم وسنة الرسول محمد صلى الله عليه وآله هذه الحقيقة الناصعة في كثير من آيات القرآن الكريم، فقد ذكرت هذه الآيات نهاية الأقسام التي لم تتبن تلك القيم، ورفضت المعايير والقيم الفاضلة، قال تعالى في الذكر الحكيم: «وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ^(٢)».

يمثل الحفاظ على المنظومة التربوية الأخلاقية هويتنا، ويميزنا عن غيرنا من المجتمعات الإنسانية، والتي تختلف عن بعضها بما تتبناه من هذه القيم ومعاييرها القيمية، لذلك فالتمسك بهذه القيم يضمن الحفاظ على هويات المجتمعات، والشعوب،

(١) ينظر: المجالسة وجواهر العلم: أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، ت ٣٣٣

هـ، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ١٨٧.

(٢) سورة النحل، الآية ١١٢.

وإنَّ الابتعاد عن هذه القيم يؤدي إلى اضمحلال هوية هذه المجتمعات، فديمومة أيِّ مجتمع ترتبط بالمنظومة القيمية الخاصة به.

ومما يزيد من أهميَّة القيم أثرها العميق في الحفاظ على بناء مجتمعٍ نظيفٍ صحيٍّ خالٍ من السلبية مع انفتاح المجتمع وتقاربه، وهذا ما يزيد الثقل على المرين وأهميَّة بناء قيم سليمة، وغرسها في الناشئة؛ لكي يتمكنوا من التمييز بين الخير والشر، وما هو نافع أو ضار^(١).

النتائج والتوصيات:

١. القيم الدينية تكون على رأس كل القيم، وهي عقيدة يتبناها الأشخاص في حياتهم، وتظهر هذه العقيدة في كلِّ أفعالهم.

٢. يعدُّ رسول الإنسانية محمد ﷺ المعلِّم الأوَّل الذي وضع منظومة القيم التربوية والأخلاقية في المجتمع المكي ومن بعده المجتمع الإسلامي.

٣. لمنظومة القيم التربوية والأخلاقية دور رئيس في بناء السلوك الإنساني، وهي مهمة لبناء المجتمع.

٤. توجد عدة اتجاهات مختلفة للقيم، فهناك من يرى أنها معايير مهمة تحكم السلوك، وهناك من يرى أنها تفضيلات للأفراد يختارونها بأنفسهم.

٥. يعدُّ اهتمام الإسلام بالمجتمع والمعاملات القائمة على منظومة القيم وعلى مكارم الأخلاق ضماناً لإعمار الأرض وحمايتها من الفساد.

٦. منظومة الأخلاق مصدرها إلهيٌّ يوجِّه السلوك، ويهدف باستمرار إلى رضی الله عزَّ وجل.

٧. ضرورة القيام بدراسات وأبحاث لدراسة القيم التربوية والأخلاقية المستنبطة من شريعتنا السمحاء وآيات القرآن الكريم والسنة النبوية وتعزيزها لدى الناشئة.

٨. ضرورة الرجوع إلى المنهج التربوي والأخلاقي الإسلامي الذي رسمه لنا

(١) ينظر: تعلم القيم وتعليمها: ماجد الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص ٤٤.

الرسول ﷺ وآل بيته عليه السلام وأصحابه النجباء والعلماء من بعدهم.

٩. يحمل الرجوع إلى هذه القيم الأصيلة كلَّ الحلول للمشكلات التي تواجهنا في العصر الحاضر.

١٠. تدعونا عملية إيجاد الحلول للمشكلات المجتمعية انطلاقاً من المنظومة التربوية والأخلاقية الإسلامية إلى إعادة النظر في تقويم المناهج التربوية الحديثة المتبعة في التربية والتعليم، وذلك لابتعاد جزء منها عن بعض القيم الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. أساليب الرسول في الدعوة والتربية، يوسف خاطر حسن الصوري، الدار الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٨م.

٢. الإنسان ذلك المجهول: ألکسي سكارليل، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٥م.

٣. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، ت ٢٨٤هـ، مطبعة الغري، ١٩٤٠م، ج ٢.

٤. التربية الإسلامية: دار إشبيليا، الرياض، ٢٠٠٢م.

٥. التربية وقضايا المجتمع المعاصر: حافظ فرج أحمد، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣.

٦. تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، ابن سينا الحسين بن عبد الله، دار الجوائب، بيروت، ١٢٩٨هـ.

٧. تعلم القيم وتعليمها: ماجد زكي الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.

٨. تعلم القيم وتعليمها، ماجد الجلاد، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.

٩. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، تحقيق د. بشار عواد وسليم محمد عامر ومحمد بشار عواد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، بيروت، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

١٠. تنمية القيم التربوية والنفسية للأبناء: السيد أحمد المخزنجي، الهيئة المصرية

العامّة للكتاب، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٩٣ م.

١١. حكمة الصين: فؤاد محمد شبل، دار المعارف، مصر، د. ت.
١٢. دور المرأة في بناء الشخصية المؤمنة خديجة عليها السلام أنموذجاً «بين الوعد السماوي والترتيب الأرضي»: د. اكسم فياض، بحث علمي موجود لدى العتبة الحسينية المقدسة للمشاركة في مهرجان مولد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ٢٠٢١.
١٣. الرسول العربي المرئي، د. عبد الحميد الهاشمي، دار الثقافة للجميع، بيروت، ٢٠٠٦ م.
١٤. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت ط ١، ١٤١٠ هـ.
١٥. القوى الاجتماعية مدخل لدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية: محمد محمد الزلباني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٧١ م.
١٦. القيم الإسلامية والتربية: علي خليل مصطفى، دار طيبة، ط ١، بيروت، ١٩٨٠ م.
١٧. القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية: صلاح الدين بسيوني رسلان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠ م.
١٨. القيم في العملية التربوية: ضياء زاهر، مؤسسة الخليج، القاهرة، ١٩٨٤ م.
١٩. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، ت ٦٣٠هـ، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧ م.
٢٠. لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥.
٢١. المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي

- المالكي، ت ٣٣٣ هـ، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢ م، ج ٢.
٢٢. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦ م.
٢٣. مفاهيم تربوية وإسلامية: سلطان محمود السيد، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٢ م.
٢٤. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ت ٩٠٢ هـ، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٥ م.
٢٥. من هدي النبوة: مؤسسة البلاغ، طهران، ٢٠٠٤.
٢٦. المنهج التربوي القرآني وأثره في إصلاح الفرد: د. مروان صباح ياسين، مجلة مداد الأدب، الجامعة العراقية، عدد خاص بالمؤتمرات، بغداد، ٢٠١٨ م.
٢٧. النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي: أصولها وبنائها في القرآن والسنة: زينب رضوان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢ م.
٢٨. الهدى النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة: د. سعيد بن علي القحطاني، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٣٩ هـ.

آيات الأخلاق في سور الحواميم
دراسة أسلوبية

م.م فراس أزهر عبد الرزاق

الكلية التربوية المفتوحة - مركز النجف

الملخص:

المباحث الأخلاقية من المباحث المهمة في القرآن الكريم، وليس هذا بالأمر الجديد أو المستغرب، فهو كتاب أنزل على الناس هداية ورحمة، وقد غطت الدارسون من ذوي التخصصات المختلفة هذه المباحث، لما لها من علاقة حتمية في النهوض بالجانب الروحي للفرد والمجتمع، وكذا كان فعل الدراسات اللغوية والبيانية، فلم تدع جانباً يتعلق بهذا الموضوع إلا وأفردت له جانباً من الدراسة، وبعد استقصاء ألزمه طول تدبر، وجدتُ أن (سور الحواميم) قد درست من جوانب مختلفة، ولكن ما ورد فيها من آيات الأخلاق لم تُدرس بدراسة منفصلة، فشرعت بدراستها وتحليلها على وفق منهج يضمن الإمام بتلك الآيات من الجهتين اللغوية والبيانية، ولعل مبعث هذا الدافع هو ما للحواميم من مشتركات أسلوبية، وقد شرع البحث بإحصائها وتبيانها ودراستها على وفق المنهج الأسلوبي المصطفى مع ما يتفق وتوجهات الباحث العقائدية والفكرية.

الكلمات المفتاحية: آيات الأخلاق، سور الحواميم، دراسة أسلوبية

Summary:

Ethical research (s) is considered a substantial part of the Holy Quran, which is not new or surprising. It is a book that has been brought down to people to be the divine's gift & mercy, and the different majors' scholars have covered these research(s) due to what they represent of inevitable relationship in advancing the spiritual effect of the whole members of the society, So was the act of linguistic and graphs studies, it studied every single detail individually, after a long time of searching, I found that (Al-Hawamim Surah(s)) *Hawamim OR Verses starting with the letters "hm"*

have been studied in various aspects, but its verses of ethics haven't been studied separately. So I started Studying and Analyzing them under a method that ensures; Full coverage of their linguistic and graphs aspects. Perhaps the motive for this research is the mutual themes of (Al-Hawamim). So I started to analyze & study them according to the stereotyped approach to what agrees with the researcher's jurisprudent and intellectual ideology.

توطئة:

قد يُشكّل بعض القراء على هذا البحث لاختياره الأسلوبية منهجاً لدراسة النص القرآني من جهتين، الأولى أنّ لغة النص القرآني ذات استعمال أدبي، ومن جهة ثانية أنّ ما تعالجه سورة وآياته وبخاصة في ما اختاره البحث، تحاول الأسلوبية أن تبتعد عنه؛ لأنّها تنأى بنفسها عن الميتافيزيقي لتحل مستقرة بما هو وضعي، ولعل الاعتراض السابق يصحّ مع وجهة التحليل الأسلوبي أوّل وضعه على يد شارلز بالي Charles Bally (١٨٦٥ - ١٩٤٧)، ولكن الاصطفاء في اختيار المنهج، يوصل الباحث إلى من يقترّب ممّا يطلب، فيرى في منهجية ليو شبيتسر Leo Spitzer (١٨٨٧ - ١٩٦٠) الأسلوبية، منطلقاً لدراسة المخترار من نص، ف(ليو) ينطلق من إيمانه بالفلسفة المثالية التي لا تكتفي بالإشارة إلى الظواهر، بل تفترض وجود أصول روحية وفكرية لها، وبذا يحدد شبيتسر ملمحاً من ملامح منهجه في تحليله الأسلوبي بتركيزه على فهم جانبيين:»

١- الفهم النحوي لكلّ الأنماط الخاصة بالتعبيرات والأشكال اللغوية للثقافة التي أنتج فيها المؤلف نصّه وكانت شرطاً لتفكيره.

٢- الفهم النفساني للذاتية Subjectivity المتفردة أو العبقرية الخلاقة للمؤلف»^١.

وعلى وفق ما تقدّم، فلا محل للمعترض على اختيار المنهج الأسلوبي الشبيتسري في تحليل النص المقدس، فلا إلغاء لدور المؤلف^٢، ولا تعويل على دور المتلقي الاعتيادي؛ بل على ذلك المتلقي الذي تسلح بموهبة التقاط مواطن الانحراف الأسلوبي^٣ على وفق حركة دورانية ارتجاعية تعود على النص مرارا وتكرارا؛ لتلقظ منه مختلف ظواهره الأسلوبية - الصوتية والنحوية والبيانية والموضوعية - بدءاً بالصوت المفرد ووصولاً إلى الجملة الطويلة، ولا تكتمل الرؤية - على وفق توجه الباحث - من دون

الاستعانة بالقارئ، والقارئ هنا يجب أن تتوفر فيه صفات خاصة، ولا يقصد به القارئ الآني؛ بل القارئ التاريخي المعين على فكِّ مغالط النص وتأكيد الفهم الآني للنص التراثي خاصة، ولذا فقد زواج البحث بين الرؤية السابقة ورؤية ميكائيل ريفاتير **Michael Riffaterre** (١٩٢٤-٢٠٠٤)، جاعلاً من المتلقي النموذجي محرراً لسكون النص، ولعل كلمة النموذجي، تقرب من فكرة شبيتر التي تسبغ صفة الموهبة على المتلقي.

ولا يمكن أن يُشكل الانحراف على وفق الفهم الأسلوبي ظاهرة، إلا إذا كان متكرراً في النص، ولذا فالإحصاء يبدو الداعم والمؤيد للمنهج الأسلوبي الذي اختاره البحث، فهو يبحث عن الظواهر التي تشكل هيمنة أسلوبية، ولذا كانت الأسلوبية الإحصائية خياراً جيداً، وآلية بحثية تدعم الدقة في استكشاف الظواهر ودراستها.

والسابق يدفع لتبيان أن سبب اعتماد البحث عملية الاصطفاء النقدي لاستثمار الفكرة النقدية التي تبرز مواطن تحقق التفرد الأسلوبي بصورته الأشمل، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فالبحث لا يتوقف على نظرة فكرة للقارئ النموذجي السابقة، بل يحدّد - على وفق ما يضمنه البحث - القارئ النموذجي بمن عاصر إنتاج النص وكان حاملاً لصفات خاصة.

وقد اتخذ البحث (سور الحواميم) أو (آل حم) أو (ذوات الحواميم) السبع مجالاً لتطبيق منهجه السابق، لما لهذه السور الكريمة من خصوصيات أسلوبية على المستوى المضامين والدلالات من جانب، وعلى المستوى اللغوي والبياني من جانب آخر، فهي - في الأشهر الأعم - كلها مكية، وقد حمل المكي من القرآن - في أعمه الأغلب - مهمة التركيز على القيم الروحية للدين الجديد، والثناء على ما وافقه من محمود الفعال، وذم العدو الأكبر للدين والإنسان، متمثلاً بالشیطان الموسوس بقبائح الفعال، وذكر صفات المؤمنين وقواعد الإيمان، وصفات الكافرين وما سيؤولون إليه، فضلاً عن ذكر مشاهد الخلق الأولى، ومشاهد القيامة والحشر، وقد أكد المؤلفون - قدامى ومحدثون - أهمية

الحواميم، فأفردوا لها أبوابًا في فضلها وأهميتها^٦ نقلًا عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

وعلى ما تقدم، فالحواميم، أو المكي عموماً، باب لتأسيس الأفكار الرئيسية للدين الجديد، وبعث لأفكار اضمحلت وطغت عليها عمايات الجاهلية، وفي مقدمة تلك الأفكار ما تعلق بالأخلاق، ولعلنا نقف أمام الأخلاق متسائلين: أنعني بالأخلاق ما حَسُنَ منها عند عقلاء الناس، أم ما حَسُنَ وَقَبِحَ؟ وأجدُ في رأي أبي حامد الغزالي إمامًا يخدمُ البحث في هذا المجال^٧، فالأخلاق كل ما يصدر من أفعال جيدة أو سيئة عرفًا وشرعًا، والإمام بطبيعة الأخلاق، سبيل لمعرفة ماهية النفس الإنسانية، وعلّة وجودها، وما عليها وما لها^٨، ومن هنا تتأتى أهمية البحث، فهي تعرض لأسلوبية بناء الجملة من نواحيها المختلفة والحاملة للجانب الأخلاقي في السور محل البحث، وسيعرض البحث في غالبه لتلك المواطن التي تصف أخلاق الكفرة والمشككين بالدين، لما في ذلك من أثر بليغ في معرفة أين يضع المرء قدمه.

المبحث الأول: الظواهر الصوتية في آيات الأخلاق في سور الحواميم

أجمع قدماء العلماء ومحدثهم، على تقسيم الأصوات، على وفق معايير الحركة الفيزيائية لخروج الصوت من جهاز النطق، فبحسب اهتزاز وترى الحنجرة، كانت الأصوات المجهورة والمهموسة، وبحسب نسبة تضيّق مخرج الصوت، كانت الأصوات الانفجارية والاحتكاكية.

ويعدُّ الربط بين الجانب الصوتي والدلالي من الإشكالات التي أدرك علماء العربية القدماء مدى أهميتها وخطورتها، فبحثوا عن العلاقة بين الدال والمدلول، سواء أكان على صعيد الصوت المفرد، أم اللفظة، أو التركيب، واختلفوا في اعتبارية العلاقة بين اللفظ والمعنى^٩، وامتدَّ هذا الاختلاف حتى يومنا هذا، فلم يبارح أهميته عند العلماء المحدثين، خصوصًا بعد ما توصلت له دراسات علم اللغة الحديث من كشوفات^{١٠}،

ولكن البحث يرى وجوب النظر إلى هذه العلاقة - علاقة الدال والمدلول - لا بمعزل عن طبيعة النص المراد درسه، فالقرآن الكريم، خطاب خاص يراعي التأثير عبر آياته كافة ومراعات اختلاف مستويات التلقي، وهذا ما تطمح الدراسة إثباته في مجال دراستها. وما يهمننا في هذا الموضوع، هو إثبات العلاقة بين الدال والمدلول، التي تتشكل من تكرار الصوت في مواضع مختارة وبخاصة في النصوص التي تشكل فارقاً في حياة الناس، ومنها النصوص الإبداعية، فالصوت لم يكن اختياره ليشكل ظاهرة جمالية حسب؛ بل ليتآزر مع الجانب الجمالي ليشكل الدلالة، إن تتبع آيات الأخلاق في الحواميم يعين على إدراك الفكرة السابقة، فمن أول سورة (غافر) وحتى نهاية سورة (الأحقاف)، يتردد الصوت، مشكلاً بنيات أكبر تساعد على تشكيل الدلالة النصية، مع إيمان البحث بلا محدودية الدلالة للصوت المفرد أو اللفظة المفردة، ولا يكون اكتشاف دلالة ما، إلا عبر تقصي التكرار اللافت للنظر في نص ما، وجمع دلالاته - النص - الكلية التي تسبغ روحها على ذلك التكرار.

وتأكد الفكرة السابقة بالاطلاع على وفق الآتي:

أولاً: سورة غافر:

اختلفت تسمياتها، فهي (المؤمن) مرة، و (حم الأولى) أخرى، و(ذات الطول) الثالثة، وقد نبهنا سابقاً أن المكّي عموماً والحواميم خصوصاً، قد تركزت فيه فكرة الدفاع عن الدين الجديد والتأكيد على الجوانب الروحية والأخلاقية، ولعل هذه الفكرة تحتاج لعرض مواطن الرحمة الإلهية المقرونة بالتهديد لمن يبتغي في الأرض الفساد، وهذا يستوجب عرض ملامح الجنة والنار، ومع هذا العرض لجانبين متناقضين^{١١}، تستعرض الآيات الكريّمات نوعين من الناس، منهم من يمثل الدور الإيجابي والآخر السلبي، وكلا الجانبين حامل لسمة أو خلق مميز له.

ولعل سورة (غافر) تختلف في خيارها الصوتي السائد عن بقية سور الحواميم، ولعل الأمر له علاقة بالفكرة التي تحملها، فأياتها الكريمت تقف موقف المدافع، وهذه الفكرة تحتاج للقوة من جوانبها كافة، ولعل أولها في اختيار الكلمة وصوتها، صوتها الذي يوحي بالمعاني الدلالية المبتغاة، وهنا نلاحظ مهيمنا صوتيا في فواصل الآيات باختلاف الموضوع الأخلاقي الذي تعالجه، وقد اتخذ البحث قضية الوقف وسيلة لإثبات نتائج بحثه، ويُقصد بالوقف هنا، الحرف الأخير من الآية الكريمة والتي يُتوقف عندها اختياراً^{١٢}، ولا يعني هذا أن الآيات التي اختارها البحث، هي ما تكرر فيها الصوت المدروس؛ بل قد تكرر الصوت في عموم السورة، لكن البحث التزم بما يهيمه من آيات تُعنى بالجانب الأخلاقي، وهذا ما يبينه الجدول الآتي:

ت	الصوت	صفته	مواضع تكراره في السورة
١	ب	شفوي شديد مجهور	٥ - ١٧ - ٢٢ - ٢٤ - ٢٧ - ٢٨ -
			٣٤ - ٣٧ - ٤٠ - ٤٦ - ٤٩

عند مطالعتنا الآيات التي تكرر في فاصلتها صوت (الباء) نراها تركز على قصص الرسل والأنبياء، وتكذيبهم من قبل من أرسلوا إليهم، ثم الوعيد الملازم لفكرة العقوبة الإلهية، ولعل كل هذا يحتاج إلى نهايات صوتية تعين على تشكيل صورة ذهنية للموقف الذي ترسمه الآية الكريمة، لذا ف(الباء) أعان على تشكيل تلك الصورة المبتغاة، وفي مواقعه المختلفة، وما يؤكد ذلك، ذلك التشابه الأسلوبي في الآيات التي ورد فيها هذا الصوت المفرد من الجوانب الموضوعية، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾^{١٣}، التكذيب هو الفكرة المهيمنة على هذه الآيات المختارة، وأول باب التكذيب هو الجدل بالباطل، فهو باب الدخول على الغيبات من باب القصور العقلي، وهذا ما يفتح باب التشكيك، وعد كل ما لا يرى فكرة باطلة، وهنا تبرز فكرة

المواجهة لمن جاء بالفكر الغريب وفق مظانهم، ثم يصل النص إلى النقطة المفصلية مع المجادلين بالباطل المشككين المكذبين، وهي الوعيد بالعقوبة الدنيوية والأخروية، لتأتي الكلمات (عقاب - حساب - الحساب - مراتب - مراتب - حساب - العذاب) في الآيات التي تصف حال هؤلاء المجادلين المشككين المكذبين، وما ستؤول إليهم خاتمهم، ويشكل الصوت الانفجاري المسبوق بالألف المدية ذلك البعد التصويري للدلالة المبتغاة. فـ(العقاب) بنهايته بالمقطع (ألف باء) يوحي بطول ذلك العقاب والذي يسبق بـ(الحساب) والذي يحمل الدلالة ذاتها، فهو حساب يطول فيه الوقوف، وهذا ما تؤكده الآيات الكريمة في أكثر من موضع من القرآن الكريم.

ويستثمر حرف (الباء) والمد المسبوق به لوصف ريبة المجادلين وتشكيكهم المقصود، فجاءت القوة الصوت لتشكيل الصورة اللفظية الدقيقة لحالهم، يظهر هذا جلياً في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾^١.

هذا الجدل المدفوع بنية التكذيب، يتضح جلياً في النص الكريم السابق، وترسخ طبيعته العنادية بتلك الكلمة الموحية عبر مقطعها الصوتي المختار بقصد، فكلمة (مُرتاب) استثمرت الطبيعة الانفجارية لصوت (الباء) لتحمل المتلقي على تشكيل صورة المعاند الذي يحاول أن يجد لنفسه ملجأ من التصديق بالخبر والمُخبر.

ولا ينتهي هنا المهيمن الصوتي على سورة غافر، ولكن البحث التزم بما يخدم فكرته، وعند استقراء الآيات التي تكرر فيها الصوت السابق، نصل لفكرة لا يمكن معها أن يظن ظاناً أن التشابه الصوتي والموضوعي جاء اعتباطياً، سبب ذلك أن الكلمات التي وردت فيها الأصوات السابقة في النص المدروس، عبّرت على الدلالة اللغوية الدقيقة التي يريد أن يقرها الله سبحانه وتعالى في النفوس، ولعل هذه الفكرة تجد مسوغها عبر الانتقال لبقية السور الكريمة، التي قد تشابه أو تختلف في خيارها الصوتي، ولكنها لن

تختلف في منهجها الاختياري للمزاوجة بين الصوت والدلالة.

ثانيا: سورة: (فصلت - الشورى - الزخرف - الدخان - الجاثية - الأحقاف):

ما يميّز هذه السور المباركة، هو خيارها الصوتي الموحد، فضلا على موضوعها المعالج، فسورة (فصلت) التي بعد سورة (غافر) بالترتيب، في تسميتها إشارة مهمة للأحكام قد بُيّنَتْ وفُصِّلَتْ، فالآيات الكريّمات في هذه السورة المباركة تدعم فكرة (القدرة الإلهية والتوحيد) بالأدلة والبراهين^{١٥}، من طريق وصف مشاهد الخلق الذي أبدعته تلك القدرة العظيمة، وهذا ملمح أسلوبيّ موضوعيّ مهيمن يعين على فهم الخيار الصوتي الذي اتخذته الفواصل في هذه السورة المباركة، فدعم الفكرة بالدليل القاطع، أسلوب يستعمل للإقناع، والإقناع في سورة فصلت، مرتبط بالنصح والمحبة للناس، والخوف عليهم من عقوبة عدم اتباع أوامر الله ونواهيه، وهنا يبرز الأسلوب الخاص لنظم الرسالة واختيار أصواتها، حتى وإن اختلف المضمون الجزئي المعالج في الآية قليلا أو كثيرا، فالمحتوى العام للسورة المباركة، يوحد المقاصد المختلفة في بوتقة الفكرة الرئيسة.

ثم تأتي بعدها سورة (الشورى)، ولعلّ التسمية توحى بالمقصد الدلالي للسورة المباركة^{١٦}، فتعاطي الرأي يضمن سماع صوت الجميع، ليرجح في آخر الأمر صوت العقل، ولا تختلف سورة (الشورى) في فكرتها الكلية عمّا عرّض في سورة (فُصِّلَتْ)، فالتركيز على جوانب التوحيد والدفاع عن الرسالة لا زال منهجا واضحا في آياتها الكريّمات، ويجري معه عرض لجانبى الصراع الأزلي الخير والشر ومن يتخذهما منهجا، والإخبار عمّا ستؤول خاتمتها^{١٧}.

وتعيد سورة (الزخرف) لتعيد لنا نسغ أفكار ما سبقها من سور، مثل الدفاع عن الذكر الحكيم، ثم ذكر دلائل القدرة، وعبر هاتين الفكرتين يأتي التحذير بعواقب الابتعاد

عن جادة الحق.

وتعرض سورة (الدخان) لمشاهد القيامة، ووعد السماء للرسول والمؤمنين بالنصر على الكافرين، ثم تذكر سورة (الجاثية) المؤمنين بما لهم وعليهم، وتوعد الكافرين وتجسد صورتهم يوم القيامة، وآخرًا يقرُّ النص المقدس من اسم سورة (الأحقاف) دليلاً على لصورة أولئك المخالفين لنهج وشرعة السماء، ف(الأحقاف) هي منازل (قوم عام) الذين أهلكوا بطغيانهم، هذه التسمية ترسم لنا الفكرة التي يؤكدتها القرآن الكريم من أن الحياة الدنيا متاع زائل، ولا يبقى للإنسان إلا صالح أعماله.

هذا المرور السريع على أسماء سور الحواميم المباركة غايته عرض خيارها الموضوعي الموحد، وهذا يؤكد ضرورة عدم اعتبارية النظم القرآني على مستوياته كافة، ومنها المستوى الصوتي، فقد برز في السور السابقة صوت واحد، وهو صوت (النون) والذي تميز بصفة خاصة، فهو (بين الشدة والرخاوة) وهو (صوت مجهور)، والمسبوق بـ(الواو) أو (الياء) وهما صوتان (رخوان) مديان، يزيدان من السعة الصوتية للنون في النطق، ولعل هذا هو الملمح الأسلوبي البارز الذي يفتح لنا باب بقية الظواهر الأسلوبية، والجدول الآتي يعيننا على توضيح الفكرة السابقة، مع مراعات فكرتين، الأولى تركيز البحث على قضية الوقف، التي بينها سابقاً، والثانية أن البحث يختار الآيات التي تحمل فكرة الأخلاق التي يروم دراستها، وإن كان ما يشير له، هو سمة أسلوبية مهيمنة على أغلب السور السابقة:

ت	السورة	مواضع تكراره في السورة
١	فصلت	١٧-١٥-١٤-٥
٢	الشورى	٤٠-٣٩-٣٨-٣٧
٣	الزخرف	٥
٤	الدخان	٣٦-٣٥-٣٤-٣١
٥	الجاثية	٣١-٣٠-٢٥-٢٤-٢٢-١٧-١٥-١٤-٩

٦	الأحقاف	١٥-١٧
---	---------	-------

لعل هذا التركيز على صوت (النون) خلق في النص الكريم أمرين، أولهما تلك المواصلة بين النص والتلقي من الناحية الإيقاعية أو التطريبية على رأي الزركشي^{١٨}، ولكن التوقف عند هذه الناحية يضيق الآفاق الرحبة للنص الكريم، فالصوت ينمو ليشكل الكلمة ثم الجملة ثم النص المبين رؤية السماء للوجود والإنسان، هذا كله يؤسس على وفق بناء متماسك أولى مظاهره العلاقات المنسوجة على وفق العلاقة الطردية بين الشكل والمعنى، وهذا ما ستتكفل بعرضه ودراسته بقية أجزاء البحث.

عند استعراض الآيات الكريمات في بقية سور آل حم، التي اطردها تكرار صوت (النون) المسبوق بـ(الواو) أو (الياء)، لم تحتص بفئة معينة، فقد تكون لوصف حال المؤمنين أو الكافرين، ولما كان الجدل قائما بين الرسالة والرسول ومن آمن بهم من جهة، وبين المشككين المكذبين من جهة أخرى، فهذا يحتاج - بحسب ظن البحث - إلى الإيحاء بالامتداد الزمني للحدث، وقد يكون رسالة يريد النص أن ينقلها لنا من أن هذا الجدل، هو حدث تاريخي يُعاد بين المؤمنين وبين غير المؤمنين على مر الزمان، لذا كان استعمال الصوت الممتد الرخو دليلا على تراخي الزمان وامتداده، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾^{١٩}، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّبُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^{٢٠}، وقال تعالى: ﴿أَفَنْصِرُ عَنْكُمْ الدِّكَرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾^{٢١}، عند النظر في الآيات الكريمات السابقة، يلمح - البحث - ما أقره أنفاً، فطول المماحكة والمجادلة من المكذبين، استغرقت وقتاً طويلاً ممتداً، ولكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، بل أن الآيات الكريمات بمجملها حملت ملمحاً أسلوبياً مضمونياً دلالياً، سيتكفل بقية البحث بتقريبه وتبينه.

وبالمقابل، لو نظرنا الجانب الآخر من المعادلة الكونية، لرأينا الخطاب السماوي

وأهله، يتأنون في النصح والإرشاد، ويأتيهم نداء السماء بدعوتهم للصبر، وتبشيرهم بالأجر والنصر، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾^{٢٢}، لو أنعمنا النظر بالآية الكريمة الأولى، ناظرين لمحتواها المضموني، سنخرج بحصيلة أن ما فيها من خبر، يحتاج إلى زمن لا يمكن أن يكون معتمدا على العجلة وتقاصر المدة؛ بل لأناة وطول تفكر، وهذا ما يزيد فرصة امتداد الزمن، وعند انتقالنا للآية الثانية نجد في الخيار النحوي، سبيلا لفهم الخيار الصوتي، فالجملة الإسمية (هم ينتصرون) تبدأ باسم وتنتهي بفعل، الاسم يدل على الثبات، والفعل يدل على التجدد، وهذان العاملان (الثبات والتجدد) قد يكونان في ظاهرهما مختلفين، ولكن التدقيق يوصل إلى عدم التقاطع، كون أن الحدث الموصوف قديم ثبتت أخباره، ولكن آثاره باقية مستمرة، وهذا ما يوصلنا للفائدة التي يريد البحث أن يقرها ويدافع عنها، فالزمن ممتد متراخ، وهذا ما يوحي به الصوت المختار في الآية الكريمة.

ولو رجعنا إلى ما اختاره البحث من آيات الأخلاق، لوضحت صورة ما ذُكر سابقاً أكثر فأكثر، وهنا لابد من الإقرار بأن الباحث يؤمن بحتمية الدلالة الصوتية القرآنية، وإن حُمِّل بعض تأويلاته على التكلف والتمحل في الربط بين الصوت والدلالة، ستبقى هي رؤية شخصية قائمة على جمع الأدلة المقنعة في نظره.

المبحث الثاني: أثر المضمون على اختيار اللفظ في آيات الأخلاق في سور الحواميم

لتردُّد اللفظ - سواء أكان اسماً أم فعلاً - في جسد النص أثره المقرّر للدلالة، أو بعبارة أخرى لتردده تأكيد على اهتمام النص باللفظ ودلالته من جانب، وتمكين للمعنى في نفس المتلقي من جانب آخر، هذا اللفظ الذي يأتي على شكل موجات دافعة للمتلقي نحو ساحل المعنى المقصود، تتعاود في المواطن المقصودة، وهذا ما يزيد التشكيل

الأسلوبي أهمية، ولا يمكن ونحن ندرس الظاهرة القرآنية، أن نعدّ هذه الظاهرة في القرآن الكريم، مجرد تكرار صوتي لزيادة الطاقة الإيقاعية للنص حسب، فالدلالة هي الباعث الأهم في النص القرآني.

ويجب أن لا نغفل أن اللفظ المفرد، لا يأخذ بعده الدلالي المقصود، من دون أن ينتظم في بنية نظامية مقصودة، فاللفظ وحده قد يأخذ معانيا متعددة ومختلفة، ولكنه عندما ينخرط في نظام التركيب، يستمد المعنى الذي يقصده المنشئ من الوحدات التي تسبقه أو تلحقه في ذلك التركيب^{٢٣}، ولا يُقصد بالتركيب هنا الاكتفاء بالجملة حسب؛ بل التركيب النصي الذي قد يمتد ويطول، وهذا ما يمكن أن نسميه الاختيار اللفظي النصي، فاختيار اللفظ، يراعي التماسك الدلالي لعموم النص، وهذا ما نؤمن به وندافع عنه في القرآن الكريم.

ولعل الأمر يتضح للقارئ عندما يمر على آيات الحواميم مرارا وتكرارا، إذ ستتكشف أمامه أبواب النص المقدس، الذي يكرر مشاهد معينة، يعيد إنشائها باللفظ نفسه مرة، أو بما يوازيه بالمعنى، أو بما يشير له ضمناً، أو بما يكون سببا أو نتيجة له، ويختار مرة الاسم ومرة الفعل لإبراز الدلالة، ويغير الصيغ الصرفية بحسب مقتضاها، وهذا ما يبرز الملمح الأسلوبي الخاص لهذه السور الكريمة، وقد أشار المبحث الأول إلى تلك المعاني المقصودة في السور الكريمة، تلك المعاني التي دفعت لاختيار الصوت، هي ذاتها كانت الدافع لاختيار اللفظ المعبر عنها، سواء على مستوى الجذر اللغوي، أو الصيغة الصرفية.

وقد تكشف للبحث عن مضامين عديدة لهذه السور الكريمة، فالأخبار عن الأقوام القديمة، وقصة موسى عليه السلام وفرعون، ومشاهد القدرة الإلهية، تتعاود ذكرها في كل السور، ولكن التدقيق يُبرز مضمون بارز أكثر من غيره في سور الحواميم، والباحث يذهب إلى احتمال أن يكون هذا المضمون المهيمن وراء ذكر بقية المضامين، ومن هنا

تفتح باب دراسة تلك المضامين التي تبدو أشد فتكًا وأخطر أثرًا.

وأول المضامين التي تفتح باب اختيار الألفاظ في سور الحواميم هو (الجدل)، ولا يُقصد هنا إلا ما كان مذمومًا منه^{٢٤}، ومبعثه التكبر والعجب والجهل والعجلة لينتهي بالتكذيب، ولعل هذه مجتمعة هي مضامين مصاحبة لـ (الجدل) في سور الحواميم خاصة والقرآن عامة، ولعلنا نقرب من سبب اختيار كلمة (الجدل) سواء أكانت بالمعنى السيء أو الجيد، من دراسة معناها اللغوي، فقد ورد في مقاييس اللغة أن الجدل: (استحكام الشيء في استرسال يكون فيه)^{٢٥}، استحكام الشيء، قوته وشدته، واسترساله، طوله، وليوته، وهذا ينطبق في جانب كبير منه على صفات (الجدل)^{٢٦}، ولكنّه من جانب آخر يمكن أن ينطبق على (الحديث) الدائر بين طرفين، أحدهما متشدد يسترسل في كلامه، ولعل الأمر يُشعر بالتمحل، ولكم إتمام تعريف (جدل) عند ابن فارس ت (٣٩٥هـ) يسدّد الرؤية، فهو عنده أيضًا: (امتداد الخصومة ومراجعة الكلام)^{٢٧}، أظن أن المقطع الثاني من التعريف، يؤكد صحة ما يظنه البحث، ومع ذلك، لكن لأرجع إلى ذكر بعض صفات (الجدل) المستفادة من الرؤية الحقيقية، فهو - الجدل - متداخل بعضه ببعض، مما يجعل تتبع اجزائه - أليافه - صعبًا إن لم يكن مستحيلًا، وهذا ما يقربنا من العلاقة بين هذا المعنى المستفاد من الحياة، وبين المعنى المراد في القرآن الكريم، فـ (الجدل المذموم) هو الاعتراض الدائم والمستمر على كل ما يصدر من الآخر، ومن شروطه أن لا يقوم على حجة ولا دليل، وهو متداخل متشابك بغيره من الأمور، وهو أقرب إلى (اللغو)، وبهذا الأخير دخلنا على معنى جديد ومفيد، فـ (اللغو) يأتي بمعنيين، الأول: ما لا يُعتدُّ به من الأشياء، والثاني: ما صدر من اللسان ولم يعقد صدقه في القلب^{٢٨}، فهو إلى الكذب أقرب، وبهذا المعنى الأخير نكاد نقرب من معنى (الجدل)، ولعلنا نجمع هذه المفاهيم كلها عندما نتقرى أي الذكر الحكيم المقصودة بالدراسة، وقبل ذلك لا بد من الإشارة إلى أن معنى الجدل في الحواميم، ورد بصيغتين، الأولى - وهي الأغلب - فعلية:

(جادلوا - يجادلون) ولعل هذا يحملنا على يوحى بحدوث جدال الكافرين وتجده، يقول سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^{٢٩}، الفعل في أول الآية الكريمة السابقة بصيغة المضارع، والآية الثانية ورد فيها الفعل نفسه بصيغة الماضي، وقد يكون مجيء الفعل في بعض المواضع بصيغة الماضي تقييد له بزمن حدوثه، وقد يكون للدلالة على انتهاء وجود محدثه؛ بل قد يكون فيه إشارة إلى أن كل من يجادل بغير حق في الدين الحق، فإن مصيره كمصير قوم نوح، ولو رجعنا إلى الآية الأولى، وتساءلنا عن سبب مجيء الفعل (يجادل) بصيغة المضارع، وفي سببه أمران، الأول: أن الخطاب في الآية الكريمة لرسولنا محمد صلى الله عليه وآله، وهو خطاب آني، والمقصودون هم المجادلون في زمنه^{٣٠}، هذا من جانب، من جانب آخر فمجيء الفعل بصيغة المضارع، دليل بتقييد زمنه بالحال والاستقبال، أو بعبارة أخرى هو دليل على تجدد الفعل وحدثه، وبذا فلا تختلف بقية مواضع تكراره في دلالتها، فهي كلها بصيغة المضارع، ولا تختلف طاقة استعمال هذه المادة اللغوية في القرآن الكريم، حتى وإن اختلفت صياغتها، ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾^{٣١}، نرى أن اللفظ ورد اسمًا، ومعلوم أن الاسم غير مقيد بزمن، فهو أعم وأشمل^{٣٢}، ولذا يأخذ بعده الدلالي الكامل في هذا الموضع كما في الآية الكريمة السابقة في سورة غافر، فالمقصود في الآيتين هم نفس الأطراف، رسولنا الكريم من جهة، وكفار قريش من جهة أخرى، لذا كان التأكيد على تمسكهم بجدالهم بغير حق^{٣٣}.

المتتبع لمعنى (الجدل) في سور الحواميم، يجد تعدد الألفاظ التي حملت معنى (الجدال بغير حق) ولعل هذا يثير فينا التساؤل، أيعقل أن يمكن ان تحمل لفظة محل أخرى في القرآن؟ وأين ستحل أحاديثنا عن دقة اختيار اللفظ، وأن القرآن لا يستعمل اللفظ إلا

في موضعه المناسب، ولا ترادف فيه؟ والحق أن إجابة هذه الأسئلة يسيرة، فالألفاظ التي سنعرض لها، برغم اختلاف ألفاظها وحملها لدلالات ثانوية، فهي تشترك في صفة دلالية مهمة، ومن هنا تكون جدوى استعمالها في القرآن الكريم، فالنص الكريم يريد الدلالة المركزية المهمة، مع الإشارة لما حولها من دلالات ثانوية تعين على الوصف وتقريب التصور، وبهذا تتصافر الدلالات الثانوية مع الدلالة المركزية، لتنتج لنا دلالة عمومية شاملة.

وعند تتبعنا الألفاظ التي تفيد معنى المجادلة في سور الحواميم، نجد فيها إحدى سمتين، أما أن تكون سببا للجدل بغير حق، أو تكون نتيجة له، وقد يجتمع الأمران في ذلك اللفظ، ومن هنا تتأتى أهمية الاختيار لها في موضعها، فهي في كل مواضعها تدل دلالة واضحة على الجانب الأخلاقي الذي كان يحمله المجدال بغير حق، من جانب آخر، نرى موقف الرد على تلك المجادلات، الذي يحمل هو أيضا بعدا أخلاقيا للحجج والدلائل المبنية على الإيمان بالحق.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا﴾^{٣٤}، يبرز في الآية الكريمة باعث من بواعث الجدل، فد (الشك) ينشئ من تداخل أمرين مع بعضهما، وعدم التيقن منهما^{٣٥}، وهنا تبرز العلاقة الحتمية بين الجدل والشك، فالجدل - كما توصلنا في الصفحات السابقة - في معناه الأول هو عملية تداخل بين أمور أو أشياء يصعب معها الوصول إلى أصلها، ويمكن أن يستفاد من أن (الشك) هو الباعث الأول لـ (الجدل)، فلولا له لما تداخلت الأمور، ولذا استعمل المجادلون بغير حق الشك منهجًا، لأنه يعينهم على خلط الأمور، ليتوصلوا بذلك إلى المرحلة الأخيرة، التي سنعرضها بعد قليل. يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾^{٣٦}، التحاج في معناه اللغوي (التخاصم)^{٣٧}، وعند متابعة معاني (حجّ وتحاجج)

في المعاجم، نجد فيها معنى مركزيًا، هو (اختلاط) أو (التداخل) أو (الدوران)، انظر مثلاً لمسمى العظم المستدير حول العين (الحجاج) ^{٣٨}، و(الحج) اختلاط الدم بالدماغ، و(الحجج) الطرق المُحَفَّرَة ^{٣٩}، ومن هنا نجده اللفظ الأصلح للتعبير عن محاولة إيجاد العلل الدافعة، وهذه المحاولة لا تضمن صدق الحجج أو كذبها، بل مجرد البحث عنها، ومن هنا يكون طريق المحاججة أقرب (للجدل بغير حق)، فهو أحد وسائلها أو آلياتها، التي تقوم على إيجاد الأسباب الدافعة، وهنا لا بد من أن تكون المحاججة حاملة لصفات مضافة، هي الكذب، والعناد، ومن هنا تبرز العلاقات الدلالية المستفادة من تغير اللفظ الحامل لمعنى مهيمن، ومعان أخرى مضافة.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ^{٤٠}، (الإفك) في أصله (قلب الشيء وصرفه عن جهته) ^{٤١}، ولعل النظر إلى اللفظ في الآيتين يجعلنا مدركين أن (الأفك) جاء ليعبر عن معنى مهيمن في الأصل، وهو (الصرف) أو (القلب) ^{٤٢}، ولو نظرنا إلى معنى (المؤفكات) لأفادنا معناها، فهي (الرياح تختلف مهاها) ^{٤٣}، وهنا يأخذ هذا المعنى المهيمن معانيه الجزئية التي تلبسه لبوساً إيجابياً أو سلبياً بحسب السياق، فهو في الآية الأولى (تؤفكون) أقرب لمعنى (الجدل)، فهو - الأفك - يعتمد على (قلب) الأمور، وصرفها عن حقيقتها، وجعلها مختلطة مختلفة المصدر متشابكة، ليعبدها عن حقيقتها، وكل ما سبق يجب أن يحمل معنى (الكذب)، ولكن الأمر ليس كذلك في الآية الثانية، فقد ورد فيها لفظ (الأفك) لمعنى تغير الوجهة من (الجنة) إلى (النار)، وهنا استفاد النص الكريم، من المعنى الأول للفظ، أو المعنى المهيمن.

ويأتي في الآية الكريمة السابقة لفظ (يجحدون) ليزيد من الطاقة الدلالية المتماسكة للنص، ف(الجحد) يدل لغة على معنى أصلي هو: (القلة) أو (التقليل)، وتأخذ هذا المعنى المهيمن معنى ثانوية مضافة بحسب السياق، وهذه المعاني الثانوية، هي ما تقرب لفظ (يجحدون) من دلالة (الجدل)، ف(الجحد) نقيض الإقرار، وهو أقرب

لأنكار مع العلم، وهنا تتأتى العلاقة بين (الجدل بغير حق) و(الجحد) فكلاهما مستند في دلائله على (الكذب).

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^{٤٤}، اختلف في من المقصود بالفعل (فرحوا) في الآية الكريمة، فقيل أن في الكلام حذف، فإن قُدِّرَ، يُعرف المقصود به، وهم الرسل، والأرجح أن المقصود به هو المعترضين على الرسل^{٤٥}، ولما كان الأمر كذلك، يجب أن نستوضح دلالة (الفرح) العكسية، فهي من جانب تعني: (خَفَّةٌ في القلب)^{٤٦} نتيجة سعادة مفرطة، وقد تعني الإحساس بالثقل^{٤٧} جرَّاء الحزن أو الضغط النفسي، والمحصلة أن لفظ الفرح يحمل دلالة عدم التوازن النفسي نتيجة مؤثر خارجي، مما يدفع بصاحبه الى اتخاذ خيارات قد لا يقارنها في وضعه الطبيعي، ولكي تستكمل الرؤية التحليلي، فلا بد هنا من أن نعرف (العلم) المقصود بالآية الكريمة، فقد تعددت رؤى المفسرين في نوعه وطبيعته^{٤٨}، منها إنَّ علمهم كان يتلخص بتكذيب البعث والعذاب، أو قد يكون حقيقة علمهم هو الجهل، أو قد يعني رضاهم بعلمهم واستهزائهم برسولهم، والحق أن الرؤى بمجموعها، تخرج المتقري لنتيجة حتمية، أن السبب وراء الفرح، هو العناد المبني على الجهل، والتكذيب المتسرع، ومحاولة التقليل من شأن الآخر الناصح، وهذه كلها آليات المجادل بغير علم، يستعملها ليرد بها عمَّن سواه، ظنا منه أنها تمكنه من الانتصار فيما يظنه حربا، والحققة تكمن في نفسه، عدوه الأول الذي يصور له الزيف بلبوس الحق، ومن هنا تتأتى أهمية اختيار الأسلوب لكلمة (الفرح) لتدل على الوضع النفسي للمجادلين المكذبين.

ولا يزيدنا الاستشهاد بأي الذكر الحكيم، إلا تمسكاً بفكرة تماسك المهيمن الدلالية للكلمات، وتشعبها لمعاني حركية خادمة للدلالة التي يمكن أن تتغير بالإسناد، وتلعب الصيغة دورها الفاعل في توجيه الدلالة للفظ المختار، ولعل هذا من إمكانات

اللغة العربية، ولكن المخترار هو الفاعل الحقيقي الذي يحسن استعمال الأدوات في محلها المؤثر والبالغ، فاستعمال المزيد له أثره عند الواضع الأحكم سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾^{٤٩}، مرّ لفظ (استكبروا) في سورة غافر المباركة، ولكنه لم يربط بينه وبين (الجحد) الذي أقرناه في الأوراق السابقة طريقاً لإنكار وتفنيدهم الحقائق، ولكن في هذه الآية المباركة من سورة (فصلت)، يعرض للخلق الذي يقف وراء تولّد (الجدل بغير حق)، ولو أنعمنا النظر في صيغة (استكبر) المزيدة بـ (الألف والسين والتاء) التي تفيد في أغلب مواضعها الطلب^{٥٠}، وكذا الحال مع صيغة (تكبر) فـ (التاء) في أوله أفادت معنى الطلب، فالفاعل يطلب (التعظيم) لنفسه، وبذا يكون (الاستكبار هو طلب الكبر فوق القدر)^{٥١}، وهذا ما يدفع بصاحبه إلى (الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً... وقد تكبر واستكبر وتكابر وقيل تكبر... ومعنى يتكبرون أي أنهم يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم)^{٥٢}، ويبدو هذا دافعا كافيا لممارسة الجدل بغير علم، وإنقاص وتقليل شأن المقابل، لأن الغشاوة العقلية قد طغت على صاحبها، وسيطرت عليه فكرة العظمة الزائفة والزخرف الخادع، فلا يرى وسط هذه البهجة إلا ذاته.

تتأكد فكرة أن الدافع وراء (الجدل) أخلاق وصفات كامنة في النفس البشرية المغضوب عليها، وما وقوفهم ممتنعين ورافضين للدلائل الواضحة، إلا إثبات كل ما سبق، فكل فعل يصدر منهم، هو لخدمة ما في أنفسهم، تظهر للعيان كاشفة عن دوافعهم لرفض الحق، ومحاولة التغلب عليه، وليس من ضمن وسائلهم في حربهم هذه إلا ما يوهي دعواهم ويضعف جانبهم ويزيدهم ابتعادا عن جادة الحق، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^{٥٣}، اللغو في اللغة له معنيان، الأول: يدل على (الشيء لا يعتدُّ به)^{٥٤}، ويشمل ذلك (السقط وما لا يعتدُّ به من كلام

وغيره ولا يحصل له فائدة ولا نفع) ^{٥٥}، هذه هي وسيلة (الجدل) عند من لا حجة حقّ عنده، وهذا ما يبين سمات جدلهم، فهو يموت عند أقدام الذين آمنوا، ويبقى الإنكار والتكبر وسيلة الكافرين ليفروا من الحقيقة الواضحة، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾ ^{٥٦}، يستعين النص الكريم باللفظ وبصفته ليُشكل صورة المعنيين في الآية المباركة، ف(الأنك) وقد تقدّم توضيحه، هو في أحد معانيه (الكذب) ولكن وصفه ب(القديم) يكشف عن منهج الرفض عند الكافرين، فهو وصف (للمبالغة في التقدم، أي ليس أول من ادعى الكذب في ذلك، بل تقدّم اشباهه) ^{٥٧}، ولكن هذا الأمر يحمل رسالة أخرى، وهو قدّم رفضاً للرسالات السماوية واستمراره، وهذا ما يعطي عملية الرفض وسيلة جديدة للجدل، وهي اتهام الرسالة بالقدم الحامل لقصص يشوبها الكذب، وقد عبروا عنها بألفاظ مقاربة، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهِي أَفٍّ لَكُمْ مَا أَتَعَدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرُونَ اللَّهُ وَيَلْكُ آمِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ^{٥٨}، لعل اختيار القصة السابقة له مغزاه الدلالي المعين على تشكيل الصورة المكتملة للنص المقدس في سورة الأحقاف، وهذا ما سيتكفل بتوضيحه المبحث الآتي، ولكنه كان أحد الأسباب في اختيار اللفظ في آخر الآية المباركة، فالاسم (أساطير) يحمل معنى خاصاً في أذهان العرب وقت نزول القرآن الكريم وقبله، فهو مرتبط بقصص الغيلان والجن والسحر وأخبار الكهان، وهي بمجمليها وإن أخذت حيزها الكبير من حياتهم، ولكنها اتسمت عندهم بالباطل والقدم ^{٥٩}، وقد أخذت من كُتب الأولين، وهي أيضاً - بحسب مروياتهم - قصص تروىها النساء لإمتاع الأطفال ^{٦٠}، فالتكبر والتكذيب طريقة المجادل الفضلي ليحقق انتصاره الوهمي أو هروبه الحتمي من مواجهة الحقائق، ليصل به الحال إلى سدّ الطريق أمام الوعظ، بإلغاء حواسه، ولعلها دليل على خسرانهم أمام الحجة الدامغة.

وتقري الحواميم المباركة يؤكد بقاءها على هذا النسق الأسلوبي من إحكام العلاقة بين اللفظ والدلالة في آيات الأخلاق، ولكن الأمر لا يتوقف في وصف ما سبق على اللفظ الصريح، بل يعتمد التركيب ليوحى بما يضارع الدلالات السابقة، وهذا ما يسبغ على النص الكريم تماسكاً في البناء وترابطاً في المضمون، فالشكل يضيء النص المقدس بعلامات دالة على المعنى، ليشكلا بتعاورهما بنية نصية محكمة الحبكة.

الخاتمة:

ظهر للبحث نتائج عدة، أولها: إن الخيار اللفظي والتركيبى والبياني، يخضع خضوعاً تاماً للخيار الدلالي، وحتى لو اعتمدت آلية التكرار، فهو تكرر لا يتخلى عن الإضافة الدلالية التي تزيد النص إشعاعاً، وقد اعتمد النص في الحواميم على ذكر المضامين الأخلاقية من وجهتها الحسن والسيء، ووجد البحث أن السيء منها قد ابتدأ بمضمون (الجدل) الذي قام بدورين عكسيين، فهو حاملٌ لصور متنوعة من الأخلاق الذميمة تقف وراءه وتزيده عتواً، وهو أيضاً يعين على تنوع الأخلاق الذميمة، ليستعملها وسيلة لمواصلة دوره، وقد توقف البحث على الخيار الصوتي واللفظي والبياني، ليجد إن أسلوب القرآن الكريم خدم الدلالة بمضامينها السابقة بصورة لافتة للنظر، لذا اتخذها وجهة ووسيلة للدراسة.

الهوامش:

١. تأويلية الشعر العربي - نحو نظرية تأويلية في الشعرية: يوسف محمد جابر اسكندر: ١٤.
٢. ينظر: علم اللغة وتاريخ الأدب: شبيتر: ٧١، ٧٩.
٣. ينظر: الأسلوبية والأسلوب: ٧٣.
٤. ينظر: معايير تحليل الأسلوب: ٣٥.
٥. ينظر: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية: ٥١.
٦. ينظر: الدر المثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي: ٧/ ٢٦٨-٢٦٩، وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥: ٨/ ٣٧٤. وينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، ابو الطيب صديق بن حسين القنوجي: ١٢/ ١٥٥.
٧. ينظر: «إحياء علوم الدين»: ٣/ ٥٨. الغزالي: أبو حامد، محمد بن محمد / «إحياء علوم الدين» / دار الكتب العلمية - بيروت م ط الأولى ١٤٠٦هـ.
٨. ينظر: تهذيب الأخلاق لابن مسكويه: ص ١٦، وينظر: التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالжин: ص ٧٥.
٩. ينظر - مثلا - : البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ١/ ١٣٥-١٣٦، وينظر: الخصائص: أبو الفتح بن جني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: محمد علي النجار: ٢/ ١٤٥-١٥٨، وينظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ): ٥٠-٥٢. وللاستزادة في أمر اللفظ والمعنى، ينظر: قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية: د. علي محمد

حسن العماري: ١٧-٣٤.

١٠. ينظر: علم اللغة العام: ١٣١-١٣٣، وينظر: من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس: ١٤٠-١٥٠، وينظر: فقه اللغة وخصائص العربية: ١٦٦-١٦٨.

١١.: ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد علي النجار، لجنة احياء التراث - القاهرة، ١٩٦٥ م: ٤٠٩/١.

١٢.: ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين الاسترآبادي، حققها مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان: ٢/٢٧١.

١٣. غافر: ٥.

١٤. غافر: ٣٤.

١٥. ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م: ٣/١١٥.

١٦. ينظر: القرآن في الإسلام: الأستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تعريب: السيد أحمد الحسيني، دار الزهراء، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٧٣: ١٣٤.

١٧. ينظر: بصائر ذوي التمييز: ١/٤١٨.

١٨. ينظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٣٨٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٩٧١: ٦٨/١..

١٩. فصلت: ١٤.

٢٠. الجاثية: ٢٥.

٢١. الزخرف: ٥.

٢٢. الشورى: ٣٨-٣٩.

٢٣. ينظر: نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى: بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط ٢، ٢٠٠٦: ٩.

٢٤. ينظر: معجم الألفاظ والموضوعات في القرآن الكريم: د. عبد الصبور مرزوق، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٥: ١/٤٥٥.

٢٥. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٧٩: ١/٤٣٣.

٢٦. ينظر: لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت - لبنان: م ١١/١٠٣.

٢٧. م. ن: ١/٤٣٣.

٢٨. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/٢٥٥.

٢٩. غافر: ٤-٥.

٣٠. ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠: ٣٥١/٢١.

٣١. الزخرف: ٥٨.

٣٢. ينظر: معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان - الأردن، ط ٢، ٢٠٠٧: ٩.

٣٣. ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن: ٢١/٦٢٨.

٣٤. غافر: ٣٤.
٣٥. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٧٣ / ٣.
٣٦. غافر: ٤٧.
٣٧. ينظر: اللسان: ٢٢٨ / ٢.
٣٨. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣١ / ٢.
٣٩. ينظر: اللسان: ٢٢٨ / ٢ و ٢٣٠.
٤٠. غافر: ٦٣.
٤١. معجم مقاييس اللغة: ١١٨ / ١.
٤٢. ينظر: اللسان: ٣٩١ / ١٠.
٤٣. م. ن: ٣٩١ / ١٠.
٤٤. غافر: ٨٣.
٤٥. ينظر: التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: أمين أحمد شوقي عاملي و أحمد حبيب قصير، المطبعة العلمية - النجف، ١٩٥٧: ٩٦ / ٩.
٤٦. ينظر: مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب (ت ٢٩١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٤٨: القسم الثاني ١ / ٢٢٧.
٤٧. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٩٩ / ٤.
٤٨. ينظر: النكت والعيون تفسير الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان: ١٦٥ - ١٦٦.

٤٩. فصلت: ١٥.

٥٠. ينظر: شرح بن عقيل: قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت ٧٧٩هـ)، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٩٨٠، ٤/٢٦٤.

٥١. التبيان في تفسير القرآن: ٤/٤٥٢.

٥٢. اللسان: ٥/١٢٦-١٢٩.

٥٣. فصلت: ٢٦.

٥٤. معجم مقاييس اللغة: ٥/٢٥٦.

٥٥. اللسان: ١٥/٢٥٠.

٥٦. الأحقاف: ١١.

٥٧. التبيان في تفسير القرآن: ٩/٢٦٥.

٥٨. الأحقاف: ١٧.

٥٩. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/٧٣.

٦٠. ينظر: بلاغات النساء: الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ)،

مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨: ٢٩.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦ هـ.
٢. الأسلوب - دراسة لغوية إحصائية: د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٢.
٣. الأسلوبية والأسلوب: د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، طرابلس - ليبيا، ط ٣، ١٩٨٢.
٤. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت ٣٨٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٩٧١.
٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد علي النجار، لجنة احياء التراث - القاهرة، ١٩٦٥ م.
٦. البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط ٧، ١٩٩٨.
٧. تأويلية الشعر العربي - نحو نظرية تأويلية في الشعرية: يوسف محمد جابر اسكندر، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد - كلية الآداب، ٢٠٠٥.
٨. التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: أمين أحمد شوقي عاملي وأحمد حبيب قصير، المطبعة العلمية - النجف، ١٩٥٧.
٩. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: بشيخ أبو علي أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ)، المطبعة الحسينية المصرية - القاهرة، ط ١، ١٣٢٩ هـ.
١٠. جامع البيان في تفسير القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠٠.

١١. الخصائص: أبو الفتح بن جني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة - مصر، ١٩٥٧.

١٢. الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، د.ت.

١٣. دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط ٥، ٢٠٠٤.

١٤. دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية: مقداد يالجين، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢.

١٥. شرح بن عقيل: قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت ٧٧٩هـ)، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٩٨٠.

١٦. شرح شافية اين الحاجب: رضي الدين الاسترابادي، حققها مجموعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

١٧. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٨. علم اللغة العام: فرديناند دي سوسير، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، أفاق عربية، بغداد - العراق، ١٩٨٥.

١٩. فتح البيان في مقاصد القرآن، ابو الطيب صديق بن حسن القنوجي، تقديم عبد الله بن ابراهيم الانصاري، ادارة احياء التراث الاسلامي - قطر، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٢٠. فقه اللغة وخصائص العربية: د. محمد المبارك، دار الفكر، مصر - القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤.

٢١. القرآن في الإسلام: الأستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تعريب: السيد أحمد الحسيني، دار الزهراء، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٧٣.
٢٢. قضية اللفظ والمعنى وأثرها في تدوين البلاغة العربية: د. علي محمد حسن العماري، مكتبة النهضة، القاهرة - مصر، ط ١، ١٩٩٩.
٢٣. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرريقي المصري، دار صادر، بيروت - لبنان.
٢٤. مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب (ت ٢٩١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٤٨.
٢٥. مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥.
٢٦. معاني الأبنية في العربية: د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان - الأردن، ط ٢، ٢٠٠٧.
٢٧. معايير تحليل الأسلوب: ميكائيل ريفاتير، ترجمة: حميد لحمداني: منشورات دارسات سال، الدار البيضاء - المغرب، ط ١، ١٩٩٣.
٢٨. معجم الألفاظ والموضوعات في القرآن الكريم: د. عبد الصبور مرزوق، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٥.
٢٩. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٧٩.
٣٠. من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، ط ٦، ١٩٧٨.
٣١. نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى: بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط ٢، ٢٠٠٦: ٩.

٣٢. النكت والعيون تفسير الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

المحور الخامس

تقييم المشكلات الاجتماعية المعاصرة من المنظور القرآني



التركيب المنتظم لألفاظ الحرب في القرآن الكريم
دراسة في أقوال المؤمنين أنموذجاً

أ.د. هاشم جعفر حسين الموسوي

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

ذكر القرآن الكريم أقوالاً تَلَفَّظَ بها المؤمنون المقاتلون استعداداً لملاقاة الأعداء وعند لقاءهم، وقد كشفت هذه الأقوال عن مراتبهم واستحقاقاتهم، بناءً على أمور عدة بيّنها النصّ القرآني، أهمها: اختلاف مقامات الاستعداد، وقوة العزيمة، وتباين نيّة المقاتلين عند خوض المعركة، فورد الجزاء على قدر النيّة الباطنية والفعل الظاهري، وكانت الألفاظ التي وردت في النصّ القرآني أمانةً على تلك النيّات ومقدار الفعل ومرتبة الجزاء المُعدّ لكلّ ذلك.

وقد تجمّعت لديّ من استقراء نصوص القرآن الكريم بحسب ترتيبها على السور جملةً من تلك الأقوال، يمكن أن تُقسّم على قسمين، أحدهما: أقوال المؤمنين في المعارك التي وردت قبل الإسلام، وشملت ثلاثة نصوص، ضمّ الأوّل أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع الملك طالوت، واحتوى الثاني على قول الرّبيّين الذين قاتلوا بإمرة مجموعة من أنبيائهم، واشتمل الثالث على قول الرجلين المؤمنين من قوم النبي موسى عليه السلام، فذكر القرآن الكريم ما صدر عنهم من أقوال وأفعال على سبيل القدوة الحسنة التي يجب أن يتبعها ويقتدي بها المؤمنون من أمة خاتم الأنبياء والمرسلين.

والقسم الآخر: شمل أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، في واقعتين مختلفتين، إحداهما كانت بعد وقعة أحد وسمّيت بوقعة (حراء الأسد)، والأخرى كانت في وقعة الأحزاب.

على أنّ المتأمل في هذه النصوص يرى الوشيجة متصلة بالغرض الذي تسعى هذه النصوص لإقراره في نفوس الذين ينبرون للدفاع عن دينهم ومقدساتهم، فما نقله القرآن من أقوال وردت عن مجاهدي الأمم التي سبقت، فضلاً عن مجاهدي هذه الأمة، لم يكن ذكرها وتمجيدها إلا لبثّ العزيمة ورفع معنويات المقاتلين السائرين في

ركابهم، وتذكيرهم بالافتداء بما صدر من أقوال هؤلاء السالفين الكاشفة عن مقامات نفوسهم العالية، والحثّ على تدبُّر تلك الأقوال والانتفاع من مضامينها، وأخذ العبرة منها لتحقيق النصر على الأعداء.

وسأعرض لهذه الأقوال كلّ على حدة، بحسب ما ذكر من تسلسل، مع بيان لمحات بيانية في النصوص الي وردت فيها، بالاعتماد على سياقاتها الداخلية والخارجية، بحسب ما يقتضيه المقام، وعلى قدر الوسع والطاقة. والله الموفق.

الكلمات المفتاحية: التركيب المنتظم، ألفاظ الحرب في القرآن الكريم، أقوال المؤمنين.

Axis V:

Summary:

The Holy Quran mentioned statements made by the believers' fighters in preparing to meet the enemies & during wars; those statements have revealed their rank and entitlements based on various things, including the Quranic text, the most important of which are: Different levels of preparation, the power of willingness, and the variety of the fighters' intentions during battles so that the reward will be given according to the good inner Intention & Good apparent act they do.

The words in the Quranic text were the responsible for those intentions, the amount of the act, and the reward's rank prepared for all of that.

I have gathered several statements from the Holy Quranic texts and made their extrapolation; according to their order on the Surah(s). This can be divided into two sections; the first one: Is about the believers' statements during wars that happened before Islam, which included three texts: The 1st one mentions the believers' Statements about those who fought with King Talout. The 2nd text about (Al-Rabbeen): "Those who fought under the command of a group of their prophets."

Whereas the 3rd is about the two believers men of the prophet Moses's people, the Holy Quran has mentioned what they say and act to be examples and ideals that must be followed by true believers of the prophet Mohammad's nation.

The 2nd section: has included the believers' statements who fought under the command of prophet Mohammad in two different battles, one of which occurred after (the Ohud Battle), which was named by (Hammra'ao Al-Asad), while the 2nd happened in the Al-Ahzaab battle.

However, the reader of these texts sees the bond connected with the purpose that the texts seek, to establish in those who stand to defend their religion and Holy places, what Quran has quoted of statements stated by previous nations' strivers (soldiers), in addition to this nation, wasn't mentioned and glorified but to distribute determination and raise the fighters' spirit, to make them always remembering the high souls' spirits of previous Fighters, urging them to understand those statements and get the benefits of their contexts, and to keep it as a lesson to achieve victory

over enemies.

I will present these statements individually, according to the sequence mentioned, with a glimpse into the texts to which they appear, depending on their internal and external contexts, as required by the place. May Allah helps me to achieve it.

توطئة:

ذكر القرآن الكريم أقوالاً تَلَفَّظَ بها المؤمنون المقاتلون استعداداً لملاقاة الأعداء وعند لقاءهم، وقد كشفت هذه الأقوال عن مراتبهم واستحقاقاتهم، بناءً على أمور متعددة بينها النصّ القرآني، أهمها: اختلاف مقامات الاستعداد، وقوة العزيمة، وتباين نية المقاتلين عند خوض المعركة، فورد الجزاء على قدر النية الباطنية والفعل الظاهري، وكانت الألفاظ التي وردت في النصّ القرآني أمانةً على تلك النيات ومقدار الفعل ومرتبة الجزاء المُعدَّ لكل ذلك.

وقد تجمَّعت لديّ من استقراء نصوص القرآن الكريم بحسب ترتيبها على السور جملةٌ من تلك الأقوال، يمكن أن تُقسَّم قسَمين، أحدهما: أقوال المؤمنين في المعارك التي وردت قبل الإسلام، وشملت ثلاثة نصوص، ضمَّ الأول أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع الملك طالوت، واحتوى الثاني على قول الرِّبِّيِّين الذين قاتلوا بإمرة مجموعة من أنبيائهم، واشتمل الثالث على قول الرجلين المؤمنين من قوم النبي موسى عليه السلام، فذكر القرآن الكريم ما صدر عنهم من أقوال وأفعال على سبيل القدوة الحسنة التي يجب أن يتبعها ويقتدي بها المؤمنون من أمة خاتم الأنبياء والمرسلين.

والقسم الآخر: شمل أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في واقعتين مختلفتين، إحداهما كانت بعد وقعة أحد وسميت بوقعة (حمراء الأسد)، والأخرى كانت في وقعة الأحزاب.

على أن المتأمل في هذه النصوص يرى الوشيجة متصلة بالغرض الذي تسعى هذه النصوص لإقراره في نفوس الذين ينبرون للدفاع عن دينهم ومقدساتهم، فما نقله القرآن من أقوال وردت عن مجاهدي الأمم التي سبقت، فضلاً عن مجاهدي هذه الأمة، لم يكن ذكرها وتمجيدها إلا لبثَّ العزيمة ورفع معنويات المقاتلين السائرين في

ركابهم، وتذكيرهم بالاعتداء بما صدر من أقوال هؤلاء السالفين الكاشفة عن مقامات نفوسهم العالية، والحثّ على تدبّر تلك الأقوال والانتفاع من مضامينها، وأخذ العبرة منها لتحقيق النصر على الأعداء.

وسأعرض لهذه الأقوال كلّ على حدة، بحسب ما ذكر من تسلسل، مع بيان لمحات بيانية في النصوص التي وردت فيها، بالاعتماد على سياقاتها الداخلية والخارجية، بحسب ما يقتضيه المقام، وعلى قدر الوسع والطاقة. والله الموفق.

القسم الأول: أقوال المؤمنين في المعارك التي وردت قبل الإسلام:

أول هذه الأقوال ما ورد في (سورة البقرة / الآية ٢٤٩)، إذ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

إذ تورد الآية الكريمة أحداثًا وقعت في تاريخ الأمم التي سبقت، فتنقلنا إلى الحال التي كان عليها المقاتلون مع طالوت (وهو ملك من ملوك بني إسرائيل، اختاره الله -عزّ وجلّ- واصطفاه عليهم)، وقد بدأ طالوت بإعداد الجيش، ثم فصل بهم فأخرجهم عن مقرّهم ورتّبهم استعدادًا لقتال أعداء الله (وهم جالوت وجنوده).^(١)

ومن مجمل سياق الآية الكريمة يمكن أن نلتمس أمورًا مهمة يجب أن تتوافر ليحقق النصر، ومن ضمنها كلام المؤمنين عند الاستعداد للقتال ولقاء العدو، ومن هذه الأمور الآتي:

(١) ينظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر الجرجاني ١ / ٣٤١، ونور الثقلين، عبد علي بن جمعة ١ / ٢٤٨، والميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي ٢ / ١٨٣.

١- أن الرغبة الوقتية في قتال أعداء الله والذّب عن المقدّسات والحرمات، وهيجان النفس لها، لا يكفي لإثبات صدق المدّعي، فبنو إسرائيل هم من طلب من نبيّهم أن يقاتلوا مع ملك يختاره لهم؛ ليدافعوا معه عن الدين ويدفعوا عن حرّمتهم، ولكن النتيجة كانت فشل أكثرهم، وبطلان دعواهم عند الاختبار، وسيتضح ذلك في النقطة اللاحقة.

٢- أن اختبار الجنود أمر لا بُدَّ منه، ليتضح الصالح منهم عقيدةً، من الطالح الذي يكون مقامه بين العسكر وبالأعلى عليهم وضراً بهم، فليس العبرة بكثرة الجنود؛ بل العبرة بالاستعداد النفسي لنصرة الدين، وإطاعة الأوامر الإلهية، والثبات في المعركة. وقد كان اختبار طالوت لجنوده اختباراً إلهياً كاشفاً عن الروح المعنوية للجنود، مُميّزاً للثابت منهم على إيمانه الحافظ لدمامه من غيره من المُدّعين، فاخترهم طالوت بشرب الماء في وقت شدّة الحاجة إليه وتزايد الطلب عليه مع اشتداد الحرّ وثقل المسير^(١)، فأبلغهم طالوت بأنّ ذلك اختبار لهم من الله، فمن شرب من النهر وارتوى فقد فشل في طاعة الأوامر الإلهية فلا يصح أن ينتسب إلى جنود الله، ومن اغترف غرفة من الماء بيده فحسب، أو من التزم حرفياً بالأمر فلم يشرب البتّة، فهؤلاء من المؤمنين المفلحين، المتشرفين بحمل لواء القتال للدفاع عن دين الله، وهم قلة ثبتوا مع طالوت، أمّا العدد الأكبر فقد فشل في الاختبار.

وإنّما أضاف طالوت الاختبار إلى الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾، ليُعظّم ذلك الأمر في نفوسهم^(٢)، وليشير أيضاً إلى أنّه منتسب إلى الله سبحانه، إذ هو الذي اصطفاه لهذا المقام، فالأمر وإن صدر من طالوت إلا أنّه منسوب في حقيقته إلى الله تعالى، ثم ليستشعر هؤلاء وجوب طاعتهم الأمر، وليفهموا أنّ هذه الطاعة موجبة لتحقّق الظفر على الأعداء.

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر الشيرازي ٢/٢١٥.

(٢) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السيزواري ٤/١٤٨.

ومن هذا كله يتضح أنّ اختبار الجنود قبل المعركة من الأمور الموجبة لتحقيق النصر، وأنه أيضًا من الأمور المبيّنة عن استعدادات الجنود وتباين مراتبهم في الصبر وتغاير درجات الإخلاص بينهم، فمن لم يتذوّق الماء هم الكمّل إخلاصًا لله، الأعلون صبرًا على الشدائد، السباقون إلى طاعة الله سبحانه ومن يُنصبه عليهم. وترتّب على ذلك أن اختلفت كلمات الفريقين حين جدّ الأمر واحتدم، وسيُتضح ذلك في النقطة اللاحقة.

٣- أن الذين اغترفوا الغرفة يبدو أنّهم هم القائلون ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾، ذلك أنّهم نظروا إلى الأمور الحسيّة فقااسوا تحقّق النصر من عدمه على وفق هذا القياس^(١)، فوهنت عزيمتهم لما رأوا كثرة عدد جنود جالوت وعدّتهم. ومعه يظهر أن اغترافهم الماء - وإن كان جائزًا - لم يحقق الاستجابة التامة للأمر الإلهي، ذلك أن من يُوطّن نفسه لملاقاة الله عليه أن يفنى شوقًا لذلك اللقاء، فلا يحسب للجسد حساب، وهؤلاء لم يصلوا إلى هذه المرتبة الرفيعة، فجاء كلامهم ليكشف عن هذه النفوس التي لم تستكمل إيمانها، فنطقوا بمكنون ما حوت أنفسهم فقالوا على سبيل الوثاقة: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ بنفي جنس القوة والقدرة عن ملاقاته العدو، والأمر يظهر صوابه للذي ينظر إلى الأمور بظواهرها، أما المستبصر فهم الفئة القليلة الثانية الذين قالوا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فهؤلاء قد تمكّنت قدرة الله في قلوبهم، فوطنوا أنفسهم لملاقاته، واستعدّوا لذلك، فظهر ما أضمرّوا في قلوبهم، فخلّد الله موقفهم وكلامهم، وجعله سنّة حسنة لمن وطّن نفسه على ملاقاته ربّه.

ويُفاد من نصّ كلامهم أنّ كثرة الجنود ليست هي منشأ النصر والغلبة على الأعداء؛ بل هي من بعض الأسباب الظاهرية لتحقيق ذلك^(٢)، أمّا السبب الحقيقي للنصر فهو إرادة الله وإذنه بالغلبة للمؤمنين، وقد ثبت ذلك بالأدلة النقلية والعقلية، ومنها ما ذكر في ذيل الآية

(١) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السيزواري ٤/ ١٥٠.

(٢) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي ١/ ١٢٦.

الكريمة: (والله مع الصابرين)، ذلك أنّ معيّة الله مع الصابرين معيّة قيوميّة ظاهرة في تسبيب أسباب النصر، فلا يعقل معها الهزيمة.

وفي ذلك بشارة للصابرين بالجزاء الجميل، وتلقين لجنود الله بالثبات والصبر عند الاختبار، وعند اختلاف الأهواء، فتشتدّ العزيمة ويتحقق النصر بإذن الله.

ثم ينقل النص القرآني في الآية الكريمة اللاحقة (سورة البقرة/ الآية ٢٥٠) كلام المؤمنين حين التقوا بأعداء الله، فقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، وفي إيكال الأمر إليه سبحانه من أول كلامهم إيدان بشدة توكلهم على الله ووعيمهم لحقيقة أسباب النصر وتعلقها بإذن الله (عزّ وجلّ)، وإفراغ الصبر كناية عن الفيض السيّال، فقد طلبوا كمال الصبر وتمامه. وطلبهم ثبات الأقدام في المعركة فيه الدلالة على توطين القلب على تحمّل الشدة^(١)، وإنّما قدّموا الصبر على طلب ثبات الأقدام؛ لأنّ الصبر منشأ الثبات على الحق وسببه، وعلّة النصر وتحققه^(٢)، وفي استعمال لفظ (ربّنا) دلالة على تحسسهم قرب من التجأوا إليه وتحنّنه عليهم ومعيتهم معهم، وانقطاعهم إليه في شدتهم، فكانت النتيجة لهذه المقدمات وما تلفّظوا به من دعوات صادقة وكلام يقيني أن من الله عليهم بنصره ووقفهم إلى مرضاته.

ونقل القرآن الكريم كلام الرّبيّين (وهم المنسوبون إلى الرب، انقطاعاً له في العبودية والإخلاص)^(٣) الذين قاتلوا مع أنبيائهم على مرّ التاريخ، وخلّد ألفاظهم لتتمّ الحجة على اللاحقين من المؤمنين حين اشتداد البأس، فقال تعالى في (سورة آل عمران/ الآية ١٤٧): ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٥٦/٩.

(٢) ينظر: مواهب الرحمن ١٥٥/٤.

(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي ٩/٣، والأمثل ٧٢٤/٢.

وفي الآية بيانٌ للجانب الأهم الذي يجب أن يراعيه المقاتل المؤمن لتحقيق النصر، وهو جانب الاستغفار لما صدر وما سيصدر من هفوات وزلات وتجاوز، فقد اعترف هؤلاء بالتقصير في مقام العبودية، واستصغروا تضحيتهم بجنب الله، فطلبوا ما يوجب كمال الانقطاع إليه، مؤمنين بأن النصر سيكون نتيجة حتمية لاستغفارهم^(١).

وينقل القرآن الكريم في (سورة المائدة: الآية ٢٣) قولاً لرجلين من قوم موسى عليه السلام أنعم الله عليهما بالإيمان، فكانا يخافان الله ويخشيان أن يعصيا أوامر الله (عز وجل) الواردة إلى عباده من طريق النبي موسى؛ إذ أمر هذا النبي قومه من بني إسرائيل بأن يدخلوا الأرض المقدسة التي باركها الرب وجعلها لهم سكناً رغداً إن هم أطاعوا الأوامر، غير أنهم خالفوا أمر الله سبحانه وعصوا قول نبيهم، وبالغوا في رفضهم أوامره، مما كشف عن وقاحة مستأصلة في نفوسهم وعصيان له قرار في قلوبهم تجاه الأوامر الإلهية، لم ينفع في استئصاله ما رآه من معجزات أظهرها الله لهم، وكرامات جرت على يدي نبيهم، ولا غير ذلك من المحن التي اكتفتهم، والنكسات التي مرت بهم عندما كانوا عبيداً في دولة مصر، قد ضربت عليهم خيام الذلة والمسكنة، فاستنقذهم الله بفضله وأتم عليهم نعمته بموسى عليه السلام، فبدل أن يطيعوا أمره، إذ قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (سورة المائدة: ٢١)، عصوه فقالوا: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا حَتَّىٰ يُخْرِجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (سورة المائدة: ٢٢).

ولعل استعمال الأداة (لن) و(أبداً) في مقام النفي في جواب بني إسرائيل، فيه الدلالة البالغة على وهن نفوسهم وخلوها من الإيمان، ذلك أن الأداة تفيدان تأييد الامتناع عن طاعة أمر النبي موسى عليه السلام، وارتكاز هذا الأمر في قلوبهم، واتكالهم على المعجزات الإلهية في تدبير شؤونهم، بدلاً من السعي والاجتهاد والبذل والتضحية والالتزام بالأوامر الإلهية الكفيلة بتحقيق المطالب^(٢)

(١) ينظر: مواهب الرحمن ٦/ ٣٤٨.

(٢) ينظر: الأمثل ٣/ ٦٦٦.

وفي قبالة ذلك تُبيِّن لنا الآيات المباركة مرتبة إيمان رجلين مُسلمين تسليماً تاماً لما يُقرِّره الله ورسوله، فيُظهر نصُّ الآية الكريمة هذا المعنى، إذ يقول تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

ونستشف من هذا النصِّ الأمور الآتية:

١- أن هذا القول الذي صدر عن هذين الرجلين المؤمنين إنّما قيل في ظروف مادية ونفسية صعبة جداً، إذ تخلى قوم النبي عنه في حال الحرب وأفردوه لجيش معادٍ ذي عدّة قوامها الآلاف من العمالقة الجبارين من ذوي الأجسام الضخمة والأطوال الخارقة التي نُسجت فيها الأساطير، ممّا يُرهب القلب ويوهن العزيمة^(١)، غير أنّ هذين الرجلين قد امتلأ قلباهما بالإيمان، فقالا هذا القول الكاشف عن درجة عالية من الإيمان والتسليم لأوامر الله والطاعة لنيّته.

ولعلّ هذا يؤيد الروايات الواردة في تحديد هوية هذين المؤمنين، بأنّهما كانا من نقباء بني إسرائيل، ومن المقربين صلة بالنبي موسى عليه السلام، وهما يوشع بن نون، وكالب بن يافنا^(٢).

٢- بموازنة قول هذين المؤمنين بقول القوم العاصين، يتضح أنّ قوام الظفر في الحرب هو الخشية من الله سبحانه واتباع أوامره والتسليم والطاعة له ولأنبيائه وأوليائه والتوكّل عليه في الشؤون كلّها فهذان الصالحان قد قدّما الرأي الحصيف للجيش، لكي ينتصر على العمالقة ويستولي على بلادهم، فقالا: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وإنّما صار طريق النصر في تلك الحرب مرهوناً بدخول باب مدينة الجبارين، لما في ذلك

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٤٨٢-٤٨٣، وجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي ٣/ ٢٧٥، والأمثل ٣/ ٦٦٦.

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٤٨٤، وجمع البيان ٣/ ٢٧٨، وبحار الأنوار، المجلسي ١٣/ ١٨٠، ونور الثقلين ٢/ ١٧١، والميزان ٥/ ١٦٨، والأمثل ٣/ ٦٦٦.

من ابتلاءٍ لإيمان القوم وغربةٍ لمعنوياتهم وللكشفِ عن درجة استحقاقهم لوعد الله بكتابة الأرض المقدسة لهم، فقد فشلوا في الاختبار فشلاً ذريعاً، على الرغم من كثرة أعدادهم (قيل: كانوا ستمئة ألف)^(١)، فاستحقوا العقوبة الإلهية من جبار السموات والأرض حين خافوا الجبارين المملوكين له، فمكثوا في تيه الصحراء أربعين سنة، استحقاقاً لهم على عصيان أوامر الله ورسوله والإعراض عن تحذير نبيهم ونصيحة الرجلين المؤمنين، ولو أنهم توكلوا على الله في كل خطوة من خطواتهم لكفاهم عدوهم وحقق لهم ما وعدهم به على لسان نبيّه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾.

٣- يظهر في التركيب اللغوي الذي انتظم قول هذين الرجلين تقدُّم جواب الشرط على أداة الشرط وفعل الشرط، في قولهم: ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وهو تركيب طارئ في هذه الجملة، إذ المعلوم أنَّ رتبة تقدُّم الشرط على الجواب من الرُّتب المحفوظة في النظام النحوي، ذلك أنَّ جملة الشرط تؤدِّي بسببٍ يُقدِّم ونتيجةٍ تُؤخَّر، غير أنَّ هذا التركيب الطارئ بما فيه من تقديم وتأخير هو معتمد الفائدة هنا، تحقيقاً لمقتضيات الكلام وما تُنبئ عنه من دلالات مرادة لا تتحقَّق بالمحافظة على النسق المعتاد للتركيب، إذ لكلُّ من التركيب الأصلي والتركيب الطارئ فائدة يتطلبها السياق ويقتضيها المقام، ولا ينوب أحدهما عن الآخر في ذلك.

ويتضح للباحث أنَّ الثابت في الأحكام النحوية أنَّ العدول بالتركيب عن الترتيب الأصلي يوجب تغييراً في الأحكام وفي المعنى، ولنا أن نتساءل عن هذا التغيير في تركيب الشرط المعدول هذا، ولربما يكون الجواب عن تغيير الحكم بأن الجملة الشرطية التي تقدم فيها ما يشعر بجواب الشرط هي جملة ناقصة بلحاظ الصنعة النحوية، حُذف منها الجواب، لكنها تامة الفائدة، مكتفية بترتيبها الجديد، ذات دلالة مميزة مختصة بالعبارة بالجواب المتقدم، فبالقديم

(١) ينظر: بحار الأنوار ١٣/ ١٨٠، ونور الثقلين ٢/ ١٧٧.

يحصل تخصيص، أو اهتمام بالمقدم أو عناية أكبر^(١)، وهذا يختلف عن معنى الجملة قبل التقديم.

ففي قول هذين الرجلين المؤمنين قُدِّمَ الجواب **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾** على أداة الشرط وفعل الشرط **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**، وهذا يستدعي التوقف عنده، فتقدّم الجزء هنا للعناية به؛ إذ هو موضعٌ للترهيب أو التخويف أو بيان المآل فتطلب ذلك تقديمه، ذلك أنّ عدم التوكّل على الله سبحانه ولا سيّما في الأمور الشديدة ومنها ساحات الحرب موجبٌ للوهن والجبن والفشل، فهو إخبار واقع قد تيقن مُحبراه بوقوعه، ومضى عندهما فعله، فثبتت لهما حقيقته فأخبرا بها إخبار إحاطة لا تحصيل.

٤- ممّا تقدّم من بيان في النقطة التي سبقت، والتركيب الذي انتظم قول الرجلين، يظهر الحكم على بني إسرائيل من قوم موسى عليه السلام بأنهم قوم غير مؤمنين بالله سبحانه، وغير مطيعين لنبيّهم، ولذا اقتضت الحكمة ابتلاءهم بالتيه والضياح مدة أربعين سنة في الصحارى والقفار، حتى نجح الجيل الذي بعدهم في دخول الأرض المقدسة، بعد أن حققوا الشروط التي فرضت عليهم لاستحقاق هذه المنة الإلهية^(٢).

القسم الثاني: أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله:

أمّا ما يخصّ كلام المؤمنين الذين قاتلوا مع نبينا الأكرم، فقد نقل القرآن الكريم طرفاً منه في غزوة (حمراء الأسد)، وهي غزوة كانت بعد وقعة أحد، وما أصاب فيها المسلمون من انكسار، فقد انتدب رسول الله أصحابه المؤمنين أن يخرجوا إلى ملاقاتة كفّار قريش مع ما بهم من الجراحة والأذى، فبعث المشركون من يرجف بجيش الإسلام ويوهن

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ١/١٠٧، والإيضاح في علوم البلاغة، جمال الدين القزويني

١٦٥، ٥٠/٢.

(٢) ينظر: الأمثل ٣/٦٦٢.

عزيمته^(١)، فكان جواب هؤلاء المؤمنين (سورة آل عمران / الآية ١٧٣) أَنْ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

و(حَسْب) اسم متمكن، إمَّا على أَنَّهُ اسم فاعل بمعنى (كافينا)، فيعرب مبتدأ خبره لفظ الجلالة، أو على أَنَّهُ اسم فعل ماضٍ، بمعنى: كَفَّاهُ اللهُ، ولفظ الجلالة فاعله.

والقول بأنَّه اسم أولى، لجواز دُخُولِ حرفِ الجرِّ عليه واستعماله صفةً، وَجَرِيَانِ حركاتِ الإعرابِ عليه^(٢). فضلاً عن مناسبة الجملة الاسمية بعد القول للدلالة المرادة، لما في هذه الجملة من قوة المعنى وثباته، في مقام يكشف عن شدة إيمان القائِلين (حسبنا الله) وترتّب كلامهم على ما تضمّره سرائرهم، من صدق الاعتقاد بكفاية الله لهم وأنَّه هو وحدَه ناصرهم، لذا يجب التوكُّل عليه في تدبير أمورهم، فاجتمع صدق النيّة والكلام الكاشف عنها، والعمل المتوجب على ذلك، فتحقق النصر ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾، وإنَّما نُكِّرَ (فضل) هنا، لإِعمامه، ولذهاب خاطر السامع فيه كلِّ مذهب، فقيل: هو فضل الزرع والتجارة، وقيل: هو زيادة الإيمان وثبات العقيدة والخروج عن العصيان والخذلان كما حصل في غزوة أحد، وإنَّما عرِّفَ (الفضل) الثاني ووصف بالعظيم، لكونه منسوباً إلى الله سبحانه، وإِعظاماً لشأن الفضل الأوَّل، إذ مَنْ اللهُ عليهم بانهمزام عدوهم، وفراره من دون قتال، مع ما هم عليه من ضعف الحال بكثرة الجراح، وعظيم الشدة^(٣).

وفي غزوة الأحزاب نقل القرآن الكريم كلام المؤمنين المُبِينِ عن تصديقهم بإخبار الله ورسوله إيَّاهم بأشدداد المحنة عليهم نتيجة لاجتماع الأحزاب لمقاتلتهم، ولكن العاقبة ستكون للمؤمنين، فقال تعالى (سورة الأحزاب / ٢٢): ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ

(١) ينظر: التبيان ٣/٤٩، ومجمع البيان ٣/٣٩٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان النحوي ٢/٣٣٣.

(٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري ١/٤٤٢.

الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١﴾.

فالآية كاشفة عن أن قول المؤمنين فيه إحالة على وعدٍ قد سبق، كانت نتيجته هذا الإيمان الثابت والتسليم المحض، يشهد لذلك سياق الآية الداخلي بانتظام عباراته، وسياقها الخارجي الذي فسّرت به مناسبة الآية الكريمة^(١)، فضمير الإشارة للقريب (هذا) وما بعده، فيه إحالة على واضحة إلى وعدٍ إلهي قد سبق من الله وتبليغ من رسوله الأكرم إلى هؤلاء المؤمنين مفاده ما وضحته الآية الكريمة النازلة قبل هذه الحادثة بعام تقريباً، ومفاد هذا الوعد إخبار عن حال الأمم التي خلت مع رسلهم وما نطقوا به حين اشتدت بهم المحن وتزلزلت أقدامهم وقلوبهم بالاختبارات، ليأخذ المؤمنون العبرة لما سيصيبهم من امتحانات إلهية، فيتصرفون على وفق ما علمهم الله ورسوله في قوله تعالى (سورة البقرة / الآية ٢١٤): ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١﴾.

فقد بين لهم الله تعالى ورسوله الأكرم من قبل: أنّكم - أيها المؤمنون - ستخضعون لاختبارات عسيرة، فلما رأوا ما أصابهم على إثر محنة الأحزاب من عسرٍ وشدة وتزلزل تيقنوا صدق ما أخبروا به فتجاوزوا المحنة وقالوا قولهم الدالّ على الإيمان والتسليم.

وفي الآية إظهار لعلو شأن رسولنا الأكرم عند الله، إذ تُنبئ الآية قطعاً بأنّ نبينا لم يكن من القائلين (متى نصر الله) حتى مع اشتداد المحن وتكالب النوائب، فهو المبلغ عن الله أنّ المؤمنين من أمته يجب أن يتحلّوا في الشدائد وعند تزلزل القلوب بالإيمان المطلق والتسليم التام. وفيها أيضاً إظهار لشأن مؤمني هذه الأمة، وشدّة حرص الباري (عزّ وجلّ) ورسوله المكرّم، على العناية بأموالهم وتعليمهم طرائق الخلاص من محنهم، وتشريف مقاماتهم بنقل أقوالهم الكاشفة عن امثالهم لأوامر الله والتصديق بما ورد

(١) ينظر: معاني القرآن وإعراجه، الزجاج ٤/ ٢٢٢، والكشاف ٣/ ٥٣١، والأمثل ١٣/ ١٩٨.

عن رسوله، والتسليم لهما في المحنة والشدة.

ومن الجدير بالبيان أن قول المؤمنين هذا قد ذكرته الآية الشريفة في قبالة الأقوال والأفعال التي صدرت عن المنافقين في غزوة الأحزاب، وقد نقلتها الآيات التي سبقت ذلك، إذ يقول تعالى في (سورة الأحزاب / الآيات ١٨ - ٢٠): ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

فالآيات توازن بين أقوال هؤلاء المؤذنة بما يداخل قلوبهم من الخوف وقلة الإيمان والشك في ما وعد الله به رسوله الأكرم وأنصاره المؤمنين من الظفر والفوز.

وأقوال المؤمنين حينما نزل الأحزاب بساحتهم ورأوا كثرة عددهم وتفوق عدتهم الحربية، وعلومهم قد ابتلوا وزلزلوا، فقالوا قولتهم الدالة على أنهم قد وطموا أنفسهم على التصديق بوعد الله ورسوله والامتنال لما ورد فيه من تبليغ والطاعة له والتسليم^(١)

وفي الآية بيان لوعي المؤمنين في تلك المحنة الشديدة، وذلك الاختبار الصعب، إذ تكالب الأعداء عليهم وجمعوا عديدهم وعدتهم، لاستئصال الإسلام وأهله، فما كان من الرسول الأكرم إلا أن خفف الوطء عليهم، فأخبرهم بما سيحدث قبل أن يكون، فلما رأى المؤمنون صدق الجزئية الأولى للإخبار، علموا صدق الجزئية الأخرى^(٢)، وتيقنوا أن النصر لهم لا محالة، فزادهم ذلك إيمانًا وتسليمًا، فتحقق النصر الموعود، وانكسرت شوكة الكفار، وزال خطرهم، وقويت شوكة الإسلام، ونجح المؤمنون

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢١/٣٠٤.

(٢) ينظر: الأمل ١٣/١٩٨.

في الاختبار واكتسبوا مراتب عالية في الإيمان والتصديق والتسليم، استعدادًا لإنجاز مهماتهم الإلهية اللاحقة، فكانت النتيجة كما حكاها القرآن الكريم.

خلاصة البحث:

درس البحث جملةً من أقوال المؤمنين في النصّ القرآني الواردة في ساحات القتال، دفاعًا عن الدين والعقيدة، إذ كشفت هذه الأقوال عن مراتبهم واستحقاقاتهم، بناءً على أمور متعددة بينها النصّ القرآني، أهمها: اختلاف مقامات الاستعداد، وقوة العزيمة، وتباين نيّة المقاتلين عند خوض المعركة، فورد الجزاء على قدر النيّة الباطنية والفعل الظاهري، وكانت الألفاظ التي وردت في النصّ القرآني أمانةً على تلك النيّات ومقدار الفعل ومرتبة الجزاء المُعدّ لكلّ ذلك. وحاول البحث أيضًا أن يظهر لمحات بيانية مميزة في الكلام المنتظم لهذه الأقوال.

وبحسب المادة التي تجمعت لديّ ومتطلبات تنظيمها، قُسمت تلك الأقوال على قسمين، أحدهما: أقوال المؤمنين في المعارك التي وردت قبل الإسلام: درس فيها البحث ثلاثة نصوص، ضمّ الأول أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع الملك طالوت، واحتوى الثاني على قول الرّبّين الذين قاتلوا بإمرة مجموعة من أنبيائهم، واشتمل الثالث على قول الرجلين المؤمنين من قوم النبي موسى عليه السلام، فذكر القرآن الكريم ما صدر عنهم من أقوال وأفعال على سبيل القدوة الحسنة التي يجب أن يتبعها ويقتدي بها المؤمنون من أمة خاتم الأنبياء والمرسلين.

والقسم الآخر: شمل أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في واقعتين مختلفتين، إحدهما كانت بعد وقعة أحد وسميت بوقعة (حمراء الأسد)، والأخرى كانت في وقعة الأحزاب.

على أنّ البحث بيّن أن الصلة وشيجة بين أقوال المؤمنين الواردة في القسمين، وأن

الرابط بينهما هو الغرض الذي ذُكرت هذه الأقوال في النص القرآني لأجله، فهي إنّما وردت لبثّ العزيمة ورفع معنويات المقاتلين السائرين في ركاب هؤلاء المؤمنين، وتذكيرهم بالاعتداء بما صدر من أقوال هؤلاء السالفين، الكاشفة عن مقامات نفوسهم العالية، والحثّ على تدبّر تلك الأقوال والانتفاع من مضامينها، وأخذ العبرة منها لتحقيق النصر على الأعداء.

وما أحوجنا اليوم - ونحن في هذه الظروف العصيبة التي نواجه فيها هجوماً شرساً على معتقداتنا ومقدساتنا وأمن بلادنا - أن نتدارس هذه الأقوال، ونتدبّر في مقدماتها التي قادت إلى نتائج رفيعة وعواقب سعيدة، أعلاها لقاء الله على رضا منه، وهو غاية كلّ مخلوق.

مصادر البحث ومراجعته:

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم، ١٤٢٦هـ.
٢. الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر ت ٧٣٩هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط ٣، (د.ت).
٣. بحار الأنوار: محمد تقي المجلسي (ت: ١٠٧٠هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
٤. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان النحوي (محمد بن يوسف بن علي ت ٥٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٥. التبيان في تفسير القرآن: الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن ت ٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٦. التحرير والتنوير: ابن عاشور (محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٧. درج الدرر في تفسير الآي والسور: عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت ٤٧١هـ)، تحقيق طلعت صلاح الفرحان، ط ١، دار الفكر، الأردن، ٢٠٠٩م.

٨. دلائل الإعجاز: الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط ٣، ١٩٩٢م.

٩. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري (محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧م.

١٠. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ)، دار الفكر - ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٦م.

١١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد ت ٧١٠هـ)، تحقيق يوسف علي بديوي، ط ١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٩٩٨م.

١٢. معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق الزجاج (إبراهيم بن السري بن سهل ت ٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبدة شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

١٣. مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري (ت: ١٤١٤هـ)، دار التفسير، قم، ٢٠٠٧م.

١٤. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، ط ١، منشورات مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧م.

١٥. نور الثقلين الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي: تحقيق علي عاشور، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م.

نهضة الإمام الحسين عليه السلام امتداد لرسالة جدّه الإصلاحية

الأستاذ الدكتور خليل خلف بشير

جامعة البصرة - كلية الآداب

المدرس المساعد ستار جليل عجيل -

المديرية العامة للتربية في ذي قار

الملخص:

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام استشهد في سبيل الرسالة المحمدية، ولاسيما أنَّه قد أرخص نفسه لصيانة الدين الإسلامي الأصيل الذي بشر به جدُّه، فولد الموضوع الموسوم (نهضة الإمام الحسين امتداد لرسالة جدِّه) من رحم الفكرة آنفة الذكر، وقد قسّمنا الموضوع على عنوانات فرعية هي: ملامح نهضة الحسين عليه السلام في خطابه، وعاشوراء من أيام الله، وأهداف النهضة الحسينية.

إنَّ للإمام الحسين عليه السلام موقعاً رسالياً في صميم حركة الأنبياء والأولياء تميّز به عن سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجعل منه حقيقة خالدة وضميراً حياً لكلّ مظلوم، وصرخة حق تدوي في وجه الظالمين إلى يوم الدين، وتدل الروايات التي تنقلها لنا أمهات الكتب الحديثية والفرق الإسلامية في حق الإمام الحسين على أنَّ هناك دوراً رسالياً ومقاماً إلهياً خاصاً أرادَه الله سبحانه وتعالى ورسوله الصادق الأمين لهذا الإمام الوتر؛ لكي يكون ثار الله القائم حتى يرث الأرض عباد الله الصالحون، وبه عليه السلام وبنهضته المباركة تتكامل شروط الوعي العقائدي للأمة الإسلامية، وسيتعاضم اندكاكها بالرسالة؛ لتنتقل تحت ولايتهم بإرادة صعبة ثائرة وبعزم أولي العزم نحو إعلاء كلمة الله في الأرض؛ ليكون الدين كله لله وحده لا شريك له.

ويبدو أنَّ المراد من أيام الله في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إبراهيم / ٥، أيام خاصة، ونسبة هذه الأيام له تعالى مع كون جميع الأيام والأشياء له ليست إلا لظهور أمره فيها ظهوراً لا يبقى معه لغيره ظهور في الأزمنة والظروف التي ظهرت أو سيظهر أمر الله فيها وآيات وحدانيته كيوم الموت ويوم القيامة وكالأيام التي أهلك فيها قوم نوح وعاد وثور أو أيام ظهرت فيها النعم الإلهية ظهوراً ليس فيه لغيره تعالى صنع كيوم خروج نوح وأصحابه من السفينة بسلام، ويوم إنجاء إبراهيم من النار.

الكلمات المفتاحية: نهضة الإمام الحسين عليه السلام، امتداد لرسالة جدّه الإصلاحية

2- Summary:

Imam Al-Hussein (PBUH) had been killed (Martyred) for prophet Mohammad's message as he cheapened himself (his life) for maintaining the authentic Islamic religion preached by his grandfather, so this research was written for: "Imam Al-Hussein's renaissance as an extension of his grandfather's message" from what has been said above. and we divided the subject into parts which are: the shapes of Imam Hussain's Renaissance in his speech, Ashuraa is one of Allah's days and the goals of the Imam Hussain Renaissance.

Imam Hussain has a positional message in the deep of the prophets' place that distinguishes him from other Ahlulbayet Imams, made him a timeless truth and a living conscience of all the oppressed, and a voice for the right stands against injustice until doomsday.

The novels conveyed to us by the reliable books (historically) of Hadiths and Islamic branches of Imam Hussain that there is a special apostolic and divine's role that Almighty Allah and His faithful Messenger wanted him for.

To be the standing revenge of Allah until the righteous worshippers of Allah inherit the earth, with him, and his blessed renaissance, the conditions of awareness jurisprudence for the Islamic nation and it will be so merged with the message; To proceed under their rule with a strong determination, by the believers' men to strengthen Allah's word on earth; and the whole religion will be for Almighty Allah only.

It seems that what is meant by Allah's days as Allah says in Quran:

"(5)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

(And We Certainly sent Moses with Our signs, [saying], "Bring out your people from darkneses into the light and remind them of the days of Allah." Indeed in that are signs for everyone patient and grateful.).

These are special days, and these days were attributed to Allah; as he rules everything, and all days and matters belong to him, as his divine role of immortality and timelessness in the whole created discovered, and non-discovered Universes and beyond everything, and these days are the death day, doomsday, and the days when the people of Noah, A 'ad, And Thamood have been destroyed, or days that shown up, divine blessings that never happened before, as when Allah saved Noah and his followers from the flood, and the day when Allah preserved Ibrahim from the fire.

مقدمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد: فإنَّ الإمام الحسين عليه السلام استشهد في سبيل الرسالة المحمدية ولاسيما أنه قد أرخص نفسه لصيانة الدين الإسلامي الأصيل الذي جاء به جدّه فولد الموضوع الموسوم (نهضة الإمام الحسين امتداد لرسالة جده) من رحم الفكرة آنفة الذكر، وقد قسّمنا الموضوع على عنوانات فرعية هي: ملامح نهضة الحسين عليه السلام في خطابه، وعاشوراء من أيام الله، وأهداف النهضة الحسينية. وختمنا البحث بخاتمة وضعنا فيها أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

ملامح نهضة الحسين عليه السلام في خطابه:

إنَّ للإمام الحسين عليه السلام موقعاً رسالياً في صميم حركة الأنبياء والأولياء تميّز به عن سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجعل منه حقيقة خالدة وضميراً حياً لكل مظلوم، وصرخة حق تدوي في وجوه الظالمين إلى يوم الدين، وتدلُّ الروايات التي تنقلها لنا أمهات الكتب الحديثية والفرق الإسلامية في حق الإمام الحسين على أنَّ هناك دوراً رسالياً ومقاماً إلهياً خاصاً أَرادَه الله سبحانه وتعالى ورسوله الصادق الأمين لهذا الإمام الوتر؛ لكي يكون ثار الله القائم حتى يرث الأرض عباد الله الصالحون، وبه عليه السلام وبنهضته المباركة تتكامل شروط الوعي العقائدي للأمة الإسلامية، وسيتعاضم اندكاكها بالرسالة لتنتقل تحت ولايتهم بإرادة صعبة ثائرة وبعزم أولي العزم نحو إعلاء كلمة الله في الأرض ليكون الدين كله لله وحده لا شريك له. وفي ذلك يقول السيد هاشم الحسيني: «لقد كان الحسين الوارث الوحيد لتلك الثورة التي فجرها جده الرسول الأعظم على الجاهلية الرعناء والعنصرية والوثنية لإنقاذ المستضعفين في الأرض من الظلم والتسلط

والاستعباد، وواصلها أبوه وأخوه من قبله، وكان دوره القيادي للسير بها على خطا جده وأبيه سنة ستين للهجرة حيث الأمة كانت بانتظار من ينهض بأعبائها، ويكون الحارس الأمين المسؤول عنها بعد أن أخذت دعائمها تنهار وتتقوض تحت ضربات بني أمية وأعدائهم، وجميع معطياتها التي انطلقت قبل خمسين عامًا أو أكثر قد صادرها الأمويون وأعدائهم، والكتاب الكريم رفع على حراهم وحراب جلاديههم، والفكر العقائدي الذي جاء به الإسلام ليبيني العقول والقلوب خضع لتوجيه السلطات الحاكمة، وسيوف المجاهدين انتقلت إلى الجلاوزة والجلادين للتنكيل بالصلحاء والأبرياء، والصدقات والغنائم التي كانت تصل إلى مسجد الرسول وتذهب منه إلى بيوت الفقراء والمساكين أصبحت تنتقل إلى قصر الخضراء لشراء الضمائر^١. ونلمس هذه الحقيقة التي جسدها الإمام الحسين عليه السلام لأجيال الأمة على مدى الدهر في شعارات ثورته ومنطلقات نهضته الإلهية فهو القائل:

- «... وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين...»^٢.

- ثم قال: «أيها الناس! إن رسول الله عليه السلام قال: من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله»^٣.

- «ألا وإن الدّعي بن الدّعي قد ركز بين اثنتين بين الدّلة والسّلة، هيهات منّا الدّلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تُؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحفٌ بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر»^٤.

- «والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرُّ لكم إقرار العبيد، ثم نادى: يا عبادَ الله إنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تُرْجَمُونَ، وأعوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ»^٥.

فلا عجب إن عُدَّت نهضة الإمام الحسين عليه السلام «المثل الأعلى بين أخواتها في التاريخ وحازت شهرة وأهميّة عظيمتين، فإنّ الناهض بها الحسين رمز الحق ومثال الفضيلة، وشأن الحق أن يستمر، وشأن الفضيلة أن تشتهر. وقد طبع آل علي عليه السلام على الصدق حتى كأنهم لا يعرفون غيره، وفطروا على الحق فلا يتخطونه قيد شعرة»^٦.

لقد تحدّث الإمام الحسين عليه السلام معهم بأسلوب الثورة، وفي كلامه كثير من التقرّيع، والتوبيخ؛ لأنّهم خذلوه بعد أن استنصروه بكتبهم لتغيير الواقع الذي يعيشون، وبعد ما ملّوا ظلم الأمويين واضطهادهم فكان الإمام الحسين عليه السلام هو الوحيد القادر على تغيير هذا الواقع الفاسد إذ يقول عليه السلام: «تبّاً لكم أيّها الجماعة وترحاً أ حين استصخرتمونا والهين فأصرخناكم موجفين سلّتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم وحششتم علينا ناراً قدحناها على عدوكم وعدونا فأصبحتم إلّبا على أوليائكم ويدا عليهم لأعدائكم بغير عدل أفسوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم إلّا الحرام من الدنيا أنالوكم وخسيس عيش طمعتم فيه من غير حدث منا ولا رأي تفيل لنا فهلا لكم الويلات إذ كرهتمونا وتركتمونا تجهزتموها والسيف مشيم والجأش طامن والرأي لما يستحصف ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا وتداعيتم إليها كتداعي الفراش فسحقا لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ونفثة الشيطان وعصبة الآثام ومحرفي الكتاب ومطفئي السنن وقتلة أولاد الأنبياء ومبيدي عترة الأوصياء وملحقي العهار بالنسب ومؤذي المؤمنين وصراخ أئمة المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين ولبس ما قدمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون وأنتم ابن حرب وأشياعه تعضدون وعنا تحاذلون أجل والله الخذل فيكم معروف وشجت عليه أصولكم وتازرت عليه فروعكم وثبتت عليه قلوبكم وغشيت

صدوركم فكنتم أخبث ثمر شجي للناظر واكله للغاصب الا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً»^٧.

وعليه فهضة الحسين عليه السلام لا تقاس بمقياس مادي أو عقلي أو مقياس نتائج التجربة بل هي ثورة وفضة شاملة تتضمن أبعاداً عقائدية وروحية واجتماعية وسياسية وتاريخية، وأبعاداً نفسية وديوية وأخروية، وتتجاوز أبعادها الإطار الإنساني الفطري، وتتحرق محددات الزمن، وتربط الماضي بالحاضر والمستقبل لذا يترجع الإمام الحسين عليه السلام على قمة هرم الحضارة الإنسانية، وعلى السطح وبين الشقوق يجثم السقوط بشقيه المادي والدوني فسحقاً لمن رضي بالذل! أما الدونية فتتمثل في أولئك الذين قال عنهم ربنا عز وجل ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾^٨ وهم الذين صمتوا حتى قُتل الإمام الحسين عليه السلام حتى إذا جيء برأسه الطاهر ووضِع بين يدي ابن زياد وأخذ يعث به قال قائلهم: «ملك عبد حرا، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة حتى يقتل خياركم ويستعبد أشراركم، رضيتم بالذل فبعدا لمن رضي»^٩، وأما المادية فتتمثل في هؤلاء ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾^{١٠}، وكانت السلطة والمال أكبر همهم وهدفهم الذين لا يبغون عنه حولاً، وعلى قمة البشرية يوجد أولئك الذين عاشوا وما زالوا يعيشون بين الشهادة والشهود إنهم محمد وآل محمد، ويحيط بهم من يحبهم ويخلص لهم قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^{١١} فيقف الحسين عليه السلام قبيل توجهه للشهادة في ساحة الشهود ليدعو قائلًا: «إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك، وإن عصيتك، كما أن خوفي لا يزايلني وإن أطعتك فقد دفعتني العوالم إليك، وقد أوقعني علمي بكرمك عليك، إلهي كيف أخيب وأنت أملئ، أم كيف أهانُ وعليك متكلي، إلهي كيف استعز وفي الذلة أركزني أم كيف لا استعز وإليك نسبتي، إلهي كيف لا أفتر وأنت الذي في الفقراء أقممتني أم كيف أفتر وأنت الذي بجودك أغنيتني، وأنت الذي لا إله غيرك تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء،

وأنت الذي تعرفت إليّ في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء وأنت الظاهر لكل شيء، يا من استوى برحمانيته فصار العرش غيباً في ذاته محقت الآثار بالآثار، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار، يا من احتجب في - سرادقات عرشه عن أن تدركه الأبصار، يا من تجلّى بكمال بهائه فتحققت عظمته من الاستواء كيف تخفى وأنت الظاهر، أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر إنك على كل شيء قدير»^{١٢} ثم يأتي عالم الشهادة عند تحرك الحسين نحو ساحة المواجهة ومن ثم الشهادة منطلقاً من تكامل الوعي الإنساني مع الإرادة الإلهية تحقيقاً لكرامة الإنسان. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^{١٣}، وقال تعالى أيضاً ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^{١٤}، وهو نفس التكامل الذي ظهر واضحاً في الخطاب السياسي لأبي عبد الله عشيّة توجه نحو ساحة المواجهة المفروضة والمقدرة سلفاً، ولقد جاء هذا التحرك الاستشهادي في مقابل سياسة تزييف الوعي القائم على قلب الحقائق ومخاطبة الجماهير بشعارات مبهمّة تتحدث عن الاستقرار ووآد الفتنة من أجل التغطية والتعمية على مظالمها واستبدالها واستئثارها بالسلطة وإمعانها في انتهاك كرامة الإنسان عماد قوتها ومنبع وجودها وفشلها في تلبية احتياجات الأمة الإستراتيجية والأساسية ذلك الفشل الذي ظهرت معالمه واضحة جلية في الأزمة الراهنة التي يواجهها الإسلام والمسلمون التي جاءت نتيجة تراكمات الماضي القريب والبعيد وعجز الأمة عن التحرك نحو الإصلاح حيث كان النظام الأموي أنموذجاً واضحاً لكل هذه العورات والسيئات التي تراكمت حتى حوّلت الأمة إلى مسخ شائه يعجز حتى عن الدفاع عن الكرامة في أبسط صورها وأشكالها فما بالك بحقيقتها من هنا جاءت هذه الكلمات، وجاء هذا الخطاب الذي يبين الحقائق للناس لعلهم يتنبهون قبل أن يصل الحال إلى ما هو عليه الآن، وما أقرب الليلة بالبارحة!^{١٥}.

قلة هم أولئك الذين يتسنّمون قمم الخلود والسمو والعظمة، وقلة هم أولئك الذين يفصلون عن آخر الزمان والمكان؛ ليكونوا ملكًا للحياة والإنسان أولئك القلة هم عظماء الحياة، وأبطال الإنسانية، ولذلك تبقى مسيرة الحياة، ومسيرة الإنسان، مشدودة الخطى نحوهم، وما أروع الشموخ والسمو والعظمة، إذا كان شموخًا وسموًا وعظمة، صنعه إيمان بالله، وصاغته عقيدة السماء من هنا كان الخلود حقيقة حية لرسالات السماء، ولرسل السماء، ورجالات المبدأ والعقيدة... وفي دنيا الإسلام، تاريخ مشرق نابض بالخلود... وفي دنيا الإسلام قمم من رجال صنعوا العظمة في تاريخ الإنسانية، وسكبوا النور في دروب البشرية، وإذا كان للتاريخ أن يقف وقفة إجلال أمام أروع أمثلة للشموخ... وإذا كان للدنيا أن تكبر لأروع تضحية سجلها تاريخ الفداء فالفكر يتعثر وينهزم، واليراع يتلكأ ويقف أمام إنسان فذّ كبير كالإمام الحسين، وأمام وجود هائل من التألّق والإشراق، كوجود الحسين... وأمام إيمان حي نابض، كإيمان الحسين... وأمام سمو شامخ عملاق كسمو الحسين... وأمام حياة زاهرة بالفيض والعطاء كحياة الحسين. إننا لا يمكن أن نلج آفاق العظمة عند الإمام الحسين، إلا بمقدار ما نملك من بعد في القصور، وانكشاف في الرؤية، وسمو في الروح والذات... فكلما تصاعدت هذه الأبعاد، واتسعت هذه الأطر، كلما كان الانفتاح على آفاق العظمة في حياة الإمام الحسين أكثر وضوحًا، وأبعد عمقًا... فلا يمكن أن نعيش العطاء الحي لفيوضات الحسين، ولا يمكن أن تغمرنا العبقات النديّة، والأشداء الرويّة، لنسمات الحياة تنساب من أفق الحسين، ولا يمكن أن تجلّنا إشراقات الطهر، تنسكب من أقباس الحسين.. إلا إذا حطمت عقولنا أسوار الانفلاق على النفس، وانفلتت من أسر الرؤى الضيقة، وتسامت أرواحنا إلى عوالم النبل والفضيلة، وتعالّت على الحياة المثقلة بأوضار الفهم المادي الزائف، وعند ذلك تتجلى الرؤية، وتسمو النظرة، ويفيض العطاء، فأعظم بإنسان.. جدّه محمد سيد المرسلين، وأبوه علي بطل الإسلام الخالد، وسيد الأوصياء،

وأمه الزهراء فاطمة سيدة نساء العالمين، وأخوه السبط الحسن ریحانة الرسول، نسب مشرق وضاء بيت زكي ظهور^{١٦}. قال هاشم الحسيني: «إن ثورة الحسين كانت الوهج الساطع الذي أضاء المسالك لمن أراد المسيرة بالإسلام في طريقها الصحيح والمرأة الصافية للتخلص من الحاضر الذي كانت تعيشه الأمة ومن واقعها الذي كانت ترسف في أغلاله، ومن اجل ذلك فقد دخلت في أعماقهم جيلاً بعد جيل وستبقى خالدة خلود قادتها تستمد بقاءها وخلودها من إخلاص قادتها وتفانيهم في سبيل الإسلام والمثل العليا ما دام التاريخ»^{١٧} فالمتتبع لفصول النهضة الحسينية من بداية انطلاقها وتحركها من المدينة المنورة بعد موت معاوية، ومروراً بمكة، وانتهاء بكرلاء يجدها نهضة شاملة ذات نظرة بعيدة وأفق واسع وأهداف متعددة الأبعاد والأغراض والغايات الاجتماعية والدينية والأخلاقية والسياسية حارت في كنهها ألباب المفكرين، وعقول الألمعيين، وقد سعى الإمام الحسين عليه السلام الى تحقيق أهداف نهضته عن طريق اصلاح ما أفسده غيره، وإعادة الأمة الى رشدها ووضعها على جادة الصواب من خلال السيطرة على أجهزة الدولة ومفاصلها واستغلالها في سبيل أسلمة المجتمع بعد أن فقد هويته الإسلامية الحقيقية، ولم يكن الحصول على السلطة غاية الإمام بل كان وسيلة وطريقاً لتحقيق أهداف نهضته الكبرى^{١٨} فهو القائل: «قد علمتم أن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفئ، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإني أحقُّ بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم، أنكم لا تسلموني ولا تحذلوني، فإن فیتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظكم ورشدكم، ونفسي مع أنفسكم، وأهلي وولدي مع أهاليكم وأولادكم، فلکم بي أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتكم، فلعمري ما هي منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني

الله عنكم والسلام»^{١٩} فنهضته لا تقاس بمقياس مادي أو عقلي بل هي ثورة ونهضة شاملة تتضمن أبعاداً عقائدية ونفسية وروحية واجتماعية وسياسية وتاريخية ودينية وأخروية، وتتجاوز الإطار الإسلامي لتصل الى الإطار الإنساني الفطري، وتخرق محددات الزمن، وتربط الماضي بالحاضر والمستقبل^{٢٠}، ولم يشهر سيفه طلباً لجاه أو طمعاً بسلطان؛ لأنه غني بنفسه عن كل جاه زائف أو سلطان زائل فقد خصه الله تعالى بأرفع مقام وحباه أعلى منزلة^{٢١} على أنه عليه السلام أقدم على نهضته عالماً بمصيره ومأموراً بها، وأن الله تعالى راض عن نهضته^{٢٢} كما يتبين من خطبته في مكة في قوله: «خُطَّ الموت على ولدِ آدمَ مَحَطَّ القلادةِ على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرعُ أنا لاقيه، كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكر بلا، فيملآن مني أكراشا جوفاً وأجربة سغباً لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبرُ على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشدَّ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعةٌ له في حظيرة القدس تقربهم عينه، وتنجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنِّي راحلٌ مصباحاً إن شاء الله»^{٢٣}.

وكان لحركة الإمام ونهضته دور كبير في حركة الأمة بالاتجاه الصحيح؛ إذ بعد عام من ثورته أن المدينة المنورة ثارت على يزيد، وطردت واليه وجميع الأمويين مما اضطروا إلى اللجوء إلى الإمام زين العابدين عليه السلام لحمايتهم، ولا يتمكن أن يصنع يزيد شيئاً أمام الثورة، وفي السنة الثانية تارت مكة على يزيد فيقوم الأخير بعمل وحشي هو هدم الكعبة بعد محاصرتها مدة من الزمن، وتوالى الثورات حتى ظهرت ثورة التوابين التي تمكنت من زعزعة الجيش الأموي وطرده من الكوفة ثم تلتها ثورة المختار الثقفي التي أخذت على عاتقها تصفية الكوفة من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، وقد استمر هذا التحرك والرفض في الأمة حتى تمت الإطاحة بالحكم الأموي بعد عدة عقود من الزمن، وقد وصل وعي الأمة ويقظة الضمير فيها وقوة الإرادة لديها الى درجة لم تسمح بقيام الحكم القيصري أو

الكسروي مهما تجبر الحاكم واستهتر إذ كان يُواجه في الحالات كلها بالرفض والمطالبة بتطبيق حكم الإسلام وتحقيق العدل في صفوفها^{٢٤}.

عاشوراء من أيام الله سبحانه:

يبدو أن المراد من أيام الله في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^{٢٥}، أيام خاصة، ونسبة هذه الأيام له تعالى مع كون جميع الأيام والأشياء له ليست إلا لظهور أمره فيها ظهوراً لا يبقى معه لغيره ظهور في الأزمنة والظروف التي ظهرت أو سيظهر أمر الله فيها وآيات وحدانيته كيوم الموت ويوم القيامة وكالأيام التي أهلك فيها قوم نوح وعاد وشمود أو أيام ظهرت فيها النعم الإلهية ظهوراً ليس فيه لغيره تعالى صنع كيوم خروج نوح وأصحابه من السفينة بسلام، ويوم إنجاء إبراهيم من النار^{٢٦}.

ولعل إضافة (أيام) إلى لفظ الجلالة أكسبتها قدسية وشفراً من قدسية الجليل وشفرفه، ولما كانت هذه الأيام وما تزال مسرحاً للامتحانات الإلهية الكبرى لكافة الناس الذين أحاطوا بتلك الأحداث الكبرى علماً فإن عاشوراء من أيام الله^{٢٧}. روي أن المهاجر بن أوس قال مخاطباً الحر الرياحي: «والله إن أمرك لمريب ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فقال: والله إني أخير نفسي بين الجنة والنار فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وأحرقت، ثم ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه، وهو يقول اللهم إليك أنبت فتب عليّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك، فقال للحسين عليه السلام: جعلت فداك أنا صاحبك الذي حبسك عن الرجوع وجعجعت بك وما ظننت أن القوم يبلغون منك ما أرى وأنا تائب إلى الله تعالى فهل ترى لي من توبة؟ فقال الحسين عليه السلام نعم يتوب الله عليك»^{٢٨} فيوم عاشوراء وزيارة الأربعين امتحانان إلهيان عظيمان إلى يومنا هذا فكم من مهتدٍ في طريق الحسين عليه السلام فضضية

الإمام الحسين أطروحة إلهية غيبية ليست بلحاظ تاريخ الأمة الإسلامية فحسب، وإنما بلحاظ تاريخ الإنسانية كلها فما أشبهها بالأطروحة المهدوية التي تختم التاريخ الإنساني بحكومة العدل الإلهي بملء الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملأت ظلماً وجوراً^{٢٩}.

أهداف النهضة الحسينية:

١- تحويل الموقف النظري إلى موقف عملي: يهدف الإمام الحسين في نهضته ترجمة مواقفه النظرية الى مواقف عملية تجاه يزيد، وتتجسد مواقفه النظرية في كون يزيد خليفة غير شرعي وغير مؤهل للخلافة؛ لأنه فاجر فاسق يلعب بالكلاب والخنازير والقردة، ويشرب الخمر علناً فضلاً عن فرض معاوية خلافته على المسلمين بالقوة والإجبار مع رفضهم واستنكارهم لها^{٣٠}، وهذه الحقائق التي يعرفها كل الناس قد ألمح إليها الإمام الحسين عليه السلام في قوله: «إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبننا ختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة ومثلي لا يبايع مثله»^{٣١}، لذا أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يجوّل هذا الفهم النظري للموقف من خلافة يزيد إلى موقف عملي ووظيفة شرعية، ولا يصلح لهذه المهمة إلا الإمام الحسين عليه السلام لما يتمتع به من مواصفات فريدة في عقول الناس وتاريخهم ووجدانهم ومشاعرهم^{٣٢}، وقد أتت النهضة الحسينية أكلها في إسقاط الشرعية عن بني أمية فبعد هلاك يزيد سنة ٦٤ هـ واستخلاف ابنه معاوية الثاني قام الأخير خطيباً مبيناً عدم شرعية خلافة بني أمية^{٣٣} قائلاً: «أمّا بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس ! فإنّا بُلينا بكم وبُليتم بنا، فما نجهل كراحتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وإنّ جدّي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول الله، وأحقّ في الإسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عمّ رسول ربّ العالمين، وأبا بقيّة خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلمون وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيته وصار رهناً بعمله، ثم قلّد أبي وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطاه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلّت

منعته، وانقطعت مدّته، وصار في حفرتة، رهناً بذنبه، وأسيرًا بجرمه»^{٣٤}.

٢- تحويل الإدراك العقلي إلى إدراك وجداني: لم يكتفِ الإمام الحسين عليه السلام بتثبيت الموقف الشرعي وإيضاحه عملياً بوساطة موقفه الجهادي، فقد حرص أن يحول الإدراك العقلي للأمة تجاه حكم يزيد وطغيانه إلى موقف وجداني يتسم بالشعور بالمسؤولية بنقل الصورة من العقل والذهن إلى القلب والوجدان، فضمائر الناس كانت مخدرة قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام؛ لكن بعد استشهاداه تحركت الضمائر تجاه الظاهرة اليزيدية فقد وضعهم الإمام أمام ملحمته التاريخية المأسوية من أجل كشف الحقيقة كشفاً وجدانياً فقد ثارت على يزيد بعد استشهاد الإمام ثورات عدة منها ثورة المدينة (واقعة الحرة)، وثورة التوابين، وثورة المختار، وغيرها، وبقيت ثورة الحسين ونهضته مشعلاً تحرك الضمائر في كل زمان ومكان^{٣٥}.

٣- حفظ الخط الإسلامي الأصيل من الانحراف: لم تكن نهضته عليه السلام بسبب خصومة أو عداوة بينه وبين يزيد بل كانت حرب القيم والمثل بين فكرين أو عقيدتين بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم فكان الحسين يمثل الحق والعدل والقيم والمثل، وكان يزيد يمثل الباطل والظلم وأخلاق الجاهلية^{٣٦}، فقد كان الإسلام زمن معاوية ثم يزيد مهدداً بالتغيير والتحريف كما حُرّفت ديانات سماوية أخرى، ولما كان الإسلام دين الحق فلا بدّ أن يبقى، ولاسيّما أنّ الله تعالى قد وعد ببقائه وحفظه في قوله ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^{٣٧}، وكان لأهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أثر كبير في المحافظة على الإسلام، ومن ذلك دم الحسين الذي بذله في سبيل ذلك، وبقي نوراً وهداياً للمسلمين^{٣٨}، وقد عبّر الإمام الحسين عليه السلام عن ذلك في مواقف كثيرة في واقعة الطف، ومنها عند استشهاد الطفل الرضيع إذ رفع الإمام يديه وكانت مملوئتين من ذلك الدم الطاهر، فرمى به نحو السماء فلم تسقط منه قطرة واحدة إلى الأرض، وأخذ يرمي به نحو السماء وهو يقول: اللهم تقبل منا قربان آل محمد^{٣٩} ثم أخذ يناجي

ربّه قائلاً: «هوّن ما نزل بي أنه بعين الله تعالى. اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة في الآجل...»^{٤١}. فقد كانت نهضة الحسين عليه السلام نذيراً لما بلغ إليه التحريف، وتنبهها إلى ضرورة العمل لإصلاح الوضع آنذاك والرجوع به إلى طابع الإسلام المحمدي الأصيل لا الإسلام الأموي المحرّف، فمذ أريق الدم الزكي على أديم كربلاء استيقظ الناس من غفلتهم ودبّ الوعي وارتفع لواء الإسلام خفاً^{٤٢}. فمن غير الحسين، وهو ربيب النبوة، يفكر بالإصلاح والتضحية؛ لإنقاذ الإسلام من محتته فقد أقام الدنيا وأقعدا جده المصطفى صلّى الله عليه وآله لبناء صرح الإسلام، وكذا أبوه الوصي والساعد الأيمن لتوطيد ذلك ثم أخوه المجتبي ومعز المسلمين ثم هو الذي كانت صرخته مدوية في دنيا الإسلام الملتوية كما كانت صرخة جده الأولى في دنيا الشرك والأباطيل فكانت صرخة الحسين امتداداً لصرخة جده الصادق الأمين^{٤٣}.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة البحثية تبين لنا أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام نهضة فريدة من نوعها قد هزّت الشعوب والأمم فكل الثورات التي جاءت بعدها في كل زمان ومكان، قد تأثرت بها واقتبست من أنوارها، ولما كان الإمام الحسين امتداداً للرسول صلّى الله عليه وآله لقوله (حسين مني وأنا من حسين) فنهضته امتداد لنهضة النبي الأكرم الذي دعا الإنسانية إلى الخير العميم، ونمّى الأفكار والعقول بالعلوم والمعارف، وحررها من الجهل والخرافات، وكذا دعا إلى بسط الأمن والرخاء بين جميع الشعوب فتتعاون على البر والتقوى ولا تتعاون على الإثم والعدوان فجاء ربيب النبي والوصي وتلميذهما ليكمل هذه الرسالة بعد محاولة طمسها من لدن بني أمية لاسيما على يد معاوية ثم ابنه يزيد الخليفة. قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ التوبة/ (٣٢).

الهوامش:

١. من وحي الثورة الحسينية / هاشم الحسيني ٢٢.
٢. بحار الأنوار / العلامة المجلسي ٤٤ / ٣٣٠.
٣. كلمات الإمام الحسين عليه السلام / الشيخ الشريفي ١ / ٣٥٨، ٣٧٥.
٤. اللهوف في قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس ٥٩.
٥. بحار الأنوار ٤٥ / ٧.
٦. نهضة الحسين / هبة الدين الحسيني الشهرستاني ٤٥.
٧. أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين ١ / ٦٠٣.
٨. سورة البقرة / الآية ٦١.
٩. بحار الأنوار ٤٥ / ١١٧.
١٠. سورة الأنعام / الآية ٧٠.
١١. سورة الأنبياء / الآية ١٠١.
١٢. بحار الأنوار ٩٥ / ٢٢٧.
١٣. سورة الإسراء / الآية ٧٠.
١٤. سورة المطففين / الآيات ١٨-٢١.
- ١٥ ينظر: الإمام الحسين على قمة هرم الحضارة الإنسانية / د. أحمد راسم النفيس، الأستاذ بكلية الطب - جامعة المنصورة، مصر، بحث، دراسات وبحوث مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام، القسم الثالث، سوريا، محرم الحرام ١٤٢٤هـ. ق - ١٣٨١هـ. ش، ص ٢٦٣-٢٧٥.

١٦ ينظر: نبذة عن حياة الإمام الحسين عليه السلام - منتدى الزهراء.

١٧. من وحي الثورة الحسينية ٩.

١٨ ينظر: النهضة الحسينية بين انتكاسة الأمة وإيقاظها، بحث، د. السيد حاتم البخاتي، مجلة الإصلاح الحسيني، مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، النجف الأشرف، قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية، ع ٣، س ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص ٥٠-٥٣.

١٩ ينظر: العوالم، الإمام الحسين / الشيخ عبد الله البحراني ٢٣٣.

٢٠ ينظر: أبعاد المنهج العلمي في دراسة نهضة الإمام الحسين عليه السلام، د. ياسر محمد الصالح ود. سامي ناصر خليفة، بحث، دراسات وبحوث مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام، القسم الثالث، سوريا، محرم الحرام ١٤٢٤هـ. ق - ١٣٨١هـ. ش، ص ٢٥٨.

٢١ ينظر: مقالات في الإمام الحسين، إعداد عبد السادة محمد الحداد، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية، لمحات من نهضة الحسين عليه السلام، السيد محمد هادي الصدر، ص ٦٨١.

٢٢ ينظر: فاجعة الطف - أبعادها. ثمراتها. توقيتها / السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (دام ظلّه) ٢٦-٢٧.

٢٣. بحار الأنوار ٤٤ / ٣٦٧.

٢٤ ينظر: الإمام الحسين / شهيد المحراب آية الله العظمى السيد محمد باقر (قدس سره) ١٠٣.

٢٥. سورة إبراهيم / الآية ٥

٢٦ ينظر: الميزان في تفسير القرآن / السيد محمد حسين الطباطبائي ١٢ / ١٧.

٢٧ ينظر: شرعية وقديسية ومحورية النهضة الحسينية / آية الله السيد مرتضى

الشيرازي ٣٩-٤٥

٢٨. اللهوف في قتلى الطفوف ٦٢.

٢٩ ينظر: الإمام الحسين ٢٨٩.

٣٠ ينظر: المصدر نفسه ٨٩.

٣١. أعيان الشيعة ١ / ٥٨١.

٣٢ ينظر: الإمام الحسين ٩١.

٣٣ ينظر: النهضة الحسينية بين انتكاسة الأمة وإيقاظها ٦٧.

٣٤. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ / محمد

الريشهري ٤٥٢.

٣٥ ينظر: الإمام الحسين ٩٣-٩٥.

٣٦ ينظر: القيم الإسلامية والإنسانية في نهضة الحسين، بحث، د. بلاسم عزيز

شبيب، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، ٨٤، السنة

الرابعة، ٢٠١٣ م. ص ٢٨٥.

٣٧. سورة الحجر / الآية ٩.

٣٨ ينظر: الإمام الحسين ٩٥-٩٧.

٣٩ ينظر: من أخلاق الإمام الحسين / عبد العظيم المهدي البحراني ٢٤٤، ولقد

شيعني الحسين / إدريس الحسيني المغربي ٣٠٩.

٤٠. لقد شيعني الحسين ٣٠٩.

٤١ ينظر: مقالات في الإمام الحسين: شهادة الإمام الحسين في سبيل الإسلام /
لجنة نشرة الذكرى الدينية الثقافية، ص ٣٦.

٤٢ ينظر: مقالات في الإمام الحسين: محمد صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام، السيد جعفر أمير
القزويني، ص ٥١٠.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. الإصلاح الحسيني، مجلة صدرت عن الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية، ع٣، السنة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٢. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تح / حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د.ت).
٣. الإمام الحسين / شهيد المحراب آية الله العظمى السيد محمد باقر (قدس سره)، ط١، مطبعة: العترة الطاهرة، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف، صيف ٢٠٠٨م.
٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ط٢، مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
٥. دراسات وبحوث مؤتمر الإمام الحسين، القسم الثالث، مجموعة من الباحثين، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت، مط: ليل، ١٤٢٦هـ.
٦. شرعية و قدسية ومحورية النهضة الحسينية، آية الله السيد مرتضى الشيرازي، ط١، منشورات أم أبيها الثقافية الخيرية، مطبعة النجف الأشرف - حي عدن، كربلاء المقدسة، محرم الحرام ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٧. العوالم - الإمام الحسين، الشيخ عبد الله البحراني، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط١، المطبعة: أمير - قم، ١٤٠٧ - ١٣٦٥هـ.
٨. - فاجعة الطف - أبعادها. ثمراتها. توقيتها / السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (دام ظله)، ط٢، مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية، النجف الأشرف، شارع الرسول، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٩. القيم الإسلامية والإنسانية في نهضة الحسين، بحث، د. بلاسم عزيز شبيب، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، ٨٤، السنة الرابعة، ٢٠١٣ م.

١٠. كلمات الإمام الحسين، الشيخ الشريفي، إعداد لجنة الحديث: محمود شريفي - سيد حسين زينالي محمود أحمديان، وسيد محمود مدني، معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، منظمة الاعلام الاسلامي، دار المعروف للطباعة والنشر، (د.ت).

١١. اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس، ط١، مط: مهر، أنوار الهدى - قم - إيران، ١٤١٧ هـ.

١٢. مقالات في الإمام الحسين، إعداد عبد السادة محمد الحداد، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية، ط١، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.

١٣. من أخلاق الإمام الحسين، عبد العظيم المهدي البحراني، مط: علمية - قم، انتشارات شريف الرضي، قم، إيران ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤. من وحي الثورة الحسينية، هاشم معروف الحسني، دار القلم، بيروت، لبنان، (د.ت).

١٥. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تح / مركز بحوث دار الحديث وبمساعدة: السيد محمد كاظم الطباطبائي، السيد محمود الطباطبائي نژاد، ط٢، مط: دار الحديث، ١٤٢٥ هـ.

١٦. الميزان في تفسير القرآن / السيد محمد حسين الطباطبائي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٧. نبذة عن حياة الإمام الحسين عليه السلام - منتدى الزهراء.

١٨. نهضة الحسين / هبة الدين الحسيني الشهرستاني، الرابط:

[imhussain.com /... /books /nahthaalhussein /aqaed.](http://imhussain.com/.../books/nahthaalhussein/aqaed)

...-com-book.../index

العربية في رحاب القرآن الكريم - أتى وجاء- أنموذجا
في ضوء العصرنة الاجتماعية

م. د جنان فاضل علي

جامعة المثنى / كلية التربية الأساسية

قسم اللغة العربية

الملخص:

إنَّ القرآن الكريم كتاب سماوي فيه من الأسرار والإعجاز واللطائف والنكت ما لا يخفى على المتدبر والمتعمق في سوره وآياته، معانيه ومبانيه، وجمله وكلماته، ومن إعجازه هداية البشر إلى طلب العلم من مكنوناته، وإنَّ أسباب السعادة في الدنيا الشوق لله تعالى وحب الفناء في مرضاته، واستيلاء حبه تعالى على القلب يتجلى عمليا بالمشاهدة في قراءة كلامه تعالى وتتبع آياته وبيانه وتأويله، ومما لا شك فيه أنَّ أفضل ما يفني الفرد عمره هو كلام الله (عزَّ وجل) نفقهاً وتلاوةً وفهمًا، وكل ما يعين على فهمه وتدبره، وكأنَّ القرآن صبر عن لقاء الله تعالى في الدنيا ونعيم مؤقت يكون مثالا لنعيم الآخرة بالعيش في بحبوبة آياته، وفيه واقية للإنسان تبعده عن كلِّ باطل، وآياته عون على الامتثال لأمره سبحانه، ويعرض هذا البحث بعض من معالم الإيمان وما فيها من النفحات القدسية، بوصفها أحكاماً مدرسة لا تستطيع العقول والإفهام أن تدرك مداها وأبعادها من التشريع المتعلق بها، فمن قدرته سبحانه وعظيم سلطانه استجابة جميع المخلوقات له، وأنَّه تعالى جعل من بين أسباب الإيمان به التفكير بآياته والغوص في أعماق بحار أنواره وما يكمن من أسرار وإعجاز في كلماته والفاظه، ونظمه وأسلوبه، مبانيه ومعانيه.

ومن هنا انصب موضوع البحث (العربية في رحاب القرآن الكريم) - أتى وجاء انموذجا) في معرفة الصور التعبيرية المختلفة، واستنباط المعاني للتعبيرين اللذين قد يردان في القرآن الكريم، على أنَّ هذين التعبيرين قد يفهم انهما بمعنى واحد، وقد قام بمقدمة ومبحثين شملت محاور عدة تكفلت جميعها بإبراز معالم الايمان الالهي والإعجاز البلاغي، والنحوي واللغوي، ومن ثم ختمت الدراسة بما توصلت إليه من نتائج أهمها: الدراسات القرآنية تكشف لنا جملة من الحقائق والقضايا المصرية؛ إذ نجد التعبير (أتى ويأتي) يكتبان مجموعة من الدلالات ضمن السياق الذي يردان فيه، وتتصل هذه الدلالات بعضها ببعض بدلالة مركزية تجمع بين العطاء من جانب والقبول من الآخر.

الكلمات المفتاحية: العربية، القرآن الكريم، أتى وجاء، أنموذجا، العصرنة الاجتماعية

3- Summary:

The Holy Quran is a divine's book in which secrets, miracles, and merciful things are not hidden from the self-possessed in deep reciting & reading in its Surah(s) and verses, meanings, and foundations, its sentences and words, and one of its miracles are leading human beings to seek science and learn from its contents, and the reason for happiness in life is feeling the longing to Allah and loving to die on his love and the connotation of his love in our hearts is practically highly shown up in reading & analyzing his words & verses, Undoubtedly the best thing ever-man can spend his life on is Allah's words, reciting, reading, and understanding its verses carefully & deeply, and every single thing can help in understanding as if the Holy Quran is the patience about meeting Allah in life, and temporary blessing that can be an example of after-life blessings as it mentioned in its verses, and it has a cover that protects the Human being from every sin and its verses represents obeying his orders, and this research addresses some of the faith aspects, including their Holy parts, as its rules represent a school that minds & understandings cannot understand the ranges & dimensions of its divine rules and from his ability and Great Mighty Power, to respond to all creatures' desires & wishes, and he made one of the reasons for believing in him to think about his verses and dive deep into the seas of his lights and what secrets and miracles lie in his words and sentences, his systems, style, and meanings. So this research was addressed (Arabic in the context of the Quran - came & arrived as an example) In the knowledge of the different expressive images and the conceptualization of the two expressions that may appear in the Holy Quran, these expressions may be understood in one sense. So I have made an introduction, and two pieces of research included several aspects which took the responsibility of highlighting all the divine's faith features and rhetorical, grammatical, and linguistic miracles, then the study included the following results: the Quranic studies reveal many facts and crucial issues; thus we find that the word (came & come) write a set of Connotations within the context in which they appear, and These Connotations relate to each other with a central Connotation that combines giving on one side with acceptance on the other.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

أحمد الله تبارك وتعالى على الآئه وأشكره على توفيقه وهدايته، وأصلي وأسلم على أشرف الخلق وسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله، وعلى أهل بيته الطيبين الاطهار (عليهم السلام).

وبعد:

فإنَّ القرآن الكريم كتاب سماوي فيه من الأسرار والإعجاز واللطائف والنكت ما لا يخفى على المتدبر والمتأمل في سورة وآياته، معانيه ومبانيه، وجمله وكلماته، ومن إعجازه هداية البشر الى طلب العلم من مكنوناته، وإنَّ أسباب السعادة في الدنيا الشوق لله تعالى وحبَّ الفناء في مرضاته، واستيلاء حبه تعالى على القلب يتجلى عملياً بالمشاهدة في قراءة كلامه تعالى وتتبع آياته وبيانه وتأويله، ومما لا شك فيه أنَّ أفضل ما يفني الفرد عمره هو كلام الله سبحانه تفقهاً وتلاوةً وفهماً، وكل ما يعين على فهمه وتدبره، وكأنَّ القرآن صبر عن لقاء الله تعالى في الدنيا ونعيم مؤقت يكون مثالا لنعيم الآخرة بالعيش في رحاب آياته، وفيه واقية للإنسان تبعده عن كلِّ باطل، وآياته عون على الامتثال لأمره سبحانه.

يدرس هذا البحث بعض من معالم الإيمان وما فيها من النفحات القدسية، باعتبار أحكامه مدرسة لا تستطيع العقول والأفهام أن تدرك مداها وأبعادها من التشريع المتعلق بها، فمن قدرته سبحانه وعظيم سلطانه استجابة جميع المخلوقات له، وأنَّه تعالى جعل من بين أسباب الايمان به التفكير بآياته والغوص في أعماق بحار أنواره، وما يكمن من أسرار واعجاز في كلماته والفاظه، ونظمه وأسلوبه، مبانيه ومعانيه، فالقرآن الكريم من وجوه إعجازه هو علوه وثباته في كل زمان ومكان، يتحدث إلى الناس حديث من يملك كلَّ شيء يقوم على كلَّ شيء، مما بعث العلماء يجد ويكلِّ في تفسير الآيات وتعدد

أقولهم مع الاقرار بالعجز عن الاحاطة بكنهه وأسراره، كما تتضمن آيات تبعث اللذة والسرور في النفس، ونلاحظ في كل آية دراسات متنوعة، اختلافًا في القوة التي ينطلق منها، اختلافًا فيما يقول به المفسرون من معنى علواً وأسفاً، اختلافًا في الأسلوب قوة وضعفاً، وقد اخترت الفعلين (أتى وجاء) ليكون أنموذجاً تطبيقياً للعربية في رحاب القرآن الكريم، ومما لاشك فيه أن الوجوه الكلامية ليست مجرد استكثار من تعبيرات لا طائل تحتها كما يظن بعضهم، وأن جواز أكثر من وجه تعبيرى ليس معناه أن هذه الأوجه ذات دلالة معنوية واحدة؛ إذ إن كل كلمة في القرآن الكريم مقصودة قصداً، وأنى لك أن تستعمل أيها تشاء كما تشاء، وإنما لكل وجه دلالة تعبيرية بحسب السياق القرآني، فإذا أردت معنى ما لزمك أن تستعمل التعبير الذي يؤديه، ولا يمكن أن يؤدي تعبيران مختلفان معنى واحد، إذ لا بد لكل تعبير من معنى، وإن العدول من تعبير إلى آخر يصحبه عدول من معنى إلى معنى، فالأوجه التعبيرية المتعددة، إنما هي صور لأوجه معنوية عدة.

ومن هنا، انصب موضوع البحث (العربية في رحاب القرآن الكريم - أتى وجاء أنموذجاً - في ضوء العصرية الحديثة) في معرفة الصور التعبيرية المختلفة، واستنباط المعاني للتعبيرين اللذين قد يردان في القرآن الكريم، على أن هذين التعبيرين قد يفهم أهما بمعنى واحد، وقد درس البحث، مقدمة ومبحثين شملت محاور عدة، تكفلت جميعها بإبراز معالم الإيمان الإلهي والإعجاز البلاغي، والنحوي واللغوي، ومن ثم ختمت الدراسة بما توصلت إليه من نتائج أهمها: الدراسات القرآنية تكشف لنا جملة من الحقائق والقضايا المصيرية، إذ نجد التعبير بالفعلين (أتى) و (يأتي) يكشف عن مجموعة من الدلالات ضمن السياق الذي يردان فيه، وتتصل هذه الدلالات بعضها ببعض بدلالة مركزية تجمع بين العطاء من جانب والقبول من الآخر، ويكون في الخير والشر كما ورد في الآيات القرآنية، وإن كان الإتيان فيه معنى القبول والرضا فهو ثابت

في الخير والشر، وكذلك يبدو لنا، وان الانسان المؤمن يزداد وعيا وايمانا وادراكا كلما تأمل ونظر في آيات الذكر الحكيم، بل وازداد علما وتفقهها للحقائق، وحكمة ونضجا في عقله لما يدركه من البحث والاستحصال، فنجد الفرق بين استعمال التعبير (أتى) والتعبير (جاء): ان كانت الأحداث أثقل بالتعبير القرآني كان الاستعمال للتعبير (جاء)، وإن كانت الأحداث أقل ثقلا كان الاستعمال للتعبير (أتى).

المبحث الأول: العربية في رحاب القرآن

مطالعات إحصائية للتعبيرين (أتى) و(جاء) في القرآن الكريم.

إشراقات قرآنية بين التعبيرين (المجيء) و(الإتيان).

في رحاب القرآن الكريم معان وإشارات للفعل (أتى).

نفحات قرآنية للتعبير (أتى) بمعنى (يأتي).

مطالعات إحصائية للتعبيرين (أتى) و(جاء) في القرآن الكريم

إنَّ القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد لجميع العالم، فيه يسمو الإنسان إلى الكمال وتحقيق الغايات والآمال، يضاف إلى ما يحققه من السعادة الدنيوية والأخروية، فكلما تأملت في آياته وسوره زدت علمًا ونورًا، وحقائق عظيمة، ومعارف جمّة، ودلائل لقدرة الله (جل جلاله) في الخلق.

وما لا شك فيه، أنَّ النور القرآني يجري على نسق خاص في أسلوبه، نسق بديع، خارج على المألوف والمعروف من نظم كلام العرب، فالتعبير القرآني يختار أجمل الألفاظ، وأبلغ العبارات، في نسق رفيع النظم من الجمال اللفظي، ورقة الصياغة، وروعة التعبير، مهما تنوعت أبحاثه، وتنوعت موضوعاته، وأنَّ الفاظ القرآن وعباراته مصوغة بشكل غريب، ونسق عجيب، تصلح خطابًا لمختلف المستويات من الناس، يقول الجرجاني: (أعجزتهم مزايا ظهرت لهم من نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري الفاظها ومواقعها...)، والتدبر في آيات الله (سبحانه) عند الذين أتوا نور اليقين، هو ميعاد لقاء نور القلب بنور الرب، وحين يتأمل المؤمن بنور الله في آيات الذكر، فإنَّ حدود المعرفة تصبح مترامية، وهناك يشهد بحقائق الحق، وكأنها لؤلؤة شفافة تغمر قلبه، فيمتلأ القلب بنور اليقين منة من عند الله (جل جلاله) له ومن جملة مصادق العيش في أجواء القرآن تأملنا بإحصائية لما ورد من التعبير (أتى) في القرآن الكريم، اذ وجد ما يقرب (١٥٧) مائة وسبع وخمسين لفظًا، و بـ (٥٤٩) خمسمائة وتسع وأربعين مرة في (٣٢٢) ثلاثمائة واثنين وعشرين لفظة مكية و (٢٢٧) مائتين وسبع وعشرين لفظة مدنية، في (٧٢) اثنين وسبعين سورة، و (٤٩) تسع وأربعين منها مكية، و (٢٣) ثلاث وعشرين مدنية.

أمَّا التعبير بـ(جاء) في القرآن الكريم فقد ورد بـ (٣٤) أربعة وثلاثين لفظًا، وبـ (٢٧٨) مائتين وثمان وسبعين مرة، وبـ (٢٠٣) مائتين وثلاث لفظة مكية وبـ (٧٥) خمس

وسبعين لفظة مدنية، في (٦١) إحدى وستين سورة او ب (٤٢) اثنتين وأربعين سورة مكية، وب (١٩) تسع عشرة سورة مدنية.

إشراقات قرآنية بين التعبيرين (المجيء) و (الآتيان)

يتجلى سمو النور الإلهي في كتابه المجيد بالتأمل بالمفارقات بين التعبيرين المجيء والآتيان؛ إذ إنَّ (المجيء) يستعمل غالباً مع ذوي العقول أو ما ينسب إليهم ويصدر عنهم باختيار، وهذا بخلاف (الآتيان) فإنَّ الغالب فيه استعماله في غير ذوي العقول أو ما يفرض عليه، أما عن جهة التحقير أو بلحاظ نفي النسبة.

ففي النسبة لذوي العقول والاختيار: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾^٢، ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾^٣، و ﴿جَاءَ مُوسَى﴾^٤، و ﴿أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾^٥، وفيما يصدر عنهم بقصد واختيار تنزيلاً لهم منزلتهم: ﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾^٦، و ﴿جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾^٧، ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾^٨، و ﴿جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^٩، وفيما يكون منسوباً لهم في الواقع: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّائِغَةُ﴾^{١٠}، و ﴿جَاءَتِ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾^{١١}، ﴿جَاءَ أَجْلُهَا﴾^{١٢}، ﴿كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾^{١٣}.

وأما الآتيان في استعماله في غير ذوي العقول وفيما يفرض عليه، قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾^{١٤}، و ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضُمِ﴾^{١٥} ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينَ﴾^{١٦}، و ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ﴾^{١٧}، واما باعتبار نفي النسبة او تنزيله منزلة غير ذوي العقول: ﴿فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ﴾^{١٨}، و ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا﴾^{١٩}، و ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ﴾^{٢٠}، و ﴿يَأْتِ بِصِيرًا﴾^{٢١}.

وكذلك (المجيء) يختلف مفهومه ومعانيه باختلاف الموضوعات والسياق، فإنَّ (المجيء) في الماديات لا بدَّ أن يتحقق في مكان أو زمان مثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾^{٢٢} و ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ﴾^{٢٣}، و ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ﴾^{٢٤}، وأما في المعنويات والروحانيات فمجيئها عبارة عن التوجه والاتصال المعنوي والارتباط

وشمول اللطف والإحاطة مثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾^{٢٥}، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾^{٢٦}، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾^{٢٧}، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾^{٢٨}، وما هو خارج عن الزمان والمكان لا يتصور فيه نسبة أمر إليه وهو زماني أو مكاني، فلا بدّ من إرادة مفهوم كلي شامل لكلّ مصداق فقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^{٢٩} أي ظهر جلاله وجماله، ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾^{٣٠}، مجيء جهنم في تلك المعالم لا بدّ أن يناسب بخصوصيات جهنم وتلك المعالم، ومفهومه الظهور والبروز لأهل جهنم كما في ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾^{٣١}.

في رحاب القرآن الكريم معان وإشارات للفعل (أتى):

إنّ التنوع الواضح في النصوص التعبيرية (أتى) وما تخرج إليه من معان عدّة ضمن السياقات القرآنية التي قصدها الباري (عز وجل) قصداً، بوصفها دلالة واضحة لما ينشد التأثير والاستيلاء على النفس، واكتناه جماليات النص القرآني، وإنّ القرآن الكريم قد انصف بجملة من الخصائص ومعاجز؛ إذ نجد على مستوى اللغة أنّ اللفظة الواحدة كثير ما تقع في مواقع مختلفة في سياقات منتظمة وقوالب مختلفة من التعبير والأسلوب، بشكل يضيف عليها الجودة، ويلبسها ثوباً من التجسيم والتخييل غير الذي كانت عليه بحيث تظهر وكأنّها معنى جديد، بحسب السياق القرآني لها، وبحسب المناسبة، فمثلاً التعبير الإيماني باللفظ (أتى) في قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾^{٣٢}، أي الأمر والتقدير، وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى...﴾^{٣٣} أي لا يتعاطون، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ...﴾^{٣٤} المراد الزنا خاصة^{٣٥}، وقوله تعالى ﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾^{٣٦} أي احضروه على عين الناس^{٣٧}: ﴿أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾^{٣٨}، وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾^{٣٩} المراد به الرجوع، وقوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾^{٤٠} المراد به القبول والتصديق، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾^{٤١}، أي الفعل، وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾^{٤٢}، أي الخلق، ويضاف إلى ذلك ما أشار إليه الدامغاني في (الوجوه

والنظائر) أن هناك ما يخرج إليه التعبير (أتى) ستة عشر وجهًا من الوجوه القرآنية تشمل معان عدة: تحذيرية، وإنذارية توعدية، تخوفية، ترهيبية، تلطيفية، اجتماعية، ربانية، أخلاقية، اقتصادية، دينية، وإلى غيرها من المعاني، وهي بحسب الآتي:

١- الدنو: نحو: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾^{٤٣}، أي قرب ودنا وهي الساعة، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^{٤٤} أي يدنو، ونحوه

٢- الإصابة: نحو: ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾^{٤٥} يعني أصابها

٣- القلع: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾^{٤٦} يعني قلع بنيان ديارهم

٤- العذاب: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾^{٤٧} أي عذبهم الله تعالى ونحو: ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾^{٤٨} أي يهلك ربك.

٥- السوق: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾^{٤٩} أي يسوق إليها رزقها رغدا من كل مكان.

٦- الجماع: ﴿أَتَاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^{٥٠} و ﴿أَتَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾^{٥١} و ﴿فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾.

٧- العمل: ﴿إِنَّمَا لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾^{٥٢} و ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾^{٥٣} أي تعملون.

٨- الإقرار والطاعة: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^{٥٤}، أي مقرا له بالعبودية.

٩- الخلق: قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^{٥٥} يعني إن يشأ يهلككم ويميتكم ويخلق خلقا جديدا.

١٠- المجيء بعينه: قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمُلُهُ﴾^{٥٦} فيعني جاءت إلى قومها بولدها.

١١- الظهور: قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^{٥٧}.

١٢- الدخول: قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾^{٥٨} أي ادخلوها من أبوابها.

١٣- الماضي: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾^{٥٩} أي يعني على القرية أو قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾^{٦٠} وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾^{٦١} أي مضوا.

١٤- الإرسال: قال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾^{٦٢} يعني أرسلنا جبريل بالقران، وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾^{٦٣} يعني أرسلنا جبريل.

١٥- المفاجأة: قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾^{٦٤} أي يفاجئهم (باسنا)، أي عذابنا.

نفحات قرآنية للتعبير أتى بمعنى يأتي:

إنَّ التعبيرات القرآنية التي هي محور دراستنا، فلا بدَّ أن تُفسَّر على وفق السياق القرآني، وما نذكره من معانٍ للألفاظ تعدُّ مفتاحاً لفهم القرآن الكريم، ومدخلاً لفهم الحياة، قال تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾^{٦٥}، يقول ابن قتيبة في معناها^{٦٦}: يعني القيامة، أي هي قريبة فلا تستعجلوها، وأتى بمعنى، يأتي، ويقول الطبري^{٦٧} فتقرب منكم أيها الناس ودنا فلا تستعجلوه، ويقول الطوسي^{٦٨}: إنَّما قال: (أتى أمر الله) ولم يقل: يأتي، لأنَّ الله تعالى قَرَّبَ السَّاعَةَ فجعلها كلمح البصر، فقال: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾^{٦٩}، وقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ...﴾^{٧٠}، وكل ما هو آت قريب يُعَبَّرُ عنه بلفظ الماضي؛ ليكون أبلغ في الموعظة وإن كان قوله (فلا تستعجلوه) يدل على أنَّه في معنى يأتي ويقول المييدي^{٧١}: أتى يأتي كما قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَابِ﴾^{٧٢} وإنَّما استعمل لفظ الماضي للمستقبل تحقيقاً، ولأنَّ ما هو آت قطعاً فهو كما أتى، ويذهب إلى ذلك أيضاً القرطبي^{٧٣}، إذ يقول: قيل (أتى) بمعنى يأتي، فهو كقولك: إن أكرمتني أكرمتك؛ إذ إنَّ أخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سواء؛ لأنَّه آت لا محالة

كقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾^{٧٤}، أما الآلوسي^{٧٥} فيقول: ظاهر منبع كثير يشعر باختيار أن الماضي بمعنى المضارع على طريق الاستعارة يشبه المستقبل المتحقق بالماضي في تحقق الوقوع والقرينة عليه قوله (سبحانه وتعالى): فلا تستعجلوه، فإنه لو وقع ما استعجل وهو الذي يميل إليه القلب.

من وجهة النظر القرآنية (الإيتاء) بمعنى (الإعطاء):

إن الذي يقرأ كتاب الله لا بد له أن يكون مؤمناً ومتيقناً، ومتأملاً لمقاصد الباري (جل وعلا)، قد لا تكون هناك معان واضحة - بالنسبة لنا - إلا من طريق التفكير والتأمل، وعلى هذا يجب الإفادة من التفاسير ومن الروايات لفهم أعمق وأشمل للآيات القرآنية، وتحقيق الحد الأقصى لتطبيق مضامين الآيات القرآنية، على سبيل المثال، فقد يرد في القرآن الكريم التعبير (أتى) بمعنى (أعطى) بحسب السياق القرآني للآيات القرآنية، فما وجه الشبه والاختلاف؟ الإيتاء والإعطاء واحد، إلا أن الإعطاء أبلغ من وجوه:

١- الإيتاء^{٧٦} أقوى في إيتان مفعوله من الإعطاء، فإنك إذا أتيته فليس له أن يرفضه، وإذا أعطيته فهو بالخيار له أن يقبله وله أن يرفضه.

٢- الإيتاء يقتضي رضا الطرف فضلاً عن قبوله، وفيه سمو في أداء المعاني، فإن قبول الشيء أهم من الرضا به، وأما الإعطاء فالقبول فيه لا يستلزم الرضا.

٣- في الإعطاء معنى الصلة والإحسان والهبة من دون الإيتاء، ولهذا خصت العطية والعطاء - كما قال الراغب^{٧٧} - بالصلة، نحو «هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب» .

٤- لم يتبين أحد من أرباب اللغة على اتحاد أو اختلاف (أتى) أو (آتى) ولكنهم لمحوا إلى اختلافها عندما طرح الجوهرى^{٧٨} باتحادهما، وهو أول من قال به: إذ قال: أتاه أي أتى به، ثم قيل بأنه وزعم أنها مشتقة من هذا المعنى فقال: ومنه قوله تعالى:

﴿أَتِنَا غَدَاءَنَا﴾^{٧٩} أي اتنا به وما ذكر الجوهرى هو معنى مستقر من القرآن، لأنه بمثابة شرح للفظ بلحاظ سياق الآية فلم يذكر شاهدا من اللغة، وهو بهذا القول لم يخالف من تقدمه من اللغويين فحسب، بل إنه يخالف المفسرين أيضا، فقد جزم أن معنى الإيتاء في الآية السابقة هو المجيء فقط بيد أنهم فسروه بالمجيء والإعطاء معا، ومنهم الطبري، أو يترجح الاعطاء على المجيء كما فعل الاخفش الأوسط، ويبدو ممن حدا حدو الجوهرى من جاء من بعده من اللغويين والمفسرين^{٨٠}، فتلفظوا هذا المعنى وكثروا أمثله ووسّعوا دائرته، ومعنى الآية: (أتنا غدائنا) التناول من دون الإيتان.

إنَّ الحديث عن النور الإلهي ما هو إلا حديث عن النظام الرائد والخالد لهذا الكون، والحديث عن نظامه الدقيق الذي أوجده الباري (عز وجل) من العدم وأوجد فيه المخلوقات شتى، وقد وضح الله (تعالى) لعباده العقيدة في كتابه المجيد بأسلوب ممتع جذاب لا يمكن لمن سمعه أو درسه أو تأمل فيه إلا استجاب له وهدى به، وأكثر ما استعمله القرآن الكريم في آيات الله دلائل وجوده ووحدانيته وحكمته، والآيات التي جمعت بين الفكر والنظر جمعت في الحقيقة بين المبدأ الحسي وهو ملكوت السموات والأرض، والمبدأ الفكري، وهما لا شك أساس بناء الدين الإسلامي.

المبحث الثاني: القرآن منبع الحياة:

- بين يدي القرآن الكريم للتعبير (جاء) بصائر وأحكام.
- الحقيقة القرآنية، الاختلاف في الدلالة بين التعبيرين (ج-اء وأنى) .
- القرآن يكشف عن الحقائق بالإعجاز.
- القرآن سفير الله لدفع البلاء.

بين يدي القرآن الكريم للتعبير (جاء) بصائر وأحكام:

إنَّ أروع سمة تجعل من القرآن كتابًا هاديًا وبشيرًا، قدرته على هداية المرء إلى الحقائق الكونية بشكل يجعله يتدبر ويتفكر وينجذب إليه لتطبيق الشريعة بأصولها على واقع حياته، فالقرآن الكريم دستور شامل لجميع مجالات الحياة، وفي كل زمان ومكان، وللعالم أجمع، إذن لا بدَّ من الغور في آياته وسوره، وفهم التفسير والمناسبة لآياته، إذ إنَّ هناك أحكامًا عامةً، وأخرى خاصة، ومن هنا كان لا بدَّ من التزود بالعلوم الفقهية التي تحصن الإنسان بالوعي والبصيرة في فهم متطلبات الحياة، يضاف إلى أنَّها ترشدنا إلى الفهم الدقيق للقضايا الكونية والعلمية والفقهية والاجتماعية.

إنَّ اللغة وما يتبحر من معانيها هي إحدى الجهات التي تمكّن القارئ والباحث في الفهم لأسلوب القرآن وما يحيط به من الجمال والبهاء، على الرغم من إيراد اللفظة لأكثر من مرة إلا أنَّها تعطي من المعاني المتعددة بحسب السياق القرآني لها وبحسب المناسبة، وإنَّ مقاصد الشريعة وغايتها هي الدعوة إلى الحق والهداية إلى ما فيه الخير والصلاح للإنسانية، وللتعبير (جاء) في القرآن الكريم بصائر وأحكام نذكر منها:

١. جاء فعل وفاعل: أي أتى من دون مفعول ولا متعلق وهو كثير^{٨١} مثل: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^{٨٢}، ففي هذه الآية تتجلى عظمة الخالق (عز وجل) في فناء البشر، ويؤكد بأنَّ الفناء إذا حلَّ بهم لا يتقدم ولا يتأخر أبداً، وسنة الموت لا تخص قوم من دون قوم آخرين، وإنَّ هلاك الشعوب والأمم يقع جراء انحرافها عن الطريق القويم، وتنفشي الظلم والجور والفساد فيها، ومما يلفت الانتباه إليه، إنَّ الساعة في اللغة تعني أصغر وحدة زمنية، ربما تعني لحظة، وربما أقل.

٢. جاء من كذا، مشيراً إلى الإتيان من مكان من عند شخص مثل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾^{٨٣}، القرآن الكريم رحمة ربانية كبرى للبشر، ففي هذه الآية المباركة خطاباً شاملاً من الله تعالى للناس، ففي لفظ (الموعظة)

التي معناها التذكير بالنعم والطيبات المقترن برقة القلب، يبين الله تعالى لعباده أن في تلاوة القرآن والتدبر والتأمل والخضوع والخشوع آياته لهو شفاء ورحمة لمن ضاقت به النفس، بل تطهير وتنزیه النفس من الهوى والضلال، نبد الحقد والبخل والحسد والنفاق، وغيرها من الأمراض الروحية والمعنوية، وعندما تتطهر النفس منها، سوف ترقى النفس وتسمو الكمال، وتنال رضا الله ورحمته.

٣. الذكر والذكرى: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾^{٨٤}، انظر هنا لدور الاستفهام التعجبي الذي كان ردا على استغراب قوم نوح (عليه السلام) له في كيفية يكون نبيا وحامل رسالة ربانية وهو من البشر، فكان رده (عليه السلام) لا شيء يستدعي الاستغراب والتعجب؛ لأنَّ الإنسان الصالح هو الذي يكون مؤهلا لقيادة البشر، وهنا تتجلى عظمة الله تعالى في خلق الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات.

٤. الريح: ﴿إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾^{٨٥}، إنَّ المتأمل لهذه الآية المباركة يتلمس ماهية خلق الإنسان الجاحد الظالم لنفسه، فالإنسان عندما يتعرض لمشاكل الحياة وتتأزم لديه الأمور، وتحيط به دواهي الدنيا ولا يجد من ينصره ويرفع عنه شدة البلاء إلاَّ الله تعالى فيتوجه إليه مذعنا منكسرا خاشعا خاضعا، طلبًا منه لرفع ما وقع فيه، وعند استجابة الله تعالى لهم، رجعوا إلى ما كانوا عليه من الجحد والضلال، وبالطبع هذه ليست أخلاق كل مؤمن يجب الله تعالى ويخلص له الإيمان.

٥. نعمة الله: ﴿وَمَنْ يُدِدْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^{٨٦}، هنا الخطاب من الله تعالى يخص بني اسرائيل، ولكنه ساري المفعول لعامة البشر لغرض العبرة والإفادة؛ لأنَّ القرآن الكريم في بعض آياته تكون خاصة ولكن الخطاب يشمل عامة البشر للعبرة والموعظة، ففي هذه الآية دلالة واضحة لمن يرتكب المعاصي والآثام، ويجحد نعم الله تعالى، وبعد أن سخر له كل الطاقات والإمكانات في هذه الحياة.

الحقيقة القرآنية والاختلاف في الدلالة:

إنَّ القرآن الكريم هو التجلي الأعظم لله تعالى، والمعين الروحي الذي ننهل منه، والعروة الوثقى بين الإنسان وربه، فليس القرآن قانوناً وكتاباً فنياً، ولا كتاباً تاريخياً أو فقهيّاً، أو اخلاقياً... وإنّما هو كتاب هداية وإرشاد يسوق البشرية إلى الكمال وإدراك المقاصد والغايات، فالقرآن الكريم كلما كررته تعالى وتعاظم وتفاخر، يتلى بجميع اللغات وفي الأزمنة كافة وفي عموم البلدان، إنَّ القرآن ينهج أساليب عدة لبيان سننه وأحكامه، لا يقف عند الفصاحة والبلاغة، ولا في حسن تأليفه والتثام كلماته وإيجازه، وإنّما القرآن معجزة في مناحي عدة منها: يذكر في القرآن الكريم التعبيرين (أتى) و (جاء)، فما وجه الاختلاف في دلالة كل منهما؟ يذهب الراغب الاصفهاني^{٨٧} في (أتى) معناه الإتيان بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجه: أتى و أتاوي أو به شبه القريب فقيل: أتاوي، والاتيان يقال للمجيء بالذات أو بالأمر، وبالتدبير، ويقال في الخير والشر، وفي الاعيان والاعراض، نحو قوله تعالى ﴿إِن آتَاكُمْ عَدَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾^{٨٨} وقوله تعالى: ﴿آتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ...﴾^{٨٩} وقوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ...﴾^{٩٠} أي بالأمر والتدبير، واما المجيء: أعم أي إنّه يؤتى بالمجيء لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له أتى^{٩١}، ويستخدم القرآن الكريم كل من التعبير (جاء) و (أتى) في تعبيرين متشابهين مما لا يدل على الاختلاف بينهما وذلك نحو: قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبِ سَلِيمٍ﴾^{٩٢} وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^{٩٣}، ولو نظرنا في سياق كل من هذين التعبيرين يتبين الفرق بينهما، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾^(٨٣) إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ* إِلَى ان قال: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾^{٩٤} ثم ذكر بعد ذلك انه بشر بغلام حلیم وانه أمر بذبحه وهمّ بذلك إلى أن قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾^{٩٥}، وقال في الشعراء^{٩٦}: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ* يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ* إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ* وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾،

ويلحظ في سياق كل من التعبيرين الفرق بين المجيئين، فإن مجيء إبراهيم بقلب سليم في الصفات أعقبه أن ألقى في النار بعد أن حطّم الأصنام، ويؤمر بأن يذبح ولده الوحيد حتى قال لله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ واما الاتيان في الشعراء فقد اعقبه بتقريب الجنة: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ* وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، حتى أنه لم يذكر شيئاً من أهوال المحشر وأحواله، ومن ذلك أيضاً، قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾^{٩٧}، فانه استعمل في آية سورة الشعراء (جاؤها) مع أنه استعمل (أتى) في الآية التي ذكرت سابقا من السورة نفسها، وهي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مع أن كلا الفريقين من الشعراء ولا فرق بينهما، والحق أن السياق مختلف في كليهما، فإنه في سياق الشعراء لم يذكر أي شيء عن أهوال المحشر وانما ذكر تقريب الجنة للمتقين، وأمّا في الزمر فقد ذكر شيئاً من ذلك؛ إذ ذكر النفخة والصعقة والمجيء بالنبیین والشهداء والقضاء وتوفية كل نفس ما عملت فقال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾^{٩٨}، ويبدو أن هذا المجيء أشق وأصعب مما في سياق الشعراء، هذا من ناحية، أمّا من الناحية الأخرى لو نظرنا في سياق الشعراء في كل من السورتين، فقد قال في الشعراء: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وقال في الزمر: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، يتضح الفرق بين المقامين؛ إذ إنه في (الشعراء) ذكر أن الجنة قربت لهم، وأمّا في (الزمر) فقد ذكر أن المتقين سيقوا إليها زمرا، ولا شك أن سوق الشخص للوصول إلى شيء ما أمر وأشق من أن يقرب إليه ذلك الشيء.

ومما لا يغفل ذكره، أن الفرق بين التعبير (اتى) والتعبير (جاء) بين، فمثلا عندما تقول: أتى فلان وجاء فلان، فالقول: اتى فلان يقتضي مجيئه بشيء وعندما تقول: جاء

فلان، كلام تام لا يحتاج إلى صلة، لذا يقال: جاء فلان نفسه ولا يقال: أتى فلان نفسه، ولكنه فيما يبدو بكثرة الاستعمال بينهما استعمل أحد اللفظين في موضع الآخر.

القرآن يكشف عن الحقائق بالإعجاز البياني:

إنَّ الإعجاز البياني اتصف بجملته من الخصائص التي تميزه عن سائر المعجزات التي حفل بها القرآن الكريم، وبالطبع فإنَّ القرآن الكريم ليس معجزة من جانب الأسلوب والنظم، أو من ناحية المعنى والترتيب فحسب بل كل آية من آيات الكتاب العزيز معجزة في أبعاد مختلفة، بعد نظمها وترتيبها، ومعانيها ودلالاتها، وكذلك كل ما في القرآن من حديث أو قصة يخبر بها أو عنها، يضاف إلى أنَّ الإعجاز ليس محدوداً في آية أو سورة، إذ إنَّنا لا يمكننا الخوض في البحث عن تمام وجوه إعجاز آية من السورة؛ لأنَّه يحتاج إلى سعة، بل هنا نشير إلى وجه من وجوه الإعجاز، فمثلاً عندما حدَّثنا القرآن عمَّا اتصف به الكفار يفصّل لنا ذلك، فيحدِّثنا عن كذب الكفار وادعائهم وهو لا يحدِّثنا عن مظاهر الكذب ومصاديقه، بل يحدِّثنا عن الكذب بوصفه كذباً، كذلك يتجلى الإعجاز ما جاء بصيغة فعل الأمر الذي يخرج من معناه الحقيقي إلى المجاز، معنى (التكذيب)^{٩٩} نحو قوله تعالى ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَانلُوهَا﴾^{١٠٠}، إذ القصد إظهار كذب ادعائهم، ومن الاعجاز القرآني بدلالة ما يخرج به فعل الأمر من الحقيقة إلى المجاز معنى التميز، قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾^{١٠١}؛ إذ ليس المراد طلب ذلك منهم، بل إظهار عجزهم، وكذلك الإعجاز القرآني ما يخرج إليه فعل الأمر الذي تكون دلالته على الاستقبال المطلق - الاستقبال البعيد، قوله تعالى: ﴿وَأَتْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾^{١٠٢}، وإنَّ البلاغة تقتضي القدرة على إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة، كالإيجاز، والاطناب، والكناية، والتشبيه، والمجاز، وغيرها من الأساليب البلاغية التي من طريقها تصل إلى مقاصد الشريعة من طرق شتى، وفي وقوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض

ظهيرا^{١٠٣} إِنَّ وجه الإعجاز في هذه الآية المباركة السر الالهي في التركيب القرآني؛ إذ نُسج من الألفاظ التي صيغت بطريقة تكشف عن حقائق ومعارف واسرار لا يشاركه فيه أي تركيب كتب باللغة العربية سابقا ولاحقا ولا يمكن تقليده أبداً، والمتأمل فيه يدرك بآنه من صنع الخالق، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾^{١٠٤} ففي هذه الآية الشريفة يتجلى الإعجاز القرآني مما شرع به الباري (عز وجل) ببيان أحوال المعاد اثر بيان أحوال المعاش، فقد أشار بلفظ (الطامة) كناية عن يوم القيامة لعظم هولها والوصف ليوم القيامة بالطامة متناسب مع حقيقتها وخطورتها بغية الإنذار بمجيئها، يضاف إلى أن مضمونها (مجيء) يوم القيامة من لوازم خلق السماء والأرض، أمّا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾^{١٠٥} الذي بيّن فيه الشروع في بيان موقف الكفّار وتصوير حالهم يوم القيامة، فالإعجاز يتجلى في أن إيتاء الكتاب وراء الظهر دلالة بأن صاحبه من أهل النار، فأظهر في الدلالة على الكراهة والنفور، وأن هذه الصورة تتجلى ما بالنفس من اضطرابات وحركات ترتسم على الجوارح، والكتاب وراء الظهر كيف يتسنى له قراءة كتابه؟ فيقرأه بلسانه، ويراه بعينه، فتكون صورته بحسب الآتي: وجهه مقلوب إلى قفاه، وأنّ الوجه الإعجازي لقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^{١٠٦} بيان لكمال قدرة الله (جل جلاله) في الخلق، إن إذهابكم موقوف على مشيئته من البلاغة الكاملة فأنّ المحتاج لا يقول: إن يَشَأْ فلان يهدم داره، إنّما يقول: لو لا حاجة الدار لبعثها، والدلالة القرآنية في الاستغناء عن الخلق بقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ دلالة واضحة على عظمته وكماله بأنه قادر على أن يخلق خلقاً جديداً أحسن وأكمل من الخلق الأول وما ذلك على الله بعزيز، وأنّ من وجوه اعجاز القرآن هو الاخبار بالغيب، سواء ما أتى به لبيان الأنبياء والحوادث، أو ما أخبر عن نوايا الكفار وحقدهم على النبي محمد صلى الله عليه وآله والمسلمين وإلى ذلك من الأسرار التي لم يطلع عليها أحد والتي لا سبيل لها إلا من طريق الوحي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ

الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴿١٠٧﴾: أي فاتعظوا يا أولي العقول وتدبروا فيما نزل بهم، ومعنى الاعتبار: النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها، والمراد: استدلوا بذلك على صدق الرسول الأعظم (ﷺ)، إذ كان وعد المؤمنين: أن الله سبحانه سيورثهم ديارهم وأموالهم بغير قتال، فجاء المخبر على ما أخبر، فكان آية دالة على نبوته، وقوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾^{١٠٧}، ويتجلى الإعجاز القرآني بثبوت البشارة بالنبي الأعظم (ﷺ) بالتوراة والإنجيل وقبول الجزية والمباهلة، فلولا إن لهذا الأمر واقعا، ووراء هذا الحق حقيقة لجأوا إليه، وقالوا: يا محمد هذه التوراة والإنجيل فأين فيهما يصرح اسمك، وأي بشارة بها تدل عليك بزعمك؟ يعني وجود نفس هذه الآيات في التوراة والإنجيل في زمن نزول القرآن الكريم.

القرآن سفير الله إلينا لدفع البلاء:

إن تصورات الإنسان نابعة من رؤيته إلى الحياة، ولا شك فيه أن رؤية المؤمن نابعة من القرآن، ولذا فإن سلوكه وتصرفاته في الحياة ترتبط بهذه الرؤيا، وتتفاعل ضمن محاورها، فزاد القرآن زاداً دنيوياً وآخرى، فيه برامج الهمة تنظم الحياة ومتطلباتها، وتهياً للانسان في نهاية المطاف لحياة الآخرة ونعيمها الأبدي، وعليه فمن الواجب تلاوة القرآن بتبصر وتأن، في معانيه وأحكامه، وتطبيق ما رسم لنا من برامج ومفاهيم وأنظمة حياتية خطوة بعد خطوة حتى نبلغ درجة الرضا والكمال عند الله تعالى، ومما تجدر الإشارة إليه أن التوكل على الله (عز وجل) والثقة به لدفع البلاء والمكروه الذي يتعرض إليه الإنسان والتوجه إليه بالتضرع والدعاء وتلاوة آياته، يقول الباري (عز وجل): ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ

بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ^{١٠٨} ❁، يخبرنا القرآن الكريم في هذه الآية، بأنَّ جميع إخوة يوسف عليه السلام قد اتفقوا بالخطة ولم يتفقوا جميعاً بقتله بدلالة لفظ الفعل (أجمعوا) من مادة (جمع) التي تشير إلى جمع الأفكار والآراء، ثم بينت الآية أنَّ الله قد أوحى إلى يوسف عليه السلام الطمأنينة والهدوء وعدم الحزن؛ لأنَّه سوف ينصره ويجعله نبيا ويأتي إخوته إليه مدعنين منكسرين يمدوا أيديهم إليه طالبين الغوث والحاجة، وإنَّ هذا الوحي الالهي لم يكن وحي النبوة بقريظة الآية (٢٢) من السورة^{١٠٩}، بل كان الهاما لقلب يوسف ليعلم أنَّه مؤيَّد من الله ليبتَّ الأمل في قلبه ويزول عنه الخوف ويحفه بالصبر والسكينة، وبالطبع أنَّ يوسف عليه السلام حين وجد نفسه في قعر البئر أخذ يناجي ربَّه بهذه المناجاة (اللهمَّ يا مؤنس كلِّ غريب، ويا صاحب كلِّ وحيد، ويا ملجأ كلِّ خائف، ويا كاشف كلِّ كرب، ويا عالم كلِّ نجوى، ويا منتهى كلِّ شكوى، ويا حاضر كلِّ ملاء، يا حيِّ يا قيوم، أسألك أن تقذف رجاءك في قلبي، حتى لا يكون لي همٌّ ولا شغل غيرك، أن تجعل لي من أمري فرجا ومخرجا، إنَّك على كلِّ شيء قدير)، وفي رواية عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: حين ألقىَّ يوسف في الجبَّ هبط عليه جبرائيل عليه السلام وقال: ما تصنع هنا أيها الغلام؟ فقال له: إنَّ أخوتي القوني في البئر، فقال له جبرائيل: أتحبُّ أن تخرج من البئر؟ قال: ذلك بمشيئة الله، ان شاء أخرجني، فقال له: إنَّ الله يأمرك أن تدعو بهذا الدعاء لتخرج من البئر: (اللهمَّ اني أسألك بأنَّ لك الحمد لا اله الا أنت المنان، بديع السموات والارض، ذو الجلال والاکرام، وأن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل لي مما أنا فيه فرجاً ومخرجاً)^{١١٠}. وكذلك لو تأملنا في جملة (سولت) التي هي مشتقة من (التسويل) ومعناه (التزيين) وقد تأتي بمعنى (الترغيب) وهناك معنى آخر لها يقال: (الوسوسة)، فإنَّ هذه المعاني جميعها تدل على أنَّ هوى النفس طغى على الإنسانية، الذي بدوره سوف يخلق الانحراف الخلقي؛ إذ يراود النفس الإحساس السيء فتفترن بالذيلة والوحشية لتحقيق مصالح دنيوية، هنا لا بدَّ

من ردع لمثل هذا الانحراف السلوكي للنفس الأمارة بالسوء، أمّا من طريق الوعظ والإرشاد ليزول عن النفس الغشاء الذي حجب القلب عن الإنسانية والفعل الحسن، أو بالعقوبة الشديدة جزاء ما ارتكبت النفس من الخطايا والآثام، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾^{١١١}، إنَّ المتأمل في هذه الآية يجد في القرآن مدرسة كبرى من المواعظ والدروس في التربية والأخلاق؛ إذ يبيّن لنا أنّه سفير الله إلينا بما يحمله من القضايا المصيرية التي تشكل واقع حياتنا المستقبلية، وإنّ مضان الحياة تركز على التضاد والترادف، من القوة والضعف، والشدة واللين، الحزن والفرح، الأمان والخوف، الجد والتسلية، ففي هذه الآية يبين القرآن للرسول الأعظم (ﷺ) مسؤوليته تجاه قومه، بعد أن يلقي في نفسه نوع من التسلية، فيقول له: إذا ما رأيت أنّ الله سبحانه لا يعجل العذاب على قومك، لأنّ مصلحة الهداية والتعليم والتربية توجب ذلك.

الخاتمة

بتسديد من الله (جل جلاله) وتوفيقه، نختم ما وفقنا الله لنا في بحثنا(العربية في رحاب القرآن) بالتعبيرين (أتى وجاء) إذ لا يستطيع دارس أن يقف في دراساته عند حد معين، وذلك لثراء النص القرآني، وتشعب معانيه، وتعدد جوانبه ومقاصده، التي لا يحدها وجه من الوجوه، فالقرآن الكريم كتاب الله المجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ، ونذكر من النتائج أهمها:

يستطيع دارس القرآن الكريم أن يقول شيئاً في كلِّ عصر مع اختلاف الزمان والمكان ومستوى الفكر الثقافي والحضاري والأساليب والموضوعات المعرفية لاكتناز النص القرآني بالمعرفة التي يجد الدارس اختصاصه.

إنَّ البحث في القرآن الكريم مع كثرة الباحثين في آياته ومعانيه والفاظه وتعايره، وما يتعلق بها، والتعريف بموضوعاتها نابع من حاجة الناس إليه في دنياهم وآخرتهم.

إنَّ الإنسان المؤمن يزداد وعياً وإيماناً وإدراكاً كلما تأمل ونظر في آيات الذكر الحكيم، بل وازداد علماً وتفقهاً للحقائق، وحكمة ونضجاً في عقله لما يدركه من البحث والاستحصال، فنجد الفرق بين استعمال التعبير (أتى) والتعبير (جاء): إن كانت الأحداث أثقل بالتعبير القرآني كان الاستعمال للتعبير (جاء)، وإن كانت الأحداث أقل ثقلاً كان الاستعمال للتعبير (أتى).

إنَّ الدراسات القرآنية جعلتنا ندرك أنَّ العلاقة وثيقة بين اللغة والقرآن، ولولا كتاب الله تعالى لما بلغت اللغة من ينابيع من المعرفة واتساع المعاني؛ إذ لا يمكن الحد من المعاني المتعددة للمفردة الواحدة وما تأتي من معنى يختلف عن المعنى الآخر لها بحسب ورودها بالسياق.

رأينا في الاستعمال القرآني في التعبير (أتى)، استعماله مضارع أتى فيما وقع من

الأمر غير المستكرهه التي تكون أخف من الأمور المستكرهه، فأن الأمور المستكرهه أشق وأثقل.

إنَّ الدراسات القرآنية تكشف لنا جملة من الحقائق؛ إذ نجد التعبير (أتى) و (يأتي) يكتبان مجموعة من الدلالات ضمن السياق الذي يردان فيه، وتتصل هذه الدلالات بعضها ببعض بدلالة مركزية تجمع بين العطاء من جانب والقبول من الآخر، ويكون في الخير كما في الآيات فالكتاب والفضل والأجر والعلم والحكمة والزكاة، ويكون في الشر مثل الفاحشة والعذاب والمنكر، وإن كان الإتيان فيه بمعنى القبول والرضا فهو ثابت في الخير والشر.

وجدنا أنَّ ما في الكتاب الجليل من تشريع توضح فيه مقاصد الباري (عز وجل) من أحكام العبادات والمعاملات ما يقوي أواصر المجتمع ويث روح التعاون بين أفرادهم، ويعلمهم اطاعة الأنظمة والقوانين في المجتمع، وبذلك يخلق نوعاً من الوحدة وعدم النزاع والشقاق والخلاف بين المسلمين.

يبدو لنا فيما ورد من الآيات بالتعبيرين (أتى وجاء) فلسفة الصعوبات والابتلاءات التي يتعرض لها الانسان وماهية علاجها.

إنَّ الله (جل جلاله)، لم يخلق البشرية ويدعهم شؤونهم، إنَّما تكفَّل بما يصلح أمورهم، ويحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، وذلك لأنَّ الله تعالى أودع في الانسان العقل والعلم، لكي يتدبر ويتفكر في خلق الله (تعالى) وصولاً الى الهداية الربانية، ويتجلى ذلك حين يدخل القرآن الى القلوب فينقيها من دنس الشيطان ويهديها إلى النور الالهي، فيوقظها من غفلتها لتتعرف على خالقها، فتوجه إليه بالعبادة والطاعة لأحكامه.

إنَّ التوكل على الله باب من ابواب النجاة، والثقة بالله وبما اراده وقدره على العباد، هو الإيمان الذي يقوي الصلة بين الرب والعبد، ويزيل عن النفس الهوى والأوهام.

إنَّ القرآن الكريم يجمع بين الهدف الديني والمطلب الدنيوي، إذ لا يمكن الفصل بينهما، التشريع القرآني والتوافق النفسي بما أتى به من لفظ ومعنى في الآيات المباركات في نسق تعبيرى مؤثر في النفس، فتتهياً النفس استعداداً لتلقي المطلب الديني في صفاء وجمال روحي.

إنَّ إشراقات القرآن الكريم لكلِّ منها صيغة تعبيرية، وإشارات ورموز تكشف عن إبداع الخالق وقدرته في خلقه، بأسلوب رفيع ونظم بديع تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، نتخذه سنداً وعضداً وأنيساً وشفيعاً في الآخرة.

وأرجو الله (تعالى) أن يتقبل هذا البحث بقبول حسن، وأن ينفع به النفع الحسن، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد بذلت ما أستطيع ولم أدخر وسعاً في البحث، وإني على علم قد فاتني كثير، ومؤمنة بأن فوق كل ذي علم عليم، وإني لأرجو من العليِّ القدير أن يوفقني ويهديني إلى الطريق الواضح في تقديم ما هو خير ومفيد في مسيرة العلم.... إنَّه سميع مجيب، فعال لما يريد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

الهوامش:

١. دلائل الإعجاز: ٣٩.
٢. النمل: ٨٩.
٣. الأعراف: ١١٣.
٤. الأعراف: ١٤٣.
٥. يوسف: ٩٦.
٦. هود: ٥٨.
٧. الكهف: ٩٨.
٨. يونس: ٥٧.
٩. البقرة: ٨٩.
١٠. عبس: ٣٣.
١١. ق: ١٩.
١٢. المنافقون: ١١.
١٣. فصلت: ٤١.
١٤. ق: ١٩.
١٥. ص: ٢١.
١٦. المدثر: ٤٧.
١٧. الزمر: ٢٥.
١٨. النمل: ٢٦.
١٩. يونس: ٢٤.
٢٠. النحل: ٢٦.
٢١. يوسف: ٩٣.
٢٢. يونس: ٢٢.
٢٣. يونس: ٨١.
٢٤. نوح: ٤.
٢٥. الفجر: ٢٢.
٢٦. النصر: ١.
٢٧. هود: ٦٦.
٢٨. الكهف: ٩٨.
٢٩. الفجر: ٢٢.

٣٠. الفجر: ٢٣
٣١. الشعراء: ٩١
٣٢. النحل، ٢٦.
٣٣. التوبة، ٩.
٣٤. النساء، ١٥.
٣٥. الطبرسي ٢: ٢٠.
٣٦. الأنبياء، ٦١.
٣٧. البحر المحيط ٦: ٣٢٤، الألوسي ٧: ٧٤.
٣٨. الاعراف آية: ٩٧.
٣٩. يوسف آية: ٩٣.
٤٠. الأنبياء آية: ٣.
٤١. النساء آية: ٢٥.
٤٢. النساء آية: ١٣٢.
٤٣. النمل: ١
٤٤. الحجر: ٩٩
٤٥. الانعام: ٤٠
٤٦. النحل: ٢٦.
٤٧. الحشر: ٢
٤٨. الانعام: ١٥٨
٤٩. النحل: ١٢٢
٥٠. الشعراء: ١٦٥
٥١. النمل: ٥٥
٥٢. البقرة: ٢٢٣
٥٣. العنكبوت: ٢٩
٥٤. مريم: ٩٣
٥٥. فاطر: ١٦
٥٦. مريم: ٢٧
٥٧. الصف: ٦
٥٨. البقرة: ١٨٩
٥٩. الفرقان: ٤٠

٦٠. الأعراف: ١٣٨
٦١. النمل: ١٨
٦٢. المؤمنون: ٩٠
٦٣. المؤمنون: ٧١
٦٤. الأعراف: ٦٧
٦٥. النمل: ١
٦٦. غريب القرآن: ٢٤١
٦٧. جامع البيان ١٤: ٧٥
٦٨. التبيان ٦: ٣٥
٦٩. النمل: ٧٧
٧٠. القمر: ١
٧١. كثيف الاسرار ٥: ٣٥٢
٧٢. الأعراف: ٤٨
٧٣. الجامع لأحكام القرآن ١٠: ٦٥
٧٤. الأعراف: ٤٤
٧٥. روح المعاني ١٤: ٩٠.
٧٦. الاتقان: ٢: ٣٦٧
٧٧. المفردات: ٣٩
٧٨. المعجم في فقه اللغة ١: ٢٥٠
٧٩. الكهف: ٦٢
٨٠. جامع البيان ١٥: ٢٧٤
٨١. الأعراف: ١٤٧: الاسراء: ٨١، سبأ: ٤٩، التوبة: ٩٠، يونس: ٤٩، هود: ٤٠.
٨٢. الأعراف: ٣٤.
٨٣. يونس: ٥٧.
٨٤. الأعراف: ٦٣، ٦٩.
٨٥. يونس: ٢٢.
٨٦. البقرة: ٢١١.
٨٧. المفردات في غريب القرآن ١: ٩.
٨٨. الانعام: ٤٠
٨٩. النمل: ١

٩٠. النمل: ٢٦
٩١. المفردات ١: ٩ لمسات بيانية: ٩٧، من اسرار البيان القرآني: ٤٠.
٩٢. الصافات: ٨٤
٩٣. الشعراء: ٨٩
٩٤. الصافات: ٩٧
٩٥. الصافات: ١٠٦
٩٦. الشعراء: ٨٧ - ٩٠.
٩٧. الزمر: ٧٣
٩٨. الزمر: ٦٨ - ٧٠.
٩٩. معاني النحو ٢: ٢٦.
١٠٠. آل عمران: ٩٣.
١٠١. البقرة: ٢٣.
١٠٢. آل عمران: ١٩٤.
١٠٣. الاسراء: ٨٨،
١٠٤. النازعات: ٣٤.
١٠٥. الانشقاق: ١٠.
١٠٦. يس: ١٦.
١٠٧. الاعراف: ١٥٧.
١٠٨. يوسف: ١٥ - ١٨.
١٠٩. الامثل ٧: ١٥٦.
١١٠. الأمثل ٧: ١٦١.
١١١. هود: ١١٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. البحر المحيط، أبو حيان، دار الفكر، بيروت.
٢. التبيان، الطوسي، مطبعة النعمان، النجف الاشرف.
٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي، قم، ١٤٢١.
٤. جامع البيان، الطبري، المصطفى البابي الحلبي، مصر.
٥. الجامع لأحكام القرآن، محمد القرطبي، دار احياء التراث، بيروت.
٦. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٨٤ م.
٧. روح المعاني، الألوسي، دار احياء الكتاب، بيروت.
٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة بيروت.
٩. كشف الأسرار، أحمد المبيدي، طهران.
١٠. لمسات بيانية، د. فاضل السامرائي، دار المحاور، عمان، الأردن.
١١. مجمع البيان، الطبرسي، الإسلامية، ط ١، طهران.
١٢. المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، قسم القرآن مجمع البحوث الاسلامية، محمد واعظ زاده
١٣. المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، طهران، قم.
١٤. من أسرار البيان القرآني، د. فاضل السامرائي، دار الفكر، ط ٢٠١٠، ٢٠٢٠ م.



دور المرأة في مواجهة التحديات والثقافة الغربية في سبيل بناء
المجتمع المهدوي
(في ضوء الآيات القرآنية والروايات الشريفة)

تأليف: سيد رائد أميري تهراني

فهرس الموضوعات

خلاصة البحث

المقدمة

المبحث الأول: ضرورة معرفة التحديات الغربية لبناء المجتمع المهدوي.

١- تعريف المجتمع المهدوي وبيان أسسه ومبادئه..

٢- تعريف التحديات الغربية..

٣- سبب تحدي الغرب للإسلام والمسلمين.

٤- أهمية معرفة التحديات الغربية لمواجهتها.

المبحث الثاني: أساليب وطرق مواجهة التحديات الغربية لبناء مجتمع مهدوي.

١- أساليب وقائية.

٢- أساليب علاجية.

٣- أساليب فردية.

٤- أساليب اجتماعية.

٥- الوسائل الإعلامية.

٦- الوسائل الحربية القتالية.

٧. نتائج البحث.

الملخص:

مرت الإنسانية بمراحل تاريخية عدة، ونزلت الكتب السماوية وأرسل الله جل وعلا الديانات الحققة لتهدي البشرية من طريق الضلال لطريق الحق كي تنعم بالسعادة؛ ومن التعاليم الإلهية الباعثة على مفهوم السعادة وبيتها النصوص الدينية هي العقيدة المهدوية وشخصية المنقذ الهادي الذي سيظهر ويملا الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

وهذا الأمل الإلهي لدى صدور المرتقبين لظهوره الشريف أخذ منحى واسعاً، وصارت مسألة الانتظار محل دراسة وتحليل لما لها من أهمية؛ فهي قضية تتعلق بمستقبل الأمة الإسلامية ومصيرها، ولها علاقة بتكوين شخصية أفراد المجتمع المهدوي الذي نتظر إقامته على يد المنجي المبارك والمؤيد من قبل رب العزة والجلالة.

فالعقيدة المهدوية تمثل الهوية الإسلامية الأصيلة، وهي أساس وركن مهم في بناء المجتمع المهدوي وهو المجتمع الإسلامي المثالي الذي أراد الله تعالى أن يكون كل فرد فيه هو ماسماه الله (جل وعلا) في كتابه المنزل ب: (خليفة الله) وتحقق الإرادة الإلهية باستخلاف الصالحين على الأرض، دحر الظلم والظالمين المستكبرين المعاندين لدين الباري (جل جلاله)، وهذا يحتاج إلى خطوات مبدئية ودراسة استراتيجية من كل واحد منا بوصفنا مسلمين منتظرين لإشراقة الحق بالعمل على بذل وسعنا في مواجهة التحديات التي تحاول تخريب البنية الأساس في بناء المجتمع المهدوي وهي العقيدة المهدوية وثقافة الانتظار من طريق دراسة شخصية السيدة العظيمة زينب عليها السلام.

في هذا البحث أناقش دراسة ضرورة معرفة التحديات الغربية ومواجهتها لبناء المجتمع المهدوي وتعريف كل من التحديات الغربية وتعريف المجتمع المهدوي وبيان أسسه وركائزه، وسبب تحدي الغرب للإسلام والمسلمين، وأتطرق كذلك إلى

توضيح أساليب وطرق مواجهة التحديات الغربية لبناء المجتمع المهدوي من طريق ذكر الأساليب الوقائية والعلاجية والفردية والاجتماعية والوسائل الإعلامية والحربية. ونتائج البحث.

وذلك بدراسة علمية تحليلية تعتمد الأدلة والنصوص الشريفة و دور المرأة في مواجهة الغزو الثقافي الغربي الذي يحاول طمس دور المرأة في مجال الإعلام التربوي الديني البناء.

الهدف من البحث هو فهم واقع الإسلام والمسلمين وما يدور حولهم من خطط غربية لطمس معالم الدين الإسلامي المحمدي، ومحو العقيدة المهدوية من أذهان المسلمين التي تعتمد تطبيق مفهوم الانتظار بصورة عملية بتغيير سلوكيات الأفراد ويكونوا ذات صبغة إلهية إسلامية مستقلة لا تتأثر فيهم مغريات الغرب ولا يكونوا أتباعا لهم وتحت سيطرتهم. والعزة لله جميعا وللمؤمنين.

الكلمات المفتاحية: المواجهة، السيدة زينب عليها السلام، التحديات الغربية، المجتمع المهدوي.

4- Summary:

Humanity has been through several historical stages, and the divine's books have been sent, and Allah has sent the true religions to change Mankind's path from evil to good to be filled with happiness; one of the divine rules that inspire the concept of happiness, and been stated in religious texts is believing in Imam Al-Mahdi and the character of the savior and right path-guide who will show and the Earth will be filled with justice, after decades of injustice.

The divine hope in the honest hearts of his followers who await his appearance has taken a wide turn; in addition, the issue of waiting has become a subject of study and analysis; due to its importance because it belongs to the future & destiny of the Islamic nation, and it plays a significant role in the development of the personalities of Imam al-Mahdi's community members, which we expect to be built by the hands of a noble life-saver supported by Almighty Allah.

Imam Al-Mahdi's doctrine represents the original Islamic identity; it is an essential foundation & pillar in the construction of the Imam Al-Mahdi society, which means the perfect Islam that Allah wanted each member within to be (Allah's Caliph) on earth, as it stated in the Quran. Allah's will shall be achieved to inherit good people on earth, and disregarding injustice & oppressive who stand against Islam, that needs initial steps and strategic study from each one of us, as we represent the Muslims who await Imam al-Mahdi appearance by putting all of our efforts, to face challenges, that attempt to wreck the Imam al-Mahdi society's foundations and the culture of waiting by studying the Great Lady Zainab's personality (PBUH)

In this research, I study the need to know the Western challenges and face them to build Imam Al-Mahdi society, to define all the Western challenges and to define Imam Al-Mahdi's Society; its foundations & pillars, the reason Western people challenge Islam and Muslims, in addition, to explain the methods of facing western challenges, to build the Mahdi's society by mentioning the protective, media and military techniques.

This happens by scientific analysis study, depends on proofs, and Holy texts and the women's role in facing the Western Cultural invasion that tries to underestimate

Women's role in the major of good religious-educational media

The goal of this research is to understand the reality of Islam & Muslims and what surrounds them of Western plans to underestimate the shapes of the prophet Mohammad Islam and to erase the Mahdi doctrine from people's minds that depend on practically applying the concept of waiting by changing the people's attitudes, to be with an independent Islamic divine's touch that will never be affected by the western temptations, and not to be their followers, and under their control.

مقدمة:

إنَّ النفس الإنسانية تشتاق لتلك الدولة والمجتمع المثالي الذي يحتضن الإنسان ويحقق له الكمالات التي يرتجوها والسعادة والرقي بكل أشكاله. وهذا المجتمع المثالي ورد ذكره في النصوص الشريفة على لسان النبي الأكرم ﷺ وأهل البيت الطاهرين عليهم السلام لينقلوا البشارة الربانية بأنَّ الأرض سيرثها العباد الصالحين وأنَّ الحق سيقام ولا مكان للظلم في دولة العدل الإلهي، وأنَّ الله (جل وعلا) لن يترك النفس الإنسانية تتمنى حصول دولة إلهية عادلة من دون تحقيقها واقعاً، ففي هذه الحياة الدنيا إرادة الله قائمة متى ما أراد وشاء ورغم أنف المستكبرين.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾^(١).

إنَّ موضوع الاستخلاف في الأرض الذي ورد في الآية الشريفة لهو على ارتباط وثيق بموضوع العقيدة المهدوية وجوهرها، وبيان لتحقيق الإرادة الإلهية العظيمة: تحقيق العدالة ووجود المجتمع المهدوي المثالي، وهذا المجتمع الذي تحققه يتوقف على خطوات عدة علينا بوصفنا مسلمين معتقدين بالمهدوية القيام بها، ومن هذه الإجراءات الهامة مواجهة التحديات الغربية التي تقف اليوم عائقاً أمام الفكر وتحاول إبعاد الفرد المسلم عن ميدان التطبيق العملي للأوامر الإلهية.

من هنا ارتأيت البحث في موضوع مواجهة التحديات الغربية لبناء مجتمع مهدوي متماسك قوي بقوة العقيدة ضمن النظرية والتطبيق من طريق النظر في سيرة الحوراء عليها السلام.

المبحث الأول: تعريف المجتمع المهدوي وضرورة معرفة التحديات الغربية لبناء المجتمع المهدوي:

بعث الله (سبحانه وتعالى) الأنبياء والرسل لإيصال الرسالات السماوية للعباد كي تتحقق الإرادة الإلهية بإسعاد البشر من طريق عبادة الله (جل وعلا) في ظل دولة إسلامية تعطيهم حقوقهم في كافة جوانب الحياة، وتؤمن لهم ما يريدون كي يكونون في خدمة الرب الجليل لعبادته حقاً.

المجتمع المهدوي ذاك الأمل الذي يعيش عليه أكثر المعتقدين بالعقيدة المهدوية ويأملون ظهوره الشريف ليدخلوا أبواب الفرج، ولتصبح الدنيا محلاً مناسباً لطاعة الله تعالى لا محلاً لمعصيته ويكون كل من على الأرض في طاعته لا في معصيته.

وليكون هذا المجتمع قائماً كان لزاماً علينا بوصفنا مسلمين ومتبعين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام النظر في الأسباب والدوافع والعلل والمسببات التي تحول من دون ظهور قائد هذا المجتمع وتحول من دون إقامة هذا المجتمع الذي نتأمله ونتمناه.

١. تعريف المجتمع المهدوي:

يمكن أن نفهم ونعرف من طريق التدقيق في مباني العقيدة المهدوية وأسسها بأنّها الوجه الحقيقي للإسلام الأصيل، فكلُّ ما هو إسلامي أصيل هو مهدوي، وكلُّ ما هو مهدوي هو إسلامي أصيل، فلا ينفك معنى الإسلام عن المهدوية، ولا تنفك المهدوية عن الإسلام والمهدوية، هي تطبيق لتعاليم الإسلام وإظهار له وبيان وإشراق ووضوح له. وتكشف العقيدة المهدوية عن الهوية الإسلامية الحقيقية.

فكلُّ من كان حاملاً للهوية الإسلامية فهو مؤيد لإقامة المجتمع المهدوي الذي ينشد العدالة والمساواة للجميع

نستطيع استفهام معنى المجتمع المهدوي من تعريف المجتمع الإسلامي؛ بما أنه المجتمع المهدوي هو المجتمع الإسلامي المثالي، ففي تعريف الحكومة الإسلامية قيل: [إنَّ (الإسلام والحكومة الإسلامية) ظاهرة إلهية يؤدي العمل بها إلى تحقيق السعادة للمسلمين في الدنيا والآخرة وعلى الوجه الأكمل، كما أن العمل بها سيؤدي إلى إلغاء كافة أنواع الظلم والنهب والفساد والتعدي وإيصال الإنسان إلى الكمال المطلوب له]^(٣). والمجتمع المهدوي يتسم بسمات المجتمع الإسلامي المثالي القائم على أوامر الله تعالى وتطبيقها والابتعاد عن النواهي وتجنبها.

جاء في مختصر الرجعة / ٢١٦، عن محمد بن حمران قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: [إن القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز كلها، ويظهر الله تعالى به دينه على الدين كله ولو كره المشركون، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ولا يبقى في الأرض خراب إلا عمر]^(٤)

فدولة المهدي (عجل الله فرجه الشريف) هي دولة إسلامية حقة فيها الإعمار بناء على سنن الله (جل وعلا) من طريق النظر في ضرورة التعرف على التحديات الغربية وتشخيصها لمواجهتها في سبيل بناء المجتمع المهدوي، وتعريف المجتمع المهدوي وبيان أركانه وأعمدته، والنظر بدقة لدوافع الغربيين لمحاربة الإسلام والمسلمين، وضرورة مواجهة فكرهم المنحرف في محاربة الإسلام، أيضا تحليل طرق مواجهة التحديات الغربية والوسائل المستخدمة للدفاع عن العقيدة المهدوية في طريق بناء المجتمع المهدوي؛ وتوضيح الآثار من مواجهة المسلمين للتحديات الغربية بالجوانب النفسية الفردية والاجتماعية والدينية الثقافية والمستقبلية.

إنَّ السعي لبناء المجتمع المهدوي يتطلب منا بوصفنا معتقدين بالعقيدة المهدوية الإيمان بالقضية المهدوية وإخراجها من حيز النظرية إلى ميادين العمل والتطبيق ليكون هذا المجتمع واقعا وليس أسير الصورة الذهنية فحسب، بل يكون حيا تحيي فيه النفوس

بكرامة وسعادة حاملة راية الحق وتمسكة بالثقلين كما أمر النبي الأكرم عليه السلام: (إني قد تركت فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعتري أهل بيتي، ألا وإِنَّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)^(٢).

وأساس بناء المجتمع المهدي هو هذا التمسك المقدس بإيمان قوي وراسخ بتعاليم القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام والإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) هو من أوضح إشارات أهل البيت عليهم السلام في زماننا هذا وعلينا التمسك به وبالاعتقاد بانتظاره عمليا في ضوء تطبيقات لتعاليم القرآن الكريم بعيدا عن الثقافات الغربية وصد تحديات أعداء الإسلام الذين يحاولون التفكيك بين الثقلين وبيننا حتى تتيه الأمة الإسلامية من الطريق الذي أمرنا به النبي الأكرم عليه السلام، فأسس المجتمع المهدي ومبادئه هي أسس إسلامية أصيلة تقوم على مصادر التشريع الإلهي المتمثلة بالكتاب والسنة.

٢. تعريف التحديات الغربية:

التحديات الغربية يمكن تعريفها ببيان أهم أشكالها وصورها؛ وهي متمثلة بالغزو الثقافي الغربي والإعلام الغربي الذي يريد محو الهوية الإسلامية والمهدوية وطمسها.

الغزو الثقافي الغربي: هي عملية بث الأفكار الغربية والحضارة الغربية للمسلمين كي يتعدوا عن الدين الإسلامي وتعاليمه المقدسة بغرض وهدف استعباد المسلمين والسيطرة عليهم.

وهذا التعريف استنتجته من طريق تصورات وآراء علماء الدين في مسألة الغزو الثقافي الغربي.

قال السيد الخميني (قدس سره) في هذا الشأن: [..الإصلاح الثقافي يقف في مقدمة جميع الإصلاحات، وفيه نجاة شبابنا من التبعية للغرب، ما لم نستبدل العقلية

الاستعمارية بعقلية مستقلة، فلن نستطيع إدارة هذا البلد. الثقافة الاستعمارية، تقدم للمجتمع شبانا مستعمرين.

إنَّ السبيل لإصلاح أي بلد إنما يبدأ من إصلاح ثقافته، فالإصلاح يجب أن يبدأ من الثقافة [٤]، والثقافة الغربية تعد من عوائق بناء المجتمع المهدوي وموانعه التي يجب علينا مواجهتها، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (٥).

بينت الآية إرادة الغربيين في زعزعة إيمان المسلمين كي يرتدوا من طريق الحق. وطريق الحق هو الاعتقاد بالإمام المنتظر المهدي (عجل الله فرجه) والانتظار يكون عمليا.

٣. سبب تحدي الغرب للإسلام والمسلمين:

يحاول الغرب كثيرا وباستخدام وسائل عدة تحدي الإسلام والمسلمين لكسر شوكة المسلمين وإضعاف قوتهم لتحقيق أهدافهم.

وهذا التحدي والكره للإسلام والمسلمين يعود لأسباب عدة:

أ- [يقول لوثرود ستودارد: إنَّ خلاصة تعاليم جمال الدين الأفغاني تنحصر في أنَّ الغرب مناهض للشرق، وأنَّ الروح الصليبية لم تبرح كامنة في الصدور كما كانت متأججة في قلب بطرس الناسك، ولم يزل التعصب كامنا في عناصرها. والغرب مازال يحاول بكل الوسائل القضاء على أية حركة يحاول بها المسلمون إصلاح أمورهم.] (٥).

فهدف الغربيين من تحدياتهم هو تخريب كل ما يحاول إصلاح حال المسلمين وجعلهم الأفضل، والعقيدة المهدوية من الأمور المهمة في إصلاح حال المجتمع؛ فأبي مجتمع يحمل هم القضية المهدوية ويحاول تطبيق مفهوم الانتظار المهدوي فهو في حال إصلاح وبناء نفسه والتحديات والغزو الثقافي الغربي لا يعجبه ذلك ولا يريجه؛ لأنه

لا يحقق مطالبه.

ب- [... الاستعمار الغربي الذي هاجم العالم الإسلامي من بضعة قرون كان مزدوج الهدف، فهو طامع في خيرات الشرق الكثيرة يراها ميراثا لاصحاب له، وهو في الوقت نفسه مثقل بضغائن قديمة، يكره الإسلام كراهية شديدة، ويضيق بكل من ينتمي إليه، ويشتد ضيقه بالعرب خاصة، فهم قوم محمد وحمله رسالته.]^(٦)
إن الحقد الدفين لدى الغربيين كذلك يعد من أسباب تحدي الغرب للمسلمين.

٤ . أهمية معرفة التحديات الغربية لمواجهتها:

تهدد حياة الإنسان كثير من المخاطر والتهديدات، ومن البديهي أن يتعرف عليها ويعرف ماهيتها ليستطيع مواجهتها ومحاربتها والحد منها، ليكمل طريقه نحو الهدف المنشود.

والتحديات الغربية هي من الأمور التي تعيق سير ومسلك الإنسان نحو التكامل الحاصل من فلسفة الانتظار للمهدي (عجل الله فرجه).

ربما يعتقد بعضهم بأنها مجرد ثقافة مغايرة لثقافتنا وليس لها علاقة، في حين أنّها تشكل تهديدا خطيرا على الإسلام والمسلمين وتشوش أفكارهم ليتهاوا الطريق الصحيح القويم.

وقد وصف الشهيد محمد باقر الصدر مواجهة الشعب الإيراني للتحديات الغربية بقوله: [.... هز هذا الشعب العظيم ضمير العالم وزعزع مقاييسه المادية بقيمه التي جسدها في مرحلة المباراة، كذلك سيهز ضمير الإنسانية المضللة ووجدان الملايين المعذيين، ويغمر العالم بنور جديد هو نور الإسلام؛ الذي حجب الإنسان الغربي وعملاؤه المثقفون، وبدلوا كل وسائلهم من الاحتلال العسكري إلى التشويه الثقافي والتحريف العقائدي في سبيل إبعاد العالم الإسلامي عن هذا النور لكي يضمّنوا

لأنفسهم السيطرة عليه ويفرضوا عليه التبعية. [٧].

من طريق كلام الشهيد الصدر نستنتج أهمية معرفة ما يخططه الغرب لنا وكيفية مواجهته كي لا يسع لبسط سيطرته علينا بوصفنا مسلمين. وعن رسول الله ﷺ: "أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة" [٨].

فكمال الإيمان مرفوق بالمعرفة، فكيف نحصد الإيمان الكامل بالدين الإسلامي وبأركانه وأهمها العقيدة المهدوية إن لم تتوافر لدينا الدراية الكاملة عن المعوقات التي تمنع بناء المجتمع المهدوي.

وكان السيد الخميني ينبه الشعب الإيراني خاصة والمسلمين عامة إلى ضرورة معرفة التحديات الغربية التي تواجه المسلمين والإسلام، إذ قال: [على المسلمين وهم في مطلع القرن الخامس عشر الهجري أن ينهضوا ويدافعوا عن حقوقهم المشروعة تحت راية الإسلام، ويقطعوا أيادي الظالمين وخاصة القوى الشرقية والغربية، وأن يضعوا حداً للديكتاتوريات الديمقراطية والشيوعية. [٩]

فالتنبه في خطاب السيد القائد عبارة عن ضرورة وأهمية معرفة التحديات الغربية التي علينا ردعها وصدّها.

المبحث الثاني: أساليب مواجهة التحديات الغربية لبناء مجتمعٍ مهديٍّ:

- ١- أساليب وقائيّة.
- ٢- أساليب علاجيّة.
- ٣- أساليب فرديّة.
- ٤- أساليب اجتماعيّة.
- ٥- الوسائل الإعلاميّة.
- ٦- الوسائل الحربية القتاليّة.

المبحث الثاني: أساليب مواجهة التحديات الغربية لبناء المجتمع المهدويّ:

إنّ مواجهة التحديات والغزو الغربي ومحاربتة الذي يشنه الغربيين على العالم الإسلامي يتطلب منا وضع خطط واستراتيجيات وبرامج لمنع هذه التحديات من التسرب والتغلغل داخل أمتنا الإسلامية منعا من وصولها لهدفها الذي ترمي له.

فكما هم يضعون برامج خاصة ويسخرون ويدلون علماء متخصصين في مجال بث الثقافة الغربية وتغيير المسلمين من الداخل، كذلك علينا اعتماد الخطط والأساليب التي تمكننا من منع تحديهم لنا.

ومن تلك الأساليب التي من الضروري اتباعها:

١- أساليب وقائيّة:

والمقصود منها تلك الأساليب التي تقي المسلمين من شر التحدي الغربي وتحصنهم منها، ولها أثر كبير في منع الغربيين من تخطي حدودهم مع الإسلام والمسلمين، والوقاية المثلى للمسلمين هي بالتمسك بالثقلين كما أمرنا النبي الأكرم ﷺ: (إني قد تركت فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)^(١٠).

ومن الثقلين عترة النبي الأكرم (صلى الله عليه وعليهم أجمعين) والعقيدة المهدوية متعلقة بابن رسول الله الإمام المهدي (عجل الله فرجه) والتمسك بها هو التمسك بالعترة ومن ثمّ عدم الضلال ووجود النجاة، فكلُّ من تتقف بثقافة الانتظار ومنع التحديات الغربية من الورود لذهنه وحاول تأسيس المجتمع المهدوي بفكره العقائدي المتين وإيمانه القوي. والتمسك بعقيلة الوحي من أبرز الوسائل للدفاع عن الإسلام في يومنا الحالي وهي التي قدمت ما قدمت لرفعة الإسلام ونصرته.

نستطيع القول بأنه من أساليب الوقاية كذلك هو الإيمان القوي والعقيدة الراسخة في ذات الإنسان التي تكسبه المناعة الكاملة من التأثير بالتحديات الغربية التي تحول دون تشكيل المجتمع المهدوي.

٢- أساليب علاجية:

تتمثل بتلك الأساليب التي تعتمد علاج من تأثر بالتحديات الغربية والغزو الثقافي الغربي ومعالجة المجتمع ليصبح مجتمعا مهدويا وهذا يحتاج لعدة خطوات:

أ. القيام بتوعية الأفراد وتوضيح صورة الغرب وتحدياتهم لنا وبيان أهدافهم.
ب. تثقيف أفراد المجتمع بالثقافة الإسلامية الأصيلة بعيدا عن الانحرافات الفكرية.

ج. إقامة دورات تدريبية مهدوية تبحث قضية المهدوية وموانع حصول وتشكل المجتمع المهدوي، وتحل مشاكل الأفراد ليكونوا سالمين ومهيئين للانتظار المهدوي.

د. وضع رقابة صارمة على كل مجال ثقافي يؤثر في عقول أفراد المجتمع لمنع ورود الغزو الغربي لمجتمعنا الإسلامي.

ه. بيان عواقب اتباع الغرب وثقافتهم والآثار من التأثير بهم؛ كي لا يكون لثقافتهم سيطرة على الأفراد.

من الأساليب العلاجية كذلك هو التوحد والتعاون والتكاتف فيما بين المسلمين لإخراج كل أجنبي وغريب يريد تخريب المجتمع الإسلامي المهدوي، قال رب العزة والجلالة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١١).

٣- الأساليب الفرديّة:

وأعني بها هنا تربية الأفراد كل فرد بتربية مهدوية تعتمد الثقافة المهدوية أساسا في تكوين مجتمعهم، وعلى أساس ذلك يكون كل فرد في المجتمع المهدوي مهدويا بحد ذاته.

فالمجتمع المهدوي هو المتشكل من أفراد مهديين حاملين عقيدة الانتظار ومتفاعلين مع قضية المهدوية بشكل عملي. وهذا بناء على الأمل المزروع في صدر كل مهدي في المجتمع المهدوي تمهيدا للقاء المنجي بصورة مثالية إسلامية، و[كلما شاهد المؤمن مظاهر الكفر والنفاق، ورأى تكاتف أنظمة الجور على سحق مبادئ الإسلام، وأزعجته معاملة الكبت والإرهاب التي يعيشها المؤمنون المخلصون في ظل سلطات الانحراف، كلما حدث ذلك التجأ المؤمن إلى الله يدعو ويطلب إليه الإسراع في خروج أمل الإنسانية وإمام الحق صاحب العصر والزمان].^(١٢)

فعلى المنظمات الدينية العمل على توعية الأفراد كل فرد على حدى ليتشكل لدينا المجتمع المهدوي المطلوب بعيدا عن التحديات الغربية.

٤- أساليب اجتماعية:

والعبارة بالأساليب الاجتماعية هنا أي تلك المجالس التي تجمع الأفراد تحت سقف الدين الإسلامي وتعلمهم تعاليم الدين الإسلامي الأصيل، تفتح لهم آفاق المعرفة الينية الضرورية لمواجهة التحديات الغربية وبذلك نبني المجتمع المهدوي.

من تلك المجالس العلمية والتثقيفية هي مجالس عاشوراء المباركة التي كثير ما يذكر فيها الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وفي خطاب للسيد الخامنئي يشير إلى أهمية مجالس عاشوراء قائلا: [...الذي يجب أن تقوم عليه المجالس هو العمل على زيادة المعرفة الدينية والإيمانية، عليكم أن تذكروا شيئا ما عن الدين في مجالسكم يزيد

من معرفة الناس وإيمانهم^(١٣).

فالسر في نجاح مجالس عاشوراء وبقائها هي النية من إقامتها وذلك لإحياء النفوس والقلوب والأرواح بحب الله تعالى والنبى الأكرم وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وتقوي شوكة المسلمين بتبنيهم وتوعيتهم وتبصرتهم لفهم واقعهم الذي يعيشونه في سبيل إقامة مجتمع مهدي مثقف بثقافة الدين الإسلامي.

٥- الأساليب الإعلامية:

من الأساليب في مواجهة التحديات الغربية هي الوسائل الإعلامية.

وهي سلاح فعّال وقوي ومؤثر يصل إلى أسماع المخاطبين وأبصارهم وأذهانهم ويثث الثقافة المراد نشرها.

والإسلاميون استطاعوا بفضل تسخير تلك الوسائل الإعلامية من أن يضعوا حدًا للتحديات الغربية، ومن طغيانها ومحاولة تسريبها للإعلام الفاسد الذي يحاول أن يجل محل الثقافة الإسلامية الأخلاقية السامية.

[..والإعلام الإسلامي إعلام ذكي، يتحرى بصدق ودقة الخبر ووجوب الثبوت منه قبل نشره، لأنه منبثق عن عقيدة المسلم؛ عقيدة الوضوح والاستقامة والنصاعة، فلا يقوم شيء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة.]^(١٤)

والإعلام في صورته الإيجابية تكون له أهدافه، وهي:

*الإسهام في تثقيف المواطنين وتوعيتهم.

*الكشف عن الفساد.

*تقوم بدور الرقيب أو الحارس فيما يتعلق بالحريات.

*خلق المثل المجتمعي وذلك بتقديم النموذج الإيجابي في الحياة.

✽ استثمار الإعلام في توجيه شبابنا نحو ما يعود بالخير والنفعة على مجتمعنا على الأمد البعيد ويزرع فيهم عقيدة المهدوية ويهيأهم لبناء المجتمع المهدوي.
وقد برز دور السيدة زينب عليها السلام إعلامياً في واقعة الطف الأليمة، وبينت مبادئ اتباع الحق والحقيقة.

وعرفت بكلامها البليغ الذي كان يرشق أسماع الطغاة كالسهام: (قالت عليها السلام:
(أتدرون أي كبد فريتم وأي دم سفكتم وأي كريمة له أبرزتم وأي حرمة له انتهكتتم، لقد جئتم بها خرقاء شوهاء..... أفعجبتهم إن قطرت السماء دماً). قال الراوي: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم.) (وسيلة الدارين في أنصار الحسين عليه السلام، ص ٣٥٩)

٦- الوسائل الحربية القتالية:

وهي عبارة عن مواجهة العناد الغربي الاستكباري بالقتال والحرب لإيقاف امتدادهم وتدخلهم، كما يفعل الغرب الآن من طريق دسّ تيارات تكفيرية داخل عمق العالم الإسلامي لبث التزلزل فيه، وعدم جعل حالة الأمان والاطمئنان سائدة لأفراد المجتمع الإسلامي.

فعند فقدان الأمان يصبح هناك حالة تشويش فكري بين أفراد المجتمع ولا يستطيعون ترتيب برامجهم ضمن حالة مستقرة لبناء المجتمع المهدوي.

فبناء أي مجتمع إنساني راقٍ يستلزم حضور حالة السكينة والأمان والاطمئنان لخلق الأجواء الروحانية الباعثة على تشكيل الأفكار الإيجابية وبناء قاعدة عقائدية بانتظار الموعد الذي ستشرق الأرض بأنوار علمه وحكمته وحضوره الشريف، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ

إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلَمُونَ ﴿١٥﴾.

نتائج البحث:

١- المجتمع المهدوي هو المجتمع الإسلامي القائم على تعاليم القرآن الكريم والسنة الشريفة. والسيدة زينب عليها السلام شخصية مثالية تبعث في النفوس حب التمسك بالمبادئ الدينية لصناعة مجتمع مهدوي قائم على الحق والحقيقة.

٢- التحديات الغربية هي محاولات الغربيين في زعزعة الإسلام وأركانه وتخريب الفكر الإسلامي من طريق محاولات متمثلة بالغزو الثقافي الغربي.

٣- سبب التحدي الغربي للمسلمين والإسلام هو الحقد الدفين في نفوس الصليبيين وبسبب طمعهم في خيرات بلاد المسلمين، وعدم ارادتهم باستقلال المسلمين ورغبتهم بجعل المسلمين عبيدا لهم ويكونوا هم السادة، ولهم السلطة الكاملة بمحاولاتهم وتحدياتهم الفاشلة.

٤- على المسلمين التعرف على تحديات الغربيين التي تحول دون بناء المجتمع المهدوي وتسعى لطمس معالم الدين الإسلامي الأصيل ومحو الهوية الإسلامية من الوجود.

٥- أساليب مواجهة التحديات الغربية كثيرة، ومن أهمها: الأساليب الوقائية، والأساليب العلاجية، والأساليب الاجتماعية، ووسائل الإعلام، ووسائل الحرب والقتال.

٦- على المسلمين الإعداد لمواجهة الغربيين بكل مألديهم من وسائل وأساليب لبناء المجتمع المهدوي الذي يضمن لهم السعادة في الدنيا والآخرة ويضمن للفرد في مجتمعه الكرامة والعزة تحت راية الإسلام وبثقافة مهدوية تحصنه وتجعله مسلما يسير في طريق تحقيق الكمال الإنساني الإيماني وليكون بالفعل هو (خليفة الله تعالى على الأرض).

الهوامش

- ١- سورة القصص، الآية ٥.
- ٢- ري شهري، ١٣٩٢هـ.ش، ح ٣٣٣، ص ٥٣.
- ٣- الخميني، ١٤٣٢هـ.ق، ص ٦٥.
- ٤- الخميني، ٢٠٠٧م، ص ١٤٧.
- ٥- الغزالي، ص ٣٣.
- ٦- نفس المصدر السابق، ص ٣٢.
- ٧- الصدر، ص ١٩ / ٢٠.
- ٨- ري شهري، ١٣٩٢هـ.ش، ص ٤١٢.
- ٩- الخميني، ١٤٠٢هـ.ق، ص ١٨.
- ١٠- ري شهري، ١٣٩٢هـ.ش، ص ٥٣.
- ١١- سورة المائدة، الآية ٢.
- ١٢- الصفار، ١٩٧٩م، ص ٥٩.
- ١٣- الخامنئي، ١٩٩٩م، ص ١٥.
- ١٤- كنعان، ٢٠١٤م، ص ٢٠.
- ١٥- سورة الأنفال، الآية ٦٠.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- روح الله الخميني، الحكومة الإسلامية في رؤية الإمام الخميني، استخراج: محسن زين العابدين، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، قم، الطبعة الأولى، مطبعة زلال كوثر. ١٤٣٢هـ.ق.
- ٣- روح الله الخميني، مختارات من أقوال الإمام الخميني، مؤسسة انتشارات تراث الإمام الخميني، تنقيح: كامل إمامي، الطبعة الثانية، ص ١٤٧، ٢٠٠٧م.
- ٤- محمدي ري شهري، ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، الطبعة التاسعة، ١٤٩٢هـ.ق.
- ٥- محمد الغزالي، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، دار الشروق، بيروت.
- ٦- محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، دار التعارف، بيروت، الطبعة الأولى.
- ٧- حسن الصفار، أمل الشعوب، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
- ٨- علي الخامنئي، خطاب القائد، ١٩٩٩م.
- ٩- علي كنعان، الإعلام والمجتمع، دار البازوري، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين (عليه السلام)
من المنظور القرآني



منهج الإصلاح الحسيني
دراسة مقارنة بين منهجي الأنبياء وسيد الشهداء

الأستاذ الدكتور أحمد حسين الصفار

بريطانيا - لندن

الملخص:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمٍ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ سورة هود: آية (٨٨)، لدراسة الإصلاح ومنهجه نحتاج الى منطلق محايد وورصين لتحديد المبدأ وحيثياته. ولأنَّ موضوع حديثنا عن الحسين عليه السلام وهو القائد والمصلح الرباني فلا بدَّ من الرجوع إلى القرآن في ذلك وندرس ذلك المنهج. والإصلاح يحتاج إلى قيادة صالحة حقًا في نفسها، وتفقه معنى الإصلاح، وتؤمن به، وتحمل رسالته، وترى فيه واجبًا إلهيا لا بدَّ منه، وتعرف طريقه ومنهجه، وتحمل ثقل أعبائه، وتخلص له، ولا تخرج في أسلوبها عن خطه، ولا تختفي عن رؤيتها وسائله ومعالمه. ومن أقدر من الحسين عليه السلام يوم كربلاء على ذلك؟! وكيف يكون إصلاح للأمة والقيادة غير صالحة؟! وحتما فإن حجم الإصلاح يتبع حجم صلاح القيادة، وأن رسالية الإصلاح تتبع رسالية القيادة.

الكلمات المفتاحية: منهج الإصلاح الحسيني، دراسة مقارنة، منهجي الأنبياء

وسيد الشهداء.

Summary:

Almighty Allah said in his Holy book (Quran):

﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَالَفَكُمُ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ٨٨

(He said, "O my people, have you considered: if I am upon clear evidence from my Lord and He has provided me with a good provision from Him... ? And I do not intend to differ from you in that which I have forbidden you; I only intend reform as much as I am able. And my success is not but through Allah. Upon him, I have relied, and to Him, I return)

To study the meaning of 'reform' & its approach, we need a neutral & thoughtful starting point to determine the principle and its merits.

Since we are talking about Imam Hussain (PBUH), as he represents the leader and divine Reformer, we have to go back to Quran and study that approach the reform needs good leadership, who knows its meaning, and believes in it, carries its message, see it as a divine obligation (as we have to do it), knows its path & Approach, bears its consequences, be faithful to it, and not leave its way, who can do that but Imam Hussain at the day of Ashura?

And how can you reform the nation with bad leadership?

Inevitably, the amount of the nation's reform follows the amount of (good leadership) and the reform's message follows leadership's message.

مقدمة:

لقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الوراثة التراكمية للعلم والانتفاع به، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر: آية ٣٢]. ومن يرث هذا التراث العظيم هم الصفوة الذين يتناولونه ويتفعلون منه بتطبيقه والعمل به، والورثة الحقيقيون لميراث الأنبياء، هم المؤمنون المخلصون الذين يتلون الكتاب الإلهي ويطبّقون وصاياه. وقد عدّ القرآن الكريم التمسك بالكتاب إصلاحاً، والحسين عليه السلام وارث الأنبياء والأولياء جميعاً في الإصلاح والتغيير، وهذا ما نصت عليه زيارة وارث: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ»^(١) وواقعة كربلاء لأنها تأكيد لدعوة الأنبياء الذين صارعوا الباطل لإصلاح الأرض بعد إفسادها بالظلم والجور.

منهج الإصلاح وأدواته:

لا يقوم الإصلاح إلا بثلاثة أركان وبغياب أحدها لا يمكن أن تتم عملية الإصلاح وهذه الأركان هي: المصلح، والمنهج، والبيئة.

أولاً: المصلح

قاد الحسين عليه السلام عملية الإصلاح بنفسه ولم يوكلها لغيره لجسامة الموضوع وأهميته. فهناك نقاط عدة لا بدّ أن تتوفر في شخص المصلح نستقرؤها من الآية الشريفة على لسان النبي شعيب عليه السلام قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود: آية ٨٨]، وهذا هو هدف الأنبياء

(١) مفاتيح الجنان، عباس القمي ت ١٣٥٩ هـ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ص ٥٤٠

جميعاً، حيث كانوا يسعون الى إصلاح العقيدة، وإصلاح الأخلاق، وإصلاح العمل، وإصلاح العلاقات والروابط الاجتماعية وانظمتها، ولم يكن هذا الشعار: (إِنْ أُريدُ إِلَّا الإِصْلَاحُ) شعار شعيب فحسب، بل هو شعار جميع الأنبياء وكل القادة المخلصين، وإن أعمالهم وأقوالهم شواهد على هذا الهدف (فهم لم يأتوا لإشعار الناس، ولا لغفران الذنوب، ولا لبيع الجنة، ولا لحماية الأقوياء وتخدير الضعفاء من الناس، بل كان هدفهم الإصلاح بالمعنى المطلق والوسيع للكلمة... الإصلاح في الفكر، الإصلاح في الأخلاق، الإصلاح في النظم الثقافية والاقتصادية والسياسية للمجتمع، والإصلاح في جميع أبعاد المجتمع)^(١) وفيما يلي صفات القائد الرباني شعيب (عليه السلام)؛ إذ إن الحسين (عليه السلام) تمثل سيرته (عليه السلام) فسيد الشهداء هو وريث الأنبياء (عليهم السلام)، ومن هذه الصفات:

١. المصلح الصادق ذو بصيرة نافذة، فالبيّنة ووضوح المشروع والهدف من مقومات عمل المصلح، وهذا ما نلمسه بقول شعيب (عليه السلام): (إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي فَهوَ عَلَيْهِ سَلَامٌ عَلَى يَقِينٍ وَبَيَانٍ وَبِرْهَانٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَعْرِفَةٍ مِّن رَّبْوِيَّةِ رَبِّهِ وَعَظَمَتِهِ)^(٢)، ولأن العلم نور البصيرة، فالبيّنة توصف بالأبصار، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [سورة النمل: آية ١٣]، فأراد المصلح الرباني أن يشير إلى أن عمله هذا هدفاً معنوياً وإنسانياً وتربوياً، وأنه يعرف حقائق لا يعرفها قومه، وكذلك موقف الحسين (عليه السلام) ذو البصيرة الثاقبة، والذي تربى في بيت النبوة وسمع الآية الشريفة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف: آية ١٠٨] وهذا هو القائد الإلهي محمد (صلى الله عليه وآله) يدعو إلى الله على بصيرة من ربه، والبصيرة تمنع صاحبها من أن يكون إقدامه على العمل جزافاً، واتخاذ المواقف اعتباطاً، أو أن يتلصقاً في العمل، أو يُحجم عن اتخاذ الموقف المناسب

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)،

قم، ج ٧، ص ٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، (ت: ٥٤٨)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،

١٩٩٥، ج ٥، ص ٢٦٤.

بعد تبين صحته، ورجاحة الإقدام عليه. وإنما ذو البصيرة يمضي على هدى ما أوضحه التبين، وكشف عنه التحقق. ويتجسد ذلك في قول أمير المؤمنين عليه السلام: (إني لعلى بينة من ربي، وبصيرة من ديني، ويقين من أمري)^(١) وأن ما لاقاه الحسين عليه السلام من مواقف عليه القوم التي تنم عن ضعف بصيرتهم وكيف أن الحسين عليه السلام بين لهم سيره وهدفه من السير إلى العراق، قبل وعند خروجه من مكة يوم التروية بعدما دعاه والي المدينة^(٢) إلى البيعة ليزيد بن معاوية ومنهم عبد الله بن الزبير^(٣) وأبو بكر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي^(٤) وعبد الله بن جعفر^(٥) وعبد الله بن عباس^(٦) وأبو

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدني (ت: ٥٥٠)، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠، ج ١، ص ٢٦٣

(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ابن أخي معاوية. تولى المدينة لمعاوية، ولابنه يزيد.

(٣) قال عبد الله بن الزبير للحسين عليه السلام: [و] لو جئت إلى مكة فكنت بالحرم، فقال الحسين [بن علي] عليه السلام: لا نستحلها ولا تستحل بنا، ولأن أقتل على تل أعفر أحب إلي من أن أقتل بها، وفي حديث آخر: خلا به عبد الله بن الزبير ونجاه طويلاً، قال: ثم أقبل الحسين عليه السلام بوجهه اليهم وقال: إن هذا يقول لي: كن حماماً من حمام الحرم، ولأن أقتل وبينني وبين الحرم باع أحب إلي من أن أقتل وبينني وبينه شبر، ولأن أقتل بالطف أحب إلي من أن أقتل بالحرم. أنظر: كامل الزيارات، أبي القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي، مكتبة الصدوق، ج ١، ص ٧٢.

(٤) أناه أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال يا ابن عم إن الترحم نظارتي عليك وما أدري كيف أنا عندك في النصيحة لك قال: يا أبا بكر ما أنت ممن يستعش ولا يهتم فقل، قال: قد رأيت ما صنع أهل العراق بأبيك وأخيك وأنت تريد أن تسير إليهم وهم عبيد الدنيا فيقاتلك من قد وعدك أن ينصرك ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره فأذكرك الله في نفسك فقال: جزاك الله يا ابن عم خيراً فقد اجتهدت رأيك ومهما يقضي الله من أمر يكن فقال أبو بكر إنا لله عند الله نحتسب أبا عبد الله، أنظر: تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ج ١٤، ص ٢٠٩.

(٥) كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إليه كتاباً يحذره أهل الكوفة ويناشده الله أن يشخص إليهم فكتب إليه الحسين إني رأيت رؤيا ورأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرني بأمر أنا ماض له، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٩.

(٦) قال له ابن عباس أين تريد يا ابن فاطمة؟ قال العراق وشيعتي، فقال: إني لكاره لوجهك هذا تخرج إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطة وملة لهم أذكرك الله أن تغرر بنفسك، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

سعيد الخدري^(١) وأبو واقد الليثي^(٢) وجابر بن عبد الله^(٣) وأبو سلمة بن عبد الرحمن^(٤) والمسور بن مخرمة^(٥) وعبد الله بن مطيع^(٦) وعبد الله بن عمر^(٧)، وعمرو بن سعيد بن العاص^(٨)، وجابر بن عبد الله^(٩)؛ بل وحتى أخيه محمد بن الحنفية^(١٠) الذي منعه من

(١) قال أبو سعيد الخدري غلبني الحسين بن علي على الخروج وقد قلت له اتق الله في نفسك والزم بيتك فلا تخرج على إمامك، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

(٢) قال أبو واقد الليثي بلغني خروج حسين فأدركته بممل فناشدته الله ألا يخرج فإنه يخرج في غير وجه خروج إنما يقتل نفسه فقال لا أرجع، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

(٣) قال جابر بن عبد الله كلمت حسينا فقلت اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض فوالله ما حمدتم ما صنعتم فعصاني وقال سعيد بن المسيب لو أن حسينا لم يخرج لكان خيرا له، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

(٤) قال أبو سلمة بن عبد الرحمن قد كان ينبغي لحسين أن يعرف أهل العراق ولا يخرج إليهم، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

(٥) كتب إليه المسور بن مخرمة إياك أن تغتر بكتب أهل العراق، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨.

(٦) قال له عبد الله بن مطيع أي فداك أبي وأمي متعنا بنفسك ولا تسر إلى العراق فوالله لئن قتلك هؤلاء القوم ليتخذنا خوولا وعبيدا، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٧.

(٧) كان ابن عمر يقول غلبنا حسين بن علي بالخروج ولعمري لقد رأيت في أبيه وأخيه عبرة ورأيت من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له ألا يتحرك ما عاش وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس فإن الجماعة خير، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٧.

(٨) كتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص إني أسأل الله أني يلهمك رشداً وأن يصرفك عما يريدك بلغني أنك قد اعترمت على الشخوص إلى العراق فإني أعيدك بالله من الشقاق فإن كنت خائفاً فأقبل إلي فلك عندي الأمان والبر والصلة، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٩.

(٩) قال جابر بن عبد الله: كلمت حسينا فقلت: اتق الله ولا تضرب الناس بعضهم ببعض. فوالله ما حمدتم ما صنعتم فعصاني، أنظر: أنظر: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ﷺ].

وهم أحداث الأسنان]، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، ١٩٩٣، ج ١، ص ٤٤٥

(١٠) قدم عليه من خف معه من بني عبد المطلب وهم تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان من إخوانه وبناته ونسائهم وتبعهم محمد بن الحنفية فأدرك حسينا بمكة وأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا فأبى الحسين أن يقبل، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢١١

الذهاب إلى العراق وكذلك حبس ولده من نصرة الحسين عليه السلام (١) كل هؤلاء وغيرهم عارضوا خروج الحسين عليه السلام بتبريرات مختلفة وبعضهم دعاه لبيعة يزيد أو للانعزال أو الذهاب إلى اليمن (٢) بعيدا عن سلطة يزيد. ومنهم من يذهب بعمى قلب وبصيرة إلا أن خروج الحسين عليه السلام كان (بتشجيع من عبد الله بن الزبير) (٣) وابن الزبير هذا هو المطلوب رأسه ليزيد بن معاوية أيضا. وهنا لا بد من ذكر حقيقة الوعي وما يطلق عليه بالبصيرة للقائد المتميز، فنرى أن الإمام الصادق عليه السلام قد امتدح العباس عليه السلام لנفاذ بصيرته ولم يثني عليه لشجاعته أو لبطولته أو لإيثاره وبالتأكيد كلها فيه عليه السلام لكنه شخص أهمية البصيرة فقال: «كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أخيه الحسين، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً» (٤)، وكذلك كان الحسين عليه السلام ذا بصيرة عالية بما يدور في الأمة آنذاك، ولسان حال الحسين عليه السلام مستشهدا بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف: آية ١٠٨]. ولأنه يقود حملة الإصلاح وإرشاد الأمة لحركته العلنية فما كان عليه السلام يسلك في سيره من المدينة إلى مكة (٥) طرقا غير مألوفة خوفا على نفسه كما فعل عبد الله بن الزبير؛ بل إن الذي دعاه ليسلك الطريق

(١) حبس محمد بن علي ولده فلم يبعث معه أحدا منهم حتى وجد حسين في نفسه على محمد وقال ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه فقال: محمد وما حاجتي أن تصاب ويصابون معك وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم، أنظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢١٢، وانظر: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٥١

(٢) قال محمد بن الحنفية للحسين عليه السلام: انزل مكة، فإن اطمأنت بك الدار فيها فهو الذي تحب وإن نبت بك لحقت باليمن، فإن اطمأنت بك الدار فيها فسييل ذلك وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، أنظر: نفس المهوم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ويلييه نفثة المصدور فيما يتجدد به حزن العاشور، الشيخ عباس القمي، المكتبة الحيدرية، ج ١، ص ٦٦

(٣) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٤٦؛ البداية والنهاية، ابن كثير (ت: ٧٧٤)، الفكر، ج ٨، ص ١٦٣؛ تاريخ دمشق، ابن عساكر، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٠٨

(٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني ابن عنبه، ص ٣٥٦

(٥) خرج الحسين من المدينة متوجها نحو مكة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب، وكان دخوله إياها ليلة الجمعة لثلاث مضي من شعبان، أنظر: نفس المهوم، القمي، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٦-٧٣

الأعظم بين المدينة ومكة هو لإعلان حالة رفضه لبيعة يزيد وإظهار ممانعته لكل الناس، ولذلك قيل له: (لو تنكبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب قال لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو أحب إليه)^(١)، ودخل عليه مكة وهو يتلو الآية: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [سورة القصص: آية ٢٢].

٢. المصلح الصادق قوله يتطابق مع فعله: فلا يمكن له أن يفعل خلاف الأفعال التي ينهى الآخرين عنها بأن يصرفهم عنها وهو يصير إليها، وأن ما ينهاهم عنه ينهى أيضًا نفسه عنه. وفي هذا تنبيه لهم على ما في النهي من المصلحة العامة، وعلى أن شأن المصلح الرباني ليس شأن الجبابرة الذين ينهون الناس عن أعمال وهم يأتونها، لأن مثل ذلك ينبئ بعدم النصح لعدم صدقهم فيما يأمرون وينهون، إذ لو كانوا يريدون النصح والخير في ذلك لاختاروه لأنفسهم وإلى هذا المعنى يرمي التوبيخ في قوله تعالى: ﴿اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: آية ٤٤]. والقائد المصلح شعيب عليه السلام وضع بصريح الكلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [سورة هود: آية ٨٨] أي (أنه ما يريد مجرد المخالفة كشأن المنتقدين المتعربين، ولكن يخالفهم لمقصد سام وهو إرادة إصلاحهم، أي ما أريد إلى النهي لأجل أن أخالفكم، أي لمحبة خلافتكم. لأن انتفاء إرادة المخالفة إلى ما نهاهم عنه مجمل فيما يريد إثباته من أصداد المنفي فينبه بأن الضد المراد إثباته هو الإصلاح في جميع أوقات استطاعته بتحصيل الإصلاح)^(٢)

٣. المصلح الصادق دقيق في تقييم قدراته، فالتقدير الصحيح والواقعي لقدراته الذاتية والعملية بما في ذلك العلم والبصيرة وهما أمران مهمان جدا، ويضع المصلح نصب

(١) تاريخ الامم والملوك للإمام ابى جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠، منشورات مؤسسته الأعلمي

للمطبوعات، بيروت، ج ٤، ص ٢٦٠.

(٢) تفسير التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٤)، مؤسسة

التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠، ج ١١، ص ٣١٦

عينه أن ما يقوم به من تحريك وتبليغ وإعلاء كلمة الله كل ذلك إنما هو بتسديد من الله سبحانه وتعالى وليس من قدراته الخاصة فحسب، وذلك ما رددّه القائد الإلهي شعيب: ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [سورة هود: آية ٨٨]، وما قاله القائد الإلهي موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص: آية ٢٤] فموسى عليه السلام (كان ذا مراقبة شديدة في أعماله فلا يأتي بعمل ولا يريده وإن كان مما يقتضيه طبعه البشري إلا ابتغاء مرضاة ربه وجهاداً فيه)^(١) وقد أمدّ الله سبحانه وتعالى القائد الرباني طالوت بالبسطة في العلم والجسم: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٤٧] فهذه الفضيلة والسعة في العلم والجسم إنما هما ميزتان مهمتان في شخصية القائد، لأن (من شرط الإمام أن يكون أعلم من رعيته وأكمل وأفضل في خصال الفضل والشجاعة)^(٢)، ومما لا يشك فيه أحد من أمة محمد صلى الله عليه وآله (إن أمير المؤمنين عليه السلام كان بعد النبي صلى الله عليه وآله أفضل الصحابة علماً وتقوى، وأشجعهم وأقواهم في دين الله وأقضاهم)^(٣)، فلا بدّ للقائد المصلح أن يكون أعلمهم وأدراهم بالمتغيرات السياسية ليستطيع أن يمضي بحركته الإصلاحية بشكل سليم،

٤. المصلح الصادق يتمتع بصدقية العمل بالنظرية والتطبيق، الصادق بالقول والفعل على المستوى الشخصي يجعل من نفسه الأسوة الحسنة التي ينقاد إليها الناس لتحقيق مشروعه في الإصلاح، عملاً بما قام به المصلح الرباني شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ أي الست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه وإنما أختار لكم ما أختاره لنفسي)^(٤). وهنا يغيب الكذب والنفاق لتكون شخصية المصلح شخصية صادقة بعملها وشفافة بأهدافها ولا يطمع من مشروعه تحقيق أي مصلحة شخصية.

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج ١٦، ص ٢٥

(٢) تفسير مجمع البيان، الطوسي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٤٣

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، ج ١٣، ص ٤٣٨

(٤) معاني القرآن واعرابه، الزجاج، ج ٣، ص ٧٣

٥. المصلح الصادق ذو خطاب علني واضح وغير مبطن، فكما صرح شعيب (عليه السلام) في قومه مناديا بأعلى صوته: ﴿يَقُومُ﴾ فلا مجال عندئذ لتأويل خطابه وبرنامجه، وإن مفاتحة الناس بخطاب علني واضح المعالم كما فعله القائد الرباني يطمئن النفوس، وتُستوضح الأمور الشائكة، ويستهدي الناس إما الى الحق أو الى الضلال، وصرح بدعوته الى الله علانية وصدق بالقول جهارا وفي كل الأوقات نبي الله نوح (عليه السلام): ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ (*) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿ [سورة نوح: آية ٨-٩] فجهر نوح (عليه السلام) حينما يكون الجهر أجدى، كما وأسّر للذين يظنهم يتحاشون لوم قومهم عليهم في التصدي لسماح دعوته، وتاماما وبنفس الأسلوب فعله الإمام الحسين (عليه السلام). فأينما حلّ من طريق رحلته من المدينة الى مكة ثم الى كربلاء كان يدعو الناس ويحدثهم عن خطورة الفساد الذي استشرى في سدة الحكم والمجاهرة بالمنكرات. لذلك ولأجل الإعلان عن مشروعه والجهر به التقى في مكة بأعيانها، وفي مكة كانت غايته (عليه السلام) هناك أن يجتمع بوجهاء الناس وزعماء الأمة وأهل الرأي، الذين قدموا الى مكة للحج^(١). ومن لم يلتق بهم بعث اليهم بكتبه، وفي نموذج من كتابه الذي بعثه لأهل البصرة يقول: «وأنا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنّة قد أميتت، والبدعة قد أحييت. فإن تسمعوا قولي أهدكم الى سبيل الرشاد»^(٢)، وواضح جدا مشروعه في هذا الكتاب وكذلك في قوله (عليه السلام): «وإني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»^(٣)، وقال (عليه السلام) في طريقه الى كربلاء: «إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، ألا ترون الى الحق

(١) موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج ١، ص ٤٣٢

(٢) لوايح الاشجان في مقتل الحسين (عليه السلام)، السيد محسن الأمين، ج ١، ص ٣٢

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ٣٢٩

لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقا حقا، فاني لا أرى الموت إلا شهادة، والحياة مع الظالمين إلا برما»^(١)، وأضاف عليه السلام «إنَّ الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»^(٢) فجاء إعلانه عليه السلام بالسير على نهج النص وهو نهج الرسول وعلي ابن أبي طالب تأكيدا لما فعله أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام من قبل.

٦. المصلح الصادق لا يلتفت الى تحقيق مآربه، وعدم الطمع أو الالتفات إلى الناس لكي يثنوا عليه، فصاحب التوجه الرباني في مشروعه مسدد من الله سبحانه وتعالى وهذا ما قاله القائد الرباني شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ «فبهداية الله ومعونته»^(٣) وردد الحسين عليه السلام ذات الخطاب، وأجره على الله تعالى وهو ما تعلمه من المدرسة القرآنية والبيت النبوي الشريف؛ إذ إنَّ جميع الأنبياء قد صدحوا بقولهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الشعراء: آية ١٠٩] فترى الحسين عليه السلام ماضٍ في مشروعه وليس بتوجيه أو تخطيط من قبل الآخرين. وقد حدد فيه ذات الأهداف النبوية النبيلة فانطلق بثورته الخالدة حيث لم يخرج اشرا ولا بطرا، ولم يبع أي مصلحة مادية له أو لأسرته، وانما خرج على حكم الظلم والطغيان، يريد أن يقيم صروح العدل بين الناس، وما أروع قوله: «فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»، وكل ذلك رجاء توفيق الله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

٧. المصلح الصادق يتكل على الله، مسألة أخرى يطمئن إليها المصلح الرباني أنه يتكل على الله في حركته الإصلاحية لا على غيره فلا يهيمه تغير الأهواء والأمزجة أو التقلبات السياسية أو عامل الزمان طال أو قصر في عملية الإصلاح: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ

(١) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ٣٨١

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ٣٨٣

(٣) الصافي في كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني ت ١٠٩١هـ، مكتبة الصدر، طهران، ج ٢، ص ٤٧٩

رَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴿[سورة هود: آية ٥٦]. و«التوكل على الله يعني الرضا بتدييره مع تفويض الأمور إليه والتمسك بطاعته»^(١) حينئذ لا يرى في حركته إلا رضا الله تعالى والإخلاص له في مشروعه الإصلاحية وليس مراعاة أو طمع في مكسب دنيوي أو رضا الآخرين. وهذا ما أشعرنا به الحسين (عليه السلام) يوم العاشر من المحرم يقدم رجاله قرباناً بعد قربان، وضحية تلو ضحية في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، وهدم أسس الانحراف والضلال، انطلق ليؤسس معالم الإصلاح في البلاد، وهو يقول: «اللهم إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى»^(٢).

٨. المصلح الصادق مع نفسه يعرف حدود استطاعته في العمل، ويتحدد ذلك من دراسة المجتمع دراسة متأنية ودقيقة وما سيؤول إليه من نتائج لذلك نرى في كلام المصلح الرباني شعيب (عليه السلام) من تقييم واقعي لقدراته فقال: ما دمت أستطيع الإصلاح فلو وجدت الصّلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه، في قوله تعالى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي حسب قدرته وتمكنه من أداء عمله بأحسن وجه نوعياً لا كمياً. فالله سبحانه ينظر للنوع لا لكم فيقول: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: آية ٧]،

ثانياً: المنهج

للإصلاح منهج واحد في كلمة الحسين الشهيد (عليه السلام) هو ذاته منهج القرآن الكريم الذي ترجمه سيرة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله، وعليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) في الجهاد والحكم ومنه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بمعناها العميق الواسع، ومستوياتهما المختلفة، وآلياتهما المتعددة وشروطهما اللازمة، وأحكامهما الثابتة، وضوابطهما المحكمة. ويتجسد ذلك المنهج في بيان الحسين (عليه السلام):

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٢٢.

(٢) الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين، عبد الكريم الحسيني القزويني، مكتبة الشهيد الصدر، ١٤٠٤،

«إني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام وسلم، أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»^(١)، والمناهج كل المناهج من غير هذا المنهج الحسيني جائرة وفاشلة وخاسرة. فالحسين عليه السلام بخروجه على ظلم يزيد ودعوته الباطلة أعلن عن برنامجه بوضوح ومن غير ضبابية. إذ لم يخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً. إنما خرج عليه عليه السلام لطلب الإصلاح في أمة جدّه عليه السلام، منهجه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يسير بسيرة جدّه وأبيه عليه السلام وهي سيرة ملتزمة كلياً بخطّ القرآن، ولا تعدل عنه قيد شعرة. عاملاً بقوله تعالى يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران: آية ١٠٤، وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر»^(٢) وقد عمل بهما الحسين عليه السلام بإعلانه البيّن بالوقوف بوجه الفساد الذي مارسه النظام الأموي. «إن ثورة الحسين منهج متكامل ودستور قيم، وعلى كل من أراد الوصول إلى رضا الله تعالى أن يتمسك به ويلتزم بمفرداته حرفياً، وإلا فإن من لم ينتهج نهج الحسين لا يمكن أن نتصوره إلا فاسداً منحرفاً عن الطريق المستقيم»^(٣) ويمكن تلخيص منهج الحسين عليه السلام وهو هدف بعثة الأنبياء في إيقاظ الأفكار والأرواح بالنقاط الآتية:

١. الحوار وبيان المنهج بوضوح: بيّن الحسين عليه السلام في نهضته نهج الأنبياء وسلوكهم مع الآخرين في دعوتهم فتمثل قول الأنبياء: ﴿وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ سورة غافر: آية ٤١. لم يرفض الحسين عليه السلام لغة الحوار، ولم يرفض لغة التسالم

(١) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٤٤، ص ٣٢٩

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٦

(٣) بيانات وتوجيهات سماحة آية اله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض، مكتب سماحة آية الله الشيخ،

والسلم، لكنه بنفس الوقت لم يقر معهما على الوضع الفاسد، وعلى هذا الخواء الشديد في روح وجسم الأمة الإسلامية. من المعلوم أنّ عملية التغيير تتجسد بأداء مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أداءً وسلوكاً ينسجمان مع خطورة الواقع البشري المعاش، وضخامة الأهداف المراد من القائمين بهذا الواجب والأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر من تحقيقها في الواقع. وهذا يدعونا للتأمل في كلام الإمام الحسين (عليه السلام) فقد بين الإمام موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائلاً: «بدأ الله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنّها إذا أدت وأقيمت استقامت الفرائض كلّها هينها وصعبها؛ وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام، مع ردّ المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقها»^(١).

٢. تشخيص الخلل في القيم الدينية والاجتماعية والسياسية: مما أناط (عليه السلام) عنه اللثام وشخصه بدقة انحراف الأمة بتغافلها وانجرافها بعيداً عن القيم الإسلامية والرسالة السمحاء وتماهيها مع المشروع الأموي بسهولة دونما أي مقاومة. فتصدى لها الحسين ع بيان نقاط ضعفهم وتقديم البديل للتغيير قائلاً: «فَأَنْتُمْ الْمَسْلُوبُونَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ، وَمَا سُلِبْتُمْ ذَلِكَ إِلَّا بِتَفْرِقِكُمْ عَنِ الْحَقِّ وَاخْتِلَافِكُمْ فِي السُّنَّةِ بَعْدَ الْبَيِّنَةِ الْوَاضِحَةِ! وَلَوْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَذَى وَحَمَلْتُمُ الْمَوْوَنَةَ فِي ذَاتِ اللَّهِ كَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرْدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، وَلَكِنَّكُمْ مَكَّنْتُمُ الظُّلْمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ وَاسْتَسَلَّمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ! يَعْملُونَ بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، سَلَّطَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِرَارِكُمْ مِنَ الْمَوْتِ وَإِعْجَابِكُمْ بِالْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مُفَارِقَتِكُمْ، فَأَسَلَّمْتُمُ الضُّعْفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبِدٍ مَقهورٍ وَبَيْنِ مُسْتَضْعَفٍ عَلَى مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ، يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمُلْكِ بِأَرَائِهِمْ، وَيَسْتَشْعِرُونَ الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِمْ اقْتِدَاءً بِالْأَشْرَارِ وَجُرْأَةً عَلَى الْجَبَّارِ، فَيُكَلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مِنْبَرِهِ خَطِيبٌ يَصْفَعُ.

فَالْأَرْضُ لَهُمْ شَاغِرَةٌ وَأَيْدِيهِمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ وَالنَّاسُ لَهُمْ خَوْلٌ لَا يَدْفَعُونَ يَدَ لَامِسٍ، فَمِنْ بَيْنِ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَذِي سَطْوَةٍ عَلَى الضَّعْفَةِ شَدِيدٍ، مُطَاعٌ لَا يَعْرِفُ الْمُبْدِيَّ الْمُعِيدَ، فَيَا عَجَبًا وَمَالِي لَا أَعْجَبُ»^(١) إِنَّ مَا قَامَ بِهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا لِأَنَّهُمَا غَايَةُ الدِّينِ^(٢) وَقَوَامُ الشَّرِيعَةِ^(٣) كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَمُسْتَجِيبًا لِلَّهِ تَعَالَى لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران: آية ١٠٤، لقد تحرك الحسين ع القائد الرباني لإصلاح ما فسد من أمور المسلمين وهو من الذين ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ سورة آل عمران: آية ١١٤، فهي دعوة صريحة إلى ناحية علمية تتصل بالإصلاح الاجتماعي، ولمنع الفساد في الأرض، وكذلك القيام بحق الأمانة في التعامل، وهو ما عمله النبي شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ، وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ سورة الأعراف: آية ٨٥-٨٧.

٣. لا يدعو منهجه عليه السلام إلى استبدال السلطة لنفسه: لم يكن تحرك الحسين عليه السلام في منهجه لاستبدال سلطة يزيد وخلعه منها ليكون هو الحاكم وإنما لإرجاع الأمة إلى

(١) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ١٠٠، ص ٨٠

(٢) «غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود»، أنظر: غرر الحكم ودرر الكلم،

الأمدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٩٠

(٣) «قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود»، أنظر: غرر الحكم، الأمدي، مصدر

سابق، ج ١، ص ٥٠٤

الشرية السمحاء وإرشادها إلى مساوى وانحراف الحاكم وطغيانه متمثلاً بذلك دور موسى عليه السلام بالوقوف أما طغيان فرعون بجرأة وصلابة وشجاعة: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ سورة طه: آية ٢٤ وكان صوته عليه السلام عالياً في إعلان تحركه فقال: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافُسًا فِي سُلْطَانٍ، وَلَا اتِّمَاسًا مِنْ فُضُولِ الحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنُرِيَّ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، وَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وَسُنَنِكَ وَأَحْكَامِكَ»^(١).

ثالثاً: البيئة

الأمر الثالث لتحقيق الإصلاح هو البيئة التي يعمل عليها المصلح وذلك بالاعتماد على المنهج الرباني، فالمصلح الرباني يعمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تلك البيئة لمقتضيات يعيشونها يومياً وليس لإصلاح أموراً تعيشها بيئة أخرى وهي غير موجودة في تلك البيئة التي يعمل فيها. فشعيب عليه السلام وكما باقي الأنبياء أدوا دورهم في التبليغ مع بعدهم عن القيم السماوية. وامتازت البيئات المجتمعية المرافقة للأنبياء والمصلحين بما يأتي:

١. الإصرار على ما هم عليه: غالباً ما تمتاز هذه الأمم والجماعات بإصرارها على ما هم عليه، بل؛ يعتقدون أن إرشادهم وهدايتهم إلى الحق يعد تدخلاً في شؤونهم الخاصة فهؤلاء قوم شعيب عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ سورة هود: آية ٨٧ وكان قوم شعيب عليه السلام يظنون أن المعاملات المالية وما يتعلق بها لا صلة له بالتدين.

٢. العناد وغلغلة منافع العقل للنصيحة والإرشاد: ولا أجد أفضل من التعبير القرآني لعناد قوم نوح ووصفه الدقيق لتصرفهم وسلوكهم مع النبي نوح عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾

(١) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ١٠٠، ص ٨٠

سورة نوح: آية ٧.

٣. التكذيب المستمر: على المستوى المجتمعي لدعوة الحق أو على المستوى الشخصي بأن يبرر لعزوفه عن سماع الحقيقة واندفاعه الطوعي في التكذيب، وغالبًا ما يتّصف الكاذب بالمداراة والمصانعة. ومن جواب سيد الشهداء عليه السلام ردًّا على كتاب معاوية يستعرض فيه طبيعة الناس المحيطين به عليه السلام من الكذب والخداع فجاء فيه: «أما بعد: فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها. وإن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت إنه رقى إليك عني فإنما رقا الملاقون المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الجمع، وكذب الغاؤون المارقون، ما أردت حربا ولا خلافا، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين، حزب الظالم، وأعوان الشيطان الرجيم. إلى آخر الكتاب»^(١)، وأكثر من ذلك معاوية بنفسه يتجاهر بالكذب وكان في حديثه للحسين عليه السلام: «قال معاوية: أمّا ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني؟»^(٢)

٤. الولاية الخاطئة: إذا ما انسجمت مقومات الشخصية الإنسانية في الفكر والعاطفة والسلوك مع المنهج الإلهي في الحياة، وتكون هذه المقومات متطابقة مع بعضها، فلا ازدواجية بين الفكر والعاطفة ولا بينهما وبين السلوك، وهي وحدة واحدة عندها يكون فيها الولاء والممارسة العملية لله وحده ولمنهج التوحيد الذي دعا إليه في جميع مفاهيمه وقيمه وبعبكسه يسهل على الشخصية التائهة أن توالي مع ما ينسجم مع هوى النفس، وهذا ما كان للكثير من بني إسرائيل: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ سورة المائدة: آية ٨٠-٨١

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦)، الشريف الرضي، قم، ١٤١٣، ج ١، ص ١٥٦

(٢) الإمامة والسياسة، الدينوري، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٢

٥. الإذعان والخضوع للقادة المنحرفين: فمن الطبيعي أن تميل النفس البشرية بالإذعان والخضوع للأكابر والمتنفذين وتقلد في سلوكها المفاهيم والقيم من تلك الشخصيات البارزة في المجتمع، وذات التأثير فيه؛ لما تمتلك من سمات التأثير الذاتية والعملية، بوصفهم قادة المجتمع من السياسيين والمفكرين والعلماء ورؤساء القبائل وغيرهم، فبانحراف هؤلاء ينحرف المجتمع بسهولة، ومن الأمثال القديمة: الناس على دين ملوكهم، فباستقامة هؤلاء القادة فالجميع من الرعايا يستقيمون والعكس صحيح. ومن البديهي أن معيار السيادة وكون الشخص مبرزاً بين أفراد المجتمع هو السيطرة بالقوة، والمال والثروة غير مشروعة، والخداع والمكر: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ سورة الأحزاب: آية ٦٧، في مثل هذه الحالة يتفشى الانحراف ويستشري ويصعب اصلاحه وتغييره. وهنا كرس الحسين (عليه السلام) هذه الفكرة وأهميتها بدور القائد في المجتمع لمراسليه من أهل الكوفة بكتبهم اليه بالقول: «ليس الامام العامل بالكتاب والعاقل بالقسط كالذي يحكم بغير الحق ولا يهدى ولا يهتدي»^(١)

٦. وقوع الفتن بين أهل الضلال: وإذا وقعت الفتن فسيعيش المجتمع ظاهرة الاضطراب الفكري والنفسي والسلوكي بتبادل النظرة السلبية، والموقف المتشجع، مما يدخله في صراع دائم ومستمر يتبادل فيه الاتهامات مما تؤدي به الى الانحراف والفسوق وربما الى الكفر ويصبح هو المؤثر على العلاقات بين أفراد المجتمع ويستشري التحلل الأخلاقي من غير الاستناد إلى الأصول البيّنة للمنهج الإلهي. قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تُتَّبَع، وأحكام تُبتدع، يُخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجالٌ رجلاً، على غير دين الله»^(٢)

دور الحسين (عليه السلام) وتميزه عن دور الأنبياء (عليهم السلام):

(١) الفتوح، احمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤)، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١١، ج ٥، ص ٣١

(٢) المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي (ت: ٢٧٤)، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٧١، ج ١، ص ٢٠٨

فالحسين عليه السلام كما الأنبياء عليهم السلام تصدوا للفساد وأصلحوا ما تعاقبته الأجيال من سلوكيات وممارسات خاطئة بعيدة عن القيم الربانية التي شرعها سبحانه وتعالى، والحسين عليه السلام محور حديثنا عمل بالتأكيد على إصلاح ما أفسده النظام الأموي بحق المسلمين. ولذلك نرى الحسين عليه السلام قد تحرك وعظا وتحذيرا وإرشادا في كل منطقة نزل فيها وقد أوضح نقاط الفساد والعمل على محاربتها ليلا ونهارا. عملا بالمنهج الإلهي والتزاما بسنة الرسول ص ففي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على أيدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم»^(١)، ونلاحظ في كلام الإمام الحسين عليه السلام عندما شاهد صفوف أهل الكوفة بكر بلاء قد اجتمعوا أمامه كالليل المظلم والسيل العارم، قال: «فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنَا وَيَسَّ الْعِبَادُ أَنْتُمْ أَقْرَبْتُمْ بِالطَّاعَةِ وَأَمْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ أَنْتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ وَعِثْرَتِهِ تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ لَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاكُمْ ذَكَرَ اللَّهُ الْعَظِيمِ فَبَنَّا لَكُمْ وَلِمَا تُرِيدُونَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^(٢).

وهنا لا بد من التأكيد على نقطة في غاية الأهمية هي تميز دور الحسين عليه السلام عن أدوار الأنبياء عليهم السلام في تحركهم للتصدي للظلم والضلال والانحراف المجتمعي هو أن الأنبياء عليهم السلام تحركوا في مجتمعاتهم لتثبيت قوة الحق والقيم السماوية أمام الباطل والقوى المتجبرة الشيطانية المتمثلة باعتناقهم للعقائد المنحرفة والشرك يعني هناك واجهتان ظاهرتان ومتضادتان هي قوى الحق والباطل ووضوح الشرعية لأهل الحق. فكان دور الأنبياء واضحا جليا في تبنيهم للشرعية الإلهية ووقوفهم بوجه العقائد الضالة، فالشرعية واضحة للأنبياء عليهم السلام وغيرهم يدينون بالعقائد الضالة، أما ما قام به سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام من بعد أبيه وأخيه، أنه قد واجه ما هو أكثر تعقيدا وإشكالا؛ فالمجتمع

(١) كنز العمال، المتقي الهندي (ت: ٩٧٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩، ح ٥٥٢٧، ج ٣، ص ٦٧

(٢) المناقب، ابن شهر آشوب (ت: ٥٨٨)، علامة، قم، ١٣٧٩، ج ٤، ص ١٠٠

هو مجتمع مسلم وأنه في ظل الشريعة الإسلامية بمعنى عقيدة واحدة، وهو بذلك يتمتع بالشرعية وهي شرعية خاتم الأديان، ولكن هناك سلوكان يتمايزان في التدين: مجتمع التدين الصحيح، ومجتمع التدين الزائف الذي عمل عليه النظام الأموي وكرّس كل قواه لتثبيته. وهنا تكمن الخطورة في دوره عليه السلام.

فقد سلك عليه السلام منهج جده صلوات الله عليه وآله وأبيه وأخيه عليه السلام بأن حدد مفهوم الشرعية في المجتمع ولمن تعود. فقد التفّ النظام الأموي على الإسلام المحمدي بدهاء ومكر وخديعة من جهة وغفلة الناس وبالقوة والبطش من جهة أخرى قد عمدتا إلى سلب الشرعية من أصحابها وتقمصها ثم أضفى عليها بما يسيء للشرعية السمحاء بأحاديث موضوعة وبتشويه وتنكيل بمن يقف بوجه النظام الأموي خدمة لمصالحه وإحكام قبضته على زمام الحكم. مما دفع الإمام الحسين عليه السلام إلى أن يثير الوعي ويشجع الناس في تلمّس الشرعية فيمن تكون وحثهم على الالتفاف حول أهلها. فشخصّ أولاً السلوك الزائف الذي ابتدأه معاوية ومن بعده ابنه يزيد اللذان سلبا الشرعية، وبهذا دفع الطائش يزيد بقوة هذه الشرعية التي ادّعاها أن يفسد ويحرّف في قيم الشريعة السمحاء مما جعل الإمام الحسين وبقوة أن يثير غبار الجهل والغفلة عن عقول الناس وينبهم إلى خطورة هذا الانحراف. ثم عمل الحسين عليه السلام في منهج إصلاحه ونهضته بشكل واضح وأكدّه في كل كلماته الشريفة إلى تثبيت الشرعية لنفسه والدعوة لها، التي وضحها الإمام الصادق ع بقوله: «ألا وإنّا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا فان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا معنا راية الحق من تبعها لحق ومن تأخر عنها غرق ألا وبنا يدرك ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربيعة الذل عن أعناقكم، وبنا فتح لا بكم، وبنا يختم لا بكم»^(١)، فلم يفرط سلام الله عليه ببند من بنود منهج إصلاحه، وسار على ذلك أنصاره

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٧٦

وحملوا ذات المنهج وأصبحوا حسيين المنهج والسلوك؛ فكان برنامج الإصلاح أن يأتي بالبديل الإلهي للمنهج ولم يكتف بالدعوة لاستئصال الشرعية الفاسدة ليزيد، بل بالإضافة إلى ذلك التأكيد على اتباع المنهج الإلهي. أنظر لكلام معاوية في محاولة منه لبناء الشرعية لابنه يزيد: «قال معاوية: أما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لأمة محمد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير مني؟ فقال معاوية: مهلا عن شتم ابن عمك، فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك. ثم التفت معاوية إلى الناس وقال: أيها الناس، قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض، ولم يستخلف أحدا، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر، وكانت بيعة هدى، فعمل بكتاب الله وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة، رأى أن يستخلف عمر، فعمل عمر بكتاب الله، وسنة نبيه، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر، اختارهم من المسلمين، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر، كل ذلك يصنعونه نظرا للمسلمين، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف، ونظرا لهم بعين الإنصاف.»^(١) وهو ذات الأسلوب الذي اتخذ فرعون في سلب الشرعية بادعائه الربوبية لنفسه مفضلا نفسه على باقي معبودات وأرباب قومه: ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ سورة النازعات: آية ٢٤، ومن ثم رأى أن ذلك قليل بحقه فتجاوز محور الربوبية كثيرا وقفز إلى محور أدق وأخص مدعيا الألوهية ليضفي على نفسه شرعية أوسع: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ سورة القصص: آية ٣٨، وقد كان موسى عليه السلام يهدم هذه الفكرة بزعم فرعون الألوهية ثم يضع البديل بذات الوقت ويثبت الألوهية لله سبحانه بنفيها عن غيره: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَآ أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ سورة الإسراء: آية ١٠٢ وهذا ما قام به الحسين ع بدوره الإصلاحية من خلع الشرعية التي ادعاها يزيد لنفسه ظلما وجورا وتثبيت المسار الصحيح في الاستحقاق الصحيح للشرعية.

(١) الإمامة والسياسة، الدينوري، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٢

الخاتمة

لقد واجه الحسين (عليه السلام) طاغية زمانه يزيد، الذي عمّق الشرخ الذي ورثه من أبيه معاوية في تشويه الشريعة الإسلامية، وزاد في تغيير المسار الأخلاقي والاجتماعي والسياسي، وذلك للعمل في توهين الشريعة وقدسيتها الدين عند الناس من جهة وفي تشويه سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وذم أهل البيت (عليهم السلام) وسبهم، وابتدع مدارس فكرية منحرفة من جهة أخرى إن كل تجارب الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) وآخرهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد ورثها الحسين (عليه السلام) الشاهد على أمته. الحسين (عليه السلام) قد ورث الأنبياء علما، وعملا، وأسلوبا، ومنهجاً.

ومن المعلوم من المنطوق القرآني والسيرة الشريفة، أنّ لكل انحراف يسعى إلى محاربة السنن الإلهية أن يتصدى له مصلح إلهي وقائد رباني. فاستعرضنا هنا نهضة القائد الإلهي شعيب ع - كمثال - وقارناها بقيادة الحسين (عليه السلام) الإلهية فكان الحسين (عليه السلام) لما رأى بداية انحراف الأمة عن الشريعة السمحاء بعدما أراد معاوية ويزيد أن يشرّعا لهذا الانحراف فمارسا الموبقات علانية وأمرّوا على الأمصار من كان مشهورا بالفسوق ومنهم من كان يصلي الفجر وهو مخمور ويستهنأ بالمصلين. وكان شاهدا على ما يجري. فأصبح لزاما عليه أن يتصدى لهذا الانحراف الشديد كما فعل الأنبياء (عليهم السلام) من قبل: ﴿وَيَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ سورة النحل: آية ٨٩.

المصادر:

١. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري ت: ٢٧٦، الشريف الرضي، قم، ١٤١٣
٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الامام على بن ابي طالب عليه السلام، قم.
٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء
٤. البداية والنهاية، ابن كثير ت: ٧٧٤، الفكر
٥. بيانات وتوجيهات سماحة آية اله العظمى الشيخ محمد اسحاق الفياض، مكتب سماحة آية الله الشيخ.
٦. تاريخ الإسلام، الذهبي، شمس الدين، ج ٨، ص ٣١٢
٧. تاريخ الأمم والملوك للإمام ابي جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠، منشورات مؤسسته الأعلمي للمطبوعات، بيروت
٨. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ت: ٥٧١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥
٩. تفسير التحرير والتنوير تفسير ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ت: ١٣٩٤، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠
١٠. تفسير مجمع البيان، الشيخ الطوسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥
١١. الجزء المتمم لطبقات ابن سعد الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ص. وهم أحداث الأسنان، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد ت: ٢٣٠هـ، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، ١٩٩٣
١٢. الخصال، الشيخ الصدوق

١٣. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد
١٤. الصافي في كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني ت ١٠٩١هـ، مكتبة الصدر، طهران
١٥. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني ابن عتبة
١٦. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي ت: ٥٥٠، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠
١٧. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي ت: ٣١٤، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١١
١٨. كامل الزيارات، ابي القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه القمي، مكتبة الصدوق
١٩. كنز العمال، المتقي الهندي ت: ٩٧٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩
٢٠. لوايح الاشجان في مقتل الحسين (عليه السلام)، السيد محسن الأمين
٢١. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
٢٢. المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي ت: ٢٧٤، دار الكتب الإسلامية، قم، ١٣٧١
٢٣. معاني القرآن واعرابه، الزجاج
٢٤. المناقب، ابن شهر آشوب ت: ٥٨٨، علامة، قم، ١٣٧٩
٢٥. موسوعة كربلاء، لبيب بيضون، مؤسسة الأعلمي، بيروت
٢٦. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي
٢٧. نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ويليه نفثة المصدور فيما يتجدد به حزن العاشور، الشيخ عباس القمي، المكتبة الحيدرية
٢٨. الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين، عبد الكريم الحسيني القزويني، مكتبة الشهيد الصدر، ١٤٠٤



أسلوب الإصلاح الاجتماعي من منظور القرآن الكريم وسيرة الامام الحسين عليه السلام

د. مصطفى غفوري الحسني

أستاذ كلية القانون في جامعة الاديان والمذاهب ودكتوراه في الفقه والقانون جامعة
طهران، كاتب ومحقق قانوني وإسلامي

الجمهورية الإسلامية الإيرانية

فاطمة كسمائي

بكلوريوس التعليم القرآن الكريم جامعة الاجتهاد، مدرسة في دار السيدة رقية
تحت إشراف جامعة المصطفى العالمية ومدرسة الزهراء عليها السلام في قم المقدسة

الجمهورية الإسلامية الإيرانية

الملخص:

إنَّ إفساد المجتمعات الإنسانية في العقود الأخيرة بجانب التطورات التكنولوجية يشعر بمحدودية الفكر البشري للتطور في جميع الجوانب ونقصانه لتلبية كلِّ متطلبات البشر للنمو والتطور الاجتماعي الكامل، في حين أنَّ المنظور القرآني يقدم للإنسان برامج وتخطيطات لنمو المجتمع الإنساني في الدنيا وأيضاً في الآخرة في الوقت نفسه، وفي استراتيجية القرآن الكريم يقدم طرق إصلاح المجتمع والفرد سوياً، فالفساد يهدد صحة المجتمع من طريق تعطيل نظام المجتمع، لذلك يسعى الإصلاحيون إلى الإصلاح في مواجهة الفساد الخطير.

يقدر الإسلام من جهة معرفة الذات وتحسينها، ومن جهة أخرى، معرفة المجتمع، لذلك فإن حقيقة الإصلاح الاجتماعي على أصول وقواعد يجب الأخذ بها حتى تتم عملية الإصلاح، وقد قسم أصول الإصلاح الاجتماعي على قسمين: أصول إصلاح الأفراد، وأصول إصلاح المجتمع أو إصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد أو على مستوى المجتمع، والإصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد كإصلاح النفس، والثبات على المبدأ، وأتباع السنة... والإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلقاء الحجّة، وحفظ كرامة الآخر، والحضّ على المكارم، الذي نشاهدها تماماً في سيرة الأئمة ولاسيما أنَّ الإمام الحسين ونهجه لوعي المجتمع.

هذه البحث جاء منهجه طبقاً للمنهج الوصفي-التحليلي الذي يسعى إلى دراسة المعالم القرآنية وإبرازها لإصلاح المجتمع في سيرة الإمام الحسين من أجل تقديم أساليب الإصلاح للمجتمع اليوم.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب الإصلاحي، المجتمع الإنساني، القرآن الكريم،

الإمام الحسين عليه السلام.

Summary:

Corrupting human societies in recent decades, along with technological developments, feels the limited human intellect of evolution in all aspects and its inadequacy to meet all human requirements for total social growth and development."

While the Quranic perspective provides human beings with programs & plans for Human society's Growth in life & afterlife at the same time.

The Holy Quran's strategy is to offer ways to reform the whole society. Corruption threatens society's health by disrupting society's system, so reformers seek reform in the face of severe corruption. Islam appreciates & enhances self-knowledge, in addition, Society-Knowledge. Therefore, the reality of social reform is based on origins & rules that must be adopted until the reform process takes place.

We divide them into two sections: the sources of reforming society members and the roots of reorganizing the society; it's called Social reforming.

The social reforming of the whole Society leads to promoting virtues and preventing vices, giving evidence, preserving other dignities, and making people do virtues, which we see perfectly & clearly in the Ahlualbayet biography, especially in Imam Hussain. Based on a descriptive-analytical approach, this research aimed to investigate & highlight the Quranic aspects of community reform in Imam Hussein's biography, to introduce reform approaches to contemporary societies.

مقدمة:

إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ سَخَّرَ لِلْبَشَرِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَلَمْ يَتْرُكْهُمْ فِي هَذَا الْوَجُودِ بَلَا مِنْهَجٍ يَسِيرُونَ عَلَيْهِ، بَلْ جَعَلَ لَهُمْ مِنْهَجًا بَيْنًا لِيَسِيرَ عَلَيْهِ، مِنْ أَجْلِ تَنْمِيَةِ الْحَيَاةِ، قَالَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿ [طه: ١٢٣-١٢٤]، وفي هذا الصدد أمر الناس باصلاح الفساد والانحراف الذي يطرأ على الحياة الاجتماعية، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] الذي يتحدث بخصوص إصلاح المجتمع بواسطة إرسال الرسل والكتب من قبل الله سبحانه للإصلاح. كما ورد في تفسير القمي في تفسير الآية المباركة: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] قال: «أصلحها برسول الله وأمير المؤمنين، فأفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين وذريته».

وهذا هو منطلق مشروع الإمام الحسين عليه السلام وحركته المباركة، إذ أبرز أن هدفها الإصلاح من جهة إعادة أمر الأمة إلى مركز الإصلاح الحقيقي، فشعاره «خرجت للإصلاح في أمة جدي» التي تغيرت في المفاهيم والموازين، وظهر الظلم والفساد، مع سكوت المصلحين المتدينين تجاه هذه المفاصد. وقد نرى عندما دعا الإمام الحسين - قبيل خروجه من المدينة إلى مكة - بدواة وبياض، وكتب هذه الوصية لأخيه محمد بن الحنفية:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ: أَنَّ الْحُسَيْنَ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ

آيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا، وَلَا مُفْسِدًا وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرٌ الْحَاكِمِينَ، وَهَذِهِ وَصِيَّتِي يَا أَخِي إِلَيْكَ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٠.

بعدما عرّف الإمام عقيدته بادر إلى بيان هدفه من هذه النهضة المباركة، وقد ابتداءً بنفي شهوة البطر والأشر أي: الفرح والسرور وجحود النعم وعدم شكرها، ثم نفى الظلم والمفسدة وهي شهوة الغضب، حتى لا يفهم أنّ نهضته من أجل الحصول على الراحة الدنيوية، أو من أجل الطغيان والظلم وإثبات الوجود، وكلا الأمرين لا يطلبه من يؤمن بالله واليوم الآخر. وبعد أن نفى جميع هذه الأمور عرّج لبيان هدفه، وهو: الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تاريخ البحث:

١. كتب الدكتور حسين علي حسين المهدي مقالة في مجلة تسليم في ٢٠٢١م = ١٤٤٢هـ تحت عنوان الإصلاح الحسيني من منظور قرآني؛ في استعداد القرآن الكريم لإصلاح المجتمع الذي كان أسس حركة الإمام الحسين (عليه السلام) على أساس أقواله وخطبه منذ خروجه من المدينة إلى استشهاده، إصلاح المجتمع الإسلامي، فاستدعى عن ذلك الثورة للعودة إلى مسيره الصحيح، فذكر فيه المقاربات القرآنية للكلمات الحسينية للإصلاح المجتمع.

٢. كتب الدكتور بكر مصطفى طعمة بني أرشيد تحت عنوان «الإصلاح الاجتماعي وأثره في تحقيق الأمن الاجتماعي في ضوء نصوص الوحي» يتحدث عن الأصول التي يقوم عليها الإصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد، بإصلاح أحوالهم في جوانب

الاعتقاد، والعمل، والأخلاق، وبيان الأصول التي يقوم عليها الإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع بأنواعه السياسي، والاقتصادي، بتغيير العادات والتقاليد، والعلاقات الاجتماعية، وبيان العلاج الفساد الاجتماعي في مجال الجرائم والانحراف؛ لإعادة الناس إلى الطريق القويم والمنهج السليم.

٣. الإصلاح الاجتماعي في تفسير التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، قدمت في جامعة آل البيت عليه السلام تتحدث عن جهود ابن عاشور في الإصلاح الاجتماعي، من طريق تفسيره التحرير والتنوير وخاصة في المجتمع التونسي.

منهج البحث:

منهج بحثنا طبقاً للمنهج الوصفي- التحليلي تسعى لدراسة و ابراز المعالم القرآني لاصلاح المجتمع في سيرة الإمام الحسين عليه السلام بأسلوب مكتبية من أجل تقديم أساليب الإصلاح للمجتمع اليوم.

ضرورة البحث:

إنّ المجتمع الإنساني اليوم يعيش في ظلام دامس بسبب الفوضى والاضطرابات والقلق، فهي بحاجة للإصلاح، ولا يتم الإصلاح إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة النبي؛ استناداً إلى قول الرسول: «إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإتّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» [الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٦١٦]، وأنّ القرآن الكريم يعرّف نفسه ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (نحل: ٨٩). ولكن يوماً بعد يوم، تتجلى موجة الليبرالية أكثر فأكثر في بلدان العالم الإسلامي. كما أن ضعف القوانين القائمة في ضبط الظلم والإسراف أصبحت أكثر وضوحاً، والغرض من التشريع من وجهة نظر العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان هو: أولاً: القانون الحقيقي هو نظام يمكنه أن يهدئ إرادة أفراد المجتمع وأفعالهم،

ويقضي على الاضطرابات بينهم ويرسم حدودها بحيث لا تعيق إرادة الفرد وعمله إرادة وعمل الآخر..

ثانياً: يجب أن يحكم أفراد المجتمع عليهم بهذا القانون أحراراً خارج نطاق القانون، لأنَّ اشتراط أن يتحلَّى الإنسان بالوعي والإرادة بعد تعديل سلوكه بالقانون. هذا هو السبب في أنَّ القوانين الحالية لا تخضع للتعاليم الإلهية والقضايا الأخلاقية، (وتترك الإنسان حرّاً في اختيار أي عقيدة وأن يكون له أي خلق)، وهذان الشيئان المهمّان للغاية تمّ تصورها بطريقتين يتصورها القانون بهذه الطريقة، بل تدريجياً، كما أنَّ حكم إخضاع المجتمع للقانون يوفِّق أيضاً بين معتقداته وأخلاقه مع القانون ويتكيف معه، وعاجلاً أم آجلاً يفقد طهارته الروحية ويصبح طقساً جافاً ومظهِراً، ولهذا نرى كيف السياسيون يتلاعبون بدين الناس، في يوم من الأيام يوقفونه ويظهرونه في اليوم التالي ويحاولون الترويج له، وفي اليوم التالي لا علاقة لهم به ويتركونه لنفسه.

ثالثاً: اتضح أنَّ الأسلوب الحالي لا يخلو من العيوب؛ لأنَّه على الرغم من أنَّ ضمان إنفاذ القانون يُمنح للسلطة المركزية، إلاَّ أنَّه في الواقع وفي النهاية لا يوجد ضمان للتنفيذ بمعنى أنَّه إذا انحرفت السلطة المركزية نفسها عن الحق و يخالف القانون والنظام الملكي، حوّل المجتمع إلى ملكية خاصة به، ونتيجة لذلك، حلّت إرادته الشخصية ورغبته محل القانون، ولا توجد سلطة لاستعادته وسيادة القانون مرة أخرى، وبهذا المعنى هناك كثير من الأدلة في منطقتنا. وقتنا (ما يسمى عصر الحضارة والمعرفة) ناهيك عن الدليل على أنَّ التاريخ سجل من القرون الماضية أنَّ الناس لم يصلوا بعد إلى هذا المستوى من العلم أو هذا المستوى من الثقافة والحضارة (العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٥، ص ١٥٩).

ونتيجة ذلك، فإنَّ الهدف والجانب المشترك للتشريع في عالم اليوم هو التمتع بفوائد الحياة المادية، في حين أنَّ الهدف الشامل والتوجيه (أو الضعف) الموجود في

جميع القوانين الحالية في العالم اليوم هو التمتع بفوائد مواد الحياة وهي عالم، وهذا هدف يعتبر في جميع القوانين، ولكن درجة السعادة البشرية، بينما الإسلام لا يقبلها، لأنَّ السعادة في الإسلام لا تقتصر على التمتع بالملذات المادية، بل فلها أوسع مجالاً للاستمتاع بالحياة، وهي الدنيا ومجالها الآخر الاستمتاع بالآخرة، وهي في الإسلام مثل الحياة الآخرة، كما يفعل الإسلام. لا يعتبر أن سعادة الحياة الحقيقية، أي الآخرة للبشرية، يجب توافرها إلا من طريق الفضائل الأخلاقية وتطهير الروح من كلِّ الرذائل. فهو يعد كمالاً وكمال بلوغ هذه الفضائل عندما يكون ذلك ممكناً للبشر حياة اجتماعية صالحة، ولهم حياة تعتمد على خدمة الله تعالى، والاستسلام لمقتضيات ربوبية الله تعالى، والتعامل البشري على أساس العدالة الاجتماعية.

وإنَّ الإمام الحسين عليه السلام أصبح مصباح الهدى وسفينة النجاة، وأقام الدين وحفظ الشريعة بدمه ودماء أهل بيته، وإنَّ ثورته أفرزت قيماً أخلاقية للأجيال القادمة والأمم والشعوب المضطهدة فهي ثورة ليست محلية، بل هي ثورة عالمية تدعو للإصلاح ضد الظلم والجور والعبودية من طريق: (الحرية، والعدل، والمساواة، والديمقراطية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنزاهة والشفافية لمحاربة الفساد السياسي والاجتماعي والإداري والمالي والأخلاقي والتربوي...).

إنَّ الإصلاح الذي قام به الأنبياء منذ خلق البشر، لا يختلف مضمونه وحقيقته عبر الزمان؛ لأنَّ المنشأ واحد والأهداف والغايات واحدة، فهم عليهم السلام جميعاً مرسلون من الله سبحانه، ولكن الاختلاف في الوسائل التي ترسم وتبرز الإصلاح عبر الزمان، وذلك بحسب ما تقتضيه الظروف التي يعيشها ذاك أو هذا المعصوم؛ من هنا فإنَّ الأشكال التي يظهر فيها الإصلاح يمكن أن تتفاوت وتخضع لظروف معينة في كلِّ مجتمع عاشه النبي المعصوم، أو الإمام المعصوم.

فتارةً: يقوم النبي بإظهار الإصلاح المتمثل في عدم سفك الدماء من طريق محاربة

الفساد، فإن سفك الدم يُعدُّ جريمةً كبرى منعتها السماء، ولعلّها أول جريمة قام بها البشر عندما قتل قابيل أخاه هابيل. وهنا يأتي أثر التعاليم السماوية لتبرز فكرة الإصلاح من طريق منع سفك الدم، ومنع القتال والتقاتل، جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ بَسَطَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: آية ٢٨]، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: آية ٣٠]، ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: آية ٣٢].

نعم، إن مبدأ الإصلاح من طريق منع القتل والتقاتل، وإن كان مبدأً نبيلًا ولكن ربما يُستغل من قبل الظالمين أيضًا؛ لتمرير غاياتهم، كما في قصة موسى عليه السلام ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: آية ١٩].

وأخرى: يكون الإصلاح من طريق المحاجة وبيان الأدلة والبراهين، بحسب ما في قصة قوم سبأ؛ إذ إنهم كانوا يعتقدون بإله آخر متصورين أنه هو الذي يستحق العبادة، باعتقادهم أن الشمس وما لها من فائدة يجب أن تُعبد، من دون الالتفات إلى من هو المعطي الحقيقي؟ ولأجل ماذا يعطي؟ وكيف يُعطي؟ فقد جاء في الذكر الحكيم على لسان الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: آية ٢٣-٢٤]، فقام النبي سليمان عليه السلام بمحاججتهم وإقامة البراهين والأدلة، وترك القتال، وكذلك كان جواب ملكة سبأ، حيث إنَّها أرسلت الهدية وعلَّلت ذلك بطريقة، فقد جاء في الذكر الحكيم: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ

المُرسَلون ﴿النمل: آية ٣٤-٣٥﴾.

وثالثة: يكون الإصلاح من طريق بيان الأمراض السلوكية التي تلثم بالمجتمع، والتي تؤدّي إلى الفساد والهلاك والهاوية، كما جاء في قصة نبي الله شعيب عليه السلام إذ قال: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: آية ٨٥] فكان الجواب من قومه هو: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: آية ٨٧-٨٨].

ورابعة: يكون الإصلاح من طريق الحرب والقتال، وقطع دابر المشركين والمفسدين في الأرض، كما في الحروب التي قادها أنبياء الله وأوليائه، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخِزَّهُمْ وَيُنْزِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: آية ١٤].

وهكذا فقد ذكر لنا التاريخ جهود الأنبياء في إصلاح الفساد في الأرض، فكرياً وعملياً، وفي جميع الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، من أجل استمرار النظام الكوني الإلهي، وحفظ الوجود الإنساني.

المفاهيم:

الإصلاح: على الرغم من كثرة التعريفات المعاصرة للإصلاح سأقتصر على تعريفين فقط: أولهما: الإصلاح هو الرجوع إلى الإسلام، ويصحب ذلك منهج كامل متكامل يشمل الأفراد والمجتمعات، يصلح العقيدة والفكر والثقافة، ويصلح السلوك والعبادة، فهو إصلاح اجتماعي واقتصادي وسياسي، وهو إصلاح دعوي تربوي تنظيمي شامل

متكامل. وتصويب ما أعوج في ممارسة أمور الدين والدنيا عند المسلمين، والعودة بها إلى الأصل الذي لم يلحقه زوائد ومحدثات». (محمود، علي عبد الحليم، فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م، ص ١٥. وبلقزيز، عبدالله - الخطاب الإصلاحي في المغرب، دار المنتخب، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١٥).

الإصلاح الاجتماعي: أصل شرعي من أصول الإسلام، يقوم على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقتضي ذلك أن يكون في المجتمع أناس يقومون على إصلاح أموره في شؤون الدنيا والدين، بحيث تكفل قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التقدم الدائم والمستمر للمجتمع الإنساني، مع تغير الظروف والبيئات، وتجدد المصالح والعادات، فيكون القصد من ذلك تحقيق الإصلاح الديني والخلقي والاجتماعي. (انظر: محمود جمال الدين محمد، أصول المجتمع الإسلامي، دار الكتاب المصري ط ١٩٩٢، ص ١٠١، ص ١٩٣).

ويرى آخرون أن الإصلاح الاجتماعي يتركز على إصلاح الأسرة، وإصلاح الأسرة هو أساس الإصلاح الذي يهتدي به المصلح؛ ليشيع الإصلاح في كل جانب. (انظر: مجموعة من العلماء، بحوث مؤتمر الإصلاح الاجتماعي، ص ٩٣).

ويتضح مما سبق أن الإصلاح الاجتماعي يقوم على إصلاح شؤون الحياة للإفراد والمجتمعات، بما يحقق لهم خير الدنيا والآخرة، فينعم الناس جميعاً بالأمن والأمان، في ظل تحقيق المسلمين لمقاصد الشريعة بإصلاح أحوالهم الدينية والدينية.

أصول الإصلاح الاجتماعي:

يقوم الإصلاح الاجتماعي على أصول وقواعد يجب الأخذ بها حتى تتم عملية الإصلاح، وقد قسم ابن عاشور أصول الإصلاح الاجتماعي إلى قسمين هما:

أصول إصلاح الأفراد، وأصول إصلاح المجتمع (انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار النفائس، الأردن، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٧٩).

١ - الإصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد:

يقوم إصلاح الفرد على إصلاح عقله الذي هو الأساس لإصلاح جميع خصاله، وبعدها يأتي إصلاح أعماله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

يرى الطاهر ابن عاشور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في قوله «أمنت بالله» معاني صلاح الاعتقاد وفي قوله «استقم» معاني صلاح العمل، وبناء عليه فإن أصول إصلاح الأفراد عند ابن عاشور تقوم على إصلاحين، إصلاح الاعتقاد وإصلاح العمل (انظر: محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار النفائس، الأردن، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٧٩).

هذا وقد أمرنا الله تعالى بإصلاح جميع الأعمال في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وأرشدنا سبحانه وتعالى إلى أهمية العمل وقيمته في قوله الكريم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ويشمل إصلاح العمل، إصلاح العبادات الشرعية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «وأما أعمال العبادات فإنما شرعت لتربية هذا الروح الأمرى في الروح الخلقى، ولذلك شرط فيها النية والأخلاص، ومتى تربي سهل على صاحبه القيام بسائر التكاليف الأدبية والمدنية، التي يصل بها إلى المدينة الفاضلة، وتحقيق أمنية الحكماء» [انظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار

المعرفة، بيروت، ط ٢، ج ٣، ص ٢٥٨).

ولا يخفى ما للعبادة من أثر في إصلاح الفرد، كيف لا وهو واضح في قوله تعالى:
﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وللصيام أثره في الوصول إلى التقوى قال
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
[البقرة: ١٨٣]. وغير ذلك من الآثار العظيمة الموجودة في العبادات.

ينبغي أن نبين أثر العمل في إصلاح الأخلاق الإسلامية عند الأفراد، فقد أثنى
الله تعالى على خلق النبي بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقدم الأخلاق
على العبادات في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤]، فمعاملة
الناس والتواضع لهم أولاً، ثم قيام الليل والعبادة ثانياً؛ لأن المجتمع ينتفع من الخلق
الحسن، بينما العبادة لصاحبها فقط، لذا جاءت النصوص التي تحث على ذلك، قال
تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقوله تعالى:
﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

إصلاح النفس:

الخطاب الموجّه للنفس وتذكيرها بأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيها تحمل من
المضامين الكثيرة، وخاصة ما يصدر عن المعصوم، ومما حمل هذا المعنى في مواضع
الإمام الحسين (عليه السلام)، قوله عندما سُئِلَ: «كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال: أصبحت
ولي ربّ فوقي، والنار أمامي، والموت يطلبني، والحساب محدد بي، وأنا مرتهن بعملتي،

لا أجد ما أحبّ، ولا أدفع ما أكره، والأُمور بيد غيري، فإن شاء عذّبني، وإن شاء عفا عني، فأَيُّ فقير أفقر منِّي؟!» [الصدوق، محمد بن علي، الأُمالي: ص ٧٠٧. الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٤٤٠].

ومن أقواله التي وردت على هيئة الدعاء، وأراد بها وعظ الآخر من طريق وعظ النفس وحثّها على شكر النعم التي أنعم الله بها على العباد: «اللهم لا تستدرجني بالإحسان، ولا تُؤدّبني بالبلاء» [الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٤١. أنظر: العاملي، محمد بن مكّي، الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة: ص ٢٣]، فالاستدراج من الله سبحانه وتعالى للعبد هو: أن يسبغ عليه النعم، ويسلب منه الشكر [انظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١١٧] وكأنّ الإمام عليه السلام يستحضر معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: آية ١٧٨] فالإمام عليه السلام استلهم مضمون الآية الكريمة، فجاء دعاؤه بصيغة النهي الذي خرج من معناه الأصلي إلى معنى مجازي، فطلب أن لا يكون ما يناله من الإحسان إنّما هو استدراج يُنسيه الشكر مستحضراً صورة الكافرين الذين ينالهم من الخير، فينقلب عليهم فيزدادوا إثماً؛ لأنّهم جحدوا فحقّ عليهم العذاب، وهذا درس آخر لنا أطلقه الإمام؛ إذ جمع في هذا الدعاء معاني كثيرة في ألفاظ قليلة، أفصح فيها عن امتلاكه ناصية الفصاحة والبلاغة [انظر: الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٤٠]؛ وبذلك اكتسب النصّ قوة التأثير في المتلقّي.

الثبات على المبدأ:

الإمام الحسين عليه السلام لم تثنه الضغوط عمّا اختطّه لنفسه من طريق؛ فابن عباس يتوسل محاولاً منعه من الشخوص إلى الكوفة بكلّ الوسائل، فلم يفلح؛ إذ يقول بعد

أن استيأس من ثني الإمام عن المسير: «والله، لو أعلم أنّي إذا تشبث بك وقبضت على مجامع ثوبك، وأدخلت يدي في شعرك حتى يجتمع الناس عليّ وعليك، كان ذلك نافعاً لفعلة، ولكن أعلم أنّ الله بالغ أمره...» [أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٧٣. أنظر: سبط بن الجوزي، يوسف ابن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٣٩ وما بعدها. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٩٣ وما بعدها]، فثبات الإمام (عليه السلام) نابع من عقيدته الراسخة، وإيمانه المطلق بصحة نهضته التي هدفها الإصلاح، فضلاً عن تردي الواقع الذي تمرّ به الأمة، وانحراف المسيرة بعد أن تصدى لها ذوو الضلالة والانحراف.

لقد تجسّد ثبات الإمام الحسين (عليه السلام) في رفضه الخضوع إلى اللّثام كما وصفهم في خطبته المشهورة، إذ يقول: «ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد تركني بين السلّة والذّلة، وهيئات له ذلك منّي، هيئات منّا الذّلة، أباي الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجّوز طهّرت وجُدود طابت، أن يُؤثر طاعة اللّثام على مصارع الكرام، ألا وإنيّ زاحف بهذه الأُسرة على قلّة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر» [الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٥].

إنّ ثبات الإمام الحسين (عليه السلام) على المبادئ والقيم الحقّة، التي هي ميراث النبوة على قلّة الناصر وشراسة العدو، وتمسّكه بالرسالة الإصلاحية التي أصرّ على إبلاغها للأجيال، من الدروس التي يجدر بنا التمسّك بها في زماننا هذا وفي كلّ أوان، ف«ما أحوج المسلمين اليوم أن يستلهموا جهاد أولئك العظماء الأفاضل، ويقتفوا آثارهم، في التمسّك بالدين، والثبات على المبدأ، والتفاني في نصره الحقّ، ليستردوا مجدهم الضائع، وعزّهم السليب، وينقذوا أنفسهم من هوان الهزائم الفاضحة والنكسات المتتالية» [الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت (عليه السلام): ص ١٩٠].

لقد أطلق الإمام الحسين (عليه السلام) صرخةً في وجه الظالمين، ما زالت مدوية في الآفاق

تزلزل عروش الظلم، رفعها الثائرون شعارًا يشدّ من أزهرهم ويقوي عزائمهم كلّما عصف بالأمة خطب، قالها في أوج المحنة: (هيهات منّا الذلّة)، شعار رفعناه بألستنا وما علينا إلاّ تعزيز القول بالفعل إذا ما أردنا الإصلاح وإنقاذ الأمة من حال التردّي والضياع.

اتباع السنّة:

تعهد الإمام الحسين عليه السلام رعاية هذه الشجرة لتؤتي أكلها في كلّ حين، فرفع شعار الإصلاح واتباع سنّة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله في تحقيق هذه الرسالة «خرجت لطلب الإصلاح... وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب» [المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٠]. وتصدى الإمام الحسين عليه السلام إلى إحياء سنّة جدّه المصطفى صلّى الله عليه وآله من طريق التصدي للبدع التي تجذّرت في المجتمع، فابتعد القوم عن سبل الرشاد، فكان لزامًا على إمام الأمة أن يصدع بدعوته إلى السنّة النبويّة السمحة، وهنا يقول الإمام الحسين عليه السلام: «وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله، فإنّ السنّة قد أمّيت، وإنّ البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد». [الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٦].

جسد الإمام عليه السلام اتباعه لسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله على أرض الواقع، من طريق رفضه للانحراف، والتصدي لتقويمه بالقول والفعل، عند رفضه البيعة، ونهضته للمطالبة بالتغيير ورفع الظلم والحييف الذي لحق بالأمة إذ يقول: «أيها الناس، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًّا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله...» [المصدر السابق:

ج ٤، ص ٣٠٤. انظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٤٨، [٤].

من هنا؛ نجد أن الإمام الحسين (عليه السلام) إنما خرج لطلب الإصلاح امتثالاً لأمر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وتثبيتاً لسنة التي خولفت وابتعد عنها الناس بعد انحراف بني أمية عن المسار القويم، وتركوا طاعة الرحمن، وركنوا إلى الشيطان، فبان ظلمهم للعباد، وهنا نجد القرآن الكريم قد نهى عن اتباع من عطل سنة نبيه واتبع هواه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: آية ١١٣]. وعليه فإن قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وفعله وتقريره إنما هو امتداد لما جاء في القرآن الكريم من أوامر ونواهٍ، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) بعدم الركون إلى السلطان الجائر إنما هو امتداد لأمر الله سبحانه وتعالى بعدم الركون إلى الظالم، وما صرخة الإمام الحسين (عليه السلام) بوجه الظالم إلا امتثالاً لأمر الله وإحياء لسنة نبيه.

٢- الإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع:

يشمل الإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع الإصلاح السياسي والاقتصادي والسلوكي.

والإصلاح السياسي من مقاصد القرآن؛ لأن الإسلام دين هداية وسيادة وسياسة وحكم، فما جاء به القرآن من إصلاح البشر في جميع شؤونهم، يتوقف على السيادة وإقامة الحق، والحكم بالعدل، وحماية الدين والدولة.

إن صلاح المجتمع يكون بطاعة الله ورسوله، وعدم التنازع والتفرق، لأن ذلك يؤدي إلى الفشل الذريع، والضعف الذي لا تقوم للأمة به قائمة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿[آل عمران: ١٠٣].

ومن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وآله قد وضع قواعد لإصلاح المجتمع، منها بناء المسجد، وللمساجد دورها العظيم في الإصلاح الاجتماعي، ثم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهو ما جاء في الآية السابقة ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾.

إن المتأمل في سورة الحجرات المكونة من آية، يرى في ورود النص الشريف ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خمس مرات أوامر كثيرة جداً في الإصلاح الاجتماعي، وورد النص الشريف: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

إن القرآن الكريم قد أقام الروابط بين المسلمين بتحقيق ثقة الناس بعضهم ببعض، من طريق تحريم دم المسلم وماله وعرضه، وغير ذلك من التوجيهات التي وردت في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمَ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمَ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمَ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥١-١٥٣]، فقد انقسمت الأحكام في الآيات السابقة على ثلاثة أقسام: الأولى: أحكام بها إصلاح الحالة الاجتماعية العامة بين الناس والمفتحة بقوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، والثاني: أحكام بها حفظ نظام تعامل الناس بعضهم مع بعض والمفتحة بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾، والثالث: أحكام جامعة للهدى وهو اتباع طريق الإسلام، والتحرز من الخروج عنه إلى سبيل الضلال والمفتحة بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾.

ويرى المتأمل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. أن هذه الآية قد جمعت الفضائل كلها، التي ينشئ عنها صلاح أفراد المجتمع جميعاً في العقيدة وصالحات الأعمال.

تعددت سبل توجيه المواعظ والإرشادات عند الإمام الحسين (عليه السلام)، فلم تقتصر على مخاطبة الآخرين من طريق مخاطبة الذات؛ إذ نجده أحياناً يُخاطب الآخر بصورة مباشرة؛ لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه المواعظ، ويحمل الخطاب معنى الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، أو ربّما يكون الغرض منه إلقاء الحجة على المتلقي الذي استبدّ به العناد والتعنُّت والغي، وسنعرض لهذه المضامين في ضوء هذه المواعظ:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات التي حثّت عليها الشريعة الإسلامية بوصفها أداة لتقويم ما اعوجّج من سلوكيات في المجتمع الإسلامي، وقد عرفها أهل اللغة بأنّها: «ما يُستحسن من الأفعال، وكلّ ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه. والمنكر: كلّ ما قبّحه الشرع وحرّمه وكرّهه» [عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات الفقهية: ص ٤٩٣]، ويمكن أن نبيّن المعروف من المنكر من طريق ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ف«كلّ ما أمر الله ورسوله به فهو معروف، وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر» [الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ١، ص ٤٨٣]، و«لا يختصّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمورد من الموارد، ولا مجال من المجالات، بل هو شامل لجميع ما جاء به الإسلام من مفاهيم وقيم،

فهو شامل للتصورات والمبادئ التي تقوم على أساسها العقيدة الإسلامية، وشامل للموازن والقيم الإسلامية التي تحكم العلاقات الإنسانية، وشامل للشرائع والقوانين، وللأوضاع والتقاليد، وبعبارة أخرى: هو دعوة إلى الإسلام عقيدةً ومنهجاً وسلوكاً، بتحويل الشعور الباطني بالعقيدة إلى حركة سلوكية واقعية، وتحويل هذه الحركة إلى عادة ثابتة متفاعلة ومتصلة مع الأوامر والإرشادات الإسلامية، ومنكمشة ومنفصلة عن مقتضيات النواهي الإسلامية» [مركز الرسالة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ص ١٢].

لقد تصدى الإمام الحسين عليه السلام إلى هذه المسؤولية الشرعية بصورة جلية؛ إذ تجسدت على أرض الواقع بالقول والفعل، فيقول: «اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الأخبار، إذ يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمْ رَبَّنَا عَنْ الْأَخْبَارِ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ...﴾ [المائدة: آية ٦٣]. وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ [المائدة: آية ٧٨]. إلى قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: آية ٧٩]، وإنما عاب الله ذلك عليهم؛ لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد، فلا ينهونهم عن ذلك رغبةً فيما كانوا ينالون منهم ورهبةً مما يجذرون، والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْا﴾ [المائدة: آية ٤٤]، وقال ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [التوبة: آية ٧١]، فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضةً منه، لعلمه بأنها إذا أُدِّيت وأقيمت، استقامت الفرائض كلها، هيئتها وصعبها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم ومخالفة الظالم، وقسمة الفياء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها...» [ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول صلّى الله عليه وآله: ص ٢٣٧].

لقد انطلق الإمام الحسين (عليه السلام) من حقيقة راسخة مفادها: أنّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا ما أُدِّيت على أصولها ستُصلح شؤون الأمة كلّها ويتحقق الأمن المجتمعي، فينتصر للمظلوم ويُردع الظالم.

ولم تكن الغاية من تبني مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الإمام الحسين (عليه السلام) إلا الإصلاح، وإقامة العدل، ونصرة المظلوم؛ إذ يقول: «اللهم، إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لِنُريّ المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك؛ ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسُننك وأحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيّكم، وحسبنا الله، وعليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير» [المصدر السابق].

وانطلاقاً من هذا المبدأ وجد الإمام الحسين (عليه السلام) أنّه لا بدّ من الخروج؛ لطلب الإصلاح الذي لا يتمّ ولا تتحقق الأهداف المرجوة منه إلا بالقول والعمل، فالقول هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنطاقهما الواسع على وفق ما يقبله العقل والوحي، والعمل هو اتباع سيرة الرسول الأكرم ﷺ ووصيه الإمام علي (عليه السلام).

إلقاء الحجة:

لم يترك الإمام الحسين (عليه السلام) خصومه من دون وعظ وإرشاد؛ عسى أن يعودوا إلى رشدهم، من طريق إيضاح الصورة التي التبست عليهم بوعي منهم أو من دون وعي؛ إذ ربّما أثرت الدعاية الإعلامية للخصم، فينساق الناس وراءها من طريق قلب الحقائق، فتنتلي الأكاذيب، وهذا غالباً ما يقع فيه عامّة الناس؛ بسبب سهولة الإيقاع بهم وتضليلهم، فيما يركب العناد والتعنت الفئة الثانية التي هي على اطلاع ومعرفة بالحقيقة، إلا أنّ حبّ الدنيا وبريق الذهب قد خطف أبصارها، فوقعت في شرك النفس الأمّارة بالسوء.

أمام هذا الانسياق وراء هوى النفس ومغريات الدنيا وجد الإمام عليه السلام ضرورة ملحة إلى تبصير الفئة الأولى على الأقل؛ علماً ترجع إلى رشدنا، فكان لا بد من إلقاء الحجة على الناس وتحذيرهم من الانحراف والردة، فوجه خطابه إليهم في أوج المعركة، «ركب فرسه، واستنصت الناس، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: تَبَّ لكم أيُّها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم، حين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم مُوجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحمشتم علينا ناراً أضر مناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلّبا على أوليائكم، ويداً على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منّا إليكم، فهلاً لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا، وتهاقتم إليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفهاً وضيلاً، فبعداً وسُحراً لطواغيت هذه الأمة، وبقية الأحزاب ونبذة الكتاب، ومُطفئي السنن، ومُؤاخي المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضيّن، وعصاة الإمام، وملحقي العهرة بالنسب، ولبس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، أفهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون، أجل والله، خذل فيكم معروف، نبتت عليه أصولكم، واتزرت عليه عروقكم، فكنتم أخبث ثمر شجر للناضر، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين، الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً» [الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٤ انظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٢١].

مما يميّز هذا الخطاب، هو الشدّة والقوة التي يتطلبها الموقف، وكأنّ القوم قد وصلوا إلى مرحلة اللا عودة، فأراد تعنيفهم وزجرهم، فاستعمل ألفاظاً تتسم بالشدّة، فذكّرهم بكتبهم وبيعتهم له، ثمّ تراجعهم وانحيازهم إلى الطاغوت.

حفظ كرامة الآخر:

ومن المضامين الإنسانية التي حفلت بها السيرة الحسينية الشريفة، التي تُعدّ دروساً ومبادئ رصينة وراسخة، يجدر بالمؤسسة التي تُعنى بحقوق الإنسان أن تتخذ منها مناراً تهتدي به، ومنهاجاً تحذو حذوه؛ لتحفظ كرامة الإنسان وتصون ماء وجهه؛ لأنّه قيمة عليا كرمه الله سبحانه وتعالى وسخر له كلّ شيء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: آية ٧٠]، ولما كان الإنسان هذا قدره وهذه منزلته عند الله سبحانه وتعالى، نجد هذا التكريم قد انسحب على سلوك الأئمة (عليهم السلام) وطريقتهم في التعامل مع الإنسان، ونجد ذلك الأمر جلياً في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) الموجه للإنسان حينما «جاءه رجل من الأنصار يُريد أن يسأله حاجة، فقال (عليه السلام): يا أخا الأنصار، صن وجهك عن بذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإنّي آتٍ فيها ما سارّك إن شاء الله. فكتب: يا أبا عبد الله، إنّ لفلان عليّ خمسمائة دينار، وقد ألحّ بي، فكلمه ينظرني إلى ميسرة. فلما قرأ الحسين (عليه السلام) الرقعة دخل إلى منزله، فأخرج صرة فيها ألف دينار، وقال (عليه السلام) له: أمّا خمسمائة، فاقض بها دينك، وأمّا خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلّا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروءة، أو حسب، وأمّا ذو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروءة فإنّه يستحيي لمروءته، وأمّا ذو الحسب، فيعلم أنّك لم تُكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردّك بغير قضاء حاجتك» [المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١١٨].

لم يتبع الإمام (عليه السلام) صدقته بالمن، وكأنّه استحضر مضمون الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: آية ٢٦٤]، ولم يكتفِ الإمام (عليه السلام) بحفظ

ماء وجه السائل، بل وضع قاعدة لذلك من طريق إرشاد مَنْ يضطر إلى طلب الحاجة من الناس، أن لا يسأل إلا ذا دين (فيصون دينه)؛ فيكتفم أمر السائل ولا يذيع خبر مسألته بين الناس، وذا المروءة؛ (فإنه يستحيي لمروءته)، فلا يهدر كرامة السائل فيحسن إليه، أما ذو الحسب، فإنه يستجيب لمن يسأله قضاء حاجة من دون من أو أذى.

الحضُّ على المكارم:

من مواعظه عليه السلام الحضُّ على المكارم وترغيب الناس في التسابق في عمل الخير، وقضاء حوائج الآخرين، وتجنب المن والأذى، إذ يقول: «أيها الناس، نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغامم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه، واكتسبوا الحمد بالنجح، ولا تكتسبوا بالمطل ذمًا، فمهما يكن لأحد صنعة له رأى أنه لا يقوم بشكرها فالله مكافٍ له، فإنه أجزل عطاءً وأعظم أجرًا. اعلّموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، ولا تملّوا النعم فتحورنقما، واعلموا أن المعروف مكسب حمداً ومعقب أجرًا، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم رجلاً رأيتموه سمجاً مشوّهاً تنفر منه القلوب وتغصّ دونه الأبصار» [ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية: ج ١، ص ١٠٢].

لقد رسم الإمام عليه السلام للمكارم صوراً محسوسة تتمثل أمام الناظر بأحسن صورها وأبهاها؛ لتكون مآ تشخص إليها الأبصار، وتهفو إليها الأنفس، فقد شبّه صورة المعروف بصورة رجل وضيء حسن الوجه يسر الناظرين، ويقابل ذلك بصورة اللؤم، فيشبّهه بصورة رجل سمج مشوّه تنفر منه القلوب.

وتتوالى عباراته مفعمة بالمواعظ التي تحث على التحلي بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة، التي ترتقي بالنفس وتنزع منها كل ما يشينها؛ لأنّ بصلاح النفس يصلح المجتمع بأسره، إذ يقول عليه السلام: «أيها الناس، من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإنّ أجود

الناس مَنْ أعطى مَنْ لا يرجو، وإنَّ أعفى الناس مَنْ عفى عن قُدرة، وإنَّ أوصل الناس مَنْ وصل مَنْ قطعه، والأُصول على مغارسها بفروعها تسموا، فمن تعجّل لأخيه خيراً وجده إذا قدّم عليه غداً، ومَنْ أراد الله تبارك وتعالى بالصنعة إلى أخيه كافأه بها في وقت حاجته، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومَنْ نفس كربة مؤمن فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومَنْ أحسن أحسن الله إليه، والله يحبّ المحسنين» [المصدر السابق].

ولعلّ سوق كلّ مكرمة وما يقابلها من ثواب يترك في النفس أثراً واضحاً، فجعل (على سبيل المثال) ثمن الجود السيادة، على حين قابل بين كلّ رذيلة بجزائها، فجعل الدناءة والوضاعة مصير كلّ بخيل، وكذلك قابل بين الوصل والقطع، والأُصول والفروع، والدنيا والآخرة.

هذا وقد عدّ الإصلاح الاجتماعي من مقاصد القرآن الكريم، وهو يقوم على أصول أدبية أربعة هي:

- وحدة الأمة: قال تعالى مخاطباً أمة الإسلام: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

- الوحدة الإنسانية بالمساواة بين أجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم وشاهده قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣، وقد بلغ النبي ﷺ ذلك للأمة في حجة الوداع.

- وحدة الدين بإتباع رسول واحد جاء بأصول الدين الفطري الذي جاء به غيره من الرسل، وأكمل تشريعه بما يوافق جميع البشر ودليله قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

- وحدة الإخوة الروحية والمساواة بين المؤمنين بهذا الدين في إخوته الروحية، وعباداته، وفي الاجتماع الاجتماعي، منها الصلاة ومناسك الحج، فملوك المسلمين وأمراءهم وكبار علمائهم، يختلطون بالعوام والفقراء في صفوف الصلاة والطواف بالكعبة والوقوف بعرفات وسائر مواطن الحج، ولا يرضى غير المسلمين بمثل هذه المساواة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ التوبة: ١١ (انظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ج ١١، ص ٢٥٥-٢٥٧).

ويهدف الإصلاح الاجتماعي إلى تحقيق المساواة وتكافؤ الفرص أمام القانون والعدالة في توزيع أعباء الإنفاق العام، وإشراك المجتمع في المسؤولية السياسية والتمتع بالحريات الأساسية» (الدخيل، عبد العزيز عبد الله، معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية).

فالإصلاح الاجتماعي حركة عامة تحاول القضاء على المساوي التي تنشأ عن خلل في الوظائف أو النسق الاجتماعي أو أي جانب فيه. ويستخدم هذا المصطلح لإزالة الفساد الحكومي.

إنَّ الفساد الاجتماعي يظهر في كبار المسؤولين من الناحية الأخلاقية، ومنها: (شبكات الرق، ومافيا الأطفال)، وهي الأعمال اللاأخلاقية اجتماعياً؛ لذا فهو بمجمله انحراف أخلاقي متعلق بسلوك الموظف وتصرفاته بأعمال محلّة بالحياة العامة وفي أماكن العمل، أو يجمع بين الوظيفة وأعمال خارجية دون إذن؛ فيستغل السلطة لتحقيق مآرب شخصية على حساب المصلحة العامة، أو أن يمارس المحسوبية بشكلها

الاجتماعي الذي يسمّى بـ(المحابة الشخصية) من دون النظر إلى اعتبارات الكفاءة والجدارة والخبرة.

إنّ الفساد الإداري يظهر في الانحرافات الإدارية في الوظيفية والتنظيمية، ويشمل (الرشوة، المحابة، المحسوبية، الاحتيال)، وبذلك تصدر عن الموظف العام في أثناء تأديته لمهام وظيفته في منظومة التشريعات والقوانين والضوابط ومنظومة القيم الفردية التي لا ترقى للإصلاح وسدّ الفراغ لتطوير التشريعات والقوانين؛ وبذلك يغتنم الفرصة للإفادة من هذه الفرص على صنع القرار.

فالفساد الاقتصادي يظهر في صفقات الأسلحة والجريمة المنظّمة مثل: (المخدرات، غسيل العملة، التهرب من الضريبة، وصفقات المساعدات الإنسانية)؛ لذا فهو سلوك منحرف ومخالف للقواعد والأحكام المالية الذي تسير عليها المؤسسة الإدارية والمالية في الدولة، أي: مخالفة التعليمات الخاصة بأجهزة الرقابة المالية كالجهاز المركزي للرقابة المالية والخاص بفحص ومراقبة حسابات وأموال الحكومة، ويشمل (الرشاوي، والاختلاس، والتهريب الضريبي، وتخصيص الأراضي، والمحابة، والمحسوبية في التعيينات الوظيفية).

من المعلوم أن ليس من السهل إعادة بناء الإنسان ما لم تكن هناك رغبة حقيقية وصادقة عند أصحاب القرار؛ وذلك بوضع خطط واضحة ومنهجية علمية تجعل من مخرجات التربية والتعليم تتميز بتفوق الكم على النوع، وتحسين الأداء، ومهارات أداء الطالب والتدريسي، والمنهج والمؤسسة التعليمية بشكل عام، ولكن الذي يقف أمام ذلك هو الفساد التربوي ومنها الغش في الامتحانات، وتزوير الشهادات، واعتلاء المناصب الإدارية من قبل أشخاص غير مؤهلين مهنيًا وتربويًا، والتدريس الخصوصي، والمحسوبية، والفئوية، والقومية، والعشائرية.

التائج:

إنَّ حركة الإصلاح لها مفهوم شامل وكبير يشمل مجالات الحياه العامة.
وإنَّ الإمام الحسين عليه السلام جسّد معاني حركة الإصلاح في تصحيح مسار الأمة بدءاً من النفس حتى المجتمع ومؤسساته وذلك من طريق محاربة الفساد بكل أشكاله، بمقولته المشهورة: «وإنِّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب».

يقوم الإصلاح الاجتماعي على أصول وقواعد يجب الأخذ بها حتى تتم عملية الإصلاح، وقد قسم أصول الإصلاح الاجتماعي على قسمين: أصول إصلاح الأفراد، وأصول إصلاح المجتمع أو إصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد أو على مستوى المجتمع

والاصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد كإصلاح النفس، والثبات على المبدأ، واتباع السنّة و... إلخ

والإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلقاء الحجّة، وحفظ كرامة الآخر، والحضّ على المكارم

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام أصبح مصباح الهدى وسفينة النجاة في حفظه مبادئ الدين وفروعه، وإنَّ ثورته المباركة أفرزت قيماً للأجيال القادمة والأُمم والشعوب المضطهدة، فهي ليست محلية، بل أصبحت عالمية، ينبغي التمسك بها، وبذلك قدّم الإمام الحسين عليه السلام في معركة الطف الخالدة قرابين للدين الإسلامي؛ لكي يبقى الإسلام صافاً معطراً بعطر الرسول محمد صلوات الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

فهرست المصادر:

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١. ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية
٢. ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول
٣. ابن عاشور، محمد الطاهر (٢٠٠١م) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار النفائس، الأردن، ط ١.
٤. ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام.
٥. أبو الفرج الإصهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين.
٦. الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة.
٧. الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، دروس من يوم عاشور، قسم الثقافة والإعلام، سلسلة (١٧).
٨. الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، نصرّة الإمام الحسين عليه السلام، قسم الثقافة والإعلام، سلسلة (٦٥).
٩. بدوي، أحمد زكي (١٩٧٧م) قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان.
١٠. بلقزيز، عبدالله (١٩٩٧م) الخطاب الإصلاحي في المغرب، دار المنتخب، بيروت، ط ١.
١١. الدخيل، عبد العزيز عبدالله (٢٠١٣م) معجم مصطلحات الخدمة الاجتماعية، انجليزي، عربي، دار المناهج، الأردن.
١٢. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء.
١٣. رشيد رضا، محمد تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط ٢.

١٤. الزبيدي، صباح حسن عبد (١٤٣٠ هـ) القيادة الحسينية كأسلوب ثوري في قيادة المجتمع وإصلاحه من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحث مقدم إلى مهرجان ربيع الشهادة الخامس، وتحت شعار (الثابت الحسني في عالم متغير - مؤتمرهم العلمي الثالث، العتبة الحسينية والعباسية).

١٥. سبط بن الجوزي، يوسف ابن فرغلي، تذكرة الخواص.

١٦. الشيرازي، السيد محمد (٢٠٠٤م) الحسين عليه السلام مصباح الهدى، دار صادق للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة.

١٧. الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت عليهم السلام.

١٨. الصدوق، محمد بن علي (ت ٣٨١ هـ) الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط ١، ١٤١٧ هـ، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

١٩. الصدوق، محمد بن علي، مَنْ لا يحضره الفقيه.

٢٠. طاهر، أنعام إسماعيل (٢٠١٦م) مفهوم الإصلاح في النهضة الحسينية وأهميته تطبيقه في التربية والتعليم، بحث مقدّم إلى مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي للنهضة الحسينية، تحت شعار (النهضة الحسينية مشكاة التكامل الإنساني) كربلاء المقدسة للفترة من (٢٥ - ٢٦ / آب / ٢٠١٦م).

٢١. الطباطبائي محمد حسين (١٤٠٢ - ١٣٤٢ هـ) الميزان في تفسير القرآن.

٢٢. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج.

٢٣. الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان

٢٤. العاملي، محمد بن مكّي، الدرّة الباهرة من الأصداف الطاهرة.

٢٥. عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات الفقهية

٢٦. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري،

ط ٣، ١٣٦٧ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٢٧. المجلسي، محمدباقر (١٤٠٣/١٩٨٣م) بحار الأنوار، ط ٢، الناشر: مؤسسة الوفاء/ دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٢٨. مجموعة من العلماء، بحوث مؤتمر الإصلاح الاجتماعي.
٢٩. محمود، علي عبد الحليم (١٩٩٤م) فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط ١.
٣٠. محمود جمال الدين محمد (١٩٩٢م) أصول المجتمع الإسلامي، دار الكتاب المصري ط ١.
٣١. مركز الرسالة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٢. النورة جي، أحمد خورشيد (١٩٩٠م) مفاهيم في الفلسفة والاجتماع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.



حضور القرآن في حياة الإمام الحسين عليه السلام
وآفاقه في حياتنا المعاصرة

أ.د خليل خلف بشير - آداب البصرة

و.م.م ستار جليل عجيل - مديرية تربية ذي قار

الملخص:

هذا بحث يدرس في صفحاته العلاقة الحميمة بين سيد شباب أهل الجنة، سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام - والقرآن الكريم مُنطلقين من مدخل عنوانه (الثقل الأصغر والثقل الأكبر) تلتها العنوانات الآتية: (الحسين شريك القرآن، وأهمية القرآن عند الحسين، وثورة الحسين مستمدة من القرآن، الليلة الأخيرة والقرآن، بلاغة الحسين والقرآن، أصحاب الحسين والقرآن، رأس الحسين والقرآن).

واتضحت تلك العلاقة الوثيقة بين سبط الرسول الإمام الحسين عليه السلام والقرآن فكان القرآن رافداً أساسياً يستمد منه عطاءه وعنفوانه، فكان تالياً كتاب الله حق تلاوته، وقد أحكم القرآن بتلاوة آياته الكريمة، وبذل دمه ومهجته في سبيله، وأنه شريك للقرآن من جوانب عدة ومختلفة من ذلك أنه شارك القرآن في اثنين وثلاثين اسماً، وقد أعطاه الله تعالى لأجل ذلك خصائص القرآن وصفاته فهو كلام الله حقيقة، وهو متكلم ناطق حقيقي، وجوده على نحو وجود الكلام لله تعالى، ومبين لكلام الله الصامت، وأتتهما لن يفترقا، وأتتهما الثقلان اللذان خلفهما رسول الله المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأودعهما أمته.

ولأهمية القرآن وثقله وعطائه الثر نراه يعطي معلم ولده القرآن ألف دينار وألف حلة ويحشو فاه دراً ثم يقول كلمة قيّمة مباركة وجملة ثمينة خالدة بحق القرآن.

ولعل من علاقته الحميمة بالقرآن نجد ثورته عليه السلام - قد استلهمها من القرآن الكريم فقد سار عليه السلام إلى مكة وهو يقرأ قوله تعالى فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما صنع ابن الزبير لثلا يلحقك الطلب، فقال: لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض. ولما دخل الحسين مكة كان دخوله إليها ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، دخلها وهو يقرأ قوله تعالى ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل.

أما حبه للقرآن فقد استمر حتى في الليلة الأخيرة من حياته ليلة العاشر من المحرم فقد كلف أخاه العباس (عليه السلام) في أن يؤخرهم الى يوم غد من أجل أن يقضوا ليلتهم ذاكين ومستغفرين وتالين للقرآن لحبه للصلاة، وتلاوة القرآن، والدعاء، والاستغفار. وفي اليوم العاشر لم تخل خطاباته من الذكر الحكيم فقد كان يقرأ آيات القرآن، ويترنم بها بل ربما يقرأها جهراً بحيث يسمعه كل من يمر به، ولم يكن الإمام الحسين (عليه السلام) وحده عاشقاً للقرآن بل أعطاه الله أصحاباً خير أصحاب كانوا أهل القرآن وقراء كتاب الله ومعلميه يتلون آيات القرآن آناء الليل وأطراف النهار فكان من أصحابه من هو مقرئ للقرآن كبرير بن الخضير الذي كان يلقب بشيخ القراء ناهيك عن حبيب بن مظاهر الأسدي الذي نعته الإمام الحسين (عليه السلام) بوصف جميل وهو أنه كان يختم القرآن في ليلة واحدة في قوله (عليه السلام): لله درك يا حبيب لقد كنت فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة.

ولعل أعلى مظاهر عشق الإمام للقرآن قد تجلت ما لم يظهر من غيره ذلك أنه لم يدع تلاوة القرآن حتى بعد أن فرّق بين رأسه وبدنه فسمع صوت التلاوة يخرج من فمه الشريف في تلك الحال، وهو مظهر تفرد به سيد الشهداء دون غيره، وهو من أعجب الأعاجيب التي يتحير عندها العقول، وهو ما يفصح عن كمال علاقة الحسين (عليه السلام) بالقرآن وشدة تعلقه وارتباطه به فقد كان رأسه الشريف المفصول عن الجسد يتكلم ويقرأ القرآن ويترنم بآياته الكريمة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الإمام الحسين (عليه السلام)، الحياة المعاصرة

Summary:

This research studies, within its pages, the strong relationship between the heaven's youth master & Master of Martyrs (PBUH) and the Holy Quran, starting from a topic addressed by [(Greater & Smaller legacy (The Holy Quran & Ahlulbayet)], followed by the followings (al-Hussain the partner of Quran, the Quranc importance to Imam Hussain, Imam Hussain's revolution inspired by Quran, the last night of al-Taff (before Ashura day) and the Quran, Imam Hussain's rhetoric & Quran, Imam Hussain's followers & Quran, Imam Hussain's head & Quran)

The strong relationship between Imam Hussain and Quran has been shown up, as The Quran had been the key source that gave him strength & grace.

He was reciting Allah's book a perfect recitation, strengthening its position, giving his blood & soul for it, and he is a partner of the Quran from several & different aspects, so he shared with the Quran 32 names. Because of that, Allah has given him the features & qualities of the Quran, and he is Allah's word, a True speaker. And His existence equals the Quran's subsistence, indicating Allah's silent words. They cannot be separated, as the prophet Mohammad left the two legacies (Mentioned above) for his people.

Perhaps due to his strong relationship with Quran, his revolution was inspired by the Holy Quran, as he traveled to Mecca while his mouth was reciting Quranic verse:

"فخرج منها خائفاً يترقب قال ربي نجني من القوم الظالمين "

He had put his feet on (the Greatest road.) His family told him to leave it, as al-Zubair's son had made, so as not to make the enemies follow him; he replied: I swear to Allah, I won't leave it (the road) until Allah wills my soul to be taken. And when Imam Hussain reached Mecca, he was there on Friday night... (3 days passed from Sha'aban).He entered the city reciting Allah's words:

"ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل"

(And when he directed himself toward Madyan, He said, " Perhaps my lord will guide me to the sound way.)

His love for the Qur'an continued until the last night of his life (Ashuraa night of Muharram) he asked his brother -al-Abbas (PBUH)- to delay the enemies for another day (tomorrow), in order to spend their night remembering & praising Allah, and reciting his book, because of his love for prayer, reciting Quran, Doaa, asking Allah's forgiveness, at Ashuraa day, his speeches weren't but mention Allah's words, as he was reading Quranic verses reciting them in public, so everyone can listen to him, Imam Hussain wasn't alone in loving Quran, Allah gave him great followers, as they were Quran's readers, reciters, memorizers, scholars, recite its verses, during night and day, and one of his followers was a Quranic reciter (Burair bin al-Khudair) as he was named by reciters master, in addition to Habib Bin Mudhahir al-Asadi, that Imam Husain had named him with a beautiful title, that he was completing the whole Quran in on the night, as he said: Oh Habib you were a man of virtues, as he complete reading the Quran in one night.

Perhaps the highest manifestation of Imam Hussain's adoration of the Quran seemed to be manifested, as he didn't leave reciting Quran even after he was martyred and his head was cut off from his body. The people heard him reciting the Quran, which is something that Incredibly Imam Hussain was distinguished of, and shows the Imam's intense attachment, as his separated head reciting the Quran.

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فهذا بحث يدرس في صفحاته العلاقة التكاملية بين سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين - عليه السلام - والقرآن الكريم انطلاقاً من مدخل عنوانه (الثقل الأصغر والثقل الأكبر) تلته العنوانات الآتية:

الحسين عليه السلام وشريك القرآن الكريم.

أهمية القرآن الكريم عند الحسين عليه السلام.

ثورة الحسين عليه السلام مستمدة من القرآن الكريم.

الليلة الأخيرة والقرآن الكريم.

بلاغة الحسين عليه السلام والقرآن الكريم.

أصحاب الحسين عليه السلام والقرآن الكريم.

رأس الحسين عليه السلام والقرآن الكريم.

على أنّنا بذلنا جهدنا، وأعملنا فكرنا؛ لنضع هذا البحث بالمستوى المطلوب راجين من الله القبول، بحق سيدنا الإمام الحسين عليه السلام الشفاعة، ومن الله نستمد العون والتوفيق.

مدخل: الثقل الأصغر والثقل الأكبر:

لقد تمثّل الإمام الحسين عليه السلام القرآن الكريم، وحفظ نصه، وأتقن أساليبه وطرق

تعبيره، وأحاط بوجوه إعجازه، ولاسيما أن معلمه الأول جده رسول الله ﷺ، وأبوه أمير المؤمنين عليه السلام فأنقن ما ورد عنهما من أحاديث وخطب ورسائل فخيرَ عنهما طرق التعبير وفنونه، فقد حمل الإمام الحسين عليه السلام عن جده وأبيه إراثًا عظيمًا متمثلًا ببلاغة القول وفصاحة اللسان وقوة التعبير، فهو سليل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل^١.

وكانت الصلة بين الإمام الحسين عليه السلام والقرآن الكريم عميقة جدًا فالإتصال بينهما هو فوق حد البيان وخارج عن وصف الأقلام فكان -عليه السلام- ملازمًا للقرآن الكريم وحليفه ليلاً ونهارًا، وخير دليل على ذلك ما ورد في زيارته في ليلة القدر: «أشهد أنك أقمّت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، وتلوت الكتاب حق تلاوته...»^٢، وفيها أيضًا قوله «السلام عليك يا باب المقام، السلام عليك يا شريك القرآن...»^٣، وكذا في زيارته في عيدي الفطر والأضحى المباركين قوله: «وأشهد أنك التالي لكتاب الله، وأمين الله، الداعي إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة»^٤.

الحسين شريك القرآن الكريم:

كان الإمام الحسين عليه السلام تاليًا كتاب الله حقّ تلاوته فقد أحكم القرآن بتلاوة آياته الكريمة، وبذل دمه ومهجته في سبيله، وأنه شريك للقرآن من جوانب متعددة ومختلفة من ذلك أنه شارك القرآن في اثنين وثلاثين اسمًا، وقد أعطاه الله تعالى لأجل ذلك خصائص القرآن وصفاته فهو كلام الله حقيقة، وهو متكلم ناطق حقيقي، وجوده على نحو وجود الكلام لله تعالى، ومُبيّن لكلام الله الصامت، وأنهما لن يفترقا، وأنهما الثقلان اللذان خلفهما رسول الله المصطفى محمد ﷺ وأودعهما أمته^٥.

الحسين والقرآن شريكان؛ لأسباب منها ٦:

القرآن المجيد: شافع لمن يتلوه ويداوم عليه، والحسين: شافع لمن يزوره ويبكي عليه.

القرآن المجيد: معجزة بأسلوبه، وبمعانيه العميقة الواسعة. والحسين: معجزة برأسه وبدنه ودمه وترابه، كما يظهر من الكرامات الظاهرة لكل واحد في قضايا عدة.

القرآن المجيد: جديد لا يبلى، ولا يُمل بكثرة التكرار مدى الأزمان، والحسين: مصابه جديد في كل سنة، ولا يمل بكثرة الذكر والتكرار والالتجاء إليه والتمسك به. القرآن المجيد: قراءته عبادة، واستماعه عبادة، والنظر إليه عبادة، والحسين: رثاؤه عبادة، واستماع رثائه عبادة، والجلوس في مجلسه عبادة، والهم له عبادة، والبكاء له عبادة، والإبكاء عليه عبادة، والتشبه بالباكي عبادة، وزيارته عبادة، والسلام عليه من بعيد عبادة، وزيارة زائره عبادة، وتمني الشهادة معه عبادة.

القرآن المجيد: كلام الله سبحانه الصامت، والحسين: كلام الله تعالى الناطق

القرآن المجيد: كريم شريف مجيد حكيم عزيز، والحسين: كريم شريف مجيد شهيد؛ بل هو القرآن والقرآن هو.

القرآن المجيد: فيه قصص الأنبياء عليهم السلام وحالاتهم، وما أصابهم بالبيان، والحسين: في حالته وموقفه تكمن قصة كل نبي عليه السلام، وحالته بالعيان، بل قد زاد على كل حالة بخصائص اختص وامتاز بها.

القرآن المجيد: آياته الظاهرة ستة آلاف وست مائة وست وستون. الحسين: آياته الظاهرة في بدنه ألف وتسعمائة، وقيل أربعة آلاف، وإذا عددت الجرح على الجرح والضربة على الضربة والطعنة على الطعنة، وما أصابه من الرضّ بلغت الى ستة آلاف وستمائة وست وستين.

القرآن المجيد: فيه البسملة في مائة وأربعة عشر مكاناً، والحسين: في بدنه جروح السيف مثل البسملة مائة وأربعة عشر.

القرآن المجيد: له أجزاء وسور وسطور وحروف ونقط وإعراب ومعان وإعجاز، والحسين: لبدنه المبارك أجزاء، وله سور، وله سطور، وفيه كلمات، وحروف ونقط وإعراب ومعان وإعجاز ظاهري وملكوتي، وله جاه ومقام عند رب العالمين لا ينقص عن جلالته القرآن وهيبته.

القرآن المجيد: أربعة أقسام: طوال، ومئين، ومثاني، ومفصل. والحسين: أربعة أقسام: رأس على الرماح مسافر، وجسد في كربلاء مطروح، ودم زاك على أجنحة الطيور، وفي القارورة الخضراء عند الملك القهار، ومفصل من صغار أعضاء أطراف الجسد الشريف، ومتفرق في الصحراء على رمضاء كربلاء ثلاثاً.

القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، والحسين شفاء للأمراض الباطنة، وتربته شفاء للأمراض الظاهرة، وهو رحمة للمؤمنين.

والقرآن المجيد نور وهداية، والحسين نور وهداية تضمخ جسده بالدم والتراب.

القرآن المجيد روح للنبي ﷺ وللناس، والحسين ريحانة لرسول ﷺ وراحة للناس.

القرآن المجيد حكيم يعالج القلوب ويهديهم للطاعة، والحسين حكيم عالج قومًا بهدايتهم إلى الطاعة، وعالج العاصين بالشفاعة.

أهمية القرآن الكريم عند الحسين (عليه السلام):

ولأهمية القرآن وثقله وعطائه الثر نراه يعطي معلم ولده القرآن ألف دينار وألف حلة ويحشو فاه درًا، ثم يقول كلمة قيمة مباركة وجملة ثمينة خالدة بحق القرآن، وهي: (أين يقع هذا من عطائه) ؛ إذ يقول ابن شهر آشوب: «وقيل إن عبد الرحمن السلمي علم

ولد الحسين الحمد فلما قرأها على أبيه أعطاه ألف دينار والف حلة وحشا فاه دُرًّا، فقيل له في ذلك قال: وأين يقع هذا من عطائه، يعني تعليمه، وأنشد الحسين:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها

على الناس طرا قبل أن تتفلت

فلا الجود يفيها إذا هي أقبلت

ولا البخل يبقها إذا ما تولت»^٧.

وقد أمدَّ الله الحسين عليه السلام بإمدادات رحمانية وألطف رحيمية سماوية فهو في مواطن يعجز فيها الأبطال عن الثبات والاستقامة يخرج بقوة إرادته واسترشاده من القرآن الكريم منصورًا ناجحًا قد غلب عدوّه وبدّل خصمه العادي محبًّا ووفياً له، والشواهد كثيرة وحسبنا منها ما روي عن عصام بن المصطلق أنّه قال: «دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي عليه السلام فأعجبني سمته ورواؤه، وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض، فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟ فقال: نعم. فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ* وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ عليه السلام وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾^٨. ثم قال لي: خفض عليك، استغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا لرشدناك. قال عصام: فتوسم مني الندم على ما فرط مني. فقال: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^٩ أمن أهل الشام أنت؟ قلت: نعم. فقال: (شنشنة أعرفها من أخزم)^{١٠} حيانا الله وإياك، انبسط إلينا في حوائجك، وما يعرض لك تجدني عند أفضل ظنك إن شاء الله تعالى. قال عصام: فضاقت عليّ الأرض بما رحبت وودت لو ساخت بي، ثم سللت منه لوأداً، وما على الأرض أحبّ إليّ منه ومن أبيه»^{١١}.

ثورة الحسين مستمدة من القرآن الكريم:

لقد كانت ثورته - (عليه السلام) - مستلهمة من القرآن فقد روى السيد ابن طاووس «عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: لما سار أبو عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام) من مكة ليدخل المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسومين والمردفين في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة، فسلموا عليه وقالوا: يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه أن الله (عز وجل) أمدَّ جدك رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنا في مواطن كثيرة وإن الله أمدك بنا. فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء فإذا وردتها فأتوني فقالوا: يا حجة الله إن الله أمرنا أن نسمع لك ونطيع فهل تحشى من عدو يلقاك فنكون معك، فقال: لا سبيل لهم عليّ، ولا يلقوني بكرهية أو اصل إلى بقعتي وأنته أفواج من مؤمني الجن، فقالوا له: مولانا نحن شيعتك وأنصارك فمرنا بما تشاء فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك، فجزاهم خيراً، وقال لهم: أما قرأتكم كتاب الله المنزل على جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قوله تعالى: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾^{١٢} فإذا أقمت في مكاني فبمن يمتحن هذا الخلق المتعوس؟ وبماذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي؟ وقد اختارها الله تعالى لي يوم دحا الأرض وجعلها معقلاً لشيعتنا ومحبيننا، تقبل أعمالهم وصلواتهم ويحباب دعاؤهم وتسكن شيعتنا فتكون لهم أماناً في الدنيا وفي الآخرة؛ ولكن تحضرون يوم السبت وهو يوم عاشوراء وفي غير هذا الرواية يوم الجمعة الذي في آخره أقتل ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وإخواني وأهل بيتي، ويسار رأسي إلى يزيد بن معاوية (لعنهما الله) فقالت الجن: والله يا حبيب الله وابن حبيبه لولا أن أمرك طاعة وأنه لا يجوز لنا مخالفتك لخالفناك وقتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك، فقال لهم (عليه السلام) ونحن والله أقدر عليهم منكم ولكن ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِنَا﴾^{١٣} ١٤.

ولعل الاستفادة من الرواية السابقة أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد ربط الأمور بالأسباب الطبيعية، وإلا بإمكانه طلب النصرة من الملائكة أو الجن، ولا سيما أنهم رغبوا رغبة كبيرة في ذلك، والملاحظ أنّ آيات القرآن الكريم كانت حاضرة في كلامه وخطابه.

فقد روى الشيخ المفيد «... فسار الحسين عليه السلام إلى مكة وهو يقرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^{١٥}، ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما صنع ابن الزبير لئلا يلحقك الطلب، فقال: «لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ». ولما دخل الحسين عليه السلام مكة كان دخوله إليها ليلة الجمعة لثلاث مضيّن من شعبان، دخلها وهو يقرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^{١٦}...»^{١٧}.

الليلة الأخيرة والقرآن الكريم:

أما حبّه للقرآن فمن كلام له لأخيه العباس حين أنهى إليه أنّ القوم قالوا قد جاء أمر الأمير أن يعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم: «ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غد، وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أي كنت قد أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار»^{١٨}.

وهكذا مضى الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة يصلون ويتضرعون ويتلون القرآن. «قال الراوي: وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دوي كدوي النحل ما بين راعع وساجد وقائم وقاعد، فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلا، وكذا كانت سجية الحسين عليه السلام في كثرة صلاته وكمال صفاته»^{١٩}.

وفي اليوم العاشر في خطاباته للقوم لم تخلُ من الذكر الحكيم فقد كان يقرأ بآيات القرآن، ويترنّم بها؛ بل ربما يقرأها جهراً بحيث يسمعه كل من يمر به. قال الضحاك بن عبد الله: «ومرت بنا خيل لابن سعد تحرسنا وإن حسينا عليه السلام ليقرأ ﴿فلا تحسبنّ الذين

كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿٢٠﴾ فسمعها من تلك الخيل رجل يقال له: عبد الله بن سمير، وكان مضحكًا وكان شجاعا بطلا فارسا شريفا فاتكا فقال: نحن - وربّ - الطيبون ميزنا بكم، فقال له برير بن الخضير: يا فاسق أنت يجعلك الله من الطيبين؟ قال له: من أنت ويلك، قال: أنا برير بن الخضير فتسابا^{٢١}.

بلاغة الحسين والقرآن الكريم:

كان سيد الشهداء (عليه السلام) ينتقي الآيات القرآنية بحسب المقامات المناسبة، ولعمري هذا قمة البلاغة، ولاسيما أنّ العلماء قد عرفوا البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فمرة يقف على رأس شهيد فيقرأ آية الشهادة، وأخرى يقدم ابنه الشاب وشبيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) - علي الأكبر - فيقرأ آية الاصطفاء. قال السيد ابن طاووس: «ثم خرج مسلم بن عوسجة فبالغ في قتال الأعداء، وصبر على أهوال البلاء حتى سقط إلى الأرض وبه رمق فمشى إليه الحسين (عليه السلام) ومعه حبيب بن مظاهر فقال له الحسين: رحمك الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^{٢٢}».

فأول من خرج منهم علي بن الحسين الأكبر، وكان علي من أصبح الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا، وكان عمره تسع عشرة سنة أو ثماني عشرة سنة أو خمسًا وعشرين سنة، وهو أول قتيل يوم كربلاء من آل أبي طالب، فاستأذن أباه بالقتال فأذن له ثم نظر إليه نظر آيس منه، وأرعى عينيه فبكى، ثم رفع سبابتيه نحو السماء، وقال: اللهم كن أنت الشهيد عليهم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقًا وخلقا ومنطقًا برسولك، وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه، ثم رفع صوته وتلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^{٢٤}»^{٢٥}.

أصحاب الحسين والقرآن الكريم:

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام وحده عاشقاً للقرآن، بل أعطاه الله أصحاباً خير أصحاب؛ كانوا أهل القرآن وقرّاء كتاب الله ومعلّميه، يتلون آيات القرآن آناء الليل وأطراف النهار، فكان من أصحابه من هو مقرئ للقرآن كبرير بن الحُضير الذي كان يلقب بشيخ القراء. قال السيد محسن الأمين: «كان برير شيخاً تابعياً ناسكاً قارئاً للقرآن من القراء ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من أشرف الكوفة من الهمدانيين قال أهل السير: إنّه لما بلغه خبر الحسين عليه السلام سار من الكوفة إلى مكة ليجتمع بالحسين عليه السلام فجاء معه حتى استشهد»^{٢٦}، فلما رجع قاتله كعب بن جابر «قالت له امرأته أو أخته النوار بنت جابر أعنت على ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء لقد أتيت عظيماً من الأمر والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً»^{٢٧}.

ناهيك عن حبيب بن مظاهر الأسدي الذي نعته الإمام الحسين عليه السلام بوصف جميل وهو أنه كان يختم القرآن في ليلة واحدة في قوله عليه السلام: «لله درك يا حبيب لقد كنت فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة»^{٢٨}.

رأس الحسين والقرآن الكريم:

ولعلّ أعلى مظاهر عشق الإمام للقرآن قد تجلّت ما لم يظهر من غيره ذلك أنّه لم يدع تلاوة القرآن حتى بعد أن فرّق بين رأسه وبدنه فسمع صوت التلاوة يخرج من فمه الشريف في تلك الحال، وهو مظهر تفرد به سيد الشهداء دون غيره، وهو من أعجب الأعاجيب التي يتحيّر عندها العقول، وهو ما يفصح عن كمال علقه بالحسين عليه السلام بالقرآن وشدة تعلقه وارتباطه به، فقد كان رأسه الشريف المفصول عن الجسد يتكلّم ويقرأ القرآن ويترنم بآياته الكريمة، ومن ألطاف الله أنّه قد نقل ذلك المخالفون أيضاً^{٢٩}، ومنهم الدميري في قوله: «تكلم بعد الموت أربعة: يحيى بن زكريا حين ذبح، وحبيب

النجار حيث قال يا ليت قومي يعلمون»^{٣٠}، وجعفر الطيار حيث قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إِنْخ^{٣١}، والحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما حيث قال: ﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^{٣٢ ٣٣}.

وذكر الشيخ المفيد رواية عن زيد بن أرقم أَنَّهُ قَالَ: «مَرَّ بِهِ عَلِيٌّ وَهُوَ عَلَى رِمْحٍ وَأَنَا فِي غُرْفَةٍ، فَلَمَّا حَازَانِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^{٣٤} فوقف - والله - شعري وناديت: رأسك والله - يا ابن رسول الله - أعجب وأعجب»^{٣٥}.

الخاتمة:

اتضح في هذا البحث ما يأتي:

العلاقة الوثيقة بين سبط الرسول الإمام الحسين (عليه السلام) والقرآن فكان القرآن رافداً أساسياً يستمد منه عطاءه وحنفوانه فكان تالياً كتاب الله حق تلاوته، وقد أحكم القرآن بتلاوة آياته الكريمة، وبذل دمه ومهجته في سبيله، وأنه شريك للقرآن من جوانب عدة ومختلفة من ذلك أنه شارك القرآن في اثنين وثلاثين اسماً، وقد أعطاه الله تعالى لأجل ذلك خصائص القرآن وصفاته فهو كلام الله حقيقة، وهو متكلم ناطق حقيقي، وجوده على نحو وجود الكلام لله تعالى، ومبين لكلام الله الصامت، وأتت لهما لفرقا، وأنهما الثقلان اللذان خلفهما رسول الله المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) وأودعهما أمته.

ولأهمية القرآن وثقله وعطائه الثر نراه يعطي معلم ولده القرآن ألف دينار وألف حلة ويحشو فاه دراً ثم يقول كلمة قيّمة مباركة وجملة ثمينة خالدة بحق القرآن.

ولعل من علاقته الحميمة بالقرآن نجد ثورته - (عليه السلام) - قد استلهمها من القرآن الكريم فقد سار (صلى الله عليه وآله) إلى مكة وهو يتلو آيات من القرآن الكريم، ومثل ذلك عند دخوله مكة.

أما حبه للقرآن فقد استمر حتى في الليلة الأخيرة من حياته ليلة العاشر من المحرم فقد كلف أخاه العباس عليه السلام في أن يؤخرهم الى يوم غد من أجل أن يقضوا ليلتهم ذاكين ومستغفرين وتالين للقرآن لحبه للصلاة، وتلاوة القرآن، والدعاء، والاستغفار. وفي اليوم العاشر لم تخل خطاباته من الذكر الحكيم فقد كان يقرأ بآيات القرآن، ويترنم بها بل ربما يقرأها جهراً بحيث يسمعه كل من يمر به.

ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام وحده محباً للقرآن؛ بل أعطاه الله أصحاباً خير أصحاب كانوا أهل القرآن وقراء كتاب الله ومعلميه يتلون آيات القرآن آناء الليل وأطراف النهار، فكان من أصحابه من هو مقرئ للقرآن كبرير بن الخضير الذي كان يلقب بشيخ القراء ناهيك عن حبيب بن مظاهر الأسدي الذي نعته الإمام الحسين عليه السلام بوصف جميل، وهو أنه كان يختم القرآن في ليلة واحدة في قوله عليه السلام: «لله درك يا حبيب لقد كنتَ فاضلاً تحتَم القرآن في ليلةٍ واحدةٍ» .

ولعل أعلى مظاهر عشق الإمام للقرآن قد تجلت ما لم يظهر من غيره ذلك أنه لم يدع تلاوة القرآن حتى بعد أن فرّق بين رأسه وبدنه فسمع صوت التلاوة يخرج من فمه الشريف في تلك الحال، وهو مظهر تفرد به سيد الشهداء من دون غيره، وهو من أعجب الأعاجيب التي يتحيرّ عندها العقول، وهو ما يفصح عن كمال علقه الحسين عليه السلام بالقرآن وشدة تعلقه وارتباطه به، فقد كان رأسه الشريف المفصول عن الجسد يتكلم ويقرأ القرآن ويترنم بآياته الكريمة.

الهوامش:

- ١ ينظر: الخطاب الحسيني في معركة الطف - دراسة لغوية وتحليل / د. عبد الكاظم محسن الياسري ٢٧-٢٨.
٢. المزار / محمد بن جعفر المشهدي ٤١٥.
٣. نفسه ٤٢٦.
٤. بحار الأنوار / المجلسي ٣٥٣/٩٨.
- ٥ ينظر: الخصائص الحسينية / الشيخ جعفر التستري ٣٥١-٣٥٢.
- ٦ ينظر: المصدر نفسه ٣٥٤-٣٥٩.
٧. مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب ٣/٢٢٢.
٨. سورة الأعراف / الآيات ١٩٩-٢٠٢.
٩. سورة يوسف / الآية ٩٢.
١٠. مثل يُضرب للرجل الذي يشبه أباه. ينظر: جمهرة الأمثال / أبو هلال العسكري ١/٥٤١.
١١. منازل الآخرة والمطالب الفاخرة / الشيخ المحقق عباس القمي ٢٠٧-٢٠٨.
١٢. سورة آل عمران / الآية ١٥٤.
١٣. سورة الأنفال / الآية ٤٢.
١٤. اللهوف في قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس ٤٢.
١٥. سورة القصص / الآية ٢١.
١٦. سورة القصص / الآية ٢٢.
١٧. الإرشاد / الشيخ المفيد ٢/٣٦.
١٨. بحار الأنوار ٤٤/٣٩٢.
١٩. اللهوف في قتلى الطفوف ٥٧.
٢٠. سورة آل عمران / الآيات ١٧٨ و ١٧٩.
٢١. بحار الأنوار ٤٥/٣.
٢٢. سورة الأحزاب / الآية ٢٣.
٢٣. اللهوف في قتلى الطفوف ٦٤.
٢٤. سورة آل عمران / الآية ٣٣.
٢٥. أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين ١/٦٠٧.
٢٦. أعيان الشيعة ٣/٥٦١.
٢٧. نفسه ٣/٥٦٢.
٢٨. شجرة طوبى / الشيخ محمد مهدي الحائري ٢/٤٤٢.

٢٩ ينظر: العترة والقرآن / الشيخ علي الكريمي الجهرمي ١٠٧.

٣٠ من سورة يس / الآية ٢٦.

٣١ من سورة آل عمران / الآية ١٦٩.

٣٢.سورة الشعراء / الآية ٢٢٧.

٣٣.حياة الحيوان الكبرى / كمال الدين الدميري ١/٨٦.

٣٤.سورة الكهف / الآية ٩.

٥ الإرشاد ٢/١١٧.

مصادر البحث ومراجعته:

٣٣. الإرشاد، الشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، ط ٢،

٣٤. دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤ - ١٩٩٣ م.

٣٥. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف

للمطبوعات، بيروت، لبنان، (د.ت).

٣٦. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تح/ محمد مهدي السيد حسن الموسوي

الخرسان، السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، ط ٢، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.

٣٧. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم - عبد

المجيد قطامش، ط ٢، دار الجيل، بيروت، لبنان، صفر ١٣٨٤، يونيه ١٩٦٤ م.

٣٨. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، ط ٢، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٤٢٤ هـ.

٣٩. الخصائص الحسينية، آية الله الشيخ جعفر التستري، حرره وحققه: السيد جعفر

الحسيني، مكتبة ودار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ت).

٤٠. الخطاب الحسيني في معركة الطف - دراسة لغوية وتحليل، د. عبد الكاظم محسن

الياسري، ط ١، كربلاء، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية، ١٤٣٠ هـ -

٢٠٠٩ م.

٤١. شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري، ط ٥، منشورات المكتبة الحيدرية

- ومطبتها، النجف الأشرف، سنة الطبع: محرم الحرام ١٣٨٥.
٤٢. العترة والقرآن، الشيخ علي الكريمي الجهرمي، دار القرآن الكريم، قم، ١٣١٣هـ.
٤٣. اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس، ط١، المطبعة: مهر، أنوار الهدى - قم - إيران، ١٤١٧هـ.
٤٤. المزار، محمد بن جعفر المشهدي، تح / جواد القيومي الأصفهاني، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، نشر القيوم - قم - إيران، رمضان المبارك ١٤١٩هـ.
٤٥. منازل الآخرة والمطالب الفاخرة، الشيخ عباس القمي، تعريب وتحقيق: السيد ياسين الموسوي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، محرم الحرام ١٤١٩هـ.
٤٦. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، الناشر: مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٧٦ - ١٩٥٦م.

The Qur'an in the life of Imam Hussein (peace be upon him)

Prof. Dr. Khalil Khalaf Bashir - Etiquette of Basra - Mobile: 07807316621

and Ms. Sattar Jalil Ajil - Directorate of Education Dhi Qar - mobile: 07805356892

Introduction

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Messenger as a mercy to the worlds, Muhammad al-Sadiq al-Amin, and on his good and pure family, and after: This research deals in its pages the intimate relationship between the master of the youth of the people of Paradise and the master of martyrs, Imam Hussein - peace be upon him - and the Holy Qur'an, starting from the entry of its title (Al-Thaqil). The Smallest and the Greatest Weight) was followed by the following titles:

Al-Hussain is the partner of the Qur'an.

- The importance of the Qur'an to Al-Hussein.

Al-Hussein's revolution is derived from the Qur'an.

- The last night and the Qur'an.

The eloquence of al-Husayn and the Qur'an.

The companions of al-Husayn and the Qur'an.

The head of al-Husayn and the Qur'an.

But we did my best, and put our minds to work; Let us put this research at the required level, hoping for acceptance from God, and from our master Imam Hussein (peace be upon him) intercession, and from God we derive help and success

العنوانُ: البعدُ القرآنيُّ في قولِ الإمامِ الحُسينِ عليه السلامُ «رضى اللهُ
رضانا أهلَ البَيْتِ».

الباحثُ: الاستاذ المساعد الدكتور أحمد حسن قاسم.

مكان العمل: جامعة ذي قار / كلية التربية للبنات.

الملخص:

يعدُّ مفهوم الرِّضَا مِنْ أَفْضَلِ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَأَشْرَفِ مَنَازِلِ الْمُقْرَبِينَ، وَهُوَ بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي يَرِجَاهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، كَمَا أَنَّهُ أَكْبَرُ مَكَانَةٍ مِنْ الْجَنَّةِ نَفْسَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة ٧٢)، وَقَدْ سَعَى الْأَنْبِيَاءُ جَاهِدِينَ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْمَفْهُومِ وَتَحْصِيلِهِ، فَجَاءَ فِي طَلَبِ زَكَرِيَّا عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم ٦)، وَمِنْ هُنَا أَوْلَى الْعَارِفُونَ وَالسَّالِكُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى اهْتِمَامًا بِالْعَا لِمَفْهُومِ الرِّضَا لِمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مَقَامَاتٍ كَمَالِيَّةٍ، وَنَتَائِجِ عَمَلِيَّةٍ فِي السَّيْرِ وَالسَّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَرَبِّمَا يُقَدِّحُ فِي الدَّهْنِ سُؤَالَ لِمَاذَا الرِّضَا أَحْتَلَّ هَذَا الْمَقَامَ وَالْمَنْزِلَةَ؟. بِبِدَاهَةِ لِإِنَّ الرِّضَا فَرْعُ الْحُبِّ وَالْقَبُولِ؛ وَمَا يَقَابِلُهُ مِنْ مَعْنَى هُوَ السَّخَطُ الَّذِي هُوَ فَرْعُ الْكِرَاهَةِ وَالغَضَبِ، وَهَذَا مَا أَشَارَ لَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ التوبة ٥٨-٥٩ وبطبيعة الحالِ لَيْسَ لِعَاقِلٍ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى السَّخَطِ عَلَى الرِّضَا لِمَا فِيهِ مِنَ النَّتَائِجِ مَرْتَبَةً عَلَيْهِمَا. وَبَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ جَازِيٌّ أَنْ أَجْعَلَهُ سَبَبًا فِي اخْتِيَارِهِ بِوصفه موضوعا لبحثي المقدم الذي سأدرس فيه حقيقة الرِّضَا الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ الْحُسَيْنِ فِي قَوْلِهِ وَأَثَرَهَا الدَّلَالِي فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مِنْ آثَارِ كَمَالِيَّةٍ نَسْتَفِيدُ مِنْهَا فِي نَسْجِ مَنْظُومَةٍ مَعْرِفِيَّةٍ حَقِيقَةٍ لِفَهْمِ مَقَامَاتِ الْأئِمَّةِ الطَّاهِرِ عليهم السلام الْمَغِيبَةِ.

الكلمات المفتاحية: البعدُ القرآني، الإمام الحسين عليه السلام، «رضى الله رضانا أهل

الْبَيْتِ».

Summary:

The concept of satisfaction is considered one of the best religious levels and the most honored place for heaven-close people. It's Allah's Greatest door that every believer looks for, as it has a better level than heaven itself.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ 72

(Allah has promised the believing men and believing women gardens beneath which rivers flow, wherein they abide eternally, and pleasant dwellings in gardens of perpetual residence; but approval from Allah is greater. It is that which is the great attainment.)

The prophets had sought tirelessly in order to achieve this concept. At prophet Zakaryyia's request, he said:

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ 6

Who will inherit me and inherit from the family of Jacob. And make him, my Lord, pleasing [to You]."

Starting from here, the knowers & followers of Allah gave intense care to the satisfaction concept, for what comes after perfectionism levels, and practical results in good-following for Allah.

Perhaps a question might arise in minds, as to why the satisfaction got such a place & importance? Simply satisfaction is a branch of love & acceptance, and the opposite meaning is dissatisfaction which is a branch of hate & angriness. And that is what the Holy Quran referred to Allah said:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾

(And among them are some who criticize you concerning the [distribution of]

charities. If they are given from them, they approve; but if they are not given from them, at once they become angry. If only they had been satisfied with what Allah and His Messenger gave them and said, "Sufficient for us is Allah ; Allah will give us of His bounty, and [so will] His Messenger; indeed, we are desirous toward Allah," [it would have been better for them].

In general, there's no Straight Human Being who prefers Dissatisfaction over Satisfaction concerning bad results; after all of what has been mentioned, I made it a reason to address the title of my presented research with it that I will study in it the reality of satisfaction that Imam Hussain has mentioned in his speech, its connotation effectiveness in Holy Quran, and what comes after of the perfectionism, which we will gain from its benefits a great knowledge system to understand Ahlulbayet.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد.

يَعُدُّ مَفْهُومَ الرِّضَا مِنْ أَفْضَلِ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَأَشْرَفِ مَنَازِلِ الْمُقْرَبِينَ، وَهُوَ بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي يَرْجَاهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، كَمَا أَنَّهُ أَكْبَرُ مَكَانَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ نَفْسَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، وقد سعى الأنبياءُ جاهدين في تحقيق هذا المفهوم وتحصيله، فجاء في طلب زكريا (عليه السلام) قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِئُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦]، ومن هنا أولى العارفون والسالكون إلى الله تعالى اهتمامًا بالغًا بمفهوم الرضا؛ لما يترتب عليه من مقاماتٍ كَمَالِيَّةٍ، ونتائجٍ عَمَلِيَّةٍ فِي السَّيْرِ وَالسَّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَرَبِّمَا يُقَدِّحُ فِي الدَّهْنِ سُؤَالَ لِمَاذَا الرِّضَا احْتَلَّ هَذَا الْمَقَامَ وَالْمَنْزِلَةَ؟. ببداية لأن الرضا فرع الحب والقبول؛ وما يقابله من معنى هو السخط الذي هو فرع الكراهة والغضب، وهذا ما أشار له القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٨-٥٩] وبطبيعة الحال ليس لعاقل أن يلجأ إلى السخط ويقدمه على الرضا؛ لما فيه من النتائج السيئة. وبعد هذا البيان يصح لي أن أجعله سببًا في اختياره بوصفه موضوعًا لبحثي المقدم الذي سأدرس فيه حقيقة الرضا الذي أشار إليه الإمام الحسين في قوله الأنف الذكر، وأثره الدلالي مقاربًا إياه مع ما في القرآن الكريم، وما يترتب عليه من آثار كمالية نفيد منها في نسج منظومة معرفية حقيقية لمقامات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) المغيبة.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أمرين هما:

أولاً: الوقوف على حقيقة الرضا ومستوياته الأخلاقية والكمالية من طريق القرآن الكريم.

ثانياً: الكشف عن الأثر القرآني في قول الإمام الحسين عليه السلام، ومدى استعمال اللفظ الحقيقي الدال على معناه الذي يقصده من دون سواه.

مشكلة البحث: ثمة مسائل طالما تطرح على بساط الاتهام وهي: أن الشيعة يغالون بأئمتهم وينسبون لهم أشياء تخرجهم عن بشريتهم التي مقتضاها أن يكونوا عباداً لله لا أرباباً من دونه. من تلك المسائل هي مسألة «الرضا» وكيف لله أن يحصر رضاه بخلقه؟! فأريد من طريق هذا البحث أن أجيب عن هذه الإشكالية من طريق القرآن الكريم من دون غيره.

هيكلية البحث: يضم البحث تمهيداً، ومقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقد ذيلته بقائمة للمصادر. بحسب الآتي:

المقدمة: ذكرت فيها سبب اختيار الموضوع، وأهميته، ومشكلته، وتقسيماته.

التمهيد: ذكرت فيه المفاهيم التأسيسية لمفهوم الرضا بلحاظ اللغة والمصطلح.

المبحث الأول: تطرقت فيه إلى «رضا العبد» ونتائجه

المبحث الثاني: عرضت فيه الرضا المتبادل بين العبد والرّب، ونتائجه.

المبحث الثالث: بينت فيه حصر رضا الرّب في رضا العبد، من طريق قول الإمام الحسين عليه السلام الذي يعد محور البحث.

مصادر البحث: اعتمدت على أهم المصادر التفسيرية والمصادر الأخلاقية واللغوية في فهم حقيقة الرضا.

نسأل الله تعالى أن يمدد لي يد العون في تمام بحثي الموسوم «البعْدُ الْقُرْآنِي فِي قَوْلِ
الإمام الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ» «رَضِيَ اللَّهُ رِضَانًا أَهْلَ الْبَيْتِ» وأن يوفقني في الإجابة عن كل ما
يتعلق بهذه المسألة التي اتهموا بها الشيعة ظلماً و بهتاناً.
وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

قبل الخوض في خلجات البحث لابدّ من تعريف مدلولي «الرضى» اللغوي والاصطلاحي، وتوثيق قول الإمام الحسين عليه السلام من جهة السند، فالتعريف والتوثيق يعدان الأساسين اللذين يبتني عليهما البحث وتقسيم مباحثه وتوظيف معناه.

أولاً: الرضا لغة:

قال ابن منظور: الرضا مقصورٌ، ضدُّ السَّخَطِ وتثنية الرِّضَا رِضْوَانٍ وَرِضْيَانِ الْأُولَى عَلَى الْأَصْلِ، وَالْأُخْرَى عَلَى الْمُعَاقَبَةِ وَكَأَنَّ هَذَا إِنَّمَا تُنْبِي عَلَى إِرَادَةِ الْجِنْسِ الْجَوْهَرِيِّ. كما قالوا: غَزِيَا أَسْكَنَ الْعَيْنَ، وَلَوْ كَسَرَهَا لِحَدَفٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَلْتَقِي سَاكِنَانِ حَيْثُ كَانَتْ لَا تَدْخُلُهَا الضَّمَّةُ وَقَبْلَهَا كَسْرَةٌ، وَرَاعَوْا كَسْرَةَ الضَّادِ فِي الْأَصْلِ، فَلِذَلِكَ أَقْرَوْهَا يَاءً وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كَلَّةٌ نَادِرَةٌ، وَرَضِيْتُ عَنْكَ وَعَلَيْكَ رَضِيٌّ مَقْصُورٌ مُصَدَّرٌ مَحْضٌ وَالاسْمُ الرِّضَاءُ مَمْدُودٌ عَنِ الْأَخْفَشِ. قَالَ الْقُحَيْفِيُّ الْعُقَيْلِيُّ:

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ

لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا^(١)

عدّاه بعلّ لأنّه إذا رَضِيَتْ عَنْهُ أَحَبَّته وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ فَذَلِكَ اسْتَعْمَلَ عَلَى بِمَعْنَى^(٢).

وَقَالَ الرَّاعِبُ فِي مُفْرَدَاتِهِ: «رَضِيٌّ يَرْضَى رِضًا، فَهُوَ مَرْضِيٌّ وَمَرْضُوءٌ، وَرِضَا الْعَبْدِ عَنِ اللَّهِ: أَنْ لَا يَكْرَهُ مَا يَجْزِي بِهِ قَضَاؤُهُ»^(٣)، وَرِضَا اللَّهِ عَنِ الْعَبْدِ هُوَ أَنْ يَرَاهُ مُؤْتَمِرًا لِأَمْرِهِ وَمُنْتَهِيًا عَنِ نَهْيِهِ، وَعَلَى وَفْقِ مَا ذَكَرَ الرَّاعِبُ أَنَّ الرِّضَا عِلَاقَةٌ دَائِرَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالرَّبِّ، فَيَكُونُ الْعَبْدُ رَاضٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ؛ فَهُوَ رَضِيٌّ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّبُّ رَاضٍ عَنِ عَبْدِهِ؛ فَهُوَ مَرْضِيٌّ.

(١) الاخفش، معاني القرآن: ج ١، ص ٥١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب: ج ١٤، ص ٢٣.

(٣) الراغب الاصفهاني، المفردات: ص ٣٥٦.

ثانياً: اصطلاحاً.

اختص علماء العرفان والأخلاق بالبحث من دون سواهم عن مفهوم «الرضا»؛ لأنه يعد أحد كمالات النفس الإنسانية فلا تكاد مصنفتهم تخلو عن «الرضا» ومقاماته وشرطه. ذكر ابن قيم الجوزية تعريفات عدّة منها^(١):

قال الجنيد البغدادي: الرضى هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا.

وقال عطاء: الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل فيرضى به، وقيل: الرضا ارتفاع الجزع في أي حكم كان. وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام.

وقال: الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد، وهو ترك السخط.

وقال الجرجاني: سرور القلب بمّر القضاء^(٢).

وقال النراقي: الرضا ضد السخط، وهو ترك الاعتراض والسخط باطنًا وظاهرًا، قولًا وفعلاً، وهو من ثمرات المحبة ولوازمها^(٣).

سند قول الإمام الحسين (عليه السلام):

روى الشيخ السيد ابن طاووس عن أبي جعفر بن جرير الطبري «الإمامي»، قال حدثنا أبو محمد بن سفيان بن وكيع عن أبيه، عن الأعمش قال: قال لي أبو محمد الواقدي وزرارة بن خلج أنه لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً، فقال: «الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج ٢، ١٤٤ وبعدها.

(٢) الجرجاني، التعريفات: ص ٩١.

(٣) النراقي، جامع السعادات: ج ٢، ص ٣١٠.

إلى اشتياق أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرعُ أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها
ذئاب الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منِّي أكرأشاً جوفاً وأجربةً سغباً، لا محيص عن
يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت،...»^(١).

وبعد هذا أقسم بحثي على ثلاثة مطالب أساسية، أبين فيهن حقيقة الرضا ومستوياته
في القرآن الكريم، والانعكاس الدلالي لقول الإمام الحسين عليه السلام ومراده. هي:

المبحث الأول: رضا العبد.

المبحث الثاني: الرضا المتبادل بين العبد والرَّب.

المبحث الثالث: حصر رضا العبد برضا الرَّب.

المبحث الأول: رضا العبد:

رضا العبد هو التسليم من دون اعتراض باطناً أو ظاهراً وقولاً أو فعلاً، وهو من ثمرات
المحبة ولوازمها؛ إذ المحب يستحسن كلما يصدر عن محبوبه، وصاحب الرضا يستوى عنده
الفقر والغنى، والراحة والعناء والبقاء والفناء والعز، والذل والصحة والمرض والموت
والحياة، ولا يرجح بعضها على بعض^(٢). وأستطيع القول إنَّ هناك نوعين من رضا العبد هما:
السليبي والإيجابي.

أولاً: الرضا السليبي:

يمثل هذا النوع من الرضا هو أن يسلم العبد بأمر يحول بينه وبين طاعة الله تعالى،
ونتيجته نتيجة وخيمة على صاحبه، لأنَّه استبدل طاعة الله بسخطه، وقد ذكر الله سبحانه
وتعالى هذا النوع في مواطن كثيرة من القرآن الكريم وكذلك النتائج المترتبة على هذا

(١) ابن طاووس، الملهوف في على قتلى الطفوف: ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) النراقي، جامع السعادات: ج ٢، ص ٣١٣.

الفعل فمنها:

١. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]. فهنا الرضا في الحياة الدنيا على حساب طاعة الله وتلبية أمره بالجهاد في سبيله.

٢. قال تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣]. والرضا بالعقود مع الخوالم له نتائج سلبية على صاحبه، ولذا وَضَحَ اللهُ هذه النتيجة في آية أخرى، قال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧]

٣. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]. كذلك النتيجة المترتبة على الرضا على حساب السخط الناتج عن اللمز في الصدقات.

٤. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧]. رضا العبد في الحياة الدنيا يورث الغفلة عن الله سبحانه وتعالى، وهذا بطبيعته رضا سلبي لا يمت للكمال بصلة.

ثانيا: الرضا الإيجابي:

يعد هذا النوع من الرضا نوعاً إيجابياً، فيرضى العبد عن ربه ويكون مسلماً له بكلِّ أحواله من الأقوال والأفعال، وقد ذكر الله سبحانه أنموذجاً من هذا الرضا الذي نتيجته التسليم والانقياد، فجعله غاية في دعاء الأنبياء، وصفة يمتازون بها عن غيرهم في طلب ذريتهم، وهذا ما جاء على لسان زكرياء (عليه السلام)، وهنا أذكر أنموذجين من رضا العبد الإيجابي، هما:

١. قال تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦]. وضع النبي زكريا عليه السلام طلبه في دعائه ليصور أمله في ذلك الوريث الذي يرجوه عندما يبلغ الشيخوخة: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ لا جباراً ولا غليظاً، ولا متبطراً ولا طموعاً. ولفظة (رضي) تلقي هذه الظلال. فالرضي الذي يرضى ويرضى. وينشر ظلال الرضا فيما حوله ومن حوله. ذلك دعاء زكريا لربّه في ضراعة وخفية. والألفاظ والمعاني والظلال والإيقاع الرخي. كلها تشارك في تصوير مشهد الدعاء^(١).

٢. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. والتسليم هنا الطاعة التامة لحكم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتنفيذ قضائه؛ بروح الرضا، وارتياح القلب؛ لا عجزاً واضطراباً.

والآية الكريمة نزلت أنه: وقع خصام بين (الزبير بن العوام) - وهو من المهاجرين - وبين رجل من الأنصار اسمه (حاطب بن أبي بلتعة) على سقي نخيلهما التي كانت متقاربة في المكان، فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وآله. وإذ إن نخيل الزبير كانت أعلى مكاناً من نخيل الأنصاري، قال رسول الله صلى الله عليه وآله للزبير: «اسق ثم أرسل إلى جارك». وقد كانت هذه هي العادة في البساتين المتجاورة آنذاك. فغضب الأنصاري من حكم النبي العادل هذا، وقال: يا رسول الله لئن كان ابن عمك؟. فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وآله انزعاجاً من موقف الأنصاري وكلامه، فنزلت الآية الحاضرة تحذّر المسلمين من مثل هذه المواقف.^(٢) وإذا فككنا النص وقرأناه قراءة تأملية نجد أن الله تعالى قد أقسم بذاته أن أولئك نفر لا إيمان لهم؛ إلا بشرط قد بينها الفخر الرازي هي^(٣):

الشرط الأول: قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ وهذا يدل على أن

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: ص ٢٣٠٢.

(٢) ينظر: الواحدي، أسباب النزول، ص ٨٥.

(٣) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: ج ١٠، ص ١٦٩.

من لم يرض بحكم الرسول لا يكون مؤمناً. بأنّه لا يحصل لهم الإيمان إلا بأن يستعينوا بحكم النبي (عليه الصلاة والسلام) في كل ما اختلفوا فيه، فلزم بحكم هذه الآية أنّه لا يحصل الإيمان إلاّ بحكمه وإرشاده وهدايته، وحققوا ذلك بأن عقول أكثر الخلق ناقصة وغير وافية بإدراك هذه الحقائق؟ وعقل النبي المعصوم كامل مشرق، فإذا اتصل إشراق نوره بعقول الأمة قويت عقولهم وانقلبت من النقص إلى الكمال، ومن الضعف إلى القوة، فقدروا عند ذلك على معرفة هذه الأسرار الإلهية.

والذي يؤكد ذلك أنّ الذين كانوا في زمان الرسول ﷺ كانوا جازمين متيقنين كاملي الإيمان والمعرفة، والذين بعدوا عنه اضطربوا أو اختلفوا.

الشرط الثاني: قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ قال الزجاج: لا تضيق صدورهم من أقضيتك.

إنّ الراضي بحكم الرسول ﷺ قد يكون راضياً به في الظاهر من دون القلب، فبين في هذه الآية أنّه لا بدّ من حصول الرضا به في القلب، إذ إن ميل القلب ونفرته شيء خارج عن وسع البشر، فليس المراد من الآية ذلك؛ بل المراد منه أن يحصل الجزم واليقين في القلب بأنّ الذي يحكم به الرسول هو الحق والصدق.

الشرط الثالث: قوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ إنّ من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقاً وصدقا قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد أو يتوقف في ذلك القبول، فبين تعالى أنه كما لا بدّ في الإيمان من حصول ذلك اليقين في القلب. فلا بدّ أيضاً من التسليم معه في الظاهر، فقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ المراد به الانقياد في الباطن، وقوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ المراد منه الانقياد في الظاهر.

أقول: إنّ الرضا الإيجابي وتسليم العبد ليس دائماً يعكس رضا الله تعالى وقبوله للعبد ما لم يكون الرضا صادراً من الله سبحانه، فنحن طالماً سمعنا كثيراً يقول: «إني

رَاضٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى «وَأَنِّي مُسَلِّمٌ أَمْرِي لِلَّهِ» فَهَذَا الرَّضَى وَالتَّسْلِيمُ لَا يَعْكُسَانِ رِضَا اللَّهِ وَقَبُولَهُ لِلْعَبْدِ، وَيَبْقَى رِضَاهُ غَيْرَ مَعْرُوفٍ عَنِ عَبْدِهِ.

المبحث الثاني: الرضا المتبادل بين العبد والرَّب.

هذا النوع من الرضا أعلى مقامًا من الأول، لأنَّ فيه الرضا المتبادل، أي رضا الرَّبِّ عن عبده، ورضا العبد عن ربِّه وهو غاية الكبرى والمنزلة العليا، وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في أربعة مواطن من القرآن الكريم هي:

١. قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

قد ذكر الله سبحانه خبر حواربي عيسى بن مريم عليه السلام، ووصفهم بالصادقين بعد ذكر بساتين الجنة ونعمها الكثيرة، تذكر نعمة رضا الله تعالى عن عباده، ورضا عباده عنه وتصف ذلك بأنَّه الفوز العظيم، وهذا يدل على مدى أهمية هذا الرضا المتبادل، فقد يكون امرؤ غارقاً في أرفع نعم الله، ولكنه إذا أحس بأنَّ مولاه ومعبوده ومحبوه ليس راضياً عنه، فإنَّ جميع تلك النعم والهبات تصير علقماً في ذائقة روحه. كما يمكن أن يتوفر لامرئ كل شيء، ولكنه لا يكون راضياً ولا قانعاً بما عنده، فمن الواضح أنَّ هذه النعم بأجمعها غير قادرة على إسعاد تلك الروح، بل تكون دائماً معرضة لعذاب قلق غامض واضطراب نفسي مستمر يقضيان على الراحة النفسية، التي هي من أعظم نعم الله تعالى. ثمَّ إذا كان الله تعالى راضياً عن امرئ فإنَّه يعطيه كل ما يريد، فإذا أعطاه كل ما يريد فإنَّه يكون راضياً عن ربِّه أيضاً، من هنا فإنَّ أعظم النعم هي أن يرضى الله عن الإنسان ويرضى الإنسان عن ربِّه^(١).

(١) الشيرازي، مكارم، الامثل، ج٤، ص١٣٩.

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ذكر الله سبحانه ثالث الأصناف الثلاثة بقوله: «والذين اتبعوهم بإحسان» و لم يقيده بتابعي عصر من دون عصر ولا وصفهم بتقدم أو أولية و نحوهما، وكان شاملا لجميع من يتبع السابقين الأولين، وكان لازم ذلك أن يصنف المؤمنين غير المنافقين من يوم البعثة إلى يوم البعث في الآية ثلاثة أصناف: السابقون الأولون من المهاجرين، والسابقون الأولون من الأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، والصنفان الأولان فاقدان لوصف التبعية وإنما هما إمامان متبوعان لغيرهما، والصنف الثالث ليس متبوعاً إلا بالقياس^(١).

و قوله تعالى: «رضي الله عنهم ورضوا عنه» الرضا منا موافقة النفس لفعل من الأفعال من غير تضاد وتدافع يقال: رضي بكذا أي وافقه ولم يمتنع منه، ويتحقق بعدم كراهته إياه سواء أحبه أو لم يحبه ولم يكرهه فرضا العبد عن الله هو أن لا يكره بعض ما يريد الله ولا يجب بعض ما يبغضه، ولا يتحقق إلا إذا رضي بقضائه تعالى وما يظهر من أفعاله التكوينية، وكذا بحكمه وما أراد منه تشريعاً، و بعبارة أخرى إذا سلم له في التكوين والتشريع، وهو الإسلام والتسليم لله سبحانه^(٢).

وأما رضاه تعالى فإنما هو من أوصافه الفعلية من دون الذاتية، فإنه تعالى لا يوصف لذاته بما يصير معه معرضا للتغيير والتبدل، كأن يعرضه حال السخط إذا عصاه، ثم الرضا إذا تاب إليه، وإنما يرضى ويسخط بمعنى أنه يعامل عبده معاملة الرّاضي من

(١) الطباطبائي، الميزان، ج ٩، ص ٣٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٣٨٨.

إنزال الرحمة وإيتاء النعمة، أو معاملة الساخط من منع الرحمة وتسليط النقمة والعقوبة^(١).

ولذلك كان من الممكن أن يحدث له الرضا ثم يتبدل إلى السخط أو بالعكس، غير أن الظاهر من سياق الآية أن المراد بالرضا هو الرضا الذي لا سخط بعده فإنه حكم محمول على طبيعة أختيار الأمة من سابقهم وتابعيهم في الإيمان والعمل الصالح، وهذا أمر لا مداخلة للزمان فيه حتى يصح فرض سخط بعد رضى، وهو بخلاف قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فإنه رضا مقيد بزمان خاص يصلح لنفسه؛ لأن يفرض بعده سخط^(٢).

٣. قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

إن أعظم ثواب معنوي وجزاء روحاني لأصحاب الجنة في مقابل النعم الماديّة العظيمة في القيامة من جنان وحوار وقصور هو شعورهم وإحساسهم أن الله راضٍ عنهم، وأن رضا مولاهم ومعبودهم يعني أنهم مقبولين عنده، وفي كنف حمايته وأمنه، حيث يجلسهم على بساط قربه، وهذا أعظم إحساس ينتابهم، ونتيجته رضاهم الكامل عن الله سبحانه^(٣).

نعم، لا تصل أي نعمة إلى هذا الرضا ذي الجانبين المادي والمعنوي، والذي هو مفتاح للهبات والعطايا الإلهية الأخرى؛ لأنه سبحانه عندما يرضى عن عبد فإنه يعطيه ما يطلب منه، فهو القادر والكريم. وما أروع التعبير القرآني: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

(١) الطباطبائي، الميزان، ج٩، ص٣٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٨٩.

(٣) الشيرازي، الامثل، ج١٨، ص١١٣.

عَنَّهُ) أَي أَنَّ مَقَامَهُمْ رَفِيعٌ إِلَى دَرَجَةِ بَحِيثٍ أَنَّ أَسْمَاءَهُمْ تَكُونُ مَقْتَرَنَةً بِاسْمِهِ، وَرِضَاهُمْ إِلَى جَانِبِ رِضَاهِ تَعَالَى^(١).

٤. قَالَ تَعَالَى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

قَبْلَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَرِضِيهَا عَنْهُ، وَفَرِحُوا بِهَا وَأَعْطَاهُمْ مِنْ خَيْرِ عَمِيمٍ، فَالمراد برضاء تعالى عنهم: قبوله لأعمالهم، وبرضاهم عنه: فرحهم بما أعطاهم من فضله^(٢).

يَعِدُ هَذَا النُّوعَ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّضَا الْمَتَبَادِلِ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ هُوَ الْغَايَةُ الْكَمَالِيَّةُ لِلْإِنْسَانِ، وَهُوَ الْغَايَةُ الْقَصْوَى الَّتِي يَرْتَجِيهَا كُلُّ مُسْلِمٍ هُوَ رِضَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ، وَهَذَا النُّوعُ هُوَ الَّذِي شَغَلَ الْعَارِفِينَ وَفَرَعُوا بِهِ الْمَسَائِلَ وَصَنَفُوا فِيهِ الْكُتُبَ؛ لِأَنَّ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بَعْدَهُ رِضَا، وَبِهِ يَكْتَسِبُ الْعَبْدُ الْمَقَامَاتِ الْعُلْيَا وَالنَّعِيمَ الْمَقِيمَ وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، وَبِهِ اللَّهُ تَعَالَى خَتَمَ عَطَاءَ الصَّالِحِينَ مِنَ الْجَنَاتِ الَّتِي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ.

المبحث الثالث: حصر رضا الرب برضا العبد.

ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذَا النُّوعَ مِنَ الرِّضَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِوَصْفِهِ نَوْعًا مُخْتَلَفًا وَمُسْتَقْلًا عَنْ مَا مَرَّرَ ذَكَرَهُ، فَهَذَا اللَّهُ تَعَالَى يَرِيدُ مِنْهُ رِضَا الْعَبْدِ، وَهُوَ بِطَبِيعَةِ حَالِهِ يَعْكُسُ رِضَا الرَّبِّ عَنِ الْعَبْدِ وَإِلَّا لَمَا اسْتَقَلَّ بِذِكْرِهِ وَأَخْصَهُ بِهِ، وَهَذَا النُّوعُ مِنَ الرِّضَا لَهُ نَمَازِجٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْهَا:

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا

(١) الشيرازي، الامثل، ج ١٨، ص ١١٣.

(٢) طنطاوي، التفسير الوسيط: ج ١٥، ص ٤٧٣.

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿ [مریم: ٥٤-٥٥].

وصف الله تعالى إسماعيل بكونه مرضياً، إشارة في الواقع إلى هذه الحقيقة، وهي أنه قد حاز رضى الله في كل أعماله، ولا توجد نعمة أجل من أن يرضى المعبود والمولى والخالق عنه^(١). فنتيجة هذا الرضا هو أن الله تعالى قد أَرْضَاهُ وجعله مرضياً وقد وصفه بهذا الوصف العظيم.

٢. قال تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر: ٢٧-

[٢٨].

أي بما تَوَتَّئِنَهُ من النعم التي لا تتناهى وقد يقال راضية بما نلتيه من خفة الحساب وقبول الأعمال ﴿مَرْضِيَّةً﴾ أي عند الله عز وجل وقيل المراد راضية عن ربك مرضية عنده^(٢).

٣. قال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحى: ٥].

قال سيد طنطاوي في تفسيره: «أيها الرسول الكريم سوف يعطيك ربك من خيرى الدنيا والآخرة، كل ما يسعدك ويرضيك، من نصر عظيم، وفتح مبین، وتمكين في الأرض، وإعلاء لكلمة الحق على يدك، وعلى أيدي أصحابك الصادقين، ومنازل عظمى في الآخرة لا يعلم مقدارها إلا الله تعالى، كالمقام المحمود، والشَّفاعة، والوسيلة وبذلك ترضى رضاء تاماً بما أعطاك سبحانه من نعم ومنن»^(٣).

وقال ابن عاشور في تفسيره: «وجيء بفاء التعقيب في ﴿فترضى﴾ لإفادة كون العطاء عاجل النفع بحيث يحصل به رضى المعطى عند العطاء فلا يترقب أن يحصل نفعه بعد

(١) الأمل، ج ٩، ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٢) ينظر: الألويسي، روح المعاني: ج ١٥، ص ٣٤٦.

(٣) طنطاوي، التفسير الوسيط: ج ١٥، ص ٤٢٨.

تربص»^(١). وهو الأقرب لمفهوم الآية على ما يأتي.

ولم يبين ابن عاشور نوع العطاء القريب الذي رضي به النبي ﷺ، واكتفى بأنه قريب، بيد أن القرآن الكريم قد أوضح نوع العطاء صريحاً؛ إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، فالعطاء الذي رضي به النبي ﷺ هو «الكوثر»، وقد فسروا معنى هو: الخير الكثير^(٢)، وقالوا: نهر في الجنة، حافتاه من ذهب وفضة، يجري على الدر والياقوت، مأؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل^(٣)، وقالوا: حوضان حوض قبل الصراط وحوض بعده، ويسمى كل منهما كوثرًا^(٤). وقالوا أيضاً: إنه نهر خير كثير هو حوض تردّ عليه أمة النبي الأكرم ﷺ يوم القيامة، آنيته عددُ النجوم^(٥). وقالوا: الخير المفرط لكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين^(٦). وقالوا.. وقالوا...

وهذا كله يتنافى مع فاء التعقيب التي عقب عليها ابن عاشور بأنها تفيد العطاء العاجل، والنفع الذي لا يرتقب حصول نفعه بعد التربص. يبقى ما هو نوع العطاء الذي عبّر الله تعالى عنه بأنه الكوثر الذي ينسجم مع ما ذكره في الآية الكريمة ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾. والحكم في هذا نرجع به إلى سبب نزول الآية، فهو يخبرنا عن الكوثر وذلك العطاء العاجل الذي رضي به النبي ﷺ.

قال الواحدي في أسباب نزوله: «قال ابن عباس: نزلت في العاص، وذلك أنه رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخرج من المسجد وهو يدخل، فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ج ٣٠، ص ٣٩٨.

(٢) الطبري، جامع البيان: ج ٢٤، ص ٦٤٥.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ج ٥، ص ٥١٢.

(٤) الألويسي، روح المعاني: ج ١٥، ص ٤٧٩.

(٥) البغوي، معالم التنزيل: ج ٨، ص ٥٨٤.

(٦) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج ٤، ص ٤٥٦.

قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتري، يعنى النبي (صلوات الله وسلامه عليه)، وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتري، فأنزل الله تعالى هذه السورة^(١).

إذن الآية تتحدث عن مناسبة معينة وحادثة معروفة حددها سبب نزولها، فهي تتحدث عن ذرية النبي عليه السلام، وكما نعلم أن الله تعالى قد ابتلى نبيه الأكرم عليه السلام، فقد أولاده جميعهم سوى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي الامتداد الطبيعي لذريته واستمر نسله، والأئمة الأطهار عليهم السلام من نسل السيدة الزهراء عليها السلام هم أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولذا قال الفخر الرازي في ذكر هذا؛ «لأن هذه السورة إنما نزلت ردًا على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلًا يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم»^(٢).

فالسيدة الزهراء عليها السلام تمثل العطاء العاجل الذي رضي به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جاء ردًا على العاص في عيبه على النبي صلى الله عليه وآله، والزهراء بوصفها عطاء جعله الله تعالى إرضاءً للنبي، فقط حصر رضاه برضاها وهذه من أسرار السيدة الزهراء عليها السلام بأنها إرضاء للنبي، وأن فيها رضا الله تعالى، وهذا ما توارد ذكره لدى الفريقين من المسلمين.

قال الحاكم النيسابوري في مستدركه: بإسناد متصل عن عمر بن علي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»^(٣).

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص ٢٤٠.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب: ج ٣٢، ص ١٢٥.

(٣) الحاكم، المستدرک على الصحيحين: ج ٣، ص ١٦٧.

وقد روى الشيخ الصدوق في أماليه: «حدثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي (رضي الله عنه)، قال: حدثنا أبو ذر يحيى بن زيد بن العباس بن الوليد البراز (رضي الله عنه) بالكوفة، قال: حدثنا عمي علي بن العباس، قال: حدثنا علي بن المنذر، قال: حدثنا عبد الله بن سالم، عن حسين بن زيد، عن علي بن عمر بن علي، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: يا فاطمة، إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك، قال: فجاء صندل، فقال لجعفر ابن محمد (عليه السلام): يا أبا عبد الله، إن هؤلاء الشباب يجيئوننا عنك بأحاديث منكراة!

فقال له جعفر (عليه السلام): وما ذاك يا صندل؟ قال: جاءنا عنك أنك حدثتهم أن الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها؟

قال: فقال جعفر (عليه السلام): يا صندل، أستم رويتم فيما تروون أن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب عبده المؤمن، ويرضى لرضاها؟ قال: بلى. قال: فما تنكرون أن تكون فاطمة (عليها السلام) مؤمنة، يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها! قال: فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته»^(١).

وكذلك قد ورد في كثير من زيارات أهل البيت (عليهم السلام) هذا المعنى وهو حصر الرضا فيهم، وان الحق ما رضوه والباطل ما اسخطوه، وهذا المعنى جلي في زيارة «آل ياسين» الواردة عن الإمام الحجة (عجل الله فرجه)؛ إذ يقول: «فالحق ما رضيتموه، والباطل ما أسخطتموه، والمعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتهم عنه»^(٢). فالحق محصور في رضاهم كما أن الباطل محصور في سخطهم (عليهم السلام).

وهذا المعنى الذي أكدته الإمام الحسين (عليه السلام) وأوضحه علناً عندما عَزَمَ الخُرُوجَ

(١) الصدوق، الأمالي: ص ٢٨٠.

(٢) القمي، مفاتيح الجنان: ص ٥٨٧.

إلى العراق في قوله: «رضا الله رضانا أهل البيت»، أي أن الله تعالى لا يرضى حتى نرضى نحن، مستوحياً بذلك العمق القرآني في بيانه لمفهوم الرضى في أعلى مستوياته الكمالية؛ إذ حصر الله سبحانه وتعالى رضاه برضا خلقه، فأراد الإمام الحسين عليه السلام أن يبين حقيقة مهمة قبل اندلاع ثورته المباركة، ويجب أن يفهمها الناس بأن دوره الرسالي الذي سينهض من أجله هو يمثل دور أهل البيت جميعهم، وأنه الامتداد الطبيعي لمشروعهم؛ هذه من جهة ومن جهة أخرى يبين لنا عصمته الواجبة، وأن موقفه ليس قابلاً للاجتهااد فيخطأ أو يصيب.

ويكشف هذا الفهم عن أهمية أهل البيت عليهم السلام ومحوريتهم في هذه الدنيا، ودورهم الريادي الذي خلقوا من أجله، كما أنه يكشف عن العلاقة التي تربطهم بالله تعالى واستقامتهم واستجابتهم لما يريده خالقهم. وكما ليس خافياً بان الله (جل جلاله) لا يجابي أحداً على أحد، ولا يقرب شخصاً على شخص سوى المعيار الأساس الذي وضعه لجميع الخلق الذي على وفقه يقرب ويبعد، وهو التقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. فهذا المعيار الأساسي الذي توفر فيهم فكانوا محل طاعته، وخاصته من خلقه.

وقد لا يُسيغه قوم، ويردّه آخرين؛ إلا أن الحقيقة بحسب ما بينها الله تعالى؛ فقد حصر رضاه برضا نبيه وأهل بيته (عليهم صلوات الله وسلامه) بالبيان الذي أوضحته من طريق البعد القرآني، والقراءة التفكيكية لمفهوم الرضا في القرآن الكريم، والبعد الذي أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام.

نتائج البحث:

وبعد هذا الشوط المضني في آيات الله تعالى الكريمة، قد توصلت إلى أهم النقاط الآتية:

١. عندما يسمع السامع للوهلة الأولى يتبادر إلى ذهنه بأنه مقام واحد يكمن في رضا الله سبحانه وتعالى عن العبد، لكن وبعد بيان حقيقته؛ وإيضاح ماهيته، تبين بأن الرضا مقامات كثيرة وكبيرة، منه ما سميته بالإيجابي، ومنه ما سميته بالسلب، ومنه الخاص بالعبد، ومنه المتبادل، ومنه ما حصره الله تعالى برضا العبد.

٢. قد شغل بال العرفاء، وتفكيرهم وكذلك المتصوفة مفهوم الرضا حتى أولوه جل اهتمامهم؛ بل حتى الأنبياء (عليهم السلام) فقد جاء في لسان زكريا في دعائه لابنه يحيى (عليه السلام) قال تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦]، والسبب في ذلك يرجع بأن الرضا هو فرع المحبة، والمحبة من المفاهيم المقدسة لديهم.

٣. رضا الله تعالى الذي ذكر في القرآن الكريم هو مسألة معنوية وليس مادية، وقد جعل الله تعالى أكبر منزلة من العطاء المادي (الجنة والنعيم)، فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

٤. الله سبحانه وتعالى الغني عن عباده، هو القائل تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فعندما يضع رضاه برضا عبده الفقير المحتاج إليه، فهذا يعكس مدى الأهمية البالغة من الله تعالى إلى ذلك العبد، وعظم منزلته وخطره، وهذا المعنى ثابت النص لأهل بيت العصمة محمد وآل محمد (صلى الله عليهم جميعا).

٥. ترجم الإمام الحسين (عليه السلام) في قوله: «رضى الله رضانا أهل البيت» البعد القرآني الذي أراده الله تعالى، فهو القرآن الناطق الذي يعكس مراد الله تعالى الحقيقي.

٦. لم أجد تفسيرًا مبررًا لما رأيته في تفاسير أهل السنة إزاء تفسير «الكوثر»، فقد

أوصلها إلى عشرات الآراء والأقوال، والحقيقة واضحة؛ ولكن لا أدري من عدم قول الصواب، وهذا يذكرني في تفسير قول النبي لأمر المؤمنين (عليهما وآلهما الصلاة والسلام): (من كنت مولاه فعلي مولاه)، فقد فسروا كلمة مولى بعشرات التفاسير مع العلم أن المعنى جلي لما يُراد منه.

قائمة المصادر

خير ما نبتدى به القرآن الكريم.

١. ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى (ت: ٦٦٤هـ)، الملهوف في علي قتلى الطفوف، تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان: (دار الاسوة للطباعة والنشر- طهران)، ط ٣، ١٤٢٥هـ.
٢. ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: (الدار التونسية للنشر - تونس)، ط ١، ١٩٨٤م.
٣. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبو بكر (ت: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: تحقيق: عماد عامر: (دار الحديث - القاهرة)، ط ١، ٢٠٠٥م.
٤. ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن الكريم: (دار إحياء التراث العربي - بيروت)، د. ط، د. س.
٥. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب: (دار الصادر - بيروت)، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٦. الأخفش، أبو الحسن المجاشعي البصري (ت: ٢١٥هـ)، معاني القرآن: تحقيق: د. هدى محمود قراعة: (مكتبة الخانجي - القاهرة)، ط ١، ١٩٩٠م.
٧. الالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية: (دار الكتب العلمية - بيروت)، ط ١، ١٩٩٥م.
٨. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: ٥١٦هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد النمر: (دار طيبة للتوزيع والنشر - الرياض)، ط ٤، ١٤١٧هـ.
٩. البيضاوي، ابو سعيد عبد الله بن عمر، تفسير البيضاوي: (مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات - بيروت)، ط ١، ١٩٩٠ م.

١٠. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات: (دار إحياء التراث العربي - بيروت)، ط ١، ٢٠١٠ م.

١١. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن حمدويه (ت: ٤٠٥ هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفیٰ عبد القادر عطا: (دار الكتب العلمية - بيروت)، ط ١، ١٩٩٠ م.

١٢. الرازي، فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر (ت: ٦٠٤ هـ)، مفاتيح الغيب: (دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت)، ط ١، ١٩٨١ م.

١٣. الراغب الاصفهاني، الحسين بن الفضل (ت: ٤٢٥ هـ): المفردات في الفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داوودي: (طليعة النور - قم المقدسة)، ط ٢، ١٤٢٧ هـ.

١٤. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل: (دار إحياء التراث العربي - بيروت)، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

١٥. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت: ٣٨١ هـ)، الأمالي: (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت)، ط ١، ٢٠٠٩ م.

١٦. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت)، ط ١، ١٩٩٧ م.

١٧. الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمود شاكر: (مؤسسة الرسالة - بيروت)، ط ١، ٢٠٠٠ م.

١٨. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: (دار المعارف - القاهرة)، ط ١، ١٩٩٢ م.

١٩. قطب، سيد، في ظلال القرآن: (دار الشروق - القاهرة)، ط ٣٢، ٢٠٠٣ م.

٢٠. القمي، عباس، مفاتيح الجنان: (دار القارئ - بيروت)، ط ٣، ٢٠٠٦ م.

٢١. النراقي، محمد مهمدي، جامع السعادات: (دار الأميرة- بيروت)، ط ١، ٢٠٠٥ م.

٢٢. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت: ٤٦٨ هـ)، أسباب النزول،

تصحيح: محمد عبد القادر شاهين: (دار الكتب العلمية- بيروت)، ط ١، ٢٠٠٠ م.



الخطاب الحسيني الاصلاحى وعلاقته بأنسنة القيم الاخلاقية على
وفق المنظور القرآني

د. وفاء كاظم

استشارية نفسية في مركز الإرشاد / العتبة الحسينية المقدسة

الملخص:

كرم الدين الإسلامي الإنسان وأعطاه الأفضلية على باقي المخلوقات، وجعله الله سبحانه خليفته في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ جعل سبحانه، الإنسان حامل أمانة إنسانية على وجه الأرض تقوم على الأخلاق الفاضلة لبناء الانسان والمجتمع على اسس سليمة لصالح الانسان ذاته. وعليه فالإنسانية هي إدراك قيمة الإنسان كمخلوق له الافضلية والتكريم.

وقد تبني العقل الإنساني الحر المفكر حركات إصلاحية عبر مرّ العصور كان لها دور مميز في تغيير الإنسان المستند على إدراكه بتحمل مسؤوليته، والأخذ بيده إلى أن ينال كرامته، وأن يأخذ حقوقه من دون منّ بما يُعطى له ليؤكّد على ثوابت ترى أنسنة القيم الأخلاقية ركنا أساسا في الحياة الإنسانية.

ونظرا إلى أن الخطاب الحسيني خطاب إسلامي وإنساني مفتوح تضمن القيم الاخلاقية تأكيدا على الاصلاح، وقد قال: (وأني لم اخرج أشرا، ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام أريد أن أمر بالمعروف، وأنهاي عن المنكر).

وإن إعادة التأمل في القيم الاخلاقية بالتجربة الانسانية من طريق الخطاب الحسيني يعد ضرورة ملحة يمكنها ان تساهم في نمو الفكر الإنساني العالمي والثقافة العالمية الحرة، لتجاوز الصورة غير الواضحة اليوم عن الإسلام وعلاقته بالإنسان والتي نراها متعددة في مختلف القنوات الفضائية.

وقد قدّم الحسين عليه السلام أكبر دليل على أن الدين يؤنسن القيم الأخلاقية وأظهر عليه السلام أنه ليس طالب ملك، بل طالب كرامة إنسانية، وليس طالب غلب، بل طالب تحرر فكري واع، وليس طالب ثأر، بل طالب عدالة اجتماعية إنسانية...

واحتضنت الطروحات الحسينية من طريق خطبها الفكرية الواعية الوحدة والتقارب بين المسلمين. فالحسين (عليه السلام) هو للأمم جميعاً.

وأكد الحسين (عليه السلام) إرادة الفرد هي التي تخرج المفهوم من القوة إلى الفعل، إذا التزم بها، بما في ذلك القيم الاخلاقية الرفيعة التي هي قيم إنسانية أساسا، فالأخلاق تتحول إلى واقع عملي متى ما التزم بها الفرد ومن ثم المجتمع، وغدا سلوكا أخلاقيا في الفضاء العام.

وعليه إن أنسنة القيم الاخلاقية في الاصلاح الحسيني لها الأثر الواضح في بناء شخصية الإنسان، كون الارتباط وثيقا بين القيم الأخلاقية الحسينية والتربية النفسية الانسانية.

فالخطاب بمستوى رسالة إنسانية معبرة عن قيم أخلاقية نبيلة تعطي معنى للإنسانية وسمو قيمها، ورفع أهدافها؟

ما يجب قوله هنا، هو إن المبدأ الأساس في بناء الخطاب الحسيني يتمحور في هذا السؤال: كيف ينبغي أن نطبق القيم الاخلاقية التي نادى بها الخطاب الحسيني؟ وإلا فإننا نمارس عملية تحجيم لثورة الحسين (عليه السلام)، عندما نخترلها في زمن معين، أو ن فصلها عن معانيها ودلالاتها المستمرة مع العصور.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الحسيني، الإصلاح، الأنسنة، القيم الأخلاقية، المنظور القرآني.

Summary:

The Islamic religion honored Mankind and gave him preference over the rest of the creatures. Almighty Allah made him his inheriter on earth. " I will create a vicegerent on earth."

Allah made Mankind the bearer of a Humanitarian trust on earth based on virtuous morality to build Mankind & society on solid foundations for Humankind's benefit. Therefore Humanity is the realization of Mankind's value as a creature with preference & honor.

The free and intellectual human mind has adopted reformist movements throughout the ages that have played a distinctive role in changing the human being based on his understanding of his responsibility, helping him until he has his dignity, and taking his rights without any form of favor for what he gets to emphasize the constants that see the humanity of moral values as the cornerstone of human life.

As Hussain's speech is an open Islamic-humanitarian speech that incorporates moral values as an affirmation of reform, as he had said (PBUH): " I didn't come here to seek bad things, I came to represent the justice of Allah, to reform the Society of my grandfather's nation (prophet Mohammad), to promote good, and forbid evil, for that I came, and for that, I'm going to be killed."

Rethinking ethical values through human experience through Imam Hussain's discourse is an urgent need that can contribute to the growth of global human thought and free global culture, to go beyond today's unclear image of Islam and its relationship with Mankind, which we see it differently in various satellite channels.

Imam Hussain (PBUH) has provided the Greatest evidence that religion fortifies moral values and has demonstrated that he doesn't seek the crown, but seeks humanitarian dignity, doesn't seek winning but conscious freedom, and doesn't seek revenge but human social justice.

Imam Hussain's theses adopted unity & rapprochement among Muslims through their intellectual speeches, as Imam Hussain belongs to the whole nation.

As Imam Hussain affirmed, a person's will creates the concept of actions if he adheres to it, including noble moral values, which are humanitarian values too;

morals become a practical reality if a person adheres to them, then society too.

Thus, the humanization of ethical values in Imam Hussain's reform has the Obvious effect of building humankind's personality; because of the close connection between Imam Hussain's moral values and Humanitarian psychological education.

Giving a Speech at the level of humanitarianism Message shows noble moral values that honor humanity, its high level, and noble goals.

What must be said here is that the essential principle belongs to this question: How can we apply the moral values that Imam Hussain's speech sought?

Otherwise, we narrow down Imam Hussain's revolution (PBUH) when we reduce it to a particular time or separate it from its meaning & continuing connotations through the ages.

خطة البحث:

قسّم هذا البحث (الخطاب الحسيني الاصلاحى وعلاقته بانسنة القيم الاخلاقية على وفق المنظور القرآني) إلى: مدخل نظري شمل: المشكلة، والأهمية، وتعريف المصطلحات.

ومنهجية البحث: حيث استعملت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي، وهو الطريقة التي يتم فيها بذل غاية الجهد العقلي والنفسي عند دراسة النصوص وتحليلها من أجل استخراج المفاهيم مستعينة بالمراجع والكتب لتكتشف آليات الخطاب الحسيني في تشكيل معنى الإصلاح الاجتماعي.

ثم أربعة مباحث:

المبحث الأول: وفيه تعرضت إلى الأنسنة (النزعة الإنسانية المؤمنة) وركزت على الشخصية المسلمة واتخاذها للأنسنة، وذلك لأهمية النص في التراث العربي الإسلامي أما المبحث الثاني: فتطرق فيه إلى الخطاب الإصلاح الحسيني المستند على المنظور القرآني، وقسم على وفق المعنى الاصلاحى على قسمين:

١. الإصلاح المعرفي ٢. الإصلاح الإداري

أما المبحث الثالث: فتضمن: الخطاب الحسيني الاصلاحى وعلاقته بانسنة القيم الأخلاقية وفيه مطلبان.

١. أنسنة القيم الأخلاقية في الخطاب الحسيني، وشمل تقسم القيم الأخلاقية على فضيلة ورذيلة.

٢. أبعاد أنسنة القيم الأخلاقية في الخطاب الحسيني، وتضمن أربعة أبعاد (الديني - السياسي - الاجتماعي - الوجداني).

وكان المبحث الرابع بعنوان: تأكيد المنظور القرآني للقيم الأخلاقية في الخطاب الإصلاحي، ثم النتائج، والتوصيات، والمصادر.

المشكلة:

لعل الأخلاق تصدر إرادياً عن الإنسان، فالأخلاق الفاضلة تحقق في الإنسان معاني الإنسانية الرفيعة، وتحيطه بهالة من الكمال الإنساني، كما تمسخ الأخلاق الذميمة، وتحطه إلى عدم الإنسانية، ومن هنا أصبح الإنسان يتأمر على أخيه الإنسان عبر الحروب المتتالية بحجة أو دونها فضلاً عن غير استقرار وعدم الأمن المجتمعي، وازدواجية المعايير في القيم الأخلاقية التي أدت إلى التطاحنات المذهبية التي قد لا تنتهي في هكذا مجتمع.

وعلى الرغم من الكمّ الهائل من دعوات الحوار ومؤتمرات التقريب بين المذاهب الإسلامية - وهما مفتاح القرن الواحد والعشرين - إلا أننا لمسنا التوجّه التكفيري فعلاً واقعاً على الساحة العربية.

وبما أنّ المشكلة ليست في الدين؛ بل في قراءتنا للدين وفهمنا له، كالقراءات والفهم التي تدعو إلى الاستكانة والرضوخ إلى القدر المكتوب الذي فهم فهما متحيزاً وموضع في غير موضعه، وهذه القراءات استحوذت على تفكير الإنسان وانعكست سلباً على حركته العقلية المعرفية وجعلته يتوجه توجّهاً غير إنساني^(١).

فضلاً عن انتشار المناهج الفكرية التي تدعو الإنسان إلى الإباحية الفكرية والعملية أيضاً، والجرأة على كلّ المقدّسات السماوية، وهي ظاهرة لبيرية طبيعية في ضوء معاداة الفكر الديني وتدميره بكلّ الوسائل، والسعي لاعتباره مجموعة خرافات وتخلّف للسيطرة على مصائر البشرية، ومسار تفكيري خطير، يقطع الإنسان عن تعاليم السماء، موغلاً في ملذّات الدنيا وأهوائها.

(١) اركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، ص ٧٦.

لذلك يتطلب العمل على أنسنة القيم الأخلاقية جهداً وصبراً، وهي مفهوم مركب معقد، ما يجعلنا نتساءل أمام هذه الحقيقة، هل يعد الخطاب الحسيني قادراً على أنسنة القيم الأخلاقية؟ وهل طروحاتنا الحسينية عصرية ومقنعة وتتسم بالاستمرارية بحيث تتوافق مع الفكر المعاصر للشباب؟

لذلك فإنني أدعو إلى معرفة بيان الخطاب الحسيني الاصلاحى فى الفعل الأخلاقى ومدى تأثيره فى نهاية المطاف على إنسانية أخلاق الإنسان (أنسنة القيم الأخلاقية) إنَّ هذا النوع من الأنسنة يركز على الإنسان من حيث أنه يحمل عقلاً مسؤولاً، وفي حالة تفاعل مع عقول إنسانية أخرى، ولكنها ليست تلك التي تتخطى الدين؛ بل هي المعرفة العلمية المنتجة من طريق العقل المنطقي على وفق المنظور القرآني.

الأهميّة:

اهتمت الدراسات الإنسانية بدراسة الأخلاق وجعلتها في خدمة الإنسان كما تباينت مناهج البحث في ذلك لتجعل قيمة المرء تقدر بأخلاقه، فأصبحت للأخلاق قيم أخلاقية وتربوية تمثل جزءاً من حياة الإنسان، ومنحت القيم الأخلاقية الفاضلة سعادة لمن يطبقها ذلك؛ لأنَّ الإنسان مجهز بضمير وجداني يستقبلها ويتقبلها^(١).

وكذلك تبني القيم الأخلاقية سلوك المجتمعات، وتعد موجهاً لتربية وتنشئة الأجيال فيما بعد.

لذلك أنَّ أهميّة أنسنة القيم الأخلاقية هي أن نستثمر قراءتها وفهمها على نحو عملي تطبيقي انتاجي مثمر، يدفع بالإنسان إلى الوعي والمعرفة الحقة لأخيه الإنسان^(٢).

والأنسنة هي الموقف الإنساني لمقدار حجم قدرات الإنسان الأخلاقية ومدى

(١) محمد باقر السستاني، تهذيب النفس، ص ٢١.

(٢) محمد اركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص ٥.

تكرارها على وفق العقل ومسارات المعرفة، وتعد استراتيجيات للتدخل من أجل تحجيم المواقف الإنسانية وحتى استئصالها إذا أمكن ذلك، وعليه فإن أي مجتمع بحاجة إلى أنسنة القيم الأخلاقية؛ لتحقيق التنمية بجوانبها المختلفة وبناء شخصية الإنسان ليتحمل مسؤوليته الإنسانية والاجتماعية^(١).

وعليه فإن وظيفة أنسنة القيم الأخلاقية هي تكوين علاقة عضوية منطقية مباشرة مع السلوك الإنساني في أبعاده الحياتية كلها، وكذلك لها صلات قوية جداً مع طبيعة الأنظمة التشريعية والاجتماعية المدنية وبناء الحضارات^(٢).

وإن الانهيار الحضاري يحصل على أثر العجز الأخلاقي والديني. فإن (الحضارات لا تموت قتلاً، وإنما تموت انتحاراً).

لذلك أن أنسنة القيم الأخلاقية هي مشروع بناء الإنسان وتهذيبه من الداخل، مما يجنب الحياة كثيراً من الكوارث غير الإنسانية، وهو أمر سيطور المعارف النفسية البشرية^(٣).

تعريف المصطلحات

١. القيم الأخلاقية:

القيمة لغة: هي ثمن الشيء ويقال كم قامت ناقتك؟ أي كم بلغت؟^(٤)

القيم اصطلاحاً: أفكار أو تصورات توجه أفعال الأفراد في المجتمع وتحكم سلوكهم، وتأخذ صفة العمومية لديهم.

(١) اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص ٢٣.

(٢) محمد علي ميرزائي، المرجعية الفكرية للفكر الإسلامي، ص ٤٥.

(٣) زياد عبد الكريم النجم، تويني ونظريته... التحدي والاستجابة، ص ٣٤.

(٤) ابن منظور - لسان العرب - ص ٥٠٠.

٢. الأنسنة:

هي الموقف الإنساني لمقدار حجم قدرات الإنسان ومدى تكرارها عبر تاريخ البشر، على وفق العقل ومسارات المعرفة واستراتيجياتها للتدخل من أجل تحجيم المواقف غير الإنسانية وحتى استئصالها إن أمكن ذلك^(١).

٣. الخطاب لغة:

بمعنى خاطبه مخاطبة وخطابًا: كلمه وحادثه ووجه إليه كلامًا، ويُقال: خاطبه في الأمر: حدّثه بشأنه^(٢).

الخطاب الحسيني الإصلاحية: هو مجمل المخاطبات الكلامية التي صدرت عن الإمام الحسين عليه السلام، التي انضوت مضامينها على النصح والإرشاد، وتغيير الأحوال من السيء إلى الحسن، ومن الفوضى والمخالفة إلى الالتزام والاستقامة على ما يدعو إليه العقل والشرع أملًا في صلاح الأمة^(٣).

المنظور القرآني: هو وسيلة لقيادة العقل الإنساني إلى الحقيقة، القرآن الكريم كتاب الله سبحانه الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله.

هدف البحث: التعرف على بناء الجانب الأخلاقي للإنسان في خطاب الإمام الحسين عليه السلام.

(١) اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص ٥٨٨.

(٢) عبد الكريم عبد الحسين الدباح لخطاب السياسي في نهج الإصلاح الحسيني، <https://www.warithanbia.com>.

(٣) نصار، أسعد نصار، إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة، ص ٤٧٧.

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بدراسة الخطاب في نهج الإصلاح الحسيني للمدة الزمنية المحددة بسنة (٦١هـ) وأثرها في مجتمعاتنا.

منهج البحث:

استعملت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي.

المبحث الأول: الأنسنة (النزعة الإنسانية المؤمنة)

كلمة إنساني «Humanist» مشتقة من المصطلح الإيطالي «umonista» في القرن الخامس عشر، ويعنى المعلم أو الباحث العلمي في الأدب اليوناني.

وهي النزعة الإنسانية المؤمنة، غير النزعة المُلحدة التي يمثلها في العصر الحديث «سارتر - وهيدجر» والتي تعنى التمرد على الله^(١).

ولذلك ارتبطت الأنسنة بالمجهود المبذول من أجل الرفع من الكرامة الإنسانية، وهدفها تحقيق المثل الأعلى للكمال الإنساني في المجالات كافة من أخلاقية وفنية وجمالية وأسلوبية واجتماعية وسياسية، فهي تعمل من أجل الإنسان حتى تخلصه من الرواسب التي ارتبطت به^(٢).

ومع ذلك يعد مصطلح الأنسنة من المصطلحات الحديثة، وقد تعددت تعريفاته واستعمالاته بطرق متباينة:

عرفها مناهضو العولمة: للتعبير عن عولمة أكثر إنسانية (أنسنة العولمة)، كي تحمي حقوق الفقراء والعمال والدول الناشئة والنامية.

(١) صحيفة المثقف العدد: ٥٦٥٤ - ٢٠٢٢م.

(٢) هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الاوربي، ص ٧٥.

عرفها محمد أركون: بأنها الموقف الإنساني الذي يقدر حجم قدرات الإنسان ومدى تكرارها عبر تاريخ البشر، واقتراح مسارات للمعرفة، واستراتيجيات للتدخل من أجل تحجيم المواقف غير الإنسانية، وحتى استئصالها إذا أمكن ذلك، ففي الأنسنة يكون محور الاهتمام هو الإنسان، والإنسان الفرد الحر المتميز؛ إذ تعتمد علاقة جديدة بين الإنسان والعالم، تكون الأسبقية فيها للإنسان^(١).

وتأتي الأنسنة بأتمها مجموعة من وجهات النظر الفلسفية الأخلاقية التي تركز على قيمة الإنسان وكفاءته، سواء أكان فرداً أم جماعة، وتفضل عمومًا التفكير والاستدلال العقلاني عرفها اندري لالاند في قاموسه الفلسفي: بأنها مركزية إنسانية متروية تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها، تقويم الإنسان وتقييمه، واستبعاد كل ما من شأنه تعريبه عن ذاته^(٢).

وعرفها إيمانويل كانط بأنها هدف الأخلاق ومركزية العقل الواعي في الفاعلية الحرة التي تقود إلى ارتقاء الإنسان^(٣).

وتعد الأنسنة استراتيجية نقدية تركز كل القيم الأخلاقية الفاضلة التي تعيد الاعتبار للإنسان كالعقلانية، والحرية الفكرية الواعية، والعدالة الاجتماعية، وضرورة تفضيل المعنى على القوة المتهورة أو السلطة الفاسدة، وتفضيل السلم على العنف، والمعرفة على الجهل.

وفي ثقافتنا العربية يقتضي تحرير الإنسان، وإعادة بناء تفكيره العقائدي على أساس المنهج القرآني، الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وطبقه الأئمة عليهم السلام من بعده.

وارتبط ظهور الأنسنة أو المذهب الإنساني عموماً بعصر الاصطلاح أو الحاكم

(١) أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص ٧٦ .

(٢) اندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ص ٥٦٩ .

(٣) دعاء الجوهرى، ص ٨٤ .

الذي يفترض أن يكون ممثلاً للشعب.

تنظم الأنسنة في جميع الحالات بالتسليم الواثق لله سبحانه، والارتباط المستمر به أي أن شعور المؤمن بذاته مرتبط بشعوره بخالقه؛ وذلك من طريق مديونية المعنى^(١) من شروط الأنسنة تحرير عقل الإنسان والاهتمام به بعيداً عن محددات القبلية والعنصرية المقيتة.

ذلك تتضمن الأنسنة الأدب وكل المعارف والعلوم والقيم الأخلاقية النبيلة، وتتجسد في شخصيات مهذبة، وتهدف إلى توفير الخير لكل جماعة من طريق تنمية الإمكانيات المعنوية والثقافية للفرد ومساعدته على الازدهار والتفتح الفكري الواعي، لذلك يمكن أن نقول إنها تمثل دائرة ثقافية تدعو إلى حضارة إنسانية نبيلة^(٢).

فالأنسنة بوصفها تحريراً للذات الإنسانية في وعيها لذاتها وللعالم، وتحريرها للإنسان، وجعل العقل الإنساني الواعي في مرتبة الحاكم وصاحب السلطة في جميع معارفه وانجازاته، وحرية فهم متطلبات المجتمع بعيداً عن التوجهات القبلية، وهذا تكون الأنسنة شرطاً للتأويل ويكون التأويل شرطاً للأنسنة^(٣).

وهذه الثقافة دالة المجهود والمبدول للرفع من الكرامة الإنسانية، بمعنى من حق الإنسان أن يحقق الخير في الدنيا، وعليه تكون الأنسنة شعور بالنتيجة عندما يعتمد الإنسان القيم الأخلاقية المجربة للإصلاح والمعروفة شرط أن يحصر حدود طموح الأنا داخل الحيز الحيوي الطبيعي لها، عندها سيكون أمام منظومة من القيم الأخلاقية والعلاقات ترتقي بتلقائية من دون أن تحتاج إلى استنباط قيم ومحددات جديدة.

ومن بين الشخصيات التي مثلت الأنسنة هي الشخصية الفكرية الإسلامية، وقد

(١) أركون، الأنسنة والتأويل، ص ٧-٤٣ .

(٢) علي اسعد وطفة، مفهوم الاخلاق قراءة فلسفية معاصرة، <https://tanwair.com> .

(٣) اركون، نزعة الانسنة ص ٦٠٨ .

انتفضت وثارَت من أجل الإنسان وبسم الاصلاح، وكذلك العلاقة بين الإنسان والله سبحانه ترفض النزعة الإنسانية الشكلية السطحية، وتتجه نحو نظام أخلاقي يعاش على أرض الواقع ويتجسد في نظام فيه العدالة الاجتماعية والمساواة في الفرص واحترام الإنسان هو أعلى وأعز شيء في الوجود^(١).

وغاية الأنسنة وجهدها تفهم عالم الإنسانية، بمعنى الفكر الذي يظهر الإنسان على إنسانيته، ويعزز فيه دوره الاجتماعي، وثقافته الإنسانية المشتركة، التي لا تكتمل إلا بهذه المفاهيم: وهي العمل المفضي إلى البناء، والحرية الفكرية الواعية، وإدراك العدالة الاجتماعية.

المبحث الثاني: خطاب الاصلاح الحسيني المستند على المنظور القرآني

كل أمة من الأمم إذا ابتعدت عن الدستور الإلهي تعاني من مدّة إلى أخرى من حالة الانسداد على المستويات كافة، وعندئذ قد يضطرب الناس ولا يعود أحد يعرف أين المخرج ولا كيف؟، وفي تلك اللحظات الحرجة بالذات يقوم الأنبياء والأئمة والأولياء والمصلحون الكبار لفك حالة الانسداد هذه، واكتشاف مواطن الخلل، وإعطاء دافع جديد للأمة؛ لكي تثق بنفسها وتنطلق من جديد إلى (الاصلاح): وهو السعي لإحلال الخير وإثبات الاستقامة.

يمثل مفهوم الاصلاح سمة المجتمع المؤمن، وجهده إزالة الفساد والظلم والانحراف، وبناء أسس الحق والعدالة الاجتماعية، وهو الشعار الذي رفعه النبي شعيب عليه السلام عندما أراد تعديل مجتمعا وجاء في القرآن الكريم تأكيداً على أهميّة الأمر به والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ

(١) اركون الفكر الانساني ص ٢٠٩.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ هود .

وجاء مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم واحدًا من مفاهيم المنظومة المفتاحية الجامعة بين الأفكار والأشخاص والسلوك. ويعد تغيرًا جذريًا متكاملًا بما يخدم الإنسان^(١).

ويرتبط الإصلاح ببناء الأمة وإخراجها من الانحراف إلى السوية، ومن الفساد إلى الصلاح، كما يرتبط بالبناء المعرفي العقلي، ويتجه إلى الاستقامة والسلامة من العيب، ونقيض الإصلاح في القرآن الكريم الفساد، وتارة بالشر وتارة بالظلمات وتارة بالفجور^(٢).

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (ابراهيم ١)، ومحور هذه الحركة (الإنسان)؛ لأن (الإنسان) داخل المجتمع تجاذبه قوى الخير وقوى الشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (٧-١٠ الشمس)

فالباعث الأساسي في حركته عليه السلام: هو الإصلاح «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»^(٣).

عكس الخطاب الإصلاحى الواقع الاجتماعى واقع التجهيل الذى اتخذه الأمويون سبيلاً؛ لتفريق الناس عن الإمام الحسين عليه السلام، وأوهموا الناس بأن الحسين يطلب الحكم والسلطة، فخرج على إمام زمانه، وهو بهذا الفعل يشق عصا المسلمين،

(١) عمر السيد، مدخل الإصلاح في الامة، ص ٧٧.

(٢) المعجم الوسيط ص ٥٢٠ .

(٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - ص ٣٢٩ .

ويفرق كلمتهم؛ لهذا استدعى السياق الخطابي.

استعمال أسلوب القصر في الخطاب (وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي)؛ لتنبه متلقي الخطاب وتذكيره بأمر ثابت معلوم إلا وهو (الإصلاح) الذي قصر خروجه عليه، وهذه الوظيفة هي الامتداد الطبيعي لوظيفة الإنبياء عليهم السلام، الذي يؤكد ذلك استعماله لأسلوب النفي المشحون بقوة إيجابية تعبيرية رافضة لسلوك يزيد المتمثل للشر والطغيان والفساد والظلم في قوله عليه السلام: (لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً)، وهذا السلوك كان متجذراً في سلوك يزيد، فضلاً عن ذلك أسلوب الشرط الذي أوجده الإمام في خطابه: «فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»^(١)، وهو بذلك يؤكد الامتداد الإصلاحي الرباني في خطابه، وخصائص هذا الخطاب الإصلاحي، كما تمثلت محاوره في أنسنة القيم الأخلاقية، وتشكيلها بما يخدم الإنسانية.

وجعل الإمام الحسين عليه السلام في بنية خطابه الشرطي التلازم بين القيم الأخلاقية والأثر في متلقي إيقاع الخطاب، من طريق رسم خطين متوازيين:

خط يمثل القيم النبيلة التي تمثلت بسلوك الإمام الحسين عليه السلام.

وخط يمثل القيم الرديئة التي تمثلت بسلوك يزيد، فدلالة النص الاجتماعية كانت السبب الرئيس في بناء النص وتشكيله.

وهذا الرافض يؤكد سمة حسينية عالية، تمثل (الإرادة، والشجاعة، والقوة، والثبات على الحق).

كذلك رسم الخطاب الحسيني بشكل متوازٍ بين القيم والمبادئ الصاعدة التي تحفظ للإنسان هويته، وبين القيم والمبادئ الهابطة، التي تنسخ هذه الهوية، ونتائج ذلك

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٤ - ص ٣٢٩.

السلوك الذي يؤمن به الإنسان في ذلك المجتمع.

كما تميز الخطاب الإصلاحي الحسيني بأنه يحقق قابلية النص للرسالة التوجيهية ليس فقط لمعاصر النص، أي الزمان المكتوب فيه النص وإنما لكل جمهور المتلقين عبر العصور، وقدرة النص على الانتقال إلى الحياة النفسية للمخاطب، ويرتبط النص موضوعياً بمرجعية واقعية هي الأحداث التي يصفها النص الخطابي^(١) إذن هدف الإمام الحسين (عليه السلام) إلى حركة إنسانية أراد فيها تحريك وجدان الأمة وتفكيرها التي غلب عليها الجهل والظلم.

فمن القيم السماوية في الخطاب الحسيني كما جاء في قوله (عليه السلام): «فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»^(٢)، فالقبول والحق، والصبر، والحاكمة، قيم سماوية، جاء بها الخطاب الإصلاحي من أجل تحقيق التواصل، وإيجاد التفاعل، حتى يقع الأثر، فتلزم الحجة على المتلقي، من أجل تحقيق (العدالة الاجتماعية) بتطبيق قوانين السماء، والاحتكام إلى العقل الواعي، وفي قبال ذلك نبذ قيم (الفساد، والبطر، والجهل، والظلم)^(٣).

ولعلّ الناظر في مفردات الخطاب الحسيني يكتشف أنّ أكثر المسائل التي أثارها - تتعلق بالقيم الأخلاقية وهي بلا شرط - تتّجه نحو الإنسانيّة، وتخطب الضمير الإنساني الحر من حيث هو إنسان. فكلّ ما نطق به الإمام الحسين (عليه السلام) أصبح أساساً مطلبياً لا يمكن الاستغناء أو التعويض عنه، ويستطيع أن يفهمه الإنسان الحر المفكر بوصفه إنساناً في كلّ عصر وفي كلّ جيل.

(١) إدريس هاني، النهضة الحسينية من منظور مغربي: // www.erfan

(٢) مصدر سابق .

(٣) حازم طارش حاتم، سوسيو لسانية الخطاب الحسيني (عليه السلام)، ص ١١ .

وفي الخطاب الحسيني نستطيع الوقوف على فكر احترام الآخر واحترام الحياة، حيث ليس استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلا فضحاً لذلك النهج القائم على قتل النفس المحترمة^(١).

وهذا يدل على عمق حكمة الإمام الحسين عليه السلام ومعرفته فيما سيأتي به مستقبل أمته. إن هذا البناء الذي يحصن العقل والفكر ويجيي الثقافة لا يتم إلا بخطاب حضاري ثقافي أخلاقي ينبع من القيم الأخلاقية، ويسعى إلى تكوين بصيرة بأهمية الأخلاق الإسلامية وقيمها الحيويّة، وتفوقها على كلّ القيم الاجتماعية والحضارية الموجودة لدى الأمم الأخرى. ثم لا يمكن تبديلها أو تعويضها بأيّ حال من الأحوال^(٢).

ويقسم الإصلاح على:

١. الإصلاح المعرفي:

إنّ كل فكر يتمحور حول الإنسان وهوموه ومشاكله يعد فكراً إنسانياً عقلاً فلاً يمكن أن يكون شيء في الحياة أجمل روحياً ولا أروع من الإنسان، ومن هذا المنطلق فالإنسان هو المرتكز والغاية في أي عملية فكرية على وجه الأرض، وهذه العملية الفكرية نابعة من ثقة الإنسان الحر العاقل القادر على إنجاز الأشياء العظيمة ولولاه لما عمرت الأرض.

ولم يجعل الله تعالى لأحد سلطاناً على حركة الإنسان الفكرية الداخلية، فالإنسان حر في تفكيره إلا أنّ هذا التفكير لا قيمة له إذا لم يكن واعياً منطقيّاً وله الحقّ في الظهور للناس، والإعراب عمّا يراه صواباً.. لذلك إنّ عدم الإعراب عن أفكارنا من أهمّ أسباب خنق هذه الأفكار، ومن أعظم وسائل الغصب لحرية التفكير، ويستند الإصلاح المعرفي

(١) إدريس هاني، النهضة الحسينية من منظور مغربي <http://www.erfan.h>

(٢) سنان سعيد جاسم، ص ٤٣.

على العملية المعرفية التي تقوم على الفكر، وهو أرقى وأسمى مراحل الإنتاج الفكري الإنساني مطلقاً، الذي هو نتاج الجهد المعرفي العلمي بأرفع مراتبه وأدواته ويغطي أكبر مساحة ممكنة من الوجود الإنساني، فيخلد ويخلد صاحبه..

إذن لا بدّ من أن تكون عملية الإصلاح عقلية معرفية، وذلك لمواجهة الجمود الفكري من ناحية، والاستجابة لمستجدات الحياة من ناحية أخرى، وأن يكون الإصلاح من طريق المنظور القرآني؛ لأنّ الدين هو مصدر القوة كما أكدت رسائل أهل الكوفة التي أثبتت بما لا يدع مجالاً للريبه أنّه كان هناك وعي ذاتي وفكري بمسألة الإصلاح لدى المفكرين الصادقين الذين توجهوا برسائلهم إلى الإمام الحسين (عليه السلام)، فالإصلاح يتعامل مع كليات النموذج المعرفي (الفكر، والتفكير، والمفاهيم، والتصورات، والمنهج).

إنّ القيم الأخلاقية مثل العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية الفكرية، والحقوق المدنية للشعب، ينبغي أن تستند على عمليات عقلية معرفية عليا منها الوعي والإدراك، ولا بدّ أن ترتبط بحرية فكرية مستندة على قوة إلهية؛ ليستطيع الإنسان التعبير بعمق عنها^(١).

٢. الإصلاح الإداري

جعل القرآن الكريم الإصلاح الإداري جوهر رسالات السماء، فوصف به إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (البقرة: ١٣٠)، ووصف سبحانه به عيسى (عليه السلام): ﴿وَبُكِّلِمُ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٤٦)، ووصف به هود (عليه السلام): ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨)

والإصلاح الإداري هو تغيير مقصود وشامل في إطار رؤية مستقبلية للقيادات

(١) كريم الأنصاري، نفحات الذات، ٦-٤٤.

الإدارية، تحدد ما يجب تحقيقه من إصلاحات إدارية واجتماعية لضمان رضاء الجمهور المستفيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف: ٥٦)

ومضمون الإصلاح الإداري في منهج التغيير الإسلامي هو التغيير التدريجي الجزئي السلمي، ومن أدلته قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان، ليس بعد ذلك من الإيمان شيء»^(١).

ومن شروط الإصلاح الإداري الأخذ بمعيار الكفاءة، الذي أقره الفكر الإداري الإسلامي كما بينه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد، وأخرجه البيهقي بلفظ: «من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين».

وكما يقول المثل شهد شاهد من أهلها، وهذا حديث رواه يزيد بن أبي سفيان عن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في محاباة معاوية تنصيب يزيد خليفة للمسلمين.

وعن يزيد بن أبي سفيان عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد..^(٢)

ويأخذ الإصلاح نمطاً للتغيير والنصح: لقوله صلى الله عليه وآله وسلم «الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله؟! قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٣).

(١) محمد الريشهري - ميزان الحكمة - ص ١٩٥٠ .

(٢) أبو نعيم الأصبهاني، فضيلة العادلين من الولاة ص ١٠١ .

(٣) البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة برقم ٥٥ .

عندما نقرأ التاريخ بتبصر نلاحظ ما وقع فيه من اضطهاد للإنسان وأحدث تغيرات في القانون الإسلامي وعمل معاوية على تفرغ الإسلام من مضمونه، حتى أصبح معاوية يهب الأرض ومن عليها من الناس لبعض الأشخاص، وهذا شيء خطير في الفكر الإسلامي، فقد وهب لعمر بن العاص أرض مصر وأموالها وسكانها المعاهدين ملكاً حلالاً له، وهذا تحول خطير ليس في الفكر الإسلامي فحسب وإنما في القوانين الإنسانية، وليس هذا فقط؛ بل تم استبعاد المسلمين وكأنهم سلعة تباع وتوهب، فضلاً عن ذلك اتخذ معاوية لقب (خليفة الله في الأرض) وكأنه إله من آلهة اليونان القدماء، ومن قوله في ذلك «الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذ من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزاً لي»^(١)، والمنطق يقول المال مال المسلمين، والخليفة أو الحاكم ليس له الحق أن يتصرف بأموال المسلمين على وفق هواه، وعليه أن يرجع إلى الحدود القانونية في ذلك.

وفي صحيح الترمذي من حديث أبي بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»^(٢)، وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «يليكُم أمراء من بعدي يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله. وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ويحدثون البدع. قلت: فكيف أصنع؟ قال: تسألني يا بن أم عبد كيف تصنع؟ لا طاعة لمن عصى الله»^(٣)

(١) مصطفى صبري: ص ٩٤.

(٢) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ .

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٩ / ٣٨٩).

قوله: ﴿أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة ٥٠.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ هود ١١٧.

وكما في رسالة الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية التي ركز فيها على إصلاح الجوانب الإدارية التي يظهر فيها الخلل والفساد، ونقد فيها إدارة معاوية للبلاد الإسلامية وأجبرت هذه الرسالة على طلب معاوية المعونة الفكرية من مستشاريه.

وقد بين الإمام الحسين عليه السلام رسالة إنسانية إصلاحية في خطابه، هدفها محاربة الظلم الاجتماعي، وتصحيح الأوضاع الفاسدة من طريق تغيير فكري أشبه بالثورة الإسلامية لاستمرار الدين الإسلامي، التي تؤدي إلى إصلاح جذري. لمنع أو لإزالة الفساد الإداري الحاصل بجميع جوانب الحياة، فالإصلاح لازم للإدارة لزومه لجميع شؤون الحياة.

ولذلك أوضح الرازي على لسان النبي شعيب عليه السلام قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ ۗ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ ۗ مَا اسْتَطَعْتُ ۗ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۗ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨)

في تفسيره الكبير والمعنى: ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي، وقوله ما (استطعت) فيه وجوه منها، أن يكون مفعولاً له أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه.

المبحث الثالث: الخطاب الحسيني الإصلاحي وعلاقته بأئسنة القيم الأخلاقية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أئسنة القيم الأخلاقية في الخطاب الحسيني:

إنَّ كلمة الأخلاق معبّرة وشاملة، ولها أصل عربي، أما القيم هي مفاهيم يتبناها الفرد لتحديد ما هو مرغوب ممّا يؤثّر على عملية اختيارهم للمثيرات الخارجية، ويرتبط مفهوم الأئسنة بالتزامات الأخلاقية التي تُرشد الإنسان إلى كيفية التفاعل مع بني جنسه وتعزّز القيم الأخلاقية لدى الفرد، مثل: العدالة، وهي ضد العنف في حق الإنسان.

ويعني مفهوم أئسنة القيم الأخلاقية إضافة الروح الإنسانية إلى الأخلاق الفاضلة فهي لا تسعى إلى إذابة الفرد في الجماعة، وإنما توسيع وترتيب يسمح بالتجانس والانسجام بين أبعادها الفرد والجماعة، والمجتمع والإنسانية، وهي لا تعني الخروج عن الدين؛ بل هي قائمة على أساس التدين الواعي^(١).

لذلك أشار الإمام الحسين (عليه السلام) في مشروعه الإلهي الذي هو امتداداً لدين جده النبي (صلى الله عليه وآله) أنّ الإنسان هو غاية الوجود ومن أجله خلق الله ما خلق من الكون، ورتبه أحسن ترتيب وأتم مرافقه على أتم وجه، أخرج إليه الإنسان وأسكنه فيه.

وعليه جاءت منظومة القيم الأخلاقية في النهضة الحسينية لتشكّل أئسنة في المنهج المستقيم لحياة كل إنسان، ومنسجمة مع المعرفة ومليية لمتطلباتها، وهي منظومة أخلاقية مترابطة المعاني ثابتة الأركان الاجتماعية تتجاوب مع جميع العصور والثقافات والأزمنة من دون أن تفقد جوهرها القيمي وإنسانيتها، ومن خصائصها الثبات في جميع الأزمنة وتستوعبها جميع مستويات القدرات الذهنية والعقلية وتتضمن أهداف وغايات إنسانية. وتتوجه قيمها إلى الخير والفضيلة لأئسنة سلوك الإنسان حيث تجعل من كرامة

(١) حمدي سلمان معمر، أئسنة التربية كموجه للعلاقات الدولية في الإسلام، ص ٥٨٩.

الإنسان محوراً فكرياً لها.

فالقيم الأخلاقية تنظيمات لأحكام أخلاقية عقلية، وتربوية مصممة نحو الأشخاص والمعاني وأوجه النشاط الاجتماعي، فأى مجتمع لا تنمو التربية البشرية فيه أو تثمر بنتائج إيجابية، إلا بواسطة أنسنة القيم الأخلاقية؛ لتقي أبناءها من التلوث الفكري وتتيح لهم حرية الفكر والتعبير في حدود القيم الأخلاقية في مجتمع إنساني يبنى على أفراد إنسانيين^(١).

تبحث الأنسنة في قضايا الفكر الإسلامي وقضايا الأمة الراهنة، مثل الحرية والكرامة والإحساس بالمسؤولية والضمير الأخلاقي الذي شكّل مقاصد النهضة الحسينية؟! فهي نهضة حيّة من طريق القيم التي كانت تنطق من داخل الميدان، وترسم للأمة نهجاً في التحرّر وعدم القبول بالذلّ، فكلّ كلمة نطق بها أبو الشهداء عبّرت عن منتهى ما يطلبه الأحرار.

وقد تغيرّ القرارات الحاسمة مصير أمة بكاملها، خصوصاً إن كانت تلك القرارات تمثل مفترق طرق يصعب تصوّر العودة والتراجع عنها، وهي لا تفقد القيم الأخلاقية التي جاءت بها النهضة الحسينية عبر الزمن، لأنّها قيم جوهرية ثابتة، ولأنّها من الثوابت وليست من المتحولات، كذلك هي رافد مهم لبناء وإصلاح المجتمع وذلك من طريق المعايير الإنسانية التي جاء بها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته^(٢).

ولذلك خطب الإمام عليه السلام بأصحابه بذي حُسم، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت جدّاً فلم يبق منها إلاّ صُبابَةٌ كصُبابَةِ الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحقّقاً، فإنّي لا

(١) سنان سعيد جاسم المنظومة القيمية الأخلاقية في النهضة الحسينية.

(٢) كريم الانصاري ١٢٦ .

أرى الموت إلا شهادةً ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً»^(١).

وإذا ذهبنا إلى النص الكلامي وأخذنا فهمه وتفسيره تفسيرًا عقليًا، وجدنا المشتركات الإنسانية، لا تساعدنا فقط في فهم بعضها بعضا، وإنما هي توصلنا إلى فهم مشترك للنصوص؛ إذ إنَّ النص نفسه يعبر عن محتواه^(٢). وهو (أنَّ الحق لا يُعمل به وأنَّ الباطل لا يُتناهى عنه).

وعليه يحاكي الخطاب الحسيني التفكير الناضج وثقافة المجتمع الإنساني الإسلامي، وهو يرتقي برقى الإنسان وبرقى فكر حامله، وقد يصبح عالمياً كونياً، أي أن يرقى الخطاب ليلمس وعي العالم ونضجه. ومن هنا يجب الأخذ بعين الاعتبار، أنسنة واستنطاق القيم الأخلاقية ثورة الحسين (عليه السلام) في ملحمة كربلاء.

وتحاول الأنسنة عبر الخطاب الحسيني استكشاف وقدرة الخطاب على استيعاب أبعاده وجوانبه الإنسانية على مستوى الأهداف والمقاصد. وهي حركة إنسانية أراد فيها الإمام (عليه السلام) تحريك وجدان الأمة التي غلب عليها الجهل والظلم. ومن هنا يمكن تقسيم القيم الأخلاقية على قسمين رئيسين:

القيم الأخلاقية

القيم الأخلاقية هي أمور مركوزة في النفس الإنسانية، فهي وجدانية سواء أكانت فضيلة أم ذميمة، وقد منح الله سبحانه الإنسان الاختيار والقدرة على التحكم في سلوكه فله أن يستجيب لصوته الوجداني (الفضيلة)، أو لصوته الغريزي وهي قيمة أخلاقية عليا مشتركة بين جميع الأقسام والملل في العالم؛ ذلك لأنَّها تمثل السلوك الأصح للإنسان كذلك من دونها لا تستقيم الحياة الإنسانية، وبذلك تكون الممارسات السلوكية نتاجاً

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٢٩.

(٢) شبستري من الهرمنوطيقيا الى الانسنة عماد الهلالي ص ١٥٣.

طبيعياً للأخلاق، وكما يعبر عنها في علم الأخلاق بالفضائل والردائل: تتصف أنسنة الأخلاق بالعقل والنزوع إلى الحكمة والإصلاح إلى استحسان الفضيلة وهي نوعان:

فضيلة إلزامية: وهي سلوك لا يستسيغ العقل تركه، وأن الإنسان السوي ينجذب إلى القيم الأخلاقية الفضيلة وجدانياً كما يجدها إلزامية ذاتية فيجد في نفسه التزاماً وميلاً وجدانياً لها، ويدركها على أنّها ليست على نحو الانجذاب للاقتضاءات الغريزية كالطعام؛ بل هي في موقع وجداني أعلى في النفس البشرية.

فضيلة طوعية: كما في الإحسان غير الواجب إلى الآخرين وإيثارهم على النفس فإنّ الضمير الإنساني يستحسن ذلك وإن لم يشعر بالإثم عند تركه، وتبنى القيم الأخلاقية فيه على خصال عدّة أهمها:

١. تجنب الظلم والإساءة إلى الآخرين.

٢. الصدق في القول والسلوك

٣. الوفاء بالالتزام بالعهد وهي وظيفة إنسانية يقوم عليها نظام الإدارة بين الحاكم والمحكوم

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أما الأخلاق الفضيلة منها:

أ - الأخلاق الحسنة: وهي ملكة نفسية راسخة تصدر عنها السلوكيات الجيدة بسهولة ويسر، وتلك السلوكيات المقبولة طبقاً لموازن العقل والدين، التي تتطابق مع ما يُسمى في علم الأخلاق بـ(الأخلاق الفاضلة).

وأما الأخلاق الرديئة منها:

الأخلاق السيئة: هي الأفعال التي لا يرضى بها العقل البشري والتي تعكس عدم

الأنسنة، فهي التي تؤلم وتوجع الإنسان، وقال الإمام علي (عليه السلام): «كل داء يداوي إلا سوء الخلق، ويعلله بالجهل فيقول: الخلق المذموم من ثمار الجهل»^(١).

تصدر عنها السلوكيات والممارسات السيئة بسهولة ويسر، وتلك الأفعال التي لا يرضى بها العقل ولا الشارع المقدس أو الدين، التي تعكس الصفات البذيئة والأخلاق الرذيلة عند الإنسان. منها:

الظلم: وهو وضع الشيء في غير موضعه، وهو بخس الحق، والاعتداء على الغير، قولاً أو عملاً، كالسباب، والاعتياب، ومصادرة المال، والضرب أو القتل، ونحو ذلك من صور الظلمات المادية أو المعنوية.

ومن صور الظلم، ظلم الإنسان للمجتمع: وذلك بالاستعلاء على أفرادهِ وإن كان حاكماً، وبخس حقوقهم، والاستخفاف بكراماتهم وعدم الاهتمام بشؤونهم ومصالحهم. ونحو ذلك من دواعي تسيب المجتمع وضعف طاقاته.

وأنَّ الأفعال والسلوك مرهونة بصفاء النفس أو تلوثها فمن ارتكب الخطيئة مرة هانت عليه ووسوست له نفسه ارتكابها عندما يجد البيئة الملائمة الملازمة التي تسهل على الإنسان السلوك، مثل ظلم يزيد للمسلمين وقتل المخلصين لله منهم وأبشع المظالم الاجتماعية، ظلم الضعفاء، الذين لا يستطيعون صد العدوان عنهم، ولا يملكون إلا الشكاة والضراعة إلى العدل الرحيم في أساهم وظلاماتهم.

المطلب الثاني: أبعاد أنسنة القيم الأخلاقية في الخطاب الحسيني

لا بدَّ لأيِّ قضية كبرى من أبعاد، وهذه الأبعاد جزء من كل، فإذا أردنا أن نفهم هذه القضية، فلا بدَّ أن نفهم أبعادها مجتمعة، وليس منفصلة، بمعنى أن يكون لدينا فهم شمولي بأبعاد القضية الحسينية، وليس فهم كل بعد على حدة وإنما الأبعاد جميعها

(١) حمدي سلمان معمر، أنسنة التربية كموجه للعلاقات الدولية في الاسلام ص ٥٨٩.

باجتماعها تعطينا صورة شمولية عن وحدة موضوعها ككل، وعليه تكون الحركة التغييرية الإصلاحية للإمام الحسين عليه السلام، هي جزء من كل شامل، بمعنى هي جزء من المنظومة الدينية والاجتماعية، وأبعاد الأنسنة هي الأبعاد التي يترتب عليها مفهوم جديد للإنسان يجعل منه فاعلاً اجتماعياً يؤثر في الآخرين ويقرر مصيره بنفسه.

أولاً: البعد السياسي:

يركز على عدم التماهي بين الفرد والحاكم ورد الفاعلية إلى الإنسان، فالإنسان هو المفكر في مصيره ولا يتماهى مع الحاكم الظالم وشروط شرعية السلطة في الفكر السياسي الإسلامي تكون بالاعتماد على ثلاث مراجع تترتب ترتب هرمي:

١. القرآن بصفته مصدرًا للسيادة العليا الإلهية.

٢. السنة النبوية السيادة العليا للنبي صلى الله عليه وآله.

٣. الاجماع وهي العمليات الفكرية البشرية (الشورى).

إنَّ الإنسان هو الكائن المميز المدعو إلى تجسيد إرادة الله على الأرض بالاعتماد على العقل والنعمة الإلهية لتحقيق العدالة الاجتماعية وتمثل العدالة الاجتماعية التأويل العقلاني لحقوق الإنسان، والتي تتوافق مع روح الإسلام ليس لأنَّها من الأحكام التي جاءت في القرآن والسنة النبوية، أو لأنَّها تجد مبررا لها في الشريعة؛ بل لأنها تمثل التأويل العقلاني لمفهوم الحكم العادل، وهي تخدم الإنسانية في النهاية بدلا من أي نظام يدعى إسلامياً؛ لكنه في جوهر حقيقته استبدادياً^(١).

وعليه مثل خطاب الإمام الحسين عليه السلام رسالة دعوة لفضح الظالمين، مقابل الإيمان بالدعوة للحق، وأهميتها في تأصيل دلالات القيم الأخلاقية، وفي التعرّف على معانيها الإنسانية، وبما يُعطي للشورة شهادة تاريخية (معنى للخلود)، وعمقاً ثقافياً وإيمانياً

(١) سبستري، ص ٣٠٧.

وإنسانياً واسع الطيف والمعنى، فإن الإنسان أدرك أهمية الارشاد، وأهمية تعريف الحكم الفاسد الظالم، وبما يجعل فكرة وضوح الحق شاهداً على وضوح المواجهة مع سلطة الاستبداد، ومع أشكال هيمنتها وظلمها..

ثانياً: البعد الأخلاقي:

تأتي ترجمة مصطلح الأنسنة للمصطلح الفرنسي humanism التي تعني أن يكون الإنسان متميزاً بأخلاق إنسانية فضيلة، وفي سياق هذا الفهم تكتسب العدالة قيمتها من كونها قيمة أخلاقية اجتماعية. وتكتسب المحبة قيمتها من كونها محبة للخير. وتكتسب الرحمة قيمتها من كونها رحمة للإنسانية. ذلك أن العدالة والمحبة والرحمة قيم أخلاقية إنسانية عابرة للمعتقدات والثقافات، والقارات .

ويمكن ان تكون القيم الاخلاقية الانسانية المستقيمة معياراً صادقاً للأنسنة في كل زمان ومكان ولجميع الاديان مع اختلاف المفكرين في عقائدهم الفكرية ولذلك قال الحكماء (ان اعتدال الانسان في الاخلاق قد يكون السبب في سعاده) .

فالاخلاق الحسنة هي سلوكيات جيدة مقبولة لجميع معايير العقل البشري وتؤدي الصعود الى سلم الفضيلة، والخلق الانساني الراقي، ومن قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم ٤ .

ومن الاحاديث الشريفة (حسن الخلق نماء)^(١) وعن جابر بن عبد الله، عن الرسول ﷺ (من سعادة المرء حسن الخلق ومن شقاوته سوء الخلق)^(٢).

وسر بقاء الفرد والمجتمع هي القيم الاخلاقية الفاضلة واستقامة حياتهما، وذكر التاريخ ان من اهم اسباب تقويض الامم ونهايتها كان في انحلال وتفكك نظامها

(١) أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل .

(٢) السفاريني الحنبلي: شرح كتاب الشهاب ص: ٤٣٨ .

الاخلاقي، وما يميّز الخطاب الحسيني أن موضوعه هو الاصلاح ورسالته انسنة القيم الاخلاقية النبيلة. ومن هنا يكون الخطاب الحسيني بمستوى موضوعه. ووسيلة ناجحة في بيان اخلاق رسول الله ص واهل البيت عليهم السلام، وما يمكن أن يقدمه للإنسان والإنسانية.

يقاس نجاح الخطاب الحسيني في مدى قدرته على العمل، بمقدار ما يكون هادفاً. وبمقدار ما يمتلك من المعرفة بقيم الثورة وأهدافها من جهة، ودراية بالواقع وظروفه من جهة أخرى، وبمقدار ما يحسن الوصل ما بين تلك القيم والأهداف، وما بين الواقع ومشاكله وتعقيداته، شرط أن يقوم ذلك الوصل على أساس من الحكمة، والوعي، وحسن البناء، والبيان، والتوظيف^(١).

ثالثاً: البعد الوجداني:

تضمن الخطاب الحسيني البعد العاطفي والوجداني، لكن ما يجب التأكيد عليه، أنّ هذا البعد هو بعد هادف في جملة من مقاصده، وهو ما يتطلب الوصل بين ذلك البعد والأهداف التي يسعى إليها، وعدم الاكتفاء بإشباع البعد الوجداني، من دون الالتفات إلى المقاصد الفكرية التي ينبغي الوصول إليها.

مؤكد ان من اهداف البعد الوجداني لطرح أي قضية او موضوع هو هدف التقبل أي تقبل المفهوم وهنا اعني تقبل مفهوم الاصلاح، فإذا كنا نرى أنّ من وظائف الخطاب الحسيني الإسهام في تهيئة الإنسان لتقبل المفهوم وجدانياً، وتأكيد إيجاد التكامل في الخطاب الحسيني بين العاطفة والفكر، فعلياً أن ندرك بأنّهما معاً يؤديان أكثر من دور في تحقيق أهداف ذلك الخطاب الإنساني ومقاصده، و بأنّ لكل منهما فعله وأثره، الذي - وإن كان يتكامل مع الآخر - في تحقيق رسالة الخطاب وقدرته التعبيرية التي من طريقها

(١) محمد شقير، الخطاب الحسيني ومقوماته البنائية ص ٢٤.

يستثير مشاعر التعاطف مع المظلومية للمسلمين، كما انه يعد النفوس لتقبل الدفاع عن القيم الاخلاقية النبيلة والتفاعل مع قيم الثورة الحسينية، ومعانيها ورسالتها.

المبحث الرابع: تأكيد المنظور القرآني للقيم الأخلاقية في الخطاب الاصلاحى

يشتمل القرآن الكريم على منظومة قيم أخلاقية تسهم في تشييد مجتمع الفضيلة الذي هو غاية المشروع السماوي. وتستمد شرعيتها من العقل والشرع (والقرآن) قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١) الأجراء ٩، مهمته بيان حقائق السلوك الإنساني ونتائجه من طريق ما يطرحه من مفاهيم منهجية، والمفهوم هو فكرة مجردة تمثل الخصائص الأساسية للشيء الذي تمثله، أو ما ينتزعه الذهن من خصائص الشيء سواء كان له وجود خارجي أم لا. لكن المهم من أين يستمد المفهوم سلطته؟ يستمد المفهوم سلطته ضمن سلطة النص، ومن أين يستمد النص سلطته؟ يستمد النص سلطته من مصدره، كلام الله سبحانه (القران الكريم) ويبن القران الكريم بوضوح ما يترتب على الالتزام وعدم الالتزام بها أخروياً، فكانت تكملة الآية المتقدمة: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا، وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) هدفه إيجاد دافعية ذاتية لاستقامة الإنسان، وهذه الدافعية أمّا أن تكون دافعية خارجية قانونية تتطلب الإلتزام بها مثل المنهج القرآني أو تكون دافعية ذاتية داخلية، وهذه تتوقف على قوة إيمان الفرد، ونجدها جليّة عند الأولياء والصالحين^(١).

رفضت الأنسنة اغتراب الإنسان واضطهاده، وطالبت باحترام الكرامة الإنسانية وحق الأشخاص إلى أن يعاملوا بوصفهم غايات إنسانية عليا؛ ليعيش الإنسان ضمنها حرّاً كريماً، وأنّ شعور المؤمن بذاته وإنسانيته مرتبط بإدراكه بخالقه، وعليه يكون

(١) العبادات والأخلاق في منظور المفكر العراقي ماجد الغرباوي، <https://tanwair.com/archives>

الإنسان قيمة عليا لا يجوز المساس بها^(١).

إنَّ الإسلام مبني على المنطق العقلي الذي يتخذ من القيم الاخلاقية النبيلة هدفا ساميا له، لذلك جاء الرسول محمد صلى الله عليه وآله ليتّم مكارم الأخلاق، وفيه قال الرسول صلى الله عليه وآله (الدين حسن الخلق)، وجعل صلى الله عليه وآله مكارم الأخلاق هي الهدف السامي من بعثته الشريفة (إنّما بعثت لأتّم مكارم الأخلاق).

لذلك أعطى الدين الإسلامي مكانةً للعقل في الإصلاح، وانطلق من مبدأ أنّ الإسلام ينطوي على الدين العقلي، والقانون الخلفي مما يجعله صالحًا؛ لأن يكون ملائما لكل حياة اجتماعية، لمجتمع مستقر ومتقدم.

وتآخى العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل ما لا يمكن الاعتقاد به الا من طريق العقل كالعلم بوجود الله وارسال الرسل، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، وكالتصديق بالرسالة نفسها^(٢) وقد عدّت الانسنة الإنسان غاية الدين ومحور الفاعلية الحضارية، وله قدرة الخطاب الفكري، ولا يمكننا معرفة الانسنة دون ربط العلاقة بين علوم الدين وعلوم ومعارف الانسان المختلفة، لذلك نجد كل اخلاق الأديان أرضية بشرية تتجسد في سلوك الإنسان ومنجزاته ومكاسبه المتنوعة من العلوم، وترتسم في تجليات إبداع عقله وإنتاجه^(٣).

إنَّ دين المرء هو اخلاقه و ثقافته سواء كان الانسان مدرك لدينه ام يأخذه بعدم اكتراث، وعليه تكون الدعوة إلى إنسنة الأخلاق ذاتها النشاط الإنساني المميز^(٤).

(١) محمد اركون، نزعة الانسنة ص ٦٠٨

(٢) عبدة، محمد، رسالة التوحيد، ص ١٦

(٣) عبدالجبار الرفاعي almadapaper.net

(٤) المصدر نفسه

يشير المنظور الديني ان لا تكون السلطة مدعية المعرفة لنفسها فقط بحيث تسيس الدين لصالحها وبهذا تكون قد اخضعت الدين لغرضها وجرده من صفة الايمان لله سبحانه وجعلته يميل الى عنصر التماهي مع الظالم كما في سياسة يزيد

وعليه اتفق العلماء والمؤرخون أن التغييرات الاصلاحية التي قام بها الاولياء والصالحون و المفكرون لا سبيل لها إلا إلى نموها؛ بدافع التفاعل الاجتماعي في الاتجاه السليم خدمة للإنسانية، وكنتيجة حتمية للنمو الاجتماعي، من دون إهمال العقل الواعي الذي من شأنه أن يفضي إلى الإنتاج الانساني المثمر.

وهذه المسؤولية دينية أخلاقية، فحماية المجتمع من الانحراف ووظيفة اجتماعية إلزامية ولا يجوز التخلي عنها في أي حال من الأحوال، فعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم»^(١) وعليه يعد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اهم فرائض الدين، قال تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران - ١٠٤).

وقال سبحانه في وصف اخلاق المؤمنين ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة (١١٢).

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤١) الحج .

وجعل الله سبحانه في عباده الاختيار المبني على الإرادة الحرة لكي يسير الإنسان

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي:، ص ٢١٥.

بالاتجاه الصحيح وتؤثر مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تأثيرا كبيرا في صلاح الأمة؛ ولذا كان لدعوة الإصلاح من خلال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المكانة السامية في شريعة الإسلام، وقد عهد الله تعالى إلى الأمة أن تقوم بالدعوة إلى الإصلاح: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: آية ١٠٤.

والداعون المصلحون هم ورثة الأنبياء والمرسلين لتقويم النفوس وإنارة البصائر وفتح طريق الحكمة^(١).

التائج:

يسعى الخطاب الإصلاحى فى النهج الحسينى الى انسنة القيم الإخلاقية والثوب بوجه الطغيان والظلم والاضطهاد.

ويكشف البحث أن الخطاب الحسينى خطاب إنسانى قيمى إصلاحى، له امتدادات اخلاقية يسعى إلى إيجادها فى السلوك العملي مصدرها المنهج القرآنى، وهو بذلك يعكس حال الجهل والظلم فى الواقع ويحقق العدل الإلهي وإعلاء كلمة الإسلام فى الأرض.. ويفصح عن حقيقة مهمة تعتمدها الشرائع السماوية والمبادئ الإنسانية ألا وهى أنسنة القيم الأخلاقية.

أثبت الخطاب الحسينى بطلان حاكمية يزيد ومن يسير على نهجه، وأن توليه مسؤولية الأمة يعود بالضرر الجسيم على الأمة.

يمثل الخطاب الأخلاقى الحسينى القيم الأخلاقية، ولإدراك طبيعة الصراعات التى كانت تكتنف المشهد السياسى، التى دفعت إلى افراز نمطٍ للسلطة المتوحشة، أو لما سُمي ب(الحكم العضوض) والتى دعت بالمقابل الإمام الحسين للثورة،

(١) الخضر، حسين محمد، الدعوة إلى الإصلاح: ص ١٠.

ولرفض هذه السلطة الطاغية؛ إذ حمل شعاره بُعدا استلهاميا للمواجهة، ولتحدي الظلم والطغيان، ولعلّ قولته الشهيرة (إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي) هي الدليل على العمق الاخلاقي للثورة، ولهوية الخطاب الانساني والاصلاحي الذي تبناه عليه السلام، وحمله، ودافع عنه، رافضا الخنوع، والإقرار بالخذلان للسلطة الغشوم.

كذلك يحمل الخطاب الحسيني أبعاد إنسانية، ويهدف إلى ردع الطغيان والاستبداد والانقلاب على الواقع الفاسد الذي خلفه الجائرون، وكسر قيود الاستعباد من أجل التحرر والعيش الكريم للإنسان. ويبين أنّ الإصلاح ينطلق من داخل النفس البشرية، إذ هي المحرك لجميع فعاليات الإنسان.

وأسقط الخطاب الحسيني الأفتعة التي كانت تتستر بها بنو أمية ومن تبعهم بستار الدين، وكشف عن القيم الاخلاقية الرذيلة التي اتخذها يزيد، وفضح أعمالهم النكراء التي ترفضها الشريعة السمحاء وتستهجنها الإنسانية لما تروم إليه من هدم لأركان الدين الحنيف وأنسنة الإنسان.

وقد وضح الخطاب في نهج الإصلاح الحسيني أنّ عملية التغيير ضرورة حتمية ولا بدّ أن تمتلك صفة الديمومة للحفاظ على سلامة الدين والمجتمع. وأنّ أمر الإصلاح للواقع الاجتماعي وتغيير مسيرة انحراف الأمة عن المنهج القويم هي المسؤولية الدينيّة والدينيّة لكل إنسان ما أكسبها سمة المعاصرة والخلود.

المصادر والمراجع

القران الكريم

الحديث النبوي الشريف

١. اركون، محمد، (١٩٩٧)، نزعة الانسنة في الفكر العربي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى.
٢. (١٩٩٩) الفكر الاصولي واستحالة التاصيل، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى
٣. (٢٠٠٨)، الأنسنة و التأويل، ص٧-٤٣ أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الفلسفة جامعة منتوري- قسنطينة
٤. (٢٠١٢)، الفكر الاسلامي نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى
٥. إدريس هاني، النهضة الحسينية من منظور مغربي www.erfan
٦. اندري لالاند، (١٩٩٦)، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب حسين احمد خليل، منشورات عويدات لبنان ج ٢
٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٦، ص ٢٢٩.
٨. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٤.
٩. الخضر، حسين محمد، (٢٠١٨) الدعوة إلى الإصلاح: مصر، القاهرة
١٠. ابن اعثم، الفتوح، ج ٥، ص ٢١.
١١. ابن منظور - لسان العرب - ج ١٢.
١٢. ابو نعيم الاصبهاني، فضيلة العادلين من الولاية، المكتبة الشاملة.
١٣. المعجم الوسيط (١٩٦٠)،، دار الدعوة تركيا
١٤. حازم طارش حاتم، سوسيو لسانية الخطاب الحسيني عليه السلام. كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة، بدون سنة
١٥. حمدي سلمان معمر، (٢٠٠٩) انسنة التربية كموجه للعلاقات الدولية في الاسلام،

جامعة الاقصى مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والاجتماعية المجلد ٢٥ العدد ٢

١٦. سنان سعيد جاسم، (٢٠٢١) القيمة الاخلاقية في النهضة الحسينية مجلة الإصلاح الحسيني - العدد ١٧ مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية
١٧. زياد عبد الكريم النجم، (٢٠١١) تويني ونظريته... التحدي والاستجابة، الهيئة العامة السورية للكتاب

١٨. علي اسعد وطفة، مفهوم الاخلاق قراءة فلسفية معاصرة، ٢٠٢٠، مركز نقد وتنوير الدراسات الانسانية [/https://tanwair.com](https://tanwair.com)

١٩. عبد الجبار الرفاعي almadaper.net

٢٠. عبد الكريم عبد الحسين الدباج، (٢٠٢٢) الخطاب السياسي في نهج الإصلاح الحسيني، مؤسسة وارث الانبياء للدراسات التخصصية.

٢١. عبدة، محمد، (١٩٩٤) رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة

٢٢. عماد الهلالي، (٢٠١٥) شبستري من الهرمنوطيقا الى الانسنة، مركز البحوث المعاصرة في بيروت، [/http://nosos.net](http://nosos.net)

٢٣. عمر السيد، (٢٠٠٦) مدخل الاصلاح في الامة جدالات الديني والسياسي بين الداخل والخارج، مركز الحضارة للدراسات السياسية، القاهرة

٢٤. عايدة الجوهرية، اليسار الماهية والدور، مطبعة الفارابي بدون سنة

٢٥. طارق زين العابدين، (١٤١٨) دعوة إلى سبيل المؤمنين، مطبعة للآستانة الرضوية المقدس، ايران،

٢٦. محمد باقر السستاني، تهذيب النفس، سلسلة محاضرات تربوية، بدون سنة

٢٧. محمد علي ميرزائي، (٢٠٢١) المرجعية الفكرية للفكر الاسلامي، مجلة: الاستغراب العدد: محمد شقير الخطاب الحسيني ومقوماته البنائية الجامعة اللبنانية

٢٨. محمد الريشهري - ١٤٢٢ ميزان الحكمة - ج ٣، المكتبة الشيعية
٢٩. كريم الانصاري، نفحات الذات، ج٣، ٦-٤٤، منشورات دليل ما، لمطبعة:
نغارش، بدون سنة
٣٠. نصار، أسعد نصار، (٢٠١٩) إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة (دراسة في مفهوم الإصلاح واتجاهاته وآلياته)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية: العدد ١،
٣١. هاشم صالح، (٢٠٠٥)، مدخل الى التنوير الاوربي، دار الطليعة ورابطة العرب بيروت لبنان

التواصل الاجتماعي في مكاتيب الإمام الحسين عليه السلام

م.م. آس عقيل كاظم الموسوي

مديرية تربية المثنى

أ.د. باسم خيري خضير

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة المثنى

الملخص:

انطلق الإمام الحسين عليه السلام في توجيه الخطاب إلى العامة بصفته الإمام المعلم من الله تعالى ومن رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، في محاولة منه لتصحيح المجتمع، وتثقيف الناس بما هو خير لهم في الدنيا والآخرة.

فكان له عليه السلام جملة من المكاتيب التي انصبت عنايته فيها على إصلاح المجتمع وتزكية النفوس وتصحيح المسارات المجتمعية، فكانت من بين هذه المكاتيب كتابه عليه السلام في: (المحبة، والموعظة، ووصيته لعامة الناس، وكتبه إلى أخيه الحسن في بذل المال)، ويختصر فيها الإمام الحسين عليه السلام جملة من القواعد التي لو سار عليها الإنسان لصح حاله ونال سعادة الدنيا والنعيم في الآخرة.

إنَّ تواصل الإمام مع العامة وتأكيدَه على التواصل له دور مهم في سبيل النجاة يجعل من مستقبلي الرسالة أكثر تقبلاً للمضمون الرسالة والتوجيه المنبعث منها؛ لأن اقتراب الإمام وهو في منزلة عالية شأنًا من سائر الناس ومحاولة حلِّ مشاكلهم والوقوف على ما يثير التباعد ومعالجته معالجة جادة منطلقًا من التعليم القرآني والتربية القرآنية والسنة النبوية، يُعظم شأن الرسالة وصاحبها.

ويمكن من هذه المكاتيب ان نعلم ونطلع على مظاهر التواصل المجتمعي في ذلك العصر وقراءة تاريخ الأمة عن طريق هذه المكاتيب وما كان يشكل في حياة الناس والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: التواصل الاجتماعي، مكاتيب الإمام الحسين عليه السلام.

6- Summary:

Imam Al-Hussain (PBUH) directed the speech to the public, as he represents the taught Imam by Almighty Allah and prophet Mohammad, in a try to correct Society and educate people about what is good for them in life and the afterlife.

So he had many messages (texts) in which he gave his care to reform society, encouraging souls and correcting societal paths. And his books were about: (Love, the Sermon, his commandment to the whole Society, and his messages to his brother Imam Al-Hassan in giving money), shortening a set of rules on which if man follows them, his situations will be so good, and will earn life & afterlife happiness.

Imam Hussain's continuous communication with the whole Society and affirming communication had a remarkable role in making the ones who received the message have a better life because of which Imam Hussain's closeness to the whole society; Although he has a better level than theirs, trying to solve their problems, avoiding what makes hate, and solve it in a good way, starting with Quranic learning & Quranic education & prophet's Sunnah, that will raise the message & its owner.

These messages help us see the manifestations of social communication as well as what were the people's and society's problems at that time

توطئة:

التواصل الاجتماعي بين الناس يطلب بعض الشروط التي تساعد المتواصلين على خلق فضاءات سمحة تفتح قنوات التواصل بينهم؛ ولذا فإنَّ التأدب وتلين الخطاب والتحبيب في توجيه الرسائل يقرب التواصل ويجعل المتلقي يتقبل الكلام الموجه له بكلِّ رضا.

وعليه فإنَّ التواصل الاجتماعي يشير إلى العلاقة التي تحدث بين الناس في إطار نسق اجتماعي محدد، أو بين مجموعة أنساق، ويكون على المستويين الداخلي والخارجي بين الأفراد من مجتمع واحد أو مجتمعين منفصلين.

والتواصل لغة: الواو والصاد واللام أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه^(١)، والوصل ضد الهجران^(٢)، والوصل الرسالة ترسلها إلى صاحبك^(٣).

وفي الاصطلاح لا يتعد التواصل عن المفهوم اللغوي للمفردة لكن يمكن أن نستعين بقول الدكتور عمر نصر الله: «علاقة بين فردين على الأقل كل منهما يمثل ذات نشيط^(٤)، ولم يتعد الدكتور عصام سليمان موسى عن هذا المفهوم فذكر للتواصل مفهومين^(٥): الأوَّل؛ أنَّه مفهوم يعني الاستمرار في العلاقة المتينة بين طرفي العلاقة، والآخر؛ أنَّه انفتاح الذات على الآخر في علاقة حيَّة لا تنقطع حتى تعود من جديد.

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ - ١٩٧٩، ٦ / ١١٥.

(٢) لسان العرب، محمد بن علي، أبو الفضل ابن منظور، ط ١، دار صادر - بيروت، ١٤١٤: ١١ / ٧٢٦.

(٣) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني الملقب بالزبيدي، دار الهداية: ٨٣ / ٣١.

(٤) مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، د. محمود حسن إسماعيل، الدار العالمية للنشر والتوزيع ط ١، ٢٠٠٣: ٣٠.

(٥) تنظر المدخل في الاتصال الجماهيري، د. عصام سليمان موسى، مكتبة الكتاني، اربد، ١٩٩٨: ٢٢ - ٢٥.

وإنَّ التواصل مع الآخر يراد به جميع أشكال التفاعل والتعاون والتكامل بإيجابيه بناءة، ويكون منبثقاً عن الإحسان والرفق والرعاية، بغية الوصول إلى ما هو مصلحة للطرفين^(١).

التواصل الاجتماعي من النظريات المهمة التي تصور حال المتواصلين وانعكاس المجتمع عليهما، وإن كان أحد المتواصلين يمثل القيمة العظمى، والقُدوة العليا لمن يريد التمثل بأفضل الصفات والتحلي بأحسن الطباع، فإن تواصله مع الآخرين والعمل على وعظهم وتوثيق الترابط الاجتماعي والإنساني بينه وبين المتلقي، فيكون خطابه محل عناية ويحقق التلقي أعلى درجات الاستجابة والأثر.

ويعيد الأفراد إنتاج مؤسسة ما في الزمان والمكان باستعمال القواعد وموارد المؤسسة، ومن ثمة لا يوجد البناء الاجتماعي مستقلاً عن الفعل الإنساني الذي يؤسسه، فالممارسة الاجتماعية عند جيدنز هي البناء والفعل في آن واحد، ممَّا يؤدي إلى إنتاج العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع بحسب هذا الاتجاه تتأثر إلى حد كبير بالعلاقة التفاعلية الجدلية ما بين الفعل والبنية^(٢).

ولذا فإنَّ التواصل الاجتماعي هو نقل الأفكار والتجارب وتبادل الخبرات والمعارف بين الذوات والأفراد والجماعات بتفاعل إيجابي، وبواسطة رسائل تتم بين المرسل والمستقبل وهو جوهر العلاقات الإنسانية ومحقق تطورها؛ ولأنَّ التواصل الشخصي يبني على عنصرين أساسيين هما المتكلم والسامع فهما يتبادلان الوظائف

(١) التواصل الاجتماعي، أنواعه - ضوابطه - آثاره - ومعوقاته، دراسة قرآنية موضوعية، ماجد رجب العبد سكر، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية غزة، ١٤٣٢ - ٢٠١١: ١٠

(٢) العلاقات الاجتماعية، تعريفها، أهميتها، تصنيفها، مستوياتها، أنواعها، العوامل المتحكمة بها، الاتجاهات النظرية المفسرة لطبيعتها (حسام الدين فياض: ١٢-١٣).

حتماً^(١)؛ إذ يبنى التواصل على أساس تبادل الوظائف بين المرسل والمتلقي عبر الوضع نفسه ليتحول المتلقي إلى مرسل والمرسل إلى متلقٍ في عمليتي الإرسال والاستقبال بينهما^(٢).

التواصل مع الناس مهمة اجتماعية مستمرة، ويتوقف النجاح في التواصل على امتلاك مهارات معينة، فكلما زادت مهارات الكتابة والحديث، كان التواصل أكثر فعالية، وهو جزء من الحياة اليومية؛ إذ كلما أحسن الإنسان صياغة رسالته، بلغت من الإقناع والتأثير ما يبلغه التواصل اللفظي^(٣).

فلو انطلقنا من قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾، لوجدنا أن أساس التواصل ينطلق من الكلمة الطيبة اللينة التي تنفذ إلى القلب من غير خدش؛ لتثير عاطفة المستقبل وتجعله منساقاً مع توجه المرسل، متعاوناً معه في إنجاز القصد الذي يرسمه المرسل للمستقبل.

أولاً: علامات المحبة بين الناس.

لا يمكن أن يبنى المجتمع على أساس صحيح إلا إذا تعامل الناس فيما بينهم بودٍّ ومحبة مطلقة من التعاون الذي يجعل حياتهم سهلة؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يعيش منفرداً متوحداً مع ذاته من غير تبادل المنفعة وخلق التواصل المتين الفاعل بينه وبين المحيط، ولو أردنا تصحيح مسار مجتمعنا وتثبيت أركان الحق، علينا أن نزرع في نفوس الجيل الجديد فكرة المحبة القائمة على أساس الفعل والتعاون الحقيقي.

(١) ينظر أشكال التواصل في التراث البلاغي دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر باتنة، سليم حمدان ٢٠٠٨-٢٠٠٩: ٤٧

(٢) لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج: ١٥٠

(٣) ينظر: التواصل الاجتماعي، أنواعه - ضوابطه - آثاره - ومواقفه، دراسة قرآنية موضوعية: ٢٦

ولو تصفحنا مكاتيب الإمام الحسين (عليه السلام) لوجدناه اتخذ من النصح والإرشاد وسيلةً لتوجيه المجتمع وتصحيح المسار الذي انزاح باتجاه يخالف التوجه الإسلامي والإرشادي الإلهي، فأخذ على عاتقه إيصال الناس إلى جادة السلام والصواب والخير، وقد كانت هذه المكاتيب الشخصية من بين الطرائق التي جعلها الإمام وسيلة في التواصل الاجتماعي مع المحيط والمجتمع كما في كتابه إلى أخ له كان قد استبطأ الإمام؛ إذ لم يكتب له منذ حين فجاء ردّ الإمام (عليه السلام) بقوله: «يا أخي، لَيْسَ تَأْكِيدُ الْمَوَدَّةِ بِكَثْرَةِ الْمُزَاوَرَةِ، وَلَا بِمُوَاتَرَةِ الْمُكَاتَبَةِ، وَلَكِنَّهَا فِي الْقَلْبِ ثَابِتَةٌ، وَعِنْدَ التَّوَازُلِ مَوْجُودَةٌ»^(١)، مع أنّها رسالة شخصية إلا أنّ أثر الاجتماعي ممتد من حينها إلى يومنا ومستمرة على طول الأزمان المستقبلية، فلو أخذناها قاعدة لصفّت القلوب وحسنت الظنون، ومن هذا فإنّ الإشارة التي بدأ بها المرسل بقوله يا أخي، جعلت من التواصل أكثر قرباً؛ إذ إنّ قوله أخي يشير إلى أقدس علاقة في المجتمع وهذا ما نجده في أغلب القصص القرآنية؛ إذ لم تخل أي من القصص الملهمة التي سردها القرآن الكريم لتكون للناس مثلاً حياً على مرّ السنين من قصص الإخوة والتأخي أولها قابيل وهابيل، ويوسف وإخوته، وقصة موسى وأخته، وقصته مع هارون، والإخوة مع جنتهم، والتأخي العظيم الذي فرضه النبي محمد ﷺ بعد الهجرة؛ لخلق مجتمعا متآصراً ومتساوياً ومتحاباً.

واستعمال المرسل النفي في جملتين يقابلهما جملتين مثبتتين مع التأكيد، استراتيجية تضامنية أراد فيها أن يساوي بينهما تأكيداً على الإخوة التي بينهما، فإنّ النفي يمثل المستقبل الراض والمزعج من القطيعة التي يستشعر بها، والإثبات يمثل الإمام الحسين (عليه السلام) المنكر لما يذهب إليه المستقبل من العتب؛ إذ إنّه يريد إثبات الإخوة الوثيقة وتأكيدهما، والمحبة الصادقة، والمودة القلبية، وهو بهذا أعطى درساً بليغاً في أنّ لا تقف علاقاتنا الشخصية عند التواصل الحضوري فقط؛ بل علينا أن نخبر الناس من

(١) مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٣ / ١٥٣.

حولنا في نوازل الدنيا وأن نختبر محبتهم الحقيقة في مواقف أخرى.

أشار إلى التزاور والمكاتبة بوصفها نوعاً من أنواع التواصل الاجتماعي بين الإخوة؛ لكنه نفى أن يكونا الدليل الوحيد على المحبة والتقارب، بل قد يكونا صورة زائفة لا يعطي الزائر أو مرسل المكاتبة حق الأخ وواجبه، بل جعل الأفضلية لمن وقف وقفة الشجعان والأوفياء في النوازل والمصائب ليكون عوناً حقيقياً.

ثانياً: النوايا الحسنة

النوايا الحسنة هي المنطلق التي تصحح مسارات الأمة وتهدي الناس إلى التعاضد والعمل على بناء مجتمع سليم من آفات الأنانية والتحيز، ولا يصلح أي مجتمع من المجتمعات التي تروم بناء حضارة تخلد إنجازاتها، إلا في ابتعاد عن معصية الله تعالى والعمل بشرائع السماء التي وجدت لتسيير حياة الإنسان في الحياة.

ولذا نجد مكاتيب الإمام الحسين عليه السلام قد سلطت الضوء على صلاح النفوس كما في الموعظة لم يكن النصح الاجتماعي بعيداً عن النص الديني؛ إذ إن مخافة الله تعالى والامتثال لأوامره والابتعاد عمّا نهى عنه يصلح الفرد وبالتالي يصلح المجتمع لصلاح أفرادِهِ ويمثل ذلك في كتاب الإمام الحسين عليه السلام: «مَنْ حَاوَلَ أَمْرًا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ كَانَ أَفْوَتْ لِمَا يَرْجُو، وَأَسْرَعَ لِمَجِيءِ مَا يَخْذَرُ»^(١) وذلك حين كتَبَ رَجُلٌ إِلَى الإمام الحسين عليه السلام عِظْنِي بِحَرْفَيْنِ، فَإِنَّ الْمُرْسَلَ قَدِمَ الْوَعْظَ عَامًّا لَمْ يَخْصْ طَالِبَ النَّصْحِ بِقَوْلٍ مُخْصِصٍ؛ بَلْ جَعَلَ النَّصْحَ وَالْوَعْظَ عَامَيْنِ، وَمَا يَعْزِزُ الْجَانِبَ الْاجْتِمَاعِي الْإِرْشَادِي أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ حَاوَلَ) أَي أَنَّهُ لَمْ يَثْبِتِ الْعَمَلَ السَّيِّئَ عَلَى أَحَدٍ عَمْدًا وَقَصْدًا؛ بَلْ جَعَلَ الْأَمْرَ مُحَاوَلَةً وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ النِّيَّةِ وَلَيْسَتْ الشَّرْعُ، وَلَكِنْ إِنْ ثَبِتَ عَلَيْهِ الْفِعْلُ فَسَيَكُونُ الْفِشْلُ حَلِيفَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ أَثَرُهَا نَفْسِي وَظَاهِرِي فَهُوَ يَخَالِفُ اللَّهَ تَعَالَى فِي نَفْسِهِ وَيَخَالِفُ اللَّهَ تَعَالَى أَمَامَ

(١) مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٣ / ١٥٣.

المجتمع؛ لأنّ الناس تنظر للعاصي على أنّه مخالف لأمر الله تعالى وينتظرون العقاب الإلهي بحقه، وبهذا يكون عبرة للآخرين يتجنبون ما فعله العاصي، فكان جوابه للسائل أن ينهاه عن المعصية وإن لا يكون عمله خارج رضا الخالق؛ وذلك لأنّ العمل غير المرضي من الله تعالى سيكون أفوتَ لما يَرْجُو، أي أنّه لن يحصل على مراده ولن يحقق ما يريد عاجلاً أو آجلاً، بل لم يكتف الإمام بهذا الحد من الإنذار والتحذير فجاء بقول يختم به رسالته فقال: (وَأَسْرَعَ لِمَجِيءِ مَا يَحْذَرُ) فليس خسارة الرجاء في الأمر المتقدم له؛ بل إنّ جزاءه سيكون السريع بما يسوء هذا الشخص وتقريب ما يحذر منه، وهنا حقق الإمام الحسين (عليه السلام) مراد السائل بما أراد تماماً فقد نصحه ووعظه وفي حرفين، وهما تفويت ما يرجو، وتقريب ما يحذر، وهما بما يريده السائل.

وهذا ما يذكرنا بقصة أصحاب الجنة في القرآن الكريم الذين خرجوا إلى جنتهم في نية السوء ولم يفلحوا قال تعالى: ﴿فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ * أَنْ اغْدُوا عَلَيَّ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ * وَغَدُوا عَلَيَّ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ (القلم: ٢١-٢٥)، فكان جزاؤهم أن حرمهم الله من خيرات جنتهم وأفناها وأصبحت كالصريم؛ لأنهم أضمرُوا نية سوء بعد أن رزقهم الله نعمة كبيرة فجاء عذابهم بحرمانهم منها.

فلو تمسك كل فرد بهذه النصيحة وكانت النوايا خالصة لله يفيد منها صاحب الأمر ومن حوله، ومن يشملهم الأمر ويعمم هذا الأمر على كل من شاهد الفلاح الإلهي، الذي ناله من أخلص النية ولم يعمل المعصية، فيعم الصلاح أفراد المجتمع ويسلم الجميع من بطش العاصي ونكرانه نعمة الله تعالى وتسلطه على عباده وظلمه لحقوقهم، كما في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٢)، فإنّ خلوص النية إلى الباري عز وجل يقابلها الله تعالى بالفرح والأمن وعدم الحزن، وبالأجر الكبير غير المحدد فإنّ قوله تعالى أجره عند ربه

أي إن الله تعالى وحده يعلم مقدار هذا الأجر، وهو ممدود غير محدد وغير منقوص فكلما اسلم الإنسان إلى به النوايا الصالحة، وأحسن العمل من غير معصية فإن أجره يكون عند الله تعالى.

ونجد في قول الإمام الحسين عليه السلام يقارب القول السابق في اعتماد النوايا الحسنة: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ أُمُورَ النَّاسِ، وَمَنْ طَلَبَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَالسَّلَامُ»^(١)، وذلك حين كتب إليه رجلٌ قائلاً: (يا سيدي، أخبرني بخير الدنيا والآخرة)، واعتماداً على طلب السائل فإن الإمام الحسين عليه السلام أرسل إليه إجابة يحدد فيه التوجه الصحيح لنيل الخير في الدنيا والآخرة، وأسندها إلى الحاجة الفرد في التوفيق وحصول المراد برضا الله تعالى والتعامل مع الناس، فإن رضا الله تعالى هو الذي يسير حياة الإنسان ويسهل تعامله مع المجتمع ويقوده إلى طريق الفلاح، وبهذا نستنتج أن حاجة الإنسان إلى الناس من أعسر الأمور، وأكثرها هو اننا على النفس البشرية، وبالمقابل فإن السعادة باكتفاء الإنسان بنفسه وغناه عن الآخرين؛ وذلك لأن غنى النفس عن حاجة الآخرين ترفع من قيمة المرء.

ابتداء الإمام الحسين عليه السلام كلامه بالتوكيد مع رضا الله تعالى فإن استعمال (إنّ) المؤكدة في بداية الجملة الأولى، وذكر المآل الذي يحصل عليه من يسند نفسه إلى رضا الله تعالى، إشارة إلى حتمية الفوز وقبول الأعمال وتحصيل رضا الله تعالى، يقابله عدم التوكيد مع سخط الله تعالى، إشارة إلى رحمة الله تعالى في تأجيل المآل والجزاء، فإن جزاء السيئة سيئة مثلها، لكن جزاء الحسنة عشر حسنات أمثالها. وبهذا يحفظ المجتمع من الانقياد وراء الطمع والفحش والهوان.

ومن كتاب له عليه السلام لأخيه الإمام الحسن عليه السلام حينما سأله الأخير عن السبب في بذل المال للشعراء فكتب الإمام الحسين عليه السلام: «أنت أعلم مني بأن خير المال ما وقى

(١) مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٣ / ١٥٤.

العَرَضُ»^(١)، فإنَّ الغاية الاجتماعية في أوضح صورة في هذا الكتاب، فالمرسل أراد أن يوضح أنَّ العمل على ترضية الناس وكفَّ أذاهم من الضروريات التي قد يبذل من أجلها المال، ولا سيما مع مَنْ لا يتوانى عن الذمِّ وإنَّ ديدنه المسايرة والمتابعة والعمل من أجل المال، فمن أفضل الأشياء أن يتوقَّى الإنسان عرضه واسمه وأن يبذل في سبيل صيانتها ماله، ونجد الإمام (عليه السلام) قد ابتدأ الخطاب بالتخصيص كون الإمام الحسن (عليه السلام) هو الإمام في زمن الكتاب، فالمرسل قد أقر بمعرفة السائل بهدف بذل المال، وذلك حين قال أعلم منِّي وهو ما يفهم منه أن استفسار الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن للاستغراب أو عدم الوقوع على القصد؛ بل حتَّى يثير مسألة مهمة في المجتمع، وهي من استطاع المحافظة على الانطباع العام لدى الناس وعرضه ببذل المال ليفعل؛ لأنَّ المال وسيلة لا غاية، والعرض والصيت والأثر الطيب هي الأهداف التي يسعى الإنسان إلى إثباتها وجديتها وسلامتها من الشوائب، فأعطانا الإمام الحسين (عليه السلام) طريقة سليمة لتجنب الأحقاد والأطماع، ومَنْ يحاول جاهدًا في تشويه اسم الصالح وإظهاره بصورة غير مناسبة.

وهذا نلاحظ النصوص التي وردت عن الإمام الحسين (عليه السلام) تصبُّ في صلب الموضوعات الاجتماعية المستمرة في الظهور على مرَّ العصور؛ ولذا فإنَّ هذه النصائح والمواعظ ماهي إلا رسالة بليغة دائمة التأثير في تيسير أمور المجتمع والأفراد فيما بينهم حتى يسير المجتمع نحو الصلاح والتعاقد والسلام.

ظهرت الوظيفة اللغوية في النصوص بوصفها عاملاً مساعداً في إيضاح المقصود فقد اختصر الإمام (عليه السلام) الإجابة في مكاتيبه على ما أراده السائل في النصوص التي وضعناها سابقاً، ولكن لم تكن اللغة هي الوحيدة التي أوضحت الترابط الاجتماعي في المجتمع بين الأفراد.

(١) مكاتيب الأئمة، الميانجي: ٣ / ١٥٦.

أهم النتائج التي خرج بها البحث:

١. استطاع الإمام الحسين عليه السلام ان يكون مرسلا باعثا على الأمل في إصلاح الحياة الاجتماعية.
٢. استعمل الإمام اللغة بوصفها وسيلة لغوية في الإشارة إلى أهمية إصلاح المجتمع والتواصل الاجتماعي بين الأفراد.
٣. قدم الإمام الحسين عليه السلام في مكاتيبه الاجتماعية صورة مثلى إلى القدوة والمثل العليا التي يراد من الناس التمثل بها.
٤. أشار عليه السلام إلى أن الصفات الإيجابية في المجتمع لا تظهر إلا بطاعة الله تعالى والعمل بما أمر.
٥. استجاب الإمام في مكاتيبه لما يطلبه السائل ويقف عنده فلا يجمل إلا في المجمل ولا يسهب إلا في مواضع الإسهاب.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني الملقب بالزبيدي، دار الهداية.
٢. العلاقات الاجتماعية، تعريفها، أهميتها، تصنيفها، مستوياتها، أنواعها، العوامل المتحكمة بها، الاتجاهات النظرية المفسرة لطبيعتها، حسام الدين فياض، ٢٠١٦ (كتاب الكتروني).
٣. لسان العرب، محمد بن علي، أبو الفضل ابن منظور، ط ١، دار صادر- بيروت، ١٤١٤.
٤. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، ط ٢ الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، ٢٠١٢م.
٥. مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، د. محمود حسن إسماعيل، الدار العالمية للنشر والتوزيع ط ١، ٢٠٠٣.
٦. المدخل في الاتصال الجماهيري، د. عصام سل، ١٩٩٨ الموسى، مكتبة الكتاني، اربد، ١٩٩٨.
٧. معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩-١٩٧٩.
٨. مكاتيب الأئمة، علي الأحمدي الميانجي، تحقيق ومراجعة، مجتبى فرجي، قم دار الحديث، مركز بحوث دار الحديث.
٩. الرسائل
١٠. أشكال التواصل في التراث البلاغي دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية، جامعة

الحاج لخضر باتنة، سليم حمدان ٢٠٠٨-٢٠٠٩.

١١. التواصل الاجتماعي، أنواعه- ضوابطه- آثاره- ومعوقاته، دراسة قرآنية موضوعية، ماجد رجب العبد سكر، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية غزة، ١٤٣٢- ٢٠١١.

أثر القرآن الكريم في اصلاح المجتمع
عند الإمام الحسين عليه السلام

ميثاق عباس هادي

الملخص:

يعد القرآن الكريم المرجعية الأساس عند الإمام الحسين عليه السلام في إصلاح المجتمع الإسلامي؛ لأنه النص الذي لا خلاف فيهم بينهم، ولذلك جعله محورا في عملية الإصلاح للتواصل والتخاطب مع الأمة الإسلامية في المجتمع المدني والمكي، وقد استعمل وسائل عدة لإرجاع الأمة الإسلامية إلى المعنى الحقيقي الذي تتضمنه الآيات القرآنية، ومن هذه الوسائل الإصلاحية بيان فضل القرآن الكريم.

وقد كان للإمام الحسين عليه السلام الأثر البالغ في الاستشهاد القرآني من أجل إصلاح المجتمع وتربيته في مواقف عدة في سيرته المطهرة، ولذا جاء البحث في مطالب عدة: كان الأول منها في السلوك التربوي في الدرس القرآني عند الإمام الحسين عليه السلام، وجاء المطلب الثاني في بيان أثر القرآن الكريم في التربية العقدية عند الإمام الحسين عليه السلام، وتضمن المطلب الثالث: أثر الشواهد القرآنية في إصلاح المجتمع عند الإمام الحسين عليه السلام، ثم الخاتمة في نتائج توصل إليها ثم مصادر البحث.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، إصلاح المجتمع، الإمام الحسين عليه السلام

7- Summary:

The Holy Quran represents the essential reference of Imam Hussain in reforming Islamic society; because it's the text which all cults agree on because of that, he made it central in the reforming process of communicating with the Islamic nation in the Society of Medinah & Mecca. Also, he made several means to return the Islamic Nation to the real meaning that the Quranic verses included, and one of these reforming means is showing the good of the Quran.

Imam Hussain has had a remarkable effect in the Qura'nic quotation for reforming & educating society several times in his life, therefore; this research has come for several demands: the first one on the educational behavior in the Quranic lesson of Imam Hussain, the 2nd in showing the Quranic effect to the cult's pedagogic of Imam Hussain, the 3rd, impact of Quranic evidence in reforming the society, the conclusion, results, and resources.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

اهتم القرآن الكريم في بيان بعض الأصول الكلية التي تساعد على فهمه، وجعلها مرجعية لتفسيره وتأويله، وأكد أهل البيت عليهم السلام على محورية القرآن الكريم ومرجعيته الأساس، وهي القرآن الكريم ورسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وأهل بيته، وما نُقِلَ عنهم عليهم السلام من قبل أصحابهم، والذي يسمى هذا المنهج بالمنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم.

وقد كان لهذا النوع من التفسير الأثر البالغ في نفوس الباحثين في الاستعانة به في موضوعاتهم التفسيرية التي تتعلق بواقع الأمة ومعالجة مشاكلها، لكون القرآن المرجعية الأساس في تفسير المواقف وتحديدها وتفسيرها، ومن تلك المواضع الأساس فيما تعلق بالقرآن موضوعة (اصلاح المجتمع)، وهذا يرجع إلى التفسير الموضوعي، لذا جاء البحث بعنوان (أثر القرآن الكريم في اصلاح المجتمع عند الإمام الحسين) كي يعالج بعض المشاكل التي ينبغي السعي في حلها قرآنياً.

وقد كان للإمام الحسين عليه السلام الأثر البالغ في الاستشهاد القرآني من أجل اصلاح المجتمع وتربيته في مواقف عدة في سيرته المطهرة، ولذا جاء البحث في مطالب عدة: كان الأول منها في السلوك التربوي في الدرس القرآني عند الإمام الحسين عليه السلام، وجاء المطلب الثاني في بيان أثر القرآن الكريم في التربية العقدية عند الإمام الحسين عليه السلام، وتضمن المطلب الثالث: أثر الشواهد القرآنية في إصلاح المجتمع عند الإمام الحسين عليه السلام، ثم الخاتمة في نتائج توصل اليها ثم مصادر البحث.

ونسأل الله تعالى التوفيق في العمل على انجاح مشروع القرآن الكريم في المجتمع الصالح في العراق العزيز ومن الله تعالى التوفيق والسداد.

الباحث

أثر القرآن الكريم في إصلاح المجتمع عند الإمام الحسين (عليه السلام)

المطلب الأول: السلوك التربوي في الدرس القرآني عند الإمام الحسين (عليه السلام):

يعد القرآن الكريم المرجعية الأساسية عند الإمام الحسين (عليه السلام) في إصلاح المجتمع الإسلامي؛ لأنه النص الذي لا خلاف فيهم بينهم، ولذلك جعله محورا في عملية الإصلاح للتواصل والتخاطب مع الأمة الإسلامية في المجتمع المدني والمكي، وقد استعمل وسائل عدة لإرجاع الأمة الإسلامية إلى المعنى الحقيقي الذي تتضمنه الآيات القرآنية ومن هذه الوسائل الإصلاحية بيان فضل القرآن الكريم.

أولا: بيان منزلة القرآن وقارئه:

إن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة والناسخ لكل الكتب والأديان السماوية، وبذلك حصل على تلك الشرفية والعلو، فكل من صاحبه ورافقه وجعله إماما يقتدي به ويلزم تلاوته والعمل به وجعله مصدرا أساسا لدستور البلاد في الأحكام والقوانين رفع الله شأنه وبارك في العباد والبلاد، والى هذا المعنى روى زيد الشهيد عن أبيه عن الحسين عن علي (عليه السلام) قال: «إن صاحب القرآن يسأل عما يسأل عنه النبيون إلا أنه لا يسأل عن الرسالة»^(١). وهذه المنزلة العظيم له في الآخرة يلزم منها السؤال عن العمل بمضامين القرآن الكريم، أعاننا الله تعالى على ذلك.

وقد سعى الإمام الحسين (عليه السلام) في مشروعه الإصلاحية إلى تربية المجتمع المسلم من طريق إعادة روح حفظ القرآن وتلاوته، وإعطاء أهمية و منزلة عظيمة ومنافع كثيرة لقارئ القرآن وحافظه؛ فقد روي عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال: «مَنْ قَرَأَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صَلَاتِهِ قَائِمًا يُكْتَبُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِائَةٌ حَسَنَةً، فَإِذَا قَرَأَهَا فِي غَيْرِ صَلَاةٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَإِنْ اسْتَمَعَ الْقُرْآنَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةً،

(١) السيد حسن القبانجي، مسند الإمام علي (عليه السلام): ١ / ٢٣٠.

وَإِنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ لَيْلًا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَإِنْ خَتَمَهُ نَهَارًا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْحَفَظَةُ حَتَّى يُمَسِيَ، وَكَانَتْ لَهُ دَعْوَةٌ مُجَابَةٌ، وَكَانَ خَيْرًا لَهُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ. قلت: هذا لمن قرأ القرآن، فمن لم يقرأ؟ قال عليه السلام: يَا أَخَا بَنِي أَسَدِ! إِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ مَا جِدُّ كَرِيمٌ، إِذَا قَرَأَ مَا مَعَهُ أَعْطَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ^(١). وهذا الحديث الشريف مستوحى من كتاب الله تعالى من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرُجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُؤْفِيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٢). ففي الآية دلالة على الحث على تلاوته، وقد ومدحهم بخطابه لبيان عظيم منزلتهم في الدنيا والآخره، وعظمة تلاوته، وما ذلك الا لزيادة الاهتمام به وعدم هجره، فقد جعل محور الاصلاح النفسي والروحي للفرد المسلم من طريق القرآن الكريم والتدبر فيه، وجعله مرجعية أساسية في حركة الفرد والمجتمع،

ثانيا: الأخلاق التربوية مع طلبة القرآن عند الإمام الحسين عليه السلام:

اعتمد الإمام الحسين عليه السلام في طريقته الإصلاحية لتربية النخبة الصالحة على دراسة القرآن الكريم على شكل حلقات في بيته الشريف، إذ جعله مدرسة قرآنية للتواصل مع المجتمع المسلم، فقد روى مسروق بن الاشرس أنه قال: «دخلت يوم عرفة على الحسين بن علي عليه السلام، فرأيت أقداح السويق»^(٣) أمامه و أمام اصحابه و الى جنبهم القرائين، و كانوا صائمين منتظرين الافطار، فسألت الإمام مسائل فأجابني عليها ثم خرجت^(٤). وفي رواية «.. وأقداح السويق بين يديه وبين يدي أصحابه، والمصاحف حجورهم وهم ينتظرون الافطار»^(٥).

(١) العاملي، وسائل الشيعة: ٤/ ٦٢٢.

(٢) سورة فاطر: ٢٩.

(٣) السويق: ما يتخذ من دقيق الحنطة أو الشعير ويخلط بالماء ويشرب. لسان العرب: ١٠/ ١٧٠.

(٤) ابن شهر اشوب، مناقب آل ابي طالب: ٤/ ٧٥.

(٥) النوري، مستدرک الوسائل: ٧/ ٥٢٨ ح ٨٨٢٠ نقلاً عن كتاب التعازي.

فقد كان الدرس القرآني رفيقاً للإمام الحسين (عليه السلام) حتى في بيته، فقد جعله مدرسة قرآنية كما يظهر من رواية مسروق حينما دخل عليه في يومٍ ووجده واصحابه والمصاحف بين ايديهم، وهذه قرينة على مدارسته للقرآن الكريم مع طلبته، وقد كان في قمة التواضع لطلبته إذ ابقاهم للفطور معه (عليه السلام)، وهو بذلك يعطى درساً تربوياً إصلاحياً للأساتيد الكرام على مرّ الأجيال على لزوم التواضع لمن يعلمونه والإحسان اليهم بإكرامهم ليريهم على محاسن الأخلاق وتحمل المسؤولية التربوية، وهو بذلك يكشف عن التزامه بقوله تعالى: ﴿وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) والسنة النبوية في قوله (صلى الله عليه وآله): «عَلِّمُوا وَ لَا تَعْتَفُوا فَإِنَّ الْمُعَلَّمَ خَيْرٌ مِنَ الْمُعْتَفِ»^(٢)، وقوله (صلى الله عليه وآله): «لَيْنُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ وَ لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ»^(٣).

إنّ التربية الإصلاحية التي اعتمدها الإمام الحسين (عليه السلام) في سيرته العملية مستوحاة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو بذلك يثبت أنه عدل القرآن في سلوكه العملي في تربية تلاميذه. بخلاف ما نجده اليوم من تعالي بعض التربويين والشهادات العليا حتى على أساتيدهم فضلاً عن أقرانهم.

الثالثة: الأخلاق التربوية في الدرس القرآني عند الإمام الحسين (عليه السلام):

اهتم الإمام الحسين (عليه السلام) بتدريس القرآن الكريم في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حفظاً وتلاوة وتفسيراً، والظاهر أنّه كان درساً يومياً لاشتهار ذلك بين أهل المدينة فقد ذكر المؤرخون أنّ رجلاً سأل معاوية مرةً عن مكان الحسين (عليه السلام)؟ فقال له: «إذا دخلت مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)» فأريت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي

(١) سورة الشعراء: ٢١٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٧٧ / ١٧٥ ح ٩.

(٣) المصدر نفسه: ٧٧ / ١٧٥ ح ٩.

عبد الله عليه السلام مؤتزرًا على أنصاف ساقيه، ليس فيها من الهُزَيْلِ ^(١) شيء ^(٢)، كناية عن الهالة القدسية التي تحوط مجلس الإمام الحسين عليه السلام ودرسه في إصلاح المجتمع على أسس القرآن الكريم، وتلاوته عليه السلام للقرآن الكريم، وإصغاء جالسيه بقلوبهم إلى صوت الحق وعِدْل القرآن الكريم، وعتره الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، فليس في مجلس درس الحسين عليه السلام إلا حقائق المعرفة، وعيون الحكمة، والعلم الموروث، ومعارف الكتاب، وأحكام السُنَّة ^(٣) لإصلاح ما أفسدت الأنظمة الحاكمة من أسس تربوية بعيدة عن القرآن الكريم.

وفي حديث معاوية ووصفه لهيئة مجلس الدرس القرآني عند الإمام الحسين عليه السلام مجموعة من الدلالات التربوية:

١- أن طريقة جلوس طلبة الإمام الحسين عليه السلام هي طريقة الحلقة التي يلتفت الطلبة حول استاذهم؛ ليكونوا قريباً منه.

٢- كأنَّ على رؤوسهم الطير، وهو صف حالة الخضوع والصمت والاهتمام بالدرس القرآنية وما يزيده هيبة أن الاستاذ هو الإمام الحسين وسيد شباب أهل الجنة، ومما لا شك فيه كان لطريقة تدريسه الأثر البالغ في نفوسه طلبه، حتى جعلت عدوه معاوية أن يصف درسه بهذه الحالة.

٣- وصف معاوية لحالة جلوس الإمام الحسين عليه السلام يكشف عن ملاحظاته لكيفية جلوس الإمام في حالة من التواضع للقرآن الكريم؛ لأنه كتاب الله تعالى المعجز الخالد، ويظهر أنه جلسة تختلف عن غيرها من جلسات درس الصحابة إن وجدت في المسجد، اقتضت انتباه معاوية لها.

(١) قال ابن منظور: قول هزل: أي هُذَاء، وفلان يهزل في كلامه: إذا لم يكن جادًا. والمُشْعُوذُ إذا خَفَّت يداه بالتخايل الكاذبة ففَعَلُهُ يقال له: الهُزَيْلُ؛ لأنَّهَا هَزَلٌ لا جَدَّ فِيهَا. لسان العرب: ١١ / ٦٩٦ مادة «هزل».

(٢) تاريخ ابن عساکر: ٤ / ٢٢٢، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من الطبقات الكبرى: ٨ / ٣٠ و ٥٤.

(٣) الجلالی، السيد محمد رضا، الحسين عليه السلام سماته وسيرته: ٨٥ / ١.

٤- وصف معاوية هيئة درس الإمام الحسين (عليه السلام) بأنه حلقة روحانية تعمها السكينة والوقار والصمت والهدوء في الحوار قال: «ليس فيها هزيلي شيء»، وهو اشعار بتميز حلقة الإمام عن غيرها من حلقات الدرس في المسجد التي تتصف اغلبها بالهزل والهذيان والمزاح بحيث يفقد الدرس قيمته العلمية.

لقد أعطى الإمام الحسين (عليه السلام) درسا تربويا في اسلوبه العلمي ليقوي روح الارتباط والتواصل بين الاستاذ والتلاميذ في حال الدرس، ليعطي بعدا تربويا للمادة العلمية ومكان الدرس، ليساعد على التركيز فيهما مبعدا جميع وسائل التشتت. وفي هذا السلوك الحسيني القرآني يكشف عن بعد إصلاحي في المنظومة التربوية في زمنه ليعيد للقرآن هيئته وقدسيتها التي فقدتها نتيجة السياسات المنحرفة عن الإسلام.

الرابعة: تعظيم مادة الدرس القرآني:

تظهر أهمية المادة القرآنية عند الإمام الحسين (عليه السلام) بوصفها مادة أساسية في إصلاح المجتمع من طريق تركيزه على تربية طلبة القرآن الكريم والدراسات القرآنية وتعاليمهم عن المادة والمغريات الدنيوية والعنوانات العلمية التي قد يحصل عليها، بشرف ملازمة القرآن والتخصص في حفظه وتدرسه وتفسيره، فقد روى الإمام السجاد عن أبيه الحسين عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن، وتفقهوا به، وعلموه الناس ولا تستأكلوهم به، فانه سيأتي قوم من بعدي يقرأونه ويتفقهون به يسألون الناس، لا خلاق لهم عند الله عز وجل»^(١)، وفي الحديث دلالة على كراهة المتاجرة بالقرآن الكريم بأن يكون غرضه من التلاوة الأجرة، فيتخذ عملا له يستأكل به لمعاشه، فقد حمل الفقهاء دلالة النهي في قوله (عليه السلام) (ولا تستأكلوهم به) على الكراهة، وذلك لوجود روايات دالة على جواز أخذ الأجرة على تلاوة القرآن الكريم، قال السيد عبد الاعلى السبزواري (ت ١٤١٣هـ): «يجوز أخذ الأجرة لتعليم

(١) مسند زيد بن علي: ٣٨٧.

القرآن سائر الكمالات الدينية أو الدنيوية»^(١).

وقد رسخ الإمام الحسين عليه السلام في نفوس أصحابه ومحبي الدرس القرآني عظمة التخصص في الدراسات القرآنية، ووجوب احترام التخصص العظيم، وزرع الثقة في نفوسه طلبته بقيمة القرآني وما يحمل من مضامين ودلالات عميقة في مختلف المعارف البشرية، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «مَنْ قرأ القرآن وحفظ فظن إنَّ أحدًا أُوتِيَ مثَلَّ ما أُوتِيَ فقد عظم ما حَقَّرَ الله وحَقَّرَ ما عَظَّمَ الله تعالى»^(٢)؛ لأنَّ القرآن الكريم أعظم ما أنزله الله تعالى، فلا يوجد ما هو أعظم منه، ولو وجد لأنزله، ولذلك يجب أن يعرف حامل القرآن الكريم حتى على صعيد الحفظ للدلالة اللفظية ومعرفة قراءة من القراءات المشهورة المعتمدة، فإنه قد حَمَلَ رسالة الانبياء وحفظها، وهو توفيق من الله تعالى، فلا ينبغي أن يُعَظَّمَ غير القرآن مهما بلغ.

وقد بلغ حال أهل القرآن وأصحابه أن لهم منزلة عظيمة، وهي كونهم عرفاء أهل الجنة، فقد روي عن زيد بن عليّ بسنده عند الإمام الحسين عليه السلام قال: «قَالَ رَسُولُ «حَمَلَةُ الْقُرْآنِ عُرَفَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣)، وروى النوفليّ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حَمَلَةُ الْقُرْآنِ عُرَفَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ الْمُجْتَهِدُونَ قَوَادِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَ الرَّسُلُ سَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٤) والمراد من عرفاء أهل الجنة هم رؤساء القوم^(٥)، ومن هذه الأخبار الحسينية تظهر دور الإمام الحسين عليه السلام في مشروعه الإصلاحية لخلق نخبة قرآنية يكون لهم دور في المجتمع وإصلاحه ومتابعة انحرافاته وتقويمها، وهذه مسؤولية تربوية تقع على عاتق المتخصصين بالشأن القرآني قبل غيرهم، لو صفهم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله بالعرفاء.

لقد وضع لنا الإمام الحسين عليه السلام قواعد الأسس التربوية العامة في التعامل مع

(١) السبزواري، مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: ١٦/ ١٨٠.

(٢) مسند زيد بن علي: ٣٨٧.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير: ٣/ ١٣٢، تفسير ابن كثير: ١/ ٩٦.

(٤) المازندراني، شرح اصول الكافي: ١١/ ٢٧.

(٥) المصدر نفسه: ١١/ ٢٧.

الدرس القرآني في مختلف المراحل التعليمية، التي ركزت على احترام المادة الدراسية والمكان والطالب والاستاذ، وهذه تمثل ركائز الدرس القرآني التي يجب مراعاتها ليكون درسًا له قيمته الروحية والعلمية.

المطلب الثاني: أثر القرآن الكريم في التربية العقدية عند الإمام الحسين (عليه السلام):

وضع القرآن الكريم القواعد الكلية للعقيدة الصحيحة الراسخة، وقد بينتها السنة المطهرة، ولكن حصلت انحرافات في الأمة نتيجة للصراع السياسي ومخالفة الثلاثة تبليغ النبي في خطبة الوداع، و منافستهم للإمام علي (عليه السلام) ومحاولتهم تهميشه وأهل بيته (عليهم السلام) عن موقعهم الأساس في الحكم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مما أدى إلى تهميشهم كليًا عن الساحة السياسية، وقد سعى الإمام الحسين (عليه السلام) في خطبه إلى إعادة إصلاح الفكر الإسلامي في المجتمع المسلم وارجاعه إلى محورية القرآن ومرجعيته، لفهم الآيات التي بينت منزلة أهل البيت (عليهم السلام)، وأنهم أولى من غيرهم في الخلافة الإسلامية.

وقد استعمل الإمام الحسين (عليه السلام) طرائق عدة في مناسبات مختلفة استثمر فيها بيان هذه الحقيقة العقائدية للإمامة الإلهية التي تمثل محورًا أساسًا في تربية المجتمع المسلم وإصلاح ما أفسدته الأنظمة الحاكمة التي خالفت القرآن والسنة النبوية، وتثبيت أسس الدولة ونظامها السياسي المخالف للشريعة الإسلامية تحت عنوان الشورى الإسلامية في مقابل الإمامة الإلهية ولزوم ثبوت الإمامة بالتعيين الإلهي في القرآن والسنة النبوية المطهرة.

ثم بين الإمام الصادق (عليه السلام) سبب نزول آية الولاية، وأنها خاصة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليّ والحسن والحسين (عليهم السلام) قال: «وَنَزَلَتْ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) وَ نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ، وَ الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ (عليهم السلام)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) فِي عَلِيٍّ:

(١) سورة النساء: ٥٩.

«مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»^(١)، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْصِيكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ أَهْلِ بَيْتِي، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ. وَقَالَ: لَا تَعَلَّمُوهُمْ، فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ. وَقَالَ: إِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدَى، وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ. فَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُبَيِّنْ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ لِأَدْعَاهَا أَلْ فُلَانٍ، وَ أَلْ فُلَانٍ»^(٢).

ولذلك كان للإمام الحسين عليه السلام الأثر في إصلاح المجتمع وتربيته فكريا وعقديا وارجاع المسار الإسلامي إلى واقعه الصحيح، ولذلك استعمل وسائل عدة في تفسير بعض الإمامة وبيان مصداقها الواقعي والحقيقي في اثبات الإمامة الالهية.

أولاً: تحديد مرجعية القيادة الصالحة للإمامة:

أكد الإمام الحسين عليه السلام على أهمية التفاف الأمة الإسلامية حول القيادة الصالحة المعصومة التي ثبتت بنص القرآن والسنة النبوية، وعدة الخلافة والقيادة إلى أهلها الشرعيين، فقد قام الإمام الحسين عليه السلام بدوره الاصلاحى والتربوي في المجتمع الذي اختلطت عليه مفاهيم الخلافة الإسلامية بسبب أساليب الدعاية والتعظيم ومنع التدوين للسنة النبوية، فاختلطت المفاهيم القرآنية في تحديد الخلافة الربانية، فما كان من الإمام الحسين عليه السلام الا السعي لإصلاح ما أفسدته السياسات السابقة، فقد ورى موسى بن عُقبة^(٣) أَنَّهُ أَمَرَ مُعَاوِيَةَ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَنْ يُخْطَبَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ «فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ

(١) من الاحاديث المتواترة بين الفريقين، لان جميع الصحابة قدروه ومن بعدهم التابعين وتابعي التابعين، ظ: القندوزي، الحنفي، سليمان بن ابراهيم، ينابيع المودة لذو القربى: ٤ / ٣٠٤.

(٢) الكليني، اصول الكافي: ١ / ٢٢٦.

(٣) موسى بن عقبة: ابن أبي عياش الأسدي بالولاء، أبو محمد المدني، مولى آل الزبير، ويقال: مولى أم خالد بنت سعيد بن العاص. وهو أخو إبراهيم بن عقبة، ومحمد بن عقبة. روى عن: أم خالد بنت خالد الأموية وهي صحابية وعلقمة بن وقاص، وكُريب وعكرمة، وابن المنكدر، وعبد الله بن دينار، وآخرين. توفي سنة إحدى وأربعين ومائة. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام: ١ / ٥٣٦.

وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ فَسَمِعَ رَجُلٌ يَقُولُ مَنْ هَذَا الَّذِي يَخْطُبُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَحْنُ حِزْبُ اللَّهِ الْغَالِبُونَ، وَعِترَةُ رَسُولِ اللَّهِ الْأَقْرَبُونَ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ الطَّيِّبُونَ، وَأَحَدُ الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ جَعَلَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَانِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ، وَ الْمَعْوَلُ عَلَيْنَا فِي تَفْسِيرِهِ، لَا يُبْطِنُ تَأْوِيلُهُ بَلْ نَتَّبِعُ حَقَائِقَهُ، فَأَطِيعُونَا فَإِنَّ طَاعَتَنَا مَفْرُوضَةٌ إِذْ كَانَتْ بِطَاعَةِ اللَّهِ مَقْرُونَةً قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)، وَ قَالَ ﴿وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾^(٢)، وَ أَحْذَرَكُمْ الْإِضْغَاءَ إِلَى هُتُوفِ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ فَتَكُونُوا كَأَوْلِيَائِهِ ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾^(٣)، فَتَلْقَوْنَ لِلسُّيُوفِ ضَرْبًا وَ لِلرَّمْحِ وَرْدًا وَ لِلْعُمْدِ حَطْمًا وَ لِلسَّهَامِ غَرَضًا ثُمَّ لَا يَقْبَلُ ﴿مِنْ نَفْسٍ إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾^(٤) قَالَ مُعَاوِيَةُ حَسْبُكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقَدْ أَبْلَغْتَ^(٥).

فقد بين الإمام الحسين (عليه السلام) منزلة آل محمد (عليهم السلام) ومقامهم بنص القرآن الكريم التي يشك في دلالتها الصريحة على إثبات الإمامة لهم وفيهم (عليهم السلام) خاصة، وقد فسر الآيات خلال بيانه لمصداق الآيات في ثبوت ولايتهم بنص القرآن الكريم، وإن ظهوره حجة ثابتة لا خفاء فيها على ثبوت الإمامة والخلافة لهم دون غيرهم.

نجح الإمام الحسين (عليه السلام) في إصلاح المجتمع عقدياً لجعلهم يفهمون حقيقة الإمامة وأنها منصب إلهي فلم يدعها أحد من أهل بيته وغيرهم في زمانه قال: «فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَّعِيَ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ هُوَ يَدَّعِي عَلَى أَخِيهِ، وَ عَلَى أَبِيهِ، لَوْ أَرَادَا أَنْ يَصْرِفَا الْأَمْرَ عَنْهُ، وَ لَمْ يَكُونَا لِيَفْعَلَا، ثُمَّ صَارَتْ

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة النساء: ٨٣.

(٣) سورة الانفال: ٤٨.

(٤) سورة الانعام: ١٥٨.

(٥) ابن شهر آشوب مناقب آل أبي طالب: ٤/٦٤، الطبرسي، الاحتجاج: ١/٢٩٩. وسائل الشيعة: ١٨/١٤٤٤ ح ٤٥.

حِينَ أَفْضَتْ إِلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَجَرَى تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، ثُمَّ صَارَتْ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، ثُمَّ صَارَتْ مِنْ بَعْدِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام (١).

وهذه دلالة واضحة على أن الإمامة تقوم على أساس النص الإلهي، ويؤيد ذلك ما رواه الكليني بسنده عن سليم بن قيس (٢) قال: شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام، وأشهد على وصيته الحسين ومحمداً عليهما السلام، وجميع ولده ورؤساء شيعته، وأهل بيته ثم دفع إليه الكتاب والسلاح، وقال لابنه الحسن عليه السلام: «يا بني أمرني رسول الله أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبه وسلاحه، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين فقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا. ثم أخذ بيد علي بن الحسين وقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي وأقرأه من رسول الله ومني السلام» (٣).

وهذا التوافق بين الكتاب والعترة دليل على مرجعية القرآن الكريم، ولذلك أكد الإمام الحسين عليه السلام على ذلك كونها مرجعية معصومة غير قابلة للخطأ، فلا حجة اعظم من القرآن الكريم.

(١) ابن شهر آشوب مناقب آل أبي طالب: ٤/٦٤، الطبرسي، الاحتجاج: ١/٢٩٩. وسائل الشيعة: ١٨/١٤٤٤ ح ٤٥.
 (٢) سليم بن قيس الهلامي العامري الكوفي التابعي، من اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين والسجاد والباقر عليهم السلام، طلابه الحجاج الثقفي لقتله وهرب وأوى إلى أبان بن أبي عياش فلما حضرته الوفاة قال لأبان ان لك علي حقا وقد حضرني الموت يا ابن أخي انه كان من الامر بعد رسول الله ص كيت وكيت وأعطاه كتابا فلم يرو عن سليم بن قيس أحد من الناس سوى أبان وذكر أبان في حديث قال كان أي سليم شيخا متعبدا له نور يعلوه توفي سنة ٨٠هـ والرجل ثقة كما يظهر من دفاع السيد محسن الأمين العاملي. ظ:
 اعيان الشيعة: ٧/٢٩٤.

(٣) الكليني، الكافي: ١/٢٩٧.

ثانياً: وجوب مودة أهل البيت (عليهم السلام) وأثرها في الإصلاح الاجتماعي:

من الوسائل الإصلاحية في المجتمع محاولة الإمام الحسين (عليه السلام) القرآنية في إثبات لزوم مودته؛ لأنه من ذوي القربى، لكسب قلوب المسلمين وتثبيت عقيدة الإمامة من طريقة إثبات المودة في قلوبهم؛ لأنها عاملاً مساعداً في عملية الإصلاح العقديّة، فقد روى أبو الحسن الرضا (عليه السلام): عن آباءه عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال: «اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا: يا رسول الله، إن لك مؤونة في نفقتك ومن يأتيك من الوفود، وهذه أموالنا مع دماننا، فأحكّم فيها ما أجوراً، أعط منها ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج، فأنزل الله عزّ وجلّ عليه الروح الأمين، فقال: يا محمد ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ يعني أن تودّوا قرابتي من بعدي»^(١). فذكر الإمام (عليه السلام) هذا الخبر القصة في عصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) لإثبات لزوم المودة ومحاول ترسيخها في نفوس المسلمين، ليتحقق التواصل بين المرجعية والمسلمين على نحو الرضا القلبي والعقدي.

ورفض الرسول (صلى الله عليه وآله) عطاء القوم ليؤكد أنّ الانسان يجب أن يحفظ في ولده، وأن تواصلهم الروحي مع ذوي القربى هو أساس الدين، وهذه القصة تعطي بعداً اصلياً وتربويًا للمسلمين في كيفية التعامل الروحي مع أهل بيته (عليهم السلام)، وكأنه اشعار لهم بما سيفعلونه بهم وبالْحسين (عليه السلام) بالخصوص.

ويكشف الإمام الحسين (عليه السلام) في سبب نزول الآية والقصة أن بعض المنافقين خرجوا غير راضين بذلك، وتكلموا معترضين بأن هذه الأمر بلزوم مودة أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) لأغراض شخصية، قال الإمام الحسين (عليه السلام): «فخرّجوا، فقال المنافقون: ما حمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحشنا على قرابته من بعده، إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه. فكان ذلك من قولهم عظيمًا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ

اَفْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿هود: ١٣﴾، فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ عليه السلام، فَقَالَ: هَلْ مِنْ حَدِيثٍ؟ فَقَالُوا: إِي وَاللَّهِ، قَالَ بَعْضُنَا كَلَامًا غَلِيظًا كَرِهْنَاهُ. فَتَلَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْآيَةَ، فَكَوُوا وَاشْتَدَّ بُكَاءُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١) (٢).

وقد كان للرسول صلى الله عليه وآله الأثر الإصلاحي في نفوس بعض الصحابة وتربيتهم واستشعارهم لحب أهل البيت، لذلك كان له أثره في نفوسهم وتوبتهم.

وهذا من جملة ما سلكه الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء مع جيش عمر بن سعد الأموي للمودة والمحبة التي أوجبهها الله تعالى عليهم لأهل البيت عليهم السلام، فأن المودة قد تضمحل وتضعف بين الطرفين، والعقل من يحاول إثارتها لتضعف قوة الغضب والحقد، محاول بذلك ثنيهم عن محاربتة وقتله وأهل بيته، فقد روى هشام الكلبي (٣) بسنده قال: «وَلَمَّا رَأَاهُمُ الْحُسَيْنُ عليه السلام مُصْرِّينَ عَلَى قَتْلِهِ أَخَذَ الْمَصْحَفَ وَنَشَرَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَنَادَى: بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَجَدِّي صلى الله عليه وآله رَسُولُ اللَّهِ، يَا قَوْمِ بِمِ تَسْتَحِلُّونَ دَمِي؟ أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟ إِلَى أَنْ قَالَ الرَّاوي: فَالْتَفَتَ الْحُسَيْنُ عليه السلام فَإِذَا بِطِفْلِ لَهُ يَبْكِي عَطْشًا فَأَخَذَهُ عَلَى يَدِهِ وَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنْ لَمْ تَرَحْمُونِي فَارْحَمُوا هَذَا الطِّفْلَ، فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ

(١) سورة الشورى: ٢٥.

(٢) الطوسي، أمالي الطوسي: ٦٢٢. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٢١٣.(٣) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي الحافظ النسابة المشهور توفي سنة ٢٠٦ وقيل ٢٠٤ وقيل ٢٠٥. وهو من الحفاظ والنسابين والرواة الذين ذكرهم المؤرخون في سياق كلامهم واسندوا إليهم رواياتهم. وذكره الشيخ الطوسي في رجال الصادق عليه السلام وقال أنه مولى. وذكره النجاشي في رجاله وقال: الناسب العالم بالأيام المشهور بالفضل والعلم وكان يختص بمذهبنا وله الحديث المشهور، قال اعتلت علة عظيمة نسيت منها علمي فجئت إلى جعفر بن محمد فسقاني العلم في كأس فعاد إلى علمي وكان أبو عبد الله عليه السلام يقربه ويدنيه ويسطه. الأميني، السيد محسن العاملي: ١٠ / ٢٦٥.

بسهم فذبحه»^(١). فقد القى الحجة عليهم؛ لأجل إصلاحهم وتربيتهم وعودتهم للفطرة السليمة بحرمة القتل بوصفه ابن بنت نبيهم الذي أوجب الله تعالى مودتهم، ولزوم طاعته. إلا أن القوم ختم الله على سمعهم وأبصارهم غشاوة فلم يستجيبوا لصوت العقل والقلب فكانوا من الخاسرين الذين لم ينفعهم الاصلاح الروحي بذكر آيات القرآن الكريم.

إن اللغة التواصلية والفكرية التي استخدمها الإمام الحسين (عليه السلام) في ترسيخ عقيدة المودة في نفوس المسلمين وبيان أنهم المقصود في الآية الكريمة، وما ذلك الا لأجل اصلاح الأمة الإسلامية فكريا وتحسينهم من الانحراف الفكري الذي وقع في الأمة في تحليها عن القيادة الإسلامية والإمامة الالهية الحقيقية.

المطلب الثالث: أثر الشواهد القرآنية في اصلاح المتجمع عند الإمام الحسين (عليه السلام):

تعد الشواهد القرآنية أحد أهم طرق التواصل مع الآخر لإرشاده نحو الصلاح والهداية، لما للقرآن من قدسية عند المسلمين من دون منافس، وقد استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) بالنصوص القرآنية في مقامات عدة تتناسب مع مقام الاستشهاد، وتعطي دلالة تفسيرية عن واقع معين على نحو التطبيق الكلي على أكمل أفراد الآية الكريمة من اجل اصلاحهم، والذي يحدد افراد الكلي والمعنى الانطباقي كدلالة قطعية ومطابقية هو المعصوم (عليه السلام) لا غيره، لأنه لا يفهم مراد الله تعالى إلا من خُوطبَ به، وقد استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) بالقرآن الكريم في مواقف عدة، منها.

(١) القمي، عباس، سفينة البحار و مدينة الحكم والآثار: ٥ / ٥٧.

الأول: عزة النفس ليست تكبراً:

قد يقع المجتمع في اختلاط المفاهيم الأخلاقية في الإسلام فلا يميز بين عزة النفس التي أمر بها الإسلام وبين وحالة التكبر التي نهى عنها، وما ذلك الا لضعف التدبر في القرآن الكريم وقلة المعرفة بأصول الاخلاق في الاسلام، فيأتي دور المعصوم ليصحح تلك المفاهيم من الاستشهاد بالقرآن الكريم، فيكون القرآن الاثر في نفوس المجتمع، وللكاشف دلالة البيان وفهم القرآن دون غيره.

استشهد الإمام الحسين عليه السلام بقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) لتصحيح مفهوم خاطئ عن بعض المسلمين، وذلك حينما وصفه بعض الجهلاء بالتكبر، فقد روي أن رجلاً قال للأمام الحسين عليه السلام: إنَّ فيك كِبْرًا، فقال عليه السلام: «كُلُّ الْكِبْرِ لِلَّهِ وَحَدَهُ وَلَا يَكُونُ فِي غَيْرِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾»^(٢)، فقد كشف الإمام الحسين عليه السلام في استشهاده بالآية الكريمة الفرق بين التكبر المحرم، والعزة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن وهي من المستحبات الاكيدة، وقد تكون من الواجبات فيما لو حاول أحدهم إذلال المؤمن، فقد روى سماعة بن مهران^(٣) قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ان الله سبحانه وتعالى فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض اليه أن يذل نفسه ألم تسمع لقول الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، فالمؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً، ولا يكون ذليلاً، يعزه الله بالإيمان والاسلام»^(٤).

(١) سورة فاطر: ١٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤ / ١٩٨ ح ١٣.

(٣) سماعة بن مهران بن عبد الرحمن الحضرمي، مولى عبد بن وائل بن حجر الحضرمي، روى عن أبي عبد الله عليه السلام وأبي الحسن الكاظم عليه السلام، ومات بالمدينة سنة خمس وأربعين ومائة في حياة أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وكان عمره نحواً من ستين سنة وهو ثقة ثقة. الخوئي، معجم رجال الحديث: ٣١٢ / ٩.

(٤) الحويز اوي، الشيخ عبد علي العروسي، تفسير نور الثقلين: ٥ / ٣٣٦.

لقد سعى الإمام الحسين (عليه السلام) إلى إصلاح المفاهيم الخاطئة في المجتمع المسلم الذي يسيء الظن بالآخرين ولا يميز بين السلوك الشيطاني والرحماني؛ لجهله بالأخلاق القرآنية، لذلك بيّن له الإمام (عليه السلام) الفرق بين الصفتين من طريق الاستشهاد بالآيات القرآنية لترسيخ المفهوم الصحيح لمعنى العزة في القرآن الكريم، وهذه السيرة العلمية تمثل تقريرا واضحا جليا في تفسير القرآن الكريم، ويمكن الاستفادة منها في جعلها من الأصول التفسيرية والقرائن المقامية التي تساعد على فهم النص القرآنية.

الثاني: بيان شأن النزول والانطباق على أكمل المصاديق

من علوم القرآن ما يسمى شأن النزول الذي هو يعد أعم من سبب النزول، فالشأن ذو دلالة عامة كما في آيات قصص الأنبياء التي نزلت من أجل بيان العبرة والحذر والترهيب والترغيب والتسلية^(١)، بخلاف السبب الذي غالبا ما تكون دلالته خاصة ولكن يفاد منه العموم بقريئة خارجية وهي القاعدة الأصولية التي أكدت أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(٢) الذي نزلت فيه الآية القرآنية.

وقد استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) في بداية نهضته المباركة عند خروجه للمدينة، وهو يستشهد بهذه الآية الكريمة التي تكشف حال نبي الله موسى (عليه السلام) عند خروجه من مصر إلى مدين، ولعل السبب في ذلك تشابه الحركتين، حركة النبوة والإمامة في عملية إصلاح المجتمع ففي كلا القصتين هناك عنصر مشترك بين القصتين، وهو مؤامرة الاغتيال من قبل السلطة للمصلح الرسالي ليلا فوصل الخبر لكليهما فخرجا سرا ليلا خائفين، فقد ذكرت المصادر التاريخية أن يزيد بن معاوية أمر بقتل الحسين (عليه السلام) وإن كان متعلقا بأستار

(١) ظ، الحكيم، محمد باقر محسن، علوم القرآن: ٣٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ٤٢-٣٢٤.

(٣) سورة القصص: ٢١.

فخرج عليه السلام من مكة حتى تهتك حرمتها^(١)، فقد روي عن سكينه بنت الحسين عليها السلام أنها قالت: «خرجنا من المدينة ما كان أحد أشد خوفا منا أهل البيت»^(٢). وهي تكشف حال النساء وما سيلاقيه أهل بيت الحسين عليه السلام في الكوفة، وتوجس الخوف أمر فطري خلقه الله تعالى في النفوس حتى نفوس الانبياء للحذر من المخاطر ودفع محتملها.

الثالث: الصمود والتحدي بالشواهد القرآنية:

كان الإمام الحسين عليه السلام في مسيرته الإصلاحية يمثل قرآنا متحركا ناطقا يكشف الحقائق مع تعرضه لكل المغريات ومحاولات الاغتيال الفاشلة في المدينة ومكة، ومحاولات ارجاعه عن عزمه من الاحبة والمتعاطفين، ولكن القرآن الكريم يحرك فيها مشاعر التحدي والمسؤولية الإصلاحية في المجتمع في مواجهة الحكم الفاسد، وقد استشهد بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣) (٤) في موطنين هما:

الأول: رسائل يزيد بن معاوية إلى بعض أهل المدينة^(٥):

أرسل يزيد ثلاثة كتب محاولا فيها استدراج الحسين وبيان موقفه المسلم في عدم وجود الخلاف بينهما، وقد كان الكتاب الاول قد ارسله لابن عباس (ت ٧٨هـ)، والثاني إلى عمرو بن سعيد وأمره أن يقرأه في موسم الحج إلى أهل المدينة من قريش وغيرها، وقد أوضح في الكتاب ما بينه وبين الحسين عليه السلام من الرجم، داعيا لمن أرسل اليهم أن يثنوه عما أقدم عليه من الذهاب إلى الكوفة مبديا استعداده أن يزيد في عطاء الحسين عليه السلام واضعا على ذلك العهود

(١) ظ، المقرم، عبدالرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ١٧٠.

(٢) فخر الدين الطريحي المنتخب في جمع المراثي والخطب: ٤١١.

(٣) سورة يونس: ٤١.

(٤) السيد محسن، الامين، لوعة الأشجان: ١٠٨.

(٥) السبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ٢٤٨.

والمواثيق الغليظة، وقد ذيل كتابه بأبيات من الشعر، وقد أرسل أهل المدينة بتلك الابيات إلى الحسين (عليه السلام) دون أن يعلموه أنها من يزيد، فلما قرأها الإمام الحسين (عليه السلام) علم أنها من يزيد بن معاوية فردَّ عليهم بكتابٍ تضمن قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١)(٢).

فقد استشهد الإمام (عليه السلام) بالآية الكريمة ليخلق في نفوسهم ثقافة فهم القرآن من طريق الاستشهاد بما يتناسب والموقف السياسي من رفض المساومة بالمال في مقابل ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلا عن أن خطاب الطرف الاخر (يزيد) كحاكم مفسد ينبغي أن يخاطب بلغة القوة والتهديد والزجر، وهو يتناسب مع مقتضيات حال المقابل، فيجب أن يستمعوا للحوار بقوة وحزم، فقد حددت الآية موقف الإمام الحسين (عليه السلام) في السعي في مسيرته الإصلاحية في المجتمع المسلم في مواجهة الطاغية يزيد، ولذا كان خطابه الاصلاحى نوعا من الزجر والتهديد وعدم الخضوع للمساومات.

الثاني: عندما خرج الإمام الحسين (عليه السلام) من مكة:

ذكرت المؤرخون أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) حينما خرج من مكة اعترضته رُسل عمرو بن سعيد بن العاص، وعليهم يحيى بن سعيد. فقالوا له: انصرف أين تذهب؟ فأبى عليهم، ومضى وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط، ثم إن الحسين (عليه السلام) وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً شديداً ومضى الحسين (عليه السلام) على وجهه، فنادوه يا حسين الا تتقي الله؟ تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة! فتأول الحسين قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٣)(٤).

(١) سورة يونس: ٤١.

(٢) المصدر السابق: ١٠٨.

(٣) سورة يونس: ٤١.

(٤) الطبري، ابن جرير، تاريخ الامم والملوك: ٦ / ٢١٧.

يقول الشيخ مكارم شيرازي^(١) في معرض تفسير الآية: «إِنَّ لإعلان الترفع وعدم الاهتمام هذا، والمقترن بالاعتماد والإيمان القاطع بالمذهب، أثراً نفسياً خاصاً، وبالذات على المنكرين المعاندين، فهو يُفهمهم بعدم وجود أي إجبار وإصرار على قبولهم الدعوة الإسلامية بل إتهم بعدم تسليمهم أمام الحق سيحرمون أنفسهم، ولا يضررون إلا أنفسهم. وقد ورد نظير هذا التعبير في آيات أخرى من القرآن الكريم، كما نقرأ في سورة الكافرون: ﴿وَلَكُمْ دِينُكُمْ وَلي دِينِ﴾^(٢) إن هذا نوع من المواجهة المنطقية عن طريق عدم الاكتراث لهؤلاء الأشخاص المعاندين^(٣).

إنَّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بهذه الآية الكريمة ليثبت بداية المواجهة مع السلطة الأموية، وهو إعلان المواجهة لها، وليحدد للمسلمين من الصحابة والتابعين أنَّ هذه السلطة الأموية غير شرعية ويجب مواجهتها، وأثبت لهم أنَّ دينهم واعتقادهم غير دينه وما يعتقد به.

الرابع: الشواهد القرآنية في معركة الطف:

يظهر من سيرة الإمام الحسين عليه السلام أن القرآن الكريم كان حاضراً كلياً في معركة الطف تلاوة وتدبراً وتفسيراً قولياً وعملياً واستشهاداً، فقد استشهد بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

(١) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي من المراجع والمفسرين المعاصرين في قم المقدسة له تفسير الامثل، ولد سنة ١٣٤٥ هـ في مدينة شيراز، في سن الثامنة عشر التحق بحوزة قم بعد اكماله المقدمات والدراسة الاكاديمية المتوسطة في شيراز سنة ١٣٦٣ هـ وسافر للنجف سنة ١٣٦٨ هـ وحضر البحث الخارج عند السيد محسن الحكيم والسيد الخوئي والسيد عبدالهادي الشيرازي، ثم رجع الى قم نتيجة الظروف الامنية في العراق النظام البعثي، ومن اهم كتبه تفسير الامثل الذي استمر في تفسيره خمسة عشرة عاما منذ ١٣٩٦ هـ الى ١٤١٠ هـ وشارك في اخراج التفسير مجموعة من العلماء تحت اشراف الشيخ مكارم منهم الشيخ محسن قراءتي والسيد محمد الهري. نقلا عن صفحة اعلام المفسرين.

(٢) سورة الكافرون: ٥.

(٣) الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، تفسير الامثل: ٦ / ٣٦٥.

عَلِيم ﴿١﴾ في موطنين:

الاول: عندما قال محمد بن الأشعث ^(٢) للإمام الحسين (عليه السلام): يا حسين أية حرمة لك من رسول الله ﷺ ليست لغيرك فتلى الحسين (عليه السلام) قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وان محمداً لمن آل ابراهيم ^(٣)، ثم رفع الحسين (عليه السلام) رأسه إلى السماء فقال: «اللهم ار محمدًا بن الأشعث ذلاً في هذا اليوم لا تعزه بعده أبداً فعرض له عارضٌ فخرج من المعسكر يتبرز فسلط الله عليه عقرباً فلدغته فمات بادي العورة» ^(٤)، أخزاه الله تعالى في جهنم.

فاستشهد الإمام (عليه السلام) بآية الاصطفاء؛ ليثبت لهم أنه ممن اصطفاه الله تعالى كما اصطفى الانبياء لرسالته، وقد اختاره الله تعالى وجعله من سلالة آل ابراهيم فيجب طاعته.

الثاني: عندما خرج ولده عليُّ الأكبر إلى المعركة، فنظر إليه الإمام الحسين (عليه السلام) نظرة آيس منه، وأرخى عينيه فبكى. ثم رفع سبابتيه نحو السماء وهو يدعو اللهم كُن أنت الشهيد عليهم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك محمد ﷺ وكنّا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه، اللهم فامنعهُم بركات الأرض، وان منعتهم ففرقهم تفريقاً، ومزقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قِددًا، ولا تُرضِ الولاة عنهم أبداً، فإنهم دَعَوْنَا لِنُصْرُونَا، ثم عدوا علينا يُقاتِلُونَنَا ويقتلون، ثم صاح الحسين (عليه السلام)

(١) سورة آل عمران: ٣٣.

(٢) محمد بن الأشعث بن قيس الكندي. وكان الأشعث ممن ارتد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم رجع للإسلام، وزوجه ابو بكر أخته، وهي أم محمد بن الأشعث، فلما ولد محمد كان من اشد اعداء الحسين (عليه السلام) وكان جنديا من جنود يزيد بأمره عبید الله بن زياد على العراق، وشارك بقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وقُتل في وقعة المذار التي قُتل فيها المختار. ظ: الشيخ ريشهري، محمد، الصحيح من مقتل الحسين وصحابه: ١٢٩٠.

(٣) السيد الامين، لواعج الأشجان: ١٥١.

(٤) الصدوق، آمالي الصدوق: ٢٢٢.

بِعُمَرَ بْنِ سَعْدٍ: «مَا لَكَ، قَطَعَ اللَّهُ رَحِمَكَ وَلَا بَارَكَ لَكَ فِي أَمْرِكَ، وَسَلَطَ عَلَيْكَ مِنْ يَذْبَحُكَ عَلَى فَرَاشِكَ، كَمَا قَطَعْتَ رَحِمِي وَلَمْ تَحْفَظْ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١). ثم رفع صوته وقرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^{(٢)(٣)}. لقد استشهد الإمام الحسين عليه السلام بهذه الآية لإثبات أنه من سلالة الانبياء، وافضل الخلق على وجه الارض، وما جرى عليهم من مصائب فهي جارية فيه، ومقامه مقام الانبياء وهو الصبر في طاعة الله.

وقد ورد في بعض التفاسير أن آل عمران هم آل أبي طالب، وذلك لكون اسم ابي طالب هو عمران قال الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ): ابو طالب ابن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف والد مولانا امير المؤمنين عليه السلام قيل اسمه عبد مناف وقيل عمران^(٤).

ولكن ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)^(٥)، وصاحب كتاب عمدة الطالب ضعفا الرواية، قال ابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ): قيل: إن اسمه عمران وهي رواية ضعيفة رواها أبو بكر محمد بن عبد الله الطرسوسي النسابة^(٦)، وأما ابن كثير فقد اتهم نسبة القول للشيعة وقال: وزعمت الروافض أن اسمه عمران، وأنه المراد من قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٧)، وقد أخطئوا في ذلك خطأ كبيرا، ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان، فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ

(١) الامين، محسن العامل، لواعج الأشجان في مقتل الحسين عليه السلام: ١٧٠.

(٢) سورة آل عمران: ٣٤.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ٤٥ / ٤٣.

(٤) القمي، الكنى واللقاب: ١ / ١٠٨.

(٥) ابن كثير الناصبي: ابن كثير اسمه ونسبه هو الشيخ الإمام العالم الحافظ المفيد البارع، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع القيسي البصري الأصل - نسبة لبصرى الشام - الدمشقي الشافعي، اشد المعادين والمنكرين لفضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام وخصوصا الإمام علي عليه السلام فقد انكر ابن كثير اغلب مناقبه والايات التي نزلت في حقه بنص احاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٦) ابن عنبه، عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب: ٥-٦.

(٧) سورة آل عمران: ٣٣.

إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴿١﴾ وابن كثير لا يؤخذ بإنكاره؛ لأنّه منكر للتأويل وهو ضرورة من ضروريات القرآن الكريم، فضلا عن حقه الدفين على الشيعة، ولذا فهو لا يفكر ولا يفهم ما نقول كما قال العلامة الحلي عن ابن تيمية (٢).

ولو تنزلنا وقلنا بأن رواية اسم ابي طالب ضعيفة يكفي استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) بالآية الكريم في اثبات نسبه أنه من سلالة الانبياء، وخصوصا سلالة اسماعيل (عليه السلام). وعندها يكون استشهاده بالآية من باب أنه من مصاديق هذه السلالة الكريمة، فيكون من باب التطبيق على التنزيل لا على التأويل، فهو من افراد تنزيلها وليس من افراد تأويلها.

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين

(١) سورة آل عمران: ٣٥.

(٢) العسقلاني: لسان الميزان: ١ / ٣٣٧.

نتائج البحث:

- ١- استغلال واعضي السلاطين تعدد دلالة النص القرآني في إفساد المجتمع المسلم فكريًا.
- ٢- تركيز الإمام الحسين عليه السلام على مرجعية القرآن في تحديد دلالة النص القرآني لإصلاح المجتمع في كل عصر.
- ٣- رصد الإمام الحسين عليه السلام نقاط الانحراف في المجتمع الاسلامي وقدم معالجتها.
- ٤- سعة دلالة النص القرآني في انطباقه على أفراد كل مجتمع بحسب شمولية النص القرآني.
- ٥- أول أسباب الإنحراف في المجتمع هو ابتعاده عن الثقافة القرآنية الصحيحة.
- ٦- فقدان القيادة والمرجعية الصالحة و منعها من دورها الأساس لإصلاح المجتمع.
- ٧- الفهم الصحيح للقرآن الكريم وجعله سلوكًا عمليًا في المجتمع يحتاج إلى القيادة المعصومة.
- ٨- ليكون المجتمع مجتمعًا قرآنيًا يجب أن يدخل القرآن في كل المراحل الدراسية بأساتذة مختصين مصلحين وليسوا وظيفيين.
- ٩- الإخلاص لله تعالى أحد أهم عوامل النجاح في الإصلاح المجتمعي.
- ١٠- المصلح الرسالي لا يمكن أن يؤثر في المجتمع ما لم يكن سلوكه قرآنيًا.

المصادر:

القرآن الكريم.

١. السبحاني، جعفر بن حسين، موسوعة طبقات فقهاء، تحقيق لجنة مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم المقدسة ط ١-١٤١٨ هـ.
٢. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف البقاعي، نشر: دار الاضواء - لبنان بيروت، ط ١-١٤٢٠ هـ.
٣. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) تاريخ ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ.
٤. ابن عنبه، جمال الدين احمد بن علي الحسيني الداوودي (ت ٨٢٨ هـ)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر: منشورات مكتبة آية الله المرعشي، ط ١-٢٠٠٩ م.
٥. ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ) تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط - ١٤١٩ هـ.
٦. الأمين، محسن (ت ١٣٥٢ هـ)، لوعة الاشجان، تحقيق، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ٥ - ١٤٢٠ هـ.
٧. الجلاي، السيد محمد رضا، الحسين (عليه السلام) سماته وسيرته، الناشر: دار المعروف للطباعة والنشر، ط ١-١٤٠٥ هـ.
٨. الحكيم، محمد باقر السيد محسن (ت ١٤٢٤ هـ)، علوم القرآن، نشر: دار التعارف بيروت، ط ٣-١٤١٥ هـ.
٩. الحويزاوي، عبد علي، (ت ١١١٢ هـ) تفسير نور الثقلين، تحقيق: هاشم

- الرسولي، نشر: انتشارات اسماعيليان، قم، ط١-١٤٣٢هـ.
١٠. الخوئي، السيد أبو القاسم علي أكبر الموسوي (ت ١٤١٤ هـ)، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، نشر: منشورات مدينة العلم، ط٣، سنة: ١٤٠٣ هـ.
١١. الريشهري، الشيخ محمد، الصحيح من مقتل الحسين وصحابه، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدسة، ط٢ - ١٤٣٤ هـ.
١٢. السبزواري، عبد الأعلى علي رضا بن عبد العلي الموسوي (ت ١٤١٤ هـ) مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام. نشر: مؤسسة المنار، قم، ط١ - ١٤١٣ هـ..
١٣. السبسط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) تذكرة خواص الأمة. الناشر: دار العلوم بيروت. ط١ - ١٤٢٥ هـ..
١٤. الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، تفسير الامثل لكتاب المنزل الشيخ ناصر مكارم شيرازي. الناشر: مطبعة الاميرة بيروت - لبنان. ط١. سنة ١٤٢٦ هـ.
١٥. الصدوق علي بن محمد، آمالي الصدوق، نشر، طبع مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١ - ١٤٠٠ هـ.
١٦. الطبراني، ابو القاسم، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، ط٢ - ١٤٥١ هـ.
١٧. الطبرسي، ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب (ت ٥٤٨ هـ) الاحتجاج، تعليق، السيد محمد باقر الموسوي الخراسان، الناشر: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - مؤسسة اهل البيت عليهم السلام، ط١ - ١٩٨١ م.
١٨. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١١ هـ)، تاريخ الامم والملوك الطبري، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٥ - ١٤٠٩ هـ.
١٩. الطريحي، فخر الدين النجفي (ت ١٠٨٥ هـ)، المنتخب في جمع المراثي والخطب، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١ - ١٤٢٨ هـ.

٢٠. الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، آمالي الطوسي. تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، ط ١ - ١٤١٤هـ.
٢١. العاملي، محسن الأمين (ت ١٣٥٢هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق، دار التعارف للمطبوعات بيروت - ط ٥، سنة: ١٤٢٠هـ.
٢٢. العاملي، محمد بن الحسن الحر (ت ١١٠٤هـ). وسائل الشيعة لتحصيل احكام الشريعة، تحقيق: مؤسسة ال البيت (عليه السلام)، بيروت، ط ١ - ١٩٩٣م.
٢٣. العسقلاني: لسان الميزان، أحمد بن علي ابن حجر (ت ٥٨٢هـ)، مؤسسة الاعلمي لمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٣ - ١٤٠٦هـ.
٢٤. القبانجي، حسن (ت ١٤١٢). مسند الإمام علي (عليه السلام) تحقيق: الشيخ طاهر السلامي، الناشر: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط ١ - ٢٠٠٠م.
٢٥. القمي، عباس، سفينة البحار و مدينة الحكم و الآثار: نشر، دار الاسوة للطباعة، ط ٢، سنة: ١٤١٦هـ.
٢٦. القمي، عباس (ت ١٣٥٩هـ)، لكنى والألقاب تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي قم - إيران، ط ٢ - ١٤٢٩هـ.
٢٧. القندوزي سلمان بن ابراهيم الحنفي (ت ١٢٧٠هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى نشر: دار العلوم، بيروت، ط ١ - ١٤٢٢هـ.
٢٨. الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، روضة الكافي، تحقيق: محمد جعفر شمس الدين، نشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ١ - ١٤٣٠هـ.
٢٩. المازندراني، الملا صدرا صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ)، شرح اصول الكافي، الناشر: مؤسسة المطالعات والتحقيقات، ط ١ - ١٣٦٦هـ.
٣٠. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقى (١١١١)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار

- الأئمة الأطهار، نشر: طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ١ - ١٤١٤ هـ.
٣١. مسند زيد بن علي عليه السلام، تحقيق: عبدالعزيز بن اسحاق البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ - ١٩٩٩ م.
٣٢. المقرم، السيد عبدالرزاق الموسوي، مقتل الحسين المقرم (ت ١٣٩١ هـ). الناشر، دار الكتاب الاسلامي، ط ٥ - ١٩٧٩ م.
٣٣. النوري، المحدث الشيخ حسين الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ)، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، تح: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ٢ - ١٤٠٩ هـ.

الفهرسة

المحور الأول: أنماط العلاقات الاجتماعية على وفق المنظور القرآني.....	١١
مكانة المرأة في ضوء الآيات القرآنية والتحديات المعاصرة.....	١٣
المللخص:	١٤
الكلمات المفتاحية: المرأة، القوامة، الميراث، الأسرة.....	١٦
مقدمة:	١٦
المراجع:	٣١
المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني وتطبيقاتها التربوية.....	٣٣
المللخص:	٣٤
المبحث الأول- التعريف بالمبحث:	٣٦
مقدمة:	٣٦
مشكلة البحث:	٣٧
أهمية البحث:	٣٨
أهداف البحث:	٣٩
منهج البحث:	٣٩
حدود البحث:	٤٠
تحديد المصطلحات:	٤٠

- أولاً: المسؤولية الاجتماعية: ٤٠
- ثانياً: التطبيقات التربوية: ٤١
- المبحث الثاني: الإطار الفكري للمسؤولية الاجتماعية: ٤١
- أولاً: مفهوم المسؤولية الاجتماعية: ٤١
- ثانياً: أهمية المسؤولية الاجتماعية: ٤٣
- ثالثاً - أهداف المسؤولية الاجتماعية: ٤٤
- رابعاً: مستويات المسؤولية الاجتماعية: ٤٦
- المسؤولية تجاه الزملاء: وتبلور بالآتي: ٤٦
- المسؤولية تجاه الحي: ويمكن حصر مسؤولية الفرد تجاه الحي بالآتي: ٤٧
١. الاعتقاد في أن الاهتمام بالحي واجب اجتماعي. ٤٧
٢. مساعدة الجيران في أي عمل يتطلب المساعدة. ٤٧
٣. الإسهام في حل مشكلات الحي الاجتماعية. ٤٧
٤. مشاركة الجيران في أفراحهم وأحزانهم (أمين، ٢٠١٠، ٣١١). ٤٧
- خامساً: عناصر المسؤولية الاجتماعية: ٤٨
- سادساً: معوقات المسؤولية الاجتماعية: ٥٠
- المبحث الثالث: المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني: ٥٢
- أولاً: اتجاهات المسؤولية الاجتماعية وفق المنظور قرآني: ٥٤
- ثانياً: أساسيات المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني: ٥٦
- ثالثاً: أركان المسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني: ٥٨
- رابعاً: الأبعاد الأخلاقية والتربوية للمسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني: ٦٠
- المبحث الرابع: التطبيقات التربوية للمسؤولية الاجتماعية على وفق المنظور القرآني: ٦٣
- بالنسبة للإدارة المدرسية: ٦٣

٦٥	بالنسبة للمعلم:
٦٨	بالنسبة للأشطة المدرسية:
٦٨	توصيات البحث:
٧٠	المصادر:
٧٣	أنماط العلاقات الاجتماعية على وفق المنظور القرآني
٧٦	مقدمة:
٧٨	المبحث الأول- العلاقات الأسرية: الزوج والزوجة - الأبناء - الإخوة
٧٨	توطئة:
٧٨	أولاً- العلاقات الزوجية:
٨١	ثانياً- علاقة الآباء بالأبناء:
٨٣	ثالثاً- علاقة الإخوة في الإسلام:
٨٦	المبحث الثاني: مقومات العلاقات الاجتماعية: الدين - التربية - العمل
٨٦	توطئة:
٨٧	أولاً: المجتمع والدين:
٨٩	ثانياً: المجتمع والتربية:
٩٢	ثالثاً: المجتمع والعمل:
٩٤	الخاتمة
٩٦	المصادر:
٩٩	مبادئ التنشئة الاجتماعية للطفل في ضوء القرآن الكريم وأثرها في مواجهة التحديات المعاصرة .
١٠٢	المبحث الأول: التعريف بالبحث
١٠٢	أولاً: مشكلة البحث:
١٠٣	ثانياً: أهمية البحث:

١٠٤	ثالثاً: هدف البحث
١٠٤	رابعاً: حدود البحث:
١٠٥	خامساً: منهجية البحث:
١٠٥	سادساً: تحديد المصطلحات:
١٠٥	١. التنشئة الاجتماعية:
١٠٥	٢. الطفل:
١٠٦	المبحث الثاني
١٠٦	المطلب الأول: ماهية التنشئة الاجتماعية:
١٠٦	أولاً: مفهوم التنشئة الإجتماعية:
١٠٧	ثانياً: خصائص التنشئة الاجتماعية:
١٠٨	ثالثاً: أهمية التنشئة الاجتماعية:
١٠٩	رابعاً: أهداف التنشئة الاجتماعية:
١١١	خامساً: مراحل التنشئة الاجتماعية للطفل:
١١٢	المطلب الثاني: التحديات المعاصرة:
١١٣	أولاً: التحديات الاجتماعية:
١١٩	ثانياً: التحديات السياسية:
١٢١	ثالثاً: التحديات الثقافية:
١٢٢	المبحث الثالث: مبادئ التنشئة الاجتماعية للطفل في ضوء القرآن الكريم:
١٢٨	خاتمة:
١٢٩	الاستنتاجات:
١٢٩	التوصيات:
١٣١	مصادر ومراجع

١٣٥	النظام الاجتماعي في القرآن الكريم سورة الإسراء مثالا
١٣٦	الملخص:
١٣٨	مقدمة:
١٣٩	المطلب الأول: النظم في اللغة والاصطلاح:
١٤٠	المطلب الثاني: خصائص النظام الاجتماعي:
١٤٠	أولاً: أنه نظام رباني:
١٤١	ثانياً: أنه نظام متوازن:
١٤١	ثالثاً: أنه نظام متكامل:
١٤٢	المطلب الثالث: التعريف بسورة الإسراء:
١٤٣	المطلب الرابع: النظام الاجتماعي في سورة الإسراء:
١٤٤	ثانياً: النهي عن قتل الأولاد:
١٤٤	ثالثاً: احترام الوالدين:
١٤٧	رابعاً: التوسط في الإنفاق:
١٤٨	خامساً: النهي عن الزنا:
١٤٩	سادساً: النهي عن التصرف بمال اليتيم:
١٥٠	سابعاً: الحث على العدل في الميزان:
١٥٢	الخاتمة:
١٥٣	المصادر والمراجع:-
١٥٣	القرآن الكريم:
١٥٣	أولاً: الكتب:
١٥٧	ثانياً: المواقع الإلكترونية:-
١٥٩	المحور الثاني: المجتمع المثالي في الضوء النص القرآني

- ١٦١ جوانب من المنظومة التربوية المتكاملة في سورة يس
- ١٦٢ الملخص:
- ١٦٦ مقدمة
- ١٦٨ المبحث الأول: المدخل وجوانب من المفاهيم التربوية:
- ١٦٨ أولاً: المدخل والمفاهيم:
- ١٧١ ثانياً: المنظومة التربوية المتكاملة وإدارتها:
- ١٧٣ ثالثاً: المنظومة التربوية المتكاملة لتنمية الأخلاقيات التربوية:
- ١٧٥ رابعاً: المجال التربوي الديني - الأخرى:
- ١٧٨ خامساً: القمع التربوي والمنظومة التربوية المتكاملة:
- ١٨١ المبحث الثاني: البيئة وحركتها التنموي:
- ١٨١ أولاً: الموقع التربوي - النفسي الآمن:
- ١٨٣ ثانياً: البيئة التربوية والبيئة الاجتماعية:
- ١٨٥ ثالثاً: البيئة التربوية الصديقة والبيئة التربوية المعادية:
- ١٨٧ رابعاً: البيئة التربوية الجاذبة والبيئة التربوية الطاردة:
- ١٨٨ خامساً: البيئة التربوية ومنظومتها المتكاملة:
- ١٩٠ المبحث الثالث: الدستور التربوي والمنظومة التربوية المتكاملة:
- ١٩١ أولاً: المنظومة التربوية الإسلامية والارتقاء بالإنسان:
- ١٩٢ ثانياً: التنوع والتنوير التربوي لإستراتيجية المنظومة:
- ١٩٣ ثالثاً: منظومة الذكاء التربوي والذكاء الاجتماعي - العاطفي:
- ١٩٥ رابعاً: استمرارية التعلم والتربية والتعليم ودعمها للمنظومة التربوية:
- ١٩٧ خامساً: الخلافات التعصبية واضطرابات المنظومة التربوية:
- ٢٠٠ سادساً: المنظومة التربوية والانعطافات الفكرية - السلوكية:

٢٠٢	الخاتمة والاستنتاجات والمقترحات
٢٠٢	أولاً: الاستنتاجات:
٢٠٥	ثانياً: المقترحات والتوصيات:
٢٠٨	المصادر والمراجع
٢٠٨	أولاً: المصادر والمراجع العربية:
٢٠٩	ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:
٢١٠	محتويات البحث من المخططات
٢١١	محتويات البحث
٢١٣	تعارض الإرجاف والسديد في النص القرآني
٢١٣	دراسة في ضوء الوظيفة الاجتماعية
٢١٤	الملخص:
٢١٦	مقدمة
٢١٧	المبحث الأول- مفهوم الإرجاف والسديد والنظرية الوظيفية الاجتماعية:
٢١٧	المبحث الثاني: بنية التعارض القرآني بين الإرجاف والسديد:
٢١٨	المبحث الأول: مفهوم الإرجاف والسديد والنظرية الوظيفية الاجتماعية:
٢١٨	أولاً: مفهوم الإرجاف:
٢٢١	ثانياً: مفهوم السديد:
٢٢٤	ثالثاً: النظرية الوظيفية الاجتماعية:
٢٢٩	المبحث الثاني
٢٢٩	أولاً: كلية التعارض:
٢٣٣	ثانياً: تحوّل التعارض:
٢٣٦	ثالثاً: الضبط الذاتي للتعارض:

٢٤٠	التائج
٢٤١	المصادر والمراجع
٢٤١	أولاً: المصادر
٢٤٢	ثالثاً: المجلات
٢٤٢	الكتب الالكترونية:
٢٤٣	صورة المجتمع المثالي في الخطاب القرآني المجتمع المدني أنموذجاً
٢٤٤	الملخص:
٢٤٦	مقدمة:
٢٤٧	المفاهيم ذات العلاقة:
٢٤٧	المفاهيم:
٢٥٠	المجتمع الإسلامي في إطار سيسيو نظري: البنائية الوظيفية اعتماداً:
٢٥٣	تنقسم المشكلات الأربعة المذكورة سابقاً بحسب فكر بارسنز على قسمين:
٢٥٤	بيئة جزيرة العرب الطبيعية:
٢٥٨	أما في القسم الثاني من المشكلات التي ترتبط بمشكلكتي التكامل والكمون:
٢٦٠	مجتمع = مجموعة مؤسسات منها:
٢٦٠	السمات المدنية في التشكلات الإسلامية الأولى:
٢٦٣	ثالثاً - المؤسسة السياسية:
٢٦٥	الاستنتاجات:
٢٦٧	المصادر:
٢٦٩	منهج الإصلاح القرآني
٢٦٩	قراءة في موقف الأمة مع العترة الطاهرة
٢٧٠	الملخص:

- الكلمات المفتاحية: منهج الإصلاح القرآني، موقف الأمة مع العترة الطاهرة. ٢٧١
- مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطه: ٢٧٦
- دستور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وارتباطه بالمعصوم: ٢٧٨
- امتحان الأمة بالولاء للعترة الطاهرة والاستراتيجيات التي اتبعتها الإمام علي و ابنه الإمام الحسن عليه السلام لقيام بإصلاح المجتمع والحفاظ على الدين: ٢٨٠
- الاستراتيجية التي اتبعتها الإمام الحسن عليه السلام: ٢٨٣
- مخالفة معاوية لأحكام القرآن وسنة الرسول، والخطر الذي شكله على المجتمع بإشاعته للظلم والفساد: ٢٨٦
- رفض الإمام لبيعة يزيد واتخاذ قرار المواجهة: ٢٩٣
- النتائج الإصلاحية للثورة الحسينية وأثرها على المجتمع الإسلامي: ٢٩٤
- و على مستوى النتائج غير المباشرة: ٢٩٧
- الخلاصة: ٣٠٠
- المصادر والمراجع: ٣٠١
- المحور الثالث: تحديات الحياة اليومية وصور معالجتها قرآنيًا ٣٠٣
- البيت والدَّار والمسكنُ والمنزلُ في القرآن الكريم (دراسة في ضوء التماسك الاجتماعي) .. ٣٠٥
- الملخص: ٣٠٦
- مقدمة: ٣٠٨
- المبحث الأول: لفظ (البيت): ٣٠٩
- المبحث الثاني: لفظ (الدَّار) ٣٢٢
- المبحث الثالث: لفظ (المسكن): ٣٢٤
- المبحث الرابع: لفظ (المنزل): ٣٢٧
- الخاتمة: ٣٣٠

٣٣٢	هوامش البحث:
٣٣٨	المصادر و المراجع:
٣٤١	المعالجات القرآنية لمشكلة تنامي ظاهرة الطلاق
٣٤٢	الملخص:
344	مقدمة:
٣٤٥	المبحث الأول: الطلاق وتأصيله وحكمة تشريعه .
٣٤٥	أولاً: مفهوم الطلاق:
٣٤٦	ثانياً: مشروعية الطلاق وتأصيله:
٣٤٩	المبحث الثاني: أسباب الطلاق وآثاره:
٣٤٩	أولاً: أسباب الطلاق:
٣٥٢	ثانياً: آثار الطلاق:
٣٥٣	المبحث الثالث: العلاج القرآني للحد من الطلاق:
٣٦٠	الخاتمة:
٣٦١	المصادر و المراجع
٣٦٧	المخالفات المروية من منظور القرآن والسنة النبوية
٣٦٨	الملخص:
٣٧٠	مقدمة:
٣٧١	الفساد في الأرض:
٣٧٥	السنة النبوية وتوجيهات السير .
٣٨١	توصيات:
٣٨٣	المصادر
٣٨٥	صناعة البصيرة الأسرية في ضوء الآيات القرآنية وسيرة شخصية العقيلة زينب <small>عليها السلام</small> الثورية

٣٨٦ الملخّص:
٣٨٨ مقدمة:
٣٨٩ أهم الأفكار التي أتطرق لها في البحث:
٣٨٩ تألق زينيبي على مدى التاريخ:
٣٩٠ العلم الزينيبي:
٣٩٢ التألق العبادي الزينيبي في التاريخ الإسلامي:
٣٩٦ نتائج البحث:
٣٩٩ المحور الرابع: القرآن والتغيرات الثقافية
٤٠١ أبرز الأحداث التاريخية في القرآن الكريم وأثرها في إصلاح المجتمع: قراءة في نماذج ..
٤٠٢ الملخّص:
٤٠٤ مقدمة:
٤٠٦ المبحث الأول- (المصطلح التاريخي في القرآن الكريم):
٤٠٧ (فوائد التاريخ في القرآن الكريم):
٤١٠ المبحث الثاني: (نماذج من أخبار الحضارات السالفة في قصص القرآن الكريم):
٤١٧ الخاتمة:
٤١٨ قائمة هوامش البحث وتعليقاته:
٤٢٣ قائمة المصادر والمراجع:
 الْقِرَاءَةُ الْمُعَاَصِرَةُ لِلنُّصُوصِ الدِّيْنِيَّةِ وَانْعِكَاسَاتُهَا عَلَى الْإِنْجِرَافِ الْفِكْرِيِّ بَيْنَ فَوْضُوِيَّةِ التَّأْوِيلِ وَ
٤٢٥ قداسة التّنزِيل
٤٢٦ الملخّص:
٤٢٦ وقداسة التّنزِيل
٤٢٨ مقدمة:

أهمية البحث:	٤٣٠
المبحث الأول: القراءة المعاصرة للنصوص الدينية	٤٣٢
المطلب الأول: التعريف بعنوانات البحث	٤٣٢
المطلب الثاني: دواعي التأويل للنص الديني:	٤٣٦
المطلب الثالث: طرائق فهم الناس للنص الديني:	٤٣٦
المبحث الثاني: الانحراف الفكري نتاج القراءات المعاصرة بين المقدس والمدنس	٤٣٨
المطلب الأول: التأويل بين الفوضوية والتقديس:	٤٣٨
المطلب الثاني: الخلط بين النص الأدبي والنص الديني:	٤٤١
المبحث الثالث: فوضوية التأويل باعث التطرف الفكري:	٤٤١
الخاتمة:	٤٤٩
قائمة المراجع والمصادر	٤٥٢
المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع المكي في عهد الرسول <small>صلى الله عليه وآله</small> على وفق المنظور القرآني	٤٥٥
الملخص:	٤٥٦
مقدمة:	٤٥٨
المبحث الأول/ المضامين الأخلاقية على وفق المنظور القرآني (مفهوم عام)	٤٥٨
المبحث الثاني/ المضامين التربوية الإسلامية على وفق المنظور القرآني (مفهوم عام)	٤٥٨
المبحث الثالث/ المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع المكي في عهد الرسول <small>صلى الله عليه وآله</small> على وفق المنظور القرآني	٤٥٨
المبحث الأول: نظرة عامة على المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع الإسلامي على وفق المنظور القرآني (مفهوم عام)	٤٥٩
المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع الإسلامي (لغة واصطلاحاً):	٤٥٩
القيم عبر التاريخ:	٤٥٩

أنواع القيم:	٤٦٠
القيم الأخلاقية والتربوية وأهميتها ودورها في المجتمع:	٤٦١
القيم الأخلاقية:	٤٦١
المبحث الثاني: المضامين التربوية الإسلامية على وفق المنظور القرآني:	٤٦٤
المبحث الثالث: المضامين الأخلاقية والتربوية في المجتمع المكي في عهد الرسول (ﷺ) على وفق المنظور القرآني:	٤٦٩
أهم المضامين التربوية على وفق المنظور القرآني:	٤٧١
المضامين الأخلاقية على وفق المنظور القرآني:	٤٧٤
النتائج والتوصيات:	٤٧٧
قائمة المصادر والمراجع:	٤٧٨
آيات الأخلاق في سور الحواميم دراسة أسلوبية:	٤٨١
الملخص:	٤٨٢
توطئة:	٤٨٤
المبحث الأول: الظواهر الصوتية في آيات الأخلاق في سور الحواميم:	٤٨٦
أولاً: سورة غافر:	٤٨٧
المبحث الثاني: أثر المضمون على اختيار اللفظ في آيات الأخلاق في سور الحواميم:	٤٩٣
الخاتمة:	٥٠٣
الهوامش:	٥٠٤
المحور الخامس: تقييم المشكلات الاجتماعية المعاصرة من المنظور القرآني:	٥١٣
التركيب المنتظم لألفاظ الحرب في القرآن الكريم دراسة في أقوال المؤمنين أنموذجاً:	٥١٥
الملخص:	٥١٦
توطئة:	٥٢٠

- القسم الأول: أقوال المؤمنين في المعارك التي وردت قبل الإسلام: ٥٢١
- القسم الثاني: أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله: ٥٢٨
- خلاصة البحث: ٥٣٢
- مصادر البحث ومراجعته: ٥٣٣
- نهضة الإمام الحسين عليه السلام امتداد لرسالة جدّه الإصلاحية ٥٣٥
- الأستاذ الدكتور خليل خلف بشير ٥٣٥
- جامعة البصرة - كلية الآداب ٥٣٥
- المدرس المساعد ستار جليل عجيل - ٥٣٥
- المديرية العامة للتربية في ذي قار ٥٣٥
- الملخص: ٥٣٦
- الكلمات المفتاحية: نهضة الإمام الحسين عليه السلام، امتداد لرسالة جدّه الإصلاحية ٥٣٧
- مقدمة: ٥٣٩
- ملاحح نهضة الحسين عليه السلام في خطابه: ٥٣٩
- عاشوراء من أيام الله سبحانه: ٥٤٧
- أهداف النهضة الحسينية: ٥٤٨
- الخاتمة: ٥٥٠
- المصادر والمراجع: ٥٥١
- الهوامش: ٥٥٣
- العربية في رحاب القرآن الكريم - أتى وجاء- أنموذجا في ضوء العصرنة الاجتماعية .. ٥٥٧
- الملخص: ٥٥٨
- مقدمة: ٥٦٠
- المبحث الأول: العربية في رحاب القرآن ٥٦٢

مطالعات إحصائية للتعبيرين (أتى) و(جاء) في القرآن الكريم	٥٦٣
إشراقات قرآنية بين التعبيرين (المجيء) و (الإتيان)	٥٦٤
في رحاب القرآن الكريم معان وإشارات للفعل (أتى):	٥٦٥
نفحات قرآنية للتعبير أتى بمعنى يأتي:	٥٦٧
من وجهة النظر القرآنية (الإيتاء) بمعنى (الإعطاء):	٥٦٨
المبحث الثاني: القرآن منبع الحياة:	٥٧٠
بين يدي القرآن الكريم للتعبير (جاء) بصائر وأحكام:	٥٧١
الحقيقة القرآنية والاختلاف في الدلالة:	٥٧٣
القرآن يكشف عن الحقائق بالإعجاز البياني:	٥٧٥
القرآن سفير الله إلينا لدفع البلاء:	٥٧٧
الخاتمة	٥٨٠
المصادر والمراجع	٥٨٧
دور المرأة في مواجهة التحديات والثقافة الغربية في سبيل بناء المجتمع المهدوي (في ضوء الآيات القرآنية والروايات الشريفة)	٥٨٩
فهرس الموضوعات	٥٩٠
الملخص:	٥٩١
مقدمة:	٥٩٥
المبحث الأول: تعريف المجتمع المهدوي وضرورة معرفة التحديات الغربية لبناء المجتمع المهدوي:	٥٩٦
المبحث الثاني: أساليب مواجهة التحديات الغربية لبناء مجتمع مهدوي:	٦٠٢
المبحث الثاني: أساليب مواجهة التحديات الغربية لبناء المجتمع المهدوي:	٦٠٣
نتائج البحث:	٦٠٨

٦٠٩	الهوامش
٦١٠	المصادر والمراجع
٦١١	المحور السادس
٦١١	الاصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> من المنظور القرآني
٦١٣	منهج الإصلاح الحسيني
٦١٣	دراسة مقارنة بين منهجي الأنبياء وسيد الشهداء
٦١٤	الملخص:
٦١٦	مقدمة:
٦١٦	منهج الإصلاح وأدواته:
٦١٦	أولاً: المصلح
٦٢٥	ثانياً: المنهج
٦٢٩	ثالثاً: البيئة
٦٣١	دور الحسين <small>عليه السلام</small> وتميزه عن دور الأنبياء <small>عليهم السلام</small> :
٦٣٥	الخاتمة
٦٣٦	المصادر:
٦٣٩	أسلوب الإصلاح الاجتماعي من منظور القرآن الكريم وسيرة الامام الحسين <small>عليه السلام</small> ...
٦٣٩	د. مصطفى غفوري الحسني
	أستاذ كلية القانون في جامعة الاديان والمذاهب ودكتوراه في الفقه والقانون جامعة طهران،
٦٣٩	كاتب ومحقق قانوني وإسلامي
٦٣٩	الجمهورية الإسلامية الإيرانية
٦٤٠	الملخص:
٦٤٢	مقدمة:

٦٤٣	تاريخ البحث:
٦٤٤	منهج البحث:
٦٤٤	ضرورة البحث:
٦٤٨	المفاهيم:
٦٤٩	أصول الإصلاح الاجتماعي:
٦٥٠	١- الإصلاح الاجتماعي على مستوى الأفراد:
٦٥١	إصلاح النفس:
٦٥٢	الثبات على المبدأ:
٦٥٤	اتباع السنّة:
٦٥٥	٢- الإصلاح الاجتماعي على مستوى المجتمع:
٦٥٧	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
٦٥٩	إلقاء الحجّة:
٦٦١	حفظ كرامة الآخر:
٦٦٢	الحُصُّ على المكارم:
٦٦٦	النتائج:
٦٦٧	فهرست المصادر:
٦٧١	حضور القرآن في حياة الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> :
٦٧١	وآفاقه في حياتنا المعاصرة:
٦٧١	أ.د خليل خلف بشير - آداب البصرة:
٦٧١	و.م. ستار جليل عجيل - مديرية تربية ذي قار:
٦٧٢	الملخص:
٦٧٦	مقدمة:

- ٦٧٦ مدخل: الثقل الأصغر والثقل الأكبر:
- ٦٧٧ الحسين شريك القرآن الكريم:
- ٦٧٨ الحسين والقرآن شريكان؛ لأسباب منها:
- ٦٧٩ أهمية القرآن الكريم عند الحسين عليه السلام:
- ٦٨١ ثورة الحسين مستمدة من القرآن الكريم:
- ٦٨٢ الليلة الأخيرة والقرآن الكريم:
- ٦٨٣ بلاغة الحسين والقرآن الكريم:
- ٦٨٤ أصحاب الحسين والقرآن الكريم:
- ٦٨٤ رأس الحسين والقرآن الكريم:
- ٦٨٥ الخاتمة:
- ٦٨٧ الهوامش:
- ٦٨٨ مصادر البحث ومراجعته:
- ٦٩١ العنوان: البعد القرآني في قول الإمام الحسين عليه السلام «رضى الله رضانا أهل البيت».
- ٦٩١ مكان العمل: جامعة ذي قار/ كلية التربية للبنات.
- ٦٩٢ الملخص:
- ٦٩٥ مقدمة:
- ٦٩٦ أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أمرين هما:
- ٦٩٨ التمهيد:
- ٦٩٨ أولاً: الرضا لغة:
- ٦٩٩ ثانياً: اصطلاحاً.
- ٧٠٠ المبحث الاول: رضا العبد:
- ٧٠٠ أولاً: الرضا السلبي:

٧٠١	ثانيا: الرضا الإيجابي:
٧٠٤	المبحث الثاني: الرضا المتبادل بين العبد والرَّب .
٧٠٧	المبحث الثالث: حصر رضا الرَّب برضا العبد.
٧١٣	نتائج البحث:
٧١٣	وبعد هذا الشُّوط المضني في آيات الله تعالى الكريمة، قد توصلتُ إلى أهم النِّقاط الآتية: ...
٧١٥	قائمة المصادر
٧١٥	خير ما نبتدى به القرآن الكريم.
٧١٩	الخطاب الحسيني الاصلاحى وعلاقته بأنسنة القيم الاخلاقية على وفق المنظور القرآني ..
٧٢٤	خطة البحث:
٧٢٥	المشكلة:
٧٢٦	الأهميّة:
٧٢٧	تعريف المصطلحات.
٧٢٩	حدود البحث:
٧٢٩	منهج البحث:
٧٢٩	المبحث الأول: الأنسنة (النزعة الإنسانية المؤمنة).
٧٣٢	المبحث الثاني: خطاب الاصلاح الحسيني المستند على المنظور القرآني
٧٣٦	ويقسم الإصحاح على:
٧٣٦	١. الاصلاح المعرفي:
٧٣٧	٢. الاصلاح الإداري
٧٤١	المبحث الثالث: الخطاب الحسيني الإصحاحى وعلاقته بأنسنة القيم الأخلاقية وفيه مطلبان: .
٧٤١	المطلب الأول: أنسنة القيم الأخلاقية في الخطاب الحسيني:
٧٤٣	القيم الأخلاقية

- المطلب الثاني: أبعاد أنسنة القيم الأخلاقية في الخطاب الحسيني ٧٤٥
- أولاً: البعد السياسي: ٧٤٦
- ثانياً: البعد الأخلاقي: ٧٤٧
- ثالثاً: البعد الوجداني: ٧٤٨
- المبحث الرابع: تأكيد المنظور القرآني للقيم الأخلاقية في الخطاب الاصلاحى ٧٤٩
- النتائج: ٧٥٢
- المصادر والمراجع ٧٥٤
- التواصل الاجتماعى في مكاتيب الإمام الحسين عليه السلام ٧٥٧
- الملخص: ٧٥٨
- توطئة: ٧٦٠
- أولاً: علامات المحبة بين الناس ٧٦٢
- ثانياً: النوايا الحسنة ٧٦٤
- أهم النتائج التي خرج بها البحث: ٧٦٨
- المصادر والمراجع: ٧٦٩
- أثر القرآن الكريم في اصلاح المجتمع عند الإمام الحسين عليه السلام ٧٧١
- الملخص: ٧٧٢
- مقدمة: ٧٧٤
- أثر القرآن الكريم في إصلاح المجتمع عند الإمام الحسين عليه السلام ٧٧٥
- المطلب الأول: السلوك التربوي في الدرس القرآني عند الإمام الحسين عليه السلام: ٧٧٥
- أولاً: بيان منزلة القرآن وقارئه: ٧٧٥
- ثانياً: الأخلاق التربوية مع طلبة القرآن عند الإمام الحسين عليه السلام: ٧٧٦
- الثالثة: الأخلاق التربوية في الدرس القرآني عند الإمام الحسين عليه السلام: ٧٧٧

- ٧٧٩ الرابعة: تعظيم مادة الدرس القرآني:
- ٧٨١ المطلب الثاني: أثر القرآن الكريم في التربية العقديّة عند الإمام الحسين عليه السلام:
- ٧٨٥ ثانيًا: وجوب مودة أهل البيت عليهم السلام وأثرها في الإصلاح الاجتماعي:
- ٧٨٧ المطلب الثالث: أثر الشواهد القرآنية في اصلاح المتجمع عند الإمام الحسين عليه السلام:
- ٧٨٨ الأوّل: عزة النفس ليست تكبرًا:
- ٧٨٩ الثاني: بيان شأن النزول والانطباق على أكمل المصاديق:
- ٧٩٠ الثالث: الصمود والتحدي بالشواهد القرآنية:
- ٧٩٠ الأوّل: رسائل يزيد بن معاوية إلى بعض أهل المدينة:
- ٧٩١ الثاني: عندما خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة:
- ٧٩٢ الرابع: الشواهد القرآنية في معركة الطف:
- ٧٩٦ نتائج البحث:
- ٧٩٧ المصادر:
- ٨٠١ الفهرسة:

